

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمقدم

الدكتور عبدوي طيانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل سمرقندي

From the Library of
Muhammad S. Hosien

الجزء الثاني

مكتبة وطبعة "كرياضة فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ،

(فَرَأَىٰ كَرِيمًا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب آداب الأكل)

(وهو الأول من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات ، خلق الأرض والسموات ، وأزل الماء القسرات من المصبرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدر الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالما كولات قسوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحة به كل الطيبات ، والصلاة على محمدى المعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على عمر الأوقات ، وتتضاعف بتعاقب الساعات ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فان مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ، ولا طريق إلى الوصول لقاء الله إلا بالعمل والعمل ، ولا تمكن للواطية عليهما إلا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرار الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين ، وعليه يرفع العالين ، بقوله وهو أمدق القائلين - كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى ، فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملًا سدى ، يستسلم في الأكل استرسال الهائم في الرعى ، فان ماهو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ، ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه وإنما أنوار الدين آدابه وسقته التي يزم العبد بزمها ، ويلجج للثق بابها ، حتى يتزج بيزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها ، فيصير بسببها مدفعة للوزر ، وعجلة للأجر ، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس . قال صلى الله عليه وسلم وإن الرجل ليؤجر حتى في القملة يرضها إلى فيه وإلى في امرأته ^(١) وإنما ذلك إذا رضعها بالدين وللدن مراعى فيه آدابه وظائفه ، وهاتين ترشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومروآتها وهيئاتها في أربعة أبواب . وفصل في آخرها . الباب الأول : فيما لا بد للأكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل . الباب الثاني : فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل . الباب الثالث : فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين . الباب الرابع : فيما يخص الدعوة والضيفة وأشباها .

(كتاب آداب الأكل)

(١) حديث إن الرجل ليؤجر في القملة يرضها إلى فيه وإلى في امرأته من حديث إسماعيل بن أبي وقاص وإنك مهما أنشقت من ثقة فاتها صدقة حتى القملة يرضها إلى في امرأته .

بقية

عوارف المعارف

للسهروردى

[الباب التاسع في

ذكر من انتهى إلى

الصوفية وليس منهم]

فمن أولئك قوم يسمون

نفوسهم قلندرية غارة

ومسلمانية أخرى

وقد ذكرنا حال اللامق

وأنه حال شريف

ومقام عزيز وتمسك

بالسنن والآثار وتحقق

بالإخلاص والصدق

وليس مما يزعم

للفتنون بشيء فاما

القلندرية فهو إشارة

إلى أقوام ملوكهم سكر

طيبة قلوبهم حتى خربوا

السادات وطرحوا

التقييد بآداب

المجالسات والمجالطات

وساحوا في ميادين

طيبة قلوبهم قلت

أهمهم من الصوم

والصلاة إلا القرائن

الباب الأول : فيما لا بد للمفرد منه وهو ثلاثة أقسام قسم قبل الأكل وقسم مع الأكل وقسم بعد الفراغ منه (القسم الأول في الآداب التي تقدم على الأكل وهي سبعة)

الأول : أن يكون الطعام بعدك في حلال في نفسه طيباً في جهة مكسبه موافقاً للسنن والورع لم يكتسب بسبب مكره في الشرع ولا يحكم هوى ومداينة في دين على ماسيات في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النبي عن الأكل على الباطل القتل تنجيها لأمر الحرام وتمطيها لبركة الحلال فقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - إلى قوله - ولا تقتلوا أنفسكم - الآية الأصل في الطعام كونه طيباً وهو من الفرائض وأصول الدين الثاني : غسل اليد ، قال صلى الله عليه وسلم « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ويبدد بني المم » وفي رواية « ينفي الفقر قبل الطعام ويبدد » ولأن اليد لا تخلو عن لوث في تطاير الأعمال ففسلها أقرب إلى النظافة والزينة ولأن الأكل قصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة . الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام وضعه على الأرض (٢) فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعل السفرة فإنها تذكر السفر وتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى وقال أنس بن مالك رحمه الله « ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة » . قيل فعل ما كنتم تأكلون قال على السفرة وقيل أربع أحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللوائد والنائل والأضنان والشيء . واعلم أنا ونحن قلنا الأكل على السفرة أولى فلنا قول الأكل على المائدة منى عنه نهي كراهة أو تحريم إذ ثبت فيه نهي وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبدع منها بل التي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمراً من الشرع مع بقاء علته بل الأبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تلبت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأضنان حسن لما فيه من النظافة فإن أفضل مستحب للنظافة والأضنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم أو لا تيسر أو كانوا مشغولين بأمور أهم من الباطنة في النظافة فقد كانوا لا يفسلون البدايات وكانت مناديلهم أخص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الفضل مستحباً وأما النخل فلم يقصد منه تطيب الطعام وذلك مباح ما يهتد إلى التمتع القسط وأما المائدة فتفسير للأكل وهو أيضاً مباح ما يهتد إلى التكبر والتعاطف وأما الشيعة فهو أئمة هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهيج الشهوات وتخريك الأدوات والأبدن فتترك التفرقة بين هذه البدعات . الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستديها كذلك

(الباب الأول)

(١) حديث الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ويبدد بني المم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده القضاء في مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن أبيه متصلاً باللفظ الأول والطرقي في الأوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفي الفقر ولأبي داود وثبت حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها صنيعة (٢) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على الأرض أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلاً ورواه البراء من حديث أبي هريرة نحوه وفيه مجاهد وثقه أحمد وضعه الدارقطني (٣) حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة الحديث رواه ع .

ولم يبالوا بتناول شيء من ثقات الدنيا من كل ما كان مبساحاً برخصة الشرع وربما اتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق الزينة ومع ذلك هم متمسكون بترك الادخار وترك الجمع والاستكثار ولا يترسمون بمراسم التشفين والتزهدين والمعبدين وقصوا بطيعة قلوبهم مع الله تعالى واتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع إلى طلب مزيد سوى ما هم عليه من طيبة القلوب والفرق بين اللامع والقنطري أن اللامع يحصل في كتم العبادات والقنطري يحصل في تخريب العادات واللامع يتسلك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجليه اليمنى وجلس على اليسرى ^(١) » وكان يقول « لا تأكل متكاً ^(٢) » إنما أنا عبد آكل كأياب كل العبد وأجلس كما يجلس العبد ^(٣) » والشرب متكاً مكروه للمعدة أيضاً ويكرهه الأكل نائماً ومتكناً إلا ما يتفلس به من الجيوب وروى عن علي كرم الله وجهه أنه أكل كمكاً على ترس وهو مضطجع ويقال منبطع على بطنه والعرب قد نطخه . الحائس : أن يبنى بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطعماً بالأكل ولا يقصد التلذذ والتعم بالأكل قال إبراهيم بن شيان منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئاً لشهوتي ومزمت مع ذلك على تحليل الأكل فانه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل مادون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإثارة القناعة على الاتساع قال رسول الله ﷺ « ماملأ آدمى وعاء شرباً من بطنه حسب ابن آدم لقيات يضمن صلبه فإن لم يفعل ثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه ^(٤) » ومن ضرورة هذه النية أن لا يعدي إلى الطعام إلا وهو جاف فليكون الجوع أمداً لا يد من تقديمه على الأكل ثم يبنى أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وساقى فائدة فقه الأكل وكيفية التدرج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربيع اللعلكات . السادس : أن يرضى بالوجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التتم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بآرام الخبز ^(٥) فكل ما يديم الرمي ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع قال رسول الله ﷺ « إذا حضر العشاء والمشا فابدؤا بالعشاء ^(٦) » وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما سمع قراءة الإمام ولا يقوم من عشاءه ومهما كانت النفس لاتوق إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يرد الطعام أو يشوش أمره فتقدمه أحب عند اتساع الوقت تأتت النفس أولم تنق لمعوم الخبر ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالباً . السابع : أن يجتهد في تسخير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه ^(٧) » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولكن يفضي الأعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه وحركاته وأمره مسترا الحال لئلا يغلط له وهو مع ذلك متطلع إلى طلب للزبد بلذل مجهوده في كل ما يتقرب به إليه والقلندري لا يتقيد بهيمة ولا يتألى بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا يعطف إلا على طيبة القلوب وهو رأس ماله والصوفي يضع الأشياء مواضعها ويدير الأوقات والأحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامه ويقيم أمر الحق مقامهم ويستمر ما ينبغي أن يستمر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأتى بالأمور في موضعها بخضوع عقل وسمعة توحيد وكال معرفة ورعاية صدق وإخلاص قوم من للتزوين مواءمهم ملائمة ولبسوا لبسة الصوفية لينسوا بها إلى الصوفية وما هم من

(١) حديث ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجليه اليمنى وجلس على اليسرى د من حديث عبد الله بن بشر في أثناء حديث أثوا تلك القصص فالتقوا عليها فكثر الجوع وروى أبو الحسن بن القري في الثمائل من حديثه كان إذا قصد الطعام استوفى على ركبتيه اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كأياب كل العبد وأفضل كما يفعل العبد وإسناده ضعيف (٢) حديث كان يقول لا آكل متكاً أي جيفة (٣) حديث إنما أنا عبد آكل كأياب كل العبد وأجلس كما يجلس العبد وأفضل وأقل بدل وأجلس رواء البراز من حديث ابن عمر دون قوله وأجلس (٤) حديث ماملأ آدم وعاء شرباً من بطنه الحديث وقال حسن ن . من حديث القداد بن معد كرب (٥) حديث أكرموا الخبز البزار والطبراني وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناد ضعيف جداً وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٦) حديث إذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء تقدم في الصلاة والمروءة وأقيمت الصلاة (٧) حديث اجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه د من حديث وحشي بن حرب بإسناد حسن .

لَا يَأْكُل وَحْدَهُ ^(١) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « خَيْرُ الطَّعَامِ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي [١] » .
(القسم الثاني في آداب حالة الأكل)

وهو أن يبدأ بسم الله في أوله وبالحمد في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا يشغله الشغل عن ذكر الله تعالى ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهز به ليدكر غيره ويأكل باليمين ويبدأ بالملح ويغتم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها ومالم يتلغها لم يعد اليد إلى الأخرى فإن ذلك هجعة في الأكل وأن لا ينضم ما كولا ، كان صلى الله عليه وسلم لا ييبس مأكولا كان إذا أجهبه أكله وإلا تركه ^(٢) وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة فإن له أن يجبل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم « كل مما يليك ^(٣) » ثم كان صلى الله عليه وسلم يدور على الفاكهة قبل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا ^(٤) وأن لا يأكل من دورة القصة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قل الحزب فكسر الحزب ولا يقطع بالسكين ^(٥) ولا يقطع اللحم أيضا فقد نهى عنه وقال انهشوه نهشا ^(٦) ولا يوضع على الحزب قصة ولا غيرها إلا ما يؤكل به قال ^(٧) « أكرموا الحزبان الله تعالى أنزلهم من بركات السماء [٢] » ولا يمسح يده بالحزب وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقت لقمة أحدكم فليأخذها وتلميط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتدليل حتى يلمق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة ^(٨) » ولا ينفخ في الطعام الحار ^(٩) فهو منهي عنه بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من القتر وتراسبا أو واحدتي عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين القتر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقها وكذا كل ما لهم وتخلو وأن لا يترك ما استزل من الطعام ويطره في القصة بل يتركه

(١) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده رواء الخراطى في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٢) حديث أنس كان لا ييبس مأكولا إن أجهبه أكله وإلا تركه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث كل مما يليك متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة (٤) حديث كان يدور على الفاكهة وقال ليس هو نوعا واحدا ت من حديث عكراش بن دؤب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد قال ت غريب ورواه حب في الضعفاء (٥) حديث التهي عن قطع الحزب بالسكين رواء حب في الضعفاء من حديث أبي هريرة وفيه نوح بن أبي مريم وهو كذاب ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث التهي عن قطع اللحم بالسكين د من حديث عائشة وقال انهشوه نهشا قال ت منكر و ت من حديث صفوان بن أمية وانهشوا اللحم نهشا وسند ضعيف (٧) حديث إذا وقت لقمة أحدكم فليأخذها قلميظ ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتدليل حتى يلمق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة م من حديث أنس وجابر (٨) حديث التهي عن النفث في الطعام والشراب أحمد في مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبي داود و ت وصححه ابن ماجه إلا أنهم قالوا في الإناء و ت وصححه من حديث أبي سعيد نهى عن النفث في الشراب .

[١] (قوله وقال صلى الله عليه وسلم خير الطعام الخ) لم يشكم عليه العراقي لسقوطه من نسخته كما لم يذكره الصالح فليتأمل .

[٢] (قوله أكرموا الحزبان الخ) لم يخرج العراقي وقدخرجه الشارح عن الحكم الترمذي وغيره فانظره .

الصوفية بى" بل لم في غرور وغلط يسترون بلبسة الصوفية نوبتا تارة ودعوى أخرى ويتجهون مناهج أهل الإلابة وزعمون أن ضارهم خلصت إلى الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمبراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الأفهام للتصريح في مضيق الاعتداء تقليدا وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والاباد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة وجعل هؤلاء للتزورون أن الشريعة حتى البوذية والحقيقة هي حقيقة البوذية ومن صار من أهل الحقيقة فبعد محقوق البوذية وهما مطالبيا بأسور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل إلى ذلك لأنه يخلع عن عقه رقة التكليف ويغامر بطلنه الخزيغ

مع الثقل حتى لا يتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غرس بلقمة أو صدق عطشه فقد قيل إن ذلك مستحب في الطب وأنه دباغ المعدة . وأما الشرب : فآدمه أن يأخذ الكوز يمينه ويقول بسم الله وشربه مصاً لا عباً قال صلى الله عليه وسلم « مصوا الماء ولا تبقوه » عا فان الكباد من العب ^(١) « ولا شرب قائماً ولا مضطجاً فإنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائماً ^(٢) وروى أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً ^(٣) ولله كان لعذر ، ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب « الحمد لله الذي جعله عذبا فرانا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا ^(٤) » والكوز وكل ما يدار على القوم يدار بيته « وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا وأبو بكر رضى الله عنه عن شماله وأعرابي عن يمينه وعمر ناحيته فقال عمر رضى الله عنه أعط أبا بكر فناول الأعرابي وقال الأعرابي « وشرب في ثلاثة أنفاس محمد الله في أواخرها ويسمى الله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأول الحمد وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين أدبا في حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار .

(القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام)

وهو أن يسك قبل الشبع ويلق أصابعه ثم يمسح باليد ثم يسفلها ويلتقط فوات الطعام قال صلى الله عليه وسلم « من أكل ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده ^(٥) » ويتخلل ولا يتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالحلال إلا ما يجتمع من أصول أسنانه لسانه أما المخرج بالحلال فريمه وليتضمن بعد الحلال فيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلق القصة ويشرب ماءها ويقال من لقم القصة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة وأن التقاط الفتات مهور الحور العين وأن يشكر الله تعالى قبله على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى « كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله - ومهما أكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعنا طيبا واستعملنا صالحا وإن أكل شبة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك وبقراً بعد الطعام - قل هو الله أحد - و - لإيلاف قريب - ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولافان أكل طعام القسير فليدع له وليلق اللهم أكثر خيره وبارك له فيها رزقه ويسر له أن يفعل فيه خيرا وقته بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين وإن أفطر عند قوم فليقل أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار واخزن على ما أكل من شبة لطيفي بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها لقوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مصوا الماء ولا تبقوه عا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بالسطر الأول ولأبي داود في الراسل من رواية عطاء بن أبي رباح إذا شربتم فاشربوا مصا (٢) حديث النهى عن الشرب قائماً من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من زعم (٤) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعل الماء عذبا فرانا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا الطبراني في الدعاء مسرلا من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (٥) حديث من أكل ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر بلقظاً من الفقر والبرص والجذام وجرى عن ولده الحق وله من حديث الحاج بن علاط أعطى سعة من الرزق ووفى في ولده وكلامه منكر جدا .

والتحريف . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ للقدس قال أنا أبو محمد الخطيب ثنا أبو بكر بن محمد بن عمر قال ثنا أبو بكر بن أبي داود قال ثنا أحمد ابن صالح قال ثنا عيسى قال ثنا يونس بن يزيد قال قال محمد بن الزهري أخبرني محمد بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريره شيء ، الله تعالى يحاسبه في سريره ومن أظهر لنا سوى ذلك لم نأمنه وإن قال سرير حسن وعنه أيضا رضى الله

« كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » (١) وليس من يأكل ويكسب كسباً يأكل ويلهو ويليل إذا أكل لنا اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه (٢) فإن أكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقنا وارزقنا خيراً منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لموم نفسه ويستحب عقب الطعام أن يقول الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافى من كل شئ ولا يكتفى منه شئ. أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت من عيلة فلك الحمد جداً طيباً دائماً طيباً نافعاً مباركاً فيه كما أنت أهلكه ومستحقه اللهم أطعمتنا طيباً فاستعملنا صالحاً واجبه عوناً لنا على طاعتك ونعوذ بك أن نستعين به على مصيبتك وأما غسل اليدين بالأشنان فكيفيته أن يمسح بالأشنان في كف اليد اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولاً ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به غفته ثم ينم غسل القم بأصبعه ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والخنك والسان ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك بقيية الأشنان اليابس أصابعه ظهراً وبطناً ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى القم وإعادة غسله .

(الباب الثانى ما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل وهو سبعة)

الأول : أن لا يتدبى بالطعام ومعه من يستحق التقديم بغيره من أوزياده فضل إلا أن يكون هو للتبوع والقندى به فينبذ يميني أن لا يطول عليهم الانتظار إذا أشرأبوا للأكل واجتمعوا له . الثانى : أن لا يسكتوا على الطعام فإن ذلك من سيرة الصمم ولكن يشكمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها . الثالث : أن يرفق برفيقه في القصة فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقاً لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركاً بل يبغي أن يقصد الإيثار ولا يأكل كل تمرتين في دقة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم فإن قلل رفيقه نطقه ورفيقه في الأكل وقاله كل ولا يزيد كل وقوله كل على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وإفراط . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب في شئ ثلاثاً لم يراجع بعد ثلاث (٣) وكان يكرر الكلام ثلاثاً (٤) فليس من الأدب الزيادة عليه فأما الحلف عليه بالأكل فمنع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما الطعام أهون من أن يحلف عليه . الرابع : أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له كل قال بعض الأدباء أحسن الآكلين أكل من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقده في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول ولا ينبغي أن يدع شيئاً مما يشبهه لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع بل يجرى على العناد ولا ينقص من عادته شيئاً في الوحدة ولكن يمود نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع نعم لو قاتل من أكله إيثاراً لإخوانه ونظر لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم

(١) حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به هو في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ سحت وهو عند ت وحسنه بلفظ لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به (٢) حديث القول عند أكل اللبن اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه دت وحسنه و ه من حديث ابن عباس إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراتنا ومن ساء الله لنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .

(الباب الثانى ما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل)

(٣) حديث كان إذا خطب في شئ ثلاثاً لم يراجع بعد ثلاث أحمد من حديث جابر في حديث طويل ومن حديث أبي حنيفة أيضاً وإسنادهما حسن (٤) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثاً من حديث أنس كان يبعد الكلمة ثلاثاً .

عنه قال من عرض نفسه لقتلهم فلا يلومن من أساء به الظن فإذا رأيتهم مهملات صلوات الشرع مهملات صلوات للفروضات لا يمتد بحلاوة التلاوة والصوم والصلاة ويدخل في للداخل للكرهية الحرمة زده ولا تحبه ولا تحل دعواه أن له سريرة صالحة . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى بإجازة عن عمر بن أحمد عن ابن خلف عن السلى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا محمد الجرجري يقول سمعت الجنييد يقول الرجل ذكر للرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى تركه الحركات من باب البر والتقوى إلى الله تعالى قال الجنييد إن هذا قوله قوم تكلموا بأسقاط الأعمال وهذه عندي عظيمة والذى يسرق ويبنى أحسن

فاخرا الرطب إلى إخوانه ويقول من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى ويعطى كل من له فضل نوى بمدده دراهم وذلك لدفع الجلاء وزيادة النشاط في الانبساط . وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما أحب إخواني إلى أكثرهم أكلًا وأعظمهم لقمة وأشدهم عطشًا من يحوجني إلى تمهيد في الأكل وكل هذا إشارة إلى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر رحمه الله أصابتين جودة عبة الرجل لأخيه بجودة أكله في منزله . الخامس : أن غسل اليد في الطست لأبأس به وله أن يتنعم فيه إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يهمل ذلك فإذا قدم الطست إليه غيره كرما له فليقبله . اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام قدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس إذا أكرمك أخوك فأقبل كرامته ولا تردّها فأما بكرم أقدع وجل وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضير فصب الرشيد على يده في الطست فصار غرق قال أبا معاوية تدرى من صب على يدك فقال لا قال صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله وأكرمك كما أجلت العلم وأهله . ولا بأس أن يجتمعا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار فإن لم يفعلوه فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم « اجمعو وضوءكم جمع الله شملكم » (١) قيل إن الراديه هذا . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار لا يرفع الطست من بين يدي قوم إلا معلومة ولا تشبهوا بالجمع وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحدوا تستقوا يسنة الأعاجم والحادم الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا لأنه أقرب إلى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب الماء على يد واحد خادم جالسا فقام الصوب عليه فقبله لمقت فقال أحدا لا بد وأن يكون قائما وهذا أولى لأنه أيسر للصب والتمس وأقرب إلى تواضع الذي يصب وإذا كان له نية فيعتكبه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك في الطست إذن سبعة آداب أن لا يزيق فيه وأن يقدمه للتبوع وأن يقبل الإكرام بالتقديم وأن يدار عنه وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجمع الماء فيه وأن يكون الخادم قائما وأن يبع الماء من فيه ورسله من يده برفق حتى لا يرش على القرائش وعلى أصحابه وليصب صاحب التزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك الشافعي رضي الله عنهما في أول نزوله عليه وقال لا يروك ما رأيت من خدمة الضيف فرضي . السادس : أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يرضى بصره عنهم ويشغل نفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يجتمعون الأكل بعده بل يعد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يستوفوا فإن كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنه فإن امتنع لسبب فليمتدز إليهم دفعا للخدمة عنهم . السابع : أن لا يفعل ما يستغذره غيره فلا يفيض يده في القصة ولا يقدم إليهم رأسه عند وضع القصة فيه وإذا أخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذ يمسح يده ولا يمس القصة الدسة في الخل ولا الحل في الدسومة قد بكرهه غيره من القصة التي قطعها بسنه لا يمس يدها في الرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستغذرات .

(الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كبير . قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما إذا قدمتم مع الإخوان على اللادة فأطبلوا الجلوس فأنها ساعة لا تحسب عليكم من أعمالكم . وقال الحسن رحمه الله كل نقعة

(١) حديث اجمعا وضوءكم جمع الله شملكم رواه القضاي في مسند الشباب من حديث أبي هريرة باسناد لأبأس به وجل ابن طاهر مكان أبي هريرة إبراهيم وقال إنه معضل وفيه نظر .

(الباب الثالث في تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

حالا من الذي يقول هذا وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه ر. مون فيها ولو بقيت ألف عام لما نقص من أعمال البر ذرة إلا أن حال يبدونها وإنها لا أكد في معرفتي وأقوى لحالي ومن جملة أولئك قوم يقولون بالجلوس ويؤمنون أن الله تعالى يحل فيهم ويحل في أجسام يصطفها ويسبق لأفهامهم معنى من قول الناصري في اللاهوت والناسوت . ومنهم من يستبيح النظر إلى اللتحنات إشارة إلى هذا اليوم ويتخلله أن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضرا لشيء مما زعموه مشكل قول الخلاج أنا الحق وما يحكى عن أبي يزيد من قوله سبحانه حلأ أن نستعد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية من الله تعالى

ينفخها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم بحاسب عليها ألبنة إلا تفتة الرجل على إخوانه في الطعام فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك هذا مع ما ورد من الأخبار في الأكل والطعام قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال لللائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع »^(١) وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدر أن يأكل جميعه وكان يقول بلنجان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الإخوان إذا رجعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك »^(٢) فأنا أحب أن أستكثر مما أتدبه ليكن كل فضل ذلك وفي الخبر « لا يحاسب العبد على ما أكل من طعام إخوانه »^(٣) وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ونقل إذا أكل وحده وفي الخبر « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : « لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعثر رقية وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم للرب طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من يكارم الأخلاق وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يفرقون إلا عن ذواق وقيل اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر « يقول الله تعالى للصيد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمتك وأنت رب العالمين فيقول جاء أخوك للسل فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمني »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا جاءك الزائر فأكرمه »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة غرافا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من أطعم الطعام »^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم « من أطعم أخاه حتى يشبع وسقاه حتى يرويه بعده آمن من النار سبع خنادق مسيرة خمسمائة عام »^(٩) وأما آدابه : فيضها في الدخول وبضها في تقديم الطعام . أما الدخول فليس من السنة أن يتصد قوما مترصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهى عنه قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه - يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر

(١) حديث لا تزال اللائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع ، الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث إن الإخوان إذا رجعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام ، لم أقف له على أصل (٣) حديث لا يحاسب العبد بما يأكله مع إخوانه هو في الحديث الذي بعده بمعناه (٤) حديث ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان ، الأزد في الضعفاء من حديث جابر ثلاثة لا يستأذن عن النعم : الصائم والتمسعر والرجل يأكل من صيفه أو رده في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه منكر الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث يقول الله للبد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني الحديث م من حديث أبي هريرة بلنطق استطاعتك فلم تطعمني (٦) حديث إذا جاءك الزائر فأكرمه ، الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في المثل عن أبيه (٧) حديث إن في الجنة غرافا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها ، هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ت من حديث علي وقال غريب لا تعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه (٨) حديث خيركم من أطعم الطعام أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الاستناد (٩) حديث من أطعم أخاه حتى يشبع وسقاه حتى يرويه بعده آمن من النار سبع خنادق مسيرة خمسمائة عام الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن حبان ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الذهبي غريب منكر .

«من متى إلى طعام لم يدع إليه شيء فاسقاً وأكل حراماً» (١) ولكن حق الداخل إذا لم يترى واتفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قيل له كل فأن علم أنهم يقولون على حجة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولون حياء منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتصلى أما إذا كان جالساً فتصعد بعض إخوانه ليطعمه ولم يترى به وقت أكله فلا بأس به . قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جوعاً (٢) والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك السلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله السعدي له ثلاثمائة وستون صديقاً يدور عليهم في السنة وآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر وآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة فكان إخوانهم معلومهم بدلائع كسبهم وكان قياماً ولكل بهم على قصد التبرك بعبادة لهم فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واقفاً صداقته عالماً بفرجه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه إذ الرداء من الإذن الرضا لاسباب في الأطعمة وأمرها على السنة قرب رجل يصرح بالإذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب قائم بأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى - أو صدقكم - ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار برة وأكل طعاماً وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بليت الصدقة محلها (٣) وذلك لعله يسرورها بذلك لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بطله بالإذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولاً ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسره ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائماً يأكل من متاع يقال في السوق يأخذ من هذه المجونة تبنة ومن هذه قبة فقال له هشام مابداك يا أباسيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه فقال يا كعب اتل علي آية ألا كل تلا إلى قوله تعالى - أو صدقكم - فقال ابن الصديق يا أباسيد قال من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب ومشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأثروا السفرة وجلسوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول ذكر عوني أخلاق السلف هكذا كانوا ، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادف في المنزل فدخل فنظر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزها وغير ذلك فجعل كله يقدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئاً فقبل له قد أخذته فلان فقال قد أحسن فلما قبله قال يا أخى إن عادوا ضد فهذه آداب الدخول . وأما آداب التقديم : فترك التنكف أولاً وتقدم ماضراً فإن لم يحضر شيء ولم

هواه على الدعوى بذلك ليوم أنه ظفر بى وكل هذا ضلال ويكون سبب تجرته على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتكسبهم بأصول القوم من صدق التقوى وكامل الزهد في الدنيا فلما صفت أسرارهم تشككت في سرارهم مخاطبات موافقه للكتاب والسنة فنزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرار ولا يكون ذلك كلاماً يسمونه بل كحديث في النفس يجردونه برؤية موافق الكتاب والسنة مفهوماً عند أهل موافق العلم ويكون ذلك مناجاة لسرارهم ومناجاة سرارهم ليأثم فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية

(١) حديث من متى إلى طعام لم يدع إليه شيء فاسقاً وأكل حراماً من حديث عائشة نحوه وضعه ولأبي داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقاً وخرج مغيراً إنسانه ضعيف (٢) حديث قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه ، أما قصة أبي الهيثم فرواهت من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عندهم لكن ليس فيها ذكر لأبي الهيثم وإنما قال رجل من الأنصار ، وأما حديث قدم منزل أبي أيوب فرواه الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار برة وأكل طعاماً وهي غائبة وكان من الصدقة فقال بليت الصدقة مكانها متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبررة لم قال النبي صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية ، وأما قوله بليت محلها فقال في الشاة التي أعطيها نسيئة من الصدقة وهو متفق عليه أيضاً من حديث أم عطية .

عليك فلا يستعرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم يسمع نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو بأكل فقال لولا أني أخذته بدين لأطعمتك منه ، وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك مالا تاكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطع عن الرجوع إليه وقال بعضهم ما أبالي عن أئامني من إخواني فاني لا أنكف له وإنما أقرب ما عندي ولو تكلفت له فكرهت عيجه ومملكته وقال بعضهم كنت أدخل على أخ لي فيتكلف لي قتلته إنك لا تأكل كل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه فاما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع الحمى قطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بيباله وتؤذي قلوبهم . وروى أن رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال علي " أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بيبالك وكان بعضهم يقدم من كل ما في البيت فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله قدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم ^(١) وقال بعضهم إذا فسدت للزيارة قدم ما حضر وإن أسررت فلا تبق ولا تندر وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرا ^(٢) وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم أنه زاره إخوانه قدم إليهم كسرا وجزلهم فبلا كان يزرعه ثم قال لهم كلوا لولأن الله لعن الله المتكلمين لتكلفت لكم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وخشف التمر ويقولون لا ندرى أيهما أعظم وزرا الذي يحقر ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه . الأدب الثاني : وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بيته فربما يشق على الزور إحضاره فان غيره أخوه بين طعامين فليختبر أيهما عليه كذلك السنة ففي الخبر أنه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيهما ^(٣) وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحنا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح ستر كان أطيب فخرج سلمان فنهض مطهرته وأخذ سقرا فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قضنا بما رزقنا فقال سلمان لو قمعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مروهنة هذا إذا توهم تقدر ذلك على أخيه أو كراهته له فان علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح فعزل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني إذ كان نازلا عنده ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويبلها إلى الجارية فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألقى بها لونا آخر بخطه ، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون

(١) حديث دخلنا على جابر بن عبد الله قدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم رواه أحمد دون قوله لولا أنا نهينا وهي من حديث سلمان الفارسي وسياق جده وكلامه ضيف وللخارى عن عمر بن الخطاب نهينا عن التكلف حديث (٢) حديث سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرا الخرائطي في مكارم الأخلاق ، ولأحمد لولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أو لولا أننا نهينا أن يتكلف أعدا لصاحبه لتكلفت لك ، وللطبراني نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلف للضيف ما ليس عندنا (٣) حديث ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيهما ما تنفق عليه من حديث عائشة وزاد ما لم يكن إنما ولم يذكرها م في بعض طرقه .

يفضون ما يجدونه
إلى قوسهم وإلى
مولاهم وهم مع ذلك
عالون بأن ذلك ليس
كلام الله وإنما هو
علم حادث أحدثه الله
في بواطنهم فطريق
الأصحاء في ذلك القرار
إلى الله تعالى من كل
ما يحدث قوسهم به
حتى إذا برئت ساحتهم
من الهوى الملهوا
في بواطنهم شيئا
ينسبوه إلى الله تعالى
نسبة الحادث إلى
المحدث لانسبة الكلام
إلى التكلم لينصنوا
عن الزيف والتعريف
ومن أولئك قوم
يزعمون أنهم يرقون
في بحار التوحيد ولا
يشبون ويسقطون
لنفوسهم حركة فضلا
يزعمون أنهم يجورون
على الأشياء وأن لاصل
لهم مع فصل الله
ويسترسون في اللعاصي
وكل ما تدعو النفس
إليه ويركنون إلى
البطالة ودوام الغفلة

أنكر وقال ما أمرت بهذا فحضرت عليه الرقة ملحقاتها خط الشافعي فقاومت حتى على خطه قرع بذلك وأعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه . وقال أبو بكر السكتاني دخلت على السري . فبها غيتت وأخذ بجمل نصفه في القدح قتلته أي شئ . تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة فضحك وقال هذا أفضل لك من حبة ، وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع التقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانسان ومع أبناء الدنيا بالأدب . الأدب الثالث : أن يشتري الزور أخاه الزائر ويشتمس منه الاقتراح مهما كانت قسوة طيبة فعمل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفصل جليل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صافد من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم في رواية جابر « من لاذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف حسنة وهي عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة وأطعمه أقمين ثلاث جنات الجنة فردوس وجنة عدن وجنة الخلد (٢) » . الأدب الرابع : أن لا يقول له هل أقم لك طعاما بل يبنني أن يقيم إن كان قال لا أتوري إذا زارك أخوك فلا تقل له أنا كل أو أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاما فلا يبنني أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالكم مما تأكله فلا تحذهم به ولا يروونه معك وقال بعض الصوفية إذا دخل عليكم الفقراء قدموا إليهم طعاما وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسئلة فإذا دخل القراء فدلوهم على المهراب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

ومظان الآداب فيها ستة الدعوة أولا ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولتقدم على شرحها إن شاء الله تعالى . ضيافة الضيف : قال صلى الله عليه وسلم « لا تسكفوا للضيف تجنصوه فإنه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبض الله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا خير فيمن لا يضيف (٤) » ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر امرأة لها شويها فذبحته فقال صلى الله عليه وسلم : انظروا إليها إنما هذه الأخلاق يداها فن شاء أن يمنعه خلقا حسنا فقل (٥) » . وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال : قل لفلان اليهودي نزلني ضيف فأسلمني شيئا من الدقيق إلى رجب فقال اليهودي والله ما أخلقته إلا برهن فأخبرته فقال والله إن لأمين في السماء أمين في الأرض

(١) حديث من صافد من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله عز وجل البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن حبان والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمنا فأتاهم الله الحديث قال العقيلي باطل لا أصل له (٢) حديث جابر من لاذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف حسنة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد ابن حنبل هذا باطل كذب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

(٣) حديث لا تسكفوا للضيف تجنصوه فإنه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبض الله ، أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان لا تسكفن أحد لضييفه مالا قدر عليه وفيه محمد بن الفرج الأزرق منكاه فيه (٤) حديث لا خير فيمن لا يضيف أحمد من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن لحيمة (٥) حديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر امرأة لها شويها فذبحته الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية أبي التهامي مرسل

والاغترار بالله والخروج من السنة وترك الحدود والأحكام والحلال والحرام . وقد مثل سهل عن رجل يقول أنا صكالب لا أحررك إلا إذا حركت قال هذا لا يقول إلا أحد رجلين إما صديق أو زنديق لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بأفع بحكام الأصول ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول ذلك إحالة للأشياء على الله وإسقاطا للأمة عن نفسه وانحلا عن الدين ورسمه فأما من كان معتقدا للحلال والحرام والحدود والأحكام معتقدا بالمصية إذا صدرت منه معتقدا وجوب التوبة منها فهو سلم صحيح وإن كان تحت القصور بما يركن إليه من البطالة ويترجى بهوى النفس إلى

ولأسفلن لأدبته فأذهب بدرعى وارهنه عنده ^(١) وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميالين يلتصق من يتعدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيفاته في مشهدة إلى يومنا هذا فلا تنقض ليله إلا وبأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوم اللوضعة لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف ^(٢) وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ قال إطعام الطعام وبذل السلام ^(٣) وقال ^(٤) في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ^(٥) وسئل عن الحج للبرور فقال : « إطعام الطعام وطيب الكلام ^(٦) » وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله لللائكة والأخبار الواردة في فضل الضيفات والإطعام لا تحصى فلنذكر آدابها . أما الدعوة : فبينى للداعي أن يبعد بدعوته الأضياف دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم « أكل طعامك الأبرار ^(٧) » فدعاه لبعض من دله وقال صلى الله عليه وسلم « لاتأكل كل إطعام تقى ولا يأكل كل طعامك إلا تقى ^(٨) » وقصد القراء دون الأضياف على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الوليمة يمدى إليها الأغنياء دون الفقراء ^(٩) » وبنينى أن لا يهمل أقاربه في ضيفاته فإن إهمالهم إهماش وقطع رحم وكذلك يرعى الترتيب في أسدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إهماشاً لقلوب الباقيين ، وبنينى أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استالة قلوب الإخوان والتسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين ، وبنينى أن لا يدعو من يعلم أنه ينفق عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وبنينى أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال سفيان من دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فليبه خطيئة فإن أجاب للدعوة فليبه خطيئتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله وإطعام التقى إغانة على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والاية أما أنت فمن الظلمة قسمهم . وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجودها في بعض اللواضع قال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع قبلت ^(١٠) » وللإجابة حصة آداب : الأول أن لا يميز النفي بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر للنهي عنه ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال : انتظار الفرصة ذل ، وقال آخر إذا وضعت يدي في قصة غري قد ذلت له رقبتي ومن

(١) حديث أبي رافع أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزلني ضيف فأسلمني شيئاً من الدقيق إلى رجب الحديث رواه اسحاق بن راهويه في مسنده والحراطي في مكارم الأخلاق وابن مردويه في التفسير بإسناد ضعيف (٢) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان قال إطعام الطعام وبذل السلام متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ أى الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرى السلام على من عرفت ومن لم تعرف (٣) حديث قال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ت وصححه وك من حديث معاذ وقد تقدم بعضه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث اللهم إني أسألك فعل الخيرات (٤) حديث سئل عن الحج للبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام تقدم في الحج (٥) حديث أكل طعامك الأبرار د من حديث أنس بإسناد صحيح (٦) حديث لاتأكل كل إطعام تقى ولا يأكل كل طعامك إلا تقى تقدم في الزكاة (٧) حديث شر الطعام طعام الوليمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٨) حديث لودعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع قبلت خ من حديث أبي هريرة .

الأسفار والترحال في البلاد ومتوصلاً إلى تناول اللذات والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذبه ويمصره بمبيب ماهوفيه والله الرقيق .
[الباب العاشر في شرح رتبة للشيخة] ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده لئن شتمت لأقسمن لكم إن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده ومحبيون عباد الله إلى الله ويمشون على الأرض بالصيحة » وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة للشيخة والدعوة إلى الله تعالى لأن الشيخ يحب الله إلى عباده حقيقة ومحبي عباد الله إلى الله ، ورتبة للشيخة من أهل الرب في طريق الصوفية ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله فأما وجه كون

التكبرين بمن يجيب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ^(١) ومن الحسن أن يجيب الله عنهم يقوم من الساكن الذين يسألون الناس على قارة الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بقلته فلم عليهم فقالوا له هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ قال نعم إن الله لا يحب المتكبرين فنزل وتعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد أجبتكم فأجيئوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فأخبر الطعام وجلس يأكل معهم ، وأما قول القائل إن من وصفت بدى في قصته فقد ذلت له رقبتي ، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالإجابة ولا يتقصد بهيمة وكان يرى ذلك بدى له على الدعوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعله أن الداعي له يتقصد منه ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستثقل الطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا فليس من السنة إجابته ^(٢) بل الأولى التملل ، ولذلك قال بعض الصوفية لا يجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت ورقك وأنه سلم إليك ودية كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال سرى السقطي رحمه الله آه على لقمة ليس على الله فيها تيمة ولا مخلوق فيها منة فإذا علم الدعواته لامة في ذلك فلا ينبغي أن يرد وقال أبو تراب النخعي رحمه الله عليه عرض على طعام فامتنعت فالتيت بالجوع أربعة عشر يوما فقلت أنه عقوبته وقيل لمعرف الكرخي رضي الله عنه كل من دعاك عمر^٣ إليه قال أنا ضيف أزل حيث أزلوني . الثاني : أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الإجابة لبعدها لاسفة كما لا يمتنع لغير الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك يقال في التوراة أوبعض الكتب سريلاعد مريضا سريملين شيع جائزة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زراخا في الله وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة لأن فيه قضاء حق الحى فهو أولى من البيت وقال صلى الله عليه وسلم « لو دعيت إلى كراع بالغميم لأجبت ^(٤) » وهو موضع على أميال من المدينة أفطرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ^(٥) لما بلغه فقرر عنده في سفره ^(٦) . الثالث : أن لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليطفر وليعتب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يعتب في الصوم وأفضل ذلك في صوم الطوع وإن لم يتحقق سرور

(١) حديث كان يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ت . من حديث أنس دون ذكر المسكين وضحت وصححه ك (٢) حديث ليس من السنة إجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام التبارين قال د من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس وللقيل في الضعفاء نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام التباهين والتبارين التمارضان بفعلهما للباهاة والرياء قاله أبو موسى اللدني (٣) حديث لو دعيت إلى كراع بالغميم لأجبت ذكر الغميم فيه ليعرف والمعروف لو دعيت إلى كراع كما تقدم قبله ثلاثة أعاديث وبرد هذه الزيارة ماروا ت من حديث أنس لو أهدى إلى كراع لقبلت (٤) حديث إفطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغ كراع الغميم رواه من حديث جابر في عام الفتح (٥) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في سفره عند كراع الغميم لم أقفله على أصل وطبراني في الصغير من حديث ابن عمر كان يقصر الصلاة بالعقيق يريد إذا بلغه وهذا رد الأول لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم .

الشيخ يجيب الله إلى عباده فلان الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى قال الله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله - ووجه حكوه بجيب عباد الله تعالى إليه أنه يسلك بالمريد طريق التزكية وإذا تزكت النفس انحلت مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الإلهية ولاح فيه جمال التوحيد وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية الكمال الأزل فأحب العبد لله بالماله وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى - قد أنفع من زكاها - وفلاحها بالظفر بمعرفة الله تعالى وأيضا مرآة القلب إذا انحلت لاحت فيها الدنيا بجيها وحقيقتها

قلبه فليصدق الظاهر وليفطر وإن تحقق أنه متكلف فليتمل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم «تكلف لا أخوك» وتقول إني صائم^(١) » وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق ثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمحمرة والحديث الطيب وقد قيل السكندر والذهن أحد القرابين. الرابع أن يمنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط للقرش من غير حلال أو كان يقام في الموضع منك من فرش ديباج أو إناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو جماع شيء من الزمائم وللأهل أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والمزل واللب واستماع الغيبة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك فكل مما يمنع الإجابة واستجابها ويوجب تحررها أو كراهيتها وكذلك إذا كان الداعي ظالماً أو مبتدعاً أو فسقاً أو شريراً أو متكلفاً طلباً للمباهاة والغشخ. الخامس أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملاً في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملاً للأخرة وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في قوله «لودعيت إلى كراع لأجبت» وينوي الحفر من مصيبة الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم «من لم يحب الداعي قد عصى الله ورسوله^(٢)» وينوي إكرام أخيه المؤمن اتباعاً لقوله صلى الله عليه وسلم «من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله^(٣)» وينوي إدخال السرور على قلبه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم «من سراً مؤمناً قد سراً الله^(٤)» وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتجائين في الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الزاور والتبذل^(٥) وقد حصل البذل من أحد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه أيضاً وينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ويطبق اللسان فيه بأن يعمل على تكبر أسوء خلق أو استعقار أخ مسلم أو ما يجري مجراه فهذه ست نيات تعلق بإجابته بالقربات أحداها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه^(٦)» والنية إنما تؤثر في الباحات والطاعات أما للنيات فلا فائدة لوني أن يسر لإخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات بل لو قصد بالزور الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك البليغ للرد بين وجوه الحبرات وغيرها يلتحق بوجوه الحبرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لافي القسم الثالث. وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع

(١) حديث وقال لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك أخوك وتقول إني صائم حق من حديث أبي سعيد الخدري ضمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً وأنا نهي وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاكم أخوكم وتكلف لكم الحديث ولقد ارتضى نحوه من حديث جابر (٢) حديث من لم يحب الداعي قد عصى الله ورسوله متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث من أكرم أخاه المؤمن فأنما يكرم الله تعالى الأصفياء في التزيين والترهيب من حديث جابر والعليل في الضفاء من حديث أبي بكر وإسنادهما ضيف (٤) حديث من سراً مؤمناً قد سراً الله في الباب قبله (٥) حديث وجبت يحيى المعتزاورين في والتبذلين في م من حديث أبي هريرة ولم يذكر للصف هذا الحديث وإنما أشار إليه (٦) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب .

وما هيئها ولاحت
الآخرة وتناشها
بكنها وغايتها
فتكشف للبصيرة
حقيقة الدارين
وحاصل التزليل فيجب
العبد الباقي وزهد في
العاني فظهر فائدة
التزكية وجدوى
للشيخة والرتبة
فالشيخ من جنود الله
تعالى يرشده بالبردين
ويهدي به الطالين .
أخبرنا أبو زرعة عن
أبيه الحافظ القدسي
قال أنا أبو الفضل
عبد الواحد بن علي
بهذان قال أنا أبو بكر
محمد بن علي بن أحمد
الطوسي قال ثنا
أبو العباس محمد بن
يعقوب قال ثنا أبو عتبة
قال ثنا بقيقه قال ثنا
صفوان بن عمرو قال
حدثني الأزهري بن
عبد الله قال قد سمعت
عبد الله بن بشر صاحب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان
يقال إذا اجتمع

ولا يطول الانتظار عليهم ولا يجعل بحيث ياجتنب قبل تمام الاستعداد ولا يضيّق المكان على الحاضرين بالزحمة بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه ألبنة فانه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد فخالفته تنوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن من التواضع قه الرضا بالدون من المجلس (١) » ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجره الذي للنساء وسترهم ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشبهة ونقص بالتجبة والسؤال من يغرب منه إذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول قبله وبين الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بإثنا عشر رضى الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال الفضل قبل الطعام لرب البيت أولى لأنه يدعو الناس إلى كرمه وحكمه أن يتقدم بالفضل وفي آخر الطعام يتأخر بالفضل لينظر أن يدخل من يأكل فيأكل كل بهمه وإذا دخل فرأى مشكرا غيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف ، والتكر فرش الديباج واستمال أو أوى القصة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع اللامى والزمر وحضور النسوة التكتشفات الوجوه وغير ذلك من المهرمات حتى قال أحمد رحمه الله إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغي أن يخرج ولم يأذن في الجلوس إلا في ضية وقال إذا رأى كفة فينبي أن يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا تدفع حرا ولا بردا ولا كسرت شيئا وكذلك قال يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كالستر السكبة وقال إذا كسرت شيئا فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبي أن يحكمها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر في السكبة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينسب إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثها (٢) » وما على الحائط ليس منسوبا إلى الذكور ولو حرم هذا الحرير تزيين السكبة بل الأولى بإستهامه لموجب قوله تعالى - قل من حرم زينة الله - لاسيا في وقت الزيت إذا لم يتخذ عادة للتفاخر وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجوارى والنساء والحيطان في معنى النساء إذن موصوفات بالمذكورة. وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة : الأول تمجيد الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٣) » ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت للموعود فعق الحاضرين في التمجيد أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون التأخير قتيلا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير وأحد الضيفين في قوله تعالى - هل أتاكم حديث ضيف إبراهيم للكريم - إنهم أكرموا بتجيد الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى - فإلبث أن جاء بعجل حنيد - وقوله - فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين - والروغان الذهب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وإغاسمي عجلا لأنه عجلا وليلت قاله حاتم الأصم العجلمن الشيطان لإفاحه فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز البيت

(١) حديث إن من التواضع قه الرضا بالدون من المجلس الخرافى في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في رياضة التلعين من حديث طلحة بن عبيد بنسد جيد (٢) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي د ن . من حديث على وفيه أبو أفلح الحمداني جهله ابن القطان ون ت وصمحه من حديث أبي موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سيد بن أبي هند وأبي موسى فأدخل أحمد بينهما رجلا لم يسم (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي سريج .

عشرون رجلا أو أكثر فان لم يكن فيهم من يهاب الله عز وجل فقد خطر الأمر على المشايخ وقار الله بهم يتأدب المرءون ظاهرا وباطنا قال الله تعالى - أولئك الذين هدى الله فبهم دام اقتده - فالشايخ لما اعتدوا أهل الاقتداء بهم وجعلوا أئمة التقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه - إذا كان الطالب على عبدى الاشتغال بي جعلت همته ولقدته في ذكرى فإذا جعلت همته ولقدته في ذكرى عشقتي وعشقتي ووضعت الحجاب فبأبني وبينه لا يسمو إذا ساء الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الأبطال حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فيها نصرته بهم عنهم والسرفي وصول السالك إلى رتبة الشيخة أن السالك

وزوج البكر وقضاء الدين والتوب عن الذنب^(١)، ويستحب التحجيل في الولعة، قبل الولعة في أول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء. الثاني: ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولاً وإن كانت فذلك أوفق في الطبقاتها أسرع استحالة فينبغي أن تقع في أسفل اللذة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى - وفاكهة مما يتخيرون - ثم قال - ولحم طير مما يشتهون - ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والتريد قد قال عليه السلام وأفضل عائشة على النساء كفضل التريد على سائر الطعام^(٢) [١]، فإن جمع إليه خلوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الإكرام باللعنم قوله تعالى: في صيف إبراهيم إذا حضر الجبل الحنيد أي الحنود وهو الذي أجيد فضجه وهو أحد معنى الإكرام أعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات - وأزنا عليكم اللن والسوى - اللن العسل والسوى اللحم سمى سواي لأنه يسل به عن جميع الادم واليقوم غيره مقامه ولذلك قال عليه السلام «سيد الادم اللحم» ثم قال بعد ذكر اللن والسوى - كلوا من طيبات ما رزقناكم - فاللحم والحلاوة من الطيبات قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أكل الطيبات يورث الرضا عن الله ويتم هذه الطيبات جرب للآء البارد وصب للآء الفارط اليد عنه العسل قال للأون شرب للآء - تلج خلص الشكر وقال بعض الأدباء إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرية وبورانية وسقيتهم ماء بارداً فقد أكلت الضيافة وأتقى بضمهم درهم في ضيافة قال بعض الحكماء لمنكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيداً وماؤك بارداً وحلّك حامضاً فهو كذا يقال إنهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان والمكسكن على اللذة خير من زيادة لونين وقال إن اللذة تكسر اللذة إذا كان عليها قبل فذلك أيضاً مستحب ولما فيه من الزين بالخرقة وفي الخبر إن للذة التي أتت على بني إسرائيل كان عليها من كل القول إلا السكرات وكان عليها ثمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا إذا اجتمع حسن اللواقة. الثالث: أن يقدم من الألوان ألونها الطمها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة الترفين تقدم القليل لئلا يفسد حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الأكل وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة ويصفون القصاع من الطعام على اللذة ليأكل كل واحد مما يشتهي وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أحليبه منه. وعكس عن بعض أصحاب الروايات أنه كان يكب نسخة مما يستحضر من الألوان ويرض على الضيفان وقال بعض الشيخ قدم إلى بعض الشايخ لونا بالشام قتل عندنا بالمرق إنما يقدم هذا آخرها فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخلعت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة قدم إلينا ألوان من الرووس للشوية طيخاً وقديداً فكان لا تأكل تنتظر بعدها لونا أو حملاً فجاءنا بالطمس ولم يقدم غيرها

(١) حديث حاتم الأهم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فاتها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام وتجهيز البيت وزوج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنوب من حديث سهل بن سعد الأنثى من الله والمجلة من الشيطان وسنده ضعيف وأما الاستئذان فروى د من حديث سعد بن أبي وقاص التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة قال الأعمش لأعلم إلا أنه رفته وروى الزبيني التذبيب في ترجمة محمد بن موسى بن نعيم عن مشيخة من قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأنثى في كل شيء إلا في ثلاث إذا صبح في خيل الله وإذا نوى بالصلاة وإذا كانت الجنابة... الحديث وهذا مرسل وت من حديث علي ثلاثة لا تخرها الصلاة إذا أتت والجنابة إذا حضرت والأب إذا وجدت كفؤاً وسنده حسن.

[١] حديث فضل عائشة لما يخرجها المراقى وخرجه الشارح عن الترمذي في التجائل وغيره.

مأمور بسياسة النفس
مبتلى بفساها لا يزال
يسلك بصدق للعامة
حتى تطمئن نفسه
وبطمانيتها ينزع
عنها البرودة واليوسة
التي استجبها من
أصل خلقها وبها
تستحي على الطاعة
والإقياد للعبودية فأذا
زالت اليوسة عنها
ولانت بحرارة الروح
الواصلة إليها وهذا
الآين هو الذي ذكره
الله تعالى في قوله - ثم
تلين جلودهم وقلوبهم
إلى ذكر الله - تعالى
تجيب إلى العبادة وتلين
للمطاعة عند ذلك
وقلب العبد متوسط
بين الروح والنفس
ذو وجهين أحدهما وجهه
إلى النفس والوجه
الأخر إلى الروح يستمد
من الروح بوجهه الذي
بليه ويحد النفس
بوجهه الذي يليها حتى
تطمئن النفس فأذا
اطمأنت نفس السالك
وفرغ من سياستها

فقط بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحاً إن الله تعالى يقدر أن يخلق روماً بلا أهدان قال وبثنا تلك الليلة جياعاً نطلب قتيلاً إلى السحور فلهمنا يستحب أن يقدم الجميع أو يخبر بما عنده . الرابع : أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمسكهم من الاستيقاظ حتى يرفعوا الأيدي عنها فقل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتمنى عليه بالبادرة وهي من التمكن على السائلة التي يقال إنها خير من لونين فيعمل أن يكون المراد به قطع الاستجمال ويحتمل أن يكون أراد به سعة السكان . حكى عن السورى وكان سولياً مزاحاً فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة قدم إليهم حلل وكان في صاحب المائدة خلل فلما رأى القوم مزقوا الحلل كل بحرق ضاق صدره وقال بإعلام أرفع إلى الصبيان أرفع الحلل إلى داخل الدار قام السورى يمدو خلف الحلل قيل له إلى أين قال آكل مع الصبيان فاستجيا الرجل وأمر برد الحلل ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فأنهم يستحيون بل يبنين أن يكون آخرهم أكلًا كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جئنا على ركبتيه ومسه يده إلى الطعام وأكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وعليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه . الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فإن التقليل عن الكفاية قص في الرودة والزبادة عليه تصنع ومراة لاسبا إذا كانت نفسه لاسمع بأن يأكلوا الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يترك فضلة طعامهم إذ في الحديث لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاماً كثيراً على مائدته فقال سفيان يا أبا اسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرفاً فقال إبراهيم ليس في الطعام سرف فإن لم تكن هذه التبة فالتكثير تكلف قال ابن مسعود رضى الله عنه نهى أن نجيب دعوة من يئى بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام البهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشيع وبني أن يعزل أولاً نجيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طاعة إلى رجوع شيء منه فلهذا لا يرجع قضيق صدورهم وتتطلق في الضيفان أسننتهم ويكون قد أطمع الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما يق من الأطلعة فليس للضيفان أخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بحرية حاله وأنه يفرج به فإن كان يظن كراهته فلا يبنين أن يؤخذ وإذا علم رضاه فيبنين مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا يبنين أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء . فاما الانصراف : فله ثلاثة آداب . الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر بإكرامه قال عليه الصلاة والسلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقال عليه السلام « إن من سنة الضيف أن يشيع إلى باب الدار » [١] قال أبو قتادة قدم وفد الجاشي عن رسول الله ﷺ قام بخدمه نفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال كلا إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم [٢] أكرم الأكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى السائدة قبل للأزاعي رضى الله عنه ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن أبي زيادة ما دخل على عبد الرحمن ابن أبي ليلى إلا حدثنا حديثاً حسناً وأطعمنا طعاماً حسناً الثاني أن يصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليدرك لم يخرجهم المراقى [٣]

انتهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس واتقادت نفسه وفات إلى أمر الله ثم القلب يحرب إلى السياسة لما فيه من التوجه إلى النفس فتقوم نفوس للرديد والطالبين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنية في عين النفسية من وجه ولوجود التألف بين الشيخ والريد من وجه التألف الإلهي قال الله تعالى سلوا نفعنا من الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فيسوس نفوس المردين كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون في الشيخ حينئذ معنى الخلق بأخلاق الله تعالى من معنى قول الله تعالى : أطلال شوق الأبرار إلى لقائى وإن إلى لقاءهم لأعد شوقاً وبما هيا الله تعالى من حسن التأليف بين

[١] حديث إن من سنة وكذا حديث إكرام وفد النجاشي وحدث إن الرجل ليدرك لم يخرجهم المراقى .

خلفه درجة الصائم القائم » ودعى بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فطامح حضر وكانوا قد تفرغوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل . وقال قد خرج القوم فقال هل بق بنية قال لا قال فكمسرة إن بقيت قال لم يبق قال فالتدر أمسحها قال قد غسلها فانصرف بعمد الله تعالى فقبله في ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق . وحكى أن أستاذ أبي القاسم الجليل دعاه صبي إلى دعوة آية أربع مرات فرده الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطيباً لقلب الصبي بالحضور ولقلب الأب بالانصراف فهذه نفوس قد ذلت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عيرة فيها بينها وبين ربها فلا تسكر بما يجري من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجري منهم من الإكرام بل يرون السلك من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم أننا لأجيب الدعوة إلا لأني أتذكر بها طعام الجنة أي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤته وحسابه . الثالث : أن لا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه ويراعى قلبه في قدر الإقامة وإذائل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فرمما يتبرم به ويحتاج إلى إخراجه قال صلى الله عليه وسلم « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة (١) » نعم لو أُلحِزَ رب البيت عليه عن خلوص قلبه لله المقام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان (٢) » .

(فصل يجمع آداباً ومناهى طيبة وشرعية متفرقة)

الأول : حكى عن إبراهيم النخعي أنه قال الأكل في السوق دناءة (٣) وأسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده قريب وقد نقل ضمه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : كنا تأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نحمى ونشرب ونحن قيام (٤) . ورؤى بعض الشايع من التصوفة للمروفين يأكل في السوق قبل له في ذلك فقال ويعك أجوع في السوق وآكل في البيت فقيل تدخل للسجد قال أستحي أن أدخل بيته للأكل فيه ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكاف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف ببادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على فئة الرودة وفرط الشره ويتخذ ذلك في الشهادة ومن يلقى ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا . الثاني : قال على رضي الله عنه من ابتداء غداه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتل كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبينة حمرام لم ير في جسده شيئا يسكره والهم يثبت اللحم والثريد طعام العرب والبساقراجات تعظم البطن وترخي الألبين ولحم البقر داء ولها شفاء ومنها دواء والشمع يخرج مثله من الداء ولن تستشفى النساء بغيره أفضل من الرطب ، والسماك يذيب الجسد وقرادة القرآن والسواك ينهبان البلم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليأكل بالقاء

(١) حديث الضيافة ثلاثة أيام فما زاد دقة متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي (٢) حديث فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان م من حديث جابر (٣) حديث الأكل في السوق دناءة الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى . كامل من حديثه وحديث أبي هريرة (٤) حديث ابن عمر كناناً كل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نحمى ونشرب ونحن قيام ت وصحه و . ح

الصاحب والصاحب
يصبر المرء جزء
الشيخ كأن الولد
جزء الوالد في الولادة
الطبيعة وتصبر هذه
الولادة آفا ولادة
معنوية كما ورد عن
عيسى صلوات الله عليه
لن يبلع ملكوت
السماء من لم يولد مرتين
فبالولادة الأولى يصير له
ارتباط بالملك وبهذه
الولادة يصير له ارتباط
بالملكوت قال الله
تعالى . وكذلك نرى
لإبراهيم ملكوت
السماوات والأرض
وليكون من الوقيين .
وصرف اليقين على
السكالي يحصل في هذه
الولادة وبهذه الولادة
يستحق ميراث الأنبياء
ومن لم يصله ميراث
الأنبياء ما ولد وإن
كان على كمال من
الفطنة والدكاء لأن
الفطنة والدكاء نتيجة
العقل والعقل إذا كان
يأبسان من نور الشرع
لا يدخل للسلوك

وليكرر العشاء وليلبس الحذاء، ولأن يتداوى الناس بشيء مثل السم [١]، وليلبس غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين . الثالث : قلل الحجاج لبعض الأطباء ضفة إلى صفة أخذ بها ولا أعدها قال لا تنكح من النساء إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا ثياباً ولا تأكل الطبوخ حتى ينم نفضه ولا تشرب دواء إلا من علة ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ولا تأكل كل طعام إلا أجبت مضغه وكل ما أحببت من الطعام ولا تشرب عليه فاذا شربت فلا تأكل عليه شيئاً ولا تعبس الفانط والبول وإذا أكلت بالثار فم وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولومائة خطوة وفي معناه قول العرب قد تمدت عيشي عني بعدد كما قال الله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتطلى - أي يتمشط ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد الثمر ما حوله إذا سد مجراه . الرابع : في الحبر « قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهمة »^(١) والعرب يقول ترك الضياء ينهب بشحم الكاذبة يعني الآلية وقال بعض الحكماء لانه يابى لا يخرج من منزلك حتى تأخذ حلك أي تمنى إذ به يبق الحلم وبزول الطيش وهو أيضاً أقل لشبوته لما يرى في السوق وقال حكيم لسمين أرى عليك قطيفة من نسج أضرارك فمهي قالم من أكل لباب البروصفار للز وأدهن بجام بنسج وألبس السكتان . الخامس : الحجة تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمرضى هكذا قيل وقال بعضهم من احتسب فهو على يقين من الكثرة وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيياً يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمداء فقال أتأكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله إنما أكل بالشق الآخر »^(٢) يعني جانب السليمة فضحك رسول الله ﷺ . السادس : أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل البيت ، ولما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال عليه السلام « إن آل جعفر شغلوا ببيتهم عن صنع طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون »^(٣) فذلك سنة وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه لإمامها للترواح والمينات عليه بالياء والخزع فلا ينبغي أن يؤكل معهم . السابع : لا ينبغي أن يحضر طعام ظاهراً أن كره فليقل إلى كل ولا يقصد الطعام الأطيب . رد بعض الزكفي شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد الأطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه وأجبر السلطان هذا المركب على الأكل فقال إما أن آكل وأخلي الزكية أو أترك ولا آكل فلم يجدوا بدا من تركه فتركوه . وحكى أن دا النون الصري حيس ولم يأكل أياماً في السجن فكانت له أخت في الله فبعثت إليه طعاماً من مغز لها على يد السجان فامتنع فلم يأكل فتابته لمرأة بعد ذلك فقال كان حلالاً ولكن جأني على طبق ظالم وأشار به إلى يد السجان وهذا غاية الورع . الثامن : حكي عن قبح الوصل رحمة الله أنه دخل على بشر الحافي زائراً فأخرج بشر درهما فدفعه لأحد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاماً جيداً وأداماً طيباً ، قال فاشتريت خبزاً نظيفاً وقلت : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشيء

ولا يزال متردداً في الملك ولهذا وقف على برهان من المعلوم الرياضية لأنه تصرف في الملك ولم يرتق إلى الملكوت والملك ظاهر الكون والملكوت الكون والملكوت بطن الكون والعقل لسان الروح والبصرة التي منها تنبث أشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ينطق به الترجان معلوم عند من ترجم عنه وليس كذلك ما عند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان فلهذا للمع حرم الواقفون مع مجرد المقول العربية عن نور الهداية الذي هو موهبة الله تعالى وعند الأنبياء وأتباعهم الصواب وأسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية التبيان وكما أن في الولادة الطليعة ذرات الأولاد في صلب الأب مودعة تنقل إلى أصلاب الأولاد

(١) حديث قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهمة ابن عدى في الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشرط الأول وت من حديث أنس بالشرط الثاني وكلاماً ضعيف وروى ابن ماجه الشرط الثاني من حديث جابر (٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيياً يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمداء فقال له أتأكل التمر وأنت رمد فقال إنما أمضع بالشق الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث صهيب يسناده جيد (٣) حديث لما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا ببيتهم عن طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون د ت ه من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن ولا بن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس .

[١] قوله وليكرر العشاء إلى قوله السم ليس موجوداً بنسخة الشارح ولعلها الأظهر فليأتم اه .

اللهم برك لنا فيه وزدنا منه^(١) سوى اللبن فلتقريت اللبن واشترت قرا جيعا قدمت إليه فأكل وأخذ الباقي فقال جبر أندرون لم قلت لعقر طعاما طينا لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر أندرون لم يقل كل لأنه ليس للضيف أن يقول صاحب الدار كل أندرون لم حمل باقى لأنه إذا أصبح التوكل لم يضر الحمل . وحكى أبو هريرة الروذارى رحمه الله عز وجل أنه اتخذ ضيافة فأودع فيها ألف سراج فقال له رجل قد أدرقت قال له ادخل فكل ما أودعته لغير الله فأطعته فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فاقطع . واشترى أبو هريرة الروذارى أحمالا من السكر وأمر الحلاوين حتى يتواجدن من السكر عليه شرف ومحاريب على أحمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا للصوفية حتى هدموها وانتهبوها . التاسع قال الشافعي رضى الله عنه : الأكل على أربعة أعشاء الأكل باصبع من اللق وباصبعين من السكر وثلاث أصابع من السنة^(٢) وأربع وحسن من الشره . وأربعة أشياء تنهى البين أكل اللحم وشم الطيب وكثرة القسل من غير جماع وليس السكبان ، وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة اللحم وكثرة شرب اللب على الرقيق وكثرة أكل الخوخة ، وأربعة تنهى البصر البصر الجالس تجاه القبلة والسكك عند النوم والنظر إلى الحفرة وتنظيف اللبس وأربعة توهن البصر النظر إلى القدر والنظر إلى الصلوب والنظر إلى فرج المرأة والقعود في استبدال القبلة ، وأربعة تزيد في الجماع أكل الصايف وأكل الأظرفيل الأكبر وأكل القسق وأكل الجرجير . والنوم على أربعة أعشاء فنوم على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتسكرون في خلق السموات والأرض ونوم على الجبين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على التمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين ، وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من السلام والدواك ، ومجالسة الصالحين والعلماء ، وأربعة هن من العبادة لا يخلو خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود وزوم الساجد وكثرة قراءة القرآن . وقال أيضا عجبت لمن يدخل الحمام على الرقيق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت وقال لم أر شيئا أضع في الوعاء من البعسج يدهن به ويشرب والله أعلم بالصواب .

(كتاب آداب النكاح)

(وهو الكتاب الثاني من ربيع المادات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأهوام في محائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول عن أوائل بداعتها إلا والله حيرى ولا تزال الطائفت نعمه على العالمين ترى فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدائع الطائفة أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الحرائة جبرا واستبق بها نسلهم إقبارا وقسرا ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدرا طهرم بسببها السفاح وبالغ في تضييعه ردعا وزجرا وجعل اتجاهاه جرمية فاحشة وأمرأ إمرا وندب إلى النكاح وحث عليه استجابا وأمرأ فنبجان من كتب اللوت على عباده فأذلهم به هدماء وكسرا ثم بث بذور النطف في أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر اللوت جبرا تنبها على أن يحار القادر لياضة على العالمين نعم

(١) حديث اللهم برك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن تقدم في آخر الباب الأول من آداب الأكل
(٢) حديث الأكل ثلاث أصابع من السنة مسلم من حديث كعب بن مالك كان النبي ﷺ يأكل ثلاث أصابع . وروى ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس موقوفا كل ثلاث أصابع فانه من السنة .

(كتاب آداب النكاح)

يبدد كل ولد ذرة وهي
المرات التي خاطبها
الله تعالى يوم اليتامى
بألمت ربكم قالوا بلى
حيث مسح ظهر آدم
وهو ملق يطن فنان
بين مكة والطائف
فالت القدرات من
مسام جسده كما يسيل
الرق يبدد كل وله
من وله آدم ذرة ثم
لما خوطبت وأجابت
ردت إلى ظهر آدم فمن
الآباء من تغد القدرات
في صلبه ومنهم من لم
يودع في صلبه شيء
فينقطع نسله وهكذا
الشايخ فمنهم من تكثر
أولاده وبأخذون
منه العلوم والأحوال
ويودعونها غيرهم كما
وصلت إليهم من النبي
صلى الله عليه وسلم
بواسطة الصحبة ومنهم
من نقل أولاده ومنهم
من يقطع نسله وهذا
النسل هو الذي رد
الله على السكار حيث
قالوا محمد آبر لانس
له قال الله تعالى - إن

وخرأ وخير أوشرا وعسرا ويسرا وطيحا ونشرا والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالإندثار والبشرى وعل
آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حسرا وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن النكاح مبعين
على الدين ومعين للشياطين وحسن دون عدو الله حين وسبب للتكثير الذي به مباحة سيد المرسلين
لسائر النبيين لها أحراه بأن تتحرى أسبابه وتحفظ سنته وآدابه وتشرح مقاصد آرائه وتفصل فضوله
وأبوابه والقدر اللهم من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في الترغيب فيه وعنه . الباب
الثاني . في الآداب الرعية في المقد والمأقدين . الباب الثالث : في آداب العشرة بمصدق إلى الفراق
(الباب الأول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه)

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة
الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس إلى النكاح
نوقانا يوشو الحال ويدعو إلى الوقوع وقال آخرون الأفضل تركه في زمانها هذا وقد كان له فضيلة من
قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن تقدم أولا
ماورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم تشرح فوائد النكاح وغوائله حتى
يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

(الترغيب في النكاح)

أما عن الآيات، فقد قال الله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم - وهذا أمر وقال تعالى - فلا تنهون
أن ينكحن أزواجهن - وهذا من منع الضل ونهى عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم - ولقد
أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية - فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل
ومسح أوليائه بسؤال ذلك الدعاء فقال - والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة
أعين - الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا للتأملين فقالوا إن يحيى صلى الله
عليه وسلم قد تزوج ولم يجمع قيل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة وقيل لفض البصروا ما عيسى
عليه السلام فانه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له . وأما الأخبار فقوله **يُنكح** « النكاح سقى فمن
رغب عن سقى فقد رغب عنى » وقال صلى الله عليه وسلم « النكاح سقى فمن أحب فطرني فليسئ
بسقى ^(١) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تكثرُوا فاني أبهى بكم الأم يوم القيامة حتى
بالسقط ^(٢) » وقال أيضا عليه السلام « من رغب عن سقى فليس منى وإن من سقى النكاح فمن
أحبني فليسئ بسقى ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا ^(٤) »

(الباب الأول في الترغيب في النكاح)

(١) حديث النكاح سقى فمن أحب فطرني فليسئ بسقى أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير من
حديث ابن عباس بسند حسن (٢) حديث تناكحوا تكثرُوا فاني أبهى بكم الأم يوم القيامة حتى
بالسقط أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر دون قوله حتى بالسقط وإسناده ضعيف
وذكره بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه بلغه (٣) حديث من رغب عن سقى فليسئ
منى وإن من سقى النكاح فمن أحبني فليسئ بسقى متفق على أوله من حديث أنس من رغب
عن سقى فليسئ منى وباقي تقدم قبله بحديث (٤) حديث من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا
رواه أبو منصور الديلمي في مسنده الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف وللدارمي في
مسنده والبخارى في معجمه وأبي داود في المراسيل من حديث أبي نجیح من قسدر على أن ينكح فلم
ينكح فليس منا وأبو نجیح اختلف في صحته

شأنك هو الآخر -

والافتقل رسول الله

صلى الله عليه وسلم باقى

إلى أن تقوم الساعة

وبالنسبة المعنوية يصل

ميراث العلم إلى أهل

العلم . أخبرنا شيخنا

ضياء الدين أبو النجيب

السروردي إجمالا قال

أنا أبو عبد الرحمن

للمالقي قال أنا أبو

الحسن الداودى قال

أنا أبو محمد الحموى

قال أنا أبو عمران

السرمدى قال أنا

أبو محمد الدارمى قال أنا

نصر بن علي قال حدثنا

عبد الله بن داود عن

عاصم عن رجاء بن

حيوة عن داود بن

جميل عن كثير بن

قيس قال كنت جالسا

مع أبي الدرداء في

مسجد دمشق فأتاه

رجل فقال يا أبا الدرداء

إنى أنتيتك من مدينة

مدينة الرسول صلى

الله عليه وسلم لحديث

بلغنى عنك أنك تحدثه

عن رسول الله صلى الله

وهذا من لمة الامتناع للأصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم « من كان ذا طول فليتزوج ^(١) » وقال « من استطاع منك الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا يطيعم فإن الصوم له وجاء ^(٢) » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العین والفرج والوجاه هو عبارة عن رض الحسنيين للفعل حتى تزول فحوته فهو مستعار للضعف عن الوقاع في الصوم وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ^(٣) » وهذا أيضا لتلليل الترغيب لحوف الفساد . وقال ^(٤) « من نكح فهو أنكح لله استحق ولاية الله ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تزوج فقد أجز شطر دينه فليتنق الله في الشطر الثاني ^(٦) » وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلة لأجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد فكان القصد لدين المرء في الأغلب فرجه ويطنه وقد كفي بالتزويج أحدهما ، وقال صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم يتقطع إلا ثلاثا ولصالح يدعو له ^(٧) » الحديث ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح . وأما الآثار فقال عمر رضي الله عنه : لا ينع من النكاح إلا عجز أو فجور ، فيبين أن الدين غير مانع منه وحصر للانع في أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يتم نكح الناسك حتى يتزوج يحتمل أنه جله من النفس وتسلته ، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لقلبة الشهوة إلا بالتزويج ولا يتم النكح إلا بضرغ القلب ولذلك كان جمع غفانه لما أذكرها عكرمة وكريما وغيرها ويقول إن أردتم النكاح أنسكتكم فإن العبد إذا زنى زرع الإيمان من قلبه ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا ومات امرأتان لمعادين جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضا سطونا فقال زوجوني فاني أكره أن ألقى الله عزبا وهذا منهما يدل على أهمارأي في النكاح فضلا لمن حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكره النكاح ويقول ما تزوج إلا لأجل الولد ^(٨) وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ^(٩) فغضبه وييب عنه لحاجة إلى طرفة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تزوج ؟ فقال يا رسول الله إنني فقير لاشيء لي وأقطع عن خدمتك فكنت ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب ثم نفكر الصحابي وقال والله رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحني في ديني وآخرني وما يقريني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأصلن فقال له الثالثة ألا تزوج قال قلت يا رسول الله زوجني قال اذهب إلى بني فلان قتل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فتانك قال قلت يا رسول الله لاشيء لي فقال لأصحابه اجمعوا

(١) حديث من كان ذا طول فليتزوج . من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث من استطاع منك الباءة فليتزوج الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ت من حديث أبي هريرة وهش عن رخ أنه لم يسهه عفوفا وقال د إنه خطأ ورواه أيضا من حديث أبي حاتم المزني وحسنه ورواه د في الراصيل وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواه (٤) حديث من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عز وجل أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس من أعطى لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه (٥) حديث من تزوج فقد أجز شطر دينه فليتنق الله في الشطر الآخر ، ابن الجوزي في العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبراني في الأوسط بلفظ قد استكمل نصف الإيمان وفي السنن وصحح إسناده بلفظ من رزقه الله امرأة سالحة قد أعانه على شطر دينه الحديث (٦) حديث كل عمل ابن آدم يتقطع إلا ثلاثة فذكر فيه وولد صالح يدعو له من حديث أبي هريرة بنحوه .

عليه وسلم قال فما جاء بك تجارة قال لا قال ولا جاء بك غيره قال لا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم وإن العلماء هم ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما إنما أورثوا العلم فمن أخذه بعت بأخذه أو يحط وافره فأول ما أودعت الحكمة والعلم عند آدم أبي البشر عليه السلام ثم انتقل منه كما انتقل منه النسيان والعصيان وماتدعو إليه النفس والشیطان كلور إن الله تعالى أمر جبرائيل

لأخيك وزن نواة من ذهب فجعلوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له أولم وجعوا له من الأصحاب
 شأنوا لوليه؟^(١) وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسع فيه الحاجة إلى النكاح
 وحكى أن بعض العباد في الأمم السالفة طاق أهل زمانه في العبادة فذكر لني زمانه حسن عبادته فقال
 نعم الرجل هو لولا أنه تارك لني من السنة فاعتم العابد بالمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال أنت
 تارك للتزويج فقال لمست أحرمه ولكني قنيت وأنا عيال على الناس قال أنا أزورك ابني فزوجه النبي
 عليه السلام ابنته ، وقال بشر بن الحرث : فضل علي أحمد بن حنبل ثلاث يطلب الحلال لنفسه
 ولنسبه وأنا أطيله لنفسي فقط ولا تساعه في النكاح وضيق عنه ولأنه نصب إماما للامة ، وقال إن
 أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني لوفاة أم ولده عبدالله وقال أكره أن أبيت عزبا ، وأما بشر فانه
 لما قيل له إن الناس ينكحون فيك فترك النكاح ويقولون هو تارك للسنة قال قولوا لهم هو
 مشغول بالقرض عن السنة وعوتب مرة أخرى فقال ما معني من التزويج إلا قوله تعالى - ولعن
 مثل الذي عليهن بالمعروف - فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل بشر إنه ضد على مثل حد السنان
 ومع ذلك قد روي أنه روى في التام قيل له ما فعل الله بك فقال رخصت منازل في الجنة وأشرف بي
 على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل للتأهلين وفي رواية قال لي ما كنت أحب أن تلقاني عزبا قال قلنا
 له ما فعل أبو نصر التمار قال رفع فوقي بسبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال يسيره بي بيته
 والعيال ، وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سيرة للنكاح سنة ماضية
 وخلق من أخلاق الأنبياء ، وقال رجل لإبراهيم بن آدم رحمه الله طوي لك فقد تفرغت للعبادة
 بالعزوبة قال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أتانيه قال فما الذي يمنحك من النكاح
 قال مالي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى ، وقد قيل فضل التأهل على العزب كفضل
 المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب . وأما ما جاء في الترهيب عن
 النكاح : فقد قال عليه السلام « خير الناس بعد الاثنين الخفيف الحاذ الذي لأهل له ولا ولد »^(٢) وقال
 صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يبرونه
 بالقرى ويكفونهم ما لا يطيق ، فيدخل الداخر التي يذهب فيها دينه فيهلك »^(٣) وفي الخبر « قلعة العيال
 أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين »^(٤) وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح قال الصبر عنهن
 خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار ، وقال أيضا الوحيد بعد من حلالة العمل
 وفراغ القلب ما لا يجد التأهل ، وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فبث على مرتبته الأولى .

(١) حديث كان بعض الصعابة قد اتطعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيت عنده حاجة إن
 طرقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تزوج الحديث أحمد من حديث ربيعة الأسلمي في
 حديث طويل وهو صاحب القصة بأسناد حسن (٢) حديث خير الناس بعد الاثنين الخفيف الحاذ الذي
 لأهل له ولا ولد أبو يوسى من حديث حذيفة ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحدث أن أمانة
 وكلاهما ضعيف (٣) حديث يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده
 يبرونه بالقرى ويكفونهم ما لا يطيق فيدخل الداخر التي يذهب فيها دينه فيهلك الخطابي في العزلة من حديث
 ابن مسعود نحوه وللقبي في الزهد نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث قلعة العيال
 أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي وأبو منصور الديلمي
 في مسند القردوس من حديث عبدالله بن عمر وابن هلال المزني كلاهما بالشر الأول بسندين ضعيفين .

حتى أخذ قبضة من
 أجزاء الأرض والله
 تعالى نظر إلى الأجزاء
 الأرضية التي كونها
 من الجوهرة التي خلقها
 أولا فصار من مواقع
 نظر الله إليها خاصية
 السماع من الله تعالى
 والجواب حيث خاطب
 السموات والأرضين
 بقوله - اقتطعوا أو
 كرها قلنا أيتها طاعتين -
 فعملت أجزاء الأرض
 بهذا الخطاب خاصية ثم
 انزعجت هذه الخاصية
 منها بأخذ أجزائها
 لتركيب صورة آدم
 فركب جسد آدم من
 أجزاء أرضية محتوية
 على هذه الخاصية فمن
 حيث نسبة أجزاء
 الأرض تركب فيه
 الهوى حتى مد يده
 إلى شجرة الفناء وهي
 شجرة الحنطة في أكثر
 الأقاويل فتطرق
 لقلبه الفناء ويكرام
 الله إياه بنفع الروح
 الذي أخبر عنه بقوله
 - فإذا سويته ونفخت

وقد أيضا : ثلاثين طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاش أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال الحسن رحمه الله إذا أراد الله بسيد خيراً لم يشغله بأهل ولا مال . وقال ابن أبي الحواري تاطر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكون له بل أن يكون له ولا يشغلانه وهو إشارة إلى قول أبي سايان الله ارأني ما شئت لك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم ، وبالجمله لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقاً إلا مقروناً بشرط . وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقاً ومقروناً بشرط فلنكشف الغطاء عنه بمصر آفات النكاح وفوائده .

آفات النكاح وفوائده : وفيه فوائد خمسة الولد وكثر الشهوة وتدير المزل وكثرة المشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن . الفائدة الأولى . الولد : وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود إبقاء النسل وأن لا يغلو العالم عن جنس الأنس وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالوكل بالفضل في إخراج البذر والأثني في التكيين من الحرث لطفاً بهما في السباقة إلى اقتناس الولد بسبب الواقع كالنطف بالخير في بث الحب الذي يشتهى ليساق إلى الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حرمة وزدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب السبلات على الأسباب مع الاستثناء عنها إظهاراً للقدرة وإتماماً لمصائب الصنعة وتحقيقاً لما سبق به للشبهة وحث به الحكمة وجري به القلم وفي التوصل إلى الولد قرينة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدكم أن يلقى الله عزاً . الأول موافقة محبة الله بالسمي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان والثاني طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثيرهم به بمباهاته . والثالث طلب التبرك بنساء الولد الصالح بعده . والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله . أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه وأبعدا عن أفهام الجاهل وهو أحقها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة في عجاب صنع الله تعالى ومجاري حكمه ، وبإنه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث ومياله أرضاً مهياة للحرثة وكان العبد قادراً على الحرثة ووكل به من يتفاضل عليها فإن تكامل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعاً حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقاً للقت والتعاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأنثيين وخلق النطفة في القفار وهياً لها في الأثنين عروفاً ومجاري وخلق الرحم قراراً ومستودعاً للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثي فهذه الأضال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي أرباب الألباب بتعريف ما أعدت له ، هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال « تناكحوا تتأسلوا » فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر فكل مجتمع عن النكاح معرض عن الحرثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلات للخدمة وجان على مقصود القطرة والحكمة المقهومة من شواهد الحاقلة المكتوبة على هذه الأعضاء مخطأ للمهي ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية ولذلك عظم الضرر الأمر في القتل للأولاد وفي الولد لأنه منع لتمام الوجود وإليه أشار من قال الزل أحد الوادين فالناكح ساع في تمام ما أحب الله تعالى تمامه والمرض معطل ومضيع لما كره الله شيعاه ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال - من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً - فإن قلت : قوله إن تمام النسل والنفس محبوب يومئذ فماذا سكره عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن الله غنى عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو تناوؤهم عن فناءهم . فاعلم أن هذه الكلمة حق

فيه من روحى - قال العلم والحكمة بالقسوة صار ذا نفس منقوسة وينفخ الروح صار ذا روح روحانى وشرح هذا يطول فصار قلبه معدن الحكمة وقاله معدن الهوى فانتقل منه العلم والهوى وصار ميراثه في ولده فصار من طريق الولادة أباً بواسطة الطباع التى هي محند الهوى ومن طريق الولادة المنوية أباً بواسطة العلم فالولادة الظاهرة تطرق إليها الفناء والولادة المنوية محبة من الفناء لأنها وجدت من شجرة الخلد وهي شجرة العلم لا شجرة الخنطة التى جمها إبليس شجرة الخلد فأبليس يرى إلى بضءه فبين أن الشيخ هو الأب معنى وكثيراً كان شيخنا شيخ الاسلام أبو الجيب السهروردى رحمه الله يقول ولدى من سلك طريقى واهتدى بهدي فالشيخ

أريد بها بطلان ما ذكرناه لا ينافي إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خبرها وشهرها وشعبها وأرضها
ولكن الهبة والكراهة بتضادان وكلاهما لا تضادان إلا إرادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالعاصي
مكروهة وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر
والشر فلا يقول إنه مرضي ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى - ولا يرضى لعباده الكفر - فكيف
يكون الفناء بالاضافة إلى محبة الله وكراهته بقاءً فإنه تعالى يقول « ما ترددت في شيء كنت ردي في
قبض روح عبدي السلم هو يكره الموت وأنا أكره مسأته ولا بدله من اللوت (١) » قوله لا بدله
من اللوت إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير للذكر في قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت - وفي
قوله تعالى - الذي خلق الموت والحياة - ولا منقضة بين قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت -
وبين قوله « وأنا أكره مسأته » ولكن إضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الإرادة والهبة
والكراهة وبيان حقائقها فإن السابق إلى الأفعال منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم
وهيات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاته هو كما أن ذوات الخلق
جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا
صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ووراء سر القدر الذي منع
من إنشائه فلنقتصر عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح
والإجماع عنه فإن أحدهما مضيع لئلا أدام الله وجوده من آدم عليه السلام عقباً بعد عقب إلى أن انتهى
إليه فالمستع عن النكاح قد حسم الوجود للستام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه
فما أتى لعقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون
زأجوني لألقى الله عزياً . فإن قلت لما كان معاذ يتوقع ولداً في ذلك الوقت فلو جه رغبت فيه .
أقول الولد يحصل بالوقوع ويحصل الوقوع بإعطاء الشهوة وذلك أمر لا يدخل في الاختيار إنما اللطف
بإختيار العبد إحضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فن عقد قد أدى ما عليه وفضل ما إليه
والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للمعين أيضاً فإن نهضت الشهوة خفية لا يطلع
عليها حتى إن المسحوق الذي لا يتوقع له ولد لا يقطع الاستجاب أيضاً في حقه على الوجه الذي يستحب
للأصلع إمرار الوسي على رأسه اقتداء بغيره وتبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الزمل والاضطباع
في الحج الآن وقد كان المراد منه أولاً إظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتب بالذين أظهروا الجلد
سنة في حق من بعدهم ويضعف هذا الاستجاب بالاضافة إلى الاستجاب في حق القادر على الحرث
وربما يزداد ضعفاً بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر فإن ذلك
لاخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة إنكارهم لترك النكاح مع قور
الشهوة . الوجه الثاني السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بشكثير ما به مباحاته إذ
قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجه كلها ما روى
عن عمر رضي الله عنه أنه كان ينكح كثيراً ويقول إنما أنكح للولد وما روى من الأخبار في
مذمة المرأة العقيم إذ قال عليه السلام « لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لاند (٢) »

(١) حديث أنه تعالى يقول ما ترددت في شيء كنت ردي في قبض روح عبدي السلم يكره الموت
وأنا أكره مسأته ولا بدله منه من حديث أبي هريرة انقرد به خالد بن مخلد القطواني وهو
مشكك فيه (٢) حديث لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لاند أبو عمر التوفاني في كتاب معاشرته
الأهلين موقوفاً على عمر بن الخطاب ولم أجده مرفوعاً .

الذي ينسب بطريقه
للأحوال قد يكون
مأخوذاً في ابتدائه في
طريق المحبين وقد
يكون مأخوذاً في طريق
المحبوبين وذلك أن أمر
الصالحين والسالكين
يتقسم أربعة أقسام
سالك مجرد ومجنوب
مجرد وسالك متدارك
بالجذب ومجنوب
متدارك بالسلك
فالسالك المجرى لا يؤهل
للمشقة ولا يملكها بقاء
صفات نفسه عليه
فيقف عند حظه من
رحمة الله تعالى في مقام
للعامة والرياسة ولا
يرتقى إلى حال روحها
عن وهج السكابة
والمجنوب المجرى من
خير سلوك يادله الحق
بآيات البين ورفع
عن قلبه شيئاً من
الحجاب ولا يؤخذ في
طريق العامة وللعامة
أمر تام سوف تشرحه
في موضعه إن شاء الله
تعالى وهذا أيضاً
لا يؤهل للمشيخة ويقت

وقال « حير سائكم الولود الدودود (١) » وقال « سوداء ولود خير من حساء لاتلد (٢) » وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لأن الحسنة أصلح لتحسين وغش البصر وقطع الشهوة . الوجه الثالث أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعوله كما ورد في الخبر أن جميع عمل ابن آدم مقطوع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح وفي الخبر « إن الأديعة تعرض على اللقيط على أطباق من نور (٣) » وقول القائل إن الولد ربسا لم يكن صالحا لا يؤثر فيه فانه مؤمن والصلاح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لاسيما إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمنين لأبويهم مفيد برا كان أو فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ ببيئته فانه لا أثر وزر أخرى ولذلك قال تعالى - ألحقنا بهم ذريّاتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء - أي ما نقصناهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيدا في إحسانهم . الوجه الرابع أن يموت الولد قبله فيكون له غريبا قدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الطفل يمر بأبويه إلى الجنة (٤) » وفي بعض الأخبار « يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك (٥) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا أي ممثلا غيظا وغضبنا ويقول لأدخل الجنة إلا وأبواى معى فيقال ادخلوا أي وبمعهم الجنة (٦) » وفي خبر آخر « إن الأطفال يحتممون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهم هؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة يقال لهم مرحبا بدارى المسلمين ادخلوا لاحتساب عليكم فيقولون فأين آبائنا وأمهاتنا فيقول الحزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم محاسبون عليها وبطالون قال فيتضاغون ويضجون على أبواب الجنة منجدة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ماهذه الضجة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا (١) حديث خير سائكم الولود الدودود البيهقي من حديث ابن أبي أديّة الصدي قال البيهقي وروى بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسل (٢) حديث سوداء ولود خير من حساء لاتلد ابن حبان في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح [١] (٣) حديث إن الأديعة تعرض على اللقيط على أطباق من نور وروناه في الأربعين للشهورة من رواية أبي هذبة عن أنس في الصدقة عن النبي وأبو هذبة كذاب (٤) حديث إن الطفل يمر بأبويه إلى الجنة . من حديث على وقال السقط يدل الطفل وله من حديث معاذ إن الطفل ليجرأه بسرره إلى الجنة إذا هي احتسبت وكلاهما ضعيف (٥) حديث إنه يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك كما أنى من حديث أبي هريرة (٦) حديث إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا أي ممثلا غيظا وغضبنا ويقول لأدخل إلا وأبواى معى الحديث حب في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح ون من حديث أبي هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة أتم وآباؤكم وإسناده جيد .

[١] وجد بهامش العراق بأحد النسخ الموعول عليها مانصة قلت : ولأنى يلى بسند ضعيف ذروا الحسنة القيم وعليكم بالسوداء الولود فإني مكاتر بكم الأمم رواه عبد الله وله من حديث أبي موسى إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأة قد أعجبتني لا تلد أفأزوجه ؟ قال لا فأعرض عنها ثم تبعها فسمعت قال يارسول الله قد أعجبتني هذه المرأة ونحرها أعجبتني ولها ونحرها أفأزوجه ؟ قال لا امرأة سوداء ولود أحب إلى منها أما شرت أنى مكاتر بكم الأمم سنه ضعيف .

عند حظه من الله
مروءة بحاله غير مأخوذ
في طريق أعماله ما عدا
الفريضة والسالك
الذي تدورك بالجذبة
هو الذي كانت بدايته
بالمجاهدة والمكابدة
والعاملية بالإخلاص
والوفاء بالشرط ثم
أخرج من وهج
للكابدة إلى روح
الحال وجد العسل بعد
المقم وتروح بنجات
الفضل ويرز من مضيق
للكابدة إلى متسع
للساعة وأونس
بنجات القرب وقبح
له باب من للشهادة
فوجد دواءه وفاض
وعاؤه وصدرت منه
كلمات الحكمة ومالت
إليه القلوب وتوالى
عليه فتوح التيب وصار
ظاهره مسددا وباطنه
مشاهدا وصلح للجلوة
وصار له في جلوته
خلوة فيقلب ولا يظلب
ويغترس ولا يغترس
يؤهل مثل هذا المشيخة
لأنه أخذ في طريق

بأيدي آبائهم فأدخلوهم الجنة^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له اثنان من الولد فقد احتضر بحظار من النار^(٢) » وقال عليه السلام من مات له ثلاثة لم يلفوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان^(٣) . وحكى أن بعض الصالحين كان يمرض عليه الزوج فيأتي برهة من دهره قال فاتبته من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فقتل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف وبني من العطش ما كاد أن يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يستقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس فمدت يدي إلى أحدهم وقلت استقي قد أجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسئ أباءنا قتل ومن أثم قالوا نحن من مات من أطفال المسلمين وأحد للماني المذكورة في قوله تعالى - فأتوا حركم أن شتم وقموا لأنفسكم - تقديم الأطفال إلى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الأربع أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا في ذلك . الفائدة الثانية : التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « من نكح فقد حصدن نصف دينه فليتنق الله في الشطر الآخر » وإليه الإشارة بقوله « عليكم بالباة فمن لم يستطع فليبه بالصوم فإن الصوم له وجاء » وأكثر ما قتناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا المعنى دون الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لجهله وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه ممن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكل فالشهوة والولد مقدران بينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال للقعود اللذة والولد لازم منها كإبائهم متلاقضا الحاجة من الأكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالقطرة والحكمة والشهوة بائنة عليه ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الارهاق إلى الإيلاء وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لودامت فهي منبهة على اللذات للعودة في الجنان إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذوقا لا ينفع فلو رغب المتين في لذة الجماع أو العصى في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون بائنا على عبادة الله فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التنمية الإلهية كيف عيبت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة والحياة الظاهرة حياة المرء يبقا نسله فانه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة

(١) حديث إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لأحساب عليكم فيقولون أين آبائنا وأمهاتنا الحديث بطوله لم أجده أصلا يعتمد عليه (٢) حديث من مات له اثنان من الولد احتضر بحظار من نار البزاري والطبراني من حديث زهير بن أبي علفمة جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله عليه السلام فقالت يا رسول الله إنمات لي اثنان سوى هذا فقال لقد احتضرت من دون النار احتضار شديد ولمسلم من حديث أبي هريرة في المرأة التي قالت دفنت ثلاثة لقد احتضرت بحظار شديد من النار (٣) حديث من مات له ثلاثة لم يلفوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان خ من حديث أنس دون ذكر الاثنين وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلفظ أيما امرأة بنحو منه .

المحبين ومنح حالا من أحوال القرين بمدادخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين ويكون له أنباء ينتقل منه إليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوسا في حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال ولا يبلغ كال النوال يقف عند حظه وهو حظ وافرسي والتين أوتوا السلم درجات ولكن القام الأكل في للشبهة القسم الرابع وهو المجدوب للتدارك بالسلوك ياداه الحق بالكشف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحب ويستتير بأنوار الشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الضرر وينيب إلى دار الخلود ويرتوي من بحر الحال ويتخلص من الأغلال والأعلال ويقول معلنا لا أعيد ربا لم أره ثم

الواصلة إليها فيستفيد البعد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان باطنا وظاهرا ذرات بل ملكوت السموات والأرض إلا وتحتها من لطائف الحكمة ومحانيها ما تحار العقول فيها ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالتكاسح بسبب دفع فائقة الشهوة مهم في الدين لسلك من لا يؤتى عن عجز وعنه وهم غالب الخلق فان الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اتقاع الفواحش وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى - إلا تغلبوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير - وإن كان ملجما بلجام التقوى فبأنه أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فينض البصر ويحفظ الفرج فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتعدته بأمور الواقع ولا يفر عنه الشيطان للوسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يعرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الواقع ما يصرح به بين يدي أخس الخلق لاستحياء منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمور للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن يضاف إليه ضعف في البدن وفساد في الزاج ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك التامك إلا بالنكاح وهذه عنة عامة قل من يتخلص منها قال فتادة في معنى قوله تعالى - ولا تعلمنا ملا طاقة لثابه - هو التلمة. وعن بكرمة ومجاهد أنهما قالا في معنى قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - إنه لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما - ومن شرفك إذا وقب - قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهي مع أنها صالحة لأن تكون بائنة على الحياتين كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه السلام بقوله «مارأيت من ناصت عقل ودين أغلب لدى الألباب منك» (١) وإنما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه «اللهم إني أعوذ بك من شر ممسى وبصري وقلبي وشر مني» (٢) وقاله «أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي» (٣) فما يستعين منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر التكاسح حتى لا يكاد يخلو من اثنين وثلاث فأنكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منك أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفا معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لورينيت في عمري كله يمثل حاكمك في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي إلا نفذته فأترجع وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي مصيبة وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوى الدين المالدي تنسك منهم قال يأكلون سككيرا قال وأنت أيضا لو حفظت عيبك وفرجك كما يحفظون لنسكت كما ينكحون. وكان الجنيب يقول يقول أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله

(١) حديث مارأيت من ناصت عقل ودين أغلب لدى الألباب منك م من حديث ابن عمر واتفقا عليه من حديث أبي سعيد ولم يسق م لفظه (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ممسى وبصري وشر مني تقدم في الدعوات (٣) حديث أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي هو في الدعوات من حديث أم سلمة بإسناد فيه لين.

منه من باطنه على ظاهره ويجرى عليه صورة المجاهدة والماملة من غير مكابدة وعناء بل بلادة وهناء ويصير قلبه بسفة قلبه لا تلاء قلبه بحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده إجابة قلبه للعمل كإجابة قلبه فيزيده الله تعالى إرادة خاصة ويزقه عبة خاصة من عبة المهويين الرادين ينقطع فيواصل ويعرض عنه فيرسل يذهب عنه جمود النفس ويصطلح بعمرارة الروح وتنكشف عن قلبه عروق النفس قال الله تعالى - الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يشنون رحم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين ولا يكون هذا إلا

صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فتأقت إليها نفسه أن يجامع أمه^(١)، لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم: إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهلها فإن معها مثل الذي معها^(٢) وقال عليه السلام «لا تدخلوا على النقيات وهي التي غاب زوجها فان الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله أعانني عليه فأسلم^(٣)» قال سفيان بن عيينة فأسلم معناه فأسلم أنا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة عليهم السلام أنه كان يخطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلي المغرب فيقتل ويصلي وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه وروى أنه جامع ثلاثا من جواربه في شهر رمضان قبل المشاء الأخيرة وقال ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء^(٤) ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج الرب كان استكثار الصالحين منهم للتكاح أشد ولأجل فراغ القلب أيسر نكاح الأمة عند خوف الصمت مع أن فيه إرقاق الولد وهو نوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنفيس الحياة على الولد مدة وفي اقتحام القاحشة نفوت الحياة الأخروية التي تستحق الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يرح فقال له ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهياك وأجلك فقال ابن عباس إن العالم عثرة الولد فيها كنت أفضيت به إلى أيك فأفوض إلى به فقال إلى شاب لازوجة في وربما خشيت الصمت على نفسى فربما استعنت بى فهل في ذلك معصية فأعرض عنه ابن عباس ثم قال أفدت ونكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على أن العرب العظمى مردد بين ثلاثة شروء أدامها نكاح الأمة وفيه إرقاق الولد وأشد منه الاستمتاع بالبدن وأخفها الزنا ولم يطلق ابن عباس الإباحة في شيء منه لأنها محذوران يفرع إليهما حذران من الوقوع في محذور أشد منه كما يفرع إلى تناول البينة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة للطلقة ولا في معنى الحبر للطلق وليس قطع اليد للتأكل من الحبرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك فاذن في التكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يمس الكل بل الأكثر قرب شخص قرت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فينعدم هذا الباعث في حقه وينبى ماسبق من أمر الولد فان ذلك عام إلا للمسحوق وهو نادر ومن الطباع ما تقلب عليها الشهوة بحيث لا تحسن المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع فان يسر الله مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن والإتيان يستحب له الاستبدال قصد نكاح على رضى الله عنه بسد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ويقال

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتأقت نفسها إليها أن يجامع أهلها أحد من حديث أبي كبة الأنصاري حين مرث به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال فكذلك فافعلوا فانه من أمثالكم إتيان الحلال وإسناده جيد (٢) حديث جابر رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح (٣) حديث لا تدخلوا على النقيات فان الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم الحديث ت من حديث جابر وقال غريب ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل بعدوى هذا في معنى إلا ومعرج لا أو ثمان (٤) حديث ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء يعنى النبي صلى الله عليه وسلم رواه بخ .

حال المحبوب المراد وقد ورد في الخبر أن إبليس سأل السيل إلى القلب قيل له يحرم عليك ولكن السيل لك في مجارى المروق للشبكة بالنفس إلى حد القلب فاذا دخلت المروق عرفت فيها من ضيق مجارها وامتزج عرفت بماء الرحمة لترشح من جانب القلب في مجرى واحد ويصل بذلك سلطانك إلى القلب ومن جعلته نيبا أو لولا نلت تلك المروق من باطن قلبه فيصير القلب سليبا فاذا دخلت المروق لم تصل إلى الشبكة بالقلب فلا يصل إلى القلب سلطانك فالحسب للرادى أهل الشبهة سلم قلبه وانشرح صدره ولان جلده صار قلبه يطبع الروح ونفسه يطبع القلب ولانت النفس بعد أن كانت أمارتا بالسوء مستعمية

إن الحسن بن علي كان منككاً حتى نكح زيادة عن مائتي امرأة وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد وربما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهنّ وقد قال عليه الصلاة والسلام « للحسن أشبهت خلقي وخلقى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « حسن مني وحسين مني (٢) » قبل أن كثرة نكاحه أحد ما شابه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج القيرة بن شعبة بتأنيث امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوماً فينبغي أن يكون العلاج بقدر الملة فالمراد تسكين النفس فلينظر إليه في الكثرة والقلّة . الفائدة الثالثة : ترويع النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهي عن الحق قور لأنه على خلاف طبيعتها فلو كتفت للداومة بالإكراه على ما يغفلها جمحت وثابت وإذا روت بالذات في بعض الأوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيد الكرب ويروح القلب وينبغي أن يكون نفوس التفتين استراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى - ليسكن إليها - وقال على رضى الله عنه روحوا القلوب ساعة إذا أكرهت عميت وفي الخبر « على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يغلو فيها بمطعمه ومشربه فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات (٣) » ومثله بلفظ آخر « لا يكون العاقل طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد وأمرعة لماش أولثة في غير محرم (٤) » وقال عليه الصلاة والسلام « لكل عامل شرة ولكل شرة قرّة فمن كانت قترته إلى سقى قد اهتدى (٥) » والشرّة الجدو والكنابة بمحبة وقوة وذلك في ابتداء الإرادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان أبو الدرداء يقول إنني لأستحم ثمسى بشئ من اللهب لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال « شكوت إلى جبريل عليه السلام ضعتي عن الوقوع فدلني على الحريرة (٦) » وهذا إن صح لا عمل إلا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فإنه استئارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الأكر من هذا الأُنس وقال عليه الصلاة والسلام « حب إلى من دنياكم ثلاث الطبيب والنساء وقرّة عيني في الصلاة (٧) » فهذا أيضاً فائدة لا يشكرها من جرب إعتاب نفسه في الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال

(١) حديث أنه قال الحسن بن علي أشبهت خلقي وخلقى قلت المعروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبي طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ولكن الحسن أيضاً كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما هو متفق عليه من حديث أبي جيفة وللترمذى وصححه وابن حبان من حديث أنس لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن (٢) حديث حسن مني وحسين مني على أحمد من حديث القناد بن معديكرب بسند جيد (٣) حديث على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة فيها يناجى ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يغلو فيها بمطعمه ومشربه حب من حديث أبي ذر في حديث طويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٤) حديث لا يكون العاقل طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرعة لماش أولثة في غير محرم حب من حديث أبي ذر الطويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٥) حديث لكل عامل شرة ولكل شرة قرّة فمن كانت قترته إلى سقى قد اهتدى أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو وللترمذى نحو من هذا من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٦) حديث شكوت إلى جبريل ضعتي عن الوقوع فدلني على الحريرة من حديث حذيفة وابن عباس والعتيلي من حديث معاذ وجابر بن عمر وابن حبان في الضعفاء من حديث حذيفة والأزدي في الضعفاء من حديث أبي هريرة بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدى موضوع وقال العتيلى باطل (٧) حديث حب إلى من دنياكم الطبيب والنساء وقرّة عيني في الصلاة من حديث أنس بإسناد جيد وضعفه العتيلى .

ولان الجدل بين النفس
ورد إلى صورة الأعمال
بمد وجدان الحسالة
ولا يزال روحه ينحذب
إلى الحضرة الإلهية
فيستتبع الروح القلب
وتستتبع القلب النفس
ويستتبع النفس
القلب فاسترجعت
الأعمال القلبية
والعالية وأخرى
الظاهر إلى الباطن
والباطن إلى الظاهر
والقدرة إلى الحكمة
والحكمة إلى القدرة
والدنيا إلى الآخرة
والآخرة إلى الدنيا
ويصح له أن يقول
لو كشف الغطاء
ما زددت يقيناً فنفند
ذلك يطلق من وثاق
الحالويكون مسيطراً
على الحال لا الحسالة
مسيطراً عليه ويصير
حراً من كل وجه
والشيخ الأول القدي
أخذ في طريق المحبين
حر من رقى النفس
ولكن ربما كان باقياً
في رقى القلب وهذا

وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى إنها تطرد في حق المسحور ومن لا شهوة إلا لأن هذه الفائدة
تجمل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك . وأما ضد الولد فوضعه دفع
الشهوة وأما لها فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى لواء البحري والحفزة وأما لها
ولا يحتاج إلى ترويع النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص
فليتب له . الفائدة الرابعة : تفرغ القلب عن تدير الزل والتسكك بشغل الطبخ والكنس والفرش
وتنظيف الأواني وتهية أسباب العيشة فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الواقع لتعذر عليه العيش في منزله
وحده إذ لو تسكف بجميع أشغال المنزل لصاح أكثر أوقاته ولم يفرغ قلبه للعمل فالمرأة الصالحة الصالحة
للزول عون على الدين بهذه الطريق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنصات
للعيش وذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فاتها تفرغك للأخرة
وإنما تفرضا بتدبير المنزل وبضياء الشهوة جيما وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى - ربنا
آتنا في الدنيا حسنة - قال المرأة الصالحة وقال عليه الصلاة والسلام « ليتخذ أحدكم قلبا كرا ولسانا
ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته ^(١) » فانظر كيف جمع بين الأذى والذكر والشكر وفي بعض
التفسير في قوله تعالى - فلنجينه حياة طيبة - قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يقول ما أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيرا من امرأة صالحة وإن من غيا لا يجدي منه ومنه
غلا لا يجدي منه وقوله لا يجدي أي لا يتنازع عنه بعباءة وقال عليه الصلاة والسلام « فضلت على آدم
مخلتين كانت زوجته عون له على المعصية وأزواجه أعوان على الطاعة وكان شيطانها كافرا وشيطاني
مسلم لا يأمر إلا بخير ^(٢) » فدمعوايتها على الطاعة فضيلة فهذه أيضا من الفوائد التي تصدها الصالحون
إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعوا إلى امرأتين بل جمع ربنا بنص
العيشة ويضطرب به أمور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعينيتها وما يحصل من
القوة بسبب تداخل انشائهم فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذلك من
لناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فإن الله مشوش للقلب والزم
بالكثرة دافع للذل . الفائدة الخامسة : مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق
الأهل والصبر على أخلاقهم واحتال الأذى منهم والسعي في إصلاحهم وإرشادهم إلى طريق الدين
والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهم والقيام بربيتهم لأولاده فكل هذه أعمال عظيمة الفضل فاتها
رعاية وولاية والأهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وإنما يجتري منها من يجتري خيفة من القصور
عن القيام بحقوقها والافتقار إلى الله عليه الصلاة والسلام « يوم من والعاذل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قل
ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ^(٣) » وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل

الشيخ في طريق
المحبين حر من رقى
القلب كما هو حر من رقى
النفس وذلك أن النفس
حجاب ظلمي أرضى
أعنت منه الأول
والقلب حجاب نوراني
مساوى أعنت منه
الأخر صار له بالقلبه
ولموقعه لا لوقعه فبعد
الله حقوا ومن به صدقا
ويسجد لله سواه
وخاله ويؤمن به فؤاده
ويقر به لسانه كما قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض
سجوده ولا يختلف
عن العبودية منه شعرة
وتصير عبادته مشاكلة
 لعبادة الملائكة - وقه
يسجد من في السموات
والأرض طوعا وكرها
وظلالهم بالتدو
والآصال فالقالب هي
الظلال الساجدة لظلال
الأرواح القريبة في عالم
الشهادة الأصل كيف
والظلل لطيف وفي عالم
الغيب الأصل لطيف
والظلل كيف فيسجد

(١) حديث ليتخذ أحدكم قلبا كرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته وحسنه وه
واللفظ له من حديث وفيه انقطاع (٢) حديث فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم مخلتين كانت
زوجه عون له على المعصية وأزواجه أعوان على الطاعة وكان شيطانها كافرا وشيطاني مسلم لا يأمر إلا
بخير رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عمر وفيه محمد بن وليد بن أبيان قال لا يفتن إلا
كان يضع الحديث وسلم من حديث ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وقد وكل بقرنيه من الجن قالوا
وبإله يا رسول الله قل وأنا إلا أن الله أعاني عليه فأسلم ولا يأمرني إلا بخير (٣) حديث يوم من وال
عاذل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قال ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته طب وهو من
حديث ابن عباس وقد تقدم لفظ ستين سنة دون مابده فانه متفق عليه من حديث ابن عمر .

بإصلاح نفسه فقط ولا من صرعى الأذى كمن رفه نفسه وأراحها تقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل عليّ أحمد بن حنبل ثلاث إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلاة والسلام «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعهما إلى في امرأته» (١) وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل أعطاني الله نصيباً حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له أين أنت من عمل الأبدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في التزوؤ تملكون عملاً أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال أنا أعلم قالوا هو قال الرجل متشف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياماً متكسفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وسلم «من حسنت صلاته وكثر عياله وقل مالاه ولم ينتب السليمن كان معي في الجنة كهاتين» (٢) وفي حديث آخر «إن الله يحب الفقير المتعفف بالعيال» (٣) وفي الحديث «إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم» العيال ليكفرها عنه (٤) وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الأثم باليالي وفي أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الأثم بطلب العيشة» (٥) وقال عليه السلام «من كان له ثلاث بنات فأنتق عليهن وأحسن إليهن حق ينسبن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملاً لا يفقره» (٦) كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال والله هو من غرائب الحديث وغرره وروى أن بعض التابعين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت ففرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة أروح قلبي وأجمع لعمى ثم قال رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكان رجالاً يتزولون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضاً فكما نزل واحد فنظر إلى وقال لمن وراءه هذا هو المشوم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم ففخت أن أسألهم هبة من ذلك إلى أن مرني آخرهم وكان غلاماً قامت له بهاذ من هذا المشوم الذي توهيئون إليه فقال أنت قتات ولم ذلك قال كان ترغف عملك في أعمال المجاهدين في سبيل الله فندجمة امرئان نضع عملك مع الخالطين لما ندرى ما أحدث فقال لإخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قوماً دخلوا على بنو نسي عليه السلام فأضافهم فكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذبه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لناعجيو إنا نألت الله تعالى وقلت ما أنت متعاب لي به في الآخرة فصحه لي في الدنيا فقل إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها

(١) حديث ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته مع من حديث ابن مسعود إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو محتسبها كانت له صدقة ولهمان حديث سعد ابن أبي وقاص ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعهما إلى في امرأته (٢) حديث من حسنت صلاته وكثر عياله وقل مالاه ولم ينتب السليمن كان معي في الجنة كهاتين أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب الفقير المتعفف بالعيال من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف (٤) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه أحمد من حديث عائشة إلا أنه قال بالحزن وفيه ليث بن أبي سليم يختلف فيه (٥) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الأثم بطلب العيشة الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والطبراني في التلخيص المتشابه من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف (٦) حديث من كان له ثلاث بنات فأنتق عليهن وأحسن إليهن حق ينسبن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملاً لا يفقره الخرافة في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف وهو عنده بلفظ آخر ولأبي داود واللفظ له والترمذي من حديث أبي سعيد بن عبال ثلاث بنات فأذهبن زوجهن وأحسن إليهن فله الجنة ورجاله قتات وفي سننه اختلاف .

هو مع مراد الحق
والحق يعرفه مراده
فيكون في الأشياء
بمراد الله تعالى لا بمراد
نفسه فان علم أن الله
تعالى يريد منه الدخول
في سورة محمودة دخل
فها لمрад الله تعالى
لأنكون الصورة
محمودة بخلاف الحاد
القائم بواجب خدمة
عباد الله تعالى .

[الباب الحادى عشر
في شرح حال الحاد
ومن يشبه به]
أوحى الله تعالى إلى
داود عليه السلام وقال
يا داود إذا رأيت لى
طالباً فكن له خادماً
الحاد يدخل في الخدمة
راغباً في الثواب وفيما
أعد الله تعالى للعباد
ويتصدى لإيصال
الراحة ويفرغ خاطر
القليل على الله تعالى
عن مهام معاشهم
ويغفل ما يغفله الله تعالى
بنية صالحة قال الشيخ
واقف مع مراد الله
تعالى والحاد واقف

قربوت بها وأنا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الضيق وتحسين الخلق
فان الفرد بنفسه أو المشارك لمن حسن خلقه لا ترشح منه خيائت النفس الباطنة ولا تكشف بواطن
عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه للعرض لأمثال هذه الحركات واعتقاد الصبر
عليها لتتمتع أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع أنهم رياضة
ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه أيضاً من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها إلا أحد
رجلين إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق فليجهد أن يرى هذا
طريقاً في المجاهدة وترتاض به نفسه وإما رجل من العابدین ليس له سير بالباطن وحركة الفكر والقلب
وإنما عمله عمل الجوارح بسلامة أو حرج أو غيره ففعله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بربهم
أفضل له من العبادات اللازمة ليدنه الله لا يمتدى خبرها إلى غيره فأما الرجل الذي يذهب الأخلاق إما بكفاية
في أصل الخلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحركة الفكر والقلب في العلوم والكشفات
فلا ينبغي أن يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكين فيها وأما العبادة في العمل بالسكسب لهم فالمراد أفضل
من ذلك لأنه أيضاً عمل وفائدة أكثر من ذلك وأعم وأشمل لساير الخلق من فائدة السكسب على العيال
فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم بالفضل . أما آفات النكاح ثلاث الأولى: وهي أقواها
البعز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب العايش فيكون
النكاح سبباً في التوسع للطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاك وهلاك أهله وللتعزب في أمن من
ذلك وأما التزوج في الأكثر بدخل في مداخل سوء فيقع هوى زوجته ويبع آخرته بدنياء وفي
الحرج إن البعد ليوقف عند اللزوم وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام
بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أتعق حرج يستغرق تلك الطالبات كل أعماله فلا يبقى له حصة
تتاضى للالتكسب هذا الذي أكل عياله حسنة في الدنيا وارتبهن اليوم بأعماله ويقال إن أول ما يتعلق
بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربناخذنا عقمنا فأنما عاملنا
ماجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم فيقتص لهم منه (١) وقال بعض السلف إذا أراد الله بعبد
شراً سلط عليه في الدنيا أتاباً بنشئه يعني العيال وقال عليه الصلاة والسلام « لا يلقى الله أحد بذنب
أعظم من جهالة أهله (٢) » فهذه آفة عامة قل من يتخاص منها إلا من له مال موروث أو مكتسب من
حلال ينفق به وبأهله وكان له من القناعة ما ينميه من الزيادة فان ذلك ينخلص من هذه الآفة أو من هو
محترف ومقتدر على كسب حلال من الباحات باحتطاب أو اصطياد أو كان في صناعة لتاتلق بالسلطين
وقدر على أن يعامل به أهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سائر رحمه الله وقد
مثل عن التزويج فقال هو أفضل في زماننا هذا لمن أدر كسب شق غالب مثل الحمار يرى الأمان فلا يتبى عنها
بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك نفسه تركه أولى . الآية الثانية: القصور عن القيام بعقهن والصبر على
أخلاتهن واحتمال الأذى منهن وهذه دون الأولى في الصوم فان القدرة على هذا أسير من القدرة على
الأولى وتحسين الخلق منع النساء والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال وفي هذا أيضاً خطر لأنه
راع ومسئول عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء إنماً أن يضع من يمول (٣) »

(١) حديث إن البعد ليوقف عند اللزوم وله من الحسنات أمثال الجبال ويسأل عن رعاية عياله
والقيام بهم الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله
ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد ولم يجده ولده أبو منصور في مسنده (٣) حديث كفى
بالمرء إنماً أن يضع من يمول دن يلفظ من يقول وهو عند م بلفظ آخر .

وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الأبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ومن يقصر عن القيام بحقوقهم وإن كان حاضرا فهو بمنزلة هارب فقد قال تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - أمرنا أن نقيم النار كما نقي أنفسنا والانس قد يعجز عن القيام بحق نفسه وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف إلى نفسه نفس أخرى والنفس أمارة بالسوء إن كثرت كثرت الأمار بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال أنا مبتلى بنفسي وكيف أضيف إليها نفسا أخرى كما قيل - لن يسع الفأرة جحرها - علفت الكسفس في دربها

وكذلك اعتذر إبراهيم بن آدم رحمه الله وقال لأغر امرأة بنفسى ولا حاجة لى فبهن أى من القيام بحقوقهم وتحسينهم وإمتاعهم وأنا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال بمعنى من النكاح قوله تعالى - ولهن مثل الذى عليهن - وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لحقت أن أصير جلادا على الجسر وروى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رأيت ذاعبال أطلع وكان سفيان يقول :

يا حبذا العزبة والفتاح ومسكن تحرقه الرياح لاصب فيه ولا صلب

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكم عاقل حسن الأخلاق بصنير بمادات النساء بصور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقوق يتأفلن عن زللهن ويدارى ببقوله أخلاقهن والأغلب على الناس السفه والفظاظة والجسدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه بالحالة فالوحدة أسلم له . الآفة الثالثة : وهى دون الأولى والثانية أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى واجازبا له إلى طلب الدنيا وحسن تديبه للبيعة للأولاد بكثرة جمع المال وادخارهم وطلب التماخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد ههنا مشغول على صاحبه ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية بل أن يدعو إلى التمتع الجاهل إلى الإغراق فى ملاعبة النساء وموائسهن والامعان فى التمتع بهن ويشور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقضى الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيها للتسكّر فى الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال إبراهيم بن آدم رحمه الله من تعود أخذ النساء لم ينجى منه شيء وقال أبوسليمان رحمه الله من تزوج فقد ركن إلى الدنيا أى يدعو ذلك إلى الركون إلى الدنيا فهذه جماع الآفات والقوائد فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بجماع هذه الأمور بل تتخذ هذه القوائد والآفات معتبرا ومحكما وبمرض المرید عليه نفسه فإن انتفت فى حق الآفات واجتمعت القوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجسد فى الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهومع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومفرغ محتاج إلى تدبير للزول والتبصن بالشيرة فلا يمارى فى أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى فى تحصيل الولد فإن انتفت القوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له وإن تقابل الأمران وهو الغالب فينبى أن يؤزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى نقصان منه فإذا غاب على الظن رجحان أحدهما حكم به وأظهر القوائد الولد وتسكين الشهوة وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلنفرض تقابل هذه الأمور فنقول من لم يكن فى أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه فى السعى لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى فلا خير فيها يشغل عن الله ولا خير فى كسب الحرام ولا يلقى بتقصان هذين الأمرين

مع نيته الخادم يفعل
الشيء لله تعالى والشيخ
يفعل الذى لله تعالى والشيخ
فى مقام القرين والخادم
فى مقام الأبرار فيختار
الخادم البذل والإيثار
والارتفاع من الأعيار
للاغيار ووظيفة وقته
تصديه لخدمة عباد الله
وفيه يعرف الفضل
ورجحه على نوافله
وأعماله وقد يقيم من
لا يعرف الخادم من
الشيخ الخادم مقام
الشيخ وربما جهل
الخادم أيضا حال نفسه
فيحبب نفسه شيعة لقله
العلم واندراس علوم
القوم فى هذا الزمان
وقناعة كثير من
القرءاء من الشايع
بالقمة دون العلم والحال
فكل من كان أكثر
إطعاما هو عندهم أحق
بالمشيخة ولا يعرفون
أنه خادم وليس بشيخ
والخادم فى مقام حسن
وحظ صالح من الله
تعالى . وقدر ما يبدل
على فضل الخادم فيها

أمر الولد فان النكاح للولد سمي في طلب حياة لولده موهومة وهذا قصان في الدين ناجز لحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين رأس مال وفي فساد الدين بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ولا تقوم هذه الفائدة لاحدى هاتين الآتين وأما إذا انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر فان لم يتوق لجسم الفتوى رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب الحرام أهون الشرين وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غش البصر عن الحرام فترك النكاح أولى لأن النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائماً وفيه عصيان وعصيان أهله والنظر يقع أحياناً وهو يحضه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن إذا لم يصدقه الفرج فهو إلى الضو أقرب من أكل الحرام إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى مصيبة الفرج فيرجع ذلك إلى خوف العنت وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يتوقى على غش البصر ولكن لا يتوقى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب إلى الضو أقرب وإنما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه فهذا ينبغي أن توزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ومن أحاط بهذا لم يشك عليه شيء مما قلنا عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى إذ فلك بحسب الأحوال صحيح . فان قلت فمن أمن الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟ فأقول يجمع بينهما لأن النكاح ليس مانعاً من التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح أيضاً أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه لعبادة والواجبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرقاً للأوقات بالكسب حتى لا يقع له وقت سوى أوقات الكتوبة والنوم والأكل وفضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة إلا بالصلاة النافلة والجمع وما يجري مجراه من الأعمال البدنية فالتخلي له أفضل لأن في كسب الحلال والقيام بالأهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على أحوال النساء أنواعاً من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وإن كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح أفضل . فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وإن كان الأفضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج . فأقول أن الأفضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قوت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة ^(١) متخلياً لعبادة الله وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة وقولهم مشغوفة بهمهم غير غافلة عن مهماتهم عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغوفة بهمهم غير غافلة عن مهماتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاً درجته لا يمنعه أمرها العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ^(٢) ومتى سلم مثل هذا التنبؤ لغيره فلا يبعد أن يغير السواقي مالا يثير البحر الحضم فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره . وأما عيسى صلى الله عليه وسلم فانه أخذ بالحزم لآلة القوة واحتاط لنفسه ولعل حاله كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يشتغل

(١) حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة من حديث أنس وله من حديثه أيضاً وهن إحدى عشرة (٢) حديث كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته خ من حديث أنس بأم سلمة لا تؤدبني في عائشة فانه والله مازل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكبن غيرها .

أنخير بالشيخ أبو زرعة
ابن الحافظ أبي الفضل
محمد بن طاهر للقدس
عن أبيه قال أنا
أبو الفضل محمد بن
عبد الله القرري قال
حدثنا أبو الحسن محمد
ابن الحسين بن داود
العلوي قال حدثنا
أبو حامد الحافظ قال
حدثنا عباس بن محمد
الدوري وأبو الأزهر
قالا حدثنا أبو داود
ثنا سفيان عن
الأوزعي عن عبيد بن
أبي كثير عن أبي سلمة
عن أبي هريرة أن النبي
صلى الله عليه وسلم أتى
بطعام وهو عمر
الظهران فقال لأبي بكر
وعمر كلا فقالا إنا
صائمان فقال ارحلا
لصاحبكما اصملا
لصاحبكما ادنوا فكل
يعني أنكما ضعفتا
بالصوم عن الخدمة
فاحتجتما إلى من
يخدمكما فكلوا واخدما
أنفكما بالخادم بحرص
على حيازة الفضل

منها طلب الحلال أولا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فأثر التخلي للعبادة وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم في طيب للكسب وأخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال متقسمة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل وتركه في بعضها أفضل فحقنا أن نزل أقوال الأنبياء على الأفضل في كل حال والله أعلم .

(الباب الثاني فابراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد)

أما العقد فأركاناه وشروطه ليتعقد ويغيد الحل أربعة : الأول إذن الولي فان لم يكن فالسلطان . الثاني رضا المرأة إن كانت نيبا بالغا أو كانت بكرا بالغا ولكن بزواجها غير الأب والجدة . الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانقضاء للحاجة . الرابع إيجاب وقبول متمثل به بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناها الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولي أو كليهما . وأما آداب تقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المرأة بل بعد انقضائها إن كانت معتدة ولا في حال سبق غيره بالخطبة إذ نهى عن الخطبة على الخطبة (١) ومن آداب الخطبة قبل النكاح مزج التحميد بالإيجاب والقبول فيقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما خفيفا والتحميد قبل الخطبة أيضا مستحب . ومن آدابه : أن يلقي أمر الزوج إلى مع الزوجة وإن كانت بكرا فذلك أخرى وأولى بالألفة ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فانه أخرى أن يؤمن بينهما . ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ، ومنها أن ينوي بالنكاح إقامة السنة وغض البصر وطاب الولد وسائر الموائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمتنع ذلك هذه النبات قرب حتى يوافق الهوى قال عمر بن العزيز رحمه الله إذا وافق الحق الهوى فهو الرشد بالترسيان ولا يستجبل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب أن يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضی الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال (٢) . وأما المنسكوحة فيعتبر فيها نوعان : أحدهما للحلل . والثاني لطيب العيشة وحصول القاصد . النوع الأول ما يعتبر فيه للحلل : وهو أن تكون خالية عن موانع النكاح والوانع تسعة عشر : الأول أن تكون متسكوحة للغير . الثاني أن تكون معتدة للغير سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة أو كانت في استبراء وطء عن ملك يمين . الثالث أن تكون مرتدة عن الدين لجران كلمة على لسانها من كلمات الكفر . الرابع أن تكون مجوسية . الخامس أن تكون وثنية أو زندقية لا تنسب إلى نبي وكتاب ومنهن المعتقات لمذهب الإباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقة . السادس أن تكون كاتبة قد دانت بدينهن بعد التبديل أو بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بنى إسرائيل فإذا عدمت كلتا الحاصلتين لم يحل نكاحها وإن عدمت النسب فقط ففيه خلاف . السابع أن تكون رقيقة والنالك حرا قادرا على طول الحرية أو غير خائف من الموت . الثامن أن تكون كلها أو بعضها مملوكا للناكح ملك يمين التاسع أن تكون قريبة للزوج

(الباب الثاني فابراعى حالة العقد)

(١) حديث النبي عن الخطبة على الخطبة تمتع عليه من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخطاب قبله أو يأذن له (٢) حديث عائشة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال م .

فيوصل بالكسب
تارة . وبالاسترقاق
والدروزة تارة أخرى
وباستجلاب الوقف إلى
نفسه تارة لعله أنه قيم
بذلك صالح لإيصاله إلى
الوقوف عليهم ولا يبالى
أن يدخل في كل
مدخل لا يذمه الشرع
لحيازة الفضل بالخدمة
وبرى الشيخ نفوذ
البصيرة وقوة العلم أن
الاتفاق يحتاج إلى علم
تام ومعاينة تخلص
النية عن شوائب
النفس والشهوة الخفية
ولو خلصت نتمتع ما رغب
في ذلك لوجود مراده
فيه وحاله ترك المراد
 وإقامة مراد الحق .
أخبرنا أبو زرعة بإجازة
قال أما أبو بكر أحمد بن
علي بن حلف بإجازة
قال أنا الشيخ أبو
عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت محمد بن
الحسين بن الحشاش
يقول سمعت جعفر بن
محمد يقول سمعت
الجيد يقول سمعت

بأن تكون من أصوله أو أصوله أو أصول أول أصوله أو من أول فصل من كل أصل بعده أصل وأعي
 الأصول الأمهات والجندات وبفصوله الأولاد والأحفاد وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم
 وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمات والحالات دون أولادهن . العاشر : أن تكون محرمة
 بالرضاع وبغيره من الرضاع ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كلبس . ولكن المحرم خمس
 رضعات وما دون ذلك لا يحرم . الحادي عشر : المحرم بالمصاهرة وهو أن يكون النكاح قد نكح
 أبنتها أو جدتها أو أمك بقدر أو شبهة عقد [١] من قبل أو وطئهن بالشبهة في عقد أو وطئ . أمها
 أو إحدى جداتها بقدر أو شبهة عقد فجرد العقد على المرأة بحرم أمهاتها ولا يحرم فروعا إلا بالوطء
 أو يكون قد نكحها أبوه أو أبنته قبل . الثاني عشر : أن تكون للنكوة خاصة أي يكون تحت
 النكاح أربع سواها إما في نفس النكاح أو في عدة الرجعة فإن كانت في عدة يمتنع الحاشية .
 الثالث عشر : أن يكون تحت النكاح أختها أو عمها أو خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل
 شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يجز بينهما النكاح فلا يجوز أن يجمع
 بينهما . الرابع عشر : أن يكون هذا النكاح قد طلقها ثلاثا فهي لا تحل له مالم يطقها زوج
 غيره في نكاح صحيح . الخامس عشر : أن يكون النكاح قد لاعنها فاتها بحرم عليه أبدا بعد
 اللعان . السادس عشر : أن تكون محرمة بجمع أو عمره أو كان الزوج كذلك فلا ينقد النكاح
 إلا بعد تمام التحلل . السابع عشر : أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ .
 الثامن عشر : أن تكون يتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ . التاسع عشر : أن تكون من
 أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها أو دخل بها فأنه أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد
 في زماننا فهذه هي اللوائح المحرمة . أما الحصول للطبعية للعيش التي لابد من مراعاتها في المرأة لعدم العقد
 وتوفر مقاصده ثمانية : الدين والخلق والحسن وخفة البهر والولادة والبكارة والنسب ولأن تكون
 قربة بقية . الأولى أن تكون صالحة ذات دين فهذا هو الأصل وبه ينبغي أن يقع الاعتناء فاتها إن
 كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفوجها أذرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة
 قلبه وتنقص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وإن سلك سبيل التساهل
 كان متهاونا بدنيه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والألفة وإذا كانت مع الفساد جملة كان بلاؤها
 أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله إن لي امرأة لاترد يد لاس قال طلقها فقال إني أحبها قال
 أسكها (١) وإنا أمره بإسكها خوفا عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضا معها
 فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع شيق قلبه أولى وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك
 ماله أو بوجوه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فإن سكت ولم ينكره كان شريكا في العصية بخلاف
 لقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - وإن أنكره وخاصم تنقص العمر ولهذا بالغ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في التحريض على ذات الدين فقال « تنكح المرأة مالها ومملها وحسبها
 (١) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي امرأة لاترد يد لاس قال طلقها
 الحديث د ن من حديث ابن عباس قال ن ليس ثابت والمرسل أولى بالصواب وقال أحمد حديث
 منكرو وذكره ابن الجوزي في الموضوعات .

[١] قوله أو أمك بقدر أو شبهة عقد ليس بنسخة الشارح وهو الصواب لأن للك ليس من
 المهرات اه .

السرى يقول أعرف
 طريقا عنصرا قصدا
 إلى الجنة فقلت له ماهو
 قال لاتسأل من أحد
 شيئا ولا تأخذ من أحد
 شيئا ولا يكن معك
 شيء . تغطي منه أحدا
 شيئا والخادم يرى أن
 من طريق الجنة
 الخدمة والبذل والإيثار
 يقدم الخدمة على
 النوافل ويرى فضلها
 وللخدمة فضل على
 النافلة التي يأتي بها
 العبد طالبا لها التواب
 غير النافلة التي يتوخى
 بها صحة حاله مع الله
 تعالى لوجود عقد
 قبل وعد . ومما يدل
 على فضل الخدمة على
 النافلة ما أخبرنا
 أبو زرعة قال أخبرني
 والدي الحافظ القدسي
 قال أنا أبو بكر محمد بن
 أحمد السمسار
 بأصفهان قال أنا
 إبراهيم بن عبد الله
 ابن خرشيد قال
 حدثنا الحسين بن
 إسماعيل المحاملي قال

ودينها فليك بذات الدين تربت يداك^(١) وفي حديث آخر «من نسك المرأة لخالها وجمالها حرم جمالها وما لها ومن نسكها لدينها رزقه الله مالها وجمالها^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «لا تنكح المرأة لخالها فلعل جمالها يرد بها ولا لخالها قبل مالها بطيبها وانكح المرأة لدينها^(٣)» وإيما بالغ في الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على الدين فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاعلة عن الدين ومشوشة له . الثانية حسن الخلق وذلك لأصل مهم في طلب القرابة والاستماتة على الدين فانها إذا كانت بسيطة بنية اللسان سبته الخلق كافرة لئتم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يتحسب به الأولياء قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء سقلاً لأنهن لا مائة ولا مائة ولا خائف ولا تنكحوا أحداً قولا براقاً ولا شداقة . أما الأمانة فهي التي تكرر الأمان والتشكى وتصب رأسها كل ساعة فنسكاح المرأة أو نسكاح المرأة لآخر لا خير فيه ، وللتانة التي تحث على زوجها فتقول لفلان كذا وكذا ، والحانة التي تحث على زوجها آخر أو ولها من زوجها آخر وهذه أيضاً مما يجب اجتنابه ، والحداقة التي ترمى إلى كل شيء بمحدثا فقتنيه وتكلف الزوج شراءه ؛ والبراقة تحمل معنيين أحدهما أن تكون طول التبارق تصقل وجهها وتزينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالصنع والثاني أن تنضب على الطعام فلا تأكل إلا ودها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة غريبة يقولون برقت للمرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده ، والشداقة للتشدة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام « إن الله تعالى يغيض الثرائين للتشدين^(٤) » وحكي أن السائح الأزدي لقي إلياس عليه السلام في سياحته فأمره بالزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربما المختلة والبارية والماهرة والناشر ، فأما المختلة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب ، والبارية الباهية يبرها للفاخرة بأسباب الدنيا ، والماهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخذن وهي التي قاله تعالى - ولا متخذات أصدقاء - والناشر التي تملو على زوجها بالفعال والقال والنشر العالي من الأرض ، وكان على رضى الله عنه يقول : شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجلين فان المرأة إذا كانت غيلة حفظت مالها ومال زوجها وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تنكح كل أحد . يكلام لبن حريب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واثقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح . الثالثة حسن الوجه فذلك أيضاً مطلوب إذ به يحصل التحسن والطيب لا يكتفى بالدسمة غالباً كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يترقان وما قلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زاجراً عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح ويهون أمر الدين ويدل على الالتفات إلى

- (١) حديث تنكح المرأة لخالها وجمالها وحسبها ودينها فليك بذات الدين مثق عليه من حديث أنى هريرة (٢) حديث من نكح المرأة لخالها وجمالها حرم مالها وجمالها الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغضب بصره ويحسب فرجه أو يصل رحمه بآرك الله له فيها وبارك لها فيه ورواه حب في الضعفاء (٣) حديث لا تنكح المرأة لجمالها فقل جمالها يرد بها . من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث إن الله يغيض الثرائين للتشدين وحسنه من حديث جابر وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرائون والتشديقون . ولأني داود والترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو إن الله يغيض البليغ من الرجال الذي يتخلل لسانه فخلل الباقية بلسانه .

ثنا أبو السائب قال
ثنا أبو معاوية قال
ثنا عاصم عن موري
عن أنس قال كنا مع
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمنا الصائم
ومنا للفطر فزنا منزلاً
في يوم حار شديد
الحرق فمنا من يتقي
الشمس يده
وأكثرنا ظلاً صاحب
الكساء يستظل به
فمنا الصائمون وقام
الفطرون فضربوا
الأبنية وسقوا الركاب
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « ذهب
الفطرون اليوم بالأجر »
وهذا حديث يدل على
فضل الخدمة على النافلة
والخادم له مقام عزيز
يرغب فيه فأما من
لم يعرف تخليص النية
من شوائب النفس
ويتشبه بالخادم
ويتصدى لخدمة
الفرقاء ويدخل في
مداخل الخدام بحسن
الارادة يطلب الثأني
بالخدام فتصكون

معنى الجلال أن الألف واللوثة تحصل به غالبا وقد ندب الشروع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر قال « إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فانه أخرى أن يؤثم بينهما (١) » أى يؤثم بينهما من وقوع الألفة على الألفة وهى الجملة الباطنة والجملة الظاهرة وإنما ذكر ذلك للبالغة في الائتلاف وقال عليه الصلاة والسلام « إنى أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن (٢) » قيل كان في أعينهم عشم وقيل صفر وكان بعض الورعين لا يكمون كراهم إلا بعد النظر احترازا من الضرر وقال الأعمش كل تزويج يقع غير نظر فأخبره ثم وغم ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين واللال وإنما يعرف الجلال من القبح وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر رضى الله عنه وكان قد خضب فاستمدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسبنا شاب فأوجه عمر ضربا وقال غررت القوم وروى أن بلالا وصهبا أتيا أهل بيت من العرب غلبا إليهم قبيل لهما من أتيا فقال بلال أنا بلال وهذا أخى صيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا يملكون فأعنتنا الله وكنا عاتلين فأغنانا الله فان تزوجونا فالجدة وإن تردونا فحسان الله فقالوا بل تزوجان والجدته فقال صيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسواها مع رسول الله ﷺ قال اسكت قد صدقت فأنتكحك الصدق ، والفرور يقع في الجلال والخلق جميعا فيستحب إزالة الفرور في الجلال والنظر في الخلق بالوصف والاستيفاف فينبى أن يقدم ذلك على النكاح ولا يوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرض في التناء ولا يهدمها فينصرف للطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف للنكوحات إلى الإقراط والتفريط وقل من يصدق فيه وينتقد بل الخداع والاغراء أغلب والاحتياط فيه مهم لمن غشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته . فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدير للتزل فلو رغب عن الجلال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا وإن كان قديرا على الدين في حق بعض الأشخاص قال أبو سليمان الهاراني الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل المجور ليشاء في الزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول ترك أحدكم أن يتزوج بنته فيؤجر فيها إن أطعمها وكساهما تكون خيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يبنى أبناء الدنيا فتشبهى عليه الشهوات وتقول كسى كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل من أعقلها فقيل العوراء فقال زوجوني إياها فهذا دأب من لم يقصد التمتع ، فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع فليطلب الجلال فاللهذا بالمعاصى حسن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسنة خيرة الأخلاق سوداء الحدة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله - خيرات حسان - أراد بالخيرات حسنات الأخلاق وفي قوله - قاصرات الطرف - وفي قوله - عربا آرابا - العروب هى العاشقة لزوجها الشبيهة للواقع به تتم اللذة والحور البياض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والديان الواسمة العين . وقال عليه الصلاة والسلام « خير نسائك من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب

خدمته مشوية منها ما يصيب فيها لموضع إيمانه وحسن إرادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه من مزج الهوى فيضع الشيء في غير موضعه وقد يخدم بهواه في بعض تصرفاته ويخدم من لا يستحق الخدمة في بعض أوقاته ويجب الحمدة والتناء من الخلق مع ما يجب من الثواب بورضا الله تعالى وزجرا خدم للثناء ورعا امتنع من الحمدة لوجود هوى يخافه في حق من يلقاه بكمروه ولا يراعى واجب الحمدة في طرف الرضا والضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخادم لا يتبع الهوى في الرضا والضب ولا يأخذ في الله لومة لائم ويضع الشيء موضعه فإذا الشخص الذى وصفناه آتفا متخادم وليس بخادم ولا يميز بين

(١) حديث إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فانه أخرى أن يؤثم بينهما ابن ماجه بسد ضعيف من حديث أحمد بن مسلمة دون قوله فانه أخرى وقامدى وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبه أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فانه أخرى أن يؤثم بينهما (٢) حديث إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن مسلم من حديث أبي هريرة نحوه .

عنها حفظته في نفسها وماله^(١) » وإما يسر بالنظر إليها إذا كانت حجة للزوج . الرابعة أن تكون خفيفة للهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا^(٢) » وقد نهى عن المبالاة في الهر^(٣) تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نساءه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحيده ووجرة ووسادة من آدم حشوها ليف^(٤) ، وأولم على بعض نساءه بدين من شعر^(٥) وعلى أخرى بدين من تمر ومدين من سويق^(٦) ، وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المبالاة في الصداق ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم^(٧) ولو كانت للمبالاة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم^(٨) وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهمين ثم سلمها هو إليه ليلا فأدخلها هومن الأياب ثم أنصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به وفي الخبر « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها » أى الولادة ويسر مهرها^(٩) وقال أيضا « أبركهن أقلهن مهرا^(١٠) » وكانت كرم المبالاة في الهر من جهة المرأة

(١) حديث خير نسائك التي إذا نظر إليها زوجها سرته وإن أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله للنسائي من حديث أنى هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تغالقه في نفسها ولا مالها وعند أحمد في نفسها وماله ولأبى داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٢) حديث خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس خيرهن أيسرهن صداقا وله من حديث عائشة من عن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقتها وروى أبو عمر التوقاني في كتاب معاشرته الأهلين إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وصححه (٣) حديث النبي عن المبالاة في الهر أصحاب السنن الأربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذى (٤) حديث تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نساءه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يدوجرة ووسادة من آدم حشوها ليف أبو داود الطيالسي والبخاري من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البخاري ورايته في موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمته أربعون درهما ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أنى سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث على لما تزوجه فاطمة بنت معمر بجميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصححه إسناده وابن حبان مختصرا (٥) حديث أولم على بعض نساءه بدين من شعر البخاري من حديث عائشة (٦) حديث وأولم على أخرى بمدى تمر ومدى سويق الأربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر وسلم فعمل الرجل بحجى بفضل التمر وفصل السويق وفي الصحيحين التمر والأفط والسمن وليس في شيء من الأصول تشديد التمر والسويق بدين (٧) حديث كان عمر بنى عن المبالاة ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم الأربعة من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح (٨) حديث تزوج بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه . من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقربها بخمسة دراهم رواه البيهقي (٩) حديث من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها أى الولادة وتيسر مهرها أحد والبيهقي من حديث عائشة من عن المرأة أن تيسر خطبتها وأن تيسر صداقتها وأن تيسر رحمها قال عروة بنى الولادة وإسناده جيد (١٠) حديث أبركهن أقلهن مهرا أبو عمر التوقاني في معاشرته الأهلين من حديث عائشة إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وقد تقدم ولأحمد والبيهقي أن أعظم النساء بركة أيسرهن

الحامد وللشادم لإامن
له علم صحة الثبات
وتخلصها من شوائب
المسوى وللشادم
التجيب يبلغ ثواب
الحامد في كثير من
تصاريه ولا يبلغ رتبته
لتخلفه عن حاله بوجود
مزج هواه وأما من
أقم لخدمة الفقراء
بتسلم وقف إليه أو
توفير رفق عليه وهو
يخدم لمال يصيه أو
حظ عاجل يدركه
فهو في الخدمة نفسه
لالتبرع فلاواقطع رفته
ماخدم وربما استخدم
من خدم فهو مع حظ
نفسه يخدم من خدمه
ويحتاج إليه في الحافل
يتكبره ويقربه جاء
نفسه بكثرة الأتباع
والأشياء فهو خادم
هواه وطالب دنياه
يحرص نهاره وليله في
تحصيل ما يقربه بجاهه
ويرضى نفسه وأهله
وولده فيفسد في الدنيا
ويتبرأ من رضى الخدام
والفقراء وتتشرقه

فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغي أن ينكح طمعا في المال قال الثوري إذا تزوج وقال أى شيء للمرأة فاعلم أنه ليس وإذا أهدى إليهم فلا ينبغي أن يهدى ليضطرم إلى القابلية أكثر منه وكذلك إذا أهدوا إليه فية طلب الزيادة نية فاسدة فاما التهدي فمستحب وهو سبب للودة قال عليه السلام «تهادوا تحابوا» (١) وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى - ولا تهنن تستكثرن - أى تعطى لطلب أكثر وتحت قوله تعالى - وما آتيتن من رب ليربوا في أموال الناس - فإن الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وإن لم يكن في الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويقصد مقاصد النكاح . الحامسة أن تكون المرأة ولودا فإن عرفت بالعقر فلمتنع عن تزوجها قال عليه السلام «عليكم بالولود والودود» (٢) فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فإبرأى منها وشا بها فانها تكون ولودا في الثالبع هذين الوصفين . السادسة أن تكون بكرأ قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا «هلا بكرا اتلاعيها وتلاعبك» (٣) وفي البكارة ثلاث فوائد إحداها أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود وقد قال عليه السلام «عليكم بالودود» والطابع مجبولة على الأنس بأول ما لوف . وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فرمما لا ترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألفتته فتقل الزوج . الثانية أن ذلك أكل في مودته لها فإن الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نرفما وذلك ينقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا أشد تنورا . الثالثة أنها لا تحن إلى الزوج الأول ولا كد الحلب ما يقع مع الحبيب الأول غالبا : السابعة أن تكون نسية أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصالح فانها تستر بناتها وينبأ فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية ولذلك قال عليه السلام «إياكم وخضراء الدمن قليل ما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في الثبت السوء» (٤) وقال عليه السلام «تخيروا لنطفكم فإن العرق نزع» (٥) . الثامنة أن لا تكون من القرابة القريبة فإن الولد يحلق ضاوبا (٦) أى يخفى وذلك تأثير في تضعيف الشهوة فإن الشهوة إنما تنبت بقوة الاحساس بالنظر واللمس وإنما يقوى الاحساس بالأمر القريب الجديد فاما اليهود الذي دام النظر إليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام إدراكه ولا تنبت به الشهوة فهذه هي الحاصل المرغبة في النساء ويجب على الولي أيضا أن يراعى خصال الزوج ولينظر لشكره فلا يزوجه ممن ساء خلقه أو خلقه أوضف دينه أو قصر عن القيام بعقها أو كان لا يكفلها

صدقا وإسناده جيد (١) حديث تهادوا تحابوا البخارى في كتاب الأدب القرد والبهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد (٢) حديث عليكم بالودود والودود أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود والودود وإسناده صحيح (٣) حديث قال جابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا اتلاعيها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر (٤) حديث إياكم وخضراء الدمن قليل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في الثبت السوء الدارقطني في الأفراد والراهمرمزى في الأئمان من حديث أبي سعيد الخدري قال الدارقطني نفرد به الواقدي وهو ضعيف (٥) حديث تخيروا لنطفكم فإن العرق دحاس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فإن العرق دواس وروى أبو مصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دحاس وروى أبو موسى الندي في كتاب تنصيع العمروالأيام من حديث ابن عمر وانظر في أى نصاب أتبع ولذك فإن العرق دحاس ولاهواضيف . (٦) حديث لا تنكحوا القرابة فإن الولد يحلق ضاوبا قال ابن الصلاح لم أجده له أصلا معتمدا . قلت إنما يعرف من قول عمر فإنه قال لآل السائب قد أضويتم فانسكحوا في الواضع رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب قال ويقال اغربوا ولا تضفوا .

بطلب الحفظ
ويستولى عليه حب
الرياسة وكلما كثر رقه
كثرت مواد هواه
واستطال على الفقراء
ومحوج الفقراء إلى
التعلق الفرط له قطبا
لرضاء ونوقا لضميه
وميله عليهم يقطع
ما ينوبهم من الوقف
فهذا أحسن حاله أن
يسمى مستخدما فليس
يخادم ولا متخادم ومع
ذلك كله ربما نال
برصهم باختياره
خدمتهم على خدمة
غيرهم وباتائه إليهم
وقد أوردنا الخبر للسند
الدين في سياق «هم القوم
الذي لا يشقى بهم
جليسهم» والله الوفاق
والأمين .

[الباب الثاني عشر
في شرح خرة الشايخ
الصوفية]
لبس الحرة أرباط بين
الشيخ وبين الريد
ونحكيم من الريد
الشيخ في نفسه
والنحكيم سائق في
الشرع لمصالح دنيوية

في نسبها قال عليه السلام « النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمة »^(١) « والاحتياط في حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لانحاص لها الزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شارب خمر فقد جنى على دينه وأعرض لسيخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها ؟ قال بمن يثق الله فان أمرا أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وقال عليه السلام « من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها »^(٢) .

الباب الثالث : في آداب العائرة وما يجرى في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة .

أما : الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمرا في الوليعة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب في الشوز والوقاع والولادة والمفارقة بالطلاق . الأدب الأول الوليعة وهي مستحبة قال أنس رضي الله عنه « رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة »^(٣) وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن مع مع الله به »^(٥) ولم يرعه إلا زياد ابن عبد الله وهو غريب وتستحب تهنته فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير^(٦) وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك ويستحب إظهار النكاح قال عليه السلام « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت »^(٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في الساجد واضربوا عليه بالدفوف »^(٨) وعن الربيع بنت معوذ قالت « جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بني بن جئس على فراشي وجويرات لنا يضرن بدفهن ويندن من قتل من آبائي إلى أن قالت إحداهن * وفيما نرى يعلم ما في غد * فقال لها استكني عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها »^(٩) . الأدب الثاني : حسن الخلق معهن

(١) حديث النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمة رواه أبو جهمر التوفاني في معايشرة الأهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر . قال البيهقي وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح (٢) حديث من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه في الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح .

(الباب الثالث في آداب للعائرة)

(٣) حديث أنس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ما هذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة متفق عليه (٤) حديث أولم على صفية بسويق وتمر الأربعة من حديث أنس ومسلم نحوه وقد تقدم (٥) حديث طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن مع مع الله به قال بال الصنف لم يرعه إلا زياد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذي بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه (٦) حديث أبي هريرة في تهنة الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وقدم في الدعوات (٧) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب (٨) حديث أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في الساجد واضربوا عليه بالدف الترمذي من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقي (٩) حديث الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني بن جئس على فراشي وجويرات لنا يضرن بدفوفهن الحديث رواه البخاري وقال يوم بدر وفيه بعض نسخ الإحياء يوم إبعث وهو وهم .

فإذا ينكر النكر
لبس الحرقه على طاب
صادق في طلبه يتقص
شيخا يحسن ظن
وعقيد يحكمه في نفسه
لصالح دينه يرشده
ويهديه ويصرفه طريق
الواجيد ويعمره
بآفات النفوس وفساد
الأعمال ومداخل
العدو فيسلم نفسه
إليه ويستسلم رأيه
واستصوابه في جميع
تصاريفه فيلبس الحرقه
إظهارا للتصرف فيه
فيكون لبس الحرقه
علامة التفويض
والسلم ودخوله في
حكم الشيخ دخوله
في حكم الله وحكم رسوله
وإحياء سنة البياضة
مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم . أخبرنا
أبو زرعة قال أخبرني
والذي الحافظ القدسي
قال أنا أبو الحسين
أحمد بن محمد البزار
قال أنا أحمد بن محمد
أخي ميمى قال ثنا يحيى
ابن محمد بن سعد

واحتال الأذى ممن رحما عليهن لقصور عقلمن قال الله تعالى - وعاشروهن بالمعروف - وقال في تعظيم حقهن - وأخذن منكم ميثاقا غليظا - وقال - والصحاب بالجنب - قيل هي المرأة « وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهم حتى تلجلى لسانه وخنى كلامه جعل يقول: الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أسراء أخذتوهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله (١) » وقال عليه السلام « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلاءه ومن صبر على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون (٢) » . واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كلف الأذى عنها بل احتال الأذى منها والحلم عند طيشها وغيظها اقتداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعهن السلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل (٣) وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أتراجعيني بالكساء فقالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك (٤) فقال عمر خابت حفصة وخسرت إن راجعته ثم قال لحفصة لا تفتري بآية ابن أبي قحافة فاتها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال عليه السلام دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك (٥) وجري بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهد فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أنتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فلفظها أبو بكر حتى دعى فوها وقالت يا عذبة نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا (٦) وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حدا وكرا (٧)

(١) حديث آخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلى لسانه وخنى كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم الحديث النسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الموت جعل يقول الصلاة وماملكت أيمانكم فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان في حجة الوداع رواه مسلم من حديث جابر الطويل وفيه فالتقوا الله في النساء فانكم أخذتوهن بأمانة الله الحديث (٢) حديث من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلاءه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يراجعنه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل متفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى - فان تظاهرا عليه - (٤) حديث وراجعت امرأة عمر عمر في الكلام فقال أتراجعيني بالكساء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك الحديث هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله بالكساء ولا قولها هو خير منك (٥) حديث دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل (٦) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما الحديث الطبراني في الأوسطو الخطيب في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف (٧) حديث قالت له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذي تزعم أنك نبي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو يسى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن إسحاق وقد عنه .

قال ثنا عمرو بن علي
ابن حفظة قال سمعت
عبد الوهاب الثقفى
يقول سمعت يحيى
ابن سعيد يقول حدثنى
عبادة بن الوليد بن
عبادة بن الصامت قال
أخبرنى أبى عن أبيه
قال « يا منار رسول الله
صلى الله عليه وسلم على
السمع والطاعة في
الصبر والبسر والنشط
والسكره وأن لا تنازع
الأمر أهله وأن تقول
بالحق حيث كنا ولا
تخاف في الله لومة لائم »
ففي الحرقه معنى اللبابة
والحرقه عتبة الدخول
في الصعبة والقصود
الكلية هو الصعبة
وبالصعبة رجى للمريد
كل خير . وروى عن
أبي زيد أنه قال من لم
يكن له أستاذ فإمامه
الشیطان . وحكى
الأستاذ أبو القاسم
القشيري عن شيخه
أبي على الدقاق أنه قال
الشجرة إذا نبتت
بنفسها من غير غارس

وكان يقول لها إني لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه ؟ قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أهنأ اسمك ^(١) ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها ^(٢) وكان يقول لها كنت لك كأي زرع لم زرع غير أني لأطلقك ^(٣) وكان يقول لنسائه « لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منك غيرها ^(٤) وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان ^(٥) . الثالث أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة واللرح والملاعبة فيهن التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في السدو فسبته يوما وسبها في بعض الأيام فقال عليه السلام هذه بتلك ^(٦) وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكها الناس مع نسائه ^(٧) وقالت عائشة رضي الله عنها « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ آجحين أن ترى لهم ؟ قالت قلت نعم فأرسل إليهم فجاؤوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده وضمت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حبك قتلتني فأغار إليهم فانصرفوا ^(٨) » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمنين إنانا أسنهم خلقا وألطفهم بأهلهم ^(٩) » وقال عليه السلام « خيركم خيركم للنساء وأنا خيركم للنساء ^(١٠) »

(١) حديث كان يقول لعائشة إني لأعرف غضبك من رضاك الحديث متفق عليه في حديثها .
(٢) حديث أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة الشبخان من حديث عمرو بن العاص أن قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة الحديث وأما كونه أول فرواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أنس ولله أراد بالمدينة كما في الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد في الإسلام يريد بالمدينة وإلا فجة النبي صلى الله عليه وسلم لحديجة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة (٣) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأي زرع لم زرع غير أني لأطلقك متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ورواه هذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب (٤) حديث لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منك غيرها البخاري من حديث عائشة (٥) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان منكم بلفظ ما رأيت أحدا كان أرحم بالرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على ابن عبد العزيز والبنوي والصبيان (٦) حديث سابقته صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبته ثم سبها وقال هذه بتلك أبو داود والنسائي من الكبرى وابن ماجه في حديث عائشة بسند صحيح (٧) حديث كان من أفكها الناس مع نسائه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس دون قوله مع نسائه ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط قتال مع صفى في إسناده ابن طهية (٨) حديث عائشة سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم آجحين أن ترى لهم الحديث متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وإنما قال يوم عيد ودون قولها اسكت وفي رواية للنسائي في الكبرى . قلت لا تعجل مرتين وفيه فقال يا حمراء وسند صحيح (٩) حديث أكل المؤمنين إنانا أسنهم خلقا وألطفهم بأهلهم الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال رواه ثقات على شرط الشيخين (١٠) حديث خيركم خيركم للنساء وأنا خيركم الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا خيركم للنساء وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهلهم وأنا خيركم.

لحانها تورق ولا شمر
وهو كقائل ومجوزاتها
شعر كالأشجار التي
في الأودية والجبال
ولكن لا يكون
لها كنهها طعم فأكهة
البساتين والقرس إذا
قل من موضع إلى
موضع آخر يكون
أحسن حالا وأكثر
ثمرة لدخول التصرف
فيه وقد اعتبر الشرع
وجود التسليم في
الكلب العلم وأحل
ما قبله بخلاف غير
العلم . ونصحت كثيرا
من الشايع يقولون من
لم يرفع لاهل ولا
فد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أسوة حسنة
وأصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم تلقوا
العلوم والآداب من
رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما روي
عن بعض الصحابة
« علنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل شيء
حتى الخرافة » فالمريد
الصادق إذا دخل تحت

وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عهده وجد رجلا . وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعالم أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر الروي « إن الله يفيض الجعظري الجواظ ^(١) » قيل هو الشديدي على أهله التكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى عتلى قيل العتلى هو النطق اللسان الغليظ القلب على أهله . وقال عليه السلام لجابر « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ^(٢) » ووصفت أعرابية زوجها وقدمات قالت والله لقد كان ضحوكا إذا ولح سكتنا إذا خرجت كلا ما وجد غير مسائل عما فقد . الرابع : أن لا يتسبط في الدعاية وحسن الخلق والواقعة باتباع هواها إلى حد يفقد خلقها ويسقط بالكلية هيئته عندها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهية والاقاضيهما رأى منكرا ولا يفتح رب الساعدة على التكرات أثبتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والروعة تتمر وامتنع قال الحسن وأهله ما أصبح رجل يطيع امرأته فبأنهوى إلا كبه الله في النار . وقال عمر رضي الله عنه خالفا للنساء فان في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام « تعس عبد الزوجة ^(٣) » وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبيدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فلعلها نفسه قد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال - ولأمرنهم فليغرن خلق الله - إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيديا فقال تعالى - وألقيا سيدها لدى الباب - فإذا اقلب السيد مسخرًا فقد قبل نعمه الله كفرًا ونفى المرأة على مثال نفسك إن أرسلت عنانها قليلا سمحت بك طويلا وإن أرخيت عذارها قرأ جذبتك ذراعا وإن كبتها وشدت يدك عليها في عمل الشدة ملكتها . قال الشافعي رضي الله عنه : ثلاثة إن أكرمهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والحادم والنبتى أراد به إن محضت الإكرام ولم تخرج غلظك يديك وفظاظتك برفقك وكانت نساء العرب يملن بنتهن اختيار الأزواج وكانت المرأة تقول لا تبنتها اختبري زوجك قبل الإقدام والجراة عليه انزعج زوج رحمه فان سكت قطعتي اللحم على نرسه فان سكت فكسرى العظام بسينه فان سكت فاجعلى الا كافى على ظهره وامتيطيه فانما هو سمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والأرض تسلك ما حاوز حده انعكس على عنده فينبغي أن تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والواقعة وتنبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف بمزوج يساسة . وقال عليه السلام « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل العراب الأصم بين مائة غراب ^(٤) » والأصم بفتح الألف والضم يعني البصير لقمان لابنه يابن انى المرأة السوء فانها تشبيك

(١) حديث إن الله يفيض الجعظري الجواظ أبو بكر بن لال في مكاتب الأخلاق من حديث أنى هريرة بسند ضعيف وهو في الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزازى بلفظ ألا أخبركم بأهل النار كل عتلى جواظ مستكبر ولأبى داود لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري (٢) حديث قال لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك حديثه وقد تقدم (٣) حديث تعس عبد الزوجة لما انفصله على أصل والمعروف تعس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخارى من حديث أبى هريرة (٤) حديث مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل العراب الأصم من مائة غراب الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف وأحمد من حديث عمرو بن العاص كنائع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحر الظهران فاذا بفرغان كثيرة فيها غراب أصم أحمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هاهنا الغرغان وإنسانه صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائى .

حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن الريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن الريد ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينقل الحال من الشيخ إلى الريد بواسطة الصحة وسماع القول ولا يكون هذا إلا لريد حضر نفسه مع الشيخ وانسلف من إرادة نفسه وفى في الشيخ بترك اختيار نفسه فيأنألف الإلهى يصير بين صاحب والصاحب استراج وارتباط بالنفسية الروحية والطهارة القلبية ثم لا يزال الريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ

قبل الشيب وألق شرار النساء فانهن لا يدعون إلى خير وكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام «استعبدوا من الفواق الثلاث»^(١) وعدهن من الرأء السوء فأما الشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر «إن دخلت عليها سبتك وإن غبت عنها خانتك» وقد قال عليه السلام في خيرات النساء «إنكن صواحيب يوسف»^(٢) يعني إن صرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الموى وقال الله تعالى حين أنشئ سن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن توبا إلى الله فقد صفت قلوبكما أي مالت وقال ذلك في خير أزواجه^(٣) وقال عليه السلام «لا يطلع قوم تملكهم امرأة»^(٤) وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته لما راجته وقال ما أنت إلا لعبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت فاذن فيهن شر وفيهن ضعف فاليساسة والحشونة علاج الشر وللطاية والرحمة علاج الضعف فالطبيب الحاذق هو الذي يقدّر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل أولا إلى أخلاقها بالتجربة ثم يعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها . الخامس : الاعتدال في القيرة وهو أن لا تغافل عن مبادئ الأمور التي تخفى غوايتها ولا تبلغ في إسادة الظن والتفتت وتحبس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء^(٥) وفي لفظ آخر أن تبغ النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا غفلة رجلان فسبقا فرأى كل واحد في منزله ما يكره^(٦) وفي الخبر المشهور «للرأء كالضلع إن قومته كسرتة فدعه تستمع به على عوج»^(٧) وهذا في تهذيب أخلاقها وقال عليه السلام «إن من القيرة غيرة يفضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية»^(٨) لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فإن بعض الظن إثم وقال على رضي الله عنه لا تكثر القيرة على أهلك فترى بالسوء من أجلك وأما القيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يبار للؤمنين يبار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن من محرم عليه»^(٩) وقال عليه السلام «أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أعيرته والله أعير مني»^(١٠)

(١) حديث استعبدوا من الفواق الثلاث وعدهن من الرأء السوء فأما الشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر إن دخلت عليها سبتك وإن غبت عنها خانتك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواق وذكر منها وامرأة إن حضرت أدنك وإن غبت عنها خانتك وسنده حسن (٢) حديث إنكن صواحيب يوسف متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث نزول قوله تعالى إن توبا إلى الله فقد صفت قلوبكما في خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والمرأتان عائشة وحفصة (٤) حديث لا يطلع قوم تملكهم امرأة البخاري من حديث أبي بكره نحوه (٥) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء الطبراني في الأوسط من حديث جابر نهى أن تطلب عثرات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم أو يطلب عثراتهم واقتصر البخاري منه على ذكر النهي عن الطروق ليلا (٦) حديث أنه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم ليلا غفلة رجلان فسبعا إلى منازلهما فرأى كل واحد في بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد (٧) حديث الرأء كالضلع إن أردت تقيمه كسرتة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث غيرة يفضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر ابن عتيك (٩) حديث الله يبار للؤمنين يبار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن من محرم الله عليه متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري والؤمن يبار (١٠) حديث أتعجبون من غيرة سعد والله أنا أعير منه والله أعير مني الحديث متفق عليه من حديث القيرة بن هبة .

هذا الخبر كله العجبة واللازمة للشيوع والحرقة مقدمة ذلك ووجه لبس الحرقة من السنة ما أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ أبي الفضل للتدعي قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الأديب النيسابوري قال أنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال أنا محمد بن إسحاق قال أنا محمد بن إبراهيم بن عبد الله الصري قال أنا أبو الوليد قال أنا إسحاق بن سعيد قال أنا قال حدثني أم خالد بنت خالد قلت «أبي النبي عليه السلام يثيب فيها خيصة سوداء صغيرة فقال من زون؟ كوهذه؟ فكت القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوني بأمر خالد قالت فأتني في فألبسني يده فقال أئبي وأخلق يقولها

مرتين وحمل ينظر إلى علم في الحجة أصفر وأحمر ويقول بآدم خاله هذا سنة . والسنة هو الحسن بلسان الحبشة ولاخفاء أن لبس الحرقة على الهيئة التي تشبهها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث غزويته والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذي ذكرناه وأي اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم أم وأكده من الاقتداء به في دعاء الخلق إلى الحق وقد ذكر الله تعالى في كلامه القديم تحكيم الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكيم للرشد شيخه إحياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

ولأجل غيرة الله تعالى حرم القواحي مظهر وما يطن ولأحد أسب إليه العذر من الله ولذلك بث للتدبرين والبشرين ولأحد أحب إليه اللبس من الله ولأجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبنيانه جارية قلت لمن هذا القصر قيل لعمر فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله ^(١) » وكان الحسن يقول أتدعون نساءكم ليزاحن الملوخ في الأسواق فيبع الله من لا يبار ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن من التيرة ما يحبه الله ومنها ما ينفسه الله ومن الحيلة ما يحبه الله ومنها ما ينفسه الله فأما التيرة التي يحبها الله فالتيرة في الريه والتيرة التي ينفسها الله فالتيرة في غيرية والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيال الذي ينفسه الله الاختيال في الباطن ^(٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « إن لا غيور وما من امرئ لا يغار إلا انسكوس القلب ^(٣) » والطريق الغنى عن التيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يته فاطمة عليها السلام « أي شيء خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها إليه وقال ذرية بعضها من بعض ^(٤) » فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الكوى والتقب في الحيطان ثلاثا تطلع النسوان إلى الرجال ورأى معاذ امرأته تطلع في الكوة فضرها ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه ففاحه قد أكلت منها فضرها وقال عمر رضي الله عنه أعروا النساء بلزمن الرجال وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الزينة يقال عودوا نساءكم لا وكونا قد أدن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور السجد ^(٥) والصواب الآن للنع إلا العنازل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها : لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمتنهن من الخروج ^(٦) . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمتنوا إمام الله ساجدا لله » فقال بعض ولده بلى والله لمتنهن فضره وغضب عليه وقال تسمعن أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمتنوا فتقول بلى ^(٧) وإعما استجرا على مخالفة لعله بتغير الزمان وإنما غضب عليه

(١) حديث رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبنيانه جارية قلت لمن هذا القصر قيل لعمر الحديث متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بي ولم يذكر الجارية وذكر الجارية في حديث آخر متفق عليه من حديث أبي هريرة بيننا أنا نائم رأيتني في الجنة الحديث (٢) حديث إن من التيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما ينفسه الله تعالى الحديث أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر بن عتيك وهو الذي تقدم قبله بأربعة أحاديث (٣) حديث إن لا غيور وما من امرئ لا يغار إلا انسكوس القلب تقدم أوله وأما آخره فرواه أبو عمر التوفاني في كتاب معاشره الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلًا والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية (٤) حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يته فاطمة أي شيء خير للمرأة فقالت أن لا ترى رجلا الحديث [١] البزار والدارقطني في الأفراد من حديث علي بسند ضعيف (٥) حديث الإذن للنساء في حضور الساجد متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل إلى الساجد (٦) حديث قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمتنهن من الخروج متفق عليه قال البخاري لمتنهن من الساجد (٧) حديث ابن عمر لا تمتنوا إمام الله ساجدا لله فقال بعض ولده بلى والله الحديث متفق عليه .

[١] هامش النسخة الصحيحة : قلت وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خير للنساء فلم تدر ما تقول فصار علي إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت فم لا قلت له خير لهن من لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال فرجع فأخبره بذلك فقال له من علمك هذا قال فاطمة قال إنها باضعة مني .

فبا شجر بينهم ثم
 لا يجسدوا في أنفسهم
 حرجا مما قضيت
 ويسلو والتسلو بسبب
 زول هذه الآية « أن
 الزيرين العوام رضى
 الله عنه اختصم هو
 وآخر إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في
 شراج من الحرمة
 والشرج مسيل الماء
 كانا يسقيان به النخل
 فقال النبي عليه الصلاة
 والسلام للزير: اسق
 يازير ثم أرسل الماء إلى
 جارك، فضرب الرجل
 وقال قضي رسول الله
 لابن عمته « فأزول الله
 تعالى هذه الآية سلم فيها
 الأدب مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 وشرط عليهم في الآية
 التسليم وهو الانقياد
 ظاهرا ونفي الحرج وهو
 الانقياد باطنا وهذا
 شرط للربيع الشيخ
 بسد التحكيم فليس
 الحرقه يزيل اتهم
 الشيخ عن باطنه في
 جميع تصاريفه ويحذر

لإطلاعه اللفظ بالخاتمة ظاهرا من غير إظهار العذرة وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن
 لمن في الأعياد خاصة أن يخرج من ^(١) ولكن لا يخرج إلا برضا أزواجهن والحروج إلى مباح المرأة
 المقيمة برضا زوجها ولكن القعود أسلم وبنيت أن لا يخرج إلا لهم فإن الخروج للنظارات والأمور
 التي ليست مهمة تخرج في الرودة وربما نفى إلى القصاد فإذا خرجت فينبى أن ترضى بصرفها عن
 الرجال، ولما تقول إن وجه الرجل في حقها عودة كوجه المرأة في حق بل هو كوجه الصبي الأمرد
 في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فإن لم تكن فتنة فلا إثم يزل الرجل على عمر الزمان
 مكشوف الوجه والنساء يخرجن منتقيات ولو كان وجوه الرجال عودة في حق النساء لأمر وبالانتقاب
 أو منع من الخروج إلا لضرورة. السادس: الاعتدال في النفقة فلا يبنى أن يقر عليهم في الإنفاق
 ولا يبنى أن يعرف بل يقصد قال تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وقال تعالى - ولا تجعل يدك
 مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقد قال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله » وقال
 صلى الله عليه وسلم « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقية ودينار تصدقت به على مسكين ودينار
 أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك » ^(٢) « خيركم خيركم لأهله » وقال
 فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحما بدرهم، وقال الحسن رضى الله عنه كانوا في الرجال
 بمحاصيب وفي الأثاث واليابج مباديب وقال ابن سيرين يستحب للرجل أن يعمل لأهله في كل جمعة فالزوجة
 وكان الخلاوة وإن لم تكن من الملمات ولكن تركها بالكفاية تعتبر في العادة وبنيت أن يأمرها بالتصدق
 بقايا الطعام وما يفسد لترك فهذا أقل درجات الخير وللمرأة أن تعمل ذلك بحكم الحال من غير صريح
 إذن من الزوج ولا يبنى أن يستأجر عن أهله بما كره طيب فلا يطعمهم منه فإن ذلك مما يوغر الصدور
 ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فإن كان مزما على ذلك فليأكله خفية بحيث لا يعرف أهله ولا يبنى أن
 يصف عديم طعاما ليس يربط طعامهم إياه وإذا أكل فقمع الديال كلهم على ما تدته فقد قال سفيان
 رضى الله عنه بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته
 في الإنفاق أن يطعمهم من الحلال ولا يدخل مداخل سوء لأجلها فإن ذلك جناية عليها لاعتناء لها
 وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح. السابع: أن يتعلم الزوج من علم الحيف
 وأحكام ما يحترزه الاحترار الواجب ويملزوجه أحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيف وما لا يقضى فانه
 أمر بأن يقيم النار بقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل
 عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ويخوفها في الله إن تساهت في أمر الدين ويسلمها من أحكام الحيف
 والاستعانة ما يحتاج إليه وعلم الاستجاسة بطول فأما الذي لا بد من إرشاد النساء إليه في أمر الحيف
 بيان الصلوات التي تقضيها فأنهما تقطع معها قبيل القرب بقدر ركة فليها قضاء الظهر والعصر وإذا
 انقطع قبل الصبح بقدر ركة فليها قضاء الغرب والمساء وهذا أقل ما يرعى النساء فإن كان الرجل
 قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وإن قصر علم الرجل ولكن تاب عنها في السؤال فأخبرها
 بجواب الفقه فليس لها الخروج فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك وبصبي الرجل
 بتعلمها ومما تفتت ماهو من الفرائض عاينها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تمام فضل إلا برضا
 (١) حدث الإذن لمن في الخروج في الأعياد متفق عليه من حديث أم عطية (٢) حديث خيركم خيركم
 لأهله الترمذي من حديث عائشة وصححه وقد تقدم (٣) حديث دينار أنفقته في سبيل الله ودينار
 أنفقته في رقية ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الدينار الذي أنفقته
 على أهلك مسلم من حديث أبي هريرة.

ومهما أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الامم . الثامن : إذا كان له نوسة فينبغي أن يعدل بينهما ولا يميل إلى بعضهن فان خرج إلى سفرو أراد استصحاب واحدة أفرع بينهما ^(١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان ظلم امرأة بليتها فحق لها فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك بطول ذكره . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له امرأتان قال إلى إحداهما دون الأخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحذقني مائل » وإنما عليه العدل في العطاء والبيت وأما في الحب والواقع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى - ولئن استطعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصن - أي لا تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الواقع « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهما في العطاء والبيتة في البالي ويقول : اللهم هذا حمدي فإيا أملك ولا طاعة في فناءك ولا أملك ^(٢) » يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نساءه إليه ^(٣) وسائر نساءه يفرق ذلك « وكان يظاف به محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهم ويقول ابن أنس : فبذلك قضت لذلك امرأة منهم فقالت إني أيسأل عن يوم عائشة فها أنا يا رسول الله قد أدنا لك أن تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة فقال وقد رضى عن ذلك فقالت نعم قال فقولوني إلى بيت عائشة ^(٤) » ومهما وهبت واحدة لبيتها لصاحبها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساءه قصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت لبيتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تعشر في زمرة نساءه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليتين وسائر أزواجه ليلة ليلية ^(٥) ولكه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان إذا نكح نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجعلها طاف في يومه أوليته على سائر نساءه فمن ذلك مروي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نساءه في ليلة واحدة ^(٦) وعن أنس عليه السلام ^(٧)

(١) حديث الفرعة بين أزواجه إذا أراد مرما مقيم عليه من حديث عائشة (٢) حديث من كان له امرأتان قال إلى إحداهما دون الأخرى وفي لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحذقني مائل أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة قال أبو داود وابن حبان قال مع إحداهما وقال الترمذي فلم يعدل بينهما (٣) حديث كان يعدل بينهما ويقول اللهم هذا حمدي فإيا أملك ولا طاعة في فناءك ولا أملك أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه (٤) حديث كانت عائشة أحب نساءه إليه متفق عليه من حديث عمرو بن العاص أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة وقد تقدم (٥) حديث كان يظاف به محمولا في مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول ابن أنس : فبذلك قضت لذلك امرأة منهم فقالت إني أيسأل عن يوم عائشة فها أنا يا رسول الله قد أدنا لك أن تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة فقال وقد رضى عن ذلك فقالت نعم قال فقولوني إلى بيت عائشة ^(٤) » ومهما وهبت واحدة لبيتها لصاحبها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساءه قصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت لبيتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تعشر في زمرة نساءه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليتين وسائر أزواجه ليلة ليلية ^(٥) ولكه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان إذا نكح نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجعلها طاف في يومه أوليته على سائر نساءه فمن ذلك مروي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نساءه في ليلة واحدة ^(٦) وعن أنس عليه السلام ^(٧)

(١) حديث الفرعة بين أزواجه إذا أراد مرما مقيم عليه من حديث عائشة (٢) حديث من كان له امرأتان قال إلى إحداهما دون الأخرى وفي لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحذقني مائل أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة قال أبو داود وابن حبان قال مع إحداهما وقال الترمذي فلم يعدل بينهما (٣) حديث كان يعدل بينهما ويقول اللهم هذا حمدي فإيا أملك ولا طاعة في فناءك ولا أملك أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه (٤) حديث كانت عائشة أحب نساءه إليه متفق عليه من حديث عمرو بن العاص أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة وقد تقدم (٥) حديث كان يظاف به محمولا في مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول ابن أنس : فبذلك قضت لذلك امرأة منهم فقالت إني أيسأل عن يوم عائشة فها أنا يا رسول الله قد أدنا لك أن تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة فقال وقد رضى عن ذلك فقالت نعم قال فقولوني إلى بيت عائشة ^(٤) » ومهما وهبت واحدة لبيتها لصاحبها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساءه قصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت لبيتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تعشر في زمرة نساءه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليتين وسائر أزواجه ليلة ليلية ^(٥) ولكه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان إذا نكح نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجعلها طاف في يومه أوليته على سائر نساءه فمن ذلك مروي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نساءه في ليلة واحدة ^(٦) وعن أنس عليه السلام ^(٧)

الاعتراض على الشيخ
فانه السام القاتل للربدين
وقل أن يكون للربد
يعترض على الشيخ بباطنه
فيطلع ويذكر الربد
في كل ما أشكل عليه
من تصاريف الشيخ
قصة موسى مع الخضر
عليه السلام كيف كان
يصدر من الخضر
تصاريف ينكرها
موسى ثم لما كشف
له عن معناها بان
لموسى وجه الصواب
في ذلك فكفنا بنعي
للمريد بن علم أن كل
تصرف أشكل عليه
صحه من الشيخ
عند الشيخ فيه بيان
وبرهان للصحة ويد
الشيخ في لبس الخرقه
تتوب عن يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وتسليم للربد تسلم
له ورسوله قال الله
تعالى - إن الذين
يأبوا عن إيماننا يوعظهم
الله بالله فوق أيديهم
فإن يكثروا إيماننا يكث
على نفسه - وبأخذ

قال صلى الله عليه وسلم «لا من أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قبل وما الرسول
 يارسول الله قال القبة والكلام^(١)» وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب
 معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه والثاني أن يكبره أحد فيرد عليه كرامته والثالث أن يقارب
 الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها يقضى حاجته منها قبل أن
 تنضج حاجتها منه^(٢)» ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر الأول والأخر والتصف يقال إن الشيطان
 يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال إن الشياطين يجامعون فيها وروى كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي
 هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله
 صلى الله عليه وسلم «رحم الله من غسل واغتسل^(٣)» الحديث ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى
 تقضى هي أيضاً نعمتها فإن إزالتها ربما يتأخر فبيح شيوعتها ثم العود عنها إساءة لها والاختلاف في
 طبع الأنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال والتوافق في وقت الإنزال الله عندها
 ليشغل الرجل بنفسه عنها فأنهار عما تستعصى وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل إذ عدد
 النساء أربعة لحاز التأخير إلى هذا الحد^(٤)، ثم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فإن
 تحصيلها واجب عليه وإن كان لا يثبت الطالبة بالوطء فذلك لسر المطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في
 الحيض ولا يذوق اقضائه وقبل الفسل فهو محرم بنسب الكتاب وقيل إن ذلك يورث الجذام في الولد
 وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأني إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى
 والأذى في غير المأني دائم فهو أشد تحرماً من إتيان الحائض وقوله تعالى - فأنا حرثكم آثمتم -
 أي أي وقت شتمت وله أن يستعصى بيدها وأن يستمتع بما تحت الأزار بما يشتهي سوى الواقع وينبغي
 أن تنزل المرأة بأزار من حقوها إلى فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض
 ويخالطها في الضاجة وغيرها وليس عليه اجتنابها وإن أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى فيفسل فرجه
 أولاً وإن احتلم فلا يجامع حتى يفسل فرجه أو يبول ويكره الجماع في أول الليل حتى لا ينام في غير طهارة
 فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة فذلك سنة قال ابن عمر «قلت للنبي صلى الله عليه
 وسلم : أيام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ^(٥)» ولكن قد وردت فيه رخصة قالت عائشة رضي الله
 عنها «كان النبي ﷺ ينام جنباً لم يمسه ماء^(٦)» ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجهه وفراشه أو لينفضه
 فانه لا يدرى ما حدث عليه بعده ولا ينبغي أن يخلق أو يقلم أو يستعد أو يخرج الدم أو يبين من نفسه
 جزءاً وهو جنب إذ ترد إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شعرة تطالبه بجنبائها ومن
 الآداب أن لا يعزل بل لا يسهل إلا إلى محل الحث وهو الرحم فمن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة^(٧)
 هكذا قال رسول الله ﷺ فان عزل فقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربع مذاهب فمن يسبح

لبشر أن يكاهه الله إلا
 وحياً أو من وراء حجاب
 أو يرسل رسولاً -
 فإرسال الرسول يختص
 بالأنبياء والوحى كذلك
 والكلام من وراء
 حجاب بالإلهام والموافق
 والناس وغير ذلك
 للشيخ والراخين
 في السلم - واعلم أن
 للربدين مع الشيخ
 أو ان ارتضاع وأوان
 فطام وقد سبق شرح
 الولادة العنوية فأوان
 الارتضاع أو ان لزوم
 الصبية والشيخ يعلم
 وقت ذلك فلا ينبغي
 للربيد أن يفارق
 الشيخ إلا بإذنه قال
 الله تعالى تأدياً للامعة -
 إنما المؤمنون الذين
 آمنوا بالله ورسوله وإذا
 حكما نوا منه على أمر
 جامع لم يذهبوا حتى
 يستأذوه إن الذين
 يستأذونك أولئك
 الذين يؤمنون بالله
 ورسوله فإذا استأذونك
 لبعض شأهم فأذن
 لمن شئت منهم - وأى

مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قاتل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكأن هذا القاتل محرم الإيذاء دون العزل ومن قاتل يباح في الملوكة دون الحرية والصحيح عندنا أن ذلك مباح وأما الكراهية فانها تطلق لشي التحريم ولشي التنزيه وترك الفضيلة فهو مكروه بالشي الثالث أى فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في السجد أن يقدم فارغا لا يشتغل بذكر أو صلاة ويكره للحاضر في مكة مقبها أن لا ينجح كل سنة والرد هذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة تقط وهذا ثابتا بيننا من الفضيلة في الولد ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له بجماعه أجر ولد ذكرا قاتل فيسبيل الله قتل (١) » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر القسب إليه مع أن الله تعالى خلقه وعييه ومقويه على الجهاد والذي إليه من القسب قد دفعه وهو الوقاع وذلك عند الإيماء في الرحم وإنما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لأن إثبات الشيء إنما يمكن بنس أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب شيء ولا فرق إذا الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها أربعة أسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع ثم الوقوف لينصب إلى في الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فالاستناع عن الرابع كالاستناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالأول وليس هذا كالإجهاض والوأي لأن ذلك جنابة على موجود حاصل وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جنابة فان صارت مضغة وعلقه كانت الجنابة أمضش وإن نفع فيه الروح واستوت الحاقلة ازدادت الجنابة فاحشا ومنتهى التفاحش في الجنابة بعد الاتصال حيا وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المني في الرحم لامن حيث الخروج من الإحليل لأن الولد لا يخلق من منى الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إيمان مائه ومائها أو من مائه ودم الحيض قال بعض أهل التبرج إن اللصعة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وإن الدم منها كاللبن من الرائب وإن النطفة من الرجل شرط في خور دم الحيض وانقاده لا ينفعه اللبن إذ بها ينقد الرائب وكيفما كان فماء المرأة ركن في الانقاد فيجري المآل آن يجري الإيجاب والقبول في الوجود الحكيم في العتود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانب على القديان نقض والفسخ ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكان النطفة في القفار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل مالم يترج بماء المرأة أو دمها فهذا هو القياس الجلي . فان قلت فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفى . فأقول النيات الباعثة عن العزل خمس : الأولى في السراى وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق ودفع أسبابه ليس بمنه عنه . الثانية استبقاء جمال المرأة ومنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر انطلق وهذا أيضا ليس منها عنه . الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء . وهذا أيضا غير منه عنه . فان قلت الحرج معين على الدين ، نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بشأن الله حيث قال - ومامن دابة في الأرض إلا على الله رزقها - ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وإدخاره مع كونه منافضا للتوكل لا تقول إنه منه عنه . الرابعة الخوف من الأولاد الاناث لما يعتقد في تزويجهم من العرة كما كانت من عادة

(١) حديث إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكرا قاتل فيسبيل الله لم أجده أصلا .

أمر جامع أعظم من
أمر الدين فلا يأذن
الشيخ للمريد في
الفارقة إلا بعد علمه بأن
أن له وأوان القطام وأنه
يقدر أن يستقل بنفسه
واستقلاله بنفسه أن
يفتح له باب الفهم من
الله تعالى فإذا بلغ المريد
رتبة إنزال الحوائج
والهام بالله والقهم من
الله تعالى بتفرغاته
وتنبيهاته سبحانه
وتعالى لعبده السائل
الاحتاج فقد بلغ أوان
فطامه متى فارق قبل
أوان القطام يناله من
الإعلال في الطريق
بالرجوع إلى الدنيا
ومتابعة الهوى مائنا
القطوم لغير أوانه في
الولادة الطبيعية وهذا
التزام بصحة الشايع
للمريد الحقيقي والمريد
الحقيقي يلبس خرقه
الإرادة . واعلم أن
الخرقة خرقتان خرقه
الإرادة وخرقة التبرك
والأصل الذي قصده
الشايع للمريد في خرقه

العرب في قتلهم الإناث فهذه نية فاسدة لوترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أمهرها لا تبرك النكاح والوطء فكذلك في العزل والفساد في اعتقاد المرأة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافاً من أن يعلوها رجل فكانت تنسبه بالرجال ولا ترجع السكرانة إلى عين ترك النكاح . الخامسة أن تمتنع المرأة تمترزها ومباغتتها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الحوارج لمباغتتهن في استعمال الباء حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الحلاء لإعراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو القاسد دون منع الولادة . فان قلت قد قال النبي ﷺ « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثاً (١) » . قلت فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا أي ليس مواقفاً لنا على سنتنا وطريقتنا واستقنا فضل الأفضل . فان قلت قد قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذاك الواد الخفي وقرأ وإذا اللوءودة سئلت (٢) » وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح أيضاً أخبار صحيحة (٣) في الإباحة وقوله الواد الخفي كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحرمها .

فان قلت قد قال ابن عباس العزل هو الرأ الأسفر فان المنوع وجوده هو اللوءودة الصرى . قلنا هذا قياس منه دفع الوجود على قطعه وهو قياس متعسف ولذلك أنكره عليه على رضي الله عنه لما سمعه قال ولا تكون موءودة إلا بعد سبع أي بعد الأخرى سبعة أطوار وتلا الآية الواردة في أطوار الخلق وهي قوله تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين - إلى قوله ثم أنشأناه خلقاً آخر - أي نفخنا فيه الروح ، ثم تلا قوله تعالى في الآية - وإذا اللوءودة سئلت وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت متعسف على وابن عباس رضي الله عنهما في القوس على للماني ودرك المأموم كيف وفي التلق عليه في الصحيحين عن جابر أنه قال « كنا نزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل » وفي لفظ آخر « كنا نزل فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا (٤) » وفيه أيضاً عن جابر أنه قال « إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنني جارية وهي خادمتنا وسائقنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه الصلاة والسلام اعزل عنها إن شئت فانه سيأتينا ما قدر لها فلبث الرجل ما شاء الله ثم أتاه فقال إن الجارية قد حملت فقال قد قلت سيأتينا ما قدر لها (٥) » كل ذلك في الصحيحين . الحادي عشر : في آداب الولادة وهي خمسة : الأول أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى فانه لا يدرى الخيرة له في أيهما فكم من صاحب ابن يمتنى أن لا يكون له أو يمتنى أن يكون بنتاً بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل

(١) حديث من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا تقدم في أوائل النكاح (٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الواد الخفي مسلم من حديث جذاعة بنث وهب (٣) حديث أحاديث بإباحة العزل مسلم من حديث أبي سعيد أمهر سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تفعلوه ورواه النسائي من حديث أبي صرمة وللشيخين من حديث جابر كنا نزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وللنسائي من حديث أبي هريرة سئل عن العزل قبل اليهود تزعم أنها اللوءودة الصفرى فقال كذبت يهود . قال البيهقي رواة الآحاد أكثر وأحفظ (٤) حديث جابر التلق عليه في الصحيحين كنا نزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا هو كما ذكر متفق عليه إلا أن قوله فلم ينهنا أشد بها مسلم (٥) حديث جابر أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنني جارية وهي خادمتنا وسائقنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه وسلم فقال إنني جارية وهي خادمتنا وسائقنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت الحديث ذكره للصف في الصحيحين وليس كذلك وإنما أقربده مسلم .

الإرادة وخرفة التبرك تشبه بخرفة الإرداة خرفة الإزادة للمريد الحقيق وخرفة التبرك للمتشبه ومن تشبه بقوم فهو منهم وسر الخرفة أن الطالب الصادق إذا دخل في صفة الشيخ وسلم نفسه وصار كالوله الضير مع والد يريه الشيخ بله السمتد من الله تعالى يصدق الافتقار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الإشراف على البواطن قد يكون للريد يلبس الحشن كتياب للتشفيين للزهدين وله في تلك الهيئة من اللبوس هوى كامن في نفسه ليرى بين الزهادة فأشد ما عليه لبس التام وللنفس هوى واختيار وهيئة مخصصة من اللبوس في قصر الحكم والذيل وطوله وخشوته وتوهمته على

قال صلى الله عليه وسلم «من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاها وأسبغ عليها من انعمته التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة» (١) وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبهما إلا أدخلناه الجنة» (٢) وقال أنس قال رسول الله ﷺ «من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبهما كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» (٣) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشتري شيئا فحمله إلى بيته غصص به الاناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه» (٤) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حل طرفه من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليدأ بالاناث قبل الذكور فانه من فرح أني فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية حرم الله بدنه على النار» (٥) وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم «من كانت له ثلاث بنات أو أخوات ضبر على لأوأمهن وضربهن أدخله الجنة بفضل رحمته إياهن فقال رجل وثنتان يا رسول الله؟ قال وثنتان فقال رجل أو واحدة؟ فقال واحدة» (٦) . الأدب الثاني : أن يؤذن في أذن الولد روى رافع عن أبيه قال «رأيت النبي ﷺ قد أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها» (٧) وروى عن أبي هريرة قال «من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان» (٨) ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ليكون ذلك أول حديثه والحنان في اليوم السابع ورد به الخبر» (٩) . الأدب الثالث : أن تسميه إساحنا فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سميت فبيدوا» (١٠) وقال عليه الصلاة والسلام

(١) حديث من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاها الحديث الطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث ابن عباس ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبهما إلا أدخلناه الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد (٣) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبهما كنت أنا وهو في الجنة كهاتين الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من حال جاريتين وقال حسن غريب (٤) حديث أنس من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشتري شيئا فحمله إلى بيته غصص به الاناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه الخرائطي بسند ضعيف (٥) حديث أنس من حل طرفه من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة الخرائطي بسند ضعيف جدا وابن عدي في الكامل وقال ابن الجوزي حديث موضوع (٦) حديث أبي هريرة من كانت له ثلاث بنات أو أخوات ضبر على لأوأمهن الحديث الخرائطي والمفضل والحاكم ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الإسناد (٧) حديث أبي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة أحمد والمفضل له وأبو داود والترمذي وصححه إلا أنها قال الحسن مكبرا وضعه ابن القطان (٨) حديث من ولد له مولود وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفضت عنه أم الصبيان أبو يعلى الموصلي وابن السني في اليوم والليث والبيهقي في شعب الإيمان من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف (٩) حديث الحنان في اليوم السابع الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرق عن الحسن والحسين وخنثها لسبمة أيام وإسناده ضعيف واختلف في إسناده فقيل عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن جدّه (١٠) حديث إذا سميت فبيدوا الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ وصحح إسناده والبيهقي من حديث عائشة .

قدر حبائها وهوها
فلبس الشيخ مثل
هذا الراكن تلك
الهيئة ثوبا بكر
بذلك على نفسه هواها
وغرضها وقد يكون
على اللرد ملبوس ناعم
أو هيئة في اللبوس
تسرب النفس إلى تلك
الهيئة بالعادة فلبسه
الشيخ ما يخرج النفس
من عاداتها وهوها
فخصر في الشيخ في
الملبوس كخصره في
الظوم وكخصره في
صوم اللرد وإظهاره
وكخصره في أمر دينه
إلى ما يرى له من الصلحة
من دوام الله كرو دوام
التفكير في الصلاة ودوام
التلاوة ودوام الخدمة
وكخصره فيه برده
إلى الكسب أو التوسع
أو غير ذلك فلبس
إشراف على البواطن
وتنوع الاستعدادات
في أمر كل مريد من أمر
نمائه ومعاده بما
يسهل له ولتوسع
الاستعدادات توسعت

« أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن »^(١) وقال « هموا باعز ولا تسكنوا بكنيتي »^(٢) قال العلماء كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم إذ كان ينادي بالألقاب والآذان فلا بأس نعم لاجتماع بين اسمه وكنيته وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي »^(٣) وقيل إن هذا أيضا كان في حياته وتسمى رجل بأبي عيسى فقال عليه السلام « إن عيسى لأب له »^(٤) فيكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلنى أن السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول أنت ضحتي وتركيت لاسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا بدري أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن من الأسماء ما جمعها كعزة وعمرارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم »^(٥) ومن كان له اسم يكره يستحب تغييره أبداً رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص ببداهة^(٦) وكان اسم زينب برة فقال عليه السلام : تركي نفسها فها زنب^(٧) وكذلك ورد النبي في تسمية أفلح وبسار ونافع وبركة^(٨) لأنه يقال أُمُّ بركة فيقال : لا . الرابع الحقيقة عن الأكره بشائين وعن الأنثى بشاة ولا بأس بالشاة ذكر الأكره وأثنى وروى عائشة رضي الله عنها « وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في التلام أن يبق بشائين مكاتئين وفي الجارية بشاة »^(٩) وروى « أنه عرق عن الحسن بشاة »^(١٠) وهذا رخصة في الانتصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم « مع التلام عقيقته فأهريقوا عنه دماً وأمطبوا عنه الأذى »^(١١) ومن السنة أن تصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة فقد ورد في خبر « أنه عليه السلام أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتصدق بوزن شعره فضة »^(١٢)

(١) حديث أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن مسلم من حديث ابن عمر (٢) حديث هموا باعز ولا تسكنوا بكنيتي متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ نسوا (٣) حديث لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من مسمى باعز فلا يتسكى بكنيتي ومن تسكى بكنيتي فلا يتسمى باسمي . (٤) حديث إن عيسى لأب له أبو عمر التوفاني في كتاب معائرة الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبي داود أن عمر شرب ابناً له تسكى بأبي عيسى وأنكر على الليرة بن شعبة تسكيه بأبي عيسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنان وإسناده صحيح (٥) حديث إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم أبو داود من حديث أبي الفراء قال التوري بإسناد جيد وقال البيهقي إنه مرسل (٦) حديث بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص ببداهة رواه البيهقي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء الزبدي بسند صحيح (٧) حديث قال صلى الله عليه وسلم لزينب وكان اسمها برة تركي نفسها فها زنب متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث النبي في تسمية أفلح وبسار ونافع وبركة مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباحاً وله من حديث جابر أثنى النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهي أن يسمى يعلى وبركة الحديث (٩) حديث عائشة أمر في التلام بشائين مكاتئين وفي الجارية بشاة الترمذي وصححه (١٠) حديث عرق عن الحسن بشاة الترمذي من حديث علي وقال ليس إسناده متصل ووصله الحاكم إلا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشا (١١) حديث مع الأفلح عقيقته فأهريقوا عنه دماً وأمطبوا عنه الأذى البخاري من حديث سلمان ابن عامر السبي (١٢) حديث أمر فاطمة يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتصدق بوزن شعره فضة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلطف حسن وقال ليس إسناده متصل ورواه أحمد من حديث أبي رافع .

مراتب الدعوة قال الله تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - فالحكمة رتبة في الدعوة والموعظة كذلك فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالموعظة ومن يدعى بالموعظة لا تصلح دعوته بالحكمة فكذا

الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع القرين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى في التختن أو في التتم فيخلع للرب من عادة ويخرجه من مضيق هوى نفسه ويطعمه باختياره ويلبسه باختياره ثوباً يصلح له وهبة تصلح له ويدأوى بالخرقة المصنوعة والهيئة المصنوعة داء هواء ويتوخى بذلك تفريره

قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للقيقة عظم . الخامس أن يحسك بثمره أو حلاوة وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت « ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت في حجره ثم دعا بثمره فعضتها ثم تغل في فيه ^(١) » فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بثمره ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام فخرهواه فرحا شديدا لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتم فلا يولد لكم . الثاني عشر : في الطلاق ولعلم أنه مباح ولكنه أبغض الباحث إلى الله تعالى وإعما يكون مباحا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاه ولا يباح إيذاء الغير إلا بجنابة من جانبها أو بضرورة من جانبها قال الله تعالى - فإن أطعكم فلا تبغوا عليهن سبيلا - أي لا تطلبوا أحبة للفرار وإن كرهنها أبوه فليطلقها قال ابن عمر رضي الله عنهما « كان نكح امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق إمرأتك ^(٢) » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا ترضى لشد مثل عمر ومهما آذنت زوجا وبذت على أهله فهي جانية وكذلك معها كانت سيرة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى - ولا يخرجن إلا بأن يأتين فاحشة مبينة - مهما بذت على أهله وآذنت زوجها فهو فاحشة وهذا أن يذنب في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تتقدم بذل مال يكرم للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إحجام بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى - فلا جناح عليهما فيما اتدت به - فرد ما أخذته فيما لا يثق بالبقاء فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آئمة قال صلى الله عليه وسلم « أما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير ما بأس لم ترج راحة الجنة ^(٣) » وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وفي لفظ آخر أنه عليه السلام قال « المختلمات هن الناقصات ^(٤) » ثم لبراع الزوج في الطلاق أربعة أمور . الأول أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فان الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وإن كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فان قل ذلك فليراجعها « طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لعمر : مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فذلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء ^(٥) » وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين ثلاثا لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة إن ندم في العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة وإذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدة وعقد المحلل منهى عنه ويكون هو السامح فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطلقه أعني زوجة المحلل بعد أن زوجته منه ثم يورث ذلك تغيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست

(١) حديث أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بثمره فعضتها ثم تغل في فيه الحديث متفق عليه (٢) حديث ابن عمر كانت نكح امرأة أحبها وكان أبي يكرهها فأمرني بطلاقها الحديث أصحاب السنن قال ت حسن صحيح (٣) حديث أم أيمن سألت زوجها طلاقا من غير ما بأس لم ترج راحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان (٤) حديث المختلمات هن الناقصات للنسائي من حديث أبي هريرة وقال لم يسمع الحسن من أبي هريرة قال ومع هذا لم أحجمه إلا من حديث أبي هريرة قلت رواء الطبراني من حديث عتبة بن عامر بسند ضعيف (٥) حديث طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى رضامولاه فالمرید
الصادق للتهب باطنه
بنار الإرادة في يده أمره
وحدة إرادته كالملسوع
الحريص على من رقيه
ويداويه فلذا صاف
شيخا نبئت من باطن
الشيخ صدق العناية
به لاطلاعه عليه
وينبت من باطن
المرید صدق الهبة
بنأف القلوب وتسام
الأرواح وظهور سر
السابقة فيها بإجتماعها
له وفي الله والله
فيكون القميص الذي
يلبس المرید خرقه
تبشر المرید بحسن
عناية الشيخ به فيعمل
عند المرید عمل قبص
يوسف عند يعقوب
عليهما السلام . وقد
نقل أن إبراهيم
الخليل عليه السلام
حين ألقى في النار جرد
من ثيابه وقذف في
النار عرايا فأتاه جبريل
عليه السلام بقميص
من حرير الجنة
وألبسه إياه وكان ذلك

أقول الجمع حرام لكنه مكروه بهذه المعاني وأعني بالكراهة تركه النظر لنفسه . الثالث أن يتألف في التملك بتطبيقها من غير تعنيف واستخفاف وتطبيب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق قال تعالى - ومتنوهن - وذلك واجب مهما لم يمس لها مهر في أصل النكاح . كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نساءه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم فقبل فها رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداها فنكست رأسها وتكست وأما الأخرى فكنت وانتجت وبعثتها فتول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراعاة امرأتك بعد مفارقتها لراجعتها . ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت لكل عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيرى ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فدخل عليه الحسن في بيته فضممه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إلي فكننت أحبك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعز علي منك ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني يسوؤني ما يسوؤها ويسرني ما يسرها وأنت مطلق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن شرطت أن لا تطلق زوجتك فكنت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول : ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طروقا في سبي . وكان على رضي الله عنه يصجر من كثرة تطلقه فكان يستنذر منه على النبر ويقول في طعنته : إن حسنا مطلقا فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحته ما شاء أن أحب أمسك وإن شأنا ترك فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب جنة قلت لعمدان ادخل بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الواقعة قيمة بل الأدب المخالفة ما أمكن فإن ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن ذاته والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله النبي في الفراق والنكاح جميعا فقال - وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله - وقال سبحانه وتعالى - وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته - . الرابع : أن لا يشترط سرها في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في إفتاء سر النساء في الخبر الصحيح وعبد عظيم ^(١) . وروى عن بعض الصالحين أنه أراد إطلاق امرأة فقيل له ما الذي يريك فيها فقد لا يهلكك ستر امرأته فماطلقها قيل له لمطلقتها قال مالي ولا امرأة أخرى فهذا بيان ما على الزوج .

(القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها)

والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رقي فهي رقيقة له فليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما يطلب منها في نفسها بما لا يعصيه فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم « أما المرأة ماتت وزوجها عنها راض دخل الجنة ^(٢) » وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل

(١) حديث الوعيد في إفشاء سر المرأة مسلم من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفضي سرها (٢) حديث أما المرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم سلمة .

عند إبراهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فبعل يعقوب عليه السلام ذلك القميص في تعويذ وجهه في عنق يوسف فكان لا يفارقه لما أتى في البئر عريانا جاءه جبريل وكان عليه الصمود فأخرج القميص منه وألبسه إليه . أخبرنا الشيخ المازني الدين أحمد ابن إسماعيل القزويني بإجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال ثنا مخلد بن جعفر قال ثنا الحسن بن علويه قال ثنا إسماعيل بن عيسى قال ثنا إسحق بن بشر عن ابن السدي عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى

من العلو إلى السفلى وكان أبوها في الأسفل فرض فأرسلت للراءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها فقال **بلى** : أطعمي زوجك فبات فاستأمرته فقال أطعمي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها (١) . وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها» (٢) . وأضاف طاعة الزوج إلى مباني الإسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال «حاملات والداة مرضعات رحيات بأولادهن لولا ما بين أزواجهن دخل مصليةن الجنة» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «اطلمت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، قلن لم يارسول الله ؟ قال يكنن اللعن ويكفرن الشتر» (٤) . يعني الزوج للعائش وفي خبر آخر «اطلمت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قلت أين النساء قال شغلن الأحران الذهب والزعفران» (٥) . يعني الحلى ومصنجات الثياب . وقالت عائشة رضي الله عنها «أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال : لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحست ما أدت شكره قالت أفلا أتزوج قال بل تزوجي فإنه خير» (٦) . قال ابن عباس «أتمت امرأة من ختم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فرواها عن نفسها وهي على ظهر بئر لا تمنه ومن حقه أن لا تطغى شيئا من بيته إلا بإذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فان فعلت جاءت وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها للملك حتى ترجع إلى بيته أو تتوب» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت للمرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها» (٨) .

(١) حديث كان رجل خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل إلى السفلى وكان أبوها في السفلى فرض الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال غفر لأبيها (٢) حديث إذا سلت المرأة خمسها وصامت شهرها الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة (٣) حديث ذكر النساء فقال حاملات والداة مرضعات الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي أمامة دون قوله مرضعات وهي عند الطبراني في الصغير (٤) حديث اطلمت في النار فإذا أكثر أهلها النساء الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث اطلمت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قلت أين النساء قال شغلن الأحران الذهب والزعفران أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران ولمسلم من حديث عزة الأشجعية وبل للنساء من الأحرار بن الذهب والزعفران وسنده ضعيف (٦) حديث عائشة أتمت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله إني فتاة أخطب وإنى أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة الحديث الحاكم وصححه إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بل تزوجي فإنه خير ولم أره من حديث عائشة (٧) حديث ابن عباس أتمت امرأة من ختم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج الحديث البيهقي مقتصر على شطر الحديث ورواه بهامة من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٨) حديث لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم أرها وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى .

من أن لا يسل أن قبضه لا يرد على يقوب بصره ولكن ذلك كان قيس إبراهيم وذكر ما ذكرناه قال فأمره جبرائيل أن أرسل بقميصك فان فيه ربح الجنة لا يبع على مظل أو سقم الأصم وعوف فتكون الحرة عند المريد الصادق متجعة إليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحة في وري ليس الحرة من عناية الله به وفضل من الله فأما خرقه التبرك فيطلب من مقطوعة التبرك يرى القوم ومثل هذا لا يطالب بشرائط الصحة بل يوصى بلزوم حدود الشرع وعاطفة هذه الطائفة لتعود عليه بركتهم ويتأدب بأدابهم فسوف يقيه ذلك إلى الأهلية لحرة الإرادة فعلى هذا خرقه التبرك مبذولة لكل طالب

وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قصر بيتها وإن صلاتها في محض دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في محض دارها وصلاتها في محض دارها أفضل من صلاتها في بيتها ^(١) » والمندع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان ^(٢) » وقال أيضا « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات ^(٣) » لحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتفجع عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأته وأبنته يا لك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وثم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترين بسفره ولم يدع لك نفقة قالت زوجي منذ عرفته عرفتة كاللا وما عرفته رزاقا ربي رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق . وخطبت رابعة بنت اسماعيل أحمد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالي همه في النساء لشئ لي بحال قالت إني لأشغل بحال منك وما لي بشهوة ولكن ورثت ما لاجزلا من زوجي فأردت أن تنفقه على أخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا إلى الله عز وجل قال حتى أستاذن أستاذي فرجع إلى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كمن من جس قفى من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلا عن غسل بالأشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام رابعة العدوية بالبصرة . ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يخل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فسادة فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر ^(٤) » ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن العاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء

وخرقة الإرادة ممنوعة
إلا من الصادق الراغب
وليس الأزرق من
استحسان الشيخ
في الحرقه فان رأى
شيخ أن يلبس مريدا
غير الأزرق فليس
لأحد أن يعترض
عليه لأن الشايع
أراهم فيها يفعلون
بحكم الوقت وكان
شيخنا يقول كان
القبر يلبس قصير
الأكل ليكون أعون
على الخدمة ويجوز
للشيخ أن يلبس الريد
خرقة في دفعات على
قدر ما يتلعب من
الصلحة للريد في ذلك
على ما سلفناه من
تداوى هواء في
المبوس واللون
فيختار الأزرق لأنه
أرفق للفقير لكونه
يعمل الوسخ ولا
يجوع إلى زيادة
الفضل لهذا اللحي
غضب وما عدا هذا
من الوجوه التي
يدعكها بعض

(١) حديث أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قصر بيتها فان صلاتها في محض دارها أفضل من صلاتها في المسجد الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه أبو داود مختصرا من حديثه دون ذكر محض الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تضي في الدار خير لها من أن تضي في المسجد وإسناده حسن وابن حبان من حديث أم حميد بنحوه (٢) حديث المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود (٣) حديث للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجمالي في تاريخ الطالبيين من حديث علي بسند ضيف وللطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وماهما قال الزوج والقبر (٤) حديث لا يخل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الحديث أبو داود الطيالسي والبيهقي من حديث ابن عمر في حديث فيه ولا تعطى من بيته شيئا إلا بإذنه فان فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولأبي داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله إنا كل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما يجبل لنا من أموالهم قال الرطب تأكله وتهديته وقد صحح الدارقطني في العلل أن سعدا هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث عائشة إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب .

بنت خارجة الفزارى قالت لابنتها عند الزواج : إنك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت إلى فراش
لم تعرفي وقرين لم تألفيه فكوني له أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له أمة يكن
لك عبدا لاتلحق به فيفلك ولا تبعأدعي عنه فينسالك إن دنامتك فأقرق منه وإن تأى فأبدي عنه واحفظي
أنفوسهم وعيها فلا يمشين منك إلا طيبا ولا يسمعن إلا حسنا ولا ينظرن إلا جيلا . وقال رجل لزوجته :

خذى العفو متى تستدعى مودى ولا تنطقى في سورتي حين أغضب

ولا تنقربى شرك الدف مرة فانك لاندريين حكيك القيب

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى وبأباك قلى والقيلوب تغلب

فاني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فأقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة في قريبتها لازمة لمنزلها لا يكثر
صمودها واطلاعا قليلة الكلام لجبراتها لاتدخل عليهم إلا في حال يوجب المدخول تحفظ بملها في
غيبتها وتطلب مسرته في جميع أمورها ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فان
خرجت بإذنه فبختية في هيئة ومة تطلب الواضع الحالية دون الشوارع والأسواق محترزة من أن
يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لاتعرف إلى صديق بملها في حاجتها بل تتسكبر على من تظن
أنه يعرفها أو تعرفه مهما صلاح شأنها وتدير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وإذا استأذن صديق
لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده في السلام غيرة على نفسها وبملها وتسكون
قائمة من زوجها بإرزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها متنتظفة في نفسها مستعدة
في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء مشفقة على أولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب
الأولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم « أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين في الجنة »
امرأة آمنت من زوجها وحسبت نفسها على بناتها حتى تابوا أو ماتوا (١) « وقال صلى الله عليه وسلم
« حرم الله على كل آدمي الجنة بدخلها قبل غير أنى أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرنى إلى باب الجنة
فأقول ما هذا تبادرنى فيقال لى يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصرت
عليهن حتى بلغ أمرهن الذى بلغ فشكر الله لما ذلك (٢) . ومن آدابها أن لاتفتاخر على الزوج
بجمالها ولا تزدري زوجها لقبه فقد روى أن الأصمى قال دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن
الناس وجها تحت رجل من أقيح الناس وجها فقلت لها يا هذه أترضين لنفسك أن تكوني تحت
مثله فقالت يا هذا اسكت فقد أسأت في قولك لله أحسن فيما بينه وبين خالته فيسلى ثوبه أولملى
أسأت فيما بينى وبين خالتي فبسله عقوبى أفلا أرضى بما رضى الله لى فأسكتنى . وقال الأصمى رأيت
في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى محتضية ويدها سبعة فقلت ما أجدها من هذا فقالت :

وفى منى جانب لا أضعه ولله منى والبطالة جانب

فصلت أنها امرأة سالحة لها زوج تزني له . ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والاحتياض في غيبة
زوجها والرجوع إلى اللب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ولا يبنى أن تؤذى زوجها
بحال روى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا
قالت زوجة من المحور العين لاتؤذى قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن ينفارقك » (٣) «

(١) حديث أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين الحديث أبو داود من حديث أنى مالك الأشعشى بسند
ضيف (٢) حديث حرم الله على كل آدمي الجنة أن يدخل قبل غير أنى أنظر عن يميني فإذا امرأة
تبادرنى إلى باب الجنة الحراطين في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٣) حديث معاذ

التصوفة في ذلك كلام
إنقضى من كلام
التصنعين ليس من
الدين والحقيقة بشيء
صحت الشيخ سعيد
الدين أبى الفجر الحمداني
رحمه الله قال : كنت
يغداد عند أبى بكر
الشروطى فخرج إلينا
قبر من زاويته عليه
ثوب وسبح فقال له بعض
الفقراء لم لا تقبل
ثوبك فقال يا أخى
ما أفرغ فقال الشيخ
أبو الفخر لا زال أتذكر
حلاوة قول الفقير
ما أفرغ لأنه كان
صادقا في ذلك فأجد
لغة قهوه وبركة
بذكارى ذلك
فاختاروا للون لهذا
للحن لأهم من رعاية
وتقيم في شغل شاغل
والأفأى ثوب ألبسى
الشيخ الريد من
أيض وغير ذلك
فلشيخ ولاية ذلك
بحسن مقصده ووفور
عله وقد رأينا من
الشايع من لا يلبسى

ومعاجب عليها من حقوق النكاح إدامات غنا زوجها أن لا تعد عليها أكثر من أربعة أشهر وعشرا وتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت أبي سلمة دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فعدت بطيب فيه مفرقة خلوق وأغيره فدهنت به جارية ثم مست بماريتها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يجل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد على ميت أكثر من ثلاثة أيام لإجل زوج أربعة أشهر وعشرا (١) » ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر المدة وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا للضرورة . ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها قدروى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما أنها قالت تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا يملك ولا شيء غير فرسه وناصحه فكنت أعلف فرسه وأكفبه مؤتته وأسوسه وأدق النوى لئلا يفسد وألقفه وأستقي الماء وأخزغريه وأعجن وكنت أقفل النوى على رأسى من ثنى فرسخ حتى أرسل إلى أبي بكر بجارية فكفتنى سياسة الفرس فكأنما أعفتنى (٢) ولقيت رسول الله ﷺ يوما ومعه أصحابه والنوى على رأسى فقال صلى الله عليه وسلم أنت أتع لبيخ ناقه ويعلمني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكر الزبير وغيره وكان غير الناس يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عليه وسلم أنى قد استحييت فبحث الزبير فحكيت له ما جرى فقال والله لحلك النوى على رأسك أشد على من ركوبك معه . ثم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(كتاب آداب الكسب والمعاش)

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله حمد موحدا أنحق في توحيد ماسوى الواحد الحق وتلاشى . ونعجده تمجيد من صرح بأن كل شيء ماسوى الله باطل ولا يتعاشى . وأن كل من في السموات والأرض لن يخلقوا ذابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا . ونشكره إذ رفع السماء لعباده سقفا مبينا ومهد الأرض بساطا ظم وفراشا . وكور الليل على النهار فجعل الليل ليلاء وجعل النهار معاشا . لينتسروا في ابتغاء فضله ويتعشوا به عن ضراعة الحاجات اتعاشا . ونصلى على رسوله الذى يصدر المؤمنون عن حوضه رواء يهدور دهم عليه عطاشا . وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكاشا . وسلم تملكا كثيرا .

[أما بعد] فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب . جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التحل والاضطراب . والتشعر والاكتساب . وليس التشعر في الدنيا مقصورا على البعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة إلى العاد ومعين عليه فالله في مزرعة الآخرة ومدرجة إليها . والناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والأقرب إلى الاعتدال هو الثالث الذى شغله معاشه لمعاده فهو من المتقصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلزم في طلب المعيشة منهج السداد ولن يتنزه من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة مالم

لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذى الحديث الترمذى وقاله حسن غريب وابن ماجه (١) حديث أم حبيبة لا يجل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد على ميت أكثر من ثلاثة أيام لإجل زوج أربعة أشهر وعشرا متفق عليه (٢) حديث أسماء تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا يملك ولا شيء غير فرس وناصح فكنت أعلف فرسه الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الكسب)

الحرقة ويسلك بأقوام من غير ليس الحرقة ويؤخذ منه العلوم والآداب وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون الحرقة ولا يلبسونها للبردين فمن يلبسها فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ومن لا يلبسها فله رأي وله في ذلك مقصد صحيح وكل

تصاريف الشايخ عذولة على السداد والصواب ولا تخلو عن نية سالحة فيه والله تعالى ينفعهم وبآثارهم إن شاء الله تعالى .

[الباب الثالث عشر

في فضيلة سكان الرطط]

قال الله تعالى في يوت

أذن الله أن ترفع

ويذكر فيها اسمي

له فيها بالقدو والآصال

رجال لا تلهيهم تجارة

ولا بيع عن ذكر الله

وإقام الصلاة وإيتاء

الزكاة يخافون يوما

تقلب فيه القلوب

يتأدب في طلبها بآداب الشريعة . وهانحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة أبواب . الباب الأول : في فضل الكسب والحث عليه . الباب الثاني : في علم جميع البيع والشراء والمعاملات . الباب الثالث : في بيان العدل في المعاملة . الباب الرابع : في بيان الإحسان فيها . الباب الخامس : في شفقة التاجر على نفسه ودينه .

(الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه)

أما من الكتاب قوله تعالى - وجعلنا النهار معاشا - فذكره في معرض الامتنان ، وقال تعالى - وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ماتشكرون - فجعلها ريبك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى - ليس عليكم جناح أن تنفقوا فضلا من ربكم - وقال تعالى - وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - وقال تعالى - فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - وأما الأخبار : فقد قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة في طلب المعيشة ^(١) » وقال عليه الصلاة والسلام « التاجر الصدوق يمشى يوم القيامة مع الصديقين والشهداء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالا وتغفقا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفيا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ^(٣) » وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فظفروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا وبع هذا لو كان شبابه وجده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسمى على نفسه ليكفها عن المسئلة وينفيها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسمى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليعيهم ويكفهم فهو في سبيل الله وإن كان يسمى فاختارا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد يتخذ الهمة يستغنى بها عن الناس ويغض البدر يعلم العلم يتخذ مهنة ^(٥) » وفي الخبر « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور ^(٧) » وفي حديث آخر

(الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه)

(١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة في طلب المعيشة تقدم في السكاح (٢) حديث التاجر الصدوق يمشى يوم القيامة مع الصديقين والشهداء الترمذى . والحاكم من حديث أبي سعيد قال الترمذى حسن وقال الحاكم إنه من مراسيل الحسن ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث من طلب الدنيا حلالا تغفقا عن المسئلة وسعيا على عياله الحديث أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فظفروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا وبع هذا لو كان جلد في سبيل الله الحديث الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف (٥) حديث إن الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغنى بها عن الناس الحديث لم أجده هكذا ، وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن أبي حمزة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قاله لآخذا فقالته ثم ومن قاله لآخذا قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلا وما

(١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة في طلب المعيشة تقدم في السكاح (٢) حديث التاجر الصدوق يمشى يوم القيامة مع الصديقين والشهداء الترمذى . والحاكم من حديث أبي سعيد قال الترمذى حسن وقال الحاكم إنه من مراسيل الحسن ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث من طلب الدنيا حلالا تغفقا عن المسئلة وسعيا على عياله الحديث أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فظفروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا وبع هذا لو كان جلد في سبيل الله الحديث الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف (٥) حديث إن الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغنى بها عن الناس الحديث لم أجده هكذا ، وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن أبي حمزة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قاله لآخذا فقالته ثم ومن قاله لآخذا قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلا وما

والأبصار - قيل إن هذه البيوت هي الساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت التي عليه السلام : وقيل لما نزلت هذه الآية قام أبو بكر رضى الله عنه وقال يا رسول الله هذه البيوت منها بيت على وقاطمة قال نعم فضلهما . وقال الحسن : بقاع الأرض كلها جعلت مسجدا لرسول الله عليه الصلاة والسلام فكل هذا الاعتبار بالرجال الدارين لا يصور البقاع وأى بقعة حوت رجلا بهذا الوصف هي البيوت التي أذن الله أن ترفع : روى أنس ابن مالك رضى الله عنه أنه قال « ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها لبعضها مراكب اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن قالته ثم ومن قاله لآخذا قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلا وما

« أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح ^(١) » وقال عليه السلام « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق ^(٢) » وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال مائص ؟ قال أتصعد قال من يملك ؟ قال أخى قال أخوك أعيد منك وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إني لأعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به وإني لأعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين نث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطل عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره « ولا يجعلنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فإن الله ليلال ما عنده بمعصيته ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الأسواق مواضع الله تعالى فمن أتاها أصاب منها ^(٤) » وقال عليه السلام « لأن يأخذ أحدكم حبله فيخطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أمونه ^(٥) » وقال « من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر ^(٦) ». وأما الآثار : فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضمف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به . وقال عمر رضي الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمت أن السماء لا تمطر ذهباً ولافضة وكان زيد بن مسلة يفرس في أرضه فقال له عمر رضي الله عنه أصبت استغن عن الناس يكن أموناً لدينك وكرم لك عليهم كالكاهن صاحبكم أحيحة : فلن أزال على الزوراء أغمرها إن الكريم على الإخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضي الله عنه إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لاني أمر ديناه ولا في أمر آخرته . وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم التفريغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب إلي لأنه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المسكيات واليزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجأه وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه : مامن موضع يأتيه اللوث فيه أحب إلى من موطن أنسوق فيه لأهل أبيع واشترى وقال الهيثم ربما يلفن عن الرجل يقع في فأذكر استغنائاً عنه فيكون ذلك على وقال أيوب كسب فيه شيء أحب إلى من سؤال الناس وجاءت ريع

جميع بن عمر عن خاله أبي بردة وجميع ضعيف والله أعلم ^(١) حديث أحل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح أحمد من حديث أبي هريرة خير الكسب كسب العامل إذا نصح وإن ناده حسن ^(٢) حديث عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق إبراهيم الحربي في غريب الحديث من حديث نعم بن عبد الرحمن تسعة أعشار الرزق في التجارة ورجاله ثقات ونعم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازي وابن حبان إنه تابعي فالحديث مرسل ^(٣) حديث إني لأعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به وإن الروح الأمين نث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهدها الحديث أبي حميد وجابر وصحهما على شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال إنه منقطع ^(٤) حديث الأسواق مواضع الله فمن أتاها أصاب منها ورواه في الطيوريات من قول الحسن البصري ولم أجده مرفوعاً ^(٥) حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيخطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ^(٦) حديث من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر الترمذي من حديث أبي كيشة الأسدي ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وقال حسن صحيح .

من عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض وأوصل الله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه فبكت عليه يوم يموت . ، وقيل في قوله تعالى - فما بكت عليهم السماء والأرض - تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فسكان الرباط هم الرجال لأنهم ربطوا نفوسهم على طاعة الله تعالى وانقطعوا إلى الله فأقام الله لهم الدنيا خادمة . وروى عسمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من انقطع إلى الله كفاه الله مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انشغل إلى الدنيا فكاه الله إليها وأصل الرباط ما يربط فيه الحيوان ثم قيل لكل ثمر يدفع أهله عن

عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن آدم رحمه الله وكان معهم فيها أما ترى هذه الشدة فقال ماهذا الشدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس . وقال أيوب قال لي أبو قتادة الزم السوق فإن القنى من العافية يعني القنى عن الناس . وقيل لأحمد ماتقول فيمن جالس في بيته أو مسجده وقال لا أشغل شيئا حتى يأتيني رزقي فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله جمل رزقي تحت ظل رمحي ^(١) » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال « تندو خصا وتروح بطانا ^(٢) » فذكر أنها تندو في طاب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في غيلهم والندوة بهم وقال أبو قتادة لرجل أن أراك تطلب معاشك أحب إلى من أن أراك في زاوية المسجد . وروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن آدم رحمه الله وعلى عنقه حرمة حطب فقال له يا أبا إسحق إني مع هذا إخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا أبا عمرو فإنه يلفني أنتمن وقب موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال أبو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا أن نصف قديك وعيرك بقوتك ولكن أبدا برغيفك فأحرزها ثم تعبد . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ينادى مناد يوم القيامة أين بضاء الله في أرضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مقدمة [الشرع لسؤال والانسكال على كفاية الأغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجي من ذلك إلا الكسب والتجارة .

فان قلت قد قال صلى الله عليه وسلم « ما أوحى إلي أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلي أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ^(٣) » وقيل لسان الفارسي أوصافا فقال من استطاع منكم أن يعوت حاجا أو غازيا أو طامرا المسجد به فليفعل ولا يعوت تاجرا ولا خائنا . فأجوب أنا وجه الجمع بين هذه الأخبار بتفصيل الأحوال فنقول لسانا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية فان تطلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وإدخاره لا يصر في الحريات والصدقات فهي مذمومة لأنه إقبال على الدنيا التي حبا رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظالمًا لخائنا فهو ظالم ففسق وهذا ما أراه سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا وأراد التاجر طالب الزيادة فأما إذا تطلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم السؤال فالتجارة تنفعنا عن السؤال أفضل وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يعطى لأنه سائل لسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتسوا إلى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة عابدين بالعبادات البدنية أو رجل ليس بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والكاشفات أو عالم مشغول بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالنقى والفلسر والمحدث وأمثالهم أو رجل مشغول بصالح السنين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد هؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال الرصد للصالح والأوقاف السبلة على الفقراء والأعلماء فإنما هم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين ولم يوج إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعا لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضى الله عنهم بترك التجارة لما في الحلافة إذ كان ذلك يشغله عن الصالح وكان يأخذ كفايته من مال الصالح ورأى ذلك أولى

(١) حديث إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي أحمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي وإسناده صحيح (٢) حديث ذكر الطير فقال تندو خصا وتروح بطانا الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث ما أوحى إلي أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلي أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين ابن مردويه في القسرين حديث ابن مسعود بسند فيه لين.

وراهم رباط فالجهد للرباط يدفع عن وراهم والقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاد . أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني بإجازة قال أنا أبو سعيد محمد ابن أبي الباس الحلي قال أخبرنا القاضي محمد ابن سعيد الفخرزاذي قال أنا أبو إسحق أحمد ابن محمد قال أنا الحسين ابن محمد قال أنا أبو بكر ابن خزيمة قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو حميد الحصى قال حدثنا يحيى بن سعيد القطار [١] قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوية عن وبرة بن عبد الرحمن القطان بالسوق وليحرر .

ثم لما توفي أوصى برده إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى ، وهؤلاء الأربعة حالتان أخريان أحدهما أن تكون كفائتهم عند ترك الكسب من أيدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكاة أو صدقة من غير حاجة إلى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما فيه أولى إذ فيه إغانة الناس على الخيرات وقبول منهم ما هو جق عليهم وأفضل لهم . الحالة الثانية الحاجة إلى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويها في السؤال وذمة تدل ظاهرا على أن التجفف عن السؤال أولى وإطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير بل هو موكول إلى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بأن يقابل ما يأتي في السؤال من المذلة وهتك الروعة والحاجة إلى التثقل والإلحاح عما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الحق وفائدة من اشتغاله بالعلم أو العمل ويهون عليه بأذن تعرض في السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون العكس وربما يقابل المطلوب والمحدور فينبغي أن يستقي الرشد فيه قبله وإن أثناء الفتور فإن الفتوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال ولقد كان في السلف من له ثلاثة وستون صدقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لهم بأن التكليف بهم يتقلدون منه من قبولهم لمراتهم فكان قبولهم لمراتهم خيرا مضافا لهم إلى عباداتهم فينبغي أن يدق النظر في هذه الأمور فإن أجر الآخذ كأجر للعطى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والعطى يعطيه عن طيب قلب ومن اطلع على هذه المعاني أمكنه أن يعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب ولكن العقد الذي به لا يكتف به جاعلا لأربعة أمور الصحة والعدل والإحسان والشفقة على الدين ونحن نقف في كل واحد ما يتبدى بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني .

(الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلام والإجارة والقراض والشركة)

وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب في الشرع)

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات العاملة فيتقيا وما شذ عنه من الفروع الشككة فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل فانه إذا لم يعلم أسباب القصاد يعلم حلى فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا أقدم العلم ولكني أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فنفيها أتلم وأستغنى فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات وبظنها صحيحة مناجاة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليمتد له للباح عن المظنور وموضع الإشكال عن موضع الوضوح ولذلك روى عن عمر رضي الله عنه أن كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالردة ويقول لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه وإلا أكل الربا شاء أم أبي ، وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهي البيع والربا والسلام والإجارة والشركة والقراض فلتنشر شروطها .

(العقد الأول البيع)

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان العاقد والمقودع واللفظ . الركن الأول : العاقد ينبغي للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة الصي والمجنون والعبد والأعمى لأن الصي غير مكلف وكذا المجنون ويعهما باطل فلا يصح بيع الصي وإن أذن له فيه الولي عند الشافعي وما أخذه منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في العاملة إليهما فضاء في أيديهما فهو الصيغ له . وأما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بإذن سيده

(الباب الثاني في علم الكسب)

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه البلاء » . وروى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لولا عباد الله وكعب وصبي رضع وبهائم ترفع لصب على كذاب صبا ثم يرض رضا » . وروى جابر بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يوصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دورته ودورات حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم » . وروى داود بن صالح قال قال لي أبو سلمة ابن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في شيء زلت هذه الآية - اصبروا وصابروا ورباطوا وقلنا قال يا ابن أخي لم يكن في

فصل في البقال والحياض والقصاب وغيرهم أن لا يعاملوا المبيد ما تاذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بأن يسمه صربا أو يفتش في البلد أنه مأذون في الشراء لبيده وفي البيع له فيقول على الاستفاضة أو على قول عبدل بخبره بذلك فإن علمه بشر إذا من البيد فقد باطل وما أخذه منه مضمون عليه لبيده وما تسلمه إن ضاع في يد البيد لا يتعلق بريقته ولا ضمنه سيده بل ليس له إلا اللطالبة إذا عتق . وأما الأعمى فإنه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح ذلك فليأمره بأن يوكل بوكلا ويصيرا ليشتري له أو يبيع فصيح توكله ويصح بيع وكيله فإن علمه بالتاجر بنفسه فالعامة فاسدة وما أخذه منه مضمون عليه بقيمته وما تسلمه إليه أيضا مضمون له بقيمته . وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه الصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح إن كان من أهل الحرب فإن فعل فيه معاملات مردودة وهو عاص بها ربه . وأما الجندية من الأتراك والتركانية والعرب والأكراد والسراق والحونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ما له حرام فلا ينبغي أن يشتلك بما في أيديهم شيئا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئا بعينه أنه حلال وسأيت تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام . الركن الثاني في العقود عليه : وهو المال المقصود نقله من أحد العاقدين إلى الآخر كما نكحنا أو شئنا فيعتبر فيه ستة شروط . الأول أن لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج والأواني للتخلته منه فإن العظم ينجس بالموت ولا يطره القيل بالذبح ولا يطره عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الحجر ولا بيع الدوك النجس للسترخ من الحيوانات التي لا تؤكل وإن صلح للاستصباح أو طلاء السفن ولا بأس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة أموت ذرة فيه فإنه يجوز الاتضاع به في غير الأكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا يرى بأسا ببيع زبرقار فإنه أصل حيوان ينتفع به وتشبهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبهه بالروث ويجوز بيع فأرة السك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الطيبة في حالة الحياة . الثاني أن يكون متصفا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية ولا الثفات في انتفاع الشخص بالحية وكذا لا الثفات إلى انتفاع أصحاب الحق بإخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الحفرة والتحل وبيع العهد والأسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده ويجوز بيع القيل لأجل الحل ويجوز بيع الطوطى وبيع اليخاء والطاوس والطيور الملحبة الصور وإن كانت لا تؤكل فإن التفرج بأسواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح وإنما الكلب هو الذي لا يجوز أن يقتنى إعجابا بصورته تهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ^(١) ولا يجوز بيع العود والصنم والزماير وللأمة فإنه لا منفعة لها شرعا وكذا بيع الصور المنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد لقب الصبيان فإن كسرها واجب شرعا وصور الأشجار متسامح بها وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصع يسمها وكذا السور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها « أخذني منها نمارق » ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وإذا جاز الانتفاع من وجه مع البيع فذلك الوجه . الثالث أن يكون التصرف فيه مملوكا للعائد أو مأذونا من جهة المالك ولا يجوز أن يشتري من غير المالك انتظارا للذن من المالك بل لو رضى به ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على أنه لو عرف لرضى به فإنه إذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يجري في الأسواق فواجب على العبد للدين أن يحتمز منه . الرابع أن يكون المقود عليه مقدورا على تسليمه

(١) حديث النبي عن اقتناء الكلب متفق عليه من حديث ابن عمر من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا كلب ماشية أو ضاريا
تقص من عمله كل يوم قيراطان (٢) حديث أخذني منها نمارق يقوله لعائشة متفق عليه من حديثها .

من رسول الله صلى الله عليه وسلم غزويريط
فيه ما خيل ولكنه
انتظار الصلاة بعد
الصلاة فالرباط الجهاد
النفس والتسليم في
الرباط مرائب مجاهد
نفسه قال الله تعالى
سوا جاهدوا في الله حق
جهاده - قال عبد الله
ابن المبارك هو مجاهدة
النفس والهوى وذلك
حق الجهاد وهو
الجهاد الأسكبر على
ما روى في الخبر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين
رجع من بعض غزواته
« رجنا من الجهاد
الأصغر إلى الجهاد
الأكبر » . وقيل : إن
بعض الصالحين كتب
إلى أخ له يستدعيه
إلى الفزو فكتب إليه
بأن أخى للثور مجتمعة
لى في بيت واحد
وبالاب على مردود
فكتب إليه أخوه
لو كان الناس كلهم ثروا
ما ثرت اخلفت أمور

السدين وغلب الكفار
فلا بد من الفزو
والجهاد فكتب إليه
يا أيُّها لو لزم الناس
مأثنا عليه وقالوا في
رواياتهم على سجداتهم
الله أكبر انهم سور
قسططينية . وقال
بعض الحكماء ارتفاع
الأصوات في بيوت
العبادات بحسن الثياب
وصفة الطويات يحل
صافقتة الأفلاك
الذرات في اجتماع هل
الربط صبح على الوجه
للورضع له الربط
تتوقف أهل الربط
بحسن اللاملة ورعاية
الأعمال واصبح
عادت البركة على البلاد
والعباد . وقال سري
أصبروا وصابروا
ورابطوا . أصبروا عن
الدنيا رجاء السلامة
وصابروا عند القتال
والاستقامة
ورابطوا أهواء النفس

(۱) حدیث النہی عن یسع مام یقبض متفق علیہ من حدیث ابن عباس .

البيع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد فيقول أحدهم هذا على تسعين ويقول الآخر هذا على خمسة وتسعين ويقول الآخر هذا بمائة يقال له زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول وقد استمررت به العادات وهذه من الصفات التي ليست تقبل العلاج إذ الاحتمالات ثلاثة . إِمَّا مَضَى بَابُ الْمَاعُطَةِ مطلقا في الحقيق والمتمسك وهو محال إذ فيه نقل للكل من غير لفظ دال عليه وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول ولم يمر ولم ينطق اسم البيع على مجرد فعل تسليم وتسليم وتسلم فإذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين لاسيا في الجوارى والعييد والقارات والدواب المنفصلة وما يكثر التنازع فيه إذ للمسلم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بهتة إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع . الاحتمال الثاني أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد وفيه إشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات متاد في زمن الصحابة ولو كانوا يشككون الإيجاب والقبول مع البقال والحجاز والقصاب لتقل عليهم فلهو لنقل ذلك فلامتسرا ولكن يشهر وقت الإعراض بالكلية عن تلك العادة فإن الأعصار في مثل هذا تفاوت . والثاني أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الإنسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطة فأى فائدة في تلفه بالقد إذا كان الأمر كذلك . الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال أبو حنيفة رحمه الله وعند ذلك يتعسر الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ بدل عليه وقد ذهب ابن سريج إلى تخريج قول الشافعي رحمه الله على وقته وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لومنا إليه لمسيئ الحاجب ولعموم ذلك بين الحق ولما يظ على الظن بأن ذلك كان متادا في الأعصار الأول . فأما الجواب عن الإشكالين فهو أن قول أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتدبر فإن ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحا إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والجوز واللحم من العدود من المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاطة وطالب الإيجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ويسترد تكليفه لذلك ويستعمل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ولا وجه له فهذا طرف المحقرة والطرف الثاني الدواب والعييد والقارات والحيات المنفصلة فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة فتح ذى الدين أن يميل إليها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيها يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشكلة وأما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو أن يجعل الفعل باليد أخذًا وتسليمًا سببا إذ اللفظ لم يكن سببا لئنه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم إليه ميسر الحاجة وعادة الأولين وأطراف جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها ، وأى فرق بين أن يكون فيه عوض أولا يكون إذ الملك لابد من هله في الهبة أيضا إلا أن العادة السالفة لم تخرج في الهدايا بين الحقيق والحقيق بل كان طلب الإيجاب والقبول يستتبع فيه كيف كان وفي البيع لم يستتبع في غير المحقرات هذا ما تراه أعدل الاحتمالات وحق الورع التدبر أن لا يدع الإيجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف فلا ينبغي أن يمنع من ذلك لأجل أن البائع قد تمكنه بغير إيجاب وقبول فإن ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه بقبول وإيجاب فإن كان حاضرا عند شرائه أو أقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فإن كان الشيء محقرا وهو إليه محتاج فليلتفظ بالإيجاب والقبول فإنه يستفيد به قطع المحصورة في المستقبل معه فالرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن . فإن قلت فإن أمكن هذا فيما يشتريه فكيف فعل إذا حضر في ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابها يكفون بالمعاطة في البيع والشراء

الروامة وانقوا ما يبيع
لكم التداية لعلكم
تخلجون غدا على بساط
الكرامة وقيل اصبروا
على بلان وصابروا
على نمائ وربطوا في
دار أعدائى وانقوا
عجة من سوائى لعلكم
تخلجون غدا بلان .
وهذه شرائط ساكن
الرباط قطع المأمة مع
الحاق وقبح المأمة مع
الحق وتركه لا ككتاب
اكثاف بكفالة مسبب
الأسباب وحسن
النفس عن المآلطات
واجتناب التبعات
وعائق ليله ونهاره
العبادة متعوضا بها
عن كل عادة يشغله
حفظ الأوقات وملازمة
الأوراد وانتظار
الصلوات واجتناب
الفحشاء ليكون بذلك
مرابطا مجاهدا . حدثنا
شيخنا أبو النجيب
السهروردى قال أنا ابن
نهران محمد الكاتب
قال أنا الحسن بن
شاذان قال أنا دعلج

أومع منهم ذلك أوردته أوجب عليه الامتناع من الأكل . فأقول : يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا قريبا ولم يكن من المحقرات . ولما الأكل فلا يجب الامتناع منه فإني أقول إن تردنا في جمل الفضل دالة على قلن للكم فلا ينبغي أن لا يجبه دالة على الإباحة فإن أمر الإباحة أوسع وأمر قلن للكم أضيق فكل ممتطوع جرى فيه بيع معاطاة فتسلم البائع إذن في الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال كإذن الحامى في دخول الحمام والإذن في الإطعام لمن يريده للشرى فينزل منزلة ما لو قال أبحث لك أن تأكل هذا الطعام أو تطعم من أردت فإنه يحله ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم أغرم على عوضه لحل الأكل ويلزمه الضمان بمد الأكل هذا قياس الفتنة عندي ولكنه بعد المعاطاة أكل ملكه ومثله له فله الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي سلمه إن كان مثل قيمته قد ظفر للتحقق بمثل جفته فله أن يملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وإن كان قادرا على مطالبة فإنه لا يملك ما ظفر به من ملكه لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه فعليه للرجعة وأما هنا فقد عرف رضا بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد أن يجعل الفضل دالة على الرضا بأن يستوفى دينه بما يسلم إليه فيأخذ به جمته لكن على كل الأحوال جانب البائع أغنى لأن ما أخذه قد يرد التالك ليصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا أنفق عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر إلى استئناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استغفاه من الفضل دون القول . وأما جانب المشتري للطعام وهو لا يربد إلا الأكل فهو فأن ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مشاورته أن لا ينفذ يضمن ما تملكه ولما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ما أخذه من المشتري فيسقط فيكون كالقاضي دينه والتحمل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على عوضها والمعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون ، وأما الورع فإنه ينبغي أن يستغنى قلبه ويتقن مواضع الشبه .

(العقد الثاني عقد الربا)

- وقدره الله تعالى وشدد الأمر فيه ويجب الاحتراز منه على الصارخة التعاليم على التقدير وعلى التعاليم على الأطعمة إذ لا ربا إلا في نقد أوفى طعام وعلى الصيرفي أن يحترز من النسبة والفضل . أما النسبة فأن لا يبيع شيئا من جواهر التقدير بشيء من جواهر التقدير إلا بداء يد وهو أن يجري التفاضل في المجلس وهذا احتراز من النسبة وتسليم الصارخة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير الضروية حرام من حيث النساء ومن حيث إن الغالب أن يجري فيه تعاضل إذ لا يرد للضروب بمثل وزنه . وأما الفضل فيحترز منه في ثلاثة أمور في بيع السكر بالصحيح فلا يجوز للعامة فيها إلا مع المائلة وفي بيع الجيد بالردى فلا ينبغي أن يشتري ردثا بجيد دونه في الوزن أو يبيع ردثا بجيد فوقة في الوزن أعني إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فإن اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها أصلا إلا إذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فإنما ترخص في المعاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم النقوشة بالنحاس إن لم تكن رائحة في البلد لم تصح المعاملة عليها لأن القصد منها النقرة وهي مجهولة وإن كان نقدا رائحة في البلد رخصة في المعاملة لأجل الحاجة وحروج النقرة عن أن يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة أصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي أن يشتري بتناع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما إلا إذا كان موهوا بالذهب أو بها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها

قال أنا بنو عن
أبي عبيد القاسم بن
سلام قال حدثنا صفوان
عن الحرث عن سيد
ابن السيب عن علي
ابن أبي طالب رضى
الله عنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« إسباغ الوضوء في
الكارمو وإعمال الأقدام
إلى المساجد وانتظار
الصلاة بعد الصلاة
يفضل الخطأ بإغسله »
وفي رواية « ألا أخبركم
بما يجو الله به الخطايا
وترفع به الدرجات قالوا
بلى يا رسول الله قال

إسباغ الوضوء في
الكارمو وكثرة الخطا
إلى المساجد وانتظار
الصلاة بعد الصلاة
فذلكم الرباط فذلكم
الرباط فذلكم الرباط
[الباب الرابع عشر
في مشابة أهل الرباط
بأهل الصفة] قال الله
تعالى - لمسجد أسس
على التقوى من أول
يوم أحق أن يقوم فيه
فيه رجال يحبون

من النقرة بما أريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصير في أن يشتري قلاة فيها خرز وذهب بذهب ولأن يبيعه بل بالفضة إذا يد إن لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحمل منه ذهب بمقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها . وأما للتعاملون على الأطعمة فليسهم التفاضل في المجلس اختلف جنس الطعام البيع والشترى أو لم يختلف فإن أحمده المجلس فليسهم التفاضل ومراعاة المائلة والمتاد في هذا معاملة القصاب بأن يسل إليه اللحم ويشتري بها اللحم قدأ أو نسيئة فهو حرام ومعاملة الحجاز بأن يسل إليه الحنطة ويشتري بها الحبز نسيئة أو قدأ فهو حرام ومعاملة المصار بأن يسل إليه البز والسمسم والزيتون ليأخذ منه الأدهان فهو حرام وكذا اللبان يسلى اللبان ليأخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن فهو أيضا حرام ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام إلا قدأ وبجنسه إلا قدأ ومتألا وكل ما يتخذ من الشيء للعلوم فلا يجوز أن يباع به متألا ولا متفاضلا ولا يباع بالحنطة دقيق وخبر وسويق ولا بالعبب والتمر دبس وخل وغيره ولا باللبان بمن وزيد وبخيش ومصل وجبن والمائلة لا تبيد إذا لم يكن الطعام في حال كمال الأضرار فلا يباع الرطب بالرطب والعبب بالعبب متفاضلا ومتألا فهذه جمل مقننة في تعريف البيع والتنبية على ما يشرع التاجر بتأثرات الفساد حتى يستغنى فيها إذا تشكك والتبس عليه شيء منها وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري .

(العقد الثالث السمل)

وليراع التاجر فيه عشرة شروط . الأول : أن يكون رأس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال فإن أسلم كفا من الدرهم جزاء في كره حنطة لم يصح في أحد القولين . الثاني : أن يسل رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل التبيين انسخ السمل . الثالث : أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع الطارين وأشباهاها ولا يجوز في المعونات والمركبات وما يختلف أجزاءه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة أجزاءها وصنعتها ووجود الحيوانات ويجوز السمل في الحبز وما يتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعني عنه ويتسامح فيه . الرابع : أن يستقصى وصف هذه الأمور القابلة للوصف حتى لا يبق وصف متفاوت به القيمة تفاوتا لا يتباين بمثله الناس إلا ذكره فإن ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية في البيع . الخامس : أن يجعل الأجل معلوما إن كان مؤجلا فلا يؤجل إلى الحصاد ولإلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فإن الإدراك قد يتقدم وقد يتأخر . السادس : أن يكون المسلم فيه بما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا يبنى أن يسل في السبب إلى أجل لا يدرك فيه وكذا حائر القواكه فإن كان الثالب وجوده وجاء المحل ونجز عن التسليم بسبب آفة فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع في رأس المال إن شاء . السابع : أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كي لا يثير ذلك نزاعا . الثامن : أن لا يطلعه بمعين فيقول من حنطة هذا الزرع أو ثمرة هذا البستان فإن ذلك يسلط كونه ديناً لهم لو أضاف إلى ثمرة بلد أوقرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع : أن لا يسل في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يمز وجود مثلها أو جارية حسنة معها ولها أو غرذ كما لا يقدر عليه غالبا . العاشر : أن لا يسل في طعام مهما كان رأس المال طعاما سواء كان من جنسه أو لم يكن ولا يسل في قد إذا كان رأس المال قدأ وقد ذكرنا هذا في الربا .

أن يظهر واو الله يجب
الطهرين - هذا وصف
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قيل لهم ماذا كنتم
تصنعون حتى أتى الله
عليكم بهذا الشأن قالوا
كنا تتبع الماء الحجر
وهذا أشبه هذا من
الآداب وظيفة صوفية
الربط يلزمونه
ويتجاهدونه والرباط
يتمهم ومضربهم ولكل
قوم دار والرباط دارهم
وقد شابهوا أهل الصفة
في ذلك على ما أخبرنا
أبو زرعة عن أبيه
الحافظ القدسي قال
أنا أحمد بن محمد
البرازي قال أنا عيسى
ابن علي الوزير قال
حدثنا عبد الله البغوي
قال حدثنا وهبان بن
بقة قال حدثنا خاله
ابن عبد الله عن داود
ابن أبي هند عن أبي
الحريز حرب بن أبي
الأسود عن طلحة
رضي الله عنه قال
كان الرجل إذا قدم

(المقد الرابع الإجارة)

وله ركنان الأجرة والنفقة فأما القادو القف فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والأجرة كائن فينبغي أن يكون معلوماً وموصوفاً بكل ما شرطناه في البيع إن كان عيناً فإن كان ديناً فينبغي أن يكون معلوماً والنفقة وليحترق فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراء العمار بمراتها فذلك باطل إذا قدر العادة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المالك أن يصرفها إلى العاهرة لم يجز لأن محله في الصرف إلى العاهرة مجهول . ومنها استئجار السلاح على أن يأخذ الجلبد بعد الساع واستئجار حامل الجلبد بحمله الجنب واستئجار الطحان بالنخالة أو يعين الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الأجير فلا يجوز أن يجعل أجرة . ومنها أن يقدر في إجارة النور والحوائث مبلغ الأجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت للدة مجهولة ولم تعدد الإجارة . الركن الثاني : للنفقة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وحمله فروع الباب تتدرج تحت هذه الرابطة ولكننا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفتاوى وإنما نشير إلى ما تم به إلى البولي فليراجع في العمل للمستأجر عليه خمسة أمور : الأول أن يكون متقوماً بأن يكون فيه كلفة وتسب فلو استأجر طعاماً ليزين به الدكان أو أشجاراً ليخفف عليها الثياب أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فإن هذه المنافع تجري مجرى حبة مسمومة ووجه بر من الأعيان وذلك لا يجوز به وهي كالنظر في مرآة الغير والشرب من بئر والاستغلال بجداره والاقباس من ناره ولهذا لو استأجر ياباً على أن يسكلم بكلمة بروجها سلعت لم يجز وما يأخذه الباعون عوضاً عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام إذ ليس يصدر منهم إلا كلفة لا تنصب فيها ولا قيمة لها وإنما يحمل ذلك إذا تموا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أمر العاملة ثم لا يستحقون إلا أجرة الثلث فأما ما نواطاً عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذاً بالحق . الثاني : أن لا تتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة الكرم لارتفاعه ولا إجارة للواشي لقبها ولا إجارة البساتين لثمارها ويجوز استئجار للرضعة ويكون اللبن تاماً لأن أفرادها غير ممكن وكذا يتسامح عبر الورق ويحيط الحائط لأنهما لا يقصدان على حالهما . الثالث : أن يكون العمل مقدوراً على تسليمه حسناً وشرعاً فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سليمة أو قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه أو استئجار الخائض على كنس للسجد أو اللطم على تعليم السحر أو الفحش أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات واستئجار الصانع على صفة الأدوات من الذهب والفضة فكل ذلك باطل . الرابع : أن لا يكون العمل واجباً على الأجير أو لا يكون بحيث لا يجرى اليأس فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا على سائر المبادات التي لا يابغ فيها إذ لا يبيع ذلك عن المستأجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصديق للتدريس وإقراء القرآن خلاف أما الاستئجار على تعليم مثله بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح . الخامس : أن يكون العمل معلوماً فالخياط يصرّف عمله بالثوب والمعلم يصرّف عمله بتعليم السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز إجماله وتفصيل ذلك يطول وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به حليات الأحكام ويتفطن به لمواضع الاشكال فيسأل فان الاستقصاء شأن الملقى لآسان العوام .

للدنية . وكان له بها عريف ينزل على عريفه فإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متساوية ووضع الربط لهذا للمع أن يصكون سكاها بوصف ما قاله تعالى - وزعنا في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - وللقابلية باستواء السر والعلانية ومن أضمر لأخيه غلا فليس بمقابل له وإن كان وجهه إليه فأهل الصفة هكذا كانوا لأن مثار الفل والمقدد وجود الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى صرع فزالت الأحقاد والفل عن بواظهم وهكذا أهل الربط متقابلون

(العقد الخامس القراض)

وليراع فيه ثلاثة أركان . الركن الأول : رأس المال وشرطه أن يكون قدما معلوما مسلما إلى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدرهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط مالك اليد لنفسه لم يجز لأن فيه تضيق طريق التجارة : الركن الثاني : الربح ولكن معلوما بالجزئية بأن شرط له الثلث أو النصف أو ما شاء فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بتقدير شائع . الثالث : العمل الذي على العامل . وشرطه أن يكون تجارة غير مضيق عليه بتعيين وتأقيت فلو شرط أن يشتري بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل أو حنطة فيخبرها ويتقاسمان الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتها فقط وهذه حرف أئمة الحنفية ورعاية للواشى ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أولا يتجر إلا في الخبز الأحمر أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكل يتصرف بالتعطة تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ في حالة وللحال كله فيها قدم لم يخف وجه القسمة وإن كان عرضا ولا ربح فيه ردعيه ولم يكن للمالك تسكينه أن يريده إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وإن قال العامل أتيه وأني للمالك فالتبوع رأى المالك إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر ربح على رأس المال ومهما كان ربح فملى العامل بيع بمقدار رأس المال بمنحس رأس المال لا بقدر آخر حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقرب أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بحال القراض دون إذن المالك فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأمان جميعا لأن عداوته بالنقل يمتدئ إلى غم النقول وإن سافر بالإذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يتبادر للتاجر مثله على رأس المال فأما ثمر الثوب وطيه والعمل اليسير المتبادر فليس له أن ينزل عليه أجره وعلى العامل نفقته وسكنه في البلد وليس عليه أجره الخانوت ومهما تجرد في السفر مال القراض فنفقته في السفر على مال القراض فأدراج فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من النظرة والسفرة وغيرها .

(العقد السادس الشركة)

وهي أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة . الأول : شركة الفارضة وهو أن يقولوا نقاضنا لنشترك في كل مالنا وعلينا بمالهما عتازان فهي باطلة . الثاني : شركة الأبدان وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجره العمل فهي باطلة . الثالث : شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهة التنفيل ومن جهة غيره العمل فهذا أيضا باطل ، وإنما الصحيح العقد الرابع يسمى شركة العنان . وهو أن يختلط مالاها بحيث يتعذر التمييز بينهما إلا بقسمه وبأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسائر على قدر المالين ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ثم بالزمن يتمتع بالتصرف عن الموزول وبالقسمة ينفصل المالك عن الملك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تلمسه على كل مكتسب وإلا اتهم الحرام من حيث لا يدري . وأما معاملة القصاب والحجاز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والحلل فيها من ثلاثة وجوه من إهمال شروط البيع وإهمال

بظواهرهم وبواطنهم
يحتجون على الأئمة
والمودة يحتجون
للكلام ويحتجون
للعطام ويترفون بركة
الاجتماع . روى وحشى
ابن حرب عن أبيه عن
جده أنهم قالوا يا رسول
الله إنا نأكل ولا نبيع
قال لعلكم تفرقون
على طعامكم اجتمعوا
واذكروا الله تعالى
يبارك لكم فيه .
وروى أنس بن مالك
رضي الله عنه قال
« ما أكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في
سكرجة ولا خبز له
مرقق قبل فملى أمة
شيء كانوا يأكلون
قال على السفر » قالوا
والزهاد طلبوا الاغراء
لدخول الآفات عليهم
بالاجتماع وكون
نفسهم تتلفق للأهوية
والخوض فيما لا يبنى
فراؤا السلامة في
الوحدانية الصوفية لقوة
علمهم وصحة حالمهم
تزع عنهم ذلك

شروط السلم أو الانتصار على العاطاة إذا العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء حاجات كل يوم ثم الحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك بخامري القضاء بإباحته للحاجة ومعمل تسليحهم على إباحة تناول مع انتظار العوض فيحل أكله ولكن يجب الضمان بأكله وتامم قيمته يوم الإنفاق فنجتمع في الدمة تلك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار ما فينبغي أن يتسمن منهم الإبراء التعلق حتى لا يتبقى عليه عهدة إن تطرق إليه تفاوت في التقويم فهذا ما يجب القناعة به لأن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الخواص في كل يوم وكل ساعة تكليف بشطط وكذا تكليف الإيجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير منه فيه عسر. وإذا كثر كل نوع سهل تقويمه والله للوفق .

(الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في العاملة)

اعلم أن العاملة قد تجرى على وجه يحكم اللق يصحبها وانقادها ولكنها تستعمل على ظلم يتعرض به العامل لسخط الله تعالى إذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد وهذا الظلم يعني به ما استصبر به النذر وهو منقسم إلى ما يسمي ضرره وإلى ما يخص العامل .

(القسم الأول فيما يعم ضرره . وهو أنواع)

النوع الأول : الاحتكار فائتم الطعام بدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره (١) » وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتكر الطعام أربعين يوماً قد برى » من الله وبرى الله منه (٢) » وقيل فكأنما قتل الناس جميعاً . وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوماً قساقبه وعنه أيضاً أنه أحرق طعام محتكر بالثار وروى في فضل ترك الاحتكار عنه عليه السلام « من جلب طعاماً فباعه بصر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة (٣) » وقيل في قوله تعالى « ومن رد فيه إلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » إن الاحتكار من الظلم ودخل تحته في الوعيد وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله بيع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد فوافقه سعة في السر فقابله التجار لو أخرته جمعة رحمت فيه أضاعفه فأخره جمعة فرجع فيه أمثاله وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام يا هذا إنا كنا قتنا بربع يسير مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت وما غيب أن نربع أضاعفه بنهاب ثم من الدين فقد جنب علينا جناية فإذا أدرك كسنا هذا فخذنا المال كله تصدق به على فقراء البصرة ولينقأ أعموم من إثم الاحتكار كفافاً لا على ولاي . واعلم أن النبي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس أما الجنس فيطراد النبي في أجناس الأقوات أما ما ليس بقوة ولا هو معين على القوة كالأدوية والعقاقير

(الباب الثالث في بيان العدل)

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والحطيف في التاريخ من حديث أنس بسندين ضعيفين (٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين يوماً قد برى من الله وبرى الله منه أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدي ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر (٣) حديث من جلب طعاماً فباعه بصر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ما من جالب يجلب طعاماً إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بنصر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة إن الجالب إلى سوقنا كنا له جاهد في سبيل الله وهو مرسل

هو أو الاجتماع في بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زاوية وهم كل واحد مهمه ولعل الواحد منهم لا يخطئ همه سجادة وهم في اتخاذ السجادة وجه من السنة. وروى أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت « كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيراً من اللبى صلى عليه من الليل » وروى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسط له الحجرة في للسجد حتى صلى عليها » والرباط يحتوي على شبان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالمشايخ بالزوايا ألق نظر إلى ما يدعو إليه النفس من النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات فلفنس

والزعران وأمثاله فلا يندى التبي إليه وإن كان مطعوما وأما ما بين على القوت كاللحم والقوارح وما يسد مسدداً يفتى عن القوت في بعض الأحوال وإن كان لا يمكن للداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والصل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضاً طرد التبي في جميع الأوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبرص سعة في السر ويعتدل أن يخص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير يمه ضرراً فأمّا إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطاً فليس في هذا إضرار وإذا كان الزمان زمان قحط كان في إخراج الصل والسمن والشيرج وأمثالها إضرار فينبغي أن يقضى بتحريمه ويعول في نفي التحريم وإثباته على الضرر فإنه مفهوم قطعاً من تخصيص الطعام وإذا لم يكن ضرراً فلا يخلو احتكار الأوقات عن كراهية فإنه ينتظر مبادئ الضرر وهو ارتفاع الأسعار وانتظار مبادئ الضرر محذور كما تنظر عين الضرر ولكنه دونه وانتظار عين الضرر أيضاً هو دون الإضرار فيقدر درجات الإضرار متفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الأوقات مما لا يستحب لأنه طلب ربح والأوقات أصول خافت قوامها والربح من الزايا فينبغي أن يطالب الربح فيها خلق من حيلة الزايا التي لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلاً وقال لا تسلم ولدك في يمينين ولا في صنتين يبيع الطعام ويبيع الأكفان فإنه يمتلئ الغلاء وموت الناس والصنعان أن يكون جزارا فإنها صنعة تقبى القاب أوصوا بما فإنه يزخر الدنيا بالذهب والفضة النوع الثاني ترويح الزيف من الدراهم في أثناء النقد فهو ظلم إذ يستغربه للعامل إن لم يعرف وإن عرف فسروجه على غيره فكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الأيدي يوم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر السك ووباله راجعاً إليه فإنه هو الذي فتح هذا الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سن سنة سيئة فعلم بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزانهم شيئاً» (١) وقال بعضهم إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة مصيبة واحدة وقد تمت وانقطعت وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يفتى ذلك الدرهم ويكون عليه ما قدس من أموال الناس يستمر وطوي لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويسئل عنها إلى آخر اعتراضها قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - أي نكتب أيضاً ما أخرجه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى - ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر - وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره. ولنعلم أن في الزيف خسة أمور : الأول أنه إذا رد عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في برّ بحيث لا تعتد إليه اليد وإياه أن يروجه في بيع آخر وإن أفدعه بحيث لا يمكن التعامل به جاز. الثاني أنه يجب على التاجر تعلم النقد لا يستغنى بنفسه ولكن لتلاي سلم إلى مسلم زيفاً وهو لا يدري فيكون آثماً بتقصيره في تعلم ذلك العلم فاسلك عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ومثل هذا كان السلف يتطوعون علامات النقد نظراً لدينهم للدنياهم. الثالث أنه إن سلم وعرف العامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم لأنه ليس بأخذ إلا لوجهه على غيره ولا غيره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلاً فاعلم بتخلص من إثم الضرر الذي يفضي معاملة

(١) حديث من سن سنة سيئة فعلم بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزانهم شيء مسلم من حديث جرير بن عبد الله.

مشوق إلى الضرر والاسترسال في وجوه الرق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالعود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الأغيار لشكر العيون عليه فيتشدد ويتأدب ولا يكون هذا إلا إذا كان جمع الرباط في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات وضبط الأنفاس وحراسة الحواس كما كان أمحب رسول الله صلى الله عليه وسلم - لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض بالبعث وهكذا ينبغي لأهل الصدق والوصية أن يكون اجتماعهم غير مضرب بوقتهم فاذا غلغل أوقات الشبان الغفرو واللطف الأولي أن يلزم الشاب الطالب للوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزواشيه وموضع خلوته ليجلس

قسط . الرابع : أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء »^(١) فهو داخل في بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحة في برء وإن كان عازماً على أن يروجه في معاملة فهذا شرّ روجه الشيطان عليه في معرض الخير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء . الخامس أن الزيف نفي به مالا قرره فيه أصلاً بل هو مجوّه أو مالا ذهب فيه أعنى في الدنانير أما ما فيه قرره فإن كان مخلوطاً بالحاس وهو قد البلد فقد اختلف الماء في العاملة عليه وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك قد البلد سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم وإن لم يكن هو قد البلد لم يجز إلا إذا علم قدر النقرة فإن كان في ماله قطعة قترتها ناقصة عن قد البلد فليس له أن يجبر به معاملة وأن لا يسهل به إلا من لا يستعمل الترويح في جملة التقدير بطريق التلبس فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمرًا وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه وسلكو طريق الحق بمثل هذا في التجارة أئد من اللواظية على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق أفضل عند الله من التبعيد وقد كان السلف يحاطون في مثل ذلك حتى روى عن بعض الغزاة في سبيل الله أنه قال حملت على فرسي لأقلع علجاً قصص في فرسي فرجعت ثم دناني العليج فخلت ثابته فقص فرسي فرجعت ثم حملت الثالثة ففر مني فرسي وكنت لأعتاد ذلك منه فرجعت حزناً وجلست منكسر الرأس منكسر القلب لما فاتني من العليج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت رأسي على عمود القسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك أردت أن تأخذ على العليج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علجاً ودفعت في ثمنه درهما زائفاً لا يكون هذا أبداً قال فانتبهت فزعا فذهبت إلى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقن عليه أمثاله .

(القسم الثاني ما يعم ضرره العامل)

فكل ما يستضر به العامل فهو ظلم وإنما العدل أن لا يضر بأخيه السلم والضابط السكى فيه أن لا يجب لأخيه إلا ما يجب لنفسه فكل ما لو عمل به شق عليه وتقل على قلبه فينبغي أن لا يعامل غيره به بل ينبغي أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم : من باع أخاه شيئاً بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا خمسة دنانير فإنه قد ترك النصح للمأمور به في العاملة ولم يجب لأخيه ما يجب لنفسه هذه جملة ما فاما تفصيله ففي أربعة أمور أن لا يثني على السلعة بما ليس فيها وأن لا يكتن من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً أصلاً وأن لا يكتن من وزنها ومقدارها شيئاً وأن لا يكتن من سرها ما لو عرفه العامل لا تمتنع عنه : أما الأول فهو ترك الشراء فإن وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب فإن قبل المشتري ذلك فهو تلبس وظلم مع كونه كذا وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مرموقة إذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروءة وإن أثني على السلعة بما ليس فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يمينه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لا يكتن بها قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - إلا أن يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري مالم يذكره كما يصفه من خفي أخلاق العبيد والجواري والدواب فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطباب ولكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فبرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته ولا ينبغي أن يخلف عليه أئنة فإنه إن كان كاذباً فقد جاء باليمين النعوس وهي من الكبار التي تذر الديار بلا يق وإن كان صادقاً فقد جعل الله تعالى عرصة لأيمانه وقد أساء فيه إذ الدنيا أخس من أن يقصد ربحها بذكر كرام الله من غير ضرورة ،

(١) حديث رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء البخاري من حديث جابر .

القلب نفسه عن
دواعي الهوى والمخوض
فيها لا يبنى ويكون
الشيخ في بيت الجماعة
قوة حاله وصبره على
مداواة الناس وتخلصه
من تبعات الهائلة
وحضوره قارء بين الجمع
فينضبط به الشر ولا
يتكدر هو وأما الخدمة
فشان من دخل الرباط
مبتدئاً ولم يبق علم
للم ولم يتنبه لنفاس
الأحوال أن يؤمر
بالخدمة لتكون عبادته
خدمة ويجذب بحسن
الخدمة قلوب أهل الله
إليه فتشمله بركة ذلك
ومعين الإخوان
للمشتغلين بالعبادة . قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « المؤمنون
إخوة يطلب بعضهم إلى
بعض الحوائج فيقضى
بعضهم إلى بعض
الحوائج غضى الله لهم
حاجاتهم يوم القيامة »
فيحفظ بالخدمة
عن البطالة التي تحت
القلب والخدمة عند

وفي الخبر « ويل للتاجر من بى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد » وفي الخبر « العيين الكاذبة منفقة للسلمة محقة للبركة » (١) وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان بطلته ومنفق سلته يمينه » (٢) فإذا كان التناهد على السلمة مع الصدق مكروها من حيث إنه فضول لا يزيد في الرزق فلا ينبغي التفلط في أمر العيين وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا أنه طلب منه خزل لشراء فأخرج غلامه سقط الحز وتشره ونظر إليه وقال اللهم ارزنا الحجة فقال لغلامه رده إلى موضعه ولم يمه وخاف أن يكون ذلك تعرضا بالثناء على السلمة فقتل هؤلاء هم الذين أجروا في الدنيا ولم يضعوا دينهم في تجارتهم بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا . الثاني : أن يظهر جميع عيوب البيع حبها وجلبها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فإن أخفاء كان ظلما غاشا والقش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما أظهر أحسن وجهي التوب وأخفى الثاني كان غاشا وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك إذا عرض أحسن فردى الحنف إذا النمل وأمثاله ويدل على تحريم القش ما روى « أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بلا فقال ما هذا قال أماسه البهاء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا » (٣) ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الإسلام ذهب ليصرف فجدب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم » (٤) فكان جرير إذا قام إلى السلمة يبيها بصر عيوبها ثم خيره وقال إن شئت فخذ وإن شئت فارك قليله إنك إذا فلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع قال إنا يا أباينا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم وكان وثلة بن الأسقع واقفا بايع رجل ناقة له بثلاثة درهم ففعل وثلة وقدمه الرجل بالناقة فسمى وراه وجعل يصيح يا هذا اشتريها لحم والظفر فقال بل للظفر فقال إن غفها شأني قدرته وإنها لا تتبع السير فمادفروها فقصها البائع مائة درهم وقال لو آتاه رحلك الله أفستد على يمي فقال إنا يا أباينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يجل لأحد يبيع بيا إلا أن يبين آفته ولا يجل لمن يعلم ذلك إلا تبيينه » (٥) فقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأحده إلا ما يرضاه لنفسه ولم يتعدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة القامات بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت يمينهم وهذا أمر يشق على أكثر الخلق فلذلك يختارون التحل للعبادة والاعتزال عن الناس لأن القيام بحقوق الله مع المحاطلة والمعاملة بمجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين . أحدهما أن تلبسه العيوب وترويعه

(١) حديث ويل للتاجر من بى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد لم أقفله على أصل وذكر صاحب مسند الفروس من حديث أنس بغير إسناد نحوه (٢) حديث العيين الكاذبة منفقة للسلمة محقة للبركة متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقي بلفظ النصف (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عاتل مستكبر ومنان بطلته ومنفق سلته يمينه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا عاتل مستكبر ولهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلمة قد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ولمسلم من حديث أبي ذر النان والسبل إزاره والمنفق سلته بالخلف الكاذب (٤) حديث من برجل يبيع طعاما فأعجبه أدخل يده فرأى بلا فقال ما هذا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث جرير بن عبد الله يا أباينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم متفق عليه (٦) حديث وثلة لا يجل لأحد يبيع بيا إلا أن يبين ما فيه ولا يجل لمن يعلم ذلك إلا يبينه الحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي.

القرم من جملة العمل الصالح وهي طريق من طرق الواجد تكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا إلى الاعتناء بهم . أخبرنا الشيخ الفقه أبو القتيح قال أنا أبو الفضل حميد ابن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا سليمان ابن أحمد قال ثنا علي ابن عبد العزيز قال ثنا أبو عبيد قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن أبي هلال الطائي عن وثيق بن الرومي قال كنت ملوكا لمصرين الخطاب رضى الله عنه فكان يقول لي أسلم فانك إن أسلمت استنتجت على أمانة للمسلمين فانه لا ينبغي أن أؤمن على أماناتهم بمن ليس منهم قال فأبى فقال عمر لا إكراه في الدين سخطا

السلع لا يزيد في رزقه بل يمتعه ويذهب بركته وما جمعه من مركات التلبسات يهلكه الله دفعة واحدة .
 قد حكى أن واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض
 أولاده إن تلك اللبنة النفقة التي صبتها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة كيف وقد
 قال صلى الله عليه وسلم « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما وإذا كتما وكذبا نزع بركة
 بيعهما » (١) وفي الحديث « يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فإذا تخاونا رفع عنه نعمتا » (٢) فإذا لا يزيد
 مال من خيانة كمالا ينقص من صدقة ومن لا يصر الزيادة والنقصان إلا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث
 ومن عرف أن الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الإنسان في الدنيا والدين والآلاف
 للؤلؤة قد يزعج الله البركة من ناحيتي تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يمتنع الإفلاس منها وبراها أصلحة
 له في بعض أحواله فيعرف معنى قولنا إن الحيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والنعى الثاني الذي
 لا بد من اعتقاده لئله النصع ويتيسر عليه أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وأن فوائد
 أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مطالبها وأوزارها فكيف يستجير العامل أن يتبدل الذي هو
 أدنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله ﷺ « لا تزال لاله إلا الله تدفع عن الخلق
 سطخ الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم » (٣) وفي لفظ آخر « ما لم يسلوا ما نقص من دنياهم بسلامة
 دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لاله إلا الله قال الله تعالى كذبتم ستمها صادقين » وفي حديث آخر « من
 قال لا إله إلا الله خلصا دخل الجنة قبل وما إخلاصه قال أن يحززه عما حرم الله » (٤) وقال أيضا ما آمن
 بالقرآن من استحل محارمه ومن علم أن هذه الأمور قاذفة في إيمانه وأن إيمانه رأس ماله في
 تجارتها في الآخرة لم يضع رأس ماله لعد لعمري لا آخر له بسبب ربح ينتفع به أباما معدودة . وعن
 بعض التابعين أنه قال لودخلت الجامع وهو غاص بأهله وقبيل من خير هؤلاء قتل من أنفسهم
 لهم فاذا قالوا هذا قتل هو خيرم ولو قيل لي من شرهم قتل من أغضبهم لهم فاذا قيل هذا قتل هو
 شرهم والفتش حرام في البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لوعامله به
 غيره لما ارتضاء لنفسه بل ينبغي أن يحسن الصنعة وعكفها ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب
 فذلك يتخلص . وسأل رجل حذاء بن سالم فقال كيف لي أن أسام في بيع النعال فقال اجعل الوجهين
 سواء ولا تفضل اليمنى على الأخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الحرز ولا تطبق
 إحدى التعلين على الأخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث
 لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه وإنما يحل للرفا إذا علم أنه بظهوره أو أنه لا يريده للبيع . فان قلت
 فلا تلم للعامة بهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب البيع . فأقول ليس كذلك إذ شرط التاجر أن
 لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمكنه ثم وقع في بيعه برح يسير فيبارك الله له فيه ولا

(١) حديث البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما الحديث متفق عليه من حديث حكيم
 ابن حزام (٢) حديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع عنه نعمتا أبو داود والحاكم
 من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد (٣) حديث لا تزال لاله إلا الله تدفع عن الخلق
 سطخ الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم الحديث أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس
 بسند ضعيف وفي رواية للترمذي الحكيم في النوادر حتى إذا نزلوا بالمرل الذي لا يبالون ما نفع
 من دينهم إذا سلت لهم دنياهم الحديث والطيبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف
 أيضا (٤) حديث من قال لا إله إلا الله خلصا دخل الجنة قبل وما إخلاصه قال تحجزه عما حرم الله الطبراني
 من حديث زبدي بن أرثم في معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن .

حضرته الوفاة اعتقى
 فقال اذهب حيث شئت
 فالقوم يكرهون
 خدمة الأغنياء ويأبون
 مخالطتهم أيضا فان
 من لا يحب طريقهم
 ربما استقر بالنظر
 إليهم أكثر مما ينتفع
 قاتهم بشر وتبدونهم
 أمور بمقتضى طبع
 البشر وينكرها القبر
 لقله عليه بمقاصدهم
 فيكون بإؤهم لوضع
 الشفقة على الخلق
 لامن طريق التمزز
 والترفع على أحد
 من السليين والشاب
 الطالب إذا خدم أهل
 الله الشغولين بطاعته
 يشاركون في الثواب
 وحيث لم يؤهل
 لأحوالهم السنية بخدم
 من أهل لما فخدمته
 لأهل القرب علامة
 حب الله تعالى . أخبرنا
 الثقة أبو الفتح محمد
 ابن سلطان قال أنا
 أبو الفضل حميد بن
 أحمد قال أنا الحافظ
 أبو نسيم قال ثنا

عحتاج إلى تلبس وإنما تعذر هذا لأنهم لا يقنعون بالرجح اليسير وليس يسلم الكثير إلا بتلبس فمن
تعود هذا لم يشتر العيب فإن وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقتنع بقيته باع ابن سيرين شاة قال
لشترى رأيا إلىكم عيب فيها إنها تغلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية قال لشترى إنها
تتخبط مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة أهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك العالمة أو لوطن
نفسه على عذاب الآخرة . الثالث أن لا يكتم في القدر شيئا وذلك بتعديل الميزان والأخطا فيه وفي
الكيل فينبغي أن يكيل كما يكنا قال الله تعالى - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس
يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون - ولا يخلص من هذا إلا بان يرجع إذا أعطى وينقص إذا
أخذ إذا العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر . بظهور الزيادة والتقصان فإن من استقصى حقه بكاله
يوشك أن يتعداه وكان بعضهم يقول : لأشترى الويل من الله بحجة فكان إذا أخذ نقص نصف حجة
وإذا أعطى زاد حجة وكان يقول : ويل لمن باع بحجة حجة عرضها السموات والأرض وما أخسر من
باع طوى بويل وإنما بالوا في الاحتراز من هذا وشبه لأنها مظالم لا يمكن التوبة عنها إذ لا يعرف
أصحاب الحيات حتى يجمعهم ويؤدى حقوقهم . ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
قال للوزن لما كان وزن من «زن وأرجح»^(١) ونظر فضيل إلى ابنه وهو يسدل دينارا يريد أن يصرفه
وزيل تسكبه ويتقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك فقال يا بني فملك هذا أفضل من حجتين وعشرين
عمرة وقال بعض السلف سمعت للتاجر والباع كيف ينجو وزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان
عليه السلام لا يه : يا بني كابد الخلة بين الحجرين كذلك تدخل الحطيطية بين التبايعين . وصلى بعض
الصالحين على غنث قبل له إنه كان فاسقا فسكت فأعيد عليه فقال كأنك قلت إن كان صاحب ميزانين
يعطى بأدمحا ويأخذ بالآخر أشار به إلى أن فسقه مظلة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - لا تظنوا في الميزان وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان - أنى لسان
الميزان فإن نقصان الرجحان يظهر بعينه وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو في كلة ولا ينصف
عقل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون - والآيات
فإن تحرم ذلك في الكيل ليس لكونه مكيبلا بل لكونه أمرا مقصود أترك العدل والنصفه فيه فهو جار
في جميع الأعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في أقواله وأفعاله وخطراته
فالويل له إن عدل عن العدل وما لعن الاستقامة فلولوا لتعذر هذا واستحالت له ما ورد قوله تعالى - وإن منكم
إلا وادها كان على ربك حنما مقبيا - فلا يترك عبد ليس معصوما عن البيل عن الاستقامة إلا أن درجات
البيل تتفاوت تفاوتات عظيمة فذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار إلى أوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم
إلا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم ألفا وألوف سنين فنسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقامة والعدل
فإن الاعتدال على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطوع فيه فإنه أدق من الشجرة وأحد من
السيف ولولا أن كان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط المددود على متن النار التي من صفته
أنه أدق من الشجرة وأحد من السيف وتقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم بخف البعيد يوم القيامة على
الصراط وكل من خلط بالطعام رأيا أو غيره ثم كاله فهو من اللطفين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم
عظما ثم العادة بمثلهم فهو من اللطفين في الوزن وقدس على هذا سائر التقديرات حتى في الدرر الذي يعطاه البراز

(١) حديث قال للوزن زن وأرجح أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال
الترمذى حين صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم .

أبو بكر بن خلاد قال
ثنا الحرث بن أبي
أسامة قال ثنا معاوية
ابن عمرو قال ثنا
أبو اسحاق عن حميد
عن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال
لما انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم من
تبوك قال حين دنا
من المدينة إنه
بالمدينة أقواما
ماسرتم من مسير ولا
قطعت وأدبا إلا كانوا
مكيا قالوا وهم في المدينة
قال «نم جسيم المذر»
قالتم بخدمة القوم
توق عن بلوغ درجاتهم
بمدر القصور وعدم
الأهلية فقام حوله
الحى بأذلا مجهوده في
الخدمة يتطل بالأثر
حيث منع النظر لجزاه
الله على ذلك أحسن
الجزاء وأنا له من
جزيل العطاء وهكذا
سكان أهل الصفة
يتعاونون على البر
والنقوى ويجمعون
على الصالح الدينية

فانه إذا اشترى أرسل الثوب في وقت الذرع ولم يده مدا وإذا باع منه في الذرع ليظهر ثخاوتها في القدر فكل ذلك من التطفيف للمرض صاحبه قول . الرابع أن يصدق في سعر الوقت ولا يخفى منه شيئا فقد نهى رسول الله ﷺ عن تلقى الركبان (١) ونهى عن التجش (٢) أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل الرقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تتلقوا الركبان » ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق وهذا الشراء منقذ ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وإن كان صادقا ففي الخيار خلاف لما روى عن حموم الجرمع زوال التلبس ونهى أيضا أن يبيع حاضر لباد (٣) وهو أن يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى بيعه فيقول له الحضرى أتركه عندى حتى أعالى في ثمنه وأنظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلافه والأظهر تحريمه لعموم النهى ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة لا فضولى التضييق ونهى رسول الله ﷺ عن التجش وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدي الراغب للشرى ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريد بها وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا إن لم يجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منقذ وإن جرى مواطأة ففي ثبوت الخيار خلافه والأولى إثبات الخيار لأنه تقرير بفعل يضاهي التفرير في الصرارة وتلقى الركبان فهذه الناهى تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت ويكتم منه أمرا لو علمه لما أقدم على القدر فكل هذا من الفش الحرام المضاد للصالح الواجب . فقد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز إليه السكر فيكتب إليه غلامه إن قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا فانصرف إلى منزله فأفكر ليلته وقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصف رجل من المسلمين فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفن إليه ثلاثين ألفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن أين صارت لي فقال إنى كتمتكم حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد أعلمتني الآن وقد طيبتك لك قال فرجع بها إلى منزله وتذكروا يا ساهرا وقال ما نصحتك فلم تستجب مني فتركها لي ففكر إليه من الند وقال عافاك الله خذ مالك إليك فهو أطيب لقلبي فأخذ منه ثلاثين ألفا فهذه الأخبار في المناهي والحكايات تدل على أنه ليس له أن يستمن فرصة وينتجز غفلة صاحب المتاع ويخفى من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الأسعار فانضل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والصالح للمسلمين ومهما باع مراعاة بأن يقول بمتى قام على أو بما اشترته فله أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره ولو اشترى مساعمة من صديقه أو ولده يجب ذكره لأن المعامل يعول على عادته في الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره إذ الاعتداء على أماته .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا بد من العقلاء من تقع في معاملات الدنيا رأس ماله فكذلك في معاملات الآخرة فلا ينبغي للتدين أن يقتصر على العدل

(١) حديث النهى عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٢) حديث النهى عن التجش متفق عليه من حديث ابن عمر وأبي هريرة (٣) حديث النهى عن بيع الحاضر للبادي متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأنس .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

ومواصلة الاخوان بالمال والبدن .

[الباب الخامس عشر

في خصائص أهل

الربط والصوفية

فيها يتماهيون

ويختصون به]

أعلم أن تأسيس هذه

الربط من زينة هذه

لله الهادية السديدة

ولسكان الربط أحوال

تميزوا بها عن غيرهم

من الطوائف وهم على

هدى من ربهم قال

الله تعالى - أولئك

الذين هدى الله فبهم

اقتده - وما يرى من

التقصير في حق البعض

من أهل زماننا

والتخلف عن طريق

سلفهم لا يتقدم في أصل

أمرهم ومحة طريقهم

وهذا القدر الباقي من

الأثر واجتماع التصوف

في الربط وما هيأ الله

تعالى لهم من الرفق

بركة جمية بواطن

للسائح الماضين وأثر

من آثار من الخلق في

حقهم وصورة الاجتماع

واجتناب الظلم وبيع أبواب الإحسان وقد قال الله - وأحسن كما أحسن الله إليك - وقال عز وجل - إن الله بأمر بالعدل والإحسان - وقال سبحانه - إن رحمت الله قريب من المستبين - ونفى بالإحسان فعل ما يتنعم به العامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنازل رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور : الأول في الثانية فينبغي أن لا يفتن صاحبه بما لا يتنازل به في العادة فأما أصل الثانية فأن يكون فيه لأن البيع للربح ولا يمكن ذلك إلا بفتن ما ولكن راحي فيه التقرب فإن بطل الشئ زيادة على الربح المتنازل إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته في الحال إليه فينبغي أن يتنعم من قبله فذلك من الإحسان ومهما لم يكن تلبس لم يكن أخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء إلى أن التفتن بما يزيد على التلث يوجب الخيار ولنا نرى ذلك ولكن من الإحسان أن يحيط ذلك التفتن . يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حللة منها أربع مائة وضرب كل حللة قيمتها مائتان ثم رى إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حللة بأربع مائة ففرض عليه من الحلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها ففنى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فصرف حلته فقال للأعرابي بكم اشتريت فقال بأربع مائة فقال لئلا سوى أكثر من مائتين فأرجع حتى ترددها فقال هذه تساوى في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخامس ابن أخيه في ذلك وقتاله وقال أما استحيت أما اتيت الله تربع مثل التفتن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها إلا وهو راض بها قال فلما رضيت له بما ترضاها لنفسك وهذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبس فهو من باب الظلم وقديس وفي الحديث « غبن السئول حرام »^(١) وكان الزبير بن عدى يقول أدركت غمانية عشر من الصعابة مائتهم أحد بعين يشتري لها بدرهم فبين مثل هؤلاء السئولين ظلم إن كان من غير تلبس فهو من ترك الإحسان وقضا يتم هذا إلا بنوع تلبس وإخفاء سعر الوقت وإنما الإحسان المحض ما قلع السرى السقطي أنه اشترى كرلوز بستين دينارا وكتب في روزنامه ثلاثة دنانير بجمعه وكأنه رأى أن يربح على الشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فأناه الدلال وطلب اللوز فقال خذ قال بكم فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين قد صار اللوز بتسعين فقال السرى قد عقدت عقدا لأهلكه لست أبيع إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلما لست آخذ منك إلا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السرى باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال . وروى عن محمد بن النكدر أنه كان له شقق بضعا بخمسة وبضعا بشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الحماض بشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي لاشترى طول النهار حتى وجده فقال له إن الغلام قد غلظ فاباعك ما يساوى خمسة بشرة فقال يا هذا قد رضيت وقال وإن رضيت فانا لا أرضى لك إلا ما رضاه لأستأفخر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شقة من الشريرات بدارهمك وإما أن ترد عليك خمسة وإما أن ترد شقتنا وتأخذ درهمك فقال أعطني خمسة فعد عليه خمسة وانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ فقيل له هذا محمد بن النكدر فقال لا إله إلا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قمطنا فهذا إحسان في أن لا يربح على الشرة إلا نصفًا أو واحدا على ما جرت به العادة في مثل ذلك النوع في ذلك المكان ومن فتح يربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها رجحا كثيرا وبه تظهر البركة . كان على رضى الله عنه بدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار

(١) حديث غبن السئول حرام الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام .

خذوا الحق تسلموا لاتردوا قليل الربح فتحرموا كثيره قيل لبيد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سبب يسارك قال ثلاث ماردت رجحا قط ولطاب من حيوان فأخرت يمه ولايت بنسبة ويقال إنه باع ألف ناقة فارباع لإعقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفا وربع من ثقتة عليها ليومه لقا . الثاني : في أحاطة التبن والشتري إن اشتري طعاما من ضيف أوشيتا من قنبر فلا بأس أن يحتل التبن ويشاهل ويكون بعسنا وداخلا في قوله عليه السلام « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء » فأما إذا اشتري من غنى تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال التبن منه ليس محمدا بل هو تقصيع ماله من غير أجر ولأحمد قدورد في حديث من طريق أهل البيت « للقبون في الشراء لا محمود ولا مأجور » وكان إياس بن معاوية بن قره قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بحب والحب لا يفتني ولا يبين ابن سيرين ولكن بين الحسن وبين أي يني معاوية بن قره والكمال في أن لا يبين ولا يبين كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن يمدح وأعقل من أن يمدح وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهون مع ذلك الجزيل من المال قليل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا يقال قال إن الواهب يسطي فضله وإن للقبون بين عقله وقال بعضهم إنما أغنى عقلي وجصري فلا أسكن القابن منه وإذا وهبت أعطى الله ولا استكثر منه شيئا . الثالث : في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيمرة بالمساحة وحط البعض ومروءة بالإيصال والتأخير ومرة بالمساحة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب إليه ومحث عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء »^(١) فليتغنم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم « اصبح يسمع لك »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا » وفي لفظ آخر ، أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله »^(٣) وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقبل له هل عملت خيرا فقلت لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لثقتي سامحوا للوسر وأنظروا للمسر »^(٤) وفي لفظ آخر « ومجاوزوا عن المسر فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك فتجاوزوا عنه وغفروا » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة »^(٥) وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كالتصدق بجميعه في كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت على باب

اجتمعوا وبرابطة

التأليف الإلهي اتفقوا

ومشاهدة القلوب

تواطوا ولتهذيب

النفوس وتصفية القلوب

في الرباط رابطوا

فلا بد لهم من التألف

والتودد والنصح .

روى أبو هريرة عن

رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال « المؤمن

يألف ويؤلف ولا

فيمن لا يألف ولا

يؤلف » . وأخبرنا

أبو زرعة طاهر بن

الحافظ أبي الفضل

للقدسي عن أبيه قال

ثنا أبو القاسم الفضل

ابن أبي حرب قال أنا

أحمد بن الحسين

الخيرى قال أنا أبو سهل

ابن زياد القطان قال

ثنا الحسين بن مكرم

قال ثنا يزيد بن هرون

الواسطي قال ثنا محمد

ابن عمرو عن أبي سلمة

عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « الأرواح

جنود مجندة فما تعارف

(١) حديث من طريق أهل البيت للقبون لا محمود ولا مأجور الترمذي الحكيم في التواضع من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن علي رضي الله عنه قال الذهبي هو منكر (٢) حديث رحم الله سهل البيع سهل الشراء تقدم في الباب قبله (٣) حديث اصبح يسمع لك الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله تمامت (٤) حديث من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله مسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر كعب بن عمرو (٥) حديث ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقبل له هل عملت خيرا فقلت لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لثقتي سامحوا للوسر والحديث مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (٦) حديث من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة ابن ماجه من حديث بريدة من أنظر مصرا كان له مثله كل يوم صدقة ومن أنظره بعد أجله كان له مثله في كل يوم صدقة وسنده ضيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمان عشرة ^(١) قيل في معناه إن الصدقة تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يعتمد ذلك الاستقراض بالإحتياج ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل بالازم رجلا بدين فأوماً إلى صاحب الدين يده أن ضع الشطر فعمل فقال للديون قم فأعطه ^(٢) وكل من باع شيئاً وترك منه في الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو في معنى القرض . وروى أن الحسن البصري باع بقة له بأربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اصبر يا أبا سعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له فأحسن يا أبا سعيد قال قد وهبت لك مائة أخرى قبض من حق مائتي درهم قيل له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الإحسان وإلا فلا وفي الخبر « خذ حقه في كفاف وعفاف وإف وأغير وأن يعشئ إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يعشئ إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم أحسنكم قضاء » ^(٣) ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن وإن عجز فليؤن قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم « من أدان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه » ^(٤) وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلفه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وللقابله بالطف اقتداء رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله ﷺ فهم به أصحابه فقال : دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ^(٥) » ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض بالإحسان أن يكون الليل الأكثر للمستوطنين إلى من عليه الدين فإن المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغي أن تكون الاعانة للمشتري أكثر فإن البائع راغب عن السلفة يعني ترويعها والمشتري محتج إليها هذا هو الأحسن الآن يتعدى من عليه الدين حده فتند ذلك نصرة في منعه عن تمديه وإعانة صاحبه إذ قال ﷺ « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل كيف نصرة ظالماً فقال منكم إياه من الظلم نصرة له ^(٦) » . الخامس : أن يقل من يستقبله فإنه لا يستقبل إلا متمم مستضر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه قال صلى الله عليه وسلم « من قال نادماً صفقته أقاله الله عزته يوم القيامة ^(٧) » أو كما قال . السادس : أن يقصد في معاملته جماعاً ممن الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يظلمهم إن لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحى السلف من له دفتران للحساب أحدهما ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرفه

(١) حديث رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمان عشرة ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف (٢) حديث أوماً إلى صاحب الدين يده ضع الشطر الحديث متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٣) حديث خذ حقه في عفاف الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد حسن دون قوله يحاسبك الله حساباً يسيراً وله ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة (٤) حديث خيركم أحسنكم قضاء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث من أدان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه أحمد من حديث عائشة مامن عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ ورواية لم يزل معه من الله حارس وفي رواية للطبراني في الأوسط إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه (٦) حديث دعوه فإن لصاحب الحق مقالا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً الحديث متفق عليه من حديث أنس (٨) حديث من أقال نادماً صفقته أقاله الله عزته يوم القيامة أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقول صحيح في شرط مسلم

منها اختلف وماتناكر
منها اختلف فهم
باجتماعهم نجتمع
بواطئهم وتنقيد
نفوسهم لأن بعضهم
عين على البعض على
ماورد « المؤمن مرآة
المؤمن » فأى وقت
ظهر من أحدهم أثر
التفرقة نافروه لأن
التفرقة تظهر بظهور
النفس وظهور النفس
من تضيق حق الوقت
فأى وقت ظهرت
نفس الفقير علوا منه
خروجه عن دائرة
الجمعة وحكموا عليه
بتضييع حكم الوقت
وإهمال السياسة وحسن
الرعاية فيقاد للمنافرة
إلى دائرة الجمعة .
أخبرنا شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب
عبد القاهر السهروردي
إجازة قال أنا الشيخ
النام عصام الدين أبو
حفص عمر بن أحمد
ابن منصور الصفار قال
أنا أبو بكر أحمد بن
خلف الشيرازي قال أنا

من الضعفاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتيه فيقول أحتاج إلى خمسة أرطال مثلاً من هذا وليس معي منه فكان يقول خذ منه واقض ثمنه عند البيرة ولم يكن يده هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يكن ثبت اسمه في الفقر أصلاً ولا يحمله ديناً لكن يقول خذ ما تريد فإن يسرك فاقض وإلا فأنت في حل منه وسعة فهدد طرق تجارات السلف وقد اندرست والقائم به هي لهذه السنة وبالجملة التجارة يحكم الرجال وبها يتخبر دين الرجل وورعه ولذلك قيل : لا يفرنك من الرء قيس رقصه أو إزار فوق كسب الساق منه رقصه أو جبين لاح فيه أثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر غيبه أو ورعه ولذلك قيل إذا أتى على الرجل جيراته في الحضر وأصحابه في السفر ومعاوله في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال اتقي بمن يعرفك فإنه رجل فأتى عليه خيراً فقال له عمر أنت جاره الأدنى يعرف مدخله ومخرجه قال لا تقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل قال لا قال أظنك رأيته قائماً في المسجد يهجمهم بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرصه أخرى قال نعم فقال اذهب فليست تمره وقال للرجل اذهب فأتني بمن يعرفك .

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته)

ولا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعاً وصفته خسارة وما يغتو من الربح في الآخرة لا يفي به مبالغ في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل بالعاقب ينبغي أن يشفق على نفسه وشفقة على نفسه يحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف أولى الأشياء بالمنازل أحوجه إليه في العاجل وأحوج شيء إليه في العاجل أحمد عاقبة في الأجل وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصيته إنه لا بد للمؤمن نصيبك في الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابداً بنصيبك من الآخرة غفله فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتظنه قال الله تعالى - ولا تنس نصيبك من الدنيا - لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات وإنما تم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور . الأول : حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينبه بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استثناء الحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياماً بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينبو الصبح للمسلمين وأن يحب لسائر الخلق ما يحب نفسه ولينبو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه ولينبو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فإذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملاً في طريق الآخرة فإن استغداً مالا فهو مزيد وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة . الثاني : أن يقصد القيام في صنفته أو تجارتها بفرض من فروض الكفايات فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت للعالمين وهلك أكثر الخلق فانتظام أمر الكل يتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمله ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعملت البوابق وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ «اختلاف أممي رحمة» أي اختلاف مهمهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستعين بها لرجوعها إلى طلب الثمن والربح في الدنيا فليستغل بصناعة مهمة ليكون في قيامها كافياً عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النشئ والصياغة وتشديد البنيان والجلبس وجسيم ما رخصه في الدنيا فشكل ذلك كله

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه)

(١) حديث اختلاف أممي رحمة تقدم في العلم .

الشيخ أبو عبد الرحمن
محمد بن الحسين
السدي قال سمعت محمد
ابن عبد الله يقول سمعت
رويعاً يقول لا يزال
الصوفي غير متأنفروا
فاذا اصطلحوه لكوا
وهذه إشارة من روم
إلى حسن نقد بعضهم
أحوالهم بمن يشافق
من ظهور النفوس
يقول إذا اصطلحوه
أو رضوا للنافرة من
بينهم يخاف أن تخامر
البواطن للساحلة
والرأفة ومساعدة
البعض البعض في إهمال
دقيق آدابهم وذلك
تظهر النفوس وتستولي
وقد كان عمر بن
الحطاب رضي الله عنه
يقول : رحم الله امرأ
أهدى إلى عيوبه .
وأخبرنا أبو زرعة عن
أبيه الحافظ القدسي
قال أنا أبو عبد الله محمد
ابن عبد العزيز المروزي
قال أنا عبد الرحمن بن
أبي شريح قال أنا
أبو القاسم البغوي قال

ذو الدين فأما حمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الحياط البقاء من الإبرسم للرجال وصياغة الصانع مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والأجرة للأخوة عليه حرام ولذلك أوجبنا الزكاة فيها وإن كنا لانوجب الزكاة في الحل لأنها إزادت للرجال فهي محرمة وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحل لبياح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بفناء السر ويكره أن يكون جزاء لما فيه من قساوة القلب وأن يكون حجاباً أو كنساً لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استثناء الدلال عن الكذب والافراط في الشئ على السلمة لترويحها ولأن العمل فيه لا يتقدر قد يغل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظم بل ينبغي أن ينظر إلى قدر الثوب وكرهوا شراء الحيوان للتجارة لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي يصدده لا بحالة وحلوه وقيل بيع الحيوان واشترى اللواتن وكرهوا الصرف لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولأنه طلب لمقتضى الصفات فيما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها وقلنا في الصرف في ربح إلا باعتداه جهالة معاملته بدقائق النقد قلما يسلم الصيرفي وإن احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الصحيح والدنانير لإعند الشك في جودته أو عند ضرورة قال أحمد بن حنبل رحمه الله ورد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) وعن أصحابه في الصياغة من الصالح وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدرهم ذهباً ويصوغه ويستجوا بمائة البر قال سعيد بن المسيب مامن بمائة تجارة أحب إلى من البر ما لم يكن فيها إيمان وقد روى «خير تجارتكم البر وخير صناعتكم الحرز» ^(٢) وفي حديث آخر «لو أنجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولو أنجر أهل النار لا تجروا في الصرف» ^(٣) وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عمر صنائع الحرز والتجارة والحل والحياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل النازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال أحمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طب ولو كنت صائداً سيدى لصنعت صنعتك ثم قال لا لا تكتب إلا موسطة واستبق الحوائث وظهور الأجزاء وأربعة من الصناعات موسومة عند الناس بضعف الرأي لما كرهوا القطنون وللغازليون وللملون ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضفاد العقول تضعف العقل كما أن مخالطة المعتاد تزيد في العقل وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت في طلبها ليعسى عليه السلام بما كرهت فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأنتهم قراء وخبرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل البادات وفروض الكفايات كفسل اللوني ودقهم وكذا الأذان وصلاة التراويح وإن حكم

- (١) حديث النبي عن كسر الدينار والدرهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة ابن عبد الله عن أبيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة للسيلن الجائزة بينهم إلا من بأس زاد الحاكم أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهباً وضغف ابن جبان (٢) حديث خير تجارتكم البر وخير صناعتكم الحرز لم أقف له على إسناد وكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث لو أنجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولو أنجر أهل النار لا تجروا في الصرف أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف . وروى أبو يعلى والمقبلي في الضعفاء الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق .

حدثنا مصعب بن عبد الله الزيري قال حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن محمد بن نعيم أخبر بأن عمر قال في مجلس فيه المهاجرون والأنصار أرايتم لو ترخصت في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال فكنتنا قال فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً أرايتم لو ترخصت في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال كنتم بشر بن سعد لو ضلت ذلك قومنا كقوم القح قال عمر أتم إذ أنتم وإذا ظهرت نفس الصوفي بفضب وخسومة مع بعض الإخوان فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس إذا قوبلت بالقلب انحست مادة الشر وإذا قوبلت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت الصحة قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا

بصفة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فإن هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للأخرة وأخذ الأجرة عليها استبدالاً بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك . الثالث أن لا يعمه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة للساجد قال الله تعالى - رجال لانلهم تجارتهم ولا يسع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - وقال الله تعالى - في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه - فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لأخبرته فيلازم السجود ويطلب على الأوراد كان عمر رضى الله عنه يقول للتجار اجمعوا أول نهاركم لأخبرتكم وما بعدة لدينا كم كان ما لحوا السلف يحصلون أول النهار وآخره للأخرة والوسط للتجارة ولم يكن يبيع المرسية والرءوس بكرة إلا للصبيان وأهل الدبة لأنهم كانوا في الساجد بعدد في الخبر « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها أول النهار وفي آخره ذكراته وخبر كثر الله عنه ما بينهما من سيئ الأعمال (١) » وفي الخبر « تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى أشهدكم أني قد غفرت لهم (٢) » ثم مهما سمع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر فينبغي أن لا يرجع على شغل وينزع عن مكانه ويدع كل ما كان فيه لما يفوته من فضيلة التكبيرة الأولى مع الإمام في أول الوقت لا توازها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الدبة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت في أوقات الصلوات وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى - لانلهم تجارتهم ولا يسع عن ذكر الله - أنهم كانوا حدادين وخرابزين فكان أخذهم إذا رجع المطرقة أو غرز الإبر فيسمع الأذان لم يخرج الإبر من الغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة . الرابعة أن لا يتصر على هذا بل يلزم ذكر الله سبحانه في السوق ويشتمل بالتهليل والتسبيح فذكر الله في السوق بين الغافلين أفضل قال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالمتقاتل خلف الفارسين وكالمسيح بين الأموات » وفي لفظ آخر « كالشجرة الخضراء بين الهشيم » وقال صلى الله عليه وسلم « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة (٣) » وكان ابن عمر وسالم بن عبدالله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين ليل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله في السوق يحيى يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد أهلها وكان عمر رضى الله عنه إذا دخل السوق قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم إني أعوذ بك من عين فاجرة وصفقة خاسرة وقال أبو جعفر القرطبي كتابنا يومنا عند الجند فجرى ذكر ناس يجلسون في الساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يحب عليهم من حق الجلوس ويمسكون من يدخل السوق فقال الجند كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد يأخذ باذن بعض من فيه

(١) حديث إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد في أول النهار وآخره ذكر وخبر كثر الله ما بينهما من سيئ الأعمال أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه (٢) حديث تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفداة وصلاة العصر الحديث (٣) حديث من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده شريك له الحديث تقدم في الأذكار .

الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا - ثم الشيخ أو الحامد إذا شك إلى فقير من أخيه أنه أتى بآية ما شاء، فيقول للتعدي لم تعدي وللتعدي عليه ما الذي أذنبت حتى تصدى عليك وسلط عليك وهلا قالت نفسه بالقلب رقاً بأخيك وإعطاء للفتنة والصحة حقاً فكل منهما جان وخارج عن دائرة الجمعية فيرد إلى الدائرة بالتقار فيعود إلى الاستغفار ولا يسلك طريق الأصرار روت عائشة رضى الله عنها قالت « كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا » فيكون الاستغفار ظاهراً مع الإخوان وباطناً لله تعالى ويرون الله في

فيخرجه ويجلس مكانه وإن لأعرف رجلا يدخل السوق ورذه كل يوم ثلثانة ركة وثلاثون ألف تسمية قال فسبق إلى وهي أنه يعني نفسه فكذلك كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لالتهم في الدنيا فان من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والسجد والبيت له حكم واحد وإنما التجارة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم « اتق الله حينما كنت ^(١) » فوظيفة التقوى لا تنقطع عن التجرد للدين كيفما تغلبت بهم الأحوال وبه تكون حياتهم وعيشهم إذ فيه يرون تجارتهم وربهم وقد قيل من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحق بضد وروح في لاش والمائل عن عيوب نفسه فتاش . الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة فهما مكروهان يقال إن من ركب البحر قد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر « لا يركب البحر إلا ليج أو عمرة أو غزو ^(٢) » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول لاشكن أول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فان باض الشيطان وفرغ روى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر أن إبليس يقول لولبه زلتورسركتانيك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والحديمة والسكر والحيانة وكمن مع أول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر « شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا ^(٣) » وتعم هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كانوا صالحو السلف لقد كان منهم من إذا ربح دافعا انصرف قناعة به وكان حماد بن سلفة يبيع الحز في سطف بين يديه فكان إذا ربح حبتين ربح سطفه وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لأبراهيم بن آدم رحمه الله أمر اليوم أعمل في الطين فقال يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لافوته وتطلب ماقد كفتها أما رأيت حرصا محروما ومنعيا مرزوقا قلت إن لي دافعا عند البقال فقال عز على بك تملك دافعا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوما أو يومين وكانوا يكتفون به . السادس : أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقى مواضع الشبهات ومظان الريب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفق قلبه فإذا وجد فيه حزازة اجتنبه وإذا حمل إليه ساعة رابها أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة « وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من أين لكم هذا ؟ فقالوا من الشاة فقال ومن أين لكم هذه الشاة ؟ قيل من موضع كذا فخرّبته ثم قال : إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا ^(٤) » وقال « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال - يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم - ^(٥) » فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يزد لأن ما وراء ذلك يتعدى وسين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فإنه كان عليه السلام لا يسأل

(١) حديث اتق الله حينما كنت الترمذي من حديث أبي ذر وصححه (٢) حديث لا تترك البحر إلا لحجة أو عمرة أو غزو أبو داود من حديث عبد الله بن عمر وقيل إنه منقطع (٣) حديث شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا تقدم صدر الحديث في الباب السادس من العلم وروى أبو نعيم في كتاب حرمة الساجد من حديث ابن عباس أبيه البقاع إلى الله الأسواق وأبض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا (٤) حديث سؤله عن اللبن والشاة وقوله إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضعيف (٥) حديث إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

استغفارهم فلهذا المني
يقفون في صف النعال
على أقدامهم تواضعا
وانكسارا وجمعت
شيخنا يقول للفقير إذا
جري بينه وبين بعض
إخوانه وحشة قم
واستغفر فيقول الفقير
مأري باطن صافيا ولا
أوتر القيام للاستغفار
ظاهرا من غير صفاء
الباطن فيقول أنت قم
فبركة سعيك وقيامك
ترزق الصفاء فكان
يجد ذلك ويرى أثره
عند الفقير وترقى
القلوب وترفع الوحشة
وهذا من خاصية هذه
الطائفة لا يبتسون
واليوطن منظوية على
وحشة ولا يجتمعون
للطعام واليوطن تضمر
وحشة ولا يرون
الاجتماع ظاهرا في شيء
من أمورهم إلا بعد
الاجتماع باليوطن
وذهاب التفرقة والشمث
فإذا قام الفقير للاستغفار
لا يجوز رده استغفاره
بحال . روى عبد الله

عن كل ما يجعل إليه (١) وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من سامله فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا سامله وكذا الأجناد والظلة لا سامله أئمة ولا سامل أصحابهم وأعوامهم لأنه معين بذلك على الظلم . وحيكى عن رجل أنه تولى عمارة سور لشر من التنوير قال فوقع في نفس من ذلك شيء وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام ولكن كان الأمير الذي تولى في محلة من الظلة قال فسألت سفيان رضى الله عنه فقال لا تكن عوناً لهم على قليل ولا كثير قلت هذا سور في سبيل الله للسلمين فقال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليفورك أجرك فتكون قد أحبت بقاء من يصى الله وقد جاء في الخبر « من دعا لظلم بالبقاء قد أحب أن يصى الله في أرضه » (٢) وفي الحديث « إن الله لا ينضب إذا مدح الناس » (٣) وفي حديث آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام » (٤) ودخل سفيان على الهدي ويده درج أبيض فقال يا سفيان أعطني البوابة حتى أكتب قال أخبرني أي شيء تكذب فإن كان حقاً أعطيتك وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوبين عنده أن يناوله طيناً ليختم به الكتاب فقال ناوطني الكتاب أولاً حتى أنظر ما فيه فكنا كناوا يحترزون عن معاونة الظلة ومعاملتهم أشد أنواع الاعانة فبينى أن يجتنبها ذوو الدين ما وجدوا إليه سبيلاً وبالجملة فبينى أن ينضم الناس عنده إلى من سامل ومن لا سامل ولكن من سامله أقل ممن لا سامله في هذا الزمان قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من تزولى أن أعامل من الناس فيقاله عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم أتى زمان آخر فكان يقال لا سامل أحداً إلا فلانا وفلانا وأخشي أن يأتي زمان يذهب هذا أيضاً وكأنه قد كان الذي كان يحذر أن يكون إماماً لله وإنما إليه راجعون . السابع : ينبغي أن يراقب جميع مجارى معاملته مع واحد من معامليه فانه يراقب ومحاسب فيلعب الجواب يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئاً وقفة ومحاسب عن كل ماذا فانه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئاً وقفة ومحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم قلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خسين ألف صحيفة قلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس يمدد كل انسان عاملة في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول معاملته إلى آخرها فهذا ما على المكتسب في عمله من العدل والإحسان والشفقة على الدين فإن اقتصر على العدل كان من الصالحين

(١) حديث كان لا يسأل عن كل ما يجعل إليه أحمد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة الحديث فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمعة فلم يستطع أن يسقيها فقال هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها الحديث وله من حديث أبي هريرة كان إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه الحديث وإسناده جيد وفي هذا أنه كان لا يسأل عما أتى به من عند أهله والله أعلم (٢) حديث من دعا لظلم بالبقاء فقد أحب أن يصى الله في أرضه ثم أجده مرفوعاً وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من قول الحسن وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب في آفات اللسان (٣) حديث إن الله ليغضب إذا مدح الناس ابن أبي الدنيا في الصمت وابن عدي في الكامل وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب بدعة الحديث رواه ابن عدي من حديث عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزي كلها موضوعة

ابن عمر رضى الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « ارحموا
زحموا واغفروا يغفر
لكم » . ولصوفية في
تحليل يد الشيخ بعد
الاستفار أصل من
السنة . روى عبد الله
ابن عمر قال « كنت في
سرية من سرايا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فخاص الناس جماعة
فكنت فيمن خاص
قلنا كيف نصنع وقد
فررنا من الحفويونا
بالضرب قلنا لو دخلنا
للدنية قتبنا فيها ثم قلنا
لو عرضنا لأفشنا على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فإن كان لنا توبة
وإلا ذهبنا فأثنياء
قبل صلاة الفداة غفر
قال من اليوم قلنا نحن
الفرارون قال لا بل
أنتم المكارون أنا فتسكم
أنا فئة السلمين » يقال
عكر الرجل إذا تولى ثم
كر راجعاً والعكار
العتاف والرجاع « قال
فأثنياء حتى قبلنا يده »

وإن أضاف إليه الإحسان كان من للقرين وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر في الباب الخامس كان من الصديقين والله أعلم بالصواب ثم كتاب آداب الكسب والعيشة بمحمد الله ومنه .

(كتاب الحلال والحرام)

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم اعتدال ، ثم غذاه في أول نشوء بلبن استصفاً بين فرث ودم سائماً كاللؤلؤ الزلال ، ثم حماه بما آتاه من طبقات الرزق عن دوايح الصف والاخلال ، ثم قدس شهوته بالمأدبة عن السطوة والعيال ، وقهرها بما أقرضه عليهم طلب القوت الحلال ، وهزم بكسرهما جند الشيطان للتشمر للاضلال ، ولقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيل ، فضيق عليه عزه الحلال المجرى والجبال ، إذا كان لا يذوقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة الثالثة إلى الغلبة والامترسال ، فبقى لمازمت بزمام الحلال خائباً خاسراً ماله من ناصر ولا وال . والصلاة على محمد الهادي من الضلال وعلى آل خير آل وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد . فقد قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » (١) . رواه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فهماً وأتملها على الجوارح فعلاً ولذلك اندرس بالكية علماً وعملاً وصار مخوض على سبيل لا لندرس عمله إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود وأن السبيل دون الوصول إليه مسدود وأنه يبق من الطيبات إلا اللاء القرات والحشيش الثابت في الموات وماعده قد أخبته الأيدي العادية وأفسدته اللامعات الفاسدة وإذا عذرت القناعة بالحشيش من الثبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المهرمات فرفضوا هذا القطب من الدين أصلاً ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفضلا وهيئات هيئات فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف القطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ولا يخرجها التضييق عن حيز الإيمان . ونحن نوضح ذلك في سبعة أبواب . الباب الأول : في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام . الباب الثاني : في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام . الباب الثالث : في البحث والسؤال والمجهوم والأجهال ومظانها في الحلال والحرام . الباب الرابع : في كيفية خروج التائب عن النظام للسالية . الباب الخامس : في إدارات السلاطين وصلاتهم وما يعل منها وما يحرم . الباب السادس : في الدخول على السلاطين ومخالطتهم . الباب السابع : في مسائل متفرقة .

(الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام ، وبيان أضافات الحلال

ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه)

(فضيلة الحلال ومذمة الحرام)

(كتاب الحلال والحرام)

(الباب الأول في فضيلة طلب الحلال)

(١) حديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة على كل مسلم تقدم في الزكاة دون قوله على كل مسلم وللطبراني في الأوسط من حديث أنس وأوجب على كل مسلم وإسناده ضعيف .

وروى أن أبيه

ابن الجراح قبل يدعمر

عند قدومه وروى

عن أبي مرثد القنوي

أنه قال « أتينا رسول

الله صلى الله عليه وسلم

فزلت إليه وقبلت يده »

فهذا رخصة في جواز

تقبيل اليد ولكن

أدب الصوفي أنه متى

رأى شئ تميز

بذلك أو يظهر بوصفها

أن يتنعم من ذلك فإن

سلم من ذلك فلا بأس

بتقبيل اليد ومعاظمتهم

للاخوان عقيب

الاستغفار لرجوعهم

إلى الألفة بعد الوحشة

وقدومهم من سفر

الهجرة بالفرقة إلى

أوطان الجمعية بظهور

النفس تقربوا وبسوا

وفضة النفس

والاستغفار قدموا

ورجوا ومن استغفر

إلى أخيه ولم يقبله فقد

أخطأ فقد ورد عن

رسول الله صلى الله

عليه وسلم في ذلك

وعيد روى عنه عليه

قال الله تعالى - كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل وقيل إن الراد به الحلال وقال تعالى - ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - وقال تعالى - إن الدين بأكل أموال الناس التي حرام - الآية . وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بينكم وبين الدين إن كنتم مؤمنين - ثم قال - فإن لم تعملوا فأذنوا بحرام من الله ورسوله - ثم قال - وإن تبتم فلكم دروس أموالكم - ثم قال - ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - جعل أكل الربا أول الأمر مؤذنا بحجارة الله وفي آخره متعرضا لنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لأخصي وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولما قال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ^(١) » قال بعض العلماء أراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ^(٣) » وفي رواية « زهد الله في الدنيا » وروى « أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله حجاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك ^(٤) » ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحرام برفع يديه فيقول يارب يارب فأتى يستجاب لذلك ^(٥) » وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل ^(٦) » قيل الصرف النافعة والعمل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته لئلا يخالطه شيء ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالتار أو لى به ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم تقدم في العلم (٢) حديث من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا في عفاف كان في درجة الشهداء الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة من سعى على عياله في سبيل الله ولأبي منصور في مسند الفردوس من طلب مكبة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسئة الناس ولله وبياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين وإسنادها ضعيف (٣) حديث من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أيوب من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولأبي عدى نحوه من حديث أبي موسى . وقال حديث منكر (٤) حديث أن سعدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يجعله حجاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا يعرفه (٥) حديث رب أشعث مثرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ ثم ذكر الرجل يظيل السفر أشعث أغبر الحديث (٦) حديث ابن عباس إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل لم أقف له على أصل ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود من أكل لقمة من حرام لم يقبل منه صلاة أربعين ليلة الحديث وهو منكر (٧) حديث من اشترى ثوبا بشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (٨) حديث كل لحم نبت من الحرام فالتار أو لى به الترمذي من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم

للصلاة والسلام أنه قال « من اعتذر إليه أخوه مغلوبة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب الكوس » وروى جابر أبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اتصل إليه فلم يقبل لم يرد الخوض » ومن السنة أن يقدم للاخوان شيئا بعد الاستغفار روى أن كعب بن مالك قال لني صلى الله عليه وسلم : إن من توبخ أن أدخل من مالي كله وأهجر دارقوبى التي فيها أثبت الدين . قاله النبي عليه الصلاة والسلام « يجزيك من ذلك الثلث » فصار سنة الصوفية للطلبة بالترامة بعد الاستغفار وللأفارقة وكل قسم رعاية التألف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كأن ظواهرهم تخردوا به من بين طوائف الإسلام . ثم

« من لايال من أين اكتسب المال لم يال الله من أين أدخله النار ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « الصادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال ^(٢) » روى هذا مرفوعاً وموقوفاً على بعض الصحابة أيضاً وقال صلى الله عليه وسلم « من أمسى وائياً من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنراض ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قدّفه في النار ^(٤) » وقال عليه السلام « خير دينكم الورع ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من لقي الله ورعاً أعطاه الله ثواب الاسلام كله ^(٦) » وروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه وأما الورعون فأنا استحي أن أحاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم « درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زينة في الاسلام ^(٧) » وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه « للعدة حوض اليدن والعروق إليها واردة فإذا صحت للعدة صدرت العروق بالصحة وإذا صحت صدرت بالسقم ^(٨) » ومثل الطمعة من الدين مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع وإذا ضنف الأساس واعوجّ انهار البنيان ووقع . وقال الله عز وجل - أفئن أسس بنيانه على تقوى من الله - الآية وفي الحديث « من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاهداً إلى النار ^(٩) » وقد ذكرنا جملة من الأخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال . وأما الآثار : فقد ورد أن الصديق رضى الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم إني اعتذر إليك بما حملت العروق وخالط الأعمام ^(١٠) » وفي بعض الأخبار أنه

(١) حديث من لم يال من أين اكتسب المال لم يال الله عز وجل من أين أدخله النار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال ابن العري في عارضة الأحوذى شرح الترمذى إنه باطل لم يصح ولا يصح (٢) حديث العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال أبو منصور الديلمي من حديث أنس إلا أنه قال تسعة في الصمت والمباشرة كسب اليد من الحلال وهو منكر (٣) حديث من أمسى وائياً من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه راض الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفوراً له وفيه ضعف (٤) حديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قدّفه في النار أبو داود في الراسيل من رواية القاسم بن عيمرة مرسل (٥) حديث خير دينكم الورع تقدم في العلم (٦) حديث من لقي الله ورعاً أعطاه ثواب الاسلام كله لم أنف له على أصل (٧) حديث درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زينة في الاسلام أحمد والدارقطنى من حديث عبد الله بن حنظلة وقال ستة وثلاثين ورجاله ثقات وقيل عن حنظلة الزاهد عن كعب مرفوعاً والطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ثلاثة وثلاثين وسنده ضعيف (٨) حديث أنى هريرة للعدة حوض اليدن والعروق إليها واردة الحديث الطبراني في الأوسط والعقبى في الضعفاء وقال باطل لأصله (٩) حديث من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاهداً إلى النار أحمد بن محمد بن حديث ابن مسعود بسند ضعيف ولابن حبان من حديث أنى هريرة من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه (١٠) حديث إن أباً بكر شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي وفي بعض الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك قال أوما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً البخارى من حديث عائشة كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجها فجاء يوماً بشئ فأكل منه أبو بكر .

شرط الفقير الصادق إذا سكن الرباط وأراد أن يأكل من وقتها وما يطلبه لكانه بالبروزة أن يكون عنده من الشغل بالله ما لا يسهه الكسب وإلا إذا كان البطالة والحوض فيها لا يبنى عنده مجال ولا يقوم بشروط أهل الارادة من الجهد والاجتهاد فلا ينبغي له أن يأكل من مال الرباط بل يكتسب ويأكل من كسبه لأن طعام الرباط لا يقوام كعمل شغلهم بالله غفمتهم الدنيا لشغلهم بخدمة مولايم إلا أن يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق ينتفع بصحته ويهدى بهديه فيرى الشيخ أن يطعمه من مال الرباط فلا يكون تصرف الشيخ إلا بصحة بصيرة ومن جملة ما يكون للشيخ في ذلك من النية أن يشغله بخدمة الفقراء

صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك قال أوما علمت أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً وكذلك شرب عمر رضى الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطاً فأدخل أصبعه وتيمأ وقالت عائشة رضى الله عنها إنكم لتخفون عن أفضل البادية هو الورع وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما وصليتم حتى تكونوا كالخنايا وصتمت حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بزور حاجز وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ما أدرك من أدرك إلا من كان يقبل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صدقاً فانظر عند من تخطى يأسك من قيل لإبراهيم بن آدم رحمه الله لا تتعرب من ماء زمزم قال لو كانى دلو شربت منه وقال سفيان الثوري رضى الله عنه من أتقى من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهر إلا بالماء والذنب لا يكفر إلا بالحلال وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء وأسنانها قم الحلال وقال ابن عباس رضى الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ الصدقة حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال : أداء القرائن بالنسبة وأكل الحلال بالورع واجتناب التيمم من الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت وقال من أحب أن يكشف بآيات الصديقين فلا يأكل كل إلا حلالاً ولا يمسك إلا في سنة أو ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين يوماً ظم قلبه وهو تأويل قوله تعالى - كلا بل يدان على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال ابن المبارك ردّ درهم من شبهة أحب إلى من أن تصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف الفسومة ألف حتى يبلغ إلى سبائة ألف وقال بعض السلف إن البهيد يأكل أكلة فينقلب قلبه فينقلب كما ينقلب الأديم ولا يعود إلى حاله أبداً وقال سهل رضى الله عنه من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أو لم يعلم ومن كانت طمعة حلالاً طاعته جوارحه ووقت للخيرات وقال بعض السلف إن أول قمة يأكلها البهيد من حلال يفر له ما لطف من ذنوبه ومن أقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتنساقط ورق الشجر . وروى في آثار السلف أن الواضع كان إذا جلس للناس قال الطساء تفقدوا منه ثلاثاً فإن كان متغذياً لبدعة فلا تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سيء الطعمة فمن الهوى ينطق فإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الأخبار الشهيرة عن علي عليه السلام وغيره إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب . وروى أن بعض الصالحين دفع طعاماً إلى بعض الأبدال فلم يأكل فسأله عن ذلك فقال نحن لأننا كل لإحلالاً فذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف للسكرات ونشاهد الآخرة ولو أكلنا بما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى سيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فاني أصوم الدهر وأتمم القرآن في كل شهر ثلاثين مرة فقال له البدال هذه الشربة التي رأيته شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين ختمة في ثلثائة ركعة من أعمالك وكانت شربته من لبن طيبة وحشة وقد كان بين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين محبة طويلة فجهزه أحمد إذ صممه يقول لى أنسأله أحدا شيئاً ولو أعطاني الشيطان شيئاً لأكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت أمزج فقال تمزج بالدين أما علمت أن الأكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - وفي الخبر أن مكتوباً في التوراة « من لم يبال من ابن مطعم لم يبال الله من أى أبواب النيران أدخله » وعن علي رضى الله عنه أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاماً إلا محتوماً حذراً من الشبهة واجتمع الفضيل بن عياض

وقال له الغلام أتدرى ما هذا فقال وما هو قال كنت تسكنت لساناً في الجاهلية فذكره دون الرفوع منه فلم أجده .

فيكون ما يأكله في مقابلة خفتمته . روى عن ابن عمر والثرجاني قال أفتت عند الجعيد معة فما رأي قط إلا وأنا مشغل بنوع من العبادة فما كفى حتى كان يوم من الأيام خلا للوضع من الجماعة قمت وزعت ثيابي وحسنت للوضع ونظفنته ورعشتة وضلعت موضع الطهارة فرجع الشيخ ورأى على أثر الفبار فدعا لي ورحب بي وقال أحسنت عليك بها ثلاث مرات ولا يزال المشايخ الصوفية يدبون الشباب إلى الخدمة حفظاً لهم عن البطالة وكل واحد يكون له حظ من العائسة وحظ من الخدمة . روى أبو محذورة قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا الأذان والسقاية لئني هاشم والحجابة لئني عبد الله وهذا يقتدى مشايخ

وابن عينة وابن البارك عندوهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من أحب الطعام إلى
الأنبياء لا آكله لاختلاط رطب مكة بيساتين زيدة وغيرها فقال له ابن البارك إن نظرت في مثل هذا
ضاق عليك الحزب قال وماسيه قال إن أصول الضياع قد اختلطت بالصوافي فتش على وهيب فقال سفيان
قتلت الرجل فقال ابن البارك ما أردت إلا أن أهون عليه فلما أفاق قال لله على أن لا آكل خبزاً أبداً
حتى ألقاه قال فسكان يشرب اللبن فأتته أمه بلبن فسألها فقالت هو من شاة بني فلان فسأل عن ثمنها
وأنه من أين كان لهم فذكرت فلما أدناه من فيه قال بقي أنها من أين كانت ترى فسكت فلم يشرب لأنها
كانت ترى من موضع فيه حق للمسلمين فقالت أمه اشرب فإن الله يغفر لك فقال ما أحب أن يغفر لي
وقد شرته فقال مغفرته بمصعبته وكان يشرب الحاقى رحمه الله من الورد عين قليله من أين تأكل ؟ قال
من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبيى كمن يأكل وهو يضحك وقال يد أقصر من يد
ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات .

(أصناف الحلال ومداخله)

اعلم أن تفصيل الحلال إنما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغنى الريد عن تطويله بأن يكون له طعمه
معينة يعرف الفتوى حلها لا يأكل من غيرها فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى
علم الحلال والحرام كله كاستلثائه في كتب الفقه ونحن الآن نشير إلى مجامعه في سياق تقسيم وهو الأكل
بما يحرم إسلامي في عينه أو لحلل في جهة اكتسابه .

(القسم الأول)

الحرام لصفة في عينه كالخمر والحزير وغيرها وتفصيله أن الأعيان للأكل كولة على وجه الأرض لا تمدو
ثلاثة أقسام فإما أن تكون من المعادن كالملح والطين وغيرها أو من النبات أو من الحيوانات .
أما المعادن فهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالأكل
وفي بعضها ما يجري مجرى السم والحزير لو كان مضراً لحرم أكله والطين الذي ينادى أكله لا يحرم
إلا من حيث الضرر فائدة قولنا إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل أنه لو وقع شيء منها في مرقعة أو طعام
مائع لم يضر به محرماً . وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصفة فزيل العقل
السبع والخمر وسائر السكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصحة الأدوية في غير وقتها وكان مجموع
هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والسكرات فإن الذي لا يسكر منها أيضاً حرام مع قتله لعينه ولصفته
وهي الشدة الطرية وأما السم فاذا خرج عن كونه مضراً لقلته أو لمجنه بغيره فلا يحرم وأما الحيوانات
فتقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الأطعمة والنظر يطول في تفصيله لأسباب في
الطيور الثرية وجبوانات البر والبحر وما يملأ كالهناج إذا ذبح ذبحاً شرعياً رومي فيه
شروط الذابح والآلة والذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحاً شرعياً أو مات
فمحرماً ولا يملأ إلا الميتان السمك والجراد وفي مناهج ما يستحيل من الأطعمة كدود الفاع والحل
والجن فإن الاحتراز منها غير ممكن فأما إذا أفردت وأكلت فتحكمها حكم الدباب والحفشاء والقنبر
وكل ما ليس له نفس سائلة لا سبب في تحريمها إلا الاستفاد ولولم يكن لسان لا يكره فإن وجد شخص
لا يستطيعه لم يثقل في خصوص طبعه فإنه التحق بالجنائز لمصوم الاستفاد فيكره أكله كالجوارح الخاط
وشربه كرم ذلك وليست السكرات أنجاستها فإن الصحيح أنها لا تنجس بالموت إذا أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأن يثقل الدباب في الطعام إذا وقع فيه ^(١) وربما يكون حراماً ويكون ذلك سبب موته

(١) حديث الأمر بأن يثقل الدباب في الطعام إذا وقع فيه البخاري من حديث أبي هريرة .

الصوفية في تغريق
الحكم على الفقراء ولا
يعذر في ترك نوع من
الحكمة إلا كامل
الشغل بوقته ولا يني
بكامل الشغل شغل
الجوارح ولكن يني به
دوام الرعاية والحاجة
والشغل بالقلب والقاب
وقتا وبالقلب دون
القاب وقتا وتنفذ
الزيادة من نقصان
فإن قيام الفقير بحقوق
الوقت شغل تام وبذلك
يؤدي شكر نعمة
الفرار ونعمة الكفاية
وفي البطالة كفران
نعمة الفراغ والكفاية
أخبرنا شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب
عبدالقاهر إجازة قال
أنا عمر بن أحمد بن
منصور قال أنا أحمد بن
خلف قال أنا الشيخ
أبو عبد الرحمن محمد
ابن الحسين قال سمعت
أبا الفضل بن حمدون
يقول سمعت علي بن
عبد الحميد القضايري
يقول سمعت السري

ولو تهرت غلة أو ذبابة في قدر لم يجب إراقها إذ الاستفد هو جرمة إدا بق له جرم ولم ينحس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على أن تحرجه للاستفد ولتلك تقول لو وقع جزء من آدمى ميت في قدر ولو وزن دائق حرم السكول لانجاسته فان الصحيح أن الآدمي لا ينحس بالموت ولكن لأن أكله محرم احتراما لاستفدارا وأما الحيوانات للأ كولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع أجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس في الأعيان شيء محرم بحسب إلامن الحيوانات وأمانن النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيد العقل ولا يسكر كالنبيج فان نجاسة السكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظلة التشوف ومهما وقصت قطرة من النجاسة أو جزء من نجاسة جامدة في مرقعة أو طعام أو دهن حرم أكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الأكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته .

(القسم الثاني ما يحرم لحلل في جهة إثبات اليد عليه)

وفي بعض النظر فتقول أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بغير اختياره فالثاني يكون بغير اختياره كالإرث والذي يكون باختياره إما أن لا يكون من مالك كنبيل للماد أو يكون من مالك والذي أخذ من مالك فاما أن يؤخذ قهرا أو يؤخذ تراضيا ولأخذ قهرا إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالفنم أو لاستحقاق الأخذ كزكاة الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم ولأخذ تراضيا إما أن يؤخذ بعوض كالبيع والصدقات والأجرة وإما أن يؤخذ بغير عوض كالهبه والوصية فيحصل من هذا السياق ستة أقسام . الأول : ما يؤخذ من غير مالك كنبيل للماد وإحياء الموات والاصطياد والاختطاب والاستقاء من الأنهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط أن لا يكون للأخذ حصصا بذي حرمة من الآدميين فاذا انفك من الاختصاصات ملكها أخذها وتفصيل ذلك في كتاب إحياء الموات . الثاني : للأخذ قهرا ممن لا حرمة له وهو النقي . والثنية وسائر أموال الكفار والمغاريين وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا منها الخس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير من كتاب النقي والثنية وكتاب الجزية . الثالث : ما يؤخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من وجب عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان أو مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات إذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت شرائطها كان للأخذ حلالا . الرابع : ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال إذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط القظين أعني الإيجاب والقبول مع ما تبعد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة ويان ذلك في كتاب البيع والسلم والإجارة والحالة والضمان والقراض والشركة والساقاة والشفعة والصلح والحلع والكتابة والصدقات وسائر المعاريض . الخامس : ما يؤخذ عن رضا من غير عوض وهو حلال إذا روعي فيه شرط العقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بوارث أو غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات . السادس : ما يعمل بغير اختيار كالإرث وهو حلال إذا كان الورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والجلب والكتابة إن كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والقراض فهذه مجامع مداخل الحلال والحرام أو مانا إلى جعلتها ليعلم الريد أنه إن كانت طعمته متفرقة لأمس جهة معينة فلا يستغنى عن

يقول من لا يعرف قدر التمسك بها من حيث لا يعلم . وقد يندر الشيخ العاجز عن الكسب في تناول طعام الرباط ولا يندر الشاب هذا في شرط طريق القوم على الإطلاق فاما من حيث قنوى الشرع فان كان شرط الوقف على التصوفة وعلى من تزييا بزي للتصوفة ولبس خرقهم فيجوز أكل ذلك لهم على الإطلاق قنوى وفي ذلك القناعة بالرخسة دون العزعة التي هي شغل أهل الإرادة وإن كان شرط الوقف على من يسلك طريق الصوفية عملا وحالا فلا يجوز أكل لأهل البطالات والراكتين إلى تنصيع الأوقات وطرق أهل الإرادة عند مشايخ الصوفية مشهورة . أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح قال أنا أبو الفضل

علم هذه الأمور فكل ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغي أن يستحق فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فإنه كما يقال للعالم لم خالفت عليك يقال للجاهل لم ألزمت جهلك ولم تعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم .

(درجات الحلال والحرام)

اعلم أن الحرام كله خبيث لكن بهمه أخبث من بعض الحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأصنى من بعض وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الأولى كالسكر وبعضها حار في الثانية كالقانيذ وبعضها حار في الثالثة كالذهب وبعضها حار في الرابعة كالعسل وكذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى وبعضه في الثانية أو الثالثة أو الرابعة وكذا الحلال تفاوت درجات صفاته وطيبه فلتقتد بأهل الطب في الاصطلاح على أربع درجات تقريرا وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر إذ ينطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضا تفاوت لا ينحصر فإن من السكر ماهو أشد حرارة من سكر آخر وكذا غيره فذلك يقول الورع عن الحرام على أربع درجات : ورع المدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به وثبت اسم الصالحين والعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما محرره فتاوى الفقهاء . الثانية : ورع الصالحين وهو الامتناع عما ينطرق إليه احتمال التحريم ولكن اللقي برخص في تناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجلة فلنستمع التخرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية . الثالثة : ما تحرره القوى والاشبهة في حله ولكن يخاف منه أذاه إلى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهذا ورع المتقين قال صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس »^(١) الرابعة : ما لا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ولكنه يتناول لتبرأه على غير نية التقوى به على عبادة الله أو تنطرق إلى أسبابه للسبهة له كراهية أو معصية والامتناع منه ويرجع الصديق فلهذه درجات الحلال جملة إلى أن تفصلها بالأمثلة والشواهد . وأما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الأولى وهو الذي يشترط التنوع عنه في العدالة وإطراح صفة الفسق فهو أيضا على درجات في الحبث فالأخوذ بمقد فاسد كالمعاطاة مثلا فبالا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة للنصوب على سبيل القهر بل للنصوب أغلظ إذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وإيذاء الغير وليس في المعاطاة إيذاء وإنما فيه ترك طريق التقصد فقط ثم ترك طريق التقصد بالمعاطاة أعون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده في بعض النامى على ما سيأتى في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل للأخوذ ظنا من فقير أو صالح أو من يقيم أخبث وأعظم من للأخوذ من قوى أو غنى أو فاسق لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى فهذه دقائق في تفاصيل الحبث لا ينبغي أن يذهل عنها فلو لا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار وإذا عرفت مئارات التخليط فلا حاجة إلى حصره في ثلاث درجات أو أربعة فإن ذلك جار مجرى التحكم والمشهى وهو طلب حصرها لاجراسله ويدل على اختلاف درجات الحرام في الحبث ما سيأتى في تمارض المندورات وترجيح بعضها على بعض حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فانا نخدم بعض هذا على بعض .

(١) حديث لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس ابن ماجه وقد تقدم .

حيد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف قال حدثنا جعفر الثوري قال حدثنا محمد بن الحسين البلخي بسمرقند قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا سعيد بن أبي أيوب الحرزعي قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن أبي سليمان الليثي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل للؤمن كمثل القرس في أخيته يجول ويرجع إلى أخيته وإن للؤمن يسوء ثم يرجع إلى الإيعان فاطمئنا طمأنكم الأضياء وأولو معروفكم المؤمنين » . [الباب السادس عشر في ذكر اختلافه أحوال مشايخهم في السفر والقام] اختلف أحوال مشايخ الصوفية فمنهم من سافر في

(أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا)

أما الدرجة الأولى : وهي ورع العدول فكل ما اتقى الفتوى تحريره مما يدخل في الداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لتقيد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتضاه إلى الفسق والمعصية وهو الذي يزيد الحرام المطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد . وأما الدرجة الثانية : فأمثلها كل شبهة لانوجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتي في باب الشبهات إذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع الموسمين كمن يتنعم من الاصطياد خوفا من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه . وملسكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى ما لا يريك (١) » ونعمه على نهي التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كل ما أصيبت ودع ما أئمت (٢) » والإيماء أن يجرح الصيد فينبغي عنه ثم يدركه ميتا إذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر والذي تختاره كما سيأتي أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع ما يريك أمر تنزيه إذ ورد في بعض الروايات كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في السكب العلم : وإن أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه على سبيل التنزيه لأجل الخوف إذ قال لأبي ثعلبة الحبشي « كل منه فقال وإن أكل منه فقال وإن أكل (٣) » وذلك لأن حالة أبي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا تحتمل هذا الورع وحال عدى كان محتمله . يحكي عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به فأمثلة هذه الدرجة نذكرها في العرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابها فهو مثال هذه الدرجة . أما الدرجة الثالثة : وهي ورع التيقن فيشبه لها قوله ﷺ « لا يبلغ العبد درجة التيقن حتى يدع مالا بأس به عفاة ماله بأس » وقال حمير رضي الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال عفاة أن تقع في الحرام وقيل إن هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال أبو الدرداء إن من تمام التقوى أن يتيقن العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان فحلقها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء السكك خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرز فكل ما يستوفيه يأخذه بنقصان حبة وما يطليه يوفيه بزيادة حبة ليسكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس فإن ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجر إلى غيره وتألف النفس الاسترسال وترك الورع فمن ذلك ما روى عن علي بن مبيد أنه قال كنت ساكنا في بيت بكرا فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأثر به وأجفئه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتي فلما نمت فاذا أنا بشخص واقف يقول يا علي بن مبيد سيعلم غدا الذي يقول وما قدر تراب من حائط لولم معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته فان التقوى درجة تقوت بقوات ورع التيقن وليس المراد به أن يستحق

بدايته وأقام في نهايته ومنهم من أقام في بدايته وصافر في نهايته ومنهم من أقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الإقامة وتشرح حال كل واحد منهم ومقصده فبا رام فأما الذي صافر في بدايته وأقام في نهايته قصده بالسفر لمان منها تعلم شيء من العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالطين » وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كفة تدل على هدى ما كان سفره ضائعا . ونقل أن جابر بن عبد الله حل من المدينة إلى مصر في شهر لحدث بلغه أن أنسا يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » وقيل في تفسير قوله تعالى - السائحون -

عقوبة على فعله ، ومن ذلك ما روى أن عمر رضى الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين قالت امرأته عاتكة أنا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لأجيب أن أقضيه بكفة ثم تقولين فيها أثر القبار تمسحين بها عنك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين . وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فأخذ بأفقه حتى أناصيه الرائحة وقال وهل ينفع منه إلا برحمة لا استبعد ذلك منه « وأخذ الحسن رضى الله عنه ثمرة من تمر الصدقة وكان صغيرا فقال عليه السلام كع كع ^(١) » أى ألقها ، ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند محضر فأتى ليل قال أطفئوا السراج قد حدث للورثة حق في الدهن ، وروى سليمان التيمي عن نسيمة المطارة قالت كان عمر رضى الله عنه يدفع إلى امرأته طيبا من طيب المسلمين لتيمة فباعنى طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر بأصنافها فعلق بأصبعها شيء منه فقالت به هكذا بأصبعها ثم مسحت به فخارها فدخل عمر رضى الله عنه فقال ما هذه الرائحة فأخبرته فقال طيب المسلمين تأخذينه فانتزع الحمار من رأسها وأخذ جرة من الساء فجعل يصب على الحمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شيء بأصبعها فأدخلت أصبعها فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر رضى الله عنه وورع التقوى لحوف أداء ذلك إلى غيره . وإلا ففضل الحمار ما كان بعيد الطيب إلى المسلمين ولكن أثقله عليها زجرا وردعا واثقا من أن يتعدى الأمر إلى غيره ، ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد يجعل بحجرة لبعض السلاطين ويخبر المسجد بالعود فقال ينبغي أن يخرج من المسجد فإنه لا ينفع من العود إلا براحمته وهذا قد يقارب الحرام فإن القدر الذى يبقى شوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يدخل به فلا يدري أنه يتسامح به أم لا ، وسئل أحمد بن حنبل عن من سقطت منه ورقة فيها أحاديث فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردّها فقال لا بل يستأذن ثم يكتب ، وهذا أيضا قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا فيأخذه في محل الشك والأصل تحريره فهو حرام وتركه من الدرجة الأولى ومن ذلك النوع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها وإن كانت الزينة مباحة في نفسها ، وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السنية فقال أما أنا فلا أستعملها ولكن إن كان للطين فأرجو وأما من أراد الزينة فلا ، ومن ذلك أن عمر رضى الله عنه لماولى الخلافة كاتله زوجة يجهها فطلعتها خيفة أن تشير عليه بشفاعه في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة بما به البأس أى مخافة من أن يفضى إليه وأكثر للباحث داعية إلى المخطورات حتى استكثر الأكل واستعمال الطيب المعتزب فإنه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو إلى الفكر والفكر يدعو إلى النظر والنظر يدعو إلى غيره وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجميلهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرس ويدعو إلى طلب مثله ويؤزم منه ارتكاب ما لا يخل في تحصيله وهكذا للباحث كلها إذا لم يؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرر من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو عاقبتهم عن خطر وكذا كل ما أخذ بالشهوة قلما تخلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال أما تجصيص الأرض فيمنع التراب وأما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تجصيص للساجد وتزيينها واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كرهش موسى ^(٣) »

(١) حديث أخذ الحسن بن علي ثمرة من الصدقة وكان صغيرا قال النبي صلى الله عليه وسلم كع كع كع ألقها . البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كرهش موسى الشارقي في الإفراد من حديث أبي الدرداء وقال غريب .

أهم طلاب العلم . حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو العجب السمروردي إماما قال أنا أبو الفتح عبد الملك الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا أبو العباس الجبوي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال ، حدثنا وكيع قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أبي هريرة قال كنا نأتى أبا سعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الناس لكم تبع وإن الرجال بأنوسكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا » وقال عليه السلام « طلب العلم فرصة على كل مسلم » وروى عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى أوحى إلى إنسان

وإنما هو شيء مثل الكحل يطل به فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السالم الثوب الرقيق وقالوا من رقى ثوبه رقى دينه وكل ذلك خوفا من سرعان اتباع الشهوات في اللبائث إلى غيرها فان المخطور والباح تشبههما النفس بشهوة واحدة وإذا تعوت الشهوة للساعة استرسلت فاقضى خوف التقوى الورع عن هذا كله فبكل حلال افك عن مثل هذه الخافعة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف أداءه إلى مصيبة آتية . أما الدرجة الرابعة : وهو ورع الصديقين فالحلال عندهم كل ما لا يتقدم في أسبابه مصيبة ولا يستبان به على مصيبة ولا يتقدم منه في الحال وللآل قضاء وطر بل يتناولونه تعالى قطب والتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله وهؤلاء هم الذين رون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى - قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون - وهزم رتبة الموحدين للتجريد عن حظوظ أنفسهم للتفرد في تعالى بالقصد ولا شك في أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستبان عليه بمصيبة ليتورع عما يقترب بسبب اكتسابه مصيبة أو كراهية فمن ذلك ما روى عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء . فقالت له امرأته لو عشيبت في الدار قليلا حتى يصل الدواء فقال هدم مشية لأعرفها وأنا أحسب نفسي منذ ثلاثين سنة فكأنه لم يحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجز الاقدام عليها . وعن سري رحمه الله أنه قال انتهيت إلى عيشية في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الخشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي إن كنت قدما قلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فتهنئي هانف إن القوة التي أوصلتك إلى هذا الوضع من أين هي فرجست وندمت ومن هذا ما روى عن ذى النون المصري أنه كان جائعا محبوسا فبغت إليه امرأة سالحة طعاما على بدالسجان فلما أكمل ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني أن القوة التي أوصلت الطعام إلى لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع . ومن ذلك أن بشرى رحمه الله كان لا ضرب المأمن الأنهار التي حفرها الأمراء فان الهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالنفع بالهر المحفور بأعمال الأجراء وقد أعطوا الأجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من الصب الحلال من كرم حلال وقال صاحب أفسدته إذ سقيته من الماء الذي يجري في الهر الذي حفرته الظلمة وهذا أبعد عن الظلم من شرب نقي الماء لأنه احتراز من استمداد الصب من ذلك الماء . وكان بعضهم إذ امر في طريق الحج ليرش من المصانع التي عملها الظلمة مع أن الماء مباح ولكنه بقي محفوظا بالمصنع الذي عمل به بما لا حرام فكأنه انتفاع به وامتناع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله لأن يد السجان لا توصف بأنه حرام بخلاف الطبق المنسوب إذا حمل عليه ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالعداء الحرام ولذلك تقيأ الصديق رضي الله عنه من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه فزعم أنه شربه عن جهل وكان لا يجب إخراجه ولكن تخلية البطن عن الحبيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخط في المسجد فان أحد رحمه الله كره جلوس الخياط في المسجد . وسئل عن الغازلي مجلس في قبة في القابر في وقت يخاف من اللطرق قال إنما هي من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها وأطفا بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره ما لهم وامتنع من تسجير تنور الخبز وقد بقي فيه جرم من حطب مكروه وامتنع بعضهم من أن يحكم شمع ناله في مشعل السلطان فهذه دقائق الورع عند السالكين طريق الآخرة والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع محارمته التقوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما أخذ بشهوة أو توصل إليه بمكروه أو اتصل بسببه بمكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكما كان البعد أشد تقديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوارزا على الصراط وأبعد عن أن

سلكه مسلكا في طلب العلم سهلت له طريقا إلى الجنة ومن جهة مقامه في البداية لقاء الصالحين والإخوان الصادقين فله مزيد بقائه على سادى مزيد وقد ينفعه لحظ الرجال كانه يفتقر الرجال . وقد قبل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لحظه وهذا القول في وجهان أحدهما أن الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان نفسه أكثر مما يكلمهم بلسان قوله فإنا نظر الصادق إلى تصاريفه في مودته ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه مذكورة ينتفع بالنظر إليه فهو تقع العظة ومن لا يكون حاله وأفاله هكذا فنظفه أيضا لا ينبغي لأنه يتكلم بهواؤا نورانية القول على قصد نورانية القلب ونورانية القلب حسب الاستقامة والقيام بأوامر حق

تترجح كفة شبهاته على كفة حسناته وتفاوت التازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الحبس ، وإذا علمت حقيقة الأمر فإليك الخيار فإن شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فرخص فلنفسك تخاط وعلى نفسك ترخص والسلام .

(الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثارها وتمييزها عن الحلال والحرام)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يلبسها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه ^(١) » فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة والشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فإن ما لا يعرفه الكثير قد يعرفه القليل فنقول : الحلال للطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات اللوجبة للتحريم في عينه وأصله عن أسبابه ما تطرق إليه تحريم أو كراهية ومثاله اللحم الذي يأخذه الإنسان من الطريق أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقفا عند جمه وأخذه من الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة للطرية في الحجر والتجاسة في البول أو حصل بسبب منبهى عنه قطعا كالحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تحريمه ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فإن صيد البر والبحر حلال ومن أخذ طرية فيحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلتت منه وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد تزلزل من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فتل هذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء البحر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء البحر والاحتراز منه وسواس ، ولنسم هذا الفن ورع اللوموسين حتى نتحقق به أمثاله وذلك لأن هذا ومجرد دلالة عليه نعم لودل عليه دليل فإن كان قاطعا كالوجود حلقه في أذن السمكة أو كان محتملا كالوجود على الظنية جراحة يحتمل أن يكون كذا لا يتقدر عليه إلا بعد الضبط ويحتمل أن يكون جرحا فهذا موضع الورع وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المدوم دلالة كاحتمال المدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير دارا فيغيب عنه المير فيخرج ويقول لله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس إذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المهدورة مانعة من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين فلا سبب لا يشك عقده في النفس حتى يساوى العقل للمقابل له فيصير شكنا ولهذا نقول : من شك أنه صلى ثلاثا أو أربعاً أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التي أداها قبل هذا بشر سنين كانت ثلاثا أو أربعاً لم يتحقق قطعا أنها أربعة وإذا لم يقطع جواز أن تكون ثلاثة وهذا التجوز لا يكون شكنا إذ لم يحضره سبب أو جب اعتقاد كونها ثلاثا فلتتهم حقيقة الشك حتى لا يشكبه الوهم والتجوز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال للطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواء فتاب عنه يقال يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إلى فأكله فأقدمه عليه إقداما على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له فلا ينبغي أن يعد هذا النمط من أقسام الشبهات وإنما الشبهة نعت بها ما لشكبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صادرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين . ومثار الشبهة خمسة :

(الباب الثاني في مراتب الشبهات)

(١) حديث الحلال بين والحرام بين متفق عليه من حديث الثعلبي بن بشر .

المسبوبة وحققتها
والوجه الثاني أن نظر

السلمة الراسخين في العلم

والرجال البالغين تزيان

نافع ينظر أحدهم إلى

الرجل الصادق

فيستكشف بنور

بصيرته حسن استمداد

الصادق واستنباطه

لواهب الله تعالى

الخاصة فيقع في قلبه

عجة الصادق من

الريدين وينظر إليه

نظر عجة عن بصيرة

وهم من جنود الله تعالى

فيصكبون بنظرم

أحوالا سنية وهيون

آثارا مرضية وماذا

يشكر للسكر من قدرة

الله أن الله سبحانه وتعالى

كاجل في بعض الألعى

من الخاصة أنه إذا

نظر إلى إنسان بهلكه

بنظره أن يحمل في نظر

بعض خواص عباده

أنه إذا نظروا إلى طالب

صادق يكسبه حالا

وجادة وقد كان شيخنا

رحمه الله يطوف في

مسجد الحيف بمنى

(التار الأول الشك في السبب الحلل والحرم)

وذلك لا يخلو إما أن يكون متعادلا أو غلب أحد الاحتمالين فإن تعادلا الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يثبت هذا إلا بالأمثال والشواهد فلنقسمه على أقسام أربعة . القسم الأول : أن يكون التحريم معلوما من قبل ثم يقع الشك في الحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها وبمحرم الإقدام عليها . مثاله : أن يرى إلى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري أنه مات بالغرق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق فلا يترك اليقين بالشك كما في الأحاديث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها على هذا ينزل قوله عليه السلام لدى بن حاتم «لأننا كله فقلعه قتل غيرك» (١) «فذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أم ما هو» (٢) وروى «أنه صلى الله عليه وسلم أرق ليلة فقال له بعض نساءه أرتقت يا رسول الله فقال أجل وجدت ثمرة غشيت أن تكون من الصدقة» (٣) وفي رواية «فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة» ومن ذلك ما روى عن بعضهم أنه قال «كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فتركنا منزلا كثير الضباب فيتنا القدور تغلي بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكفأنا القدور» (٤) ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه لم يمسح الله خلقا لجعل له نسلا (٥) وكان امتناعه أولا لأن الأصل عدم الحلل وشك في كون الدج محلا . القسم الثاني : أن يعرف الحلل ويشك في الحرم فالأصل الحلل وله الحكم كما إذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر فقال أحدهما إن كان هذا غرابا فأمرأتى طائقي وقال الآخر إن لم يكن غرابا فأمرأتى طائقي والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يترجمها اجتنابها ولكن الورع اجتنابها وتطبيقها حتى يحل لساير الأزواج وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه للسنة وأتى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال أحدهما لا آخر أنت حسود فقال الآخر أحسنا زوجته طالق ثلاثا فقال الآخرون وأشكل الأمر وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت في الباء والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه . فإن قلت وأي مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فانه لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما يتقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز أن يشربه وإذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يزال بالشك إلا أن ههنا دققة وهو أن وزان الماء أن يشك في أنه طلق زوجته أم لا فيقال الأصل أنه مطلق

(١) حديث لأننا كله فقلعه قتل غيرك كذا قاله لدى بن حاتم متفق عليه من حديثه (٢) حديث إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هبة يسأل عنه البخاري من حديث أبي هريرة (٣) حديث أنه أرق ليلة فقال له بعض نساءه أرتقت يا رسول الله فقال أجل وجدت ثمرة غشيت أن تكون من الصدقة أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن غشيت أن تكون من الصدقة (٤) حديث كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فتركنا منزلا كثير الضباب فيتنا القدور تغلي بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة من بني إسرائيل مسخت فأخاف أن تكون هذه فأكفأنا القدور ابن حبان والبيهقي من حديث عبد الرحمن وحسنه وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخاري وحديث ثابت أصح (٥) حديث أنه لم يمسح الله خلقا لجعل له نسلا مسلم من حديث ابن مسعود .

ويتصفح وجوه الناس
قبل له في ذلك قال
فه جاد إذا نظروا
إلى شخص أكسبه
معادة فأنما أنطلب ذلك
ومن جملة المقاصد في
السفر ابتداء قطع
للمأوفات والانسلخ
من ركون النفس
إلى معهود ومعسوم
والتحامل على النفس
بتجرع مرارة فرقة
الإلاف والخللاف والأهل
والأوطان فمن صبر
على تلك المأوفات
محتسبا عند الله أجرا
فقد حاز فضلا عظيما .
أخبرنا أبو زرعة بن
أبي الفضل الحافظ
القدس عن أبيه قال
أنا القاضي أبو منصور
محمد بن أحمد الفقيه
الأصفهاني . قال أنا
أبو إسحاق إبراهيم بن
عبد الله بن حريش
قوله قال حدثنا
أبو بكر عبد الله
ابن محمد بن زياد
النيسابوري قال حدثنا
يونس بن عبد الأعلى

ووزان مسئلة الطاهر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشبهه عنه فلا يجوز أن يستعمل أحدهما
بغير اجتهاد لأنه قابل بين النجاسة يقين الطهارة فيطل الاستصحاب فكذلك ههنا قد وقع الطلاق
على إحدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فقول أصحاب الشافعي في الإناءين
على ثلاثة أوجه قال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين
الطهارة يجب الاجتناب ولا يفي الاجتهاد وقال المتصددون يمتنع وهو الصحيح ولكن وزانه أن
تسكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزنب طالق وإن لم يكن فمرة طالق فلا جرم لا يجوز له
غشيانها بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة ونحرهما عليه لأنه لو وطئها كان متنعما
لأحرام قطعا وإن وطئ أحدهما وقال أقنصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا
أفترق حكم شخص واحد أو شخصين لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين إذ كل
واحد شك في التحريم في حق نفسه . فإن قيل فلو كان الإناءان لشخصين فينبغي أن يستغنى عن
الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإنائه لأنه يتقن طهارته وقد شك الآن فيه فنقول هذا محتمل في الفقه
والأرجح في ظني اللع وأن تعدد الشخصين ههنا كإحاده لأن صحة الوضوء لا تستدعي ملكا بل وضوء
الإنسان بما غيروه في رفع الحدث كوضوءه بما غيروه فلا يتبين لاختلاف للكل وأحاده أثر بخلاف الوضوء
لزوجته الغير فإنه لا محل ولأن للملاحظات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب
ثبوت الاستصحاب بعلامة يلدغ بها قوة يقين النجاسة للقبالة يقين الطهارة وأبواب الاستصحاب
والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناه في كتب الفقه ولنا قصد الآن إلى التنبيه على
قواعدها . القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليه بظن غالب فهو
مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فإن استند غلبة الظن إلى سبب معتبر شرعا فالذي تختار
فيه أنه محل وأجتنبه من الورع . مثاله : أن يرمى إلى صيد فيضرب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر
سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فإن ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة
أخرى التحق بالقسم الأول وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والمختار أنه حلال لأن
الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والأصل أنه إن طرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا بدفع اليقين
بالشك . فإن قيل فقد قال ابن عباس : كل ما أصحيت ودع ما أمتيت . وروى عائشة رضي الله عنها « أن رجلا
أتى النبي ﷺ بأرنب فقال رمي عرفت فيها سمى فقال أصحيت أو أمتيت فقال بل أمتيت قال إن الليل
خاف من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فلعنه أغان على قتله شيء (١) » وكذلك قال صلى الله عليه وسلم
لعدى بن حاتم في كلبه اللهم « وإن أكل فلأنا كل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه (٢) »
والغالب أن الكلب اللع لابسى خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو أن
الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتام السبب بأن يفضى إلى الموت سلبا من طريان غيره عليه
(١) حديث عائشة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال رمي عرفت فيها سمى فقال أصحيت أو أمتيت قال ربي
أصحيت أو أمتيت قال بل أمتيت قال إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فلعنه أغان على قتله شيء
على قتله شيء وليس هذا من حديث عائشة وإنما رواه موسى بن أبي عائشة عن أبي رزين قال جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصيد فقال إن ربيته من الليل فأعيانى ووجدت سهمى فيه من اللد
وعرفت سمى فقال الليل خلق من خلق الله عظيم لعله إغناك عليها شيء رواه أبو داود في الراسيل
والبيهقي وقال أبو رزين اسمهم مسعود والحديث مرسل قاله البخاري (٣) حديث قال لعدي في كلبه اللهم
وإن أكل فلأنا كل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه متفق عليه من حديثه .

قال حدثنا بن زهب
قال حدثني يحيى بن
عبد الله عن أبي عبد
الرحمن عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص
قال « مات رجل بالمدينة
عن ولدها فبلى عليه
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال
ليت مات بغير مولده
قالوا ولم ذلك يا رسول
الله قال إن الرجل إذا
مات بغير مولده قيس له
من مولده إلى منقطع
أثر من الجنة » ومن
جملة القاصد في السفر
استكشاف دقائق
الفنوس واستخراج
رغواتها ودعائها
لأنها لا تمكاد بتبين
حقائق ذلك بغير السفر
وصي السفسر سفسرا لأنه
يسفر عن الأخلاق
وإذا وقف على داه
يشتمر لداه وقد
يكون أثر السفر في
نفس للبشدي كآثر
الزوال من الصلاة
والصوم والتهجد وغير
ذلك وذلك أن التنفل

وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشبه أن موته على الحلال أو على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيما يطأ عليه . فالجواب أن نهي ابن عباس ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتزهد بدليل ما روى في بعض الروايات أنه قال « كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهلك » وهذا تنبيه على الشيء الذي ذكرناه وهو أنه إن وجد أثرا آخر قد تعارض السببان بعارض الظن وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس للظنون والمسمومات للظنونة وغيرها . وأما قول القائل إنه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكاً في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق إذ الجرح سبب الموت فطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الإجماع على أن من جرح وغاب فوجد ميتاً يجب القصاص على جاحره بل إن سبب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الإنسان فجأة فينبغي أن لا يجب القصاص إلا بحزّ الرقية والجرح للذنب لأن العلل القاتلة في الباطن لا تؤمن ولأجلها يموت فجأة ولا قائل بذلك مع أن القصاص مبنية على الشبهة وكذلك جنين للذكاة حلال ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أول ينفع فيه الروح وغرة الجنين يجب ولعل الروح لم ينفع فيه أو كان قد مات قبل الجنابة بسبب آخر ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستند إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كذا ذكرناه فكذلك هذا وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أخاف أن يكون إنما أسك على خسه » فلتشافي رحمه الله في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لأن السبب قد تعارض إذاً الكلب للملكالة والوكيل يسك على صاحبه فيحل ولو استرسل للعلم بنفسه فأخذ لم يحل لأنه يتصور منه أن يضطاد نفسه ومهما انبث بإشارته ثم كل دل ابتداء انبثائه على أنه نازل منزلة آله وأنه يسمى في وكالته ونيابته ودل أكله آخر على أنه أسك لنفسه لا لصاحبه قد تعارض السبب الدال فيعارض الاحتمال والأصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كالأكل وكل رجلاً بأن يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يحل للموكل وطؤها لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جيباً ولا دليل مرجح وأصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الأول بالقسم الثالث . القسم الرابع : أن يكون الحل معلوماً ولكن يظن على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعاً فيرفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم إذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يفي لحكم مع غالب الظن . ومثاله أن يؤدي اجتهاده إلى نجاسة أحد الإنامين بالاعتداد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجب منع الوضوء به وكذا إذا قال إن قتل زيد عمراً أو قتل زيد صيداً منفرداً بقتله فأمراً طالق فجرحه وغاب عنه فوجد ميتاً حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافعي رحمه الله أن من وجد في القدران ماء مشفياً احتمل أن يكون قتيرو بطول السكت أو بالنجاسة فيستهمله ولو رأى غلبة بالثبوت فيه ثم وجده مشفياً واحتمل أن يكون بالبول أو بطول السكت لم يجز استعماله إذ صار البول الشاهد دلالة مقبلة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشيء فأما غلبة الظن لامن جهة علامة تتعلق بين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رحمه الله عنه في أن أصل الحل هل يزال به إذا اختلف قوله في التوضؤ من أواني الشركين ومن الحر والصلاة في القابر للنبوة والصلاة مع طين الشوارع

صالح سائر إلى الله تعالى من أوطان الصفات إلى محل القربات وللشافعي قطع المسافات وتقلب في القافز والقوافز بحسن النية فله تعالى سائر إلى الله تعالى بمراغمة الهوى ومهاجرة تملذ الدنيا . أخبرنا شيخنا بإجازة قال أنا عمر بن أحمد قال أنا أحمد بن محمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت عبد الواحد ابن بكر يقول سمعت على بن عبد الرحيم يقول سمعت النوى يقول التصوف ترك كل حظ النفس فإذا سافر للبتدى تاركا حظ النفس تطعن النفس وتلين كاتلين بدوام النافة ويكون لها البفرديغ ينهب عنها الحشوة نقول اليوسه الجبلية والبغونة الطليعية كالجلد يمود من هيئة الجلود إلى هيئة الثياب قصود

(١) حديث كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثر سهم غيرك متفق عليه من حديث عدي بن حاتم

أعني المقدار الزائد على ما يتعدى الاحتراز عنه وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمن الحجر ولشركين لأن النجس لا يحمل شربه فأذن مأخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر والذي أخأه أن الأصل هو العبر وأن الصلاة إذا لم تتلق بين التناول لم توجب رفع الأصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في الثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط قد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه أوطن^(١) وحكم حرام شك في طريان محلل عليه أوطن^(٢) وبأن الفرق بين ظن يستند إلى علامة في عين الشيء وبين مالا يستند إليه وكل ما حكمنا في هذه الأقسام الأربعة بحله فهو حلال في العرجة الأولى والاحتياط تركه فالقدم عليه لا يكون من زمرة التيقن والصالحين بل من زمرة المصدول الذين لا يقوى في فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة إلا ما لحقاه برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع أصلاً .

(الثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط)

وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ويشتهبه الأمر ولا يتميز والخلط لا يخلو إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بصدده محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط اللبانات أو يكون اختلاط استيهام مع التميز للأعيان كاختلاط الأبعد والدور والأفراق والذي يختلط بالاستيهام فلا يخلو إما أن يكون عما قصد عينه كالعروض أو لا يقصد كالتفود فخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام . القسم الأول : أن تستهيم العين بصدده محصور كما لو اختلطت البتة بمذكاة أو بمشر مذكيات أو اختلطت رشيعة بمشر نسوة أو يزوج إحدى الأختين ثم تلبس بهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا وإذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين أن يثبت حل قطراً اختلاط بمحرم كما لو أوقع الطلاق على إحدى زوجتين في مسافة الطائر أو يختلط قبل الاستئصال كما لو اختلطت رشيعة بأجنبية فأراد استئصال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نهينا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الخطر أغلب في نظر الشرع فلذلك ترجح وهذا إذا اختلط حلال بمحصور بمحرم محصور فان اختلط حلال بمحصور بمحرم غير محصور فلا يفتي أن وجوب الاجتناب أولى . القسم الثاني : حرام محصور بمجال غير محصور كما لو اختلطت رشيعة أو عشر رضائع بنسوة بله كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البله بل له أن ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز أن يسلل بكثرته الحلال إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا تقابل به بل العلة القلبية والحاجة جميعاً إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعاً لا يلزمه ترك الشراء والأكل فان ذلك حرج وما في الدين من حرج ويعلم هذا بأنه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن^(١) وغل واحد في الغنمية عبادة^(٢) لم ينتع أحد من شراء المغان والبهاء في الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك كان

(١) حديث سرقه المجن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقاً في مجن فيتمه ثلاثة دراهم (٢) حديث غل واحد من الضمائم عبادة البخاري من حديث عبد الله بن عمر ، وأسم الغال كركرة

النفس من طيبة الطيبان إلى طيبة الإيمان . ومن جهة المقاصد في السفر رؤية الآثار والعبر وتوسيع النظر في مسارح الفكر ومطالعة أجزاء الأرض والجيال ومساوئ أئمة الرجال وامتناع التيسير من ذرات الجمادات والفهم من لسان حال القطع التجاورات قد تتجدد البقطة بتجدد مستوفع العبر والآيات وتتوفر بمطالعة للشاهد والواقف الشواهد والدلالات قال الله تعالى - سنزهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - وقد كان السرى يقول لمسوية : إذا خرج الشتاء ودخل أمهر وأورقت الأشجار طاب الانتشار . ومن جهة المقاصد بالسفر إظهار المحلوط وإطراح حظ القبول ضد في الصائق يتم على أحسن المحلل

يعرف أن في الناس من يرى في الدراهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم والدنانير بالكيفية (١) وبالجملة إنما تنفك الدين عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط بله إلا إذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع اللوسوسين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في مدة من الملل ولا في عصر من الأعصار . فان قلت فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو أراد الانسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضا إن تمكن منه . فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن وإنما يضبط بالتقريب . فنقول كل عدد لو اجتمع على معصية واحد لمر على الناظر عدمه بمجرد النظر كالآلاف والألفين فهو غير محصور وما سهل كالشربة والشرين فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلحق بأحد الطرفين بالظن ومواقع الشك فيه استفتى فيه القلب فان الإثم حراز القلوب وفي مثل هذا للمقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابسة « استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك (٢) » وكذا الأنعام الأريسة التي ذكرناها في الثار الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات وأوساط متشابهة فالظن يفتي بالظن وعلى المشتق أن يستفتى قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله فلا ينجي في الآخرة سوى اللقي فانه يفتي بالظاهر والله يتولى السرائر . القسم الثالث : أن نخلط حرام لا يحصر بحال لا يحصر حكم الأموال في زمانها هذا فالذي يأخذ الأحكام من العصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هنا به والذي نتخاره خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بعينه احتمال أنه حرام وأنه حلال إلا أن يترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذ حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات أن يأخذ من يد سلطان ظالم إلى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الأثر والقياس فأما الأثر فاعلم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده إذ كانت إيمان الحور ودراهم الربا من أيدي أهل القصة مختلطة بالأموال وكذا غلول الأموال وكذا غلول النخعة ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا إذ قال « أول ربا أضمه ربا الباس (٣) » ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وسائر المعاصي حتى روي أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لمن الله فلانا هو أول من سن بيع الخمر إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر يحرم ثمنها وقال صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يجر في النار عياة قد غلبا (٤) » وقتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلبا (٥) وكذا أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهى المدينة وقد نهى أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع من تلك الأموال مشارا إليه في الورع والأكثرين لم يمتنعوا

ويرزق من الخلق
حسن الاقتبال
يكون صادق متمسك
بروعة الاخلاص
ذو قلب عامر لا ويرزق
إقبال الخلق حتى صحت
بعض للتأنيخ عكس عن
بعضهم أنه قال : أريد
إقبال الخلق على لآتي
أبلغ نفسي حظا من
المزى فاني لا أباي أقبلوا
أو أدبروا ولصكن
لكون إقبال الخلق
علامة تدل على صحة
الحال فاذا ابتلى للريد
بذلك لا يأمن نفسه أن
تدخل عليه بطريق
الرسكون إلى الخلق
ورعما يفتح عليه باب
من الرفق وتدخل
النفس عليه من طريق
السير والدخول في
الأسباب الممودة
وتريه فيوجه للصحة
والفضيلة في خدمة
عبادته وبذلك الوجود
ولا تزال النفس به
والشيطان حتى يجره
إلى السكون إلى
الأسباب واستجلاء

- (١) حديث إن في الناس من كان يرى في الدراهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالكيفية وهذا معروف وسيأتي حديث جابر بعده بحديث وهو يدل على ذلك
(٢) حديث استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك قاله لوابسة تقدم (٣) حديث أول ربا أضمه ربا الباس مسلم من حديث جابر (٤) حديث إن فلانا يجر في النار يجر عياة قد غلبا البخاري من حديث عبد الله بن عمر وتقدم قبله بثلاثة أحاديث (٥) حديث قتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلبا أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث يزيد بن خالد الجهمي .

قبول الخلق وربما
قويا عليه لجراه إلى
التصنع والتصل
ويتسع الحرق على
الراعي . وصمت أن
بعض الصالحين قال
لمريد له أنت الآن
وصلت إلى مقام لا يدخل
عليك الشيطان من
طريق الشر ولكن
يدخل عليك من
طريق الخير وهذا مزية
عظيمة للأقدام فآله
تعالى يدرك الصادق
إذا ابتلى بشيء من
ذلك ويرجعه بالعناية
الساجدة والوعونة
اللاحقة إلى السفر
فيفارق المصارع
والوضع الذي خضع
عليه هذا الباب فيه
ويشجره لله تعالى
بالخروج إلى السفر
وهذا من أحسن
للقاصد في الأسفار
للمصدقين فهذه جل
للقاصد المطلوبة للشايع
في بداياتهم ماعدا
الحج والعمرة وزيارة
بيت المقدس ، وقد هل

مع الاختلاط وكثرة الأموال النبوية في أيام الظلمة ومن أوجب ما لم يوجب السلف الصالح وزعم أنه
تفطن من الشرع ما لم يتفطنوا له فهو موسوس يحتل العقل ولوجاز أن يزداد عليهم في أمثال هذا لجاز
مخالفتهم في مسائل المستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم إن الجدة كالأم في التحريم وابن الإبن كالابن
وشعر الخنزير وشعره كاللحم لذلك كور تحريمه في القرآن والربا جار فيما عدا الأشياء الستة وذلك بحال
فاتهم أولى بفهم الشرع من غيرهم . وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات
وخرب العالم إذ التسقي يظلم على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدى ذلك
لإحالة إلى الاختلاط . فان قيل قد نقلتم أنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الصب وقال « أخشى
أن يكون مما مسخه الله » وهو في اختلاط غير المحصور ؟ قلنا يحمل ذلك على التزهد والورع أو قول
الصب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهي دلالة في عين التناول . فإن قيل هذا معلوم
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والتهب وغلول الفينة
وغيرها ولكن كانت على الأقل بالإضافة إلى الحلال فإذا تقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر مافي
أيدى الناس لفساد المعاملات وإحلال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة . فمن أخذ ملا
لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا ؟ فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع
تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا . ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر
الأموال حرام في زماننا غلط محض ومنشؤ الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس
بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قسبان متقابلان ليس بينهما
ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر . ومثاله أن الخنفي فبا في الحق
نادر وإذا أضيف إليه المرض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الأعداد العامة
والاستحاضة من الأعداد النادرة ، ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضا بل هو كثير
والفقيه إذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا
فهو غلط والصحيح والقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنفي نادر فإذا فهم هذا
فتقول قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القول إما أن يكون كثرة الظلمة والجندية
أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدي التي تكررت من أول الإسلام إلى زماننا هذا على
أصول الأموال الموجودة اليوم . أما المستند الأول فيا بطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فاتهم
الجندية إذ لا يظلم إلا ذو غلبة وشوكة وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يملأوا عشرة عشرهم فكل سلطان
يجمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك إقليما يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من
بلاد مملكته يزيد عليها على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا هللك
الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بشرة منهم مثلا مع تتميم في المعيشة ولا يتصور
ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السراق فإن البلدة
الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل . وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي
أيضا كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فسد هؤلاء أكثر والذي
يتعامل بالربا وأغبره ففقدت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب
الإنسان بوجهه في البلد خصوصا بالهجرة والحب وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر
ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيرا فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخفى
هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوى الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب

هذا على النفوس الفاسدة لاستكثار النفوس الفسادة واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادرًا حق
ربما يظن أن الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل أنهم الأكثر وهو خطأ فاتهم الأموال
وإن كان فيهم كثرة . وأما المستند الثالث وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من العادن والنبات
والحيوان والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهي تله في كل سنة فيكون عدد
أصولها إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يغفل هذا أن يتطرق إلى أصل
من تلك الأصول غضب أو معاملة فاسدة فكيف بقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا
وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا إلى أول الشروع ولا يكون
هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالا وأما العادن فهي التي يمكن
نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدرهم والدينار ولا يخرج إلا من
دار الضرب وهي في أيدي الظلة مثل العادن في أيديهم يمتنون الناس منها ويلبسون الفقراء استخراجها
بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غضبا فإذا نظر إلى هذا علم أن جاء دينار واحد بحيث لا يتطرق
إليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربا
بيد نادر أو محال فلا يبقى إذن حلال إلا الصيد والحبشيش والصحارى والموت والغاوى والحطب للبيع ثم من
يحصله لا يغير على أكله فيفتقر إلى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالامتياز والتوالد
فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخيلا . والجواب أن هذه الغلبة لم تنشأ من
كثرة الحرام المحلوط بالحلال فخرج عن النقط الذي نحن فيه والتحقق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض
الأصل والغالب إذ الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارض سبب
غالب يخرجها عن الصلاحية فيضاهي هذا عمل القولين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح
عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الوضوء من
أواني الشراب جائز وأن الصلاة في المقابر المبنية جائزة فنثبت هذا أولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه
وبدل على ذلك توضؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة ، وتوضؤ عمر رضي الله
عنه من جرة نصرانية ، مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يهتزون عما نجسه شرعنا ،
فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم ، بل نقول نعلم قطعا أنهم كانوا يلبسون القراء المدبوغة والياب
المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة
والطهارة في تلك الياقات محال أو نادر ، بل نقول نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يفسلونه
مع أنه يداس بالقر والحيوانات وهي يتول عليه وتزوث وقفا يخلص منها ، وكانوا يركبون الدواب
وهي تفرق وما كانوا يفسلون ظهورها مع كثرة تبرعها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن
أمها وعليها رطوبة نجسة قد تربها الأمطار وقد لا تربها وما كان يجترعها ، وكانوا يمشون حفاة
في الطرق وبالجمال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة ، وكانوا
لا يمشون في البول والمذرة ولا يجلسون عليها ويستزفون منه ، ومتى تسلم الشوارع عن
النجاسات مع كثرة السكاب وأبوالها وكثرة الدواب وأروائها ، ولا ينبغي أن نظن أن الأعصار أو
الأحصار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تقفل في عصرهم أو كانت تحرس من
الدواب هيأت لذلك معلوم استحالة بالمادة قطعا فدل على أنهم لم يجترزوا إلا من نجاسة مشاهدة
أو علامة على النجاسة دالة على العين ، فأما الظن الغالب الذي يستقر من ردة الدرهم إلى مجارى
الأحوال فلم يمتروا وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير واقع .

أن ابن عمر خرج من
للمدينة قاصدا إلى بيت
للقدس وصلّى فيه
الصلوات الخمس ثم
أسرع واجبا إلى المدينة
من القد . ثم إذا من الله
على الصادق بإحكام
أمور بدايته قلبه في
الأسفار ومنعه الحظ
من الاعتبار وأخذ
نصيه من العلم قدر
حاجته واستفاد من
مجاورة الصالحين
واتشبع في قلبه فوائد
النظر إلى حال التلّين
وتعطر بطنه باستنشاق
عرف معارف القرين
وتحسن بحماية نظر
أهل الله وخاصته وسير
أحوال النفس وأسفر
السفر عن دلائل
أخلاقها وشهواتها
الخفية وسقط عن
باطنه نظر الحق وصار
يحب ولا يئيب كما قال الله
تعالى إخبارا عن موسى
- فزرت منكم لما
خفتكم فوهب لي ربي
حكما وجعلني من
المرسلين - فبعد ذلك

إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والأبدى المختلفة تقسم فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحقيق حكم الحبل بحكم النجاسة . فان قيل لا يجوز قياس الحبل على النجاسة إذ كانوا يتوسمون في أمور الطهارات ويعتزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليها . قلنا إن أراده أنهم صالوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عماد الدين فيفس الظن بل يجب أن يعتقد فيهم أنهم احتزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان في محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الأصل والغالب فإن أن الغالب الذي لا يستند إلى علامة تتعلق بين ما فيه النظر مطرح وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لأن أمر الأموال يخوف والنفس تميل إليها إن لم تضبط عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه . وقد حكي عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فالارتقاء في ذلك لا يتحقق في الغرض الذي أجمعنا فيه على أن نجري في هذا الاستدلال على الجواب الذي قدمناه في المستدلين السابقين ولا نتم ما ذكره من أن الأكل كثير هو الحرام لأن المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض وكان الذي يتبدأ غصبه اليوم هو الأكل بالإضافة إلى ما لا يغصب ولا يسرق فكذلك كل مال في كل عصر وفي كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول في كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل ولنا ندرى أن هذا الفرع يمينه من أي القسمين فلانسل أن الغالب نحرمة فانه كما يزبدل المغصوب بالتوالد يزبدغير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الأصل أكثر لاحالة في كل عصر وزمان أكثر بل الغالب أن الجبوب للمصوبة تقصب لأكل لا للبذر وكذا الحيوانات للنصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى فتوالد فكيف يقال إن رفوع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام وليتهم الشترشد من هذا طريق معرفة الأكثر فانه مزية قدم وأكثر العلماء يفتلون فيه فكيف الموام هذا في التوالدات من الحيوانات والحبوب فأما المالدن فانها عملاء مسيلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضهم أو يأخذون الأقل لاحالة لاالأكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه جمع الناس منه فأما ما يأخذه الأخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستنابة في إثبات اليد على الباحات والاستتجار عليها فالمستأجر على الاستقاء إذا حاز لاء دخل في ملك المستحق له واستحق الأجرة فكذلك التيل فاذا فرغنا على هذا لم نحرر عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الأجرة في ذمته وأما دار الغرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون إليهم الذهب المبيوك أو النقد الردي ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ماسلوه إليهم لإشياء قليلة يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وإن فرض دنائير مضروبة من دنائير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لاحالة ، نعم السلطان يظلم دار الغرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما يأخذه السلطان عوض من حشمتهم وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الغرب فلا يسلم لأهل دار الغرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر المشرى فكيف يكون هو الأكل فنهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة عن ريق دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابها واستبحروا تيميز من عين بين مال ومال وذلك عين البدع والضللال . فان قيل فلو قدر

يرده الحق إلى مقامه
وعنه يجزى لإنصاه
ويجمله إماما للمعتنين به
يقتدى وعلا للمؤمنين
به يمتدى . وأما الذي
أقام في بدايته وسافر
في نهايته يكون ذلك
شخصا يسر الله له في
بداية أمره محبة صحيحة
وقبض له شيئا علما
يسلك به الطريق
ويدرجه إلى منازل
التحقيق فيلازم موضع
إرادته ويقرن بصحة
من يرده عن عادته
وقد كان الشبل يقول
للحصرى في ابتداء
أمره إن خطر يالك
من الجملة إلى الجملة غير
الله فحرام عليك أن
تخضرنى فمن رزق
مثل هذه الصحة
محرم عليه السفر
فالصحة خير له من
كل سفر وفسيلة
يقصدها . أخبرنا رضى
الدين أبو الخير أحمد
ابن اسمعيل القزوينى
إجازة قال أنا أبو
الظفر عبد الله بن

غلبة الحرام. وقد اختلط غير محصور بغير محصور فإذا تناولون فيه إذا لم يكن في المعين للتناول علامة خاصة . فنقول الذي نراه أن تركه ربح وأن أخذه ليس عرام لأن الأصل الحل ولا يرفع الإجماع معينة كلف طين الشوارع ونظائرها بل أزيد . وأقول : لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا أنه ليقب في الدنيا لسكت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونفغو محاسلف وهول ماجاوز حده انعكس إلى ضده فمما حرم الكل حل الكل ، وبرهانه أنه إذا وقت هذه الواقعة فالاحتالات خمسة : أحدها أن يقال يمنع الناس إلا كل حتى يموتوا من عند آخرهم . الثاني أن يقتصر منها على قدر الضرورة وسد الرميح يزجون عليها أيما إلى اللوت . الثالث أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة ونجعة . الرابع أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعدهم من غير اقتصار على قدر الحاجة . الخامس أن يقتصر مع شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يخفى بطلانه وأما الثاني فباطل قطعا لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرميح وزجوا أوقاتهم على الضعف فشا فيهم المواتن وطلبت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكسبة وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليربها مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالحبس والسرقة والتراضى وكيفما اتفق فهو ربح لسد الشرع بين الفسدين وبين أنواع الفساد فتحت الأبدى بالنصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ فة لون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عاقبته حرام عليه وعينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فان كان محتاجا فلنا أيضا محتاجون وإن كان الذي أخذه في حق زائدا على الحاجة فقد سرقة عن هوزائده على حاجته يومه وإذ لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذي يراعى وكيف يضبط وهذا يؤدي إلى بطلان سياسة الترخع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذي يد على ما في يده وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضى هو طرق الترخع وإذا لم يجز إلا التراضى فلتراضى أيضا منهاج في الشرع تتعلق به المصالح فان لم يعتبر فترتين أصل التراضى وتعطل تفصيله . وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأبدى فهو الذي نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لا يجابه على الكافة ولا إدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لاحق له إلا قدر الحاجة وأحتاج لا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك ويستوعبها أهل الحاجة ويؤدى على السكك الأموال يومافوما أوسنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع أموال . أما تكليف الشطط فهو أن السلطان لا يتقدر على القيام بهذا مع كثرة الخفاق بل لا يتصور ذلك أصلا وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من القواكه والحبوب والحبوب وينبى أن يلقي في البحر أو يترك حتى يتفنن فإن الذي خلقه الله من القواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفعهم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدي ذلك إلى سقوط الحجج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نبطت بالفتى عن الناس إذا أصبح الناس لا على كون إلا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويعهد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضى وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالا من غير فرق وأعنى بقولي يجب عليه إذا كان النبي ممن يثب لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذا لزم الصلاح برد الكافة إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فان لم يمتد للصالح لم يجب هذا ونحن نجز أن يتقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم ففوت دينهم ويضلون في دينهم فانه يضل من يشاء ويهدى من يشاء

عبد الكريم بن هوازن القشيري عن والده الأستاذ أبي القاسم قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت عياش بن أبي الصخر يقول سمعت أبا بكر الزقاق يقول لا يكون للريد مریدا حتى لا يكتب عليه صاحب الثال شيئا عشرين سنة فن رزق صعبة من يندبه إلى مثل هذه الأحوال السنية والعزائم القوية يحرم عليه المرافقة واختيار السفر ثم إذا أحكم أمره في الابتداء بلزوم الصعبة وحسن الاقتداء وارتوى من الأحوال وبلغ مبلغ الرجال وانجس من قلبه عيون ما للحياة وصارت نفسه مكسبة للسعادات يستشقى نفس الرحمن من صدور الصادقين من الإخوان في أنظار الأرض وشاسع البلدان يشرب إلى التلاق وينبث

يشاء ويبيت من يشاء ويحي من يشاء. ولكننا نقدر الأمر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى في سنة الأنبياء صلح الدين والدينأ ومالي أقدر هذا وقد كان ما أقدره فلقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريـب من سـتائة سنة والناس منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبداء الأوثان وإلى مصدقين له قدشاع النسق فيهم كاشع في زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الترية والأموال كانت في أيدي الكذيين له وللمصدقين أما للكذيون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما الصدقون فكانوا يتعاملون مع أصل التصديق كما يتعامل الآن المسلمون مع أن العهد بالبوـة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما وعفا ^{عنه} عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدي بالأموال ومهدا للشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا يتقلب حاله لا يفتقر رسول ولا يتقلب حاله بأن يسلم الذي في يده الحرام فانا لا تأخذ في الجزية من أهل التمة ما نعرفه بينه أنه ممن خر أموال ربا قد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن وأمر العرب كان أشد لمعوم الذهب والفضة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في البياح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه للنوط بمصالح الخلق ونقوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى الصالح وطريق الدين الذي لا يقدر على سلوكه إلا بالأحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدينية والصناعات الخسبيات لبطل النظام ثم يسطل يطلانه للثك أيضا فالحزبون إنما سخروا ليتنظم الملك للملوك وكذلك الكلبون على الدنيا سخرها ليسلم طريق الدين لدوى الدين وهو ملك الآخرة ولولا ما سلم لدوى الدين أيضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكرثون عن طريقهم ويشتغلوا بأموال الدنيا وذلك قسمة سبقت بها الشيعة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفقنا بهم ففوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا - فان قيل لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبق حلال فان ذلك يروا قع وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر فيه نظر وما ذكره من أنه الأقل بالإضافة إلى السكل جلى ولكن لا بد من دليل محصل على تجوزة ليس من المصالح الرسالة وما ذكره من التقسبات كلها صالح مرسله فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح الرسالة . فأقول إن سلم أن الحرام هو الأقل فيمكننا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابيهم وجود الربا والسرقة والغلول والهب وإن قدر زمان يكون الأكثر هو الحرام فيعمل التناول أيضا برهانه ثلاثة أمور . الأول : التقسيم الذي حصرناه و بطلان منه أربعة ما ثبتنا القسم الخامس فان ذلك إذا أجرى فيها إذا كان السكل حراما كان أخرى فيها إذا كان الحرام هو الأكرث أو الأقل وقول القائل هو مصلحة مرسله هوس فان ذلك إنما تخيل من تخيله في أمور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لانكش في أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس يظنون ولا شك في أن رد كدافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد عذب للدنيا أو لوالدين بواسطة الدنيا ثانيا فـ لا يشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الحيات الظنونة المتعلقة بأحد الأشخاص . البرهان الثاني : أن يعال بقياس محرر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالأقوية الجزئية عليه وإلا كانت الجزئيات مستحقة عند المصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر السكلي الذي هو ضرورة النبي لوبست في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لم يرب العالم والقياس الحر الجزئي في هوانه قد تمارض

إلى الطواف في الآفاق
يسيره الله تعالى في
البلاد لقائده الباد
ويستخرج بخناطيس
حاله خب أهل الصدق
والتطمين إلى من
يجر عن الحق ويذر
في أراض القلوب بند
الفلاح ويكر بركة
نسه وصحبته أهل
الصلاح وهذا مثل
هذه الأمة الهادية في
الإنجيل كورع أخرج
شطا فآزره فاستغلظ
فاستوى على سوفة
تمود بركة البعض
على البعض وتسرى
الأحوال من البعض
إلى البعض ويكون
طريق الوراثة معمورا
وعلم الإفادة منشورا .
أخبرنا شيخنا قال أنا
الإمام عبد الجبار البهقي
في كتابه قال أنا
أبو بكر البيهقي قال
أنا أبو علي الروذباري
قال ثنا أبو بكر بن
داست قال ثنا أبو داود
قال أنا يحيى بن أيوب
قال ثنا إسماعيل بن

أصل وغالب فيما انقصف فيه العلامات المعنية من الأمور التي ليست محصورة فيجب بالأصل بالأغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصارية وأواني الشرابين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعنية احتراز عن الأواني التي يتطرق الاحتياط إليها وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس اللينة والرضية بالذكية والأجنبية . فان قيل كون الماء طهورا مستتب وهو الأصل ومن يسل أن الأصل في الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم . فقول الأمور التي لا تحرم لصحة في عبثها حرمة الحجر والخزير خلقت على صفة تستند لقبول للعلامات بالتراضي كما خلق الماء مستندا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستدلال منهما فلا فرق بين الأمرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الأمرين . والجواب الثاني أن اليد دالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه بدليل أن الشرع ألحقه به إذ من ادعى عليه دين فالتقول قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملك في يده فالتقول أيضا قوله إقامة ليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة . البرهان الثالث : هو أن كل ماله على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وإن كان قطعا بأن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى وبأنه أن ما علم أنه ملك زيد فحقه من التصرف فيه بغير إذنه ولو علم أنه ملك في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصود لمصلحة المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم الصلحة ولو دل على أن له مالا محصورا في عشرة مثلا أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم الصلحة فالقضى يشك في أن له مالا سوى صاحب اليد أم لا لا يزيد على الذي يثبت قطعا أن له مالا ولكن لا يعرف عنه فيلجئ التصرف فيه بالصلحة والصلحة ما ذكرناه في الأنعام الحقة فيكون هذا الأصل شاهدا له وكيف لا وكل ما لصانع قد مالكة بصرفه السلطان إلى الصالح ومن الصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرق قطع يده فكيف قد تصرفه في ملك الغير ليس ذلك إلا لحكمنا بأن الصلحة تقتضي أن ينتقل الملك إليه ويعمل له قضيا بموجب الصلحة . فان قيل ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان . فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير إذنه لاسبابه إلا الصلحة وهو أنه لو ترك لصانع فهو مردد بين تضييعه وصرفه إلى مهم والصرف إلى مهم أصلح من التضييع فرجع عليه والصلحة فيه يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكمه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدي إذا تزاها بالشك وتكليفهم الاقتصاد على الحاجة يؤدي إلى الضرر الذي ذكرناه وجهات الصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى أن الصلحة أن يبي بذلك المال قطرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء وبدور مع الصلحة كيفما دارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على الصلحة وقد خرج من هذا أن المخلق غير مأخوذ في أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دالة في ملك الأعيان كالمأخوذ السلطان والفقراء الآخذون منه بغيرهم أن المال له مالك حيث لم يمتلق العلم بعين مالك مشار إليه ولا فرق بين عين المالك وبين عين الملاك في هذا المعنى فهذا يان شبه الاختلاط ولم يبق إلا النظر في امتزاج المالكات والدرهم والعروض في يده مالك واحد وسيأتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من الظالم .

(للثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية)

إما في قرائنه وإما في لواحقه وإما في سواجه أو في عومته وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وإبطال السبب المحلل . مثال المعصية في الترائين : البيع في وقت الداء يوم الجمعة والبيع بالكسب

جسفر قال أخبرني العلامة ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » فأما من أقام ولم يسافر يكون ذلك شخصا ربه الحق سبحانه وتعالى وتولاه وفتح عليه أبواب الخير وجذبه بصنائه . وقد ورد جذبهم جذبات الحق نوازي عمل التقليل ثم لما علمته الصدق ورأى حاجته إلى من ينفع به ساق إليه بعض الصديقين حتى أبدى بطله ولفظه وتداركه لخطئه ولحقه بقوة خاله وكفاه يسير الصلحة لسمالك

للتصوية والاحتطاب بالقدوم للتصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل شيء ورد في القود ولم يدل على فساد القديان الاستماع من جميع ذلك ورع وإن يكن التصادف بهذه الأساليب محكوماً بغيره وتسمية هذا الخط شبهة فيه تسمع لأن الشبهة في غالب الأمر تطلق لإرادة الاعتناء والمجمل والافتقار ههنا بل الصيان بالبيع يمكن الغير معلوم وحل الديعة أيضاً معلوم ولكن قد تشق الشبهة من التشابه وتداول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا فتشبه هذا شبهة له وجه وإلا فينبغي أن يسمى هذا كراهة لاشبهة وإذا عرف المعنى فلا مشاحة في الأسامي فعادة الفقهاء التماس في الاطلاقات. ثم أعام أزهذه الكراهة لثلاث درجات : الأولى منها تحريم من الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنهى إلى نوع من اللبالة تكاد تلتحق بورع اللوسيين وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين فالكراهة في صيد كلب منصوب أشد منها في الديعة بكن منسوب أو للقتن بسم منصوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف في أن الحاصل به لما لك الكلب أو للصيد وبليه شبهة البذر وللزورع في الأرض للتصوية فإن الزرع لما لك البذر ولكن فيه شبهة ولو أنشأ حق الحبس لما لك الأرض في الزرع لكان كالتن الحرام ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طعن بطاحونة منصوبة واقتبس بشبكة منصوبة إذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد وبليه الاحتطاب بالقدوم للتصوب ثم ذمه ملك نفسه بالسكين للتصوب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الديعة وبليه البيع في وقت النداء فإنه ضعيف التعلق بمقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو أقصد البيع بعثه لأقصد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فاتته وجوبها على الفور أو في ذمته مظنة دانق فإن الاشتغال بالبيع مانع عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء ونجس ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفصل الواجب عليه إلا من حيث ورد في يوم الجمعة تنهى على الخصوص ربما سبق إلى الأضام خصوصية فيه فتكون الكراهة أشد ولا بأس بالخبر منه ولكن قد ينجبر إلى الوسواس حتى يشرع عن نكاح بنات أرباب الظالم وسائر ممالئهم . وقد حكى عن بعضهم أنه اشترى شيئاً من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فردّه خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية اللبالة أنه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير الناهي أو اللصقات لا يقطع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن واللبالة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم فقد قال **عليه السلام** : « هلك المتطوعون »^(١) فيلحظ من أمثال هذه البالات أنها وإن كانت لا تقصر صاحبها ربما أوم عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم يبرمز مما هو أيسر منه فيترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس في زماننا هذا إذ ضيق عليهم الطريق فأبوا عن القيام به فاطروه فبكأن أن الوسوس في الطهارة قد يبرز عن الطهارة فيتركها فبكأن بعض اللوسيين في الحلال سبق إلى أوهاهم أن مال الدنيا كله حرام فوسوسوا فتركوا التقيز وهو عين الضلال . وأما مثال الواحق : فهو كل تصرف يفضي في سياقه إلى مصيبة وأعلام بيع العنب من الحجار وبيع الغلام من العروف بالقبور بالقلبان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن للأخذ منه والأقيس أن ذلك صحيح ولما أخذ حلال والرجل حاص بمقدمه كما يصح بالبيع بالسكين للتصوب والديعة حلال ولكنه يصح عيان الاعانة على المصيبة إذ لا يتعلق ذلك بين المقدّم بالأخذ من هذا مكروه كراهية شديدة وترك من تورع لله ولم يلبس حرام وبليه في الرتبة بيع العنب ممن ضرب الحجر ولم يكن خارا وبيع السيف ممن يفرز ويظلم أيضاً

(١) حديث هلك المتطوعون مسلم من حديث ابن مسعود وتقدم في قواعد العقائد .

الأهبة في صاحب
والصحب وإجراء
سنة الله تعالى في إعطاء
الأيام حقها الأمانة
رسم الحكمة بحوج
إلى يسر الصحة فينتبه
بالقليل الكبير وبنيه
اليسير من الصحة عن
الحفظ الكبير ويكتفى
بإقرار حظ الاستصار
عن الأسفار ويتنوض
بأشعة الأنوار عن
مطالعة الغير والآثار
كما قال بعضهم الناس
يقولون اتقوا
أعينكم وأبصروا وأنا
أقول غمضوا أعينكم
وأبصروا . وصحت
بعض الصالحين يقول
فهم عباد طور سيناء
ركبهم تكون ردوسهم
على ركبهم وهم
في عز القرب لمن
ينبع له معين
الحياة في ظلمة خلوته
فإذا يصنع بدخوله
الظلمات ومن أدرجه
له ألباق السموات
في طي شهره ماها
يصنع بخلق طرفة في

لأن الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خفية أن يشتريه ظاهراً فهذا ورع فوق الأول والكرهية فيه أخف وبليده ما هو بمالعة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة أنه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لأنهم يستعينون بها على الحرثة ويبيعون الطعام من الظلة ولا يبيع منهم البقر والدندان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن يبيع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحرثة ولا يسيق من الماء العام لذلك وينتهي هذا إلى حد التنطع للشيء عنه وكل متوجه إلى شيء على قصد خير لا بد وأن يسرف إن لم يذمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستقر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالحجرولهذا قال **عليه السلام** فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أمهاني (١) والتنتطعون هم الذين يخشى عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم - الذين مل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - بالجملة لا ينفيني للانسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذ جاوز مرسوم له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه أحرق كرمه خوفاً من أن يباع العنب ممن يتخذة سخراً وهذا لأعرف له وجهاً إن لم يعرف هو سبباً خاصاً يوجب الإحراق إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدراً منه من الصحابة ولوجاز هذا لجاز قطع الله كرمه خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الإنلاقات . وأما اللقدمات : فلتطرق للصبة إليها ثلاث درجات . الدرجة العليا التي تشتد الكراهية فيها : ما بقي أثره في تناولها كالأكل من شاة علفت بلف مفصوب أو رعت في مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سبباً لبقائها وربما يكون الباقي من دهنها ولحمها وأجزائها من ذلك الملف وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجباً وتدل ذلك عن جماعة من السلف وكان لأبي عبد الله الطوسي التروغ في شاة يعملها على ريقته كل يوم إلى الصحراء وبرعها وهو يصلي وكان يأكل من لبنها ففعل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها . فإن قيل فقد روي عن عبيد الله بن عمر وعبيد الله أنهما اشتريا إبلاً فبشاها إلى الحمى فرعته إليهما حتى سميت فقال عمر رضي الله عنه أرعيتاها في الحمى فقالا نعم فشاطرها فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من الملف لصاحب الملف فليوجب هذا تحريمها . قلنا ليس كذلك فإن الملف يفسد بالأكل والدم خلق جديد وليس عين الملف فلا شر كصاحب الملف شرعاً ولكن عمر غرمها قيمة الكلا . ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة وكذلك شاطر أباهريرة رضي الله عنه إذ رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافياً على حق علمه وقدره بالشطر اجتهداً . الرتبة الوسطى : ما نقل عن بشر بن الحرث من امتناعه عن الماء الساقي في نهر احترفه الظلة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحجره وامتنع آخر عن عنب كرم يسقي بماء يجري في نهر حفر ظلاً وهو أرفع منه وأبلغ في الورع وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق وأعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال أوصل إليه بدسجان وقوله إنه جاء على يد ظلم ودرجات هذه الرتبة لا تنحصر . الرتبة الثالثة : وهي قريب من الوسواس والبالغة أن يمنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو التقذف وليس هو كالأعصى بأكل الحرام فإن الوصول فوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والتقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحل بل الامتناع من أخذ حلال وصل به يد كافر وسواس غلاف أكل الحرام إذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بقبية أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أمهاني تقدم في العلم .

لسموات ومن جمعت
أحداق بصيرته
متفرقات الكائنات
ماذا يستفيد من طي
القلوات ومن خلص
خاصية فطرته إلى مجمع
الأرواح ماذا تفيد
زيادة الأشباح . قيل
أرسل ذوات النون للصري
إلى أبي يزيد رجلاً
وقال قل له إلى مقعد هذا
النوم والراحة وقد
صارت القافلة فقال
لرسول قل لأخي
الرجل من ينالم الليل
كله ثم يصبح في المنزل
قبل القافلة فقال
ذوات النون هنيئاً له هذا
كلام لا يبلغه أحوالنا .
وكان بشر يقول
يا ميمر القراء سبحوا
طيطوا فان الماء إذا
كثر بكته في موضع
تغير وقيل قال بعضهم
عند هذا الكلام
صريحاً حتى لا تغير
فاذا أدام الريد سير
الباطن يقطع مسافة
النفس الأمانة بالسوء
حتى قطع منازل آفاتهما

الموصل كالنبر وقوة اليد المستفادة بالعداء الحرام ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذي
عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب إنسان أو شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة
ساقها أكل حرام فهذا أبعد من يد السجان لأن الطعام يوقه قوة السجان والشاة تسمى بنفسها والسائق
يتمتعها عن المدول في الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فافظر كيف تدرجنا في بيان ما تدعى إليه
هذه الأمور . واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تخص بالدرجة الأولى
التي يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عدله من ورع المتقين
والصالحين والفتوى في هذا ماله ^{مخبر} لوابصة إذ قال « استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك »
وعرف ذلك إذ قال « الإجم حراز القلوب (١) » وكل محاك في صدر الريد من هذه الأسباب فلو أقدم عليه
مع حرازة القلب استغربه وأظلم قلبه بقدر الحرازة التي يجدها بل لو أقدم على حرام في علم الله وهو يظن أنه
حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حرازة
في قلبه فذلك يضره وإنما الذي ذكرناه في النبي عن البائلة أردنا به أن القلب الصافي للتدلل هو
الذي لا يجد حرازة في مثل تلك الأمور فإن مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحرازة فأقدم مع
ما يجد في قلبه فذلك يضره لأنه ما أخذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وكذلك يشد على
الوسوس في الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه بثلاث مرات
لثبته الوسوسة فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وإن كان محظا في نفسه أولئك
قوم شدوا فشدوا فقه عليهم ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا في السؤال عن البقرة
ولو أخذوا أولا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لأجرام ذلك فلا تغفل عن هذه الدقائق
التي رددناها نفي وإثباتا فإن من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بعجماجه يوشك أن يزل في درك
مقاصده . وأما للمصيبة في الموضع فله أيضا درجات . الدرجة العليا : التي تشتد الكراهة فيها أن
يشترى شيئا في الذمة ويقضى منه من غصب أو مال حرام فينظر فإن سلم إليه البائع الطعام قبل قبض
التمن بطبق قلبه فأكله قبل قضاء التمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعني قبل قضاء التمن ولا
هو أيضا من الورع المؤكد فإن قضى التمن بدلا من كل من الحرام فكأنه لم يقض التمن ولو لم يقضه
أصلا لكان متقلدا للمظلة بترك ذمته مرتبة بالدين ولا يتقبل ذلك حراما فإن قضى التمن من الحرام
وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام قد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا مظلة تصرفه في الدرهم الحرام بصرفها
إلى البائع وإن أبرأه على ظن أن التمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء ولا
يصالح ذلك للإبراء هذا حكم المشتري والأكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطبق قلب ولكن
أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية التمن من الحرام أو بعده لأن الذي تومي الفتوى به ثبوت
حق الحبس البائع حتى يعين ملكه بإقباض النقد كاتنين ملك المشتري وإنما يطل حق حبسه بإمبال إبراء
أو الاستيفاء ولم يجزئ عنهما ولكنه كل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن لأطاع إذا أكله
غير إذن المرتهن وبينه وبين كل طعام الفيرق ولكن أصل التحريم شامل هذا كله إذ قضى قبل
توفية التمن إما بطبيعة قلب البائع أو من غير طية قلبه فأما إذا ولى التمن الحرام أولا ثم قبض فإن كان البائع
عالما بأن التمن حرام ومع هذا أبض البيع بطل حق حبسه وبقى له التمن في ذمته إذ ما أخذه لبس بتمن ولا
يصير أكل البيع حراما بسبب بقاء التمن فأما إذا لم يسلم أنه حرام وكان بحيث لو علم لما رض به ولا أبض
البيع فحق حبسه لا يطل بهذا التلبس فأكله حرام بغيره أكله الموهون إلى أن يبرئه أو يوفى من حلال

(١) حديث الإجم حراز القلوب تقدم في العلم .

وبدل أخلاقها
الذمومة بالعمدة
وعائق الإقبال على
الله تعالى بالصدق
والإخلاص اجتمع له
الترفات واستغفار في
حضرة أكثر من سفره
لكون السفر لا تخلو
من متاع وكلف
ومشوشات وطوارق
وتوازلي تبجد الضعف
عن سياستها بالعلم
لضعف ولا يقدر على
تليط العلم على
متجددات السفر
وطوارقه إلا الأقوياء
قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لذى
زكي عنده رجلا : هل
صحبته في السفر الذي
يستدل به على مكروم
الأخلاق قال لا قال
ما أراك تعرفه فإذا
حفظ الله عهده في بداية
أمره من تشويش
السفر ومنعته بجمع العلم
وحسن الإقبال في
الحضر وساق إليه من
الرجال من أكتب
به صلاح الحال قد

أورضى هو بالحرام ويرى فيصح إبراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمه فأما الامتناع عنه فمن الورع اللهم لأن المعصية إذا امتنعت من السبب الوصول إلى الشيء تشتد الكراهة فيه كما سبق وأقوى الأسباب للصحة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه إليه فرضاه لا يخرج عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدة لا تتخبر به وتزول بدرجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثل ثوبا أو أرضا في الذمة وقضه مرضا البائع قبل توفية الثمن وسله إلى يده أو غيره صلة أو خلمة وهو شاك في أنه سيقتضى عنه من الحلال والأحرام فهذا أخلف إذ وقع الشك في تطرق المعصية إلى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الأحرام وقتله في مال ذلك السلطان وما ينقلب على الظن فيه وبعضه أشد من بعض والرجوع فيه إلى ما يندفع في القلب . الرتبة الوسطى : أن لا يكون الموضع غصبا ولا حراما ولكن يتبأ لمعصية كالسلم عوضا عن الثمن عينا والأخذ شارب الخمر أو سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية التي في القصب وتفاوت درجات هذه الرتبة أيضا بتفاوت غلبة للصبة على قابض الثمن وتفاوت دوره ومهما كان الموضع حراما فبذله حرام وإن احتمل تحريمه ولكن أيسر بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندى النبي عن كسب الحمام وكراهته (١) إذ نهى عنه عليه السلام مرات ثم أمر بأن يعلق الناضح (٢) وماسبق إلى اليوم من أن سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد إذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قاتل به وإن قبله فلا يمكن طرده في القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروها وهو يدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه وغامرة القصاب النجاسة أكثر منه للحمام والقصاب فان الحمام يأخذ اللحم بالمجعة ويصمحه بالقطنة ولكن السبب أن في المجاعة والقصد تخريب بنية الحيوان وإخراجا لدمه وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم وإنما جعل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحسب واحتياط ورعا يظن ناضحا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحسب ولذلك لا يجوز للقصاب فصدصم وعيد وموتوه إلا بإذن وليه وقول طبيب ولولا أنه حلال في الظاهر لما أعطى عليه السلام أجرا للحمام (٣) ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين إعطائه رتبة السفلى : وهي درجة الموسوسين وذلك أن يحلف إنسان على أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزله واشترى به ثوبا فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن النبي أنه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بأن النبي ﷺ قال «لن الله اليهود حرمت عليهم الخمر فباعوها وأكلوا أثمانها» (٤) وهذا غلط

(١) حديث النبي عن كسب الحمام وكراهته ابن ماجه من حديث أبي مسعود الأنصاري والنسائي من حديث أبي هريرة بإسنادين صحيحين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحمام ولليخري من حديث أبي جعفر نهى عن ثمن الدم ولمسلم من حديث رافع بن خديج كسب الحمام خبيث (٢) حديث نهى عنه مرات ثم أمر بأن يعلق الناضح أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث عيصة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في إجارة الحمام فنهأ عنها فلم يزل يسأل ويستأذن حتى قال أعلنه ناضحك وأطعمه رقيقك وفي رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال ألا أطعمه أينا ما لي قال لا قال أ فلا أتصدق به قال لا فرخص له أن يعلقه ناضحه (٣) حديث أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرة الحمام متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث لليرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود إذ حرمت عليهم الخمر فباعوها لم أجده هكذا والمرور أن ذلك في الشحوم ففي الصحيحين من حديث جابر قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه .

أحسن إليه . قيل في تفسير قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - هو الرجل للنقطع إلى الله يشكل عليه شيء من أمر الدين فيحث الله إليه من أجل إشكاله فإذا ثبت - قسمه على شروط البداية رزق وهو في القام من غير سفر ثمزات النهاية فيستقر في الحضراته وابتداء وأقم في هذا القام جمع من الصالحين وأما الذي أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة حاله في ذلك يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجدا لا توت إلا بين منزلين . وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم في بلد أكثر من أربعين يوما وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوما يفسد عليه توكله فكان علم الناس

لأن بيع الخمر باطل إذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن تلك الرجل جارية هي أخته من الرضاع فتباع بجارية أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه وتشبه ذلك ببيع الخمر غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدرج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث أو أربع ولا في عدد ولكن المقصود من التمديد التقريب والتفهم . فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم «من اشترى ثوبا بشئ من درهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه» (١) ثم أدخل ابن عمر أصبعيه في أذنيه وقال صمتا إن لم أكن صمتا منه . قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بثمنه بغيره لا في الدمة وإذا اشترى في الدمة فقد حكمنا بالتحريم في أكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمصية تطرقت إلى سببه وإن لم يدل ذلك على فساد العقد كالشترى في وقت النداء وغيره .

(لثار الرابع الاختلاف في الأدلة)

فان ذلك لا اختلاف في السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمه والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمه فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة التفسير فلا فائدة لثوبته في نفسه وإن جرى سببه في علم الله وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض الصلوات الدالة أو لتعارض التشابه . القسم الأول : أن تعارض أدلة الشرع مثل تعارض عموميين من القرآن أو السنة أو تعارض فيسعين أو تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل للمعلوم قبله إن لم يكن ترجيح فإن ظهر ترجيح في جانب المحذر وجب الأخذ به وإن ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق التقي والمقلد وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أتقاه مقلده الذي يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقراءن وإن كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي أن يتقدم من الذهاب أو سماعه عليه بل عليه أن يبحث حتى يظلم على طه الأفضل ثم يبقعه فلا يخالفه أصلا ، نعم إن أتقاه بل إمامه بنى وإمامه فيه مخالف فالمرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع للوكد وكذا المجهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بحسب وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان للفتون يفتون بجعل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلنقسم هذا أيضا على ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : ما يتأكد الاستنجاب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويقوى وجه ترجيح المذهب الآخر عليه فمن اللمعات التورع عن فريسة الكلب الملع إذا أكل منها وإن أتقاه التقي بأنه حلال لأن الترجيح فيه ظاهري وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أنيس قول الشافعي رحمه الله ومهما وجد الشافعي قول جديد موافق لمذهب أبي حنيفة رحمه الله أو غيره من الأئمة كان الورع فيه مهما وإن أتقاه التقي بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وإن لم يخلف فيه قول الشافعي رحمه الله لأن الآية ظاهرة في إيجابها والأخبار متواترة فيه فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل » (٢) ونقل ذلك على التكرار وقد شهر الدين بالبسملة (٣) وكل ذلك يقوى دليل الاشتراط

(١) حديث من اشترى ثوبا بشئ من درهم حرام إذا أرسلت كلبك المعلم وإذا أرسلت كلبك المعلم وإذا أرسلت كلبك المعلم وإذا أرسلت كلبك المعلم (٢) حديث من اشترى ثوبا بشئ من درهم حرام إذا أرسلت كلبك المعلم وإذا أرسلت كلبك المعلم وإذا أرسلت كلبك المعلم (٣) حديث من اشترى ثوبا بشئ من درهم حرام إذا أرسلت كلبك المعلم وإذا أرسلت كلبك المعلم وإذا أرسلت كلبك المعلم

ومعرقهم إياه براه سببا ومعلوما . وحكى عنه أنه قال مكثت في البادية أحد عشر يوما لم أكل وتطلعت نسي أن آكل من حشيش البر فرأيت الحذر مقبلا نحوي فهربت منه ثم التفت فإذا هو رجوع عني فقيل لم هربت منه قال تشرفت نسي أن يفتني فهو لا الفارون بدنيهم . أخيرا أبو زرعة طاهر ابن الحافظ أبي الفضل المقدسي عن أبيه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي قال أنا أبو عبد الله بن يوسف بن نامية قال ثنا أبو محمد الزهري القاضي قال ثنا محمد بن عبد الله بن أسباط قال ثنا أبو نعيم قال ثنا محمود بن عيسى بن مسلم عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن سليمان بن هرمز عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أحب شيء إلى الله الغراء »

ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم «لاؤمن يذبح على اسم الله تعالى سمى ولم يسم» (١) واحتدل أن يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها وبمحمل أن يخص هذا بالناس ويترك الظواهر ولأن أويل وكان حمله على الناس ممكنا تمهيدا لعذرهم في ترك التسمية بالناس وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب رجحنا ذلك ولانكر رفع الاحتمال للمقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقف في الدرجة الأولى . الثانية : وهي مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الانسان عن أكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان الذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الأخبار حديث الجنين إن ذكاته ذكاة أمه (٢) صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضنف إلى سنده وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وقد هل ذلك في الصحيحين وأظن أن أباحنية لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغت لقال بها إن أنصف وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلط لا يستد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء خبر الواحد . الرتبة الثالثة : أن لا يشتر في الشقة خلاف أصلا ولكن يكون الحل معلوما خبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع فان الثقة وإن كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لفرض خفي جائز عليهم لأن العدل أيضا قد يكذب والوهم جائز عليه فانه قد يسبق إلى معمم خلاف ما يقوله القائل وكذا إلى فهمهم فهنا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعون من عدل تسكن قلوبهم إليه وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الزاوي فللتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلا . وخلاف من خالف في أخبار الآحاد غير معتد به وهو بخلاف النظام في أصل الإجماع وقوله إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يتنع الانسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الأب ويقول ليس في كتاب الله ذكر إلا للبين ولحقا ابن الابن بالابن باجماع الصحابة وهم غير مصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى إلى أن يترك ما علم بعدومات القرآن إذ من التشكيك من ذهب إلى أن العمومات لاصفة لها وإنما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرآن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذن لا طرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليهم ذلك ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وليترك حزاز القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف

(١) حديث المؤمن يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم قال الصنف إنه صح . قلت لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن صحته ولأبي داود في الراشدين من رواية الصلت مرفوعا ذبيحة للسل حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر وللطبراني في الأوسط والدارقطني وابن عدى والبيهقي من حديث أبي هريرة قال رجل يارسل الله الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله فقال اسم الله على كل مسلم قال ابن عدى منكر والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عباس للسل يكفيه اسمه فإن نسي أن يسمى حين يذبح فليس عليه وليذكر اسم الله ثم ليأكل فيه محمد بن سنان منصفه الجمهور (٢) حديث ذكاة الجنين ذكاة أمه قال الصنف إنه صح لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضنف إلى سنده وأخذ هذا من إمام الحرمين فانه كذا قال في الأساليب والحديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد وليس كذلك للطبراني في الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد وقال عبد الحق لا يحتج بأسانيدنا كلها (٣) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للصنف هو في الصحيحين وهو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد .

قيل ومن الغريب ؟ قال الصرارون بذهنيهم يجتمعون إلى عيسى ابن مريم يوم القيامة وهذه كلها أحوال اختلفت واتبع أربابها الصحة وحسن النية مع الله وحسن النية يقتضى الصدق والصدق لبنه محمود كيف تقلبت الأحوال فمن سافر ينبغي أن يتفقد حاله ويصح نيته ولا يتعذر على تخليص النية من شوائب النفس إلا كثير العلم تام التقوى وافر الحظ من الزهد في الدنيا ومن انطوى على هوى كائن ولم يستقم في الزهد لا يقدر على تصحيح النية قد يدعو إلى السفر نشاط جبل هساني وهو يظن أن ذلك داعية الحق ولا يميز بين داعية الحق وداعية النفس ويحتاج الشخص في علم صحة النية إلى العلم

بالأشخاص والواقع ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم إلا بالحق فلا يتطوى على حرازة في مظان الوسواس ولا يغلو عن الحرازة في مظان السكرامة وما أعز مثل هذا القلب وقلبك لم يرد عليه السلام كل أحد إلى قوى القلب وإنما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله (١) . القسم الثاني : تعارض العلامات الدالة على الحل والحزمة فانه قد يهب نوع من اللذخ في وقت ويندر وقوع مثله من غير التهب فيرى مثلاً في يد رجل من أهل الصلاح فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع اللذخ ودوره من غير التهب على أنه حرام فيتعارض الأمران وكذلك غير عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تتعارض شهادة فاسقين أو قول صبي واللع فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتي تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال . القسم الثالث : تعارض الأشياء في الصفات التي تناط بها الأحكام . مثله أن يوصى بال الفقهاء فيعلم أن الفاضل في الفقه داخل فيه وأن الذي ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فاللقى يفق بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا أغمض ماثرات الشبهة فان فيها صوراً يتغير لللقى فيها تبعاً لازماً لاحية له فيه إذ يكون للصف بصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين للفتايلتين لا يظهر له ميله إلى أحدهما وكذلك الصدقات المبرورة إلى المحتاجين فان من لاشء له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غنى ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف إليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب ويتعدى منه النظر في مقدارة الدار وأثاثها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدارونها وكذلك في نوع أثاث البيت إذا كان من الصفر إلى الخرف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما لا يحتاج إليه كل يوم وما يحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء وما لا يحتاج إليه إلا في سنين وشئ من ذلك لا خد له والوجه في هذا ما قاله عليه السلام « دع ما يريك إلى ما لا يريك » (٢) وكل ذلك في محل الرب وإن توقف لللقى فلا وجه إلا التوقف وإن أفضى لللقى بظن وتخمين فالورع التوقف وهو أهم مواعع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأتارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد ويبرز أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فإدون الرطل المسكى في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائدي الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريه إلى ما يريه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلطف العرب إذ العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا مضمينات اللغات بحدود محدودة فتقطع أطرافها عن مقابلاتها فكلف الستة فانه لا يعتمد مادونها وما فوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقدير فليست الألفاظ التقوية كذلك فلا لفظ في كتاب أنفوسة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ويتطرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متناهية فتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف فالوقف على الصوفية مثلاً مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من التوامس فكذلك سائر الألفاظ ومنشئ إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص

(١) حديث لم يرد كل أحد إلى قوى قلبه وإنما قال ذلك لوابصة وتقدم حديث وابصة وروى الطبراني من حديث وابصة أنه قال ذلك لوابصة أيضاً وفيه العلاء بن ثعلبة مجهول .

(٢) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك تقدم في الباب قبله .

بعرفة الخواطر وشرح الخواطر وعليها يحتاج إلى باب مفرد لنفسه ونومى الآن إلى ذلك برمز يذكره من نازله شئ من ذلك فأكثر الفقهاء من علم ذلك ومعرفة على بعد . اعلم أن ما ذكرناه من نشاط النفس واقع للفقير في كثير من الأمور فتدبر الفقير الروح بالخروج إلى بعض الصحارى والبساتين ويصكون ذلك الروح مضراً به في ثاني الحال وإن كان يترامى له طيبة القلب في الوقت وسبب طيبة قلبه في الوقت أن النفس تنفس وتنفس يلوغ غرضها وتيسر يسر هواها بالخروج إلى الصحراء والتزه وإذا اتسعت بعدت عن القلب وتحت عنه متشوقة إلى متعلق هواها فيروح القلب لا لصحراره بل يمد النفس منه كشخص

ليعلم به طريق التصرف في الألفاظ وإلا فلا مطعم في استيفائها فهذه اشتباهات تور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها إذا لم يرتجح جانب أحدها بدلالة تقبل على الظن أو باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى مالا يريك» وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها فهذه شارات الشبهات وبعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر أغلظ مثل أن يأخذ طعاما مختلفا فيه عوصا عن عنب بابه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبايع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها لما اتضح من هذا الشرح أخذ به وما التبس فليجنب فإن الإثم حراز القلب وحيث قضينا باستثناء القلب أردنا به حيث أبلغ الفقه أمحيث حرمه فيجب الامتناع ثم لايسول على كل قلب قرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وإنما الاعتبار بقلب العالم اللوفى الرقيب لدقائق الأحوال وهو المالك الذي يتجنب به خفايا الأمور ، وما أعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقته ، وجاء في الزبور : إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قل لبي إسرائيل إني لا أنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجل فذلك الذي أنظر إليه وأؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي .

(الباب الثالث : في البحث ، والسؤال ، والهجوم ، والإجمال ومظانها)

اعلم أن كل من قدم إليك طعاما أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تهب فليس لك أن تفتش عنه وتساءل وتقول هذا مما لا يحقق حله فلا تأخذه بل أفتش عنه وليس لك أيضا أن تركه البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن نحرجه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومتدوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله ، والقول الشافي فيه هو أن منظمة السؤال مواقع الريية ومنشأ الريية ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال .

(التيار الأول أحوال المالك)

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال إما أن يكون مجهولا أو مشكوكا فيه أو معلوما بنوع ظن يستند إلى دلالة . الحالة الأولى : أن يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزى الأعداء ولا ما يدل على صلاحه ككتاب أهل التصوف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات فإذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسب إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول وإذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا غائبا أو قاصبا أو غريبا ولا علامة تدل على كونه مريا أو خائنا ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول ولا يدري حاله ولا هو ولا هو إلا مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان فأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدري وبين ما يشك فيه وقد عرفت بما سبق أن الورع ترك ما لا يدري . قال يوسف بن أسباط منذ ثلاثين سنة ما شك في قلبي شيء إلا تركته وتكلم جماعة في أشق الأعمال فقالوا هو الورع فقالوا لهم حسان بن أبي سنان ما شئ عندى أسهل من الورع إذا شك في صدرى شيء تركته فهذا شرط الورع وإنما ذكر الآن حكم الظاهر ، فنقول حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاما أو حمل إليك هدية أو أردت أن تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلائلنا كافيان

(الباب الثالث : في البحث والسؤال)

يأخذ عنه قرن يستفده ثم إذا عاد الفقير إلى زاويته واستفتح ديوان معامته وميز مستور حاله يجد النفس مقارئة للقلب بمزيد تقبل موجب لثبرمه بها وكذا ازداد قتلها تكدر القلب وسبب زيادة قتلها استمرارها في تناول هواها فيصير الخروج إلى الصحراء عين الداء ويظن الفقير أنه ترويع ودواء فلو صبر على الوحدة والحلوة ازدادت النفس ذبانا وخفت ولطفت وصارت قرينا صالحا للقلب لا يستغلها وعلى هذا قياس الترويح بالأشغال فللنفس وثبات إلى ترويح الترويح فن فطن لهذه الدقيقة لا ينتر بالترواح للستارة التي لا تحمد عاقبتها ولا تؤمن غائبتها ويتثبت عند ظهور خاطر السفر ولا يكثر بالخاطر بل يطرحه بسدم الالتفات

في الهجوم على أخذه، وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا السلم بينه وإن بعض الظن إثم وهذا السلم يستحق بإسلامه عليك أن لاتسمى الظن به فإن أسأت الظن به في عينه لأنت رأيت فسادا من غيره قد جنبت عليه وآمنت به في الحال قدما من غير شك ولو أخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضی الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا يزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الأسواق وكان الحرام أيضا موجودا في زمانهم وما نزل عنهم سؤال إلا عن رمية إذا كان صلى الله عليه وسلم لا يزال عن كل ما يجعل إليه بلأسا في أول قدومه إلى المدينة عما يجعل إليه أصدقة أم هدية (١) لأن قرينة الحال تدل وهو دخول المهاجرين للمدينة وهم قراء قلب على الظن أن ما يجعل إليهم بطريق الصدقة، ثم إسلام للعلوي ويده لا يدلان على أنه ليس بصدقة، وكان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقة أم لا (٢) إذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة، ولذلك دعت أم سنب (٣) ودعا الحياط (٤) كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقدم إليه طعاما فيه قرع، ودعا الرجل الفارسي فقال عليه الصلاة والسلام «أنا وعائشة فقال لا تقال فلا ثم أجابه بعد فنهبط هو وعائشة يساوقان قرب إليها إهالة (٥) ولم يقل السؤال في شيء من ذلك، وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كعبه لما رآه من أمره، وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقاه من لبن إبل الصدقة إذ رآه وكان أعجب طعمه ولم يكن على ما كان يأفقه كل مرة وهذه أسباب الرتبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا بأجابه من غير تفتيش بلو رأى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عز زهوا كثيرا فمن أين يجمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بينه يحتمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه فهو بينه يستحق إحسان الظن به، وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا ما يدرى من أين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وإن كان لا بد له من أكله فليأكل بغير سؤال إذ السؤال إيذاء وهتك ستر وإعماش وهو حرام بلا شك. فان قلت له لعل لا يأتى فأقول لعل لا يأتى فأتى تسأل حنرا من ثمل فان قمت قلل ماله حلال وليس الاتم المهدور في إيذاء مسلم بأكل من الاتم في أكل الشربة والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدرى هو به لأن الإيذاء في ذلك أكثر وإن سأل من حيث لا يدرى هو قفيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تثبت بالنية وإن لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منبه عن في آية واحدة قال الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - ولم زاهد جاهل يوحى القلوب بالتفتيش ويتكلم الكلام الحسن للؤذى وإعماش بحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشبهة بأكل الحلال ولو كان باعث محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يأتى

(١) حديث سؤاله في أول قدومه إلى المدينة عما يجعل إليه أصدقة أم هدية أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقة أم هدية الحديث تقدم في الباب قبله من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقة أم لا هذا معروف مشهور من ذلك في الصحيحين من حديث أبي مسعود الأنصاري في منيع أبي شعيب طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا خامس خسة .

(٣) حديث دعت أم سلمة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث أنس أن خياط دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم إليه طعاما فيه قرع متفق عليه (٥) حديث دعا الرجل الفارسي فقال أنا وعائشة الحديث مسلم عن أنس.

مسيئا ظنه بالنفس وتوحيلاها ومن هذا القبيل والله أعلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشمس تطلع من بين قرني الشيطان» فيكون للنفس عند طلوع الشمس وثبات تستند تلك الوثبات والتبنيات من النفس إلى الزجج والطابع وبطول شرح ذلك ويسق ومن ذلك القبيل خفة مرض الرضى غدوة بخلاف المشيات فيتشكل اهتزاز النفس بهزات القلب ويدخل على الفقير من هذا القبيل آفات كثيرة يدخل في مداخل باهتزاز نفسه طمانته أن ذلك حكم نهوض قلبه وربما يتردى له أنه بالله يسول وبالله يقول وبالله يتحرك قد ابتلى بهضة النفس ووثوبها ولا يلبس هذا الاشتباه إلا لأرباب القلوب وأرباب الأحوال

أشدهن خوفاً على بطنه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤخذ بما لا يدري إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع الترك دون التجسس وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن هذا هو للأوفى من الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع وهو حال مبتدع وليس مجتمع فمن يبلغ أحمدته أحدم ولا نصيفه ولو أشفق ما في الأرض جميعاً كيف « وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً بريرة قبل أن يهده صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية (١) » ولم يسأل عن التصديق عليها فكان للتصديق مجهولاً عنده ولم يتبع . الحالة الثانية : أن يكون مشكوكاً فيه بسبب دلالة أوردت رية فلذلك كرسورة رية ثم حكمها . أما صورة الرية فهو أن تطلع على تحريم ما فيه دلالة إيمان خلقته أو من زبه وثابه أو من فيه وقوله ، أما الحلقة فبأن يكون على خلقه الأثر والبدوى والمرء في الظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب وأن يكون الشمر مفرقا على رأسه على دأب أهل القصاد ، وأما الثياب فالتقاء والقنصوة وزى أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم ، وأما الفعل والقول فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يعمل فإن ذلك يدل على أنه يتساهل بإضلال اللال ويأخذ ما لا يعمل فيه مواضع الرية فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئا أو يأخذ منه هدية أو يجه إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات فيحتمل أن يقال البتة تدل على ذلك وهذه الدلالات ضئيفة بالإقدام جائز والترك من الورع ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضئيفة وقد قال بلها من هذه الدلالة فأوردت رية فالهجوم غير جائز وهو الذي تخافه وتفتي به قوله صلى الله عليه وسلم « مع ما يريك إلى ما لا يريك (٢) » فظاهره أمر وإن كان يحتمل الاجتناب لقوله صلى الله عليه وسلم « الإثم حراز القلوب (٣) » وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولأن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصدقه هو أهدية وسأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه وكل ذلك كان في موضع الرية وحله على الورع وإن كان ممكنا ولكن لا يعمل عليه إلا بقياس حكى والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فإن دلالة اليد والإسلام وقدرتها هذه الدلالات أوردت رية فإذا تخالفا فلا استحلال لاستدلاله وإنما لا يترك حكم اليد الاستصحاب بشك لا يستدل إلى علامة كما إذا وجدنا لاء متغيرا واحتمل أن يكون بطول للكس فلان رأينا غلبة بالث فيه ثم احتمل التغير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشارب وليس القباء وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال أما القول والفعل المختصان للشرع إن تعلقا بظلم اللال فهو أيضا دليل ظاهر كالأصمعيه بأمر القصب والظلم أو يقدح الرأيا فأما إذا رأى قد شتم غيره في غضبه أو أتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضئيفة فكم من إنسان يتخرج في طلب اللال ولا يكتسب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بحث فليست اليد في مثل ذلك عليه . وأقول إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم وإن رآه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذا تعارضت الدلالات بالإضافة إلى اللال وتساقتا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدى الدلاتين تناسب اللال على الخصوص فكم من متخرج في اللال لا يتخرج في غيره وكمن من حسن الصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يحسد الحكم في هذه الواقعة ما يبلغ إلى القلب فإن هذا أمر بين البديويين الله فلا يمدان يناط بسبب خفي لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حازنة القلب ثم ليتنبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ما له حرام بأن يكون

وغير أرباب القلب والحال من هذا يميز وهذه مزية قدم خصصة بالخواص دون العوام فاعلم ذلك أنه عزيز على وأقل مراتب الفقراء في مبادئ الحركة للسفر للتصحيح وجه الحركة أن يتنبهوا صلاة الاختيار وصلاة الاستخار لا يعمل وإن تبين للفتير صحة خاطره أو تبين له وجه الصلحة في السرفريان أو ضحك من الخاطر فليقوم مراتب في التبيان من العلم بصحة الخاطر وبما فوق ذلك ففي ذلك كله لا يعمل صلاة الاستخارة ابتغاء للصحة ففي ذلك البركة وهو من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إمام قال أنا أبو القاسم بن عبد الرحمن في كتابه أن أبا سعيد السكجودي أخبرهم

(١) حديث أكله طعام بريرة قبل أن يهده صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث مع ما يريك إلى ما لا يريك قبله (٣) حديث الإثم حراز القلوب تقدم في العلم .

جندياً أو حائل سلطان أو ناعمة أو مخبة فإن دل على أن في ماله حراماً قليلاً لم يكن السؤال واجباً بل كان السؤال من الورع . الحالة الثالثة : أن تكون الحالة معلومة بنوع خبره وبممارسة بحيث يوجب ذلك ظناً في حل المال أو تحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل وديارته وعدالته في الظاهر ويجوز أن يكون الباطن مغايراً فنهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كافي المجهول فالأولى بالإقدام والإقدام هنا أهدى عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بيد عن الورع وإن لم يكن حراماً وأما أكل طعام أهل الصلاح فنداب الأنياء والأولياء قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طاماً نقي » ولا يأكل طعامك إلا نقي ^(١) » فأما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو مرقب أو مرقب واستثنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والقيام فهنا السؤال واجب لا محالة كافي موضع الريبة بل أولى .

(لثارت الثاني ما يستند الشك فيه إلى سبب المال في حال المال)

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غصب واشترتها أهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام فند ذلك يجب السؤال فإن لم يكن هو الأكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة رضي الله عنهم لم يفتشوا من الشراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول التهمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وإنما السؤال شل عن آحادهم نادراً في بعض الأحوال وهي محال الريبة في حق ذلك الشخص المين وكذلك كانوا يأخذون الضامن من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون في تلك الضامن شيء مما أخفوه من المسلمين وذلك لا يحل أخذه جازاً بالاتفاق بل يد على صاحبه عند الشافعي رحمه الله وصاحبه أولى به باليمن عند أي خيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا . وكتب عمر رضي الله عنه إلى أذريجان إنكم في بلاد تدع فيها البيعة فانظروا ذك من ميثه أذن في السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدرام التي هي أمانها لأن أكثر دراهمهم لم تكن أمان الجلود وإن كانت هي أيضاً تباع وأكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه إنكم في بلاد أكثر قصاياها الجوس فانظروا الذكي من البيعة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال ولا يضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها [مسئلة] شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام منصوب أو مال منسوب ومثل أن يكون القاضي أو الرئيس أو العامل أو القهبة الذي له إدار على سلطان ظالم أيضاً مال موروث ودهقنة أو نجارة أو رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويرى أيضاً فإن كان الأكثر من ماله حراماً لا يجوز لأكل من ميثاقته ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش فإن ظهر أن المأخوذ من وجهه حلال فذاك وإلا ترك وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبته فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبين إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكية بشري ميثاقته مثلاً وجب اجتناب الشكل وهذا يشبهه من وجه من حيث إن مال الرجل الواحد كالصور لا سيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ومغايرة من وجهه إذ البيعة يعلم وجودها في الحال يقينا والحرام الذي خالطه ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجوداً في الحال وإن كان المال قليلاً وعلم قطعاً أن الحرام موجود في الحال فهو ومشكلة اختلاط البيعة واحد وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك وبشبهه من وجه الاختلاط بغير محصور كافي الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك في

(١) حديث لا تأكل إلا طاماً نقي ولا يأكل طعامك إلا نقي تقدم في الزكاة .

أن الهجوم عليه يمد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا ماقض للمدالة وهذا من حيث القتل أيضا غامض لتجاذب الأشياء ومن حيث القتل أيضا غامض لأن ما ينقل فيه عن الصعابة من الامتناع في مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من إقدام على الأكل كما كل أبي هريرة رضي الله عنه طعامهما معا مثلا إن قدر في جملة ما في يده حرام فذلك أيضا عمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ماأكله من وجه مباح فالأصل في هذا ضئيفة الدلالة ومذاهب العلماء للتأخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو أعطى السلطان شيئا لأخذته وطرد الإباحة فيها إذا كان الأكل أيضا حراما مهما لم يعرف عين للأخوذ واحتدل أن يكون حلالا واستدل بأخذ بعض السلف جواز السلطين كسب أي في باب بيان أموال السلطين فأما إذا كان الحرام هو الأكل واحتدل أن لا يكون موجودا في الحال لم يكن الأكل حراما وإن تحقق وجوده في الحال كما في مسألة اشتباه الذبابة باليتة فهذا مما لا أدري ما أقول فيه وهو من التشابهات التي يتجمل للفقهاء فيها لأهميتها بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضية إذا اشتبهت بقرية فيها عشرين نسوة وجب الاجتناب وإن كان يبلغه فيها عشرة آلاف لم يجب وبينهما أعداد ولوسلت عنها لكنت لأدري ما أقول فيها وقد توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه إن شئت أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى ميذا فوقع في ملك غيره أياكون الصيد للرأى أو لملك الأرض قال لأدري فروجع فيه مرات قال لأدري وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع للفقهاء طمعه عن درك الحكم في جميع الصور وقد سأل ابن البارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما يماثلون السلاطين فقال إن لم يماثلوا سوى السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على السامعة في الأكل ومحتدل السامعة في الأكل أيضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرجون بالكيفية المعاملة لانتصاب والحجاز والتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا أو لمعاملة السلطان مرة وتقدر ذلك فيه بعد والشيء مشكلة في نفسها فإن قيل فقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رخص فيه وقال خذ ما يسطيك السلطان فأما يسطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك فقال له السائل إن لي جارا لا أعلمه إلا خبيثا يدعونا أو نحتاج فنستملقه فقال إذا دعاك فأجبه وإذا احتجت فاستسلقه فإن لك الهنا وعليه المأثم وأفق سلمان بثلث ذلك وقد علل على بالكثرة وعلى ابن مسعود رضي الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرف ولك الهنا أي أنت لا تعرفه . وروى أنه قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه إن لي جارا يأكل الربا فيدعوني إلى طعامه أفأجبه قال نعم وروى في ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعي ومالك رضي الله عنهما جواز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط ما لهم الحرام . قلنا أما ما روى عن علي رضي الله عنه قد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فإنه كان يتمتع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت التسل لا يجد غيره ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز وفصله عمل للورع ولكنه لو صرح فقال السلطان له حكم آخر فإنه يحكم كثرته بكاد يلتحق بما لا يحصر وسيأتي بيان ذلك وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان وسيأتي حكمه وإنما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم قرية من الحصر وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه قبل إنه إنما قلته خواتم التيمم وأنه ضئيف الحفظ والشهور عنه ما يدل على توقي الشبهة إذ قال لا يقول أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتهيات فدع ما يريك إلى ما لا يريك وقال اجتنبوا الحسكا كات فيها الاسم . فإن قيل فلم قلت إذا كان الأكل حراما لم يجز الأخذ مع أن

جوز لي فيه وإن كنت
معه شرا لي مثل ذلك
فأصره عنى وأصرنى
عنه وأقدر لي الخير
حيث كان .

[الباب السابع عشر
فيما يحتاج إليه الصوفي
في سفره من الفرائض
والفضائل]

فأما من الفقه وإن
كان هذا يذكر في كتب
لفقه وهذا الكتاب
غير موضوع لذلك
ولكن قول على سبيل
الإيجاز تبينا بذكر
للحكم الشرعية التي
هي الأساس الذي يبنى
عليه لا بد للصوفي
للسافر من علم التيمم
والسج على الخفين
والقصر والجمع في
الصلاة أما التيمم فجائز
للمريض والسافر في
الجبابة والحديث عند
عدم الماء أو الخوف
من استعماله تلقا في
النفس أو المال أو
زيادة في اللرض على
القول الصحيح من
الذهب وأوعده حاجته

لأخود ليس فيه علامة تدل على تحريره على الخصوص والإدعاء على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والسكينة توجب ظنا مرسلًا لا يتعلق بالعين فليكن كتاب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام ولا يجوز أن يستدل على هذا بموضع قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو أن يريبه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب ريبه ومع ذلك قطعت بأنه لا يحرم . فالجواب أن اليد دلالة ضمنية كالاستصحاب وإنما تؤثر إذا سلت عن معارض قوى فإذا تحققت الاختلاط وتحققنا أن الحرام المالحظ موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين بقدر ما له من المحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله عليه السلام «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» لا يتيقن له حمل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بخلاف غير محصور إذ كان ذلك موجودًا في زمانه وكان لا بدعه وحلى أى موضع حمل هذا كان هذا في مناه وحمله على التزني صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحرير هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب والسكينة تأثير في تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعنا حتى قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا يجزئ في الأواني إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر فاشتراط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة السكينة ومن قال يأخذ أى آية أراد بلا اجتهد بناء على مجرد الاستصحاب بيجوز الشرب أيضا فيلزم التجوز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجزئ ذلك في بول اشتباه بما إذ لاستصحاب فيه ولا نظره أيضا في مئة اشبهت مذكية إذ لاستصحاب في البيت واليد لاتدل على أنه غير مئة وتدلى في الطعام . الباع على أنه ملك فههنا أربع متعلقات استصحاب وقلة في المخلوط أو كثرة وانحصار أو اتساع في المخلوط وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الأربعة ربما يغلط فينبه بعض السائل بما لا يشبهه فحصل مما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم يقين أو يظن عن علامة أو توهم فالسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا كالو رأى تركيا مجهولا يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة وإن كان الأقل مملوفا باليقين فهو محل التوقف وتكاد تيسير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الليل إلى الرخصة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلا . مسئلة : إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل في يده حرام من ادراكه قد أخذته أوجه أخرى ولا يدري أنه بقى إلى الآن أم لا ؟ فله الأكل ولا يلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع ولو علم أنه قد بقى منه شيء ولكن لم يدر أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل وقد سبق أن أمر الأقل بمشكل وهذا يقرب منه . مسئلة : إذا كان في يد التولى للغير أو الأوقاف أو الوصايا مالان يستحق أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يسلف إليه صاحب الوقف نظر، فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يرفعها التولى وكان التولى ظاهر العدالة فله أن يأخذ بغير بحث لأن الظن بالتولى أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذى يستحقه وإن كانت الصفة خفية وإن كان للتولى ممن عرف حاله أنه يغلط ولا يبالى كيف يغفل فله السؤال إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يمول عليه وهو وزن سؤال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهدية عند تردده فهما لأن اليد لا تخص المدينة عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينبج منه إلا السؤال فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لثمان ذبيحتيه واحتمل أن يكون مجوسا لم يجزله ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد

إلى الماء الوجود لمطه
أو عطش دابته أو
رفيقه في هذه الأحوال
كلها يصلى بالتييم
ولا إعادة عليه والخائف
من البرد يصلى بالتييم
وبعيد الصلاة على
الأصح ولا يجوز التيمم
إلا بشرط الطلب للماء
في مواضع الطلب
ومواضع الطلب مواضع
تردد السافر في منزله
للاحتياط والاحتشاش
ويكون الطلب بعد
دخول الوقت والسفر
القصير في ذلك الطويل
وإن صلى بالتييم مع
تيقن الماء في آخر
الوقت جاز على الأصح
ولا يبعد مهما صلى
بالتييم وإن كان الوقت
باقيا ومهما توهم وجود
الماء بطل تيممه كما إذا
طلع ركب أو غير ذلك
وإن رأى الماء في أثناء
الصلاة لا تبطل صلاته
ولا تلزمه إعادة
ويستحب له الخروج
منها واستئناف الوضوء
على الأصح ولا يقيم

لا تندر في اللينة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين فيجوز أن يظن بالذي ليس فيه علامة الكفر أنه مسلم. وإن كان الخطأ ممكناً فيه فلا ينبغي أن تلبس الواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد . مثله : له أن يشتري في البلدة داراً وإن علم أنها تشتمل على دور منصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وإن كان في سكة عشر دور مثلاً أحدها منصوب أو وقف لم يميز الشراء ما لم يميز ويرغب البحث عنه ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها أرباب الذاهب وهو على منهب واحد من جملة تلك الذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء وبأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التمييز ولا يجوز الهجوم مع الإيهام لأن الرباطات وللدارس في البلدة لابد أن تكون محصورة . مثله : حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالي بضمم مثله إذ يجب إيداء الظالم بأكثر من ذلك والمطالب أن مثل هذا لا يضمن من السؤال ، نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لا يضمنون من سؤاله ولأن عليه أن يسأل ليخلص طريق الحلال وكذلك سأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر من سقاء من إبل الصدقة وسأل أبا هريرة رضي الله عنه أيضاً لما أقدم عليه بمال كثير فقال وعك أكل هذا طيب من حيث إنه تعجب من كثرتهم وكان هو من رعيته لاسياً وقد رفق في صفة السؤال وكذلك قال على رضي الله عنه ليس شيء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورفقه ولا شيء أبغض إليه من جوره وخرقه . مثله : قال الحرث الحامسي رحمه الله لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لوسأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يدوله ما كان مستورا عنه فيكون قد حمل على هناك السر ثم يؤدي ذلك إلى البغضاء وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع في مثل هذه الأمور الاحتراز عن هناك السر وإثارة البغضاء أعم وزاد في هذا فقال وإن رآه منه شيء أيضاً لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويحببه الحديث فإن كان لا يطمئن قلبه إليه فيبتز منطلقاً ولا يهتك سره بالسؤال قال لأنني لم أر أهدأ من العلماء فله فهذا مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما إذا خالط للمال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقيق لأن لفظ الزهية يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليأخذ هذه الدقائق بالسؤال . مثله : ربما يقول المائل أي فائدة في السؤال ممن يعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق بأمانته فليثق بديانته في الحلال . فأقول مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض في حضورك ضيافته أو قبولك حديثه فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فينبغي أن يسأل من غيره وكذا إن كان يبايعاً وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة في السؤال منه وإنما يسأل من غيره . وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن معها كما يسأل التولى على المال الذي يسله أنه من أي جهة وكأ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤذى ولا يهين القائل فيه وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدري طريق كسب الحلال فلا يهينهم في قوله إذا أخبر عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فهنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال مهما فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل وأعد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينته حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما يحصل بقول عدل في بعض الأحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من

الغرض قبل دخول الوقت ويتمسك لكل فريضة ويصل مهما شاء من التوافل بيمين واحد ولا يجوز أداء الغرض بيمين النافقة ومن لم يجد ماء ولا تراباً يصل ويهد عند وجود أحدهما ولكن إن كان محدثاً لا يمس للمسح وإن كان جنباً لا يقرأ القرآن في الصلاة بل يذكر الله تعالى عوضاً للتراب ولا يقيم إلا بتراب طاهر غير خالط لرمل والجص ويجوز بالتيار على ظهر الحيوان والتوب ويسمى الله تعالى عند التيمم ونوى استباحة الصلاة قبل ضرب اليد على التراب ويضم أصابعه لضربة الوجه ويمس جميع الوجه فلا يبقى شيء من عمل الغرض غير مسح لأصبع التيمم وضرب ضربة للدين مبسوطاً لأصابع يمين بالتراب عمل الغرض

تري المدالة في ظاهره يصدق وإنما تطبت كشهادة لمدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قيل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق وكمن شخص تعرفه وتعرف أنه قد يتعمق الماصي ثم إذا أخبرك بشيء وثقت به وكذلك إذا أخبر به صبي بمن عرفته بالثبوت قد تحصل الثقة بقوله فيحمل الاعتقاد عليه فأما إذا أخبر به مجبول لا يدري من حاله شيء أصلاً فهذا بمن جوزنا الأكل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة نفي ظناً قوياً لأن أثر الواحد فيه في غاية الضعف فلينظر إلى حد تأثيره في القلب فان التثق هو القلب في مثل هذا الموضع والقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فلي تأمل فيه ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عقبة بن الحرث **و** أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن تزوجت امرأة فبجأت أمة سوداء فرجعت أنها قد أرستنا وهي كاذبة فقال دعها فقال إنها سوداء يصفر من شأها فقال عليه السلام فكيف وقد رجعت أنها قد أرستنا لا خير لك فيها دعها عنك ^(١) ، وفي لفظ آخر كيف وقد قيل **و** مهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أمارته غرض له فيه كان له وقع في القلب لاحتالة لذلك يتأكد الأمر بالاحتراز فان اطمان إليه القلب كان الاحتراز حتماً واجباً . مسألة : حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فائتين ومجوز أن يرجع في قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاضلين ومجوز أن يرجع أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يشتمل تصويره . مسألة : لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعاً في يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من النصب فان كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع . وإن كان الرجل مجبولاً لا يعرف منه شيئاً فان كان يكترون ذلك للتاع من غير النصب فله أن يشتري وإن كان لا يوجد ذلك للتاع في تلك البقعة إلا نادراً وإنما كثر بسبب النصب فليس يدل على الحل إلا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل للتاع ونوعه فالامتناع عن شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أن أردّه إلى قلب المستفتي لينظر ما الأقوى في همه فان كان الأقوى أنه منصوب لزمه تركه وإلا حله شراً ومأ كثر هذه الوقائع يلتبس الأمر فيها فهي من التشابهات التي لا يبرحها كثير من الناس فمن تواقها فقد استبرأ لرحمته وبدنه ومن اتحمها فقد حام حول الحمى وسخط بنفسه . مسألة : لو قال قائل قد سألت رسول الله **ﷺ** عن لبن قديم إله فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هي فذكره فسكت عن السؤال ^(٢) . فيجب السؤال عن أصله للآملا وإن وجب فمن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه ؟ فأقول لا ضبط فيمو لا تجد يرسل ينظر إلى الرية للتفتية لسؤال إملوجوباً أو ورعاً ولا غاية لسؤال إلا حيث تقطع الرية للتفتية وذلك بخلاف باختلاف الأحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشترت اقطع بسؤال واحد وإن قال من شاة وقع الشك في الشاة فان قال اشترت اقطع وإن كانت الرية من الظلم وذلك مما في أيدي العرب ويتوكل في أيديهم النصب فلا تقطع الرية بقوله إنه من شاة ولا يقوله إن الشاة ولدت شاة فان أسنده إلى الوراة من أيه وحالة أيه مجبولة اقطع السؤال وإن كان يعلم أن جميع مال أيه حرام

(١) حديث عقبة بن جهم أن امرأة فبجأت أمة سوداء فرجعت أنها قد أرستنا وهي كاذبة البخاري من حديث عقبة بن الحرث (٢) حديث سأل رسول الله **ﷺ** عن لبن قديم إله الحديث تهم في الباب الخامس من آداب الكسب والمال

وإن لم يقدر إلا بشرتين فصاعداً كيف أمكنه لا بد أن يتم التراب على القرض ويمسح إذا فرغ إحدى الراحتين بالأخرى حتى تصيرا مجسحتين ويمسح اليد على ما نزل من الحبة من غير إصا التراب إلى الثابت . وأما للسح : فيمسح على الحبة بمائة أيام وليلتين في السفر والقيم يوماً وليلة وابتداء للدة من حين الحدث بمديس الحف دمن حين لبس الحف ولا حاجة إلى النية عند لبس الحف بل يحتاج إلى كمال الطهارة حتى لو لبس أحد الحف قبل غسل الرجل الأخرى لا يصح أن يمسح على الحف ويشترط في الحف إمكان متابعة الشيء عليه وستر عمل القرض ويكتفى مسح سير من أثنى الحف والأولى مسح أعلاه وأسفله

فقد ظهر التحريم وإن كان يعلم أن أكثره حرام بكثرته التولد وطول الزمان وتطرق الإرث إليه لا يغير حكمه فليظفر في هذه المعاني . مسألة : سئلت عن جماعة من سكان خاقان الصوفية في يد خادمهم الذي يقدم إليهم الطعام وفت على ذلك للسكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء وهو يخلط السكك وينفق على هؤلاء . هؤلاء فأكل طعامه حلالاً وأحراماً أوشبهه . فقلت إن هذا يلتفت إلى سبعة أصول . الأول : أن الطعام الذي يقدم إليهم في الغالب يشتري بالمعاطة والذي اخترناه صحة المعاطة لاسيما في الأطعمة والمستحقات فليس في هذا إلا شبهة الخلاف . الأصل الثاني : أن ينظر أن الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام أو في الذمة فإن اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وإن لم يعرف بالغالب أنه يشتري في الذمة ويجوز الأخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام . الأصل الثالث : أنه من يشتريه فإن اشترى بمن أكثر ماله حرام لم يجز وإن كان أقل ماله فيه فنظر قد سبق وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه بمن ماله حلال أو بمن لا يدرى المشتري حاله يمين كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال . الأصل الرابع : أن يشتريه لنفسه أو للقوم فإن التولى والخادم كالتائب وله أن يشتري له ونفسه ولكن يكون ذلك بالنية أو صريح اللفظ وإذا كان الشراء يجري بالمعاطة فلا يجري اللفظ والغالب أنه لا ينوي عند المعاطة والقبض والحياز ومن يعامله يحول عليه ويقصد البيع منه لا يمين لا يحضرون فيقع عن جيبته ويدخل في ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن ثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم . الأصل الخامس : أن الخادم يقدم الطعام إليهم فلا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتياداً على عوضه من الوقت فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا إقراض لأنه لو اتهم لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فأعني أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب أعني هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حاله أنه يطعم في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وهنا ما طعم الخادم في أن يأخذ ثواباً فيما قدمه لإحقتهم من الوقت ليقضي به دينه من الحياز والقبض واليقال فهذا ليس في شبهة إذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب ولا بإزالة بقول من لا يصحح هدية في انتظار ثواب . الأصل السادس : أن الثواب الذي يلزم فيه خلاف قيل إنه أقل منقول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى لا يرضى بأضعاف القيمة الصحيح أنه يتبع رضا فإذا لم يرض بحد عليه وهنا الخادم قد رضى بما يأخذ من حق السكان على الوقت فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر وإن كان ناقصاً ورضى به الخادم صح أيضاً وإن لم يكن الخادم لا يرضى لولا أن في يده الوقت الآخر الذي يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكانت رضى في الثواب بمقدار بعينه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل في أيدي السكان فهذا كالحلل التطرق إلى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة وهذا لا يقتضي تحريماً على ما فصلناه فلا تغلب الهدية حراماً يتوصل للهدى بسبب الهدية إلى حرام . الأصل السابع : أنه يقتضي دين الحياز والقبض واليقال من ربيع الواقفين فإن وفي ما أخذ من حقهم بقيمة ما أطعمهم قد صرح الأمر وإن قصر عنه فرض القصاب والحياز بأي ثمن كان حراماً أو حلالاً فهذا دخل تطرق إلى ثمن الطعام أيضاً فليفت إلى ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من الحرام هذا إذا علم أنه قضاء من حرام فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أمد وقد خرج من هذا أن كل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته أقوى

من غير تكرار ومق
لمرتفع حكم اللح
بإقتضاء اللذة أو ظهور
شئ من محل الفرض
وإن كان عليه لثافة
وهو على الظاهر يفضل
القديمين دون استئناف
الوضوء على الأصح
وللإسح في السفر إذا
أقام يسح كالقيم
وهكذا للقيم إذا سافر
يسح كالسافر والليل
إذا ركب جوراً ونزل
يجوز الإسح عليه ويجوز
على للخرج إذا ستر
محل الفرض ولا يجوز
على للنسوج وجهه
الذي يستر بعض القدم
به والباقي بالثافة .
فأما القصر والجمع
فيجمع بين الظهر
والعصر في وقت أحدهما
ويقيم لكل واحدة
ولا يغسل بينهما بكلام
وغيره . وهكذا الجمع
بين القرب والعتاء
ولا قصر في القرب
والمسح بل يصليهما
كركبتهما من غير
قصر وجمع . والسنة

في النفس كما أن الخبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه أقوى بما إذا قرب إسناده فهذا حكم هذه الواضحة وهي من الفتاوى وإجماعاً وأوردناها ليعرف كيفية تخرج الواقع للفتنة للفتنة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يحسن عنه أكثر للفتن .

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم للآلية)

اعلم أن من تاب وفي يده مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى في مصرف المخرج فلينظر فيما .

(النظر الأول في كيفية التمييز والخراج)

اعلم أن كل من تاب وفي يده ماهو حرام معلوم المين من غصب أو ودية أو غيره فأمره سهل فعليه تمييز الحرام وإن كان متنبساً خطأ فلا يغلو بما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالحيوب والنفود والأدهان وإما أن يكون في أعيان متآزمة كالصيد والدور والياب فإن كان في التآلمات أو كان شامها في المال كله كمن اكتسب للمال بتجارة يعلم أنه قد كذب في بعضها في الرابعة وصدق في بعضها أو من غضب دعها وخلطه بدهن تيمه أو فصل ذلك في الحبوب أو الدرام والناتير فلا يغلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولاً فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وإن كان أشكل فله طرقتان أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بنائب الظن وكلاهما نذال به المداء في اشتباه ركعات الصلاة ونحو لا يجوز في الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال الامة فيستصحب ولا يشير إلا بعلامة قوية وليس في أعداد الركعات علامات يوثق بها وأما ههنا فلا يمكن أن يتل الأصل إلا ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بنائب الظن اجتهداً ولكن الورع في الأخذ باليقين فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستقي إلا القدر الذي يتيقن أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلاً أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلاً حرام وسبق سدس يشك فيه فيحكم فيه بنائب الظن وهكذا طريق التحري في كل ماله وهو أن يقتطع القدر للتيقن من الجانبين في الحل والحرمه والقدر التردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جازله الامسك والورع إخراجه وإن شك فيه جاز الامسك والورع إخراجه وهذا الورع أكد لأنه صار مشكوكاً فيه وجاز إمساكه اعتقاداً على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفاً بعد يتيقن اختلاط الحرام ويحتمل أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا ما يظن على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يتيقن في الحل والرجح وهو من المشكلات . فإن قيل هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرج ليس يدرى أنه عين الحرام فقلل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز أن يقال إذا اختلطت ميتة بتسعة مذكرة فهي المشربة أن يطرح واحدة أي واحدة كانت ويأخذ الباقي ويستسهل ولكن يقال لم يلبث فيها استيقاها بل لو طرح التسعة واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال أنها الحرام . فقول هذه الواضحة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البذل لتطرق الماوضه إليه وأما الميتة فلا تطرق للماوضه إليها فليكشف النقاء عن هذا الاشكال بالقرض في درهم معين اشبهه بدرهم آخر فيمنه درهمان أحدهما حرام قد اشبهه عنه وقد سئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن مثل هذا قال يبيع السك حتى يتيقن وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حل إليه الرهن آتينين وقال لأدري أينما آتينك فذكرهما قال الرهن هذا هو الذي لك وإجماعاً كنت اخترتك قضى دينه ولم يأخذ

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم)

الرواتب صلها بالجمع
بين السنتين قبله
الفرستين للظهر
والصر وبعد الفراغ
من الفرستين يصل
ما يصل بعد القرضه
من الظهر ركعتين
أو أربعاً وبعد
الفرغ من القرب
والشاه يؤدى السن
الرابعة لها ويوزر
بدها ولا يجوز أداء
القرض على الدابة
بحال إلا عند التحام
القتال للغزى ويجوز
ذلك في السنن
الرواتب والتوافل
وتكفيه الصلاة على
ظهر المداية وفي الركوع
والسجود الإيماء
ويكون إيماء السجود
أخفض من الركوع
إلا أن يكون قادراً
على التحنن مثل أن
يكون في محاوره وغير
ذلك ويقوم توجهه
إلى الطريق مقام
استقبال القبلة ولا
يوجهها إلى غير
الطريق إلا لقلبه حتى

الرهن وهذا ورع ولكننا نقول إنه غير واجب فانفرض الشئ في درهم له مالك معين حاضر فقول إذا رد أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لأنه لا يجوز ما أن يكون الردود في علم الله هو المأخوذ فقد حصل القصد وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فلا احتياط أن يتباين باللفظ فإن لم يفعل واقع النقاص والتبادل بمجرد المعاطة وإن كان المنسوب منه قد فات له درهم في يد الناصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضمانه فلما أخذ وقع عن الضمان بمجرد القبض وهذا في جانبه واضح فإن الضمون له بمالك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه . فقول لأنه أيضا إن كان قد تلزم درهم نفسه قد فات له أيضا درهم في يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالتائب فيقع هذا بدلا عنه في علم الله إن كان الأمر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع النقاص لو أنفد رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه بل في عين مسئلتنا لو أنفق كل واحد مافي يده في البحر أو أحرقة كأن قد ألقته ولم يكن عليه عهدة الآخر بطريق النقاص فكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من الصير إلى أن من يأخذ درهما حراما ويطرعه في ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا للذهب يؤدي إليه فانظر مافي هذا من البعد وليس فبا ذكرناه إلا ترك اللفظ والمعاطة يسع ومن لا يعملها يما بحث يتطرق إليها احتمال إذ الفعل يضعف دلالاته وحيث يمكن التلفظ وههنا هذا التسليم والتسلم للعبادة قطعا والبيع غير ممكن لأن البيع غير مشار إليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كالوخلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا اللبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض . فإن قيل فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه يما . قلنا لا نجعله يما بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك التلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقالنا أخذ درهما أصلا لإعني ملكي فإن استهم فأنكره ولا أهله وأعطل عليك مالك . فأقول على القاضي أن يوجب عنه في القبض حق يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعت والتضييق والسرعة لم يرد به فإن محجز عن القاضي والمجهد فليحكم رجلا متدينا ليقض عنه فإن محجز فيتولى هو بنفسه ويغرد على نية الصرف إليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط الباشمات أطهر وأكرم . فإن قيل فينبغي أن يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف في الباقي . قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ مادام يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجز له ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال وقال آخرون يجوز للأخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يحطى فإن أعطى عصى هودون الآخذ منه وما جاوز أحد أخذ الشكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلى يقع عين حق وبالعين وإخراج حق الغير وتمييزه بدفع هذا الاختال فهذا المال يرجع بهذا الاختال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كبقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما محتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما محتمل فيه رجوع القيمة وما محتمل فيه رجوع العين يقدم على ما محتمل فيه رجوع المثل ولو جاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على فضاء حقه من موضع آخر إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بأن يقدر فائتا بأولى من الآخر لأن الأخر لا ينظر إلى الأقل فيقدر أنه فائت فيه أو ينظر إلى الذي خلط فيجعل فعله متلفا لحق غير موكلهما بعيدا جدوا وهذا واضح في ذوات الأثقال فائتا تقع عوضا في الاتلافات من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبد بعبيد فلا سبيل إلى الصالحة والتراضي .

لو حرق دابته عن الصوب للتوجه إليه لا إلى نحو القبة بطلت صلاته . وللمائى يتنقل في السفر ويقتنه استقبال القبة عند الإحرام ولا يجوزته في الأحرام إلا الاستقبال ويقتنه الأبناء للركوع والسجود وراكب نقابة لا يحتاج إلى استقبال القبة للأحرام أيضا . وإذا أصبح للمسافر مقبلا ثم سافر ضليه أتمام ذلك اليوم في الصوم وهكذا إن أصبح مسافرا ثم أقام والصوم في السفر أفضل من الفطر وفي الصلاة القصر أفضل من الإتمام . فهذا القدر كاف للصوفي أن يسله من حكم الشرع في مهام سفره . فأما التدوب والتسحب فينبغي أن يطلب لنفسه رفقا في الطريق بعينه على أمر الدين وقد قيل الرفيق ثم الطريق وهي رسول الله صلى الله

فإن أي أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يموق عليه جميع ملكه فإن كانت متافعا قيم فاطريق أن يبيع القاضى جميع المهور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أخس المهور وصرف إلى المتعنت منه مقدار قيمة الأهل وبوقت قدر التفاوت إلى اليان أو الاصطلاح لأنه مشكل وإن أبوجدا القاضى فللذى يرد الخلاص وفي يده السكل أن يتولى ذلك بنفسه هذه الصلحة وماعداها من الاحتمالات ضئيلة لا تغتارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الخطة ظاهر وفي العقود دونه وفي العروض أغرض إذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج إلى البيع ولترسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل . مسألة : إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيقة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيقة قصفا وهو قدر حقه صاحبه الورثة فإن النصف الذي لا يتخير حتى يقال هو للردود والباقي هو للصلوب ولا يصير عيضا بنية السلطان وقصد حصر الصب في نصيب الآخرين . مسألة : إذا وقع في يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب ولال عتار وكان قد حصل منه ارتضاع فبينى أن يحسب أجر مثله لطول تلك اللدة وكذلك كل منسوب له منفعة أو حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج أجره للصلوب وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدر بأجرة العبيد والسياب والأواني وأشكال ذلك مما لا يتأد إجازتها بما يسر ولا يدرك ذلك إلا بالاجتهاد وتحسين وهكذا كل التوقيعات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى وما رجع على لال للصلوب في عقود عقدها على القصة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة إذا كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وإن كان بأعيان تلك الأموال فالعقود كانت فاسدة ، وقد قيل تنفذ بإجارة المنسوب منه للصلبة فيكون المنسوب منه أولى به والقياس أن تلك العقود تضعف وتترد الثمن وترد الأعواض فإن عجز عنه لكثرت فهي أموال حرام حصلت في يده فلمنصوب منه قدر رأس مالها والنقل حرام يجب إخراجها لصدق به ولا يجعل للناصب ولا للمنصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده . مسألة : من ورث مالا ولم يدرك أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثمن علامة فهو حلال بانفاق العلماء وإن علم أن فيه حراما وشك في قدره أخرج مقدار الحرام بالتحري فإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ في عمله شيئا أو كان قد أخذ ولم يبق في يده منه شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد . وقال بعض العلماء : لا يلزمه والام على اللورث واستدل بما روى أن رجلا من ولى عمل السلطان مات وقال صحابي الآن طاب ماله أى لورثه وهذا ضعيف لأنه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل بقدر كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصحة وكيف يكون موت الرجل مييحا لحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا نعم إذا لم يتيقن يجوز أن يقال هو غير مأخوذ بالابدري فيطيب لورث لا يدري أن فيه حراما بيتنا .

(النظر الثاني في المصرف)

فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال : إما أن يكون له مال معين فيجب المصرف إليه أو إلى وارثه وإن كان غائبا فينتظر حضوره أو الإيصال إليه وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده إلى وقت حضوره وإما أن يكون له مال غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدري أنه مات عن وارث أم لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك وبوقت حتى يتضح الأمر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كمنول النخلة فانها بعد تفريق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وإن قدر فكيف يفرق دينارها واحدا مثلا على ألف

عليه وسلم أن يسافر الرجل وحده إلا أن يكون صوفيا طالما بأفة نفسه يغتار الوحدة على بصيرة من أمره فلا بأس بالوحدة وإذا كانوا جماعة ينبغي أن يكون فيهم متقدم أمير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كنتم ثلاثة في سفر فامروا أحداكم » والذي يسميه الصوفية بشر وهو الأمير وينبغي أن يكون الأمير أزهد الجماعة في الدنيا وأوفر حظا من القوى وأهم مروءة وسخاوة وأكثر شفقة . روى عبدالله ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير أصحابي عند الله خيرهم لصاحبه » قل عن عبد الله الروزي أن أبا عبد الله الرباطي رحمه

قال على أن يكون أنا الأمير أو أنت قال بل أنت ففرز بل

أولئك فهذا ينبغي أن تصدق به وإما من مال الله والأموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك إلى القناطر والساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وأمثال هذه الأمور التي يتشارك في الانتفاع بها كل من يحرمها من المسلمين ليكون حاما للمسلمين وحكم القسم الأول لاشبهة فيما إذا تصدق وبناء القناطر فينبغي أن يتولاه القاضي فيقسم إليه المال إن وجد قاضيا متدينا وإن كان القاضي مستعلا فهو بالتسليم إليه ضامن لو ابتدأ به فبما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من أهل البلد حالما متدينا فإن التحكيم أولى من الانفراد فإن عجز فليتول ذلك بنفسه فإن التصود الصرف وأما عين الصارف فالحاظر نطلبه لمصارف دقيقة في الصانع فلا يترك أصل الصرف بسبب العجز عن مصارف هو أولى عند القدرة عليه . فإن قيل ما دليل جواز التصديق بما هو حرام وكيف تصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام . وحكى عن الفضيل أنه وقع في يده درهمان فعاظم أنهما غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال لا تصدق إلا بالطيب ولا أرضي لغيري ما لأرضاء نفسي فتقول تم ذلك وجه واحتمل وإنما اخترنا خلافه للخبر والأثر والقياس . أما الخبر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالثاء للصلاة التي قدمت إليه فكلتمه بأنها حرام إذ قال صلى الله عليه وسلم أطعموها الأسارى (١) ولما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيبلون - كذبه للشركون وقالوا للصحابه الاترون ما يقول صاحبكم يزعم أن الروم ستلب ، فخطبهم أبو بكر رضي الله عنه إذ نزل رسول الله عليه وسلم فلما حقق الله صدقه وجاء أبو بكر رضي الله عنه بما قامرهم به قال عليه الصلاة والسلام هذا سحت تصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم التمار بعد إذ نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المخاطرة مع الكفار (٢) وأما الأثر فإن ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية لم يظفر بالكفا لينفذه الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه إن رضي وإلا فالأجر لي ، وسئل الحسن رضي الله عنه عن توبة الغال وما يؤخذ منه بعد غريق الجيش فقال تصدق به . وروى أن رجلا سئل له قمه قل مائة دينار من النعمة ثم أتى أميره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له خرق الناس فأبى معاوية فأبى أن يقبض فأبى بعض الناس فقال ادفع خمسها إلى معاوية وتصدق بما بقي فلغ معاوية قوله خلفت إذ لم يخطر له ذلك ، وقد ذهب أحمد بن حنبل والدارس والماسي وجماعة من أتباعه إلى ذلك . وأما القياس فهو أن يقال إن هذا المال مردد بين أن يضيع وبين أن يصرف إلى خير إذ قد وقع اليأس من ماله وبالفروقة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من إلقائه في البحر فإنا إن ربنا في البحر فقد فوتاه على أمتنا وعلى المالك ولم تحصل منه فائدة وإذا ربنا في يد قدير يدعونا لملكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للقدير سد حاجته وحصول الأجر للمالك بغير اختياره في التصديق لا ينبغي أن يشكر

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالثاء للصلاة التي قدمت بين يديه وكلتمه بأنهارحرام إذ قال أطعموها الأسارى أحمد بن حنبل حديث رجل من الأنصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما رجنا لقينا راى امرأة من قريش فقال إن فلانة تدعوك ومن معك إلى طعام الحديث وفيه قال أجعلكم شاة أختت بغير إذن أهلها وفيه قال أطعموها الأسارى وإسناده جيد (٢) حديث خاطرة أبي بكر الشريكين باذنه صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم - وفيه قال صلى الله عليه وسلم هذا سحت تصدق به البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس وليس فيه أن ذلك كان باذنه صلى الله عليه وسلم والحديث عند الترمذى وحسنه والمالك ومحمه دون قوله أيضا هذا سحت تصدق به .

الراد لنفسه ولا يلى على ظهره وأسطرت السماء ذات ليلة قام عبد الله طول الليل على رأس رقيقه ينظفه بكسائه عن اللطرو وكما قال لا تضل بقولك أنت الأمير عليك الاتياد والطاعة فأما إن كان الأمير يصحب الفقراء لمحبة الاستيعاب وطلب الرئاسة والتمزيق ليطسل على الخدم في الربط ويبلغ قمه هوها فهذا طريق أرباب المعوى الجهال البائسين لطريق الصوفية وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فيلتخذ لنفسه رتقاء مائتين إلى الدنيا يجتمعون لتحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والظلمة للتوصل إلى تحصيل مأرب النفس ولا يخلو اجتماعهم هذا عن الخوض في التبعة والدخول في المداخل المكروهة والتعلق

فإن في الخبر الصحيح « إن الزارع والفارس أجرا في كل ما يصبه الناس والطيور من ثماره وزرعه »^(١) وذلك بغير اختياره ، وأما قول القائل لا تصدق إلا بالطيب فذلك إذا طيبنا الأجر لأنفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من الظلمة لا الأجر وترددنا بين التصديق وبين التصديق ورجعنا جانب التصديق على جانب التصديق ، وقول القائل لا ترضى لغيرنا ما لا رضاه لأنفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه ولتفقير حلال إذا حله دليل الشرع وإذا اقتضت للصالحية التحليل وجب التحليل وإذا حل فقد رضينا له الحلال وهول إن له أن يصدق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا . أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقر لا يثبتني عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يصدق عليهم وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير ، ولترسم في ليان هذا الأصل أيضا مسائل . مسألة : إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاه فيقلبه ما قلعه وهو خير من أن يصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يصدق به فقل له مالكم مينا ولوجاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدق به ، وقال قوم تصدق به إذا علم أن السلطان لا يرد به إلى الملك لأن ذلك إغارة للظالم وتكثير لأسباب ظلمه فالرد إليه تصديق لحق الملك ، والختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرد به إلى الملك فيصدق به عن ماله فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان لأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فرده على السلطان تصديق فإن كان له مالك معين فالرد على السلطان تصديق وإغارة للسلطان الظالم وتقوية لبركة دعاء الفقير على الملك وهذا ظاهر فإذا وقع في يده من ميراث ولم يتد هو بالأخذ من السلطان فإنه شبيه بالقطعة التي أيس عن معرفة صاحبها إذا لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدق عن الملك ولكن له أن يتملكها ثم وإن كان غنيا من حيث إنه اكتسبه من وجه مباح وهو الانتطاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصديق . مسألة : إذا حصل في يده مال لا مال له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكاة ، قد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعتياله وإن قدر على شراء ضيعة أو نجارة يكتب بها للعائلة صل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الأولى أن يتصدق بالكل إن وجد من نفسه قوة التوكل ويتنظر لطف الله تعالى في الحلال فإن لم يقدر فله أن يشتري ضيعة أو يتخذ رأس مال يتعيش بالعرف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه فإذا في عاد إليه فإذا وجد حلالا معيننا تصدق بمثل ما أنفق من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم إنه يأكل الحبز ويترك اللحم إن قوى عليه وإلا أكل اللحم من غير تتم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جل ما أنفق قرضا عنده فيه نظر ولا شك في أن الورع أن يجمله قرضا فإذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يصدق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضا إذا أخذ لفقره لأسباب إذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بنسبه وكسبه حتى يفلظ الأمر عليه فيه . مسألة : إذا كان في يده حلال وحرام أوشبه وليس يفضل الكل عن حاجته فإذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحاجة عليه أو كد في نفسه منه في عبده وعتياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد بحرهم من الحرام إن كان لا يفيض بهم إلى ما هو أشد منه فإن أفضى فيقطعهم بقدر الحاجة وبالجملة كما معذره في غيره فهو معذور في نفسه وزيادة وهو أنه يتناول مع العلم واليأس بما تنذر إذا

الربط والاستمتاع
والزعة وكلما حكر
للموم في الرباط أطالوا
للقام وإن تصدرت
أسباب الدين وكلما قل
العلوم رحلوا وإن
تيسرت أسباب الدين
وليس هذا طريق
الصوفية ومن السحب
أن يودع إخوانه إذا
أراد السفر ويدعوهم
بدهاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم . قال
بعضهم سمعت عبد الله
ابن عمر من مكة إلى
المدينة فلما أردت
مفارقتهم شيئا وقال
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
قال لقمان لابنه يا بني
إن الله تعالى إذا
استودع شيئا حفظه
وإن أستودع الله
دينك وأمانتك
وخواتيم عملك ووروي
زيد بن أرقم عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال وإذا أراد
أحدكم سفرا فليودع
إخوانه فإن الله تعالى

(١) حديث أجر الزارع والفارس في كل ما يصب الناس والطيور البخاري من حديث أنس مامن مسلم يفرس غرسا أو يزرع زرعاً فبأكل كل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة .

لم تعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤمنين كأجرة الحجام والصانع والقصار والحمال والاطلاع بالنورة والدهن ومجارة النزل وتمهيد الدابة وتسيير التنور وفتح الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق بيده ولاغى به عنه هو أولى بأن يكون تليها وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه مخرج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من حرام فالتأثر أولى وأما الكسوة فتأثيرها ستر عورته ودفع الحر والبرد والإبصار عن جسده وهذا هو الأظهر عندي وقال الحرث الهامسي يقدم اللباس على درهم منه والطعام لا يثق عليه لما روى أنه « لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة درهم فيها درهم حرام (١) » وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحم من حرام (٢) فراءة اللحم والعظم أن يبنته من الحلال أولى ولذلك تقي الصديق رضي الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا يثبت منه لحم ثبت ويقي . فان قيل فإذا كان الكل منصرفاً إلى أغراضه فأى فرق بين قسه وغيره وبين جهة وجهه ومادرك هذا الفرق . قلنا : عرف ذلك بما روى أن رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضحاً وعبيداً حجاً فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قهى عن كسب الحجام فروج مرات ففتح منه قبيل إن له أيتاماً فقال أعلفوه الناضح (٣) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو وأدبائه فإذا افتتح سبيل الفرق قصص على التفصيل الذى ذكرناه . مسئلة : الحرام الذى في يده لو تصدق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيّق ما قدر وما أنفق على عياله فليقتصد وليكسر وسطاً بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وإن كان غنياً فلا يطعمه إلا إذا كان في بركة أو قدم ليل ولم يجد شيئاً فإنه في ذلك الوقت فقير وإن كان الفقير الذى حضر ضيفاً تقياً لو علم ذلك لورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جماً بين حق الضيافة وترك الحداد فلا يبنهى أن يكرم أخاه بما يكره ولا يبنهى أن يعول على أنه لا يدري فلا يضره فان الحرام إذا حصل في المعدة أثر في قساوة القلب وإن لم يضره صاحبه ولذلك تقياً أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحللتاه بحكم الحاجة إليه فهو كالحزير والجر إذا أحللتاهما بالضرورة فلا يلتحق بالطيات مسئلة : إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى فان كان شبهة وكان امتناعه للورع وهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليتلفظ في الامتناع فان لم يقدر فليوافق وليقل الأكل بأن يصغر اللقمة ويقل اللعق ولا يتوسع فان ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقهما أيضاً مؤكد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوباً من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

(١) حديث لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة درهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث الجسد نبت من حرام تقدم (٣) حديث أن رافع بن خديج مات وخلف ناضحاً وعبيداً حجاً ما الحديث وفيه أعلفوه الناضح أحمد والطبراني من رواية عبيدة بن رفاعه ابن خديج أن جده حين مات ترك جارية وناضحاً وغلاماً حجاً ما الحديث وليس المراد بجده رافع ابن خديج فانه بقي إلى سنة أربع وسبعين فيحتمل أن المراد جده الأعلى وهو خديج ولم أره ذكره في الصحاح وفي رواية للطبراني عن عبيدة بن رفاعه عن أبيه قال مات أبى وفي رواية له عن عبيدة قال مات رفاعه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مضطرب .

جاء له في دعائهم البركة . وروى عنه عليه السلام أيضاً أنه كان إذا ودع رجلاً قال « زودك الله التقوى » وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت » وبنهى أن يستد إخوانه إذا دعاهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه فقد روى أن عمر رضي الله عنه كان يعطى الناس عطايام إذ جاء رجل معه ابن فقال له عمر ما رأيت أحداً أشبه بأحد من هذا بك فقال الرجل أحذثك عنه يا أمير المؤمنين إن أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعى على هذه الحالة قلت أستودع الله ما في بطنك فخرجت ثم ندمت فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها قلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه من قبر فلانة زناها كل ليلة قلت والله إنها

وليس بين يديها ولتزع في غيبتها وليجتهد أن لا يصل في إلا عند حضورها فيصلي فيه صلاة الظهر
وعند تمارض أسباب الورع ينبغي أن يتنقد هذه الدقائق . وقد حكى عن بشر رحمه الله أنه سلمت
إليه أمه رطبة وقالت بحق عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم صد غرفة فصعدت أمه وراءه
فراثة نقياً وإنما فصل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة العدة وقد قيل لأحمد بن
حنبل مثل بشر هل للذين طاعة في الشبهة فقال لا فقال أحمد هذا شديد قيل له مثل محمد بن مقاتل
الباداني فقال بـ . والديك فإذا تقول فقال للسائل أحب أن تغنيى قد سمعت ما قال ثم قال
ما أحسن أن تداربهما . مسألة : من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية
لأنه مفلس ولا تجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع العشر مثلاً وهذا يجب عليه
إخراج الكل إما رداً على المالك إن عرفه أو صرفاً إلى الفقراء إن لم يعرف المالك وأما إذا كان
مال شبهة فيحمل أنه حلال فإذا لم يخرج من يده لزمه الحج لأن كونه حلالاً يمكن ولا يسقط الحج
إلا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى - وفيه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً -
وإذا وجب عليه التصديق بما يزيد على حاجته حيث ينقلب على ظنه تحريمه فائزاً أولى بالوجوب
وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص يتقين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون
الإطعام إذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسي يكفي الإطعام والذي تختاره أن كل شبهة حكمنا بوجوب
اجتنابها وأزمنها إخراجها من يده ليكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه فليجمع بين الصوم
والإطعام أما الصوم فلا نعلم مفلس حكمها وأما الإطعام فلا نعلم قد وجب عليه التصديق بالجميع وعملت
أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة . مسألة : من في يده مال حرام أسكه للحاجة فأراد
أن يتطوع بالحج فإن كان ماشياً فلا بأس به لأنه سبأ كل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة
أولى وإن كان لا يقدر على أن يمشي ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ لئلا هذه الحاجة
في الطريق كالأجور شراء للمركوب في البلد وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغنى
به عن بقية الحرام فالإقامة في انتظاره أولى من الحج ماشياً بالمال الحرام . مسألة : من خرج لحج
واجب بحال فيه شبهة فليجتهد أن يكون قوته من الطيب فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل
فإن لم يقدر فليجتهد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه
حرام فليجتهد أن لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فلئلا وإن جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع
ضرورة وما ألقناه بالطيبات فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والتمس ما هو مضطر إليه من تناول
ماليس بطيب فساه ينظر إليه بين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته . مسألة :
مثل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له دين وعليه دين فقال تقضى وتقتضى فقال أقرى ذلك قال أقدعه
تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضى وتقتضى فقال أقرى ذلك قال أقدعه
محبساً بدنه وما ذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحريم بإخراج مقدار الحرام إذا قل يخرج
قدر الربح وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلا عما بذله في اللعاضات الفاسدة بطريق القاص
والتقابل مهما كثرت التصرف وعسر الرد وعول في قضاء دينه على أنه يتقن فلا يترك بسبب الشبهة .

(الباب الخامس في إدارات السلاطين وصلاتهم وما يعل منها وما يحرم)

اعلم أن من أخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة أمور في مدخل ذلك إلى يد السلطان
من أين هو وفي صفته التي بها يستحق الأخذ وفي المقدار الذي يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى
حاله وحال شركائه في الاستحقاق .

(الباب الخامس في إدارات السلاطين)

كانت صوامع قوامه
فأخذت للول حق
استهنا إلى التبرع رنا
وإذا سراج وإذا هذا
الغلام يدب قيل إن هذا
وديتك ولو كنت
استودعنا أمه لو جدتها
قال عمر لم هو أشبه بك
من الغراب بالغراب .
وينبغي أن يودع كل
منزل يرحل عنه
بركتين ويقول : اللهم
زودني التقوى واغفر لي
ذنوبي ووجهي للخير
أيتها توجهت . وروى
أنس بن مالك قال كان
رسول الله عليه الصلاة
والسلام لا ينزل منزلاً
إلا ودعه بركتين
فينبغي أن يودع كل
منزل ورباط يرحل
عنه بركتين وإذا
ركب الدابة فليقل
- سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له
مقرنين - بسم الله
والله أكبر توكلت على
الله ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم .
الاهم أنت الحامل على

(النظر الأول في جهات الدخول للسلطان)

وكل ما يحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قسماً : مأخوذ من الكفار وهو التيسية للأخوة بالقهر والنيء وهو الذي حصل من مالم في يده من غير قتال والجزية وأموال السالحة وهي التي تؤخذ بالشروط والمعاينة . والقسم الثاني للأخوذ من المسلمين فلا يحل منه إلا ما كان للواريث وسائر الأمور الضائعة التي لا يتعين لها مالك والأوقاف التي لا تنتمي لها أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام فإذا كتب لقبه أو غيره إدرار أو صلة أو خلة على جهة فلا يغلو من أحوال العمانية : فانه إما أن يكتب له ذلك على الجزية أو على اللواريث أو على الأوقاف أو على ملك أحياء السلطان أو على ملك اشتراه أو على عامل خراج المسلمين أو على بيع من جملة التجار أو على الخزانة . فالأول هو الجزية وأربعة أحماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فاما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأحماس الأربعة لما فيه مصلحة وروى فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط أن لا تكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فانه أيضاً في محل الاجتهاد واللسطان أن يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط أن يكون الدمي الذي تؤخذ الجزية منه مكتسباً من وجه لا يملك تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالماً ولا بائعاً خرواً ولا صاحباً ولا امرأة إذ لا جزية عليها فهذه أمور ترمى في كيفية ضرب الجزية ومتداعها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك . الثاني للواريث والأموال الضائعة فهي للمصالح والنظر أن الذي خلقه هل كان ماله كله حراماً أو أكثره أو أقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراماً في النظر في صفة من يصرف إليه بأن يكون في الصرف إليه مصلحة ثم في المقدار للصرف . الثالث الأوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في الليرات مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون للأخوذ مواقفاً له في جميع شرائطه . الرابع ما أحياء السلطان وهذا لا يمتري فيه شرط إذ أنه يعطى من ملكه ما شاء لمن شاء أي قدر شاء وإنما النظر في أن التائب أنه أحياء بما كره الأجراء أو بأداء أجرتهم من حرام فان الإحياء يحصل بحفر القناة والأنهار وبناء الجدران وتسمية الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا مستأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نهينا عليها في تعلق الكراهة بالأعواض . الخامس ما اشتراه السلطان في الدمة من أرض أو ثياب خلة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه يقيضي عنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله . السادس أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال القسمة والمصادرة وهو الحرام السمح الذي لا شبهة فيه وهو أكثر الإدرات في هذا الزمان إلا ما على أرض العراق فانها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين . السابع ما يكتب على بيع يامل السلطان فان كان لا يامل غيره فانه كمال خزانة السلطان وإن كان يامل غير السلاطين أكثر فاما يبيع على السلطان وما أخذ به من الخزانة فالحلل ينطبق إلى العوض وقد سبق حكم الخن الحرام . الثامن ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سمح محض وإن عرف يقينا أن الخزانة تقتتل على مال حلال وماله حرام واحتمل أن يكون ما يسل إليه بينه من الحلال احتمالاً قريباً له وقع في النفس واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم أو عزر

الظهر وأنت للسلطان على الأمور والسنة وأن يرحل من المنازل بكثرة ويشد يوم الخميس روى كتب بن مالك قال قلنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السفر لإياد الخميس وكان إذا أراد أن يمت سريه يشأ أول النهار ويستحب كلما أشرف على منزل أن يقول : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ورب الشاطين وما أشللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا للزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا للزل وشر أهله وإذا نزل فليصل ركعتين . وما ينبغي للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قيل كان إبراهيم الخواص لا يغيره أربعة أشياء في السفر والسفر الركوة والحبل والإبرة

فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام فإن أخذوه وقال آخرون لا يحمل إن أخذ ما لم يتحقق أنه حلال فلا يحمل شبهة أصلاً ولا لها إسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب إذا كان حراماً حرام وإن كان الأغلب حلالاً وفيه يقين حرام فهو موضع توقفتنا فيه كالسبق . ولقد احتج من جوز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال مهما لم يتحقق أن عين الآخذ حرام بما روى عن جماعة من الصحابة أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلة وأخذوا الأموال منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وجبر بن عبد الله وجابر وأنس بن مالك والمسلم بن حمزة فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان وزيد بن عبد الملك وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعي وإبراهيم والحسن وابن أبي ليلى وأخذ الشافعي من هرون الرشيد ألف دينار دفعة وأخذناك من الخلفاء أموالاً وقال على رضي الله عنه خذنا ممتلكك السلطان فانما يملكك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعاً عما قطي دينه أن يحمل على الإيجال الأتري قولاً يذم للأحرف بن قيس خذ العطاء ما كان نعمة فلما كان أماناً دينكم فدعوه . وقال أبو هريرة رضي الله عنه إذا أعطينا قبلنا وإذا منننا لم نسال . وعن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منعه وقع فيه وعن الشعبي عن مسروق لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار أي يحمله ذلك على الحرام لأنه في نفسه حرام وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن المختار كان يمشي إليه المال فيقبله ثم يقول لأسأل أحداً ولا أورد ما رزقني الله وأهدى إليه ناقة قبلها وكان يقالها ناقة المختار ولكن هذا يمارسه ما روى أن ابن عمر رضي الله عنهما لم يرد هدية أحد لأهله المختار والاسناد في رده أثبت وعن نافع أنه قال يمشي ابن عمر إلى ابن عمر بنين ألفاً تقسمها على الناس ثم يجاهه سائل فاستقرضه من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه قال لأجيزك بجائزة لم أجزها أحداً فبذل من العرب ولا أجيزها أحداً بذك من العرب قال فأعطاه أربعمائة ألف درهم فأخذها وعن حبيب ابن أبي ثابت قال لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس قبلها قليل ما هي قال مال وكسوة وعن الزبير بن عدي أنه قال قال سلمان إذا كان لك صديق عامل أو تاجر فإرفأه فدعك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئاً فاقبل فإن لهناً لك وعليه الوزر فإن ثبت هذا في الرئي فالظالم في منتهى وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مرننا على سعيد ابن جبيرة وقد جعل عاملنا أسفل القرات فأرسل إلى المصارين أبلغمونا بما عندكم فأرسلوا بطعام فأكلوا وكنا معه وقال الملاء بن زهير الأزدي أني إبراهيم أبي وهو عامل على حلوان فأجازه قبل وقال إبراهيم لأبى بجائزة المال إن لقيت مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما أعطاك فهو من طيب ماله قد أخذناه لكهم جوائز السلاطين الظلة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في مصبة الله تعالى وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وأبي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال الطالح زاهد ومن الحلال الذي يخاف إفساؤه على منصور ورعا وتوقى فاقدم هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم وما هل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفاً وما هل عن الحسن من قوله لا نأخذ من ماء صبري ولو ضاع وقت الصلاة لأنى لأدري أصل ما كل ذلك ربع لا يشكر واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع أيضاً فإنه شبهة من يجوز أخذ مال السلطان للظالم والجواب أن ما هل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالاضافة إلى

وخيوطها والقراض وروب غاشية رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر حل مع خمسة أشياء المرأة والمكحلة والسردي والسواك والمشط ورواية القراض والصوفية لا غار قهم الصاوي أيضاً من السنة . روى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخذ منبراً قد أخذ من إبراهيم وإن أخذ الصا قد أخذها إبراهيم وموسى » وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال التوكؤ على الصا من أخلاق الأنبياء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتوكؤ عليها ويأمر بالتوكؤ على الصا وأخذ الزكوة أيضاً من السنة . وروى جابر بن عبد الله قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ من

ماقل من ردم وإنكارهم وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع فإن للورع في حق السلاطين أربع درجات . الدرجة الأولى : أن لا يأخذ من أموالهم شيئاً أصلاً كما فعله الورعون منهم وكان كإنهم خلفاء الراشدون حتى إن أباً بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان يأخذه من بيت المال فبلغت آلاف درهم فصرها لبيت المال وحق إن عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوماً فدخلت أخته له وأخذت درهمين من المال فبعض عمر في طلبها حتى سقطت للناخعة عن أحد بنيها ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر أصبه فأخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال أيها الناس ليس لعمرو ولا لآل عمر إلا ما للسلطين قريتهم وبهيمهم وكسح أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهما فربى لعمري رضي الله عنه فأعطاه إياه فرأى عمر ذلك في يد الغلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبق من أمة محمد ﷺ أحد إلا طلبنا بظلمة ورد الدرهم إلى بيت المال هذا مع أن المال كان حلالاً ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبى لدينه ويقتصر على الأقل امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم « مع ماريك إلى مالا يريك » (١) وقوله « ومن تركها فقد استبرأ لعرشه ودينه » (٢) ولما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في الأموال السلطانية حتى قال ﷺ « حين يث عبادة بن الصامت إلى الصدقة » اتق الله يا أبا الوليد لا يخفى يوم القيامة يميز تحمله على رقبته كل رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها تواج قال يا رسول الله أهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده إلا من رحم الله قال فوالذي بئسك بالحق لا تحمل على شيء أبداً (٣) وقال ﷺ « إني لا أخاف عليكم أن تتركوا بدى إنما أخاف عليكم أن تنافسوا » (٤) وإنما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال إني لم أجدهم فيه إلا كالو إلى مال القيم إن استغنيت استغنفت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وروى أن ابناً لطاوس أقتل كتاباً عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلاثة دنانير فباع طائوس ضيعة له وبعت من ثمنها إلى عمر بثلاثة دنانير هذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فبهذه هي الدرجة العليا للورع . الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة خلال فاشتال بد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما قل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكثر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من البالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أشدهم إنكاراً عليهم وأشدهم ذماً لأموالهم وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوفاً عند الله تعالى بها قالوا له إنا لرجو لك الخير حفر الآبار وصقبت الحجاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال أقول ذلك إذا طاب للكسب وزكت النفقة وستر دقري وفي حديث آخر أنه قال إني الخبيث لا يكفر الخبيث وإنك قدوليت البصرة ولا أحبك إلا قد أميت منها شراً فقال له ابن عامر ألا تدعو لي فقال

(١) حديث مع ماريك إلى مالا يريك تقدم في الباب الأول من الحلال والحرام (٢) حديث من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه متفق عليه من حديث الثعلبان بن بغير وقد تقدم أوله في أول الباب الثاني من الحلال والحرام (٣) حديث قال لبيعة بن الصامت حين بعته إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لا يخفى يوم القيامة يميز تحمله على رقبته كل رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها تواج قال يا رسول الله أهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده إلا من رحم الله قال فوالذي بئسك بالحق لا تحمل على شيء أبداً (٤) وإنما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال إني لم أجدهم فيه إلا كالو إلى مال القيم إن استغنيت استغنفت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وروى أن ابناً لطاوس أقتل كتاباً عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلاثة دنانير فباع طائوس ضيعة له وبعت من ثمنها إلى عمر بثلاثة دنانير هذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فبهذه هي الدرجة العليا للورع . الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة خلال فاشتال بد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما قل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكثر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من البالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أشدهم إنكاراً عليهم وأشدهم ذماً لأموالهم وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوفاً عند الله تعالى بها قالوا له إنا لرجو لك الخير حفر الآبار وصقبت الحجاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال أقول ذلك إذا طاب للكسب وزكت النفقة وستر دقري وفي حديث آخر أنه قال إني الخبيث لا يكفر الخبيث وإنك قدوليت البصرة ولا أحبك إلا قد أميت منها شراً فقال له ابن عامر ألا تدعو لي فقال

ركوة إذ جهش الناس نحوه أي أسرعوا نحوه « والأصل فيه البكاء كالصبي يتلازم بالأم ويسرع إليها عند البكاء قال « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك قالوا يا رسول الله ما نجد ماء خرب ولا تنوضأ به إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فنظرت وهو يخور من بين أصابعه مثل اليون قال فوضأ القوم منه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة في غزوة الحديبية . ومن سنة الصوفية شد الوسط وهو من السنة . روى أبو سعيد قال « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة وقال اربطوا على أوساطكم بأزركم فربطنا ومشيئنا خلفه المرولة . ومن ظاهر آداب الصوفية عند

خروجهم من الربط
أن يصلي ركعتين في
أول الثور يوم السفر
بكرة كاذباً يوماً
البقرة بالركعتين
ويقدم الحنف ويضه
ويشعر الك البني ثم
اليسرى ثم يأخذ
اليانيد الذي يشده
وسطه وبأخذ خريطة
للداس وينفضها ويأتي
لوضع الذي يريد أن
يلبس الحنف فيفرش
السجادة طاقين
وعك نعل أحد
للداسين بالأخرو يأخذ
للداس باليسر
والخريطة باليمين وضع
للداس في الخريطة
أعقابه إلى أسفل
ويشد رأس الخريطة
ويدخل للداس يده
اليسرى من كفه
الأسير ويضه خلف
ظهره ثم يبعد على
السجادة ويضع الحنف
يساره وينفضه
ويبتدىء باليمنى فيلبس
ولا يبعث شيئاً من الران
أو النطقة يتبع على

ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يقبل الله صلاة بشر طهور ولا صدقة من غلول (١) ، وقد وليت البصرة فهذا قوله فيا صرّفه إلى الخيرات وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج : ما بقيت من الطعام مذات شئت الدار إلى يومئذ . وروى عن علي رضي الله عنه أنه كان له سويق في إثناء غزوه يرب منه قليل أفضل هذا بالرقاق مع كثرة طعامه قال أما إن لا أخشاه بخلافه ولكن أكره أن يجل فيه ما ليس منه وأكره أن يدخل بطي غريب فهذا هو التألف منهم وكان ابن عمر لا يسيح شيء إلا أخرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفاً قال إن أخاف أن تخشني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب لذهب فأنتهى حر . وقال أبو سعيد الخدري ما لنا أحد إلا وقدمت به الدنيا إلا ابن عمر فبهذا يتضح أنه لا يظن بغيره من كان في منصبه أنه أخذ ما لا يدري أنه حلال . الدرجة الثالثة : أن يأخذ ما أخذه من السلطان ليصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين فإن ما لا يتبين مال ك هذا حكم الشرع فيه فإذا كان السلطان لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظم قد يقول أخذه منه وتفرقه أولى من تركه فيه ، وهذا قدره بعض العلماء وسيأتي وجهه ، وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك إن الذين يأخذون الجوائز اليوم ويعتجون بابن عمر وعائشة فليمتثلوا بهما لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بعدهم تسمتين ألفاً وعائشة فلت مثل ذلك وجابر بن زيد جاءه مال فصدق به وقال رأيت أن أخذه منهم وأصدق أحب إلى من أن أدعها في أيديهم وهكذا فعل الشافعي رحمه الله عاقبه من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة ، الدرجة الرابعة : أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يسبق ولكن يأخذ من سلطان أكثر مما له حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر ما لهم حراماً وبدل عليه تحليل على رضي الله عنه حيث قال فإن ما يأخذ من الحلال أكثر فهذا مما جوزه جماعة من العلماء تمويلاً على الأكثر ونحن إنما نقولنا فيه في حق أحاد الناس ومال السلطان أقيه بالخروج عن المحصر فلا يبعد أن يؤدي اجتihad مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام اعتياداً على الأغلب وإنما منعه إذا كان الأكثر حراماً فإذا فهمت هذه الدرجات تحققت أن ادارات الظلمة في زماننا لا تجري مجرى ذلك وأنها تخارقه من وجهين قاطعين : أحدهما أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والنفقة والقيمة لا وجودها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لاجل أخذها به فاتهم بما جاوزون حدود الشرع في الأخوذ والأخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم إذا نسبت ذلك إلى ما ينسب إليهم من الحراج القسور على المسلمين ومن الصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر مئتي عشرة . والوجه الثاني أن الظلمة في العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستعبرين من ظلمهم ومقتوفين إلى استئالة قلوب الصحابة والتابعين وحرصين على قبولهم عطاياهم وجوازهم وكانوا ينشئون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يتقدمون للثمة قبولهم ويفرحون به وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطيحون السلاطين في أغراضهم ولا يفتشون مجالسهم ولا يكترون جمعهم ولا يحجون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون للسكرات منهم عليهم فما كان مجرد أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن يأخذهم بأس فاما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين ببطية إلا لمن طمعوا في استئذانهم والسكرتهم والاستئانة بهم على أغراضهم والتجمل بشيائهم مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والتناء والتركية والاطراء

(١) حديث لا يقبل الله صلاة بشر طهور ولا صدقة من غلول مسلم من حديث ابن عمر .

في حضورهم ومنهم من لم يبدل الأخذ نفسه بالسؤال أولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة على أغراضه عند الاستعانة راجا وبكثير جمع في جملة وموكة خامسا وبإظهار الحب والولاء للناصر له على أعدائه سادسا وبالترعى ظله ومقامه مساويا لأعماله ساجدا بهم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي رحمه الله مثلا فلا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يمل أنه حلال لافضائه إلى هذه العاني فكيف ما يمل أنه حرام أو يشك فيه فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحة والتأبين فقد قاس الملائكة بالحدادين في أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة معالمهم وإحاطة القل منهم والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك مصيبة على ماسئين في الباب الذي بل هذا فإذا قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما يمل منها وما لا يمل فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها ما يمل بقدر استحقيقه وهو جالس في بيته يساق إليه ذلك لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى التناء عليهم وتزكيتهم ولا إلى مساعدتهم فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لما سنه عليه في الباب الذي بل هذا.

(النظر الثاني من قدر الباب في قدر المأخوذ وصفه الأخذ)

ولنفرض لالمن أموال للصلح كأربعة أخماس النقي وللوارث ثلثان مائة ما قد تعين مستحقه إن كان من وقف أو صدقة أو خمس فيء أو خمس غنمية وما كان من ملك السلطان مما أحياه أو اشتراه فله أن يعطى ماشاء لمن شاء وإنما النظر في الأموال الضائعة ومال للصلح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب فأما النقي الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه هذا هو الصحيح وإن كان الملاء قد اختلفوا فيه ، وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلما مكرما لجمع الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على خصوصين بصفات فإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمرا يقوم به تتدى مصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتصل على ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه الملاء كلهم أي العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه للمعلمون والمؤذنون ، وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيه فانهم إن لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين تربط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد للترتبة الذين يحرسون للملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البغي وأعداء الإسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان الخراج أي العمال على الأموال الحلال لأعلى الحرام فإن هذا المال للمصالح وللصحة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فيلزم حراسة الدين والأجناد حراسة الدنيا والدين وللكل توأمان فلا يستثنى أحدهما عن الآخر والطبيب وإن كان لا تربط ببله أمر ديني ولكن تربط بصحة الجسد والدين ببقية فيجوز أن يكون له ولن يمرى بحرام في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إمدار من هذه الأموال ليتفرغوا للمعالجة للمسلمين أي من حال منهم بغير أجره وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا مع النقي الخلفاء الراشدين كانوا يحطون المهاجرين والأنصار ولم يفرقوا بالحاجة وليس يتقدر أيضا بتقدير بل هو إلى اجتهد الإمام وله أن يوسع ويضي وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية في دفعة واحدة أربع مائة ألف درهم وقد كان عمر رضي الله عنه يعطى لجماعة اثني عشر ألف درهم رقعة في السنة ، وأثبتت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة وجماعة عشرة آلاف وجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبق منه شيء فإن خص واحدا منهم بمال كثير فلا بأس وكذلك السلطان أن يخص

فلأرض ثم يسل يديه ويحمل وجهه إلى الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضرين فإن أخذ بعض الإخوان راووته إلى خارج الرباط لا يئتمه وهكذا المصادق الأبريق ويودع من شيء ثم يشد الراوية برفع يده اليمنى ويخرج اليسرى من تحت إبطه الأيمن ويشد الراوية على الجانب الأيسر ويكون كفته الأيمن خاليا وعقدة الراوية على الجانب الأيمن فإذا وصل في طرقه إلى موضع شريف أو استقبله جمع من الإخوان أو شيخ من الطائفة عمل الراوية ويحطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم إذا جاوزوه يشد الراوية فإذا دنا من منزل وباطا كان أو غيره يحل الراوية ويحطها تحت إبطه الأيسر وهكذا المصادق الأبريق يمكنه يساره وهذه

من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجوار قد كان يشمل ذلك في السلف ولكن يبنى أن يلتفت فيه إلى الصلحة ومهما خص عالم أو شجاع بصلة كان فيه بث للناس وتخريص على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلوات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وإتما النظر في السلطين الظلمة في شيئين : أحدهما أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إما معزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان . والثاني أنه ليس يسم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للأحد أن يأخذوا أيحوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلاً أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى . أما الأول فالتى زاه أنه لا يمنع أخذ الحق لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكه وعسر خلمه وكان في الاستبدال به فتنه تائرة لا تطلق وجب تركه ووجب الطاعة له كما يجب طاعة الأمراء إذ قد ورد في الأمر بطاعة الأمراء ^(١) وللعن من سل اليه عن مساعدتهم ^(٢) وأمر وزواجر فالتى زاه أن الخلافة منقذة للتكفل بها من بنى العباس رضى الله عنه وأن الولاية نافذة للسلطين في أنظار البلاد والبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المستظهرى المنقبض من كتاب كشف الأسرار وهنك الأستار تأليف القاضى أبى الطيب فى الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه الصلحة فيه . والقول الوجيز أنا تراعى الصفات والشروط في السلطين تشوقا إلى مزاي الصالح ولو قضينا يطلان الولايات الآن لبطلت الصالح رأساً فكيف يغوث رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكه فمن بايحه صاحب الشوكه فهو الخليفة ومن استبد بالشوكه وهو مطيع للخليفة في أصل الخطية والسكك فهو سلطان نافذ للحكم والقضاء في أنظار الأرض ولاية نافذة الأحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في أحكام الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلسنا نطول الآن به . وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يسم بالطاء كل مستحق فهل يجوز الواحد أن يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فقلنا بعضهم وقال كل ما يأخذهم فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدرى أن حصته منه دانق أو حجة فليترك السكك وقال قوم له قوت سنة فان أخذ السكك بكم يومه عسير وهو ذوق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم إنه يأخذ ما يعطى وللظالم هم الباقون وهذا هو القياس لأن للمال ليس مشترك بين المسلمين كالنسيمة بين العائنين ولا كاليراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم اليراث بل هذا الحق غير متين وإتما يمتين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكاً لهم ولم يمنع بظلم المالك بقية الأصناف يمنع حقهم هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال مالى صرف إليه بطريق الأيثار والتفضيل مع تنعيم الآخرين لجواز له أن يأخذهم والتفضيل جائز في الطاء . سوى أبو بكر رضى الله عنه فراجعه عمر رضى الله عنه فقال إنما فضله عند الله وإتما الدنيا بلاغ وفضل

(١) حديث الأمر بطاعة الأمراء البخارى من حديث أنس اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زينة . ولمسلم من حديث أبى هريرة عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك الحديث وله من حديث أبى ذر أوصانى النبي ﷺ أن أسمع وأطيع ولو لمجد جميع الأطراف (٢) حديث للعن من سل اليه عن مساعدتهم الفيحان من حديث ابن عباس ليس أحد يفارق الجماعة شراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية ولمسلم من حديث أبى هريرة من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية وله من حديث ابن عمر من خلعت يدا من طاعة لى الله يوم القيامة ولا حجة له .

الرسوم استحسناها قراء
خراسان والجبل ولا
يتبها أكثر قراء
العراق والشام والغرب
ومجرى بين الفقراء
مشاحة في رعايتها
فمن لا يتبها يقول
هذه رسوم لاتنام
والالتزام بها وقوف
مع الصور وغفلة عن
الحقائق ومن يتبها
يقول هذه آداب
وضها للتقدمون وإفا
رأوا من يخل بها أو
بشيئ منها ينظرون
إليه نظر الازدراء
والحقارة ويقال هذا
ليس بصوفى وكلا
الطائفتين في الانكار
يتعدون الواجب
والصحيح في ذلك أن
من يتبها لا ينكر
عليه فليس بمنكر
في الشرع وهو آداب
حسن ومن لم يلزم
بذلك فلا ينكر عليه
فليس بواجب في
الشرع ولا مندوب
إليه وكثير من قراء
خراسان والجبل يبالغ

عمر رضى الله عنه في زمانه فأعطى عائشة اثني عشر ألفا وزينب عشرة آلاف وجوزية سنة آلاف وكذا صنية وأقطع عمر لعل خاصة رضى الله عنهما وأقطع عثمان أيضا من السواد خمس جنات وآثر عثمان عليا رضى الله عنهما بها قبل ذلك منه ولم ينكر وكل ذلك جائز في محل الاجتهاد وهو من المجتهدين التي أقول فيها إن كل مجتهد مصيب وهي كل مسئلة لأص على عنها ولا على مسئلة تقرب منها فتكون في معناها قياس جلي كنهه للسنة ومسئلة حد السر بقاتهم جلدوا أربعين وعثمانين والسكل سنة وحق وإن كل واحد من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضى الله عنهم إذ للفضول مارد في زمان عمر شيئا إلى الفاضل مما قد كان أخذه في زمان أبي بكر ولا الفاضل ابتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرأيين حق فليؤخذ هذا الجنس دستوراً للاختلافات التي يصب فيها كل مجتهد فأما كل مسئلة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس جلي بشفة أو سوء رأى وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا قول فيها إن كل واحد مصيب بل للصيب من أصاب النص أو مافى معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص للوصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلعة أو إدرا على التركات أو الجزية لم يصر فاسقا بمجرد أخذه وإنما يفسق بخدمته لهم ومعاوته أيام ودخوله عليهم وثنائه وإطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلل المال غالباً إلا بها كما سنبينه .

(الباب السادس فيما محل من مخالطة السلاطين الظلة ومحرم

وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم)

اعلم أن لك مع الأمراء والعال الظلة ثلاثة أحوال . الحالة الأولى : وهي شرها أن تدخل عليهم والثانية وهي دونها أن يدخلوا عليك والثانية وهو الأسلم أن تعزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك . أما الحالة الأولى : وهي الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تليظات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار فننقلها لتعرف ذم الشرع له ثم تعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم . أما الأخبار : فإنه لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلة قال « فمن نابذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم ^(١) » وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يمه معهم إن نزل بهم تركه للناذبة والنازعة وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون من بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض ^(٢) » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « أفضس القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء ^(٣) » وفي الخبر « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء »

(الباب السادس فيما محل من مخالطة السلاطين)

(١) حديث فن نابذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم الطبراني من حديث ابن عباس بسند صحيح وقال ومن خالطهم هلك (٢) حديث سيكون من بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض النسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث كعب بن جعرة (٣) حديث أبي هريرة أفضس القراء إلى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء تقدم في العلم .

في رعاية هذه الرسوم إلى حد يخرج إلى الاغراط وكثيرا ما يغفل بها قراء الرقاق والهام والمقاربة إلى حد يخرج إلى الضرب والأليق أن ما ينكره الشرع ينكر وما لا ينكره لا ينكر ويجعل لخصر في الاخوان أعذار مالم يكن فيها منكر أو إخلال بتدوب إليه والله للوفى .

[للباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه]

ينبغي للفقير إذا رجع من السفر أن يستعذ بالله تعالى من آفات لظلم كما يستعذ به من وعاء السفر . ومن الدعاء المأثور :

« اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة القلب وسوء المعطر في الأهل والوالد » وإذا أشرف

وفي الخبر ^(١) أنما الرسل على عباد الله ما لم يخاطبوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم ^(٢) رواه أنس رضي الله عنه . وأما الآثار : فصدقنا حذيفة إذا يكتم ومواقف الفتن قيل وما هي قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدق بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال أبوذر ^(٣) لسلطة يأسلة لاتفتى أبواب السلاطين فانك لاتنصيب من دنياهم شيئا إلا أسأبوا من دينك أفضل منه ، وقال سفيان في جهنم واد لايسكنه إلا القراء الزوارون للولوك ، وقال الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من علم يزور عاملا . وقال ممنون ما أصبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال عند الأمير . وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتهم العالم يحب الدنيا فانهجوه على دينكم حتى جرت ذلك إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاصبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها المهرم مع ما أواجههم به من اللطافة والمخالقة لمواهم ، وقال الهادي بن الصامت حب القاري ^(٤) الناسك الأمراء فاق وجه الأغنياء رياء ، وقال أبوذر من كثر سواد قوم فهو منهم أي من كثر سواد الظلمة ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له ولم قال لأنه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا قليل كان عاملا للحجاج فمضاه قال الرجل إنما عملت له على شيء يسير فقال له عمر حبسك بصجته يوما أو بعض يوم شؤما وشرا ، وقال الفضيل ما زاد رجل من ذي سلطان قريبا إلا ازداد من الله بعدا . وكان سعيد بن السيب يتجر في الزيت ويقول إن في هذا لفتى عن هؤلاء السلاطين ، وقال وهب هؤلاء الذين يدخلون على للولوك لهم أضر على الأمة من القامرين ، وقال محمد بن سلمة الديلمي أحسن من قارى على باب هؤلاء ، ولما خاطب الزهري السلطان كتب إليه الخ في الدين إليه : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت محال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ورحمك أصبحت شيخا كبيرا قد أقتلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه محمد ^(٥) وليس كذلك أخذ الله الشياقي على العلماء قال الله تعالى - لثيبته نفاس ولا تكتسونه - واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آتست وحشة الظالم وسهلت سبيل البغي بدونك من لم يؤدقا ولم يترك باطلا حين أدناك أخذوك قطبا تدور عليك رعى ظلمهم وجسرا يعمرون عليك إلى بلأهم وسما يصعدون فيه إلى صلاتهم ويدخلون بك الشك على العلماء ويتأدون بك قلوب الجلهاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فما أقصدوا عليك من دينك فإياك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم - غلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة - الآية وإنك تعامل من لا يعجل وعقظ عليك من لا يفتل فداو دينك فقد دخله قسم وهي زائد قد حضر سفر بعيد - وما يعني على الله من شيء في الأرض ولا في السماء - والسلام ، فهذه الأخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد ولكن تشمل ذلك تنصلا قهريا نيز في المظهور عن الكره والباح . فنقول : الداخل على السلطان متمرص لأن بعضي الله تعالى إما بغضه أو بسكوته وإما بقوله وإما باعتقاده فلا ينفك عن أحدهم الأمور أما الفعل فالدخل عليهم في غالب الأحوال يكون إلى دور مضوبة وتحطبا والدخول فيها بغير إذن لللاك حرام ولا يترك قول القائل إن ذلك مما يتسامح به الناس كشمرة أو فئات خبر فإن ذلك صحيح في غير المنصوب أما المنصوب فلا لأنه إن قيل إن كل جلسة خفيفة لاتنتص لللاك فهي في فعل التسامح وكذلك الاجتياز فيجزي هنا في كل واحد يجزي أيضا في المجموع والنصب إنما تم بفعل الجميع وإنما يتسامح به

(١) حديث أنس العلماء أثناء الرسل على عباد الله ما لم يخاطبوا السلطان الحديث الضعيف في التصفاء في ترجمة جنس الآري وقال حديثه غير محفوظ تقدم في العلم .

على بلد يريد القيام بها
يشير بالسلم على من
بها من الأحياء
والأموات ويقرأ من
القرآن ماتيسر
ويجعله هدية للأحياء
والأموات ويكبر قد
روى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
كان إذا قصل من
غزو أو حج يكبر على
كل شرف من الأرض
ثلاث مرات ويقول :
لا إله إلا الله وحده
لا شريك له في الملك
وله الحمد وهو على كل
شيء قدير آيوني
تايبون عابدون
ساجدون ربنا حامدون
صدق الله وعده ونصر
عبيده وهزم الأحزاب
وحده ويقول إذا رأى
البلد : اللهم اجعل لنا بها
قرارا ورزقا حسنا
ولو اغتسل كان حسنا
اتقده رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث
اغتسل لدخول مكة .
وروى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
رجع من طلب الأحزاب

إذا اغترد إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فأما إذا كان ذلك طريقا إلى الاستغراق بالاشتراك لحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتادا على أن كل واحد من المارين إنما يخطو خطوة لاتتمسك للكل لأن المجموع مفوت للملك وهو كثرية خفيفة في التسليم تباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة يضربون توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أن كل واحدة من الضربات لو اغتردت لكانت لاتوجب قصاصا فإن فرض كون الطعام في موضع غير منصوب كالموات مثلا فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام والدخول إليه غير جائز لأنه استتفاع بالحرام واستغلال به فإن فرض كل ذلك حلالا فلا يعصى بالدخول من حيث أنه دخول ولا يقوله السلام عليكم ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائما في سلامه وخدمته كان مكرا للطعام بسبب ولايته التي هي آله ظلمه والتواضع للطعام معية بل من تواضع لغيره ليس بنظام لأجل غناه لالهي آخر اقتضى التواضع قمى ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للطعام فلا يباح إلا مجرد السلام فأما تبجيل اليد والانحاء في الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف أو لإمام عادل أو لأم أولي يستحق ذلك بأمر ديني .

قبل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يد على كرم الله وجهه لما أن لقى الشام فلم يكره عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقاقا لهم وعده ذلك من محاسن القربات فأما السكوت عن رد الجواب فيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالنظر فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يغلو من الجلوس على باطنهم وإذا كان أغلب أموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل . فأما السكوت فهو أنه يمرى في مجلسهم من الفرش الحرير وأواني الفضة والحرير اللبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من رأى شيئا وسكت عليها فهو شريك في تلك البيعة بل يسمع من كلامهم ما هو غش وكذب وشتم وإيذاء والسكوت على جميع ذلك حرام بل يراهم لبسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بضمه . فإن قلت : إنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستثنى عن أن يمرض نفسه لارتكاب ما لا يباح إلا بعد فاته لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسية حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا أقول من علم فسادا في موضع وعلم أنه لا يقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليجرى ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته . وأما القول فهو أن يدعو للطعام أو يثنى عليه أو يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستنشار في وجهه أو يظهر له الحب والملاواة والاشتياق إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يبدو كلامه هذه الأقسام . أما الدعاء له فلا يحل إلا أن يقول أصليحك الله أو وثقتك الله للخيرات أو طول الله عمرك في طاعته أو ما يجري هذا المجرى فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فهو جائز قال صلى الله عليه وسلم « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه » (١) « فإن جاوز الدعاء إلى التثناء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرا لظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لينضب إذا مدح الفاسق » (٢) وفي خبر آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام » (٣)

(١) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه تقدم (٢) حديث إن الله لينضب إذا مدح الفاسق تقدم (٣) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام تقدم أيضا .

ونزل للدينة نزع لآلته
وإغتسل واستحم
وإلا فيلجعد الوضوء
ويتنظف ويتطيب
ويستعمل لقاء الإخوان
بذلك وينوي التبرك
بمن هنالك من الأحياء
والأموات وزورهم .
روى أبو هريرة رضى
الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« خرج رجل زورا أخا
له في الله فأرصد الله
بمدرجته مسلكا وقال
أين تريد قال أزور
فلانا قال لقرابة قال
لا قال لئمة له عندك
تشكرها قال لا قال
فيم تزوره قال إن
أحبني الله قال فاني
ورسول الله إليك بأنه
يجبك بجمك ليه » .
وروى أبو هريرة رضى
الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « إذا دعا الرجل
أخاه أوزاره في الله قال
الله له طيب وطاب
مجلسه ويتوبوا من الجنة
منزلا » وروى أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » فيحصل للفقر فائدة الأحياء والأموات بذلك فافها دخل البلد يندى بمسجد من الساجد يصل في ركعتين فإن قصد الجامع كان كل وأفضل وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم دخل المسجد أولا وعلى ركعتين ثم دخل البيت والرباط للفقر بمنزلة البيت ثم قصد الرباط قصد الرباط من السنة على ما روينا عن طلحة رضي الله عنه قال : مكان الرجل إذا قدم للدينه وكان له بها عريف ينزل على عرشه وإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة فكنت ممن أنزل الصفة ، فإذا دخل الرباط مضى إلى الوضع الذي يريد نزوع الحنف فيه فيحل

فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول والتركيز والشاء على ما يحل كان عاصيا بالصديق وبالإعانة فإن التركيز والشاء إعانة على العصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب والذمة والتفويض زجر عنه وتضييف لدواعيه والإعانة على العصية ولو بشرط كلمة ، ولقد سئل سفيان الثوري رضي الله عنه عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء قد لا دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له وقال غيره يسقى إلى أن تثوب إليه نفسه ثم يرض عنه فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه وطول بقائه فإن كان كاذبا عصى مصيبة الكذب والنفاق وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه أن يفضله في الله وبقوته فالقبض في الله واجب ومحبة العصية والراضى بها عاص ومن أحب ظلما فإن أحبه لظلمه فهو عاص لمحبهه وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يفضله وكان الواجب عليه أن يفضله وإن اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويغض لأجل ذلك الشر وسيأتي في كتاب الإخوة والتعاين في الله وجه الجمع بين القبض والحب فإن سلم من ذلك كله وهيهات فلا سلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتنعا بنهي رسول الله ﷺ حيث قال « يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق » (١) وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره في الدخول ومن تسكينه سواد الظلمة بنفسه وتجيئله بإهم إن كان ممن يتجمل به وكل ذلك إمامكروها أو محظورات . دعى سعيد بن السيب إلى البيعة للوليد سليمان بن عبد الملك بن مروان فقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي ﷺ نهى عن يمينتين (٢) فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال لا والله لا يقتدى بي أحد من الناس فجعل ما نأه وأبلى السوح ولا يجوز الدخول عليهم إلا بغيرين . أحدهما أن يكون من جهتهم أمر إلزام لأمر إكرام ويعلم أنه لو امتنع أودى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة لاطاعهم بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية . والثاني أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواء أوعى نفسه إما بطريق الحسبة أو بطريق النظم فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثنى ولا يلع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول . الحالة الثالثة أن يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه وأما القيام والاكرام له فلا يحرم مقابلة على إكرامه فإنه باكرام العلم والدين مستحق للاحاديث كما أنه بالنظم مستحق للابحاد فلا إكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الأولى أن لا يقوم إن كان معه في خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ويظهر غضبه للدين وإعراضه عن عرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه وإن كان الداخل عليه في جميع فراعاة حمة أرباب الولايات في بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا في الرعية ولا يئله أدى من غضبه فترك الأكرام بالقيام أولى ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن كان يقارف ما لا يفر تحريمه وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب وأما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من السر والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن أن التخويف يؤثر فيه وعليه أن يرشده إلى طريق الصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشرع

(١) حديث يامعشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير أقروا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لا تردوا نعم الله عز وجل وقال صحيح الاستناد (٢) حديث دعا ابن السيب إلى البيعة للوليد سليمان بن عبد الملك فقال لأبايع اثنين ما اخاف الليل والنهار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن يمينتين أبو نعيم في الحلية بابنايد صحيح من رواية يحيى بن سعيد .

بحيث يحصل بها غرض الظلم من غير معصية لصدده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم فإذا يجب عليه التعريف في عمل جهله والتخويف فيها هو مستجري عليه والإرشاد إلى ما هو غافل عنه بما يشي من الظلم فهذه ثلاثة أمور تنولمه إذا توقع للسلام فيه أمراً وذلك أيضاً لازم على كل من انتقله دخول على السلطان بمنزلة أو غير عنذر . وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة وإذا ليس في البيت إلا حماد وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فيبتأ أناعده إذ دق دق الباب فاذا هو محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له مالي إذا رأيته استلأت منك به الكوز هاب من كل شيء (١) ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال تأخذها وتسعين بها قال ارددها على من ظلمتها قال والله ما أعطيتك إلا ما ورثته قال لأحاجل بها قال فأخذها قسمها قال لعل إن عدلت في قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرضق منها إنه لم يسل في قسمتها فيأثم فازوها عني .

الحالة الثالثة : أن يعتزلم فلا يراه ولا يرويه وهو الواجب إذا لاسلمة إلا فيه ضلوه أن يعتقد بعضهم على ظلمهم ولا يجب بقاءهم ولا يفتي عليهم ولا يستخير عن أحوالهم ولا يتقرب إلى التلصص بهم ولا يتأسف على ما فوت بسبب مفارقتهم وذلك إذا خطر بباله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن وإذا خطر بباله تنهمم فليذكر ما قاله حاتم الأصم إنما بين وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يجدون لذته وإنى وإياه في غد لعل وجل وإنما هو اليوم وما عسى أن يكون في اليوم ، وما قاله أبو الدرداء إذ قال أهل الأموال يا كلون ونا كل وشربون ونشرب ويلسون ونللس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فذنبى أن يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره نقص ذلك من رتبته في القلب لا محالة والمعصية يبنى أن تكره فانه إما أن ينفل عنها أو يرضى بها أو يكره ولا غلظة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية كل أحد على حق الله كجانيته على حقه . فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف يجب . قلنا ليس كذلك فان الحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله لا يحب الله وإنما لا يحب الله من لا يعرفه والعرفه واجبة والمحبة لله واجبة وإذا أحب كره ما كرهه وأحب ما أحبه وسيأتى تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا . فان قلت قد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين . فأقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل كما حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجاً إلى مكة فلما دخلها قال اتوني يرجل من الصحابة فقبل يأمر المؤمنين قد تمناوا فقال من التابعين فأتى بطاوس الجباني فلما دخل عليه خلع ثيابه بحافية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بإزائه وقال كيف أنت يا هشام ؟ فضرب هشام غضبا شديداً حتى هم بقتله فقبل له أنت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذى حملك على ما صنعت قال وما الذى صنعت فازداد غضبا وغيظا قال خلعت ثيابك بحافية بساطي ولم تقبل بدى ولم تسلم على إمارة المؤمنين ولم تسكنى وجلست بإزائى غير إذنى وقلت كيف أنت يا هشام قال أما ما فعلت

(١) حديث حماد بن سلمة مرفوعاً إن العالم إذا أراد بعله وجهه الله هاب كل شيء وإذا أراد أن يكثر به الكوز هاب من كل شيء . هذا مفضل وروى أبو الشيخ بن حبان في كتاب التواب من حديث وإلة بن الأسقع من خاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء . وللعقيل في الضعفاء نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما منكرو .

وسطه وهو قائم ثم يخرج الحريطة يساره من كفه اليسار ويحل رأس الحريطة باليمين ويخرج اللداس باليسار ثم يضع اللداس على الأرض ويأخذ باليدين ويقبها في وسط الحريطة ثم ينزع خفه اليسار فإن كان على الوضوء يسفل قدميه بعد نزاع الخف من تراب الطريق والعرق وإذا قدم على السجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ويسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصلى ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يبطأ بها موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة التي استحسناها بعض الصوفية لا تنكر على من يتيقظ بها لأنه من استحسان الشيوخ وينتهم الظاهرة في ذلك تخيد للرشد في كل شيء بحيث مخصوصة ليكون أبداً مفتقدا

من خلع نعل بحاشية بساطك فاني أحسهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يباقي ولا ينضب على وأما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : لا يحمل رجل أن يقبل يدا أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة وأما قولك لم تسلم على يامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب وأما قولك لم تكني فأن الله تعالى سمى أنبياءه وأولياده فقال يادادو يا يحيى يا عيسى وكنى أعداءه فقال - تبت يدا أبي لهب - وأما قولك جلست بازائي فاني سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظمي فقال سمعت أمير المؤمنين على رضي الله عنه يقول إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالغالب تلدغ كل أمير لا يبعد في رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان الثوري رضي الله عنه قال أدخلت على أبي جعفر النصور بنى فقال لي ارفع إلينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت إنما أزلت هذه النزلة بسيف الهاجر والآنصار وأناؤم بموتنوجوا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لحازنه كم أنفقت ؟ قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لا تطيق الجمال حملها وخرج فكذلك كانوا يدخلون على السلاطين إذا أزموا وكانوا يضربون بأرواحهم للانتقام من ظلمهم ودخل ابن أبي شيملة على عبد الملك بن مروان فقال له تسكلم فقال له إن الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومراراتها ومعاباة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فبكي عبد الملك وقال لأجلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ماعشت ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر وكان له صديقا فتابته فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه ^(١) » ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحق من ساطان وما أجهل بمن عصاني ومن أعز بمن اعتز بي أيها الراعي السوء دفعت إليك غنا سبانا صحاحا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تتفقع فقال له وإلى البصرة أتدري ما الذي يجرئك علينا ويحبنا عنك قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الاساك لما في أيدينا . وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فخرج ووضع صدره على مقدمة الرجل فقال له عمر هذا صوت رحمة فكيف إذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان إلى الناس فقال ما أكثر الناس فقال عمر خصاؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان ابتلاك الله بهم . وحكي أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلادخل عليه قاله سليمان يا أبا حازم مالنا نسكره الموت فقال لأنك خربت آخرتكم وعمرته دنياكم فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الحراب فقال يا أبا حازم كيف القدم على الله قال يا أمير المؤمنين أما الحسن فكأنه يقدّم على أهله وأما السيّد فكأنه يقدّم على مولاه فبكي سليمان وقال ليت شعري مالي عند الله قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال - إن الأبرار لن يعم وإن التجار لن يجمع - قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من الحسين ثم قال سليمان يا أبا حازم أي عباد الله أكرم ؟ قال أهل البر. والتقوى قال فأى الأعمال أفضل ؟ قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى الكلام أجمع ؟ قال قول الحق عند من تخاف وترجو

(١) حديث أبي ذر إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عز وجل منه لم أتف له على أصل .

لحركاته غير قادم على حركة غير قصد وعزيمة وأدب ومن أهل من الفقهاء بشئ من ذلك لا ينكر عليه ما لم يخل بواجب أو مندوب لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعيدوا بكثير من رسوم هذه الرسوم من غير نظر لهم إلى النية في الأشياء غلط فقل الفقير بدخل الرباط غير مشمراً كلمة وقد كان في السفر لم يشعر الأكام فينبه أن لا يتعاطى ذلك لظفر الخلق حيث لم يخل عندوب إليه شرعا ويكون الآخر يشعر الأكام بقيس ذلك على شد الوسط وشد الوسط من السنة كما ذكرنا من شد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوساطهم في سفرهم بين المدينة ومكة فتشعر الأكام

قال فأى المؤمنين أكيس ؟ قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قال فأى المؤمنين أخسر ؟ قال رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ما قول فبا نحن فيه ؟ قال أوتغنى قال لا بد فانها نصيحة تلقيا إلى ذل يأمر المؤمنين إن آباءكم قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عتوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا من حق قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بشيا قلت قال أبو حازم إن الله قد أخذ الشياطين على العلماء ليبينه للناس ولا يكتُمونه قال وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ قال أن تأخذ من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك ؟ فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادعى فقال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره خبري الدنيا والآخرة وإن كان عدوك نذ بناصيته إلى ما تحب وترضى فقال سليمان أوصني فقال أوصيك وأوجز عظم ربك وزهه أن يراك حيث نهاك أوفى قدك حيث أمرك . وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم عظمي فقال اضطلع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة نذبه الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة قريبة . ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا أعرابي فقال يا أمير المؤمنين إني مكلّم بكلام فاحتله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال يا أعرابي إنا لنجد بسمه الاحتمال من كل لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه فقال الأعرابي يا أمير المؤمنين إنه قد تكسفت رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاء بسخط ربهم خافوا في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأمنهم على ما أئتمنك الله تعالى عليه فاتهم لم يألو في الأمانة فتصيحا وفي الأمة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غيبا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أعرابي أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك قال أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك عليكي . وحكي أن أبا بكر دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لأزداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أترك طالب لافوته وقد نصب لك علما لا تجوزها فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وإنما ومن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باقي إن خيرا غير وإن شرا فشر فكذلك كان دخول أهل العلم على السلاطين أغنى علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلوهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فبما وافق أغراضهم وإن تسكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن صدم الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غرور وإن يشرهما الحق : أحدهما أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإيما الباعث لهم شهوة خفيفة للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طاب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الإصلاح فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا اللهم كن وجب عليه أن يسأل مرضا شافيا فقام بعالجته غيره فانه يعظم به فرحه فإن كان يصادف في قلبه ترجيح الكلام على كلام غيره فهو مغرور . الثاني أن يزعم أنني أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامه وهذا أيضا مظنة التورود وميأزة ما تقدم ذكره وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم في الأحوال العارضة في محالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل . مسألة : إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فإن كان له مالك معين فلا تجل أخذه وإن لم يكن

في معناه من الحسنة والارفاق به في الشيء فمن كان مشدود الوسط مشمرا يدخل الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط أو كان راكبا لم يشد وسطه فمن الصدق أن يدخل كذلك ولا يعتمد شد الوسط وتشمير الأكام لنظر الخلق فانه تكلف ونظر إلى الخلق ومبني التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق وما ينكر على للتصوفة أنهم إذا دخلوا الرباط لا يتدنون بالسلام ويقول المنكر هذا خلاف للدروب ولا ينبغي للمنكر أن يبادر إلى الانكار دون أن يعلم مقاصد فيما اعتمدوه وتركهم السلام بحتمل وجوها : أحدها أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال «مر رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو

بل كان حكمه أنه يشبه التصديق به على الساكنين كما سبق ذلك أن تأخذه وتولى التفرقة ولا تسمى بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعندهذا ينظر في الأولى فتقول : الأولى أن تأخذه إن أمنت ثلاث غوائل . الفائلة الأولى : أن ينظر السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت تعد يدك إليه ولا تدخله في ضبائك فإن كان كذلك فلا تأخذه فإن ذلك محذور ولا ينبغي الخير في مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام . الفائلة الثانية : أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيمتدنون أنه حلال فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازهم لا يفرقون فهذا أعظم من الأول فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضى الله عنه على جواز الأخذ وينفون عن تفرقته وأخذنه على نية التفرقة فالتقدي والتشبه به ينبغي أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فإنه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير . وقد حكى وهب بن منبه أن رجلاً أتى به إلى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل قيل له في ذلك قتال إن الناس قد اعتقدوا أني طوبت بأكل لحم الخنزير فإذا خرجت سالماً وقد أكلت فلا يعلمون ماذا أكلت فيضلون . ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخى الحجاج وكان عاملاً وكان في غداة باردة في مجلس بارز قال لئلامه هلم ذلك الطليسان وألقه على أي عبد الرحمن أى طاوس وكان قد قصد على كرسى فألقى عليه فلم يزل يحركه كنفه حتى ألقى الطليسان عنه فغضب محمد بن يوسف وقال وهب كنت غنياً عن أن تغضبه لو أخذت الطليسان وتصدت به قاتلتهم لولا أن يقول من بعدى إنه أخذني طاوس ولا يصنع به ما أصنع به إذن لصلت . الفائلة الثالثة : أن يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيه بإك وإيثارة لك بما أعده إليك فإن كان كذلك فلا تقبل فإن ذلك هو السبب القاتل والباء الدفين أى ما يجب الظلمة إليك فإن من أجبت له لابد أن تحرس عليه وتداهن فيه قالت عائشة رضى الله عنها : جبلت النفوس على حب من أحسن إليهم وقال عليه السلام « اللهم لا تجعل لاجل لاجر عندي يدا فيه قلبي ^(١) » بين صلى الله عليه وسلم أن القلب لا يكاد يمتنع من ذلك . وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأناها محمد بن واسع فقال ما صنعت بما أعطاك هذا المخلوق ؟ قال سل أمحاني فقالوا أخرجه كله قال أنشدك الله أفليك أشد حيا له الآن أم قبل أن أرسل إليك ؟ قال لا بل الآن قال إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فإنه إذا أحبه أحب بقاءه وكرهه عزله ونكته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود رضى الله عنهما من رضى بأمر وإن طاب عنه كمن شهده قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا - قيل لا ترضوا بأعمالهم فإن كنت في القوة بحيث لا تزاد حالهم بذلك فلا بأس بالأخذ . وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالاً ويغرقها فيقول له ألا تخاف أن تعجبهم فقال لو أخذ رجل يدي وأدخلني الجنة ثم بعى ربه ما أحبه قاتل لأن الذى سخره للأخذ يدي هو الذى أبغضه لأجله شكره له على تسخيرته إياه وبهذا تبين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك اللال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لأنه لا ينفك عن هذه النوازل . مسألة : إن قال قائل إذا جاز أخذه ما له وتفرقته فهل يجوز أن يسرق ماله أو تخون ويدبته وتسكر وتفرق على الناس فتقول ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين

(١) حديث اللهم لا تجعل لاجل لاجر عندي يدا فيه قلبي ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى اللذين في كتاب تضييع العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلًا وأسانيده كلها ضعيفة .

يول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى كاد الرجل أن يتوارى فغضب يده على الحائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى ففسح بها ذراعيه ثم ردى الرجل السلام وقال إنه لم يعنى أن أرد عليك السلام إلا أنى لم أكن على طهر» وروى «أنه لم يرد عليه حتى توضع ثم اعتذر إليه وقال إنى كرهت أن أذكر الله تعالى إلا على طهر» وقد يكون جمع من القراء مصطحبين في السفر وقد يتفق لأحدهم حدث فلوسلم للتوضي وأمسك المحدث ظهر حاله فيترك السلام حتى يتوضأ من يتوضأ ويصل قومه من يصل سترًا ل حاله على من أحدث حتى يكون سلامهم على الطهارة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يصحكون بعض القبيحين أيضًا على غير طهارة فيستدل جواب

وهو على عزم أن يرد عليه وليس هذا كما لو بثه إليك فإن العاقل لا يظن به أنه يتصدق بمال
 يعلم مالكة فيدل تسليمه على أنه لا يبرق مالكة فإن كان ممن يشكك عليه مثله فلا يجوز أن يقبل
 منه المال ما لم يعرف ذلك ، ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته
 فإن اليد دالة على الملك فهذا لا يسلل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندى واحتمل أن
 تكون له بشراء في الذمة أو غيره وجب الرد عليه فإذا لا يجوز سرقة مالهم ولا ممن أودع عنده
 ولا يجوز إنكارهم ودينتهم ويجب الحد على سارق مالهم إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم فنقد
 ذلك يسقط الحد بالدعوى . مسألة : للعامة معهم حرام لأن أكثر مالهم حرام فأؤخذ عوضا فهو
 حرام فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم فإن علم أنهم يصون الله به
 كبيع الديار منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كبيع النخب من الحار وإنما الخلف في الصحة
 وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسوا نسائه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يحصى في عينه من الأموال
 وفي معنى بيع الفرس منهم لأسباب في وقت ركوبهم إلى قتال المسلمين أو جباية أموالهم فإن ذلك إعانة
 لهم بغرضه وهي محظورة فأما بيع الدراهم والديناريات منهم وما يجري مجراها مما لا يحصى في عينه بل
 يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إغاثتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب
 وسائر الأسباب وهذه الكراهة جارية في الإهداء إليهم وفي العمل لهم من غير أجره حتى في تعليمهم
 وتعلم أولادهم الكتابة والترسل والحساب وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فإن
 ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله ولو اتصّب وكلامهم يشتري لهم في الأسواق من غير جعل أو أجره
 فهو يكره من حيث الإعانة وإن اشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به العصية كالقتال والديار للقرش
 والبس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام فهم ما ظهر قصد للصية بالمتاع حصل التحريم
 ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلائلها عليه حصلت الكراهة . مسألة : الأسواق التي ينوها
 بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم
 كبه وكان عاصيا بسكناها وللناس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء
 منها فإن ذلك إعانة لسكناها وتكثير لكراء حوائثهم وكذلك معاملة السوق التي لاخراج لهم عليها
 أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى تحرموا من معاملة الفلاحين وأصحاب
 الأراضي التي لهم عليها الخراج فأنهم ربما يصفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل بالإعانة وهذا
 غلو في الدين وحرج على المسلمين فإن الخراج قدعّم الأراضي ولا غنى بالناس عن ارتضاع الأرض
 ولا معنى للمنع منه ولوجاز هذا الحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول
 ويتداخى إلى حسم باب المعاش . مسألة : معاملة قضائهم وعملهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد
 أما القضاء فلائهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمهم ويغرون الخلق بزعمهم فأنهم
 على زى العلماء ومحتلطن بهم يأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاعتداء بنوى
 الجاه والحشمة فهم سبب ابتعاد الخلق إليهم وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من النصب الصريح
 ولا يقع في أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولا وجه حلال حتى تنصف الشبهة باختلاط الحلال
 بالمهم قال طاووس لا أشهد عندهم وإن تحققت لأن أئافا تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة
 إنما فسدت الرعية بفساد اللوك وفساد اللوك بفساد العلماء فلولا القضاء السوء والعلماء السوء لقل
 فساد اللوك خوفا من إنكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال هذه الأمة تحت يدي الله »

السلام أيضا بالطهارة
 لأن السلام اسم من
 أسماء الله تعالى وهذا
 من أحسن ما يذكر
 من الوجوه في ذلك
 ومنها أنه إذا قدم بياحه
 الإخوان وقد يكون
 معه من آثار السفر
 والطريق ما يكره
 فيستند بالوضوء
 والنظافة ثم يسلم
 ويصافهم ومنها أن
 جمع الرباط أرباب
 مراقبة وأحوال
 فهو هجم عليهم بالسلام
 قد ينزعج منه مراقب
 ويتشوش يحافظ
 والسلام يتقدمه
 استئناس بدخوله
 واستئناؤه بفعل القدم
 والوضوء وصلا تركتين
 فيتأهب الجميع له كما
 يتأهب لهم بعد مسابقة
 الاستئناس وقال الله
 تعالى حتى تستأنسوا -
 واستئناس كل قوم
 على ما يليق بحالهم
 ومنها أنه لا بد من على
 غير بيته ولا هو يفرح
 منهم بل هم إخوانه

إلا يحرم ولا يتشبه بالفاسق إلا فاسق نعم الفاسق قد يتشبه بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكبير لسوئهم وإنما زل قوله تعالى - إن الدين توفاكم للائسكة ظالمي أنفسهم - في قوم من المسلمين كانوا يكثر جمعاء المشركين بالمخالطة وقد روى أن الله تعالى أوصى إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال ما بال الأخيار قال إنهم لا يفضيئون لضفي فساكنوا يؤاكلتهم ويشربونهم وهذا يتبين أن بعض الظلة والتضبية عليهم واجب . وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ «إن الله لعن علماء بني إسرائيل إذا خالطوا الظالمين في معاشهم» (١) . مسألة : الواضع التي بناها الظلة كالتقاط والرباطات والساجد والسقايات ينبغي أن يحاط فيها وينظر أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما أمكن وإن وجد معدلاً تأكد الورع وإنما جوزنا العبور وإن وجد معدلاً لأنه إذا لم يعرف تلك الأعيان مالكا كان حكماً أن ترصد للخيرات وهذا خير فأما إذا عرف أن الأجر والحجرة قد هل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لإجل العبور عليه أصلاً لإلزامه ضرورة محل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يحجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه وأما المسجد فإن بني في أرض مفسوبة أو غنص مفسوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلاً ولا للجمعة بل لو وقف الإمام فيه فليصل هو خلف الإمام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة في الأرض المنصوبة تسقط الفرض وتعمد في حق الاقتداء فذلك جوزنا للفتنة الاقتداء بمن صلى في الأرض المنصوبة وإن عصى صاحبه بالوقوف في التصب وإن كان من مال لا يعرف مالكة فالورع المدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من الملك الذي بناه ولو على بعد وإن لم يكن له مال معين فهو المصالح للمسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن صلى فيه مع اتساع المسجد أعني في الورع قيل لأحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج إلى الصلاة في جماعة ونحن بالسكر فقال جئني أن الحسن وإبراهيم التيمي خافا أن يفتنهما الحجاج وأنا أخاف أن أفتن أيضاً وأما الخلق والتجسس فلا يمنع من الدخول لأنه غير منقطع به في الصلاة وإنما هو زينة والأولى أنه لا ينظر إليه وأما البواري التي فرشوها فإن كان لها مالك معين فيحرم المجلس عليها وإلا فقد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز اقتراسها ولكن الورع المدول عنها فإنها محل شبهة . وأما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إلا إذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة . وأما الرباطات والمدارس فإن كانت ربة الأرض مفسوبة أو الأجر منقولاً من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وإن التمس المالك قد أرصد لجهة من الخير والورع اجتنبه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى المصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال المصالح وإنما يجوز ذلك للولاة وأرباب الأمر . مسألة . الأرض المنصوبة إذا جعلت شارعاً لم يجوز أن يتخطى فيه أبنية وإن لم يكن له مالك معين جاز والورع المدول إن أمكن فإن كان الشارع مباحاً وفوقه سامط حاز المور وجاز الجلوس تحت السباط على وجه لا يحتاج فيه إلى

الله عليه وسلم كان يغلق البسرى قبل التيمى وبليس التيمى قبل البسرى وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون أحدم لا يقعد على سجادة الآخر مشروع وسنون وقد ورد في حديث طويل «لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه ولا في أهله ولا يجلس على تكريمته إلا بإذنه» وإذا سلم على الإخوان يصاحبههم ويصافونه فقد روى جابر بن عبد الله قال «لما قدم جعفر من أرض الحبشة عاتقه النبي صلى الله عليه وسلم» وإن قبلهم فلا بأس بذلك روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خير أسرى يقدم جعفر» ويصافى إخوانه فقد قال عليه السلام «قبلة السلم أخاه للصاخة» وروى أنس

(١) حدث ابن مسعود لعن الله علماء بني إسرائيل إذا خالطوا الظالمين في معاشهم أبو داود والترمذي وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل في العاصي نهتهم غلاؤهم فلم يبتوا فخالسهم في مجالسهم وواكلهم وشاربهم فغضب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم لفظ الترمذي وقال حسن غريب

السقف كما يقف في الشارع لشغل هذا انتفع بالسقف في دفع حر الشمس أولظر أو غيره فهو حرام لأن السقف لإيراد الإلذالك وهكذا من يدخل مسجدا أو أرضا مباحة سَقَف أو حوط بضمب فإنه مجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف إلا إذا كان له فائدة في الحيطان والسقف لحر أو برد أو تبر عن بصر أو غيره فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على النصب لما فيه من العاسة بل للانتفاع والأرض تراد للاستقرار عليها والسقف للاستئلال به فلا فرق بينهما .

(الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر ميسر الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى)

مسألة : سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاما أو قندا ويشتري به طعاما من الذي يحله أن يأكل منه وهل يختص بالصوفية أم لا . قلنا أما الصوفية فلا شبهة في حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوه برضا الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة أما الحل فلأن ما يعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى للصوفية فهو كالرجل العليل يعطى بسبب عياله لأنه متكفل بهم وما يأخذهم تقع ملكا له لا للبالغ وله أن يطعم غير العيال إذ يعد أن يقال يخرج عن ملك المعطى ولا يسقط الخادم على التبراء والتصرف فيه لأن ذلك مصر إلى أن المعاطاة لا تنكفي وهو ضيف ثم لاضائر إليه في الصدقات والهدايا ويعد أن يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخافاه إذ خلاف أنه أن يطعم منه من يقدم يدهم ولوماتوا كلمهم أو واحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى وارثه ولا يمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لأن إزالة الملك إلى الجهة لا توجب تسليط الآحاد على التصرف فإن الداخلين فيه لا ينصرون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة وإنما يتصرف فيه الولاء والخادم لا يجوز له أن ينتصب نائباً عن الجهة فلا وجه لإلأن يقال هو ملكه وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف والروء فإن منحهم عنه منعه عن أن يظهر نفسه في مرض التكفل بهم حتى ينقطع وقفه كما ينقطع عن مات عياله . مسألة : سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذي يجوز أن يصرف إليه قلنا التصوف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفى والضابط الكلى أن كل من هو صفة إذا نزل في خافاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفر وزى الصوفية وأن لا يكون مشتتاً بجمرفة وأن يكون مخالطهم بطريق للساكنة في الخافاه ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجر بالعض فالنفس يمنع هذا الاستحقاق لأن الصوفى بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذى يظهر نفسه وإن كان على زيهم لا يستحق ما أوصى به للصوفية ولنا نعتبر فيه الصفات . وأما الحرمة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوته أو داره والأجير الذى يخدم بأجرة كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ولا ينجر بهذا بالزى والمخالطة فأما الورقة والحيطة وما يقرب منها مما يليق بالصوفية طاعيا فإذا تاطها في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرمة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجر بمساكنته أيام مع شبة الصفات وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع وأما الوعظ والتدريس فلا ينافى اسم التصوف إذا وجدت بقية الحاصل من الزى والساكنة والفر لا ينافى أن يقال صوفى مرمى وصوفى واعظ وصوفى عالم أو مدرس ويتنافى أن يقال صوفى دهقان وصوفى تاجر وصوفى عامل وأما الفقر فإن زال ببنى مفرد ينسب الرجل إلى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه أخذ صفة الصوفية وإن كان له مال ولا ينفى دخله

(الباب السابع في مسائل متفرقة)

ابن مالك قال « قيل

بارسول الله الرجل يلقى

صديقه وأخاه ينحن له

قال لا ليل يلزمه ويقبله

قال لا ليل يصفاه قال

نعم ويستحب للفقراء

اليتيم في الرباط أن

يتلقوا الفقراء بالترحيب

روى عكرمة قال : قال

رسول الله صلى الله

عليه وسلم يوم جئت :

مرحبا بالراكب

للهاجر مرتين وإن

قاموا إليه فلا بأس

وهو ممنون . روى

عنه عليه السلام أنه

قام لجسر يوم قدمه

ويستحب للخادم أن

يقدمه للطعام . روى

لقيط بن صبرة قال

« وقد ناطى رسول الله

صلى الله عليه وسلم

فلم تصادفه في منزله

وصادفا عائشة رضى

الله عنها فأمرت لنا

بالحريرة صنعت لنا

وأنتنا بقتاع فيه تمر

والقناع الطبق فأكلنا

ثم جاء رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال

مخرجه لم يطل حقه وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خرج وهذه أمور لا دليل لها إلا بالمعادات وأما المحالطة لمساكنهم فلها أثر ولكن من لا يحالطهم وهو في داره أو في مسجد على زهم ومتخلق بأخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك المحالطة بجرها ملازمة الزى فإن لم يكن على زهم ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق إلا إذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالبيعة فالمخالطة والزى يتوب كل واحد منهما عن الآخر والفقير الذي ليس على زهم هذا حكمه فإن كان خارجا لم يعد صوفيا وإن كان مساكنا معهم وجدت بقية الصفات لم يعد أن ينسحب بالبيعة عليهم حكمهم . وأما ليس الرقعة من يدشيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعنده لا يضره مع وجود الترائط المذكورة وأما التأهل للتردد بين الرباط والسكن فلا يخرج بذلك عن جملتهم . مسألة : ماوقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقف الصرف إلى مصالحهم فليقر الصوفي أن يأكل معهم برضام على ما تيسر مرة أو مرتين فإن أمر الأئمة ببناء على التسامح حتى جاز الانفراد بها في التمام للشركة والقول أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معاشهم وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية بخلاف الوقف وكذلك من أحضره من العمال والتجار والقضاء والفقهاء ممن لهم غرض في استئالة قلوبهم يحل لهم الأكل برضام فإن الواقف لا يقف إلا مقفلا في ما جرت به عادات الصوفية فيزول على انصرافه ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا أن يسكن معهم على الدوام وبأكل وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم . وأما الفقيه إذا كان على زهم وأخلاقهم فله التزول عليهم وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط في الصوف عند من يعرف الصوف ولا يلتفت إلى خرافات بعض الحق قولهم إن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا تأويل هذه الكلمة في كتاب العلم وأن الحجاب هو العلم للهموم دون الهموم وذكريا الهموم والهموم وشرحهما . وأما الفقيه إذا لم يكن على زهم وأخلاقهم فله من التزول عليهم فإن رضوا بتزوله فيحل له الأكل معهم بطريق البيعة فكان عدم الزى تجرعه للسكينة ولكن برضا أهل الزى وهذه أمور تشهد لها العادات وفيها أمور متقابلة لا يخفى أطرافها في التناقض والاثبات ومتشابهة أوساطها فمن احتز في مواضع الاشتباه قد استبرأ لدينه كائنها عليه في أبواب الشبهة . مسألة : سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرمت إحداها دون الأخرى . قلنا باذل المال لا يبيعه قط إلا لترض ولكن الغرض إما أجل كالثواب وإما عاجل والمأجل إما مال وإما فضل وإعانة على مقصود معين وإما تقرب إلى قلب المهدي إليه يطلب محبة إمام المدجبة في عينها وإما للتوصل بالهدية إلى غرض وادها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة الأول : ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك إما أن يكون لسكون المصروف إليه محتاجا أو عالما أو متنبيا ينسب ديني أو صالحا في نفسه متدبرا في علم الآخذ أنه يعطاه لحاجته لا ليجلله أخذه إن لم يكن محتاجا وما علم أنه يعطاه لشرف نسبه لا ليجلله إن علم أنه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعله فلا يجلله أن يأخذه إلا أن يكون في العلم كايستقده الله أي فإن كان خيلا إليه كالا في العلم حتى يشبه بذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يجلله وما يعطى لدينه وصلاحه لا ليجلله أن يأخذه إن كان فاسقا في الباطن فسقا لوعله اللطفي ما أعطاه وقلنا يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائة إليه وإنما ستر الله الجليل هو الذي يحب الخلق إلى الخلق وكان التورعون بكونهم من الشراء من لا يعرف أنه وكلامهم حتى لا يتساعوا في البيع خيفة من أن يكون ذلك أكلا بالدين فإن ذلك حنظر والتقى حتى لا يكلم

أصبحت عينا قلنا نعم
يا رسول الله ويستحب
للقادم أن يقدم للقراء
عينا لحق القدوم .
ورد أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
قدم المدينة نحر جزورا
وكرهتهم لقدموا للقادم
بعد النصر وجهه من
السنة منع النبي صلى
الله عليه وسلم عن
طروق الليل والصوفية
بعد العصر يستعدون
لاستقبال الليل
بالطهارة والاكسباب
على الأذكار والاستغفار
روى جابر بن عبد الله
قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « إذا قدم
أحدكم من سفر فلا
يطرطن أهل ليله »
وروى كعب بن مالك
أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان
لا يقدم من السفر إلا
نهرا في الضحى
فيستحبون القدوم في
أول النهار فإن فات
من أول النهار فقد
ينفق تعويق من

والنهب والفقر فينبغي أن يجنب الأخذ بالدين ما أمكن . القسم الثاني : ما يقصد به في العاجل عرض معين كالتفكير يهدي إلى التفتي طمعاً في خاتمة فهذه هبة بشرط الثواب لا يبغي حكمها وإنما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود . الثالث : أن يكون المراد إئانة بفعل معين كالاحتياج إلى السلطان يهدي إلى وكيل السلطان وخاصة ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فإن كان حراماً كالسمي في تعيين إدار حراماً وظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ وإن كان واجباً كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متينة فيحرم عليه ما يأخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وإن كان مباحاً لا واجباً ولا حراماً وكان فيه تب محض لورع لجاز الاستئجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفي بالعرض وهو جار مجرى الجمالة كقوله أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تب وعمل متقوم أو قال اقترح على فلان أن يعينني في غرض كذا أو ينم علي بكذا واقترع في تعيين غرضه إلى كلام طويل فذلك جل كما يأخذه الركيل بالخصوصة بين يدي القاضي فليس بحرام إذا كان لا يسمي في حرام وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لا تب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه أو تلك القصة من ذي الجاه تغيد كقوله للباب لا تعلق دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لأنه عوض من الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على التهي عنه كسائر في هدايا الملوك وإذا كان لا يجوز العرض عن إسقاط الشفعة والرد بالبيع ودخول الأغصان في هواه الملك وجعله من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا أخذ الطبيب العرض على كلمة واحدة ينه به على دواء ينفرده بعرفته كواحد ينفرده بالعلم بنيت قلع البواسير وأغیره فلا بد كره إلا بوض فإن عمله باللفظ به غير متقوم كعبة من مسمم فلا يجوز أخذ العرض عليه ولا على عمله إذ ليس ينتقل عمله إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل عمله ويقي هو عالماً به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالسيفل مثلاً الذي يزيل اعوجاج السيف أو المرأة بدقة واحدة لحسن معرفته بوضع الخلل ولحذقه بصايته بقدر يزيد بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والمرأة فهذا لا يرى بأساً بأخذ الأجرة عليه لأن مثل هذه الصناعات يتب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل . الرابع : ما يقصد به المحبة وجلبها من قبل الهدى إليه لا لفرض معين ولكن طلباً للاستئناس وتأكيده للصحة وتوددا إلى القلوب فذلك مقصود العقلاء ومندوب إليه في الشرع قال صلى الله عليه وسلم «تهادوا تحابوا» (١) وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان في العال بالأسباب أيضاً محبة غيره لعين المحبة بل لئانة في محبة ولكن إذا لم تعين تلك القائدة ولم يمثّل في نفسه غرض معين يمثّل في الحال أو المال سمى ذلك هدية وحل أخذها . الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبة لاجته ولا لئاس به من حيث إنه أنس قسط بل يتوصل بمجاهة إلى أغراض له ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وشحنه لكان لا يهدي إليه فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذه مكروه فإن فيه مشابة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها فإن كان جاهه بولاية تولاه من قضاء أو عمل أو ولا بصدقة أو جباية مال أو غيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوفد مثلاً وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدي إليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية إذا قصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لأمر ينحصر في جنه إذ يمكن التوصل إليه بالولايات لا يبغي وآية أنه لا ينبغي المحبة أنه لو لوى في الحال غيره ليل للال إلى ذلك الغير فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراماً والشي

(١) حديث تهادوا تحابوا البقي من حديث أبي هريرة وضعه ابن عدي .

فيه متارضا فانه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة للبذولة في مقابلة جاء محض في غرض معين وإذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تعين الليل إليه وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر في ذلك قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالوعظة يقتل البري لتوعظ به العامة (١) » ، ويستل ابن مسعود رضى الله عنه عن السحت قال : يقضى الرجل الحاجة فتهدى له الهدية ولله أراد قضاء الحاجة بكلمة لا تمضيها أوتبرع بها لاطي قصد أجرة فلا يجوز أن يأخذ بعده شيئا في معرض العوض . شفع مسروق شفاعته فأهدى إليه الشفوع له جارية فنضب وردّها وقال لوعلت ما في قلبك لما تسكمت في حاجتك ولا أنكم فبا بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت ، وأخذ عمر رضى الله عنه ربع مال القراض الذي أخذه ولده من بيت المال وقال إنما أعطيتا لمكانكما إذ علم أنهما أعطيا لأجل جاء الولاية . وأهدت امرأة أبى عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافأته بجوهر فأخذه عمر رضى الله عنه فباعه وأعطاهما ثمن خلوقها ورد باقيه إلى بيت مال المسلمين . وقال جابر وأبو هريرة رضى الله عنهما هدايا للولولغلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قبل له « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة (٢) » أى كان يقرب إليه لبيوته لالولايته ونحن إنما نعطي للولاية وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الأزدي فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض ما معه وقال هذا لك وهذا لى هدية فقال عليه السلام ألا جلست في بيت أهلك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ثم قال مالي أستمع الرجل منك فيقول هذا لك وهذا لى هدية ألا جلست في بيت أمه ليهدي له والذي نفسى بيده لا يأخذ منك أحد شيئا يغير حقّه إلا أتى الله بحيلة فلا يأتين أحدكم يوم القيامة يبيع له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تير ثم رفع يده حتى رأيت رياض إبطيه ، ثم قال اللهم هل بلغت (٣) » وإذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذ في ولايته وما يملك أنه إنما يسطه لولايته فغرام أخذه وما أشكل عليه في هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يسطونه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه .

(تم كتاب الحلال والحرام بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم)

(كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمشاركة مع أصناف الخلق)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غفر صفوة عباده بلطف التخصيص طولا وامتنانا . وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا . وزرع الغل من صدورهم فظفوا في الدنيا أصدقاء وأخذانا . وفي الآخرة رقاء وخلانا والصلاة على محمد الصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلًا وعدلاً وإحساناً .

(١) حديث يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالوعظة يقتل البري يوعظ به العامة لم أقف له على أصل (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية البخاري من حديث عائشة (٣) حديث أبى حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا إلى صدقات الأزدي فلما جاء قال هذا مالكم وهذا هدية لى الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الصحبة)

روى أبو رفاعة قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه قال فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على وترك خطبته ثم أتى بكبرى قوائمه من حديد فقدم رسول الله ثم جعل يلعن معاينه ثم أتى خطبته وأتم آخرها » فأحسن أخلاق الفقراء للرفق بالمسلمين واختال للكروه من للسموع وللرق وقد يدخل فقير بعض الربط ويحل بشىء من مراسم للتصوفة فينهز ويخرج وهذا خطأ كبير قد يكون خلق من الصالحين والأولياء لا يعرفون هذا الترمس الظاهر ويقصدون الرباطية سالحة فإذا استقبلوا بالمكروه يحس أن تتشوش بواطنهم من الأذى

أما بعد : فان التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات . وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات . ولما شرط بها يلتحق للتصاحبين في الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فياقيم محبة وتقرب إلى الله تعالى وبالجملة عليها تنال الدرجات العلى ، ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها . الباب الثاني : في حقوق الصبة وأدائها وحقيقتها ولو ازمها . الباب الثالث : في حق السلم والرحم والجوار والمثل وكيفية المباشرة مع من قد بل بهذه الأسباب .

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)

(فضيلة الألفة والأخوة)

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والشرع ثمرة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر البغض والتحاسد والتدابير ومهما كان الثمر محمودا كانت الثمرة محمودا وحسن الخلق لا يخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال - وإنك لم يخلق عظيم - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أكرم ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق »^(١) وقال أسامة بن شريك قلنا يا رسول الله « ما خير ما أعطى الإنسان ؟ فقال خلق حسن »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « بئس لأتعم بحسن الأخلاق »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « أثقل ما يوضع في الزان خلق حسن »^(٤) وقال عليه السلام ما حسن الله خلق امرئ خلقه فيطعمه النار »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة رضي الله عنه وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتنفو عن ظلمك وتعطي من حرمك »^(٦) ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة والاتفاق والوحشة ومهما طاب الثمر طابت الثمرة ، وكيف وقد ورد في التائه على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله . ومن الآيات والأخبار والآثار ما يفيد كفاية ومقنع . قال الله تعالى مظهرًا عظيمته على الخلق بنعمة الألفة - لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألئت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم - وقال - فأصبحتم بنعمته إخوانا - أي بالألفة ثم ذم التفرة وزجر عنها فقال عز من قائل - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - إلى - لعلكم تهتدون - وقال عليه السلام « إن أقربكم مني مجلسا أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة)

(١) حديث أول ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد وقد تقدم (٢) حديث أسامة بن شريك يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال خلق حسن ابن ماجه بإسناد صحيح (٣) حديث بئس لأتعم بحسن الأخلاق أحمد والبيهقي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أثقل ما يوضع في الزان خلق حسن أبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء وقال حسن صحيح (٥) حديث ما حسن الله خلق امرئ خلقه فيطعمه النار ابن عدى والطبراني في معارج الأخلاق وفي الأوسط والبيهقي في شعب الإيعان من حديث أبي هريرة قال ابن عدى في إسناده بعض التكررة (٦) حديث يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال وما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتنفو عن ظلمك وتعطي من حرمك البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه (٧) حديث إن أقربكم مني مجلسا أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون الطبراني في معارج الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف ،

ويدخل على النكر عليه ضرر في دينه ودنياه فيحذر ذلك وينظر إلى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يتممه مع الخلق من اللدارة والرفق وقد صح أن أعرابيا دخل المسجد وبأمر النبي عليه السلام حتى أتى بنوب فصب على ذلك ولم ينهر الأعرابي بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين والفظافة والتغليظ ؟ والتسلط على السليين بالقول والقلم من النفوس الحبيثة وهو عند حال التصوفة ومن دخل الرباط بمن لا يصلح للقيام به رأسا يصرف من الوضع على اللطف وجهه بيد أن يقدم له طعاما ويحسن له الكلام فهذا الذي يليق بسكان الرباط وما يتممه الفقهاء من تمييز القادم فخلق حسن ومعاملة صالحة وردت

« المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم في إنشاء على الأخوة في الدين « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانته ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليمين تفصل إحداهما الأخرى وما التقى مؤنان قط إلا أفاداه أحدهما من صاحبه خيرا ^(٣) » وقال عليه السلام في الترغيب في الأخوة في الله « من آخى أخا في الله رزقه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله ^(٤) » وقال أبو إدريس الخولاني لما ذى أن أحبك في الله فقال له أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفرحون وبخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال هم للتحابون في الله تعالى ^(٥) » ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وقال فيه « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوهم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يضبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم التحابون في الله والتجالسون في الله والتراورون في الله ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحب أثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ^(٧) » وقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به

(١) حديث المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف أحمد والطبراني من حديث سهل ابن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه (٢) حديث من أراد الله به خيرا رزقه أخا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانته غريب بهذا اللفظ والمعروف أن ذلك في الأمير ورواه أبو داود من حديث عائشة إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانته الحديث ضعفه ابن عدي ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصعبة من حديث علي من سعادة الرء أن يكون إخوانه صالحين (٣) حديث مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليمين تفصل إحداهما الأخرى الحديث السلمي في آداب الصعبة وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الخزيات (٤) حديث من آخى أخا في الله عز وجل رزقه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل إلا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة وإسناده ضعيف (٥) حديث قال أبو إدريس الخولاني لما ذى أن أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة الحديث أحمد والحاكم في حديث طويل إن أبا إدريس قال قلت والله إنى لأحبك في الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن للتحابين بحلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلطف التحابون في جلال لهم منابر من نور يضبطهم النبيون والشهداء قال حديث حسن صحيح ولأحمد من حديث أبي مالك الأشعري إن الله عبدا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يضبطهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه تحابوا في الله وتضافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفرح الناس يوم القيامة ولا يفرحون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه شهرين حوشب يختلف فيه (٦) حديث أبي هريرة إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوهم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء الحديث النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات (٧) حديث ما أحب أثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ابن جبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الاسناد.

بالسنن روى عمر رضي الله عنه قال : « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلام له حبشي يميز ظهره فقلت يا رسول الله ما شأنك فقال إن الناقة اتهمتني في قديمي عن الرضا بذلك ممن يميز في وقت تباه وقدموه من السفر فأما من يتخذ ذلك عادة ويجب التعميز ويستجلب به النوم ويساكنه حتى لا يفوته فلا يلبق بحال الفقراء وإن كان في الشرع جائزا وإن كان بعض الفقراء إذا استرسل في القمز واستلذه واستدعاه يحتمل فيرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله في التعميز ولأرباب الزام أمور لا يسمهم فيها الركون إلى الرخص . ومن آداب الفقير إذا استقر وقعد سد قدومه أن لا يتسدى بالكلام دون أن يستل ويستحب أن يمكث

ثلاثة أيام لم يصدر دياره
أوشهدا أو غير ذلك
نما هو مقصود من
الدنية حتى ينهب عنه
وعناء السفر وقد
باطله إلى حيث قد
يكون بالسفر وعوارضه
تغير باطله وتكسر
حتى يجمع في الثلاثة
الأيام همه وينصلح
باطله ويستمد لقاء
الشاخ والزيارات
بتنوير الباطن فان
باطله إذا كان منورا
يستوفي حظه من الخير
من كل شيء وأخ
زوره . وقد كنت
أسمع شيخنا بوصى
الأصحاب ويقول
لا تسلكوا أهل هذا
الطريق إلا في أقصى
أوقاتكم وهذا فيه
فائدة كبيرة فان نور
الكلام على قدر نور
القلب ونور الصم على
قدر نور القلب فانما
دخل على شيخ أو أخ
وزار مربي أن يستأذنه
إذا أراد الانصراف
قد روى عبد الله بن

(١) حديث إن الله يقول حَقَّ بحبي للذين يتزاورون من أجلي وحَقَّت بحبي للذين يتحابون من أجلي الحديث أحمد من حديث مجمر بن عتبة وحديث عبادة بن الصامت ورواه الحاكم وصححه (٢) حديث إن الله يقول يوم القيامة إن المتحابين بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي مسلم (٣) حديث أبي هريرة سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث مازار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إني أناداه ملك من خلفه طبت وطاب لك الجنة ابن عدي من حديث أنس دون قوله شوقا إليه ورغبة في لقائه ولترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة من عاد مريضا أوزار أخا في الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب لعمرك وبتوأت من الجنة منزلا قال الترمذي غريب (٥) حديث إن رجلا زار أخاه في الله فأرسل الله له ملكا فقال أين تريد الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث بن أبي سلمة يختلف فيه والخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث اللهم لا تجعل لقارحى منة الحديث تقدم في الكتاب الذى قبله .

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال : يا داود مالي أراك متنبذا وحيدا قال إلهي فليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن قظانا واربد لنفسك أصدقاء وكل خدن لا يواظبك على مسرتي فلاتصاحبه فإنه لك عدو يفسد قلبك ويأعدك مني . وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال يا رب كيف أن يحبني الناس كلهم وأسلم في بيبي وبينك قال خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك وفي بعضه خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة . وقال النبي ﷺ « إن أحبك إلى الله الدين يألوهون ويؤلفون وإن أبغضكم للشاؤون بالهزيمة للفرقون بين الإخوان » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من التلج يقول اللهم كما ألفت بين التلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين » (٢) وقال أيضا « ما أحدث عبدا خا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « المتحابون في الله على عمود من ياقوته حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يسرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كأنضى الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيضيء حسنهم لأهل الجنة كأنضى الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم للمتحابون في الله » (٤) . الآثار : قال علي رضي الله عنه عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار - قالنا من شافين ولا صدق حميم - وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله لو صمت النهار لأفطره وقت الليل لأنامه وأنقمت على غلقا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما تمنعني ذلك شيئا . وقال ابن السكك عند موته اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فأجمل ذلك قربة إلى إليك . وقال الحسن على ضده يا ابن آدم لا يفرنك قول من يقول المرء مع من أحب فأنك لن تخلق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا بهم وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه معاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بأي عمل عملته بأي شهوة تركتها بأي حظ كظنته بأي رحم قاطع وصلتها بأي زلة لأخيك غفرتها بأي قرب باعدته في الله بأي بعيد قاربته في الله . ويرى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام هل عملت في عملا قط فقال إلهي إني صليت لك وصمت وتصدقك وزكيت فقال إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فأني عملت لك ؟ قال موسى إلهي دلني على عمل هلاك قال يا موسى هلو أليت لي وليا قط وهل عادت في عدوا قط فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله . وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو أن رجلا قام بين الركن والمقام عبيدات سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضي الله عنه مصارمة الفاسق قرآن إلى الله وقال الرجل لحمد بن واسع إني لأحبك في الله فقال أحبك الذي أحببتني ثم لم حول وجهه وقال اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض ودخل رجل

(١) حديث إن أحبك إلى الله الدين يألوهون ويؤلفون الحديث الطبراني في الأسط والصغير من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن الله ملكا نصفه من النار ونصفه من التلج يقول اللهم كما ألفت بين التلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والرباض بن سارية بسند ضعيف (٣) حديث ما أحدث عبد خا في الله تعالى إلا أحدث الله له درجة في الجنة ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث المتحابون في الله على عمود من ياقوته حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة الحديث الحكم الترمذي في النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقوم من حتى يستأذنه » وإن نوى أن يقيم أياما وفي وقته سمة ونفسه إلى البطالة وترك العمل تشوف يطلب خدمة يقوم بها وإن كان دائم العمل لربه فكفي بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط إلا باذن للقدم فيه ولا يغسل شيئا دون أن يأخذ رأي فيه فهذه جملة أعمال يعتمدها الصوفية وأرباب الربط والله تعالى بغضه يزيه .

[الباب التاسع عشر في حال الصوفى للتسبب]
اختلف أحوال الصوفية في الوقوف مع الأسباب والأعراض عن الأسباب فمن كان على الفتوح لا يركن

على داود الطائي فقال له صاحبنا ! فقال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين ردت ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت قترار أمن الزهاد أنت لا والله أمن العباد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبهة فاسقا فها صرت مراميا والله للمرائي شر من الفاسق وقال عمر رضي الله عنه إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به قسما يصيب ذلك وقال مجاهد للتعايبون في الله إذا اتقوا فكشروا بعضهم إلى بعض تحت عنهم الخطايا كما تحت ورق الشجر في الشتاء إذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل إلى وجه أخيه على الودعة والجمعة عبادة .

(بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا)

اعلم أن الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف النطاء عنه بمأذكرة . وهو أن الصعبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق كالصحة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع في السكن أو في المدرسة أو في السوق أو على باب السلطان أو في الأسفار وإلى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذي يريد يانه إذ الأخوة في الدين واصمة في هذا القسم لأمالة لإذلاتها وبإلاهي الأفعال الاختيارية ولا ترغب إلا في الصلابة عبارة عن المبالغة والمخالطة والمجاورة وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فان غير المحبوب يجتنب وياعد ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما أن يحب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود وذلك المقصود إما أن يكون مقصودا على الدنيا وحظوظها وإما أن يكون متعلقا بالآخرة وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام . القسم الأول : وهو حبك الإنسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون في ذاته محبوبا عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدته وأخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذينة في حق من أدرك جماله وكل لذينة محبوبة واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع للناسبة وللإمامة والوفاة بين الطابع ثم ذلك للاستحسان إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أغنى حسن الحلقة وإما أن يكون هي الصورة الباطنة أغنى كمال العقل وحسن الأخلاق ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذبه ومحبوب بل في اختلاف القلوب أمر أخفض من هذا فانه قد تستحكم الودة بين شخصين من غير ملاحاة في صورة ولا حسن في خلق وخلق ولكن للناسبة باطنة توجب الألفة والوفاة فان شبه الشيء يجذب إليه بالطبع والأشياء الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » (١) فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناصب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الألفاظ « الأرواح جنود مجندة تلتقي فتتشام في الهواء » (٢) وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال إن الله تعالى خلق الأرواح فخلق بعضها فلما أطاقها حول العرش فأى روحين من فلقين تمارا هناك فالتقيتا وتواصلتا في الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أرواح المؤمنين يلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط » (٣) وروى « أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فزلت الكفة

(١) حديث الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف مسلم من حديث أبي هريرة والبخاري تعليقا من حديث عائشة (٢) حديث الأرواح تلتقي فتتشام في الهواء الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث علي بن الأرواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتتشام الحديث . (٣) حديث إن أرواح المؤمنين يلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ تلتقي وقال أحدهم وفيه ابن لهيعة عن دجاج .

إلى معلوم ولا يسبب بكسب ولا سؤال ومنهم من كان يكتب ومنهم من كان يسأل في وقت فاقته ولم في كل ذلك أدب واحد براعونه ولا يمدونه وإذا كان الصغير يسوس قسه بالعلم يأتيه التهم من الله تعالى في الذي يدخل فيه من سبب أو ترك سبب فلا يبنى للفقير أن يسأل مهما أمكن قد حث النبي عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فأما الترغيب فماروى ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يضمن لي واحدة أنكفله » بالجنة قال ثوبان قلت أنا قال لا تسأل الناس شيئا فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله وينزل هو ويأخذها . وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال

على المدينة فدخلت على عائشة رضى الله عنها فأضحكتها فقالت أين نزلت فذكرت لها صاحبها فقالت
 صدق الله ورسوله (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الأرواح جنود مجندة» الحديث
 والحق في هذا أن الشهادة والتجربة تشهد للاتساف عند التناسب والتناسب في الطباع والأخلاق
 باطنا وظاهرا أمر مفهوم . وأما الأسباب التي أوجبت تلك النسابة فيليس في قوة البصر الاطلاع عليها
 وغاية هذين النجم أن يقول إذا كان طالع على تديس طالع غيره أو تاليه فهذا نظر للواقعة
 والوردة فتقتضى التناسب والتواء وإذا كان على مقابله أو تريعه اقتضى التباغض والسداوة فهذا
 لو صدق بكونه كذلك في مجارى سنة الله في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر
 من الإشكال في أصل التناسب فلا معنى للخوض فيها لم يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلا
 قليلا ويكتفى بالتصديق بذلك التجربة والشاهدة فقد وردا خبره قال صلى الله عليه وسلم «لو أن
 مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقا دخل إلى
 مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه (٢) » وهذا يدل على أن شبه الشيء
 منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به . وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة
 إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير
 الطيران إلا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فصعب من ذلك قال اتفقا وليسا من
 شكل واحد ثم طارا فاذاهما أعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكماء : كل إنسان يأمن
 إلى شكله كأن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشبا كلا في الحال فلا بد
 أن ينفرا ، وهذا معنى خفي فطن له الشعراء حتى قال قائلهم :

وقائل فكيف تفارقنا قلت قولا فيه إصاف
 لميك من شكلي ففارقته والناس أشكال وآلاف

قد ظن من هذا أن الانسان قد يحب لذاته لا لقائمة تنال منه في حال أو مآل بل مجرد المجانسة
 والنسابة في الطباع الباطنة والأخلاق الحية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن القعود
 قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مسئلة في عينا وإن قدر قد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى
 القواكح والألوان والأزهار والتفتح للشراب والجمرة وإلى اللاء الجاري والحضرة من غرض سوى
 عينا وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن
 بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصورة الجميلة قضاء الشهوة حيث لا يحل
 قضاؤها وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوجب بحمد ولا ذم إذا لم يحل إما محمود وإما
 مذموم وإما مباح لا يوجب ولا يذم . القسم الثاني : أن يحب لئال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة
 إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب وما يحب للغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحققة
 ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيها إلا ليطعم
 ولا يلبس ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات فمن الناس من يحب ما يحب الذهب والفضة من حيث

(١) حديث إن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت للمكة على المدينة
 فدخلت على عائشة فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة الحسن بن سفيان في مسنده بالقصة بسند حسن
 وحديث عائشة عند البخاري تعليقا مختصرا دونها كأن تقدم (٢) حديث لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس
 وفيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على ابن
 مسعود وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ولم يخرجه ولله في السند .

رسول الله صلى الله
 عليه وسلم «لأن يأخذ
 أحدهم حيلة فيحطب
 على ظهره فيأكل
 ويتصدق خير له من
 أن يأتي رجلا فيسأله
 أعطاه أو منعه فإن
 اليد العليا خير من اليد
 السفلى» . أخبرنا
 الشيخ السالم أبو زرعة
 طاهر بن أبي الفضل
 الحافظ القدسي قال
 أخبرني والدي قال أنا
 أبو محمد الصيرفي ينفذ
 قال أنا أبو القاسم
 عبد الله بن محمد قال ثنا
 عبد الله بن محمد بن
 عبد البر قال ثنا على
 ابن الجهم قال ثنا
 عن أبي حمزة قال سمعت
 هلال بن حصين قال :
 أنيت للمدينة فنزلت دار
 أبي سعيد فضمني وإياه
 المجلس فحدث أنه
 أصبح ذات يوم وليس
 عندهم طعام فأصبح
 وقد عصب على بطنه
 حجرا من الجوع
 فقالت لي امرأتى انت
 رسول الله صلى الله

إنه وسيلة إلى التصود إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطانا لا تتفاهه بماله أو جاهه ويجب خواصه لتحسين حاله عنده وتهديم أمره في قلبه فالتوصل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التلذذ لأستاده فهو أيضا خارج عن الحب لله فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فحجبه العلم فإذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله بل لنيال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فحجبه الجاه والقبول والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله إذ يتصور كل ذلك بمن لا يؤمن بالله تعالى أصلا ثم ينقسم هذا أيضا إلى مذموم ومباح فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال الدنيا وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموما وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من القصد للتوصل إليه فإنها تابعة له غير قاطعة بنفسها . القسم الثالث : أن يحبه لآلته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة العلم ويرقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السموات ، إذ قال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات ولا يتم التعظيم إلا بالتعلم فهو إذن آلة في تحصيل هذا التكامل فإن أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرمته الذي هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم في ملكوت السموات فهو محب في الله بل الذي يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة القريبة تقربا إلى الله فأحب طباعا لحسن صنعه في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله بل يزيد على هذا ويقول إذا أحب من يخدمه نفسه في غسل ثيابه وكسب بيته وطبخ طعامه ويغريه بذلك للعلم أو العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ لعبادة فهو محب في الله بل يزيد عليه ويقول إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل والتقرب إلى الله فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفائهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسي والوإاسي جميعا من التحابين في الله بل يزيد عليه ويقول من نسك امرأة سالحة ليتحصن بها عن وشواس الشيطان ويصون بها دينه أو يولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه القاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك وردت الأخبار بوقوع الأجر والثواب على الاتفاق على العيال حتى القصة بضمها الرجل في امرأته (١) بل يقول كل من اشتهر بحب الله وحبه رضا وحبه لقائه في الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محبا في الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئا إلا لما يسته له ما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل بل أزيد على هذا وأقول إذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد اللينان جميعا حتى صنع لأن يتوصل به إلى الله وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين في الله كمن يحب أستاذه الذي يسله الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فأحبه من حيث إن في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسيلة إليها فهو محب في الله وليس من شرط حب الله أن لا يحب في العاجل

(١) حديث الأجر في الإياقي على العيال حتى القصة بضمها الرجل في امرأته تقدم .

عليه وسلم قد أنام
فلان فأعطاه وأنام
فلان فأعطاه قال فأنيته
وقلت التمس شيئا
فنهبت أطلب فأنهيت
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يخطب
ويقول « من يستحب
يفقه الله ومن يستن
يفقه الله ومن سألنا
شيئا فوجدناه أعطينا
وواسينا ومن استغف
عنه واستغفر فوأسب
إليها من سألنا » قال
فرجعت ومأسأته
فرزقني الله تعالى حتى
ما أعلم أهل بيت من
الأَنْصَار أكثر أموالا
منه وأما من حيث
الترهيب والتحذير فقد
روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
قال « لا تزال السكة
بأحدكم حتى يلقى الله
وليس في وجهه مزة
لحم » وروى أبو هريرة
رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ليس
السكين الذي تردّه

حظا آتية إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم - ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - وقال عيسى عليه السلام ودعائه : اللهم لاتسمنني عدوى ولا تسون صدقي ولا تجعل مصيقي ليدني ولا تجعل الدنيا أكبر همي فدفع شتات الأعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلا من همي بل قال لا تجعلها أكبر همي وقال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة » وقال « اللهم غافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة » وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة منافضا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون منافضا لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداها أقرب من الأخرى فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وإنما يحبها غدا لأن التدبير حلالا راحة فالحالة الراحة لا بد أن تكون مطلوبة أيضا إلا أن الحظوظ العاجلة منقسمة إلى ما يصاد حظوظ الآخرة وينتج منها وهي التي احتز عنها الأنبياء والأولياء وأمروا بالاحتراز عنها وإلى ما لا يصاد وهي التي يتمتعون منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك فما يصاد حظوظ الآخرة فحق العاقل أن يكرهه ولا يحبها أثنى أن يكرهه بقله لا يطعمه كما يكره تناول من طعام قد بينه الملك من اللوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حرقت رقبته لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهي بطعمه ولا يستلذ لو أكله فإن ذلك محال ولكن على معنى أنه يزرعه عقله عن الإقدام عليه ويحصل فيه كراهة الضرر للتلذذ به والقصد من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويسله أو تليفه لأنه يتعلم منه ويغنيه وأحدهما حظ عاجل والآخر أجل لكان في زمرة التناحين في الله ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلا أو اعتذر عليه فحصله منه نقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقدته هو لله تعالى وله على ذلك التقدير ثواب الحب في الله وليس بمستكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به فإن استمتع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارهما لأن الذهب يوصل إلى أغراض هي أكثر مما يوصل إليه الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة القرض ولا يستجبل اجتباع الأغراض الدنوية والأخروية فهو داخل في جملة الحب لله، وحده هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله فذلك وإن دق فهو عزيز قال الجريري تعامل الناس في القرن الأول بالدين حتى رقق الدين وتداولوا في القرن الثاني بالوفا حتى ذهب الوفا. وفي الثالث بالرودة حتى ذهب الرودة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة. القسم الرابع : أن يحب لله وفي الله لا لئلا يمنه علما أو عملا أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأعظمها وهذا القسم أيضا يمكن فأن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من الم محبوب إلى كل من يتعلق بالمحبيب ويناسبه ولومن بعد فن أحب إنسانا حبا شديدا أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يحبه وأحب من يشي عليه محبوبه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه حتى قاله بنية بن الوليد إن للؤمن إذا أحب المؤمن أحب إليه وهو كما قال ويشهد له التجربة في أحوال المشاق ويدل عليه أشعار الشعراء ولذلك يحفظ توب المحبوب ويغفبه تذكرة من جهته ويحب منزله ومهنته وجيرانه حتى قال مجنون بن عامر

(١) حديث اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الليل وقد تقدم (٢) حديث اللهم غافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، أحمد من حديث بشر بن أبي أرفطه نحوه يستند جيد.

الأكلة والأكلتان
والجمرة والنمرتان
ولكن لكسين الذي
لإسأل الناس ولا
يظن بمكانه فيعطى
هذه هو حال الفقير
الصادق والتصوف
الحق لإسأل الناس
شيئا ومنهم من يلزم
الأدب حتى يؤديه إلى
حال يستحي من
الله تعالى أن يسأله
شيئا من أمر الدنيا
حتى إذا همت النفس
بالسؤال تركه الهية
ويرى الإقدام على
السؤال جراءة فيعطيه
الله تعالى عند ذلك
من غير سؤال كما فعل
عن إبراهيم الخليل
عليه السلام : أنه جاءه
جبريل وهو في الهواء
قبل أن يصل إلى النار
فقال هل لك من حاجة
فقال أما إليك فلا
فقال له فقل ربك
فقال حسبي من سؤال
عليه بحالي وقد ضعف
عن مثل هذا فيسأل
الله عبودية ولا يرى

أمر على الديار ديار ليل أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار

سؤال الخالقين فيسوق
الله تعالى إليه القسم
من غير سؤال مخلوق.
بلغنا عن بعض
الصالحين أنه كان
يقول: إذا وجد الفقير
نفسه مطالبة بشيء
لأخلاق تلك الطالبة
إما أن تكون لرزق
يريد الله أن يسوقه
إليه فكتبه النفس
له فقد تطلع قوس
بعض السقراء إلى
ما سوف يحدث وكأنها
تخبر بما يكون وإما
أن يكون ذلك عقوبة
لذنب وجد منه فإذا
وجد الفقير ذلك
وأحلت النفس بالمطالبة
فليقم وليسبح الوضوء
ويصل ركعتين ويقول:
يا رب إن كانت هذه
للطالبة عقوبة ذنب
فأستغفرك وأتوب
إليك وإن كانت
لرزق قدرته لي فبجل
وصوله إلى فإن الله
تعالى يسوقه إليه إن
كان رزقه ولا تخلف
للطالبة عن باطنه

فإذن للشاهدة التجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات الم محبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه
ويناسبه ولومن يد ولكن ذلك من خاصة فرط المحبة فأصل المحبة لا يكتفي فيه ويكون اتساع الحب في
تعديه من الم محبوب إلى ما يكتفنه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوتها وكذلك حب
الله سبحانه وتعالى إذا قوي وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستتار فيتمدى إلى
كل موجود وسوله فان كل موجود وسوله أثّر من آثار قدرته ومن أحب إنساناً أحب صفته وخطه وجميع
أضائه وقد كان ~~يحب~~ إذا حمل إليه با كورة من القوا كه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنه قريب
المهدي بنا (١) وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة
لما سلف من أياديه وصنوف نعمته وتارة لقائه لأمر آخر وهو أدق ضروب المحبة وأعلاها ومباني تحقيقها
في كتاب المحبة من ريع اللطائف إن شاء الله تعالى وكيفما اتفق حب الله فإذا قوي تعدى إلى كل متعلق به
ضرباً من التعلق حتى يتعدى إلى ما هو في نفسه مؤلم كرهه ولكن فرط الحب يصف الإحساس بالألم والفرح
بفضل الم محبوب ويصده إياه بالإسلام يضر إدراك الألم وذلك كالفرح بضر بمن الم محبوب وأقرعة فيها نوع معاتبة
فان قوة المحبة تثير فرحاً يضر إدراك الألم وقد انتهت محبة الله بحوم إلى أن قالوا لا تفرق بين البلاد والنعمه
فان السك من القول لا يخرج إلا بما يفرح به حتى قال بعضهم لا يريد أن أقال مغفرة الله بحسبه الله وقال حمون :

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاخترني

ومباني تحقيق ذلك في كتاب المحبة وللتصود أن حب الله إذا قوي أثر حب كل من يقوم بحق عبادة
الله في علم أو عمل وأثر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بأداب الشرع
ومامن مؤمن محب للآخره ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل
فاسق إلا وجدني تسميلاً إلى العالم العابد ثم يصف ذلك الليل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته وبحسب
ضعف حبه لله وقوته وهذا الليل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يسيه منهما خير ولا شر
في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الليل هو حب في الله وقه من غير حظ فانه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى
عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى لإلأنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهره
ثواب ولا أجر فإذا قوي حمل إلى اللواة والنصرة والذب بالنفس والمال والسان وتتفاوت الناس فيه
بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصوراً على حظ ينال من الم محبوب في الحال
أولاً لما تصور حب للو من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل ومن الأنبياء المقربين
صلوات الله عليهم وسلامه وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بفضله عند طعن
أعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند انتاء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حبه لله لأنهم خواص عباد الله
ومن أحب ملكاً أو شخصاً جيلاً أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه يتمتع الحب بالمقابلة
محفوظ النفس وقد يلبس بحيث لا يلقى للنفس حظ إلا فيها هو حظ الم محبوب وعنه عبر قول من قال :

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد

(١) حديث كان إذا حمل إليه با كورة من القوا كه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنها قريب
عهد برها الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ، وأبو داود في الرسائل والبيهقي في الدعوات
من حديث أبي هريرة دون قوله وأكرمها الخ وقال إنه غير محفوظ وحديث أبي هريرة في البا كورة
عند بقية أصحاب السنن دون مسح عينيه بها وما بعده وقال الترمذي حسن صحيح .

وأقول من قال • وما لجرح إذا أُرْسَأَ كَأَمٍّ • وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض المخطوط دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله أو في ثلثه أو في عشرة أقدار الأول موازين المحبة إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحسوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا عسك لنفسه شيئا مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فلم يبق له إلا ما بين يديه من الله عليه وبذل جميع ماله ، قال ابن عمر رضي الله عنهما « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عبادة قد خلها على صدره » خلال إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه عن الله السلام وقال له يا رسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عبادة قد خلها على صدره خلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فأقرأه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في قترك هذا أم سأخط ؟ قال فالنفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أراض أنت عني في قترك هذا أم سأخط قال فيسكن أبو بكر رضي الله عنه وقال أهي ربي أسخط أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض ^(١) . لحصل من هذا أن كل من أحب علما أو عبدا أو أحب شخصا راغبا في علم أو في عبادة أو في خير فاعلم أنه في الله وفيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وهذا يتضح البغض في الله أيضا ولكن تزيد يانا .

(بيان البغض في الله)

اعلم أن كل من يحب في الله لا بد أن يبغض في الله فانك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلا بد أن تبغضه لأنه عاص لله وعقوبت عند الله ومن أحب بسبب الضرورة يبغض لنفسه وهذا من تلازمان لا يفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين والبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالطة والواقعة فإذا ظهر في الفعل معنى الموالاة ومعاداة ولذلك قال الله تعالى : هل واليت في وليا وهل عاديت في عدوا كما قلناه ، وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا طاعته تخدعك أن تحبه أولم يظهر لك إلا فسقه وجوره وأخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه وإنما الشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة ومما يتناقض وكذلك تتناقض ثم تهما من اللواقعة والمخالطة والموالاة والمعاداة فأقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في المخطوط البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تحبه من وجه وتبغضه من وجه فمن له زوجة حسنة فاجرة أو ولد ذكي خديم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار أو ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي أن تكون حالك بالاضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تغطي كل صفة حظها من البغض والمحبة والإعراض والاقبال والصحة والقطيبة وسائر الأفعال الصادرة منه . فان قلت فكل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف يبغض مع الإسلام . فأقول تحبه لإسلامه وتبغضه لمصيته وتكون معه على حالة لو تسبها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب الإسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله

(١) حديث ابن عمر بيننا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عبادة قد خلها على صدره خلال فنزل جبريل فأقرأه من ربه السلام الحديث ابن جبان والمثلي في الضعفاء قال الذهبي في البرز أن هو كذب .

فصل في القبر أن ينزل حوائجه بالخلق كما أن برزخه في أو الصبر أو يذهب ذلك عن قلبه فله سبحانه وتعالى أبواب من طريق الحكمة وأبواب من طريق القدرة فان فتح بابا من طريق الحكمة ولا يفتح بابا من طريق القدرة وبأيته الصبر يخرق الحافة كما كان يأتي صريح عليه السلام - كما دخل عليها زكريا المهراب وجد عندها رزقا قال يا صريح أنى لك هذا قالت هو من عند الله - حكى عن بعض الفقهاء قال جسد ذات يوم وكان حالي أن لا أسأل فدخلت بعض المحال ينفذ مجازا متعرضا لعل الله تعالى يشع لي في يد بعض عباده شيئا فلم يقدر فست جاشا فأتى آت في مناهي فقال لي انهب للموضع كذا وعين الموضع ثم خرقة زرقة

والطاعة له كالجانية على حثك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حثك متوسطة بين الإحباط والاسترسال وبين الأقبال والأعراض وبين التودد إليه والترحم عنه ولاتباع في إكرامه مبالغة في إكرام من يوافقك في جميع أغراضك ولاتباع في إهانتة مبالغة في إهانة من خالفك في جميع أغراضك ثم ذلك التوسط نادرة يكون إليه إلى طرف الإهانة عند غلبة الجانية ونادرة إلى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فكذلك ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله تعالى وبصيه ويعرض لراضاه مرة ولسلطه أخرى . فان قلت فإذا يمكن إظهار البغض فأقول أما في القول فيك اللسان عن مملكته ومعادته مرة وبالاتضاعف والتخلف في القول أخرى وأما في الفعل فبقطع السعي في إهانة مرة وبالسعي في إساءته وإفساد مآربه أخرى وببعض هذا أشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق واللصبة الصادرة منه . أما ما جرى مجرى المغفرة التي يعمل أنه مستند عليها ولا يصير عليها فأولها في السر والإفحام . أما ما أمر عليه من منيرة أو كبيرة فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة ومحبة وأخوة فله حكم آخر وبنسب وفيه خلاف بين العلماء . وأما إذا لم تأكد أخوة ومحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إما في الأعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما في الاستخفاف وتخليط القول عليه وهذا أشد من الأعراض وهو بحسب غلظ الصية وخفتها وكذلك في الفعل أيضا ربتان إحداها قطع للونه والرفق والصبر عنه وهو أقل الدرجات والأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه كفضل الأعداء للبغضين وهذا لا بد منه ولكن فبا يفسد عليه طريق الصية أما ما لا يؤثر فيه فلا ، مثاله رجل عصى الله هرب الخمر وقد خطب امرأة ولو تيسر له نكاحها لكان مضبوطا بها بالمال والجلال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منته من شرب الخمر ولا في بئث وتعرض عليه فإذا قدرت على إهانة لئمه غرضه ومقصوده وقدرت على تشويه ليقوته غرضه فليس لك السعي في تشويهه أما الإغانة فلو تركتها إظهارا للفتنة عليه في نفسه فلا بأس وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تلطف بعاقبته وإظهار الشفقة عليه ليمتد مودتك وقبول نصحك فهدأ حسن وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعبه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بمنوع بل هو الأحسن إن كانت مصيبته الجانية على حثك أو حق من يتعلق بك وفيه زل قوله تعالى : ولا تأتوا أولوا الفضل منكم والسعة إلى قوله تعالى : ألا تحبون أن يغفركم لكم - إذ تكلمهم مسطح بن أثامة في واقعة الإفك^(١) خلفا بوبكر أن يقطع عنه رقه وقد كان بوسايع بالمال فزلت الآية لمع عظم مصيبة مسطح وآية مصيبة تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطالة اللسان في مثل عاقبة رضى الله عنها إلا أن الصديق رضى الله عنه كان كالخفي عليه في نفسه بتلك الواقعة والمفهوم عن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين ولما يحسن الإحسان إلى من ظلمك فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الإحسان إليه لأن في الإحسان إلى الظالم إساءة إلى الظالم وحق الظلم أول بالمرأعة وتقوية قلبه بالأعراض عن الظالم أوجب إلى الله من خضوع قلب الظالم فأما إذا كنت أنت الظالم فالحسن في حثك العفو والصبر . وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي وكلهم اتفقوا على إظهار البغض لظلمة والتباعدة وكل من عصى الله بمصيبة متعديته منه إلى غيره فأما من عصى الله في نفسه فبهم من نظر بين الرحمة إلى الصاة كلهم . ومنهم من شدد الإنكار واختار الهجره فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكابري في أدنى كلفه هجر يحيى بن ميمون قوله إنى لأسألك أحدا شيئا ولو حمل السلطان إلى شيئا لأخذته ، وهاجر الحارث

(١) حديث كلام مسطح في الافك وهجر أبي بكر له حتى نزلت ولا يأذن أولوا الفضل منكم الآية متفق عليه من حديث عائشة .

فيها قطعات أخرجه
في مصالحه فن تجرد
عن الخلقين وتجرد
بالله قد تجرد بنى
قادر لا يجزئه شيء
يضع عليه من أبواب
الحكمة والقدرة
كيف شاء وأولى من
سأل نفسه بألها الصبر
الجميل فان السائق
تجبه نفسه . وعكى
شيخنا رحمه الله تعالى
أن وفده جاء إليه
ذات يوم وقاله أريد
جبة قال قلت له
ماضيل بالجبة فذكر
شهوة يشترها الجبة
ثم قال من ذلك انصب
واستقرض الجبة قال
قلت ثم استقرضها
من نفسك فى أولى
من أقرض . وقد نظم
بضمهم هذا البيت
قال :
إن شئت أن تستقرض
المال متقفا
على شهوات النفس فى
زمن الصبر
فل تسلك الاطلاق
من كثر صبرها

المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال إنك لا بد تورد أولا شبههم وتحمل الناس على التفكير فيها ثم ترد عليهم ، وهجر أبو ثور في تأويله قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم في صورته ^(١) » وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان القالب على القلب النظر إلى اضطراب الخلق وعجزهم وأنهم مسخرون لما قدروا له أورش هذا تساهلا في المعادة والبض وله وجه ولكن قد تلنس به للداهنة فأكثر البواعث على الاغضاء عن الناصح للداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد لبس الشيطان ذلك على النبي الأحق بأنه ينظر بين الرحمة وعك ذلك أن ينظر إليه بين الرحمة إن جرى على خاص حقه ويقول إنه قد سخره والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يغفل وقد كتب عليه فتل هذا قد تصح له نية في الإغماض عن الجناية على حق الله وان كان يتعاط عند الجناية على حقه ويرسم عند الجناية على حق الله فهذا مدهان مغرور بمكيده من مكاييد الشيطان فليتبته . فان قلت فأقل الدرجات في إظهار البض المجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يصي العبد يتركه . فأقول لا بدخل ذلك في ظاهر الملم تحت التكليف والواجب فانا نعلم أن الدين شربوا الحمر وتماطوا الفواحش في زمان رسول الله ﷺ والصعبة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم : إلى من يلفظ القول عليه ويظهر البض له ، وإلى من يرض عنه ولا يرضيه ، وإلى من ينظر إليه بين الرحمة ولا يؤثر القاطمة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فتكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي إلى التحريم والواجب فان الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يتبدى من المحبوب إلى غيره وإنما التبدى لإفراط الحب واستيلاؤه وذلك لا بدخل في الفتوى وتحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلا .

(بيان مراتب الدين يفضون في الله وكيفية معاملتهم)

فان قلت إظهار البض والمدواة بالفعل إن لم يكن واجبا فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والناس على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا . فاعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن يكون مخالفا في عقده أو في عمله والمخالف في العقدا مبتدع أو كافر والبتدع إماداع إلى بدعته أو ساكت والساكت إما بجزءه أو بأخياره فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الأول : الكفر فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والارفاق وليس يهدى إليه إهانة وأما الذي فانه لا يجوز إيذاؤه إلا بالاعراض عنه والتحقيره بالاضطرار إلى أميق الطرق وترك اللقاعة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك والأولى الكسفة عن مخالطته ومعاملته ومساكته وأما الانسباط معه والاحتراس إلى كسبه واسترسال إلى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينهي ما يقوى منها إلى حد التحريم قال الله تعالى - لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشرةكم فأولئك هم المفلحون ^(٢) وقال عز وجل - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء - الآية . الثاني للبتدع الذي يدعو إلى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذي لأنه لا يقر بجزية ويسامح بقدر ذمة وإن كان ممن لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لمخالطة ولكن الأمر في الانسكاب عليه أشد منه

عليك وإرفاقا إلى زمن البسر فان قلت كنت الفتى وإن أت

فكل متوع بعدها واسع المنر

فاذا استنفذ الفقير الجهد من نفسه

وأشرف على الضعب وتعققت الضرورة

وسأل مولاه ولم يقدر له شيء ووقته يضيئ

عن الكسب من شمله بحاله فندد ذلك قريع

باب السب ويسأل فقد كان الصالحون

يفعلون ذلك عند فاتهم . نقل عن أبي

سعيد الحراز أنه كان يعد يده عند الفاقة

ويقول : ثم شيء لله . ونقل عن أبي جعفر

الحسد وكان أستاذًا للجند أنه كان يخرج

بين المشايخ ويسأل من باب أو باين

ويكون ذلك معلومه على قدر الحاجة بعد

يوم أو يومين . ونقل عن إبراهيم بن آدم

(١) حديث إن الله خلق آدم على صورته مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث المؤمنين المؤمنين من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله ولم ؟ قال لا ترا أي نارها ورواه النسائي مرسلًا وقال البخاري الصحيح أنه مرسل .

على الكافر لأن شر الكافر غير متد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعى نفسه الاسلام واعتقاد الحق . أما البدع الذي يدعو إلى البدعة وزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لتوايه الخلق ضرر متعمد فلا استجاب في إظهار نفسه ومبادئه والاقطاع عنون عقيدته والتشجيع عليه بدعته وتغيير الناس عنه أشد وإن سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وإن علت أن الاعراض عنه والسكوت عن جوابه ينفع في نفسه بدعته ويؤثر في زجره ترك الجواب أولى لأن جواب السلام وإن كان واجبا فيسقط بأدنى غرض فيمصلحة حتى يسقط بكون الانسان في الجملة وفي قضاء حاجته وغرض الرجاء من هذه الأغراض وإن كان في ملا ترك الجواب أولى تنفيرا للناس عنه وتضييحا لبدعته في أعينهم وكذلك الأولى كلف الاحسان إليه والاحانة له لاسيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام « من اتهم صاحب بدعة ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن ألهن له وأكرمه أولئك بشر قد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ » . الثالث : للبدع العاصي الذي لا يقدّر على الدعوة ولا يخاف الانتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يخاف بالتخليط والاهانة بل يتلف به في الصبح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تضييق لبدعته في عينه فأكد الاستجاب في الاعراض وإن علم أن ذلك لا يؤثر في جلود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تضييحا ساعات بين الخلق وعم فساده . وأما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والنصب وشهادة الزور والنية والتضريب بين الناس والشتم والتجيمة وأمثالها أو كان مما لا يقتصر عليه ويؤذى غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء وبهي . أسباب التهرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره إلى ضله كالذي يشرب ويرزق وهذا الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصابه بكبيرة أو بصغيرة وكل واحد فلما أن يكون مصراً عليه أو غير مصر فهذه التضييحات تحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبضها أحد من بعض ولان ذلك بالكل مسلماً واحداً . القسم الأول : وهو أشدها ما يضر به الناس كالظلم والنصب وشهادة الزور والنية والتجيمة فهؤلاء الأولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والابتعاد عن معاملتهم لأن للصية شديدة فما يرجع إلى إيذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في السماء وإلى من يظلم في الأموال وإلى من يظلم في الأعراض وبضها أحد من بعض فلا استجاب في إهانتهم والاعراض عنهم مؤكداً جداً ومهما كان يتوقع من الاهانة زجر لهم أولفهم كان الأمر فيه تركه وأشد . الثاني : صاحب الماخور الذي بهي . أسباب الفساد ويسهل طرقه على الخلق فهذا لا يؤذى الخلق في دينهم ولكن يخلل فعله دينهم وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخضعه فان للصية بين العبد وبين الله تعالى إلى العفو أقرب ولكن من حيث إنه تمتد على الجملة إلى غيره فهو شديد وهذا أيضاً يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعاً من الزجر له أولفهم . الثالث : الذي يغشى في نفسه شرب خمر أو ترك واجب أو مقارعة محظور بحسه فالأمر فيه أخف ولكنه في وقت مباشرته ان صوف يجب منه بما يتمتع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فان التهي عن السكر واجب وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه بمنه عن المود إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر بالتلفيد أو بالتخليط إن كان

(١) حديث من اتهم صاحب بدعة ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً ، الحديث أبو نعيم في الحلية والمروى في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

أنه كان مستكناً بجماع البصرة مدة وكان يغفر في كل ثلاث ليال ليلة وإليه إفطاره يطلب من الأيووب وقتل عن سفیان الثوري أنه كان يسافر من الحجاز إلى مناه اليمن ويسأل في الطريق وقال كنت أذكر لهم حديثاً في الضيافة فيقدم إلى الطعام فأتاول حاجتي وأرك مايق . وقد ورد من جاع ولم يسأل فات دخل النار ومن عنده علم وله مع الله حال لا يبال بمثل هذا بل يسأل بالعلم وبالحكمة عن السؤال بالعلم . وحكي بعض مشايخنا عن شخص كان مصراً على العاصي ثم اتبه وتاب وحسنت نوبته وصار له صالح مع الله تعالى قال : عزمت أن أصح مع القافلة ونويت أن لأسأل أحداً شيئاً واكتفى بسم الله بحالي قال فبقيت إيمانياً في

هو الأنفع فأما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطه حيث يعلم أنه يصر وأن النصع ليس ينفع فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فبعد هذا يقال الأعمال بالنيات إذ في الرفق والنظر بين الرحمة إلى الحق نوع من التواضع وفي العنف والإعراض نوع من الزجر والستيق فيه القلب لما يراه أميل إلى هواه ومعتنى بطبعه فالأولى منه إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ بظهور العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقته عن مدهانة واستألة قلب الوصول به إلى غرض أو لحوف من تأثير وحشته ونفرتة في جفاء أو مال بظن قريب أو بعيد وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان وبيد عن أعمال أهل الآخرة فكل راغب في أعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال والقلب هو التي فيه وقد يصيب الحق في اجتباؤه وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الضرور ظان أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الضرور من ربيع الملهكات ، ويدل على تخفيف الأمر في الصق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روى أن شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يمود فقال واحد من الصحابة لئن الله ما أكثر ما يثرب قتال صلى الله عليه وسلم لا تسكن عونا للشيطان على أخيك (١) أو لفظا هذا معناه وكأن هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتخليط .

(بيان الصفات الشروطة فيمن تختار محبته)

اعلم أنه لا يصلح للصحة كل إنسان قال صلى الله عليه وسلم « الرءى إلى دين خليله فلينظر أحدكم من غائل (٢) » ولابد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في محبته وتشترب تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة فمن الصحة إذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول إلى المقصود فلا إضافة إلى المقصود تظهر الشرط ويطلب من الصحة فوائد دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالاستغناء بالمال أو الجاه أو مجرد الاستغناء بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا ، وأما الدينية فيجتمع فيها أيضا أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه منحنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها الاستفادة للال لا كنفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت ومنها الاستفادة في الهبات فيكون عدة في الصائب وقوة في الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدماء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد كان بعض السلف استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعته فقلك تدخل في شفاعته أخيك وروى في غريب التفسير في قوله تعالى - ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله - قال يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه وذلك تحت جماعة من السلف على الصحة والألفة والمخالطة وكروا العزلة والانعزال فبهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل إلا بها ونحن نفصلها أما على الجملة فينبغي أن يكون فيمن يؤثر محبته خمس خصال أن يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا ، أما الأسفل فهو رأس اللال وهو الأسفل فلا خير في محبة الأحق فالى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طال قال صلى الله عليه وسلم : فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه فكمن من جاهل أوردى حليابين آخاه يقاس السرر بالمرء إذا ما المرء ماشاه وللشئ من الشئ مقاييس وأشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

الطريق فتفتح الله على بالما والزاد في وقت الحاجة ثم وقف الأمر ولم يفتح الله على بشئ فجئت وعطشت حتى لم يبق لي طاقة فضضت عن الشئ وبقيت أنا آخر من القافلة فلا قليلا حتى مررت القافلة فقلت في نفسي هذا الآن من إلقاء النفس إلى التهلكة وقد منع الله من ذلك وهذه مسألة الاضطراب أسأل فلما همت بالسؤال انبثت من باطن إنكار لهذه الحال وقالت عزيمة عقدها مع الله ألا أتخضا وهان على اللوث دون تقص عزيبي قصدت شجرة وقصدت في ظلمها وطرحت رأسي استطرأحا للسوت وذهبت القافلة فينا أنا كذلك إذ جاءني شاب منتفك بسيف وحركى قممت وفي يده إداوة فيها ماء فقال لي اشرب فشربت ثم قدم لي طعاما وقال

(١) حديث إن شارب خمر ضرب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لا تسكن عونا للشيطان على أخيك البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث الرءى إلى دين خليله الحديث أو داود والترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح إن شاء الله .

كيف والأحق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر :

إني لآمن من عدو عاقل وأخاف خلا يعتره جنون

فالدقل فن واحد وطريقه أدري فأرصد والجنون فنون

ولذلك قبل مقاطعة الأحق قربان إلى الله . وقال الثوري : النظرائي وجه الأحق خطيئة مكتوبة ونفى بالعاقل الذي يفهم الأمور هي معنى عليه إيمان نفسه وإما إذا فهم . وأما حسن الحاق فلا بد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه ولكن إذا غلبه غضب وأشهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لجزء عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير في محبته ، وأما الفاسق الصر على الفسق فلا فائدة في محبته لأن من يخاف الله لا يصير على كبيرة . ومن لا يخاف الله لا يؤمن بالله غائلته ولا يوفق بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه - وقال تعالى - فلا يصدر بك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه - وقال تعالى - فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وقال - واتبع سبيلا من أناب إلى - وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق . وأما للتبع في محبته خطر سراية البدعة وتعدى شؤونها إليه فالتبع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر محبته وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب الدين في الصدق فيما رواه سعيد بن السبي قال : عليك يا خوان الصدق تمس في أكنافهم فاتهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر أخيك على أسننه حتى يبيحك ما يبيحك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولأمين إلا من خشي الله فلا تصحب الفاجر فتعلم من لجوره ولا تطامع على شرك واستتر في أمرك الدين بخشون الله تعالى . وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة الطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال : يا بني إذا عرضت لك إلى محبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن محبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك ، اصحب من إذا مددت يدك بخير مددها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سددها ، اصحب من إذا سأله أعطاك وإن سكت أبتدأك وإن نزل بك نازلة واساك اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولنا أمرا أمرك وإن تنازعنا آثرك فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحة وشرط أن يكون قائما بجميعها . قال ابن أكرم قال المأمون فأين هذا فقبله أتدري لم أوصاه بذلك قال لا قال لأنه أراد أن لا يصحب أحدا . وقال بعض الأدباء لا تصحب من الناس إلا من يكتم سررك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسناتك ويطوى سيئاتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك ، وقال علي رضي الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضرك نفسه لينفك

ومن إذا رب زمان صدك شئت فيه فمه ليجمعك

وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تعلم منه شيئا من أمر دينك فنبهك أو رجل تعلمه شيئا في أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه ، وقال بعضهم : الناس أربعة فواحد حلو كله فلا يشع منه وآخر مكره فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : لا تصحب خمسة السكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويعد منك القريب ، والأحق فانك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك ، والبخل فانه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، والجبان فانه يسلمك ويضر عند الشدة ، والفاسق فانه يبيحك بأكله أو أقل منها قليل وما أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال الجنيد لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبني قارى

كل فأكلت ثم قال لي
أريد القافلة فقلت من
لي بالقافلة وقد عبرت
فقال لي قم وأخذ
يسدى ومشى معي
خطوات ثم قال لي
اجلس بالقافلة إليك
تجيء فجلست ساعة
فاذا أنا بالقافلة ورائي
متوجهة إلى هذا شأن
من يامل مولا
بالصدق وذكر
الشيخ أبو طالب السكي
رحمه الله أن بعض
الصوفية أول قول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « أحل ما أكل
لؤمن من كسب يده »
بأنه للسألة عند القافة
وأشكر الشيخ
أبو طالب هذا التأويل
من هذا الصوفي وذكر
أن جفرا الخلدی كان
يحكي هذا التأويل عن
شيخ من شيوخ
الصوفية ووقع لي والله
أعلم أن الشيخ الصوفي
لم يرد بكسب اليد
ما أنصكر الشيخ
أبو طالب منه وإنما

سبي الخلق ، وقال ابن أبي الحواري قال لي أستاذي أبو سليمان يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين رجلا
تزفقه به في أمر دينك أو رجلا يزيد معه وتتفجع به في أمر آخرتك والاشتغال بغير هذين حق كبير .
وقال سهل بن عبد الله : اجتنب صحبة ثلاثة من أصفاف الناس الجبارة الغافلين والقراء الداهنين
والتسوفة الجاهلين . واعلم أن هذه السكيات أكثرها غير محيط بجميع أعراض الصحة والمهبط
مأذكراته من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس يباشر بالصحة في مقاصد الدنيا
مشروطا بالصحة في الآخرة والأخوة كما قاله جسر . الإخوان ثلاثة : أخ لأخوتك وأخ لدينك وأخ
لأنفسه . وقصا تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تفرق على جمع فتفرق الشروط فيهم لاحتاجة ، وقد
قال للأخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه
في وقت ودون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن البعد قديمتي به وهو الذي لأنس
فيه ولا تقع ، وقد قيل مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات فيها مثل ظل وليس له ثمر وهو مثل
الذي ينفع به في الدنيا دون الآخرة فإن وقع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ما له ثمر وهو مثل
ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ثمر وظل جميعا ومنها ما ليس له واحد منهما
كأعنان تمرق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات الفأرة والغرب كما قال تعالى - يدعو
لن ضره أقرب من نعمة لبئس للولي وليئس المشير - وقال الشاعر :

الناس شقي إذا ما أنت ذقتهم لا يستونون كالاستوى الشجر

هكذا له ثمر حلو مذاقه وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فإذا لم يجد رفيقا بؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به . قال أبو بكر رضي الله عنه
الوحدة خير من المجلس السوء والمجلس الصالح خير من الوحدة ويروى مرفوعا . وأما البداية وعدم
الفسق فقد قال الله تعالى - واتبع ميل من أناب إلى - ولأن مشاهدة الفسق والفساق تهون أمر
الصيبة على القلب وتبطل نفرة القلب عنها . قال سعيدين السيب : لا تنظروا إلى الظلة فتجسط أعمالكم
الصالحة بل هؤلاء لاسلامة في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم . قال الله تعالى - وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما - أي سلامة والألف بدل من الله ومعناه إنا سلمنا من إنسكم وأنتم سلمتم من
شرنا ، فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الأخوة وشروطها وفوائدها ، فلترجع في ذكر حقوقها
ولوازمها وطرق القيام بمقتضاها ، وأما الحرص على الدنيا فصنعت سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التنبه
والانتباه بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه ، فجالسة الحرص على الدنيا تحرك
الحرص وجالسة الزاهد ترهب في الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين
في الآخرة . قال علي عليه السلام : أحبوا الطاعات بمجالسة من يستحي منه . وقال أحمد بن حنبل
رحمه الله ما أوقفى في بلية إلامية من لأحشمته . وقال لقمان : يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركيك
فان القلوب لتحيا بالحسنة كما تحيا الأرض لليرة بوابل القطر .

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصحة)

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كمقدار النكاح بين الزوجين وكما تنقضي النكاح حقوقا يجب
الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذلك عقد الأخوة . فلا تخك
عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب والعمو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك
التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق :

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصحة)

أراد بكسب اليدرهما
إلى الله تعالى عند
الحاجة فهو من أهل
ما يأكله إذا أوجب الله
سؤاله وساق إليه رزقه
وقال الله تعالى حكاية
عن موسى عليه السلام
- رب إني لما أنزلت
إلي من خير فقير -
قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال
ذلك وإن خضرة البقل
تترادى في بطنه من
المزال . وقال محمد الباقر
رحمه الله قالوا وإنه
يحتاج إلى شق تمر
وروى عن مطرف
أنه قال : أما والله لو كان
عند نبي الله شيء
ما أتبع المرأة ولكن
حمله على ذلك الجهد
وذكر الشيخ أبو
عبد الرحمن السلي
عن الصرابادي أنه
قال في قوله - إني لما
أنزلت إلى من خير فقير -
لم يسأل الكريم الخلق
وإنما كان سؤاله من
الحق ولم يسأل غداء
النفس إنما أراد

(الحق الأول في المال)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل الأخوين مثل الدين تفضل إحداهما الأخرى» (١) وإنما شبههما بالدين لالبايد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان إنما تتم أحوتهما إذا تراضيا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى للساهة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار . والواساة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب أذاها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سئحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة . الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بشاركتك إياك في مالك ونزوله منزلك حتى تسمح بمشاطرتك في المال . قال الحسن : كان أحمدم يشق إزاره بينه وبين أخيه . الثالثة : وهي العليا أن تؤثر على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومتنى درجات التحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإتيان بالنفس أيضا كما روى أنه سمي بمجاعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري فيادر إلى السيف ليكون هو أول مقتول قيل له في ذلك قال أحببت أن أوتر إخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاتهم جميعهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينقد بعد في الباطن وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين ، فقد قال ميمون بن مهران : من رضى من الإخوان بترك الفضل فليؤاخ أخ أهل القبور . وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين ، روى أن عتبة الفلام جاء إلى منزل رجل كان قد أخاه فقال احتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألمعين فأعرض عنه وقال أثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعى الأخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة ينهى أن لاتعامله في الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دينك وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة . وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى للمؤمنين في قوله - وأمرهم شورى بينهم وبما رزقناهم ينفقون - أي كانوا خطاء في الأموال لا يعز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعل لأنه أضافه إلى نفسه وجاء فتح الوصول إلى منزل لأخ له وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاهما فقال إن صدقت فأنت حرة لوجه أفسسورا بما فعل ، وجاء رجل إلى أبي هريرة رضى الله عنه وقال إني أريد أن أؤاخيك في الله فقال أئدرى ما حق الإخاء قال عرفني قال أن لا تكون أحق بدنياك ودرهمك مني قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذبحني وقال طعن الحسين رضى الله عنهما رجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو يكسه فأخذ منه ما يريد بغير إذنه قال لا قال فسلمت باخوان ودخل قوم على الحسن رضى الله عنه فقالوا يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فإن أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق يلقي أن أحمدهم بمنع أخاه درهم قاله كالتمجب منه وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال إني أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم على أن أكون أملك لشيتك منك قال لا قال أعجني صدقك . قال فكان إبراهيم بن آدم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخاله وكان لا يصحب إلا من يوافق ، ومحب رجل شارك فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض النازل قصة من تريد فتفسح جراب رقيقه وأخذ حزمة من شراك وجعلها في القصة وردها إلى صاحب الهدية فلما جاء رقيقه قال إن الشراك قال ذلك التريد الذي أكلته إيش كان قال كنت تعطيه شرا كين أو ثلاثة قال اصبر يسمع لك

(١) حديث مثل الأخوين مثل الدين الحديث تقدم في الباب قبله .

سكون القلب . وقال
أبو سعيد الحارز
الحق مترددون بين
الملم وبين مالهم من
نظر إلى ماله تنكلم
بلسان الفقر ومن شاهد
ماله تنكلم بلسان
الحيلاء والفخر الأتري
حال الكلام عليه
السلام لما شاهد
خواص ما خاطبه به
الحق كيف قال : أرني
أنظر إليك . ولما نظر
إلى نفسه كيف أظهر
الفقر وقال : إني لما
أزلت إلى من خير
قير . وقال ابن عطاء
نظر من البودية إلى
الربوية فغش وخضع
وتكلم بلسان الافتقار
بما ورد على سره
من الأنوار افتقار
العبد إلى مولاه في
جميع أحواله لافتقار
سؤال وطلب . وقال
الحسين : قسیر لما
خصصني من علم اليقين
أن ترقى إلى عين
اليقين وحقه ووقع وأه
أعلم في قوله لما أزلت

وأعطى مرة حمارا كان رفيقه يغير إذنه رجلا رأى رجلا جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال أخى فلان أحوج مني إليه فيست به إليه فيسته ذلك الانسان إلى آخره من قول يسميه به واحد إلى آخره حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة . وروى أن سروقاً اذنان ديناً تميلان وكان على أخيه خيصة دين قال ذهب مسروق قضي دين خيصة وهو لا يعلم وذهب خيصة قضي دين مسروق وهو لا يعلم ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما (١) فأثره بما آثره به وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مداواة والبدابة إيثار والإيثار أفضل من المساواة وقال أبو سليمان الداراني لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في قم أخ من إخواني لاستقلتها له وقال أيضاً إني لأتم القنمة أخاً من إخواني فأجد طعمها لي حلق . ولما كان الإتفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه لعشرون درهما أعطيتها أخى في الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين وقال أيضاً لأن أضع صاعاً من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلى من أن أعطي ربة . واقتداء الكل في الإيثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له يارسول الله كنت والله أحق بالمستقيم مني فقال « ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من النهار إلا سئل عن محبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه (٢) » فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصعبة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر ينقل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ثم جلس حذيفة لينقل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال بأني أنت وأمي يارسول الله لا تغسل فأبى عليه السلام إلا أن يستر بالثوب حتى اغتسل (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أقربهما بصاحبه (٤) » وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غالياً فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف بذلك حتى يحضر صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقاً فدخل الحسن وقال يا موبك هكذا كنا لا نعتمد بضنا بعضاً حتى ظهرت أنت وأصحابك وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى - أو صدقكم - وقالوا ما ملكم مناهم - إذ كان الأخ يدفع مفااتيح بيته إلى أخيه ويغوض التصرف كما يريد وكان أخوه يتخرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والاصدقاء .

(الحق الثاني في الإغاثة بالنفس في قضاء الحاجات

والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة)

(١) حدث لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما رواه البخاري من حديث أنس (٢) حدث أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع للمستقيم إلى صاحبه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث ستر حذيفة لبي صلى الله عليه وسلم ثوب حتى اغتسل ثم ستره صلى الله عليه وسلم لحذيفة حتى اغتسل لم أجده أيضاً (٤) حديث ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أقربهما بصاحبه .

إلى من خير فقير . أن
الانزال مشعر يمد
رغبته عن حقيقة القرب
فيكون الانزال عين
الفقر فما وقع بالترز
وأراد قرب للترز ومن
صح فقره فققره في
أمر آخرته كفقره في
أمر دنياه ورجوعه
إليه في الدارين وإياه
يسأل حوائج التزليل
وتساوى عند
الحاجتان فله مع غير
الله شغل في الدارين .
[الباب الثمرون في
ذكر من يأكل من
الفتوح]

إذا كل شغل الصوفي بالله
وكل زهد لكامل فتواء
بحكم الوقت عليه يترك
السبب وينكشف
له صريح التوحيد
وحمة الكفالة من الله
السكرام فيزول عن
باطنه الاهتمام بالأقسام
ويكون مقدمة هذا
أن يفتح الله له باب من
التعريف بطريق
المقابلة على كل فصل
يصدر منه حتى لو جزي

وهذه أيضا مدارجات كاللوا ساقبال فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشارة والاحتشار وإظهار الفرح وقبول اللذة وقال بعضهم إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فقد كره ثانية فاعلم أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فكبر عليه وأقرأ هذه الآية - والذين يبيعنهم الله - وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كيرة فجاء بهدية فقال ماهذا قال لما أسديته إلى فقال خذ مالك عاكفك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يعهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعنه في اللوق قال جعفر بن محمد إنى لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائى مخافة أن أؤدبهم فيستغفروا عنى هنا في الأعداء فكيف في الأصدقاء وكان في السالف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويرتد ذلك يوم إليهم ويؤنهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه مالم يروا من أبيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لك زيت هل لك ملح هل لك حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه وهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تسمع الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنفم بصدقته لم تنفك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم «ألا وإن لله أوفى في أرضه منى القلوب فأحب الأوفى إلى الله تعالى أصفاه وأصلها وأرقها أصفاه من الذنوب وأصلها في الدين وأرقها على الإخوان» (١) وبالجملة فينبى أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أم من حاجتك وأن تكون متفقدًا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك وقتية عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتفقد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره ولا ينبى أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تتجهد في البداية بالأكرام والزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد كان الحسن يقول إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع أخاه في الله بث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيرون إلى الجنة وفي الأثر مازار رجل أخا في الله شوقا إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلقه طبت وطابت لك الجنة (٢) وقال عطاء تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودهم أو مشاغل فاعينهم أو كانوا ندوا فذكروهم وروى «أن ابن عمر كان يلتفت بيننا ومحملا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال : إذا أحببت أحدا فله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته» (٣) وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته . وقال الشعبي في الرجل يحالس الرجل فيقول لأعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوك . وقيل لابن عباس من أحب الناس إليك قال جليسى وقال ما اختلف رجل إلى جليسى ثلاثا من غير حاجة له إلى فطمت ما مكافأته من الدنيا وقال سعيد ابن العاص لجليسى على ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وقد قال تعالى - رحماء بينهم - إشارة إلى الشفقة والأكرام ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ

(١) حديث إن لله أوفى في أرضه منى القلوب فأحب الأوفى إلى الله أصفاه وأصلها والطرائق من حديث أبي عتبة الحلوانى إلا أنه قال ألينها وأرقها . وإسناده جيد (٢) حديث مازار رجل أخا في الله الحديث تقدم في الباب قبله (٣) حديث ابن عمر إذا أحببت أحدا فأسأله عن اسمه واسم أبيه ومنزله وعشيرته الحديث الخراطى في مكارم الأخلاق والبيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه الترمذى من حديث يزيد بن نعمة وقال غريب ولا يعرف ليزيد بن نعمة سماع من النبي صلى الله عليه وسلم .

عليه يسير من ذنب
بحسب حاله أو الذنب
مطلعا مما هو منبى عنه
في الشرع يجد غيب
ذلك في وقته أو يومه
كان يقول بعضهم : إنى
لأعرف ذنبى في سوء
خلق غلامى وقيل إن
بعض الصوفية قرض
القأرخفة فلما رآه تألم
وقال :

لو كنت من مازن لم
تسبح لىلى
بنو البليطة من ذهل
ابن شيثانا
إشارة منه إلى أن
الداخل عليه مقابلة له
على شئ استوجب به
ذلك فلا تزال به
القابلات متضمنة
للتعريجات الإلهية
حق يتحصن بصدق
الحاسبة وصفاء المراقبة
عن قسيع حقوق
الصودية ومخالفة حكم
الوقت وتجرده له حكم
فصل الله وتسمى عنده
أفعال غير الله فبرى
الطلى والنائع هو الله
سبحانه فوقا وحالا

أو محذور في مسرة دونه بل يتنص لرفاقه ويستوحش بانفراده عن أخيه .

(الحق الثالث)

(في اللسان بالكوت مرة وبالناطق أخرى) : أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبة وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يشكك به ولا يجاريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رآه في طريق أو حاجة لم يخاطبه بذكر غرضه من مصدره ومودره ولا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسراره التي بها إليه ولا يبينها إلى غيره ألبتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وأن يسكت عن القدر في أحبابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قديم غيره . فيه فإن الذي سبك من بلك وقال أنس « كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بشيء » يكرهه (١) . والتأذي يحصل أولا من اللبغ ثم من القائل ثم لا يبين أن يخفى ما يسمع من التناء عليه فإن السرور به أولا يحصل من اللبغ للصح ثم من القائل وإخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكره جملة وتفضيلا إذا وجب عليه النطق في أمر معروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذك لا يلايى بكرهاته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر . أما ذكر مساويه وعيوبه ومساوى أهله فهو من النية وذلك حرام في حق كل مسلم وبزجره عنه أمران : أحدهما أن تطالع أحوال شريكك فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهو على شريكك ملزم من أتيناك وقدر أنه عاجز عن قهره في تلك الحصة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلي به ولا تستغله بحصة واحدة مذمومة فأى الرجال الهذّب وكل مالا تصادفه من شريك في حق الله فلا تنتظر من أخيك في حق شريك فليس حقه عليه بأكثر من حق الله عليك . والأمر الثاني أنك تعلم أنك لو طلبت مئزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو فإذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والنتهى فالمؤمن الكريم أبدا يحضر في ضمه محاسن أخيه لينبش من قلبه التوقير والود والاحترام . وأما للنافق القثم فإنه أبدا يلاحظ للساوي واليوب قال ابن الباركة المؤمن يطلب المآذير وللنافق يطلب المرات وقال الفضيل القوة الضعف عن زلات الإخوان وقدك قال عليه السلام « استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره » (٢) . وما من شخص إلا ويمكن تحيين حاله بحال فيه ويمكن تقييده أيضا روى « أن رجلا أتني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من القد ذه قال عليه السلام : أنت بالأمس نثني عليه واليوم تنفه قال والله قد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ماعلت فيه وأغضبنى اليوم فقلت أقبح ماعلت فيه قال عليه السلام : إن من البيان لسحرا » (٣) . وكأنه كره ذلك فنبهه بالسحر وقدك قال في خبر آخر

(١) حديث أنس كان لا يواجه أحدا بشيء يكرهه أبو داود والترمذي في الشائيل والنسائي في اليوم والليالي بسند ضعيف (٢) حديث استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره البخاري في التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح : تمودوا بالله من جار السوء في دار اللقائم (٣) حديث أن رجلا أتني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من القد ذه الحديث وفيه قال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک من حديث أبي بكره إلا أنه ذكر اللبغ والديم في مجلس واحد لا يوبين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا .

لعلنا وإيماننا ثم يتدراك الحق تعالى بالمعونة ويوقفه على صريح التوحيد وتجريد فعل الله تعالى كما حكي عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق فخرج إلى مصن الصعاري فرأى قبرة عيام عرجاء متيفة فوقف متعجبا منها ففكر فيها فأكل مع هجرها عن الطيران ولشي والروية فينا هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت سكرجان في إحداها صمم نقي وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من السمم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغابت السكرجان قال فلما رأيت ذلك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق فاذا أوقف الحق عبده في هذا اللقائم يزيل عن باطنه الاهتمام بالأنعام ويرى انه دخول في التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة

« البذاء والبيان شعبتان من التفاق (١) » وفي الحديث الآخر « إن الله يكره لكم البيان كل البيان » وكذلك قال الشافعي رحمه الله ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يصيه ولا أحد يصي الله ولا يطيعه لأن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فأن تراء عدلا في حق نفسك ومتفق أخوتك أولى . وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضا وحده أن لا تحصل له طروجه فاسد ما أمكن أن تحمله طروجه حسن ، فأما ما انكشف يقين ومشاهدة فلا يحسنك أن لا تطلعه عليك أن تحمل ما تشاهد على سبيل ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى خرمًا وهو الذي يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكًا ضروريًا لا يقدر على دفعه وإلى ما منهوؤه سوء اعتداله فيه حتى يصدر منه فعله وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الأرذال من غير علامة تخص به وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن إن ذال صلى الله عليه وسلم « إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث (٣) » وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس ، وقد قال عليه السلام « لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تخاطبوا ولا تداربوا وكونوا عباد الله إخوانا (٤) » والتجسس في طماع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين ويكفيك تنبيهًا على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجليل أن الله تعالى وصف به في الدعاء قبيلا يامن أظهر الجليل وستر القبيح والرضى عند الله من تخلف بأخلاقه فإنه ستر العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العيب فكيف لا تتجاوز أنت عن مثل ذلك أوفوتك وما هو بكل حال عيبك ولا تخونك ، وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أناسكم نائمًا وقد كشف الربيع ثوبه عنه قولوا نستره ونقطعه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال أحدهم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها . واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يجب لأخيه ما يجب لنفسه وأقل درجات الأخوة أن يماثل أخاه بما يجب أن يماضيه به ولا خلاف أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوي والعيوب ولوطهر له منه قبيح ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه لما أبعد إذا كان ينتظر منه ما لا يضره له ولا يزم عليه لأجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال - ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالواهم أو وزنهم يخسرون - وكل من يلتمس من الأنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت متفق هذه الآية ومنشأ التفتير في ستر العورة أو السعي في كشفها البذاء الدافين في الباطن وهو الحقد والحسد فإن الحقود الحسود بلاء باطن بالحيث ولكن يحجب به باطنه ويغيبه ولا يبيده مها

(١) حديث البذاء والبيان شعبتان من التفاق الترمذي وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث إن الله حرم على المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء والحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس قوله وعرضه ورجاله تمت إلا أن أباى النيسابورى قال ليس هذا عندى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو عندى من كلام ابن عباس وابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي هريرة كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه (٣) حديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تخاطبوا ولا تداربوا وكونوا عباد الله إخوانا ، متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو بعض الحديث الذى قبله .

العوام ويسير مسلوب الاختيار غير متطلع إلى الأغيار ناظرًا إلى فضل الله تعالى منتظرًا لأمر الله تعالى إليه الأقسام ويضع عليه باب الانعام ويكون بدوام ملاحظته لفضل الله وترصده ما يحدث من أمر الله تعالى مكشفاً له تجليات من الله تعالى بطريق الأفصال والتجلى بطريق الأفصال رتبة من القرب ومنه يترقى إلى التجلى بطريق الصفات ومن ذلك يترقى إلى تجلى الذات والاعارة في هذه التجليات إلى رتب في اليقين ومقامات في التوحيد شئ فوق شئ وشئ أعلى من شئ فالتجلى بطريق الأفصال يحدث صفو الرضا والتسليم والتجلى بطريق الصفات يكسب الهية والأنس والتجلى بالذات يكسب الفناء والبقاء وقد

لم يجد له محالا وإذا وجد فرصة أخلت الرابطة وارفع الحياء وبتربش الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالأقطع أولى قال بعض الحكماء ظاهر الصاب خير من مكتون الحقد ولا يزيد لطف الحقد إلا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فأيمان ضيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله . وقد روى عبد الرحمن بن جبرين بغير نص عنه أنه قال كنت بالبحرين ولي جاري يهودي يخبرني عن التوراة فقدم على اليهودي من سفر قلت إن الله قد بعث فينا نبيا فدعانا إلى الاسلام فأسلمنا وقد أنزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكمكم لاستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نحمد نعمته ونمت أمته في التوراة إنه لا يحل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه السلم ، ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه فإن أخاه نازل منزله وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرأيا وخارجا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بمدله كفرته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ^(١) » وفي خبر آخر « فكأنما أحيا مودة ^(٢) » وقال عليه السلام « وإذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة ^(٣) » وقال « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجالس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه ماله من غير حله ^(٤) » وقال ^(٥) « إنما يتجالس التجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفتش على صاحبه ما يكره ^(٥) » قيل لبعض الأديباء كيف حفظك للسر قال أنا قهره وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار وقيل إن قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبيده من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحق والتوق عن محبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر قال أجمد الخبير وأخاف المستخير . وقال آخر أستره واسترني أستره وعبرته ابن التمر قال :
ومستودعي سرا تبوات كمنه فأودعته صدري فصار له قبرا
وقال آخر وأراد الزيادة عليه :

وما السر في صدري ككتاب قبره لأنني أرى القبور ينتظر النشر
ولكنني أنساه حتى سكتني . بما كان منه لم أحط ساعة خيرا
ولو جاز كتم السر يبقى وبينه عن السر والأشياء لم تعلم سرا

(١) حديث من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل في الدنيا ولمسلم من حديث أبي هريرة من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ولشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) حديث فكأنما أحيا مودة من قبرها أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عتبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مودة زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد (٣) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي من حديث جابر وقال حسن (٤) حديث المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس الحديث أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه (٥) حديث إنما يتجالس للتجالسان بالأمانة لا يحل لأحدهما أن يفتش على صاحبه ما يكره أبو بكر بن لال في مقام الأخلاق من حديث ابن مسعود باسناد ضيف ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسل والحاكم وصححه من حديث ابن عباس إنكم تتجالسون بينكم بالأمانة .

يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء يمتنون به فناء الارادة والهوى والارادة ألتلف أقسام الهوى وهذا الفناء هو الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون في تجل القات وهو أكل أقسام البقيع في الدنيا فأما تجل سكم القات فلا يكون إلا في الآخرة وهو اللقام الذي حظي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المراج ومنع عنه موسى بلن رأى فليعلم أن قولنا في التجلي إشارة إلى رب الخلق من اليقين وروية البصيرة فاذا وصل العبد إلى مبادئ أقسام التجلي وهو مطالعة الفعل الإلهي مجردا عن فعل سواء يكون تناوله الأقسام من الفتوح . روى عن رسول الله صلى الله

وأثنى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيته وكان أبو سعيد الثوري يقول إذا أردت أن تواخي رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فان قل خيرا وكتم سرَكَ فاصحبه وقيل لأبي يزيد من نصيب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقال ذو النون لآخر في حجة من لا يحب أن يراك إلا مصوماً ومن أثنى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقضيته الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتاً على اختلاف هذه الأحوال وذلك قيل:

وترى الكريم إذا تصرم وصله يخفى القبيح ويظهر الاحسانا

وترى اللئيم إذا قضى وصله يخفى الجليل ويظهر البهانا

وقال العباس لابنه عبدالله إني أرى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه يقدمك على الأشياخ فاحفظني خمساً لا تشبهن سرا ولا تتأمن عنده أحداً ولا تخبرن عليه كذبا ولا تصين له أمراً ولا يطمئن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف ومن ذلك السكوت عن الماراة والمدافعة على كل ما يشككم به أخوك قال ابن عباس لآخمار سفيا فيؤذيك ولا حلياً فيقلبك وقد قال صلى الله عليه وسلم «من ترك المراء وهو مبطل يله بيت في رضى الجنة ومن ترك المراء وهو محق يله بيت في أذى الجنة» (١) وهذا مع أن تركه مبطل واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد للنفوس من السكوت على الباطل وإنما الأجر على قدر النصب وأشد الأسباب للإثارة نار الحقد بين الإخوان الماراة والمفاضة فانها عين التدارب والتقاطع فان التقاطع يقع أولاً بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان وقال عليه السلام «لا تدابروا ولا يتاغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباداً لله إخواناً للسلام أخو السلام لا يظلمه ولا يجرمه ولا يخدله بحسب اللزء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» (٢) وأشد الاحتقار للماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسب إلى الجهل والحق أو إلى النقلة والسوء عن فهم الكى على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وإغبار للصدر وإغماض وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فنضب وقال: ذروا المراء لقله خيره وذروا المراء فان نفعه قليل وإنه يهيج مداوة بين الإخوان» (٣) وقال بعض السلف من لاشى الإخوان وما رامهم قلت مروته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن إياك وعماراة الرجال فانك لن تقدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم وقال بعض السلف ألمح الناس من قصر في طلب الإخوان وأهمج منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة الماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث المداوة وقد قال الحسن لانتشر عداوة رجل بمودة ألف رجل وعلى الجملة فلا باس على الماراة إلا إظهار التمييز بعزذ العقل والفضل واحتقار الردود عليه بإظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والابناء والشتم والحق والجهل والامنى للمداوة إلا هذا فكيف تضامنه الأخوة وللصافاة فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك المراء وهو مبطل يله بيت في رضى الجنة الحديث تقدم في العلم (٢) حديث لا تدابروا ولا يتاغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباداً لله إخواناً للسلام أخو السلام الحديث مسلم من حديث أنى هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعرضه قبل هذا بسبعة أحداث (٣) حديث أبي أمامة خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فنضب وقال ذروا المراء لقله خيره فان نفعه قليل فانه يهيج المداوة بين الإخوان الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وأبى الدرداء ورواه أنس دون ما يبدقوله لقله خيره ومن هنا إلى آخر الحديث رواه أبو منصور والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط وإسنادهما ضعيف .

عليه وسلم أنه قال «من وجه إليه غي من هذا الرزق من غير مسئلة ولا إشراف فليأخذه وليوسع به في رزقه فان كان عنده غي فليدفعه إلى من هو أحوج منه» وفي هذا دلالة ظاهرة على أن العبد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه إلى غيره وكيف لا يأخذ وهو يرى فضل الله تعالى ثم إذا أخذ ففهم من يخرججه إلى المحتاج ومنهم من يقف في الإخراج أيضاً حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق وإخراجه بالحق أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر قال أنا والدى الحافظ أبو الفضل المقدسى قال أنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الجبال قال أنا محمد بن عبد الرحمن ابن سعيد قال أنا أبو طاهر أحمد بن محمد

أنه قال لأعمار أخاك ولا تمازحه ولا تمدد موعدا فتخله ^(١) وقد قال عليه السلام «إنكم لاتمعون الناس بأموالكم ولكن ليسمعهم منكم بسط وجه وحسن خلق ^(٢)» والمارة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المارة والحسن على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا وقالوا إذا قلت لأخيك قم فقال لي أين فلا تصعب بل قالوا ينبغي أن يكرم ولا يسأل وقال أبو سليمان الداراني كان لي ألمع بالمرأى فكنت أجيبه في الثواب فأقول أعطني من مالك شيئا فكان يلقى إلى كيسه فأخذ منه ما أريد فجئت ذات يوم قلت أحتاج إلى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة إخائه من فمي وقال آخر إذا طلبت من أخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الإخاء . واعلم أن قوام الأخوة بالمواقة في الكلام والفعل والشفقة قال أبو عثمان الجبيري مواقة الإخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال .

(الحق الرابع على اللسان بالنطق)

فإن الأخوة كما تنفي السكوت عن الكاره تنفي أيضا النطق بالمحاب بل هو أخص بالأخوة لأن من منع بالسكوت محب أهل القبور وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذام والسكوت معناه كفاف الأذى فلهذا أن يتودد إليه بلسانه وينتفعده في أحواله التي يجب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض إن عارض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جهة أحواله التي تكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهها وجه أحواله التي يسرها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فبني الأخوة للسامعة في السراء والضراء وقد قال عليه السلام «إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره ^(٣)» وإنما أمر بالاختيار لأن ذلك يوجب زيادة حفا بان عرف أنك تحبه أخيك بالطبع لعمالة فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حيك لعمالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين وضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علمه في الطريق قال «تهادوا تحابوا ^(٤)» ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث صفين كلود أخيك أن تسلم عليه إذا تقبته أولا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه ومن ذلك أن تثنى عليه بما ترفعن محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنته وفله حتى على عقله وخلقه وهيبته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يخرجه وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحسين ما يشيل التحسين لا بتمنه وآ كمن ذلك أن تبلغه ثناء من انتهى عليه مع إظهار القرب فإن إخفاء ذلك بعض الحسد ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حرك بل على نيته وإن لم يتم ذلك قاله على رضي الله عنه من لم يمدح أخاه لم يحسن إليه بل يحمده على حسن الصنعة وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة الأدب عنه في غيبته مهما قصد بدوه أو تعرض لمرمته بلام صريح أو تعرض لحق الأخوة التضمير في الحماية والصرة وتبكت للثنت وتقلب القول عليه

(١) حديث ابن عباس لأعمار أخاك ولا تمازحه ولا تمدد موعدا فتخله الترمذي وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه يعني من حديث ليث بن أبي سليم وصفه الجمهور (٢) حديث إنكم لاتمعون الناس بأموالكم ولكن ليسمعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق أبو يونس الوصلي والطبراني في مكالم الأخلاق وابن عدي في الكامل وصفه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم من حديث للقدم بن مدي كرب (٤) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة .

ابن عمر وقال أنا يونس ابن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحارث عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن حبيب بن عبد المزي عن عبيد الله السعدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعن الطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أقرب مني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذتموه أو تصدق به وما جاءك من هذا للسأل وأنت غير متصرف ولا سائل فخذنه وما لا فلا تقبمه فذاك » قال سالم بن أبل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطه درج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب بأوامره إلى رؤية فلما الله تعالى والحرورج

والسكوت عن ذلك موخر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة وإعنا شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوين بالدين تسلي إحداها الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه (٢) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السلام أخو السلم لا يظلمه ولا يغذله ولا يثله» وهذا من الاتساع والخذلان فإن إجماله لتزويق عرضه كإجماله لتزويق لحمه فأحسن بأخ برك والكلاب تفتسك وتغزق طوموك وهو ما كنت لا تحركه الشفقة والحبة للدغ عنك وتغزق الأعراض أشد على النفوس من تغزيق الحبوب ولذلك شبه الله تعالى بأكل لحوم الميتة قال - أحب أهدمك أن يأكل لحم أخيه ميتا - ولذلك الذي يمثل في المنام ما تظلمه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة يمثل الغيبة بأكل لحوم الميتة حتى إن من يرى أنه يأكل لحم ميتة فإنه يضاب الناس لأن ذلك الملك في تنبئه برأى للشاركة وللناسبة بين الشيء وبين مثاله للمنى الذي يجري من الثال مجرى الروح لافي ظاهر الصور فاذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعت للتمتين وإجبي عقد الأخوة وقد قال مجاهد لا تذكر أخاك في غيبته إلا كما تحب أن يذكرك في غيبته فاذن لك فيه معيار أن أهدمك أن الذي قيل فيه لوقيل فيك وكان أخوك حاضرا ما الذي كنت تحب أن يقوله أخوك فيك فينبغي أن تعامل التعرض لمرضه به والثاني أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن أنك لا تعرف حضوره لما كان يتحرك في قلبك من الصرة له يسمع منه وترأى فينبغي أن يكون في منفيه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر أخى في غيب إلا تصوره جالسا قلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر أخى إلا تصورت نفسى صورته قلت فيه مثل ما أحب أن يقال في وهذا من صدق الإسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه وقد نظر أبو البراء إلى ثورين يمرحان في فدان فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر فيحك وقال هكذا الإخوان في الله يملأون فذا وقف أحدهما واقفه الآخر والمواقفة يتم الاخلاص ومن لم يكن خصا في إخوانه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة والالسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والحلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك بمادة في اللادة وهو دخل في الدين ووليعة في طريق المؤمنين ومن لا يقدم من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من اللؤاخة والمصاحبة فإن حق الصبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق ولذلك قال عليه السلام «أباهر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا» (٣) فأنظر كيف جمل الإيمان جزاء الصبة والإسلام جزاء الجوار فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الإسلام على حد الفرق بين الشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصبة فإن الصبة تقتضى حقوقا كثيرة في أحوال متغاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضى إلا حقوقا قربية في أوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال فإن كنت غنيا بالعلم فضلك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فضلك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائده تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة ليتزجر عنه وتنبه على عيوبه وتجنب التبعيض في عينه وتحسن الحسنة ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع

(٢) حديث تشبيه الأخوين بالدين تقدم في الباب قبله (٢) حديث السلم أخو السلم تقدم في أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث (٣) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا الترمذى وابن ماجه واللفظ له من حديث أبي هريرة بالشرط الأول فقط وقال الترمذى مؤمنا قال وأحب للناس ما تحب نفسك تكن مسلما وقال ابن ماجه مؤمنا قال الدارقطني والحديث ثابت ورواه القضاعى في مسند الشهاب بلفظ الصنف .

من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى . سئل سهل بن عبد الله التستري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض . وروى زيد ابن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله فانما هو شيء من رزق الله تعالى ساقه الله إليه » وهذا البعد الواقف مع الله تعالى في قبول ما ساق الحق آمن ما يغشى عليه إعنا يغشى على من يرد لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بعين الزهد في أخذه إسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي إخراجهم إلى الغير إثبات حقيقته فلا يزال في كلا الحالين زاهدا

عليه أحد لما كان على اللأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن مرآة المؤمن ^(١) » أي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد للرب بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي رضي الله عنه من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقبله سر أحب من يجرك بيوبك فقال إن نصحي فبا بيني وبينه فتم وإن قرعني بين اللأ فلا وقد صدق فإن النصح على اللأ فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كفه في ظل ستره فيوقه عن ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله محتوما إلى اللأ لئلا يكتفوا من دينه بل إلى الجنة فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب محتوما ليقرأه وأما أهل اللق فتدبون على رؤوس الأشهاد وتستنطق جوارحهم بغضا عنهم فيزدادون بذلك خزيا واقضاها ونموذ بالله من الحزى يوم العرض الأكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالأسرار والإعلان كما أن الفرق بين اللدابة واللداهنة بالفرص الباعث على الغشاء فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالغشاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ تسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن وقال ذو النون لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الحق إلا بالمصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة.. فإن قلت فإذا كان في النصح ذكر العيوب فيه إغشاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة فاعلم أن الإغشاش إنما يحصل بذكر عيب يمل به أخوك من نفسه فأما تنبيهه على ما لا يمل به فهو عين الشفقة وهو استألة القلوب وأعني قلوب العقلاء وأما الحق فلا يلتفت إليهم فإن من ينهك على فعل مذموم تعاطيه أوصفه مذمومة انصرفت له تركي تسك عنها كان كمن ينهك على حبة أو عرق تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك فإن كنت تكره ذلك فما أشد حملك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فاتها بتلغ القلوب والأرواح وألها أهدما بلغ الظواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة ولذلك قال عمر لسانا وقد قدم عليه ما ألقى إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ولذلك قال عمر لسانا وقد قدم عليه ما ألقى بلغك عني مما تكره فاستغنى فألح عليه فقال بلغني أن لك حلتين تلبس إحداها بالتهار والأخرى بالليل وبلغني أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذا قد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة الرعشي إلى يوسف بن أسباط بلغني أنك بت دينك بعينين وقتت على صاحبين قتلتك بكم هذا فقال بدس قتلته لا لاشتمن فقال هو لك وكان يرفك اكشف عن رأسك فناع الفافلين واتبه عن ردة اللوى واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين وقد وصف تعالى الكاذبين ينضمهم للنادحين إذ قال - ولكن لا تحبون الناصحين - وهذا في عيب وهو غافل عنه فأما ما علمت أنه يمل من نفسه فأما هو مقيم عليه من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه وإن كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح بالعرض مرة وبالتصرع أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإغشاش فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الأصرار عليه فالسكوت عنه أولى وهذا كله فيا يتعلق بمصالح أخيك في دينه وأودياه أما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الإحتيال والعفو والصفح والتعاضد عن التعرض لذلك ليس من النصح في شيء، نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة فالغتاب في السر خير من القطيعة والتعرض به خير من التصريح وللكتابة خير من الشافهة والاحتال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح تسك بمرأعائك إياه وقيامك بحقه واحتالك تقصيره لا الاستعانة به

(١) حديث المؤمن مرآة المؤمن أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد حسن .

براه الغير بعين الرغبة
لقلة العلم بحاله وفي
هذا المقام يتحقق
الزهد في الزهد ومن
أهل الفتوح من يعلم
دخول الفتوح عليه
ومنهم من لا يعلم دخول
الفتوح عليه فهم
من لا يتناول من
الفتوح إلا إذا تقدمه
علم بتعريف من الله
إياه ومنهم من يأخذ
غير متطلع إلى تقديم
العلم حيث تجرد له
الفعل ومن لا ينتظر
تقدمة العلم فوق من
ينتظر تقدمه العلم
لتمام صحبته مع الله
وإنسلاخه من إرادته
وعلى حاله في ترك
الاختيار ومنهم من
يدخل الفتوح عليه
لا بتقدمة العلم ولا
رؤية تجرد الفعل
من الله ولكن برزق
شربا من الهبة
بطريق رؤية النعمة
وقد يشكدر شرب
هذا بتغير معهود
النعمة وهذا حال

والاسترقاق منه قال أبو بكر السكتاني صهي رجل وكان على قلمي تميلة فوهبت له يوماً شيئاً لم أن
يزول ما قلمي فلم يزل فأخذت يده يوماً إلى البيت وقتلته وضع رجلك على خدي فأني قتلت لا بد
فصل فزال ذلك من قلمي ، وقال أبو علي الرباطي صحبت عبدالله الرازي وكان يدخل البادية فقال لي
أن تسكون أنت الأمير أو أنا قتل بل أنت قتال وعليك الطاعة قتلتم فأخذ عملاً ووضع فيها
الزاد وحملها على ظهره فإذا قلت له أعطني قال ألتست قلت أنت الأمير فليك الطاعة فأخذنا للطير
ليلة فوقف على رأسي إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني الطير فكنت أقول مع نفسي
ليتني مت ولم أتل أنت الأمير .

(الحق الخامس الغزو عن الزلات والنفوس)

وهفوة الصديق لآخوه إيمان تكون في دينه بارتكاب مصيبة أو في حقه بتقصيره في الأخوة
أما ما يكون في الدين من ارتكاب مصيبة والإصرار عليها فليكن التلطف في نصحه بما يقوم أوده
ويجمع شمله ويبيد إلى الصلاح والورع حاله فان لم تقدر وبقي مصرّاً فقد اختلف طرق
الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو مقاطعته فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الاقطاع
وهذا إذا اختلف أخوك عما كان عليه فأنبضه من حيث أحببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله
والبنص في الله وأما أبو البرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو البرداء إذا تغير أخوك
وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يوجع مرة ويستقيم أخرى ، وقال إبراهيم النخعي
لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غداً ، وقال أيضاً لا تحذروا
الناس زلة العالم فإن الزل الزلة ثم تركها وفي الخبر « اغتوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيته »^(١)
وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان أخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال
ما فعل أخى قال ذلك أخو الشيطان قال ما قال إنه قارف الكباير حتى وقع في الحفر قال إذا أردت
الخروج فأدنى فكتب عند خروجه إليه بسم الله الرحمن الرحيم - حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز العظيم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب
بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر قتاب ورجع . وحكى أن أخوين ابني أحدهما بهوى فأظهر عليه
أخاه وقال إني قد اعتلت فان شئت أن لا تعقد على صحبتي لله فاضل فقال ما كنت لأحلل عقد أخوتك
لأجل خطيتك أبدأ ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأتى كل ولا يشرب حتى يعاقب الله أخاه من هواه
فطوى أربعين يوماً في كلها يسأله عن هواه فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو يتحلى
من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بدان
كاد يئس هزلاً وضراً . وكذلك حكى عن أخوين من السلف اختلف أحدهما عن الاستقامة فقبل
لأخيه ألا تقطعه وتهجره فقال أحوج ما كان إلى في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن أخذ يده
وأغلف له في العاتية وأدعوه بالعود إلى ما كان عليه . وروى في الاسرار ليات أن أخوين عابدين
كانا في جبل نزل أحدهما ليشتري من المصر لحماً بدرهم فرأى نبياً عند اللحام فرمقها وعشقها واجتنبها
إلى خلوة وواتها ثم أقام عندها ثلاثاً واستحيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جنائنه قال فافتقد أخوه
واهتم بشأنه فزحل إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دلّ عليه فدخل إليه وهو جالس معها فاعتنقه
وجعل يقبله ويلزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه فط لقرط استحيا منه فقال قم بأخى قد عدلت شأنك

(١) حديث اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيته البغوي في المعجم وابن عدي في الكامل من
حديث عمرو بن عوف الزني وضعفه .

ضعيف بالإضافة إلى
الحالين الأولين لأنه
علة في المحبة ووليبة
في الصدق عند
الصديقين وقد ينظر
صاحب الفتوح العلم
في الإخراج أيضاً كما
ينظر في الأخذ لأن
النفس تظهر في
الإخراج كما تظهر في
الأخذ وأنتم من هذا
من يكون في إخراجه
مختاراً وفي أخذه مختاراً
بعد تحققة بصحة
التصرف فان انتظر
الملم إنما كان موضع
اتهام النفس وهو يتيقن
هو موجود فاذا زال
الاثم بوجود صريح
الملم يأخذ غير محتاج
إلى علم متجدد ويخرج
كذلك وهذه حال من
تحقق بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم حاكياً
عن ربه « فإذا أحببته
كنت له سمياً وبصراً
فيسمع وبصروني
ينطق » الحديث فلما
صح تمرغه مع تصرفه
وهذا أعز في الأحوال

وفصلك وما كنت قط أحب إلى ولا أعز من ساعتك هذه فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي اللطف وأتته من طريقة أبي ذر رضي الله عنه وطريقته أحسن وأسلم . فلما قلت ولم قلت هذا اللطف وأتته ومقارفة هذه الصبية لأنجوز مؤاخاة ابتداء فجب مقاطعة انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بطلان القياس أن يزول بزوالها وعلة عقد الأخوة المتأخرة في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة الصبية . فأقول أما كونه اللطف فلما فيه من الرفق والاحتشاش والتخفيف للفقير إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصبية ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصبية أصغر واستمر وأما كونه أنه لم يفرق بين حيث إن الأخوة عقد ينزله منزلة القرابة فإذا انقضت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء بأن لا يهمل أيام حاجته وقرره وقرر الدين أعد من قهر للوالد وقد أسأته بجاهته وألتم به آفة اختبر بسببها في دينه فينبغي أن يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليحيا على الخلاص من تلك الوصلة التي ألتمت به فالأخوة عدة للثبات وحوادث الزمان وهذا من أشد الثواب والفاجر إذا ذهب غيا وهو ينظر إلى خوفه ومدامته فيسرع على قرب ويستحي من الإصرار بل الكسلان يصحب الحرص في العمل فيحرص حياء منه . قال جعفر بن سليمان مهما قررت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيخرج إلى نشاطي في العبادة وفارقتي الكسل وعملت عليه أسبوعا وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لجة كلمته النسب والقرب لا يجوز أن يهجر بالصبي ولذلك قال الله تعالى لئن لم يكن عليه وسلم في غيري لكانت عصى الله في الناس ولما قيل له ألا يفيض أخاك وقد فعل كذا قال إنما أفيض عمله وإلا فهو أخي وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم إنما أحب إليك أخوك أو صدقك فقال إنما أحب أخي إذا كان صدقي وأما الحسن يقول كم من أخ لم تله أملك ولذلك قيل القرابة تحتاج إلى مودة واللوة لا تحتاج إلى قرابة وقال جعفر الصادق رضي الله عنه مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم مائة من قطعها قطعها الله فاذن الوفاء بعد الأخوة إذا سبق انعقادها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء اللؤاخاة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حق فإن تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي أن يقطع بل يجامل والدليل عليه أن ترك اللؤاخاة والصبي ابتداء ليس مذموما ولا مكروها بل قال قائلون الأفراد أولى فأما قطع الأخوة عن دوامها فهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح قال صلى الله عليه وسلم « شرار عباد الله للشامون بالنيمة للفرقون بين الأجيال » (١) وقال بعض السلف في ستر زلات الإخوان و« الشيطان أن يلقى على أخيك مثل هذا حتى يهجره ويطغى فمذا اتقيتم من عجة عدوك وهذا لأن التفريق بين الأجيال من محاب الشيطان كأن من مقارفة الصبيان من محابه فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلا ينبغي أن يضاف إليه الثاني وإلى هذا أشار عليه السلام في الذي ضم الرجل الذي آتى فاحشة إذ قال مه وبرزه وقال « لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيك » (٢) فهذا كله يبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الساق محذورة ومقارفة الأجيال وال الإخوان أيضا محذورة وليس من سلم عن معارضة غيره كالأبي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا أن الله الهجرة والتباعد هو الأولى وفي الدوام تمارضا فكان الوفاء بحق الأخوة أولى هذا كله في زلة في دينه أما زلة في فقه بما يوجب إجماعه فلا خلاف في أن الأولى المنفرد والاحتياط بل كل ما يحتمل تزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد

من الكبريت الأحمر
وكان شيخنا ضياء
الدين أبو العجب
السهروردي رحمه الله
يحكي عن الشيخ حماد
الدهب أن كان يقول
أنا لا أكل إلا من طعام
الفضل فكان يرى
الشخص في المنام أن
يحمل إليه شيئا وقد
كان بين الرائي في المنام
أن يحمل إلى حماد
كذا وكذا وقيل إنه
بقي زمانا يرى هو في
واقته أو منامه إنك
أحلت على فلان بكذا
وكذا ، وحكي عنه أنه
كان يقول كل جسم
ترى بطعام الفضل
لا يملك عليه البلاء
وبعض بطعام الفضل
ما شهد له محبة الحال
من قروح الحق ومن
كانت هذه حاله فهو
غنى بالله . قال
الواسطي الافتقار إلى
الله أعلى درجة للربدين
والاستغناء بالله أعلى
درجة للصديقين
وقال أبو سعيد الخراساني

- (١) حديث شرار عباد الله للشامون بالنيمة للفرقون بين الأجيال أحمد من حديث أسماء بنت زيد بسند ضعيف
(٢) حديث لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيك . البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في الباب قبله .

عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة فقد قيل ينبغي أن تستبسط لثلة أخيك سبعين عدرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما أقصاك بتعذر إليك أخوك سبعين عدرا فلا تقبله فأنت المعب لأخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تقضب إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يقضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترضى قلبك بنفسك نياية عن أخيك واحترض أن تكون شيطانا إن لم تقبل قال الأحنف حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم العادة وظلم المفوة وقال آخر ما شتمت أحدا قط لأنه إن شتمني كريم فأنا أحق من غفرها له أو ليثم فلا أجعل عرضي له غرضا ثم تتل وقال :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم القبيح تكرها

وقد قيل : خذ من خالك ماضيا ودع القى فيه الصكر

فالمصر أقصر من معا تبة الخليل على القبر

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أوصافا فاقبل عذره قال عليه السلام « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب الكس^(١) » وقال عليه السلام « للؤمن سريع الغضب سريع الرضا^(٢) » فلم يصفه بأنه لا يقضب وكذلك قال الله تعالى - والكافرين النيط وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يجرح الإنسان فلا يتألم بل تنهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل وكان أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب ولا يمكن قلمه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضى التشنج والانتقام والمكافأة وترك العمل بغفواته يمكن وقد قال الشاعر :

ولست بمسئق أخا لائحه على شتم أى الرجال للهدب

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الخوارى إذا واخيت أحدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول قال جبرته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضر الأخ خير من معاتبته والمعاتبه خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقعة وينبغي أن لا يبلغ في البغضة عند الوقعة قال تعالى - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة - وقال عليه السلام « أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون يفيضك يوما ما وابض يفيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه لا يكن جيك كلفا ولا يفضك تلقا وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك .

(الحق السادس)

(الدعاء للائحة في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه نفسه ولأهله وكل متعلق به فتدعوه كما تدعون نفسك)

(١) حديث من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل صاحب مكس ابن ماجه وأبو داود في الراسل من حديث جودان واختلف في محبته وجهه أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف (٢) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا لم أجده هكذا والترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شق الحديث وفيه ومنهم سريع الغضب سريع النقي فذلك بتلك (٣) حديث أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون يفيضك يوما ما الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوى تردد في رصفه .

العارف بتدريه في
في تدبير الحق والواقف
مع الفتوح واقف مع
الله ناظر إلى الله
وأحسن ما حكي في هذا
أن بعضهم رأى
النورى بعد يده
ويأل الناس قال
فاستعظمت ذلك منه
واستقيته له فأنيبت
الجديد وأخبرته
قال لي لا يظلم هذا
عليك فان النورى لم
يسأل الناس إلا ليطيهم
سؤلهم في الآخرة
فيخرجون من حيث
لا يضره وقول الجديد
ليطهم كقول بعضهم
اليد العليا يد الآخذ
لأنه يعطى الثواب قال
ثم قال الجديد هات
للزنان فوزن مائة درهم
ثم قبض قبضة فألقاها
على المائتين قال أحملها
إليه فقلت في نفسي إنما
يزن ليعرف مقدارها
فكيف خلط المجهول
بالموزون وهو رجل
حكيم واستحييت أن
أسأله فنقبت بالصره

ولا تفرق بين نفسك وبينه فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الثيب قال الملك ولك مثل ذلك » (١) وفي لفظ آخر « يقول الله تعالى بك أبدأ يا عبدى » (٢) وفي الحديث « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه » (٣) وفي الحديث « دعوة الرجل لأخيه في ظهر الثيب لا ترد » (٤) وكان أبو الدرداء يقول إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أصحهم بأسمائهم وكان محمد بن يوسف الأصفهانى يقول وأبى مثل الأخ الصالح أهلك يتقسمون ميراثك ويتصمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت وماصرت إليه يدعو لك في ظلة الليل وأنت تحت أطباق الترى وكان الأخ الصالح يقتدى باللائكة إذ جاء في الخبر « إذا مات البد قال الناس ما خلف وقالت اللائكة ما قم » (٥) فبرحون له بما قدم ويسألون عنه ويستفتون عليه ويقال من بلغ موت أخيه فترحم عليه واستغفره كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت في قبوه مثل الفريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولده أو والد أو أخ أو قريب » (٦) وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيخرج بذلك كما يفرح الحي بالهدية .

(الحق السابع الوفاء والإخلاص)

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فإن الحب إنما يراد للأخرة فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعى ولذلك قال عليه السلام « في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه » (٧) وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روى أنه عليه السلام « أكرم عبوداً دخلت عليه فقبله في ذلك فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين » (٨) فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والتعلقين به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى السكب الذى على باب داره ينبئ أن يميز في القلب عن سائر السكاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فإنه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخين في الله ومتحابين

- (١) حديث إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الثيب قال الملك لك مثل ذلك بمثل ذلك مسلم من حديث أبي الدرداء
- (٢) حديث الدعاء للأخ بظهر الثيب وفيه يقول الله بك أبدأ عبدى لم أجدها اللفظ (٣) حديث يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه لم أجده بهذا اللفظ ولأبى داود والترمذى وضمفه من حديث عبد الله بن عمرو إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب (٤) حديث دعوة الأخ لأخيه في الثيب لا ترد الدارقطنى فى العلل من حديث أبي الدرداء وهو عند مسلم إلا أنه قال مستجابة مكان لا ترد (٥) حديث إذا مات البد قال الناس ما خلف وقالت اللائكة ما قم من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث مثل الميت في قبوه مثل الفريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة ولد أو والد الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبي هريرة قال النبى فى اللزآن إنه خبر منككر جدا (٧) حديث سبعة يظلمهم الله فى ظله الحديث تقدم غير مرة (٨) حديث إكرامه صلى الله عليه وسلم لجوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة .

إلى النورى قال هات
للزآن فوزن مائة درهم
وقال ردّها وقل له أنا
لا أقبل منك شيئا
وأخذ مازاد على المائة
قال فردا تصبى فأنته
على ذلك قال الجنيب
رجل حكيم يريد أن
ياخذ الحب بطريقه
وزن لثامه نفسه طلبا
للثواب وطرح عليها
قبضة بلا وزن فله
أخذت ما كان فله
وردت ما جعله لنفسه
قال فردتها على الجنيب
فبكى وقال أخذ ماله
ورد ماله . ومن
لطائف ما سمعت من
أصحاب شيخنا أنه قال
ذات يوم لأصحابه نحن
محتاجون إلى شيء من
العلوم فارجعوا إلى
خولناكم واسألوا الله
تعالى وما يفتح الله
تعالى لكم التوفى به
فعلوا ثم جاءهم من بينهم
شخص يعرف بأسميل
البطامى ومعه كاغد
عليه ثلاثون دائرة
وقال هلنا الذى فتح

فيه فانه يجهد نفسه لاقصاد ما بينهما دل الله تعالى - وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم - وقال خبراً عن يوسف - من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي - ويقال ما توأخى اثنان في الله ففارق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما وكان بشر يقول إذا قصر العبد في طاعة الله عليه الله من يؤنه وذلك لأن الاخوان مسلاة لهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الله الأشياء محالة الاخوان والافتلاب إلى كفاية للمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزل بزوال ذلك الغرض ومن غرات اللودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل مذهب أخيه فإليه ترجع فأئذته وبه وصف الله تعالى المهين في الله تعالى فقال - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم - ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء أن لا يغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسمت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم قال الشاعر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في التزل الحسن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استنيت عنه لم يطع فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك ودل بعض الحكماء إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير . وحكى الربيع أن الشافعي رحمه الله آذى رجلاً يفتاد ثم إن أخاه ولي السنين فخير له عما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الآيات :

أذهب فودك من فؤادي طالق أبداً وليس طلاق ذات البين

فإن أروعيت فاتها تطليقة ويدوم ذلك لي على ثنتين

وإن امتعت شفعها بمثلها فتكون تطليقتين في حيزين

وإذا التلث أتت مئ تة لم تكن عنك ولاية السنين

واعلم أنه ليس من الوفاء مواقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه آذى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيحى بمصر غيره فاعتل محمد فهاذه الشافعي رحمه الله تعالى فقال :

مرض الحبيب فسدته فحرضت من حذرى عليه

وأتى الحبيب يعودنى فبرئت من نظرى إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يقوض أمر حلفته إليه بعد وفاته فقيل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله عنه إلى من تجلس بعدك بأباعد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومياً إليه فقال الشافعي سبحان الله أشك في هذا أبو يعقوب البويطى فأنكسر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطى مع ابن محمد كان قد دخل عنه مذهبه كله لكن كان البويطى أفضل وأقرب إلى الزهد والورع فصنع الشافعي لله وللسلمين وترك المداينة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انقلب محمد ابن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله وآثر البويطى الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الأم الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به وإنما صنفه البويطى ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره والقصود أن الوفاء بالهبة من تمامها التصح لله فالأخف الإخاء جوهره رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للافقات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلكم وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولأمن أخيك التصبر ومن آثار الصدق والإخلاص وتعمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة فتور الطبع عن أسبابها كإقبال :

الله في وافي فأخذ

الشيخ الكاغد فلم

يكن إلا ساعة فإذا

بشخص دخل ومعه

ذهب قدمه بين يدي

الشيخ ففتح القرطاس

وإذا هو ثلاثون

صححة قترك كل

صحح على دائرة وقال

هذا قروح الشيخ

اسماعيل أو كلانا هذا

معناه . وصحت أن

الشيخ عبد القادر

رحمه الله بث إلى

شخص وقال لقان

طعام وذهب اتنى من

ذلك بكذا ذهباً

وكذا طاماً قال الرجل

كيف تصرف في ودعة

عندى ولو استفتيتك

ما أفتيتي بالصرف

فأثره الشيخ بذلك

أحسن الظن بالشيخ

وجاء إليه بالذي طلب

فما وقع التصرف

منه جاءه مكتوب من

صاحب الودعة وهو

غائب في بعض نواحي

العراق أن احملى إلى

الشيخ عبد القادر

وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هينة الحطب .

وأفسد ابن عينة هذا البيت وقال لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يغيل إلى أن حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاسيا من يظهر أولا أنه يحب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقى الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يورغ القلب فذلك من دقائق الجيل في التصريب ومن لم يعترز منه لم تدم مودته أصلا قال واحد الحكماء قد جئت خائبا لمودتك قال إن جعلت مهرها ثلاثا ضلت قال وما هي قال لا تسمع على بلاغة ولا تخافني في أمر ولا توطن عسوة ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي رحمه الله إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركت في عدوانك .

(الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكلف)

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل بروح سره من مهماته وحاجاته ورفقه عن أن يحمله شيئا من أعبائه فلا يستمد منه من جاء ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد محبته إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بقلقه واستعانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤثته قال بعضهم من اقتضى من إخوانه مالا يقضونه قد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقضونه قد آثمهم ومن لم يقض فهو للفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره آثم وأثموا ومن جعل نفسه في قدره تب وآثمهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتعام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فبا لا يستحي من نفسه وقال الجليلي ماتواخي إثنان في الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لمة في أحدهما وقال على عليه السلام شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أموجك إلى مداراة والجالك إلى اعتذار وقال الفضيل إنما تطاع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلفه فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها للؤمن أخو المؤمن لا ينتمه ولا يحتمسه وقال الجليلي سمعت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا المحاسبي وطبقته وحسنا للسوسي وطبقته وسريا السقطي وطبقته وابن الكربي وطبقته فما تواخى إثنان من الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لمة في أحدهما وقيل لبعضهم من نصحب قال من رفع عنك قهقري التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول أهمل إخواني على من يتكلف لي وأحفظ منه وأخفهم على قلبي من أكون معه كأأكون وحدي وقال بعض الصوفية لاعتائر من الناس إلا من لا يزيد عنده ير ولا تنص عنه يلزم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لاصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويستر إليك إذا أسأت ويجعل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغي أن يواخي كل متدين عاقل ويمزج على أن يقوم بهذه الترافط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه إذ به يكون مواخيا في الله والإكانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجليل قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أخى في الله فأعرض الجليل حتى أعاده ثلاثا فما أكثر قال له الجليل إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمري قليل وإن أردت أخا في الله تحمل أنت مؤثته وتصبر على أذاه فندى جماعة أعرفهم لك فسكت الرجل . واعلم أن الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تهدر على أن تنفعه ولا تعصر به ولكن

كذا وكذا وهو القدر
الذي عنه الشيخ
عبد القادر صاحب
الشيخ بد ذلك على
توقفه وقال ظننت
بالفقراء أن إشاراتهم
تكون على غير صفة
وعلم فالبد إذا صح
مع الله تعالى وأقوى هواه
متطلبا رضا الله تعالى
يرض الله عن باطنه
هموم الدنيا ويميل
التي في قلبه ويفتح
عليها أبواب الرقي وكل
الهموم للسيطرة على
بعض الفقراء لكون
قلوبهم ما استكملت
الفضل بالله والاهتمام
برعاية حقائق العبودية
فصل قدر ما خلعت من
لهم بالله ابتليت بهم
الدنيا ولو امتلأت من
ثم الله عذبت بهموم
الدنيا وتمت وارتقت.
روى أن عوف بن
عبد الله السعدي كان
له ثلاثة وستون
صديقا وكان يكون
عدد كل واحد يوما
وأكثر كان له ثلاثون

لا تنفع به رجل لا تضر أيضا هل أن تنفع وتضر به وهو الأحق أو السوء الخلق فهذا الثالث ينبغي أن نتجبه أما الثاني فلا نتجبه لأنك تنفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وشوايك على القيام به وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أطمعتي فما أكثر إخوانك أي إن وإسيبتهم واحتملت منهم ولم تحمدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف فإني كنت معهم على نقى ومن كانت هذه شيعة كثير إخوانه . ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يترش في نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يصلحون على شرط المساواة بين أربع معان إن أكل أحدهم التماركه لم يقل له صاحبه صم وإن صام الآخر كله لم يقل له أفطر وإن نام الليل كله لم يقل له قم وإن صلى الليل كله لم يقل له تم وتستوى حالته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتخبط لا محالة وقد قيل من سقطت كفته دامت ألفتة ومن خفت مؤتة دامت مودته وقال بعض الصحابة إن الله لمن التكفين وقال صلى الله عليه وسلم « أنا والأضياع من أمي برآء من التكلف » (١) وقال بعضهم إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به (٢) إذا أكل عنده ودخل الحلاء وصلى ونام فذكر ذلك لبعض الشايع قال جيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه وبجامعها لأن البيت يتخذ للاستغناء في هذه الأمور المحس وإلا فالساجد أروح لقلوب المتعبين فإذا فعل هذه المحس قد تم الإخاء وارتفعت الحشمة وتأكّد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير إلى ذلك إذ يقول أحدهم لصاحبه مرحبا وأهلا وسهلا أي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والسكان ولك عندنا أهل تأسي بهم بلا وحشة لك منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله أي لا يشتد علينا شيء مما تريد ولا يثمن التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه وبحسن الظن بهم ويسىء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه فند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى إلى الفضل عليه ومن فضلى على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله والاخير في صفة من لا يرى لك مثل ماترى له » (٣) فهذه أقل الدرجات وهو النظر بين المساواة والكآل في رؤية الفضل للأخ ولذلك قال سفيان إذا قيل لك بإشر الناس فضبت فأنت شر الناس أي ينبغي أن تكون متقدما ذلك في نفسك أبدا وسيأتي وجه ذلك في كتاب الكبير والمحب وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للإخوان آيات :

تذلل لمن إن تذلل له يرى ذاك للفضل لا لله
وجانب صداقة من لا يزال على الأصدقاء يرى الفضل له
وقال آخر: كم صديق عرفته بصديق صار أحظى من الصديق العتيق
ورفيق رأيت في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم » (٤) ومن تمة الانبساط وترك التكلف أن يشارو

(١) حديث أنا وأمي برآء من التكلف الدارقطني في الأفراد من حديث الزبير بن العوام ألا إني برىء من التكلف وصالحوا أمي وإسناده ضعيف (٢) حديث إذا صنع الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به الحديث لم أجده له أصلا (٣) حديث المرء على دين خليله والاخير في صفة من لا يرى لك مثل ماترى له تقدم الشطر الأول منه في الباب قبله وأما الشطر الثاني فرواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . مسلم

صديقا يكون عند كل واحدوما وآخر كان له صيغة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد فكان إخوانهم معلوم والمعلوم إذا أقامه الحق للنظر إلى الله الكامل توحيد يكون نعمة هنية . جاء رجل إلى الشيخ أبي السعود رحمه الله وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين في الأشياء مع فعل الله تعالى متمسكا من حاله تاركا لاختياره ولله سبق كثيرا من التقديمين في تحقيق ترك الاختيار وأينا منه وشاهدنا أحوالا صعبة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيئا كل يوم من الخبز أحمله إليك ولكي قلت الصوفية يقولون المعلوم شؤم قال الشيخ بخن ماقول المعلوم شؤم فإن الحق يسفي لنا وضه نرى فكل مايقسم لنا

إخوانه في كل ما يقصده ويقبل إشاراتهم فقد قال تعالى - وعاورهم في الأمر - وبنيتي أن لا يغني عنهم شيئا من أسرارهم كما روى أن يقرب ابن أخي معروف قال جاء أسود بن سالم إلى عمي معروف وكان مواخيا له فقال إن جبرين الحارث يحب مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافئك بذلك وقد أرسلني إليك يسألك أن تقفده فإني كنت بينه وبينه أخوة يحسبها ويستد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لا يجب أن يشتر بها ذلك ولا يكون بينك وبينه مزاجرة ولا ملاقة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف أما أنا لو اتيت أحدا لم أحب مفارقتة إلا ولا نهارا ولزمته في كل وقت وأمرته على شئ في كل حال ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله ﷺ عليا فشاركه في العلم (١) وقامه في البدن (٢) وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاته (٣) وأنا أشهدك أن قد عقدت له أخوة بيني وبينه وعقدت إخاءه في الله لرسالتك ولسألتك على أن لا يزوري إن كره ذلك ولكني أزوره متى أحببت ومرة أن يلقاني في مواضع نلتقي بها ومرة أن لا يغني على شيئا من شأنه وأن يطلقني على جميع أحواله فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضي وسر به فهذا جامع حقوق الصحة وقد أجملناه مرة وفضلناه أخرى ولا يمت ذلك إلا بأن تكون على شك للأخوان ولاتكون لنفسك عليهم وأن تنزل شك منزلة الخادم لهم فتعبد بحقوقهم جميع جوارحك . أما البصر فبأن تنتظر إليهم نظر رودة يعرفون منك وتنتظر إلى محاسنهم وتتعاين عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطي كل من جلس إليه نصيبا من وجهه وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسأله وتوجهه للجالس إليه (٤)

من حديث أن هريرة تقدم في أثناء حديث لاندابروا في هذا الباب (١) حديث آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه في العلم والناس في الخصائص من سننه الكبرى من حديث على قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين عبد المطلب الحديث وفيه فأيكم يبايني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي فلم يبق إلي أحد فقممت إليه وفيه حتى إذا كان في الثالثة ضرب يده على يدي وله وللحاكم من حديث ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إني لأخوه ووليّه ووارث علمه الحديث وكل ما ورد في أخوته فضيف لا يصح منه شيء وللترمذي من حديث ابن عمر وأنت أخي في الدنيا والآخرة وللحاكم من حديث ابن عباس أنا مدينة العلم وعلى باها وقال صحيح الإسناد وقال ابن حبان لأصله وقال ابن طاهر إنه موضوع وللترمذي من حديث على أنا دار الحكمة وعلى باها وقال غريب (٢) حديث مقامته عليا للبدن مسلم في حديث جابر الطويل ثم أعطى عليا فخر ماعبر وأشركه في هديه (٣) حديث أنه أنكح عليا أفضل بناته وأحبهن إليه هذا معلوم مشهور في الصحيحين من حديث علي لما أردت أن أبقى فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وأعدت رجلا صواغا الحديث وللحاكم من حديث أم أيمن زوج صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا الحديث وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين الحديث (٤) حديث كان يعطي كل من جلس إليه نصيبا من وجهه الحديث الترمذي في التباين من حديث على في أثناء حديث فيه يعطي كل جلسائه نصيبا لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو يعييسور من القول ثم قال مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وفيه يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون منه وللترمذي من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب

نزه مباركا ولا نراه
شوما أخبرنا أبو زرعة
إجازة قال أني أنا أبو بكر
ابن أحمد بن خلف
الشيرازي إجازة قال أنا
أبو عبد الرحمن السلي
قال سمعت أبا بكر بن
شاذان قال سمعت أبا
بكر السكتاني قال كنت
أنا وعمرو وللكي وعياش
ابن الهدي نضطب
ثلاثين سنة فصي
الشداء على طهر البصر
وكنا نقودا بمكة على
التجريد مانا على
الأرض ما يساو فلسا
وربما كان يصحبنا
الجوع يوما ويومين
وثلاثة وأربع وخمسة
ولا نأكل أحدا فان
ظهر لنا شيء وعرفنا
وجهه من غير سؤال
ولا تمرض قبلناه
وأكلناه وإلا طوينا
فاذا اشتد بنا الأمر
وخفنا على أنفسنا
التقصان في القرائض
قصدا أباسيد الحراز
فيتخذنا ألوانا من
الطعام ولا قصد غيره

وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا وجوه أصحابه وتعبجا مما يحدثونه به وكان يضحك أصحابه عنده التبس اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام . وأما السمع فبأن تسمع كلامه متلذذا بجماله ومصداقه ومظهرا للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فان أرهقك عارض اعتذرت إليهم ونحرس صمك عن صماع ما يكبرهون . وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفهمون . وأما اليدان فأن لا يقبض معان معاوتهم في كل ما يتعاطى اليده . وأما الرجلان فأن يمشي بهما وراهم مشي الأتباع لا مشي التبويعين ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه ولا يقر بربهم إلا بقدر ما يقر بهونه ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقعودهم ويقعد متواضعا حيث يقعد ومهما تم الأعداد خف حملهم هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصلوة وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف فإذا تم الأخذ انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به إلا ميسلا نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن تكسيف الظاهر ما فيها ومن كان نظره إلى هبة الخلق فزارة يستقيم ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحجب فخلق وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها أعلى أنواع الخدمة فإذ لا وصول إليها إلا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القام الصائم وزيادة .

[خاتمة لهذا الباب] نذكر فيها جملة من آداب الشريعة والمجالسة مع أئمة الحلقات من أئمة الحلقات من كلام بعض الحكماء . إن أردت حسن الشريعة فالحق صدقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلم ولا هبة منهم وتوقير من غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع أمورك في وسطها فكل طرفي قصدا للأمر وذم ولا تنظر في عطفك ولا تنكر الالتفات ولا تنف على الجماعات وإذا جلست فلا تسوفز وتحفظ من تنبيك أصابعك والعبث بلبثك وخاتمك وتخليل أسنانك وإدخال أصبعك في أنفك وكثرة صباقك وتحنك وطرد الله باب من وجهك وكثرة التخطي والتأوب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيره وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واضحا إلى الكلام الحسن بمن حديثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته واستكن عن الضاحك والحكايات ولا تحدّث عن إعجابك بولدك ولا جارتك ولا شريكك ولا تصنيفك وسائر ما يخصك ولا تصنع صنع المرأة في الزين ولا تبدل تبدل العبد وتوق كثر الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم إن رأوه قليلا هنت عندهم وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم خوفا من غير عنف وإن لم من غير ضعف ولا هزل لم تكن ولا عبيدك فيسقط وقارك وإذا خاتمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب مجملتك ونفسك في حجبك ولا تنكر الإشارة بيدك ولا تنكر الالتفات إلى من وراءك ولا تجت طي ركبتيك وإذا هدا غيظك فسلم وإن قربك سلطان فكن منه على مثل حد السنان فان استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفقه به رفقا بالهي وكله بما يشتهي مالم يكن معصيا ولا يعملك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطه الدخال بين الملك وبين أهله سقطه لا تنس وزلة لا تنال وإياك وصديق العاقبة فانه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك وإذا دخلت مجلسا فأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع وأن تحمي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست فأدبه غش البصر ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لوضع الصباق ولا تصب في جهة القبلة ولا عن

ولا يتبسط إلا إليه لما تعرف من خواء ورعه . وقيل لأبي يزيد ما نراك تشتغل بكسب فنأين معاشك فقال مولاي يرقى الكعب والخزير تراه لا يرقى أبا يزيد . قال السلي سمعت أبا عبد الله الرازي يقول سمعت مظهرا القرميضي يقول الفقير الذي لا يكون له إلى الله حاجة . وقيل ليضيم ما الفقر قال وقوف الحاجة على القلب وعوها من كل أحد سوى الرب . وقال بعضهم أخذ الفقير الصدقة ممن يعطيه لا يمن تصل إليه على يده ومن قبل من الوسائط فهو الترسيم بالقرع مع دأته . أنبأنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي قال أنعمصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد ابن منصور الصفاق قال أنا أبو بكر أحمد بن

بمنك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تعالى الملوك فان قلت فأذهب ترك القصة ومجانة الكذب وصيانة السروقة الخواصم وتهذيب الألفاظ والاعراب في الخطاب والذاكر بخلق الملوك وقلة الدعاة وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت لك الودقة لأن لا تتجسأ بمحضرتهم ولا تتخلل بعد الأكل عنده وعلى الملوك أن يحتمل كل شيء إلا إفساء السرو والقدح في الملك والتعرض للحرمان لتجالس العامة فان قلت فأذهب ترك الخوض في حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيمهم والتفافل عما يجري من سوء أفعالهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم وإياك أن تمازج لبيبا أو غير لبيب فان اللبيب بمقدد عليك والسفيه يغترى عليك لأن المزاح يخرق الحياء ويسقط ماء الوجه ويقتب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرى السفيه ويسقط اللزلة عند الحكم ويعتقه التكون وهو يمتد القلب ويساعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث القلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر ويكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح إلا من سخط أو بطر ومن بلى في مجلس مزاح أو لفظ فليذكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من جلس في مجلس فكثر فيه لظفه قال قيل أن يقوم من مجلسه ذلك سبيحانك اللهم ومحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفر لك وأتوب إليك لا يغفر له ما كان في مجلسه ذلك » (١) .

(الباب الثالث في حق السلم والرحم والجوارح والملك وكيفية المعاشرة مع من بدلى بهذه الأسباب)
اعلم أن الانسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تعدد عيش الانسان إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة وكل غلط في مخالطته أدب والأدب على قدر حقه وقته على قدر رابطة التي بها وقعت المخالطة والرابعة إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الاسلام وهي أعمها وينطوي في معنى الأخوة الصداقة والصحة وإما الجوارح وإما صفة السفر والكتب والدرس وإما الصداقة أو الأخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم أحرم أكد وللمرحم حق ولكن حق الوالدین أكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربهم من الدار وبعدة ويظهر التفاوت عند النسبة حتى إن البليد في بلاد القرية يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوارح في البلد وكذلك حق للسلمتأ كدبتأ كد للعرفة وللعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل أكد منه للعرفة بعد وقوعها تأكد بالاختلاط وكذلك الصحة تتفاوت درجاتها فحق الصحة في الدرس والكتب أكد من حق صحة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فاتها إذا قويت صارت أخوة فان ازدادت صارت محبة فان ازدادت صارت خلة والخليل أقرب من الحبيب الحبيب فالحبة ماتت من حبة القلب والخلة ماتت من سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليل وتتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم الشاهد والالتجربة فأما كون الخلة فوق الأخوة فمما أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وتعرف من قوله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذًا أخلايا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبك خليل الله » (٢) إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزائه قلبه ظاهرًا وباطنًا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منعه الخلة عن الاشتراك فيهمع أنه اتخذ عليا رضي الله عنه أخا فقال « على مني منزلة هرون من موسى إلا النبوة » (٣) .

(١) حديث من جلس في مجلس فكثر فيه لظفه فقال قيل أن يقوم من مجلسه ذلك سبيحانك اللهم ومحمدك الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه .

(الباب الثالث في حقوق السلم والرحم والجوارح)

(٢) حديث لو كنت متخذًا أخلايا لاتخذت أبا بكر خليلًا الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري

(٣) حديث على مني منزلة هرون من موسى إلا النبوة متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص .

خلف الشيرازي قال
أنا أبو عبد الرحمن
الصلي قال سمعت أحمد
ابن حنبل بن جعفر يقول
سمعت أن أبا سلمان
الداراني كان يقول
آخر أقدام الزاهدين
أول أقدام التوكلين .

روى أن بعض العارفين
زهد فبلغ من زهده
أن فارق الناس وخرج
من الأمصار وقال
لا أسأل أحدا شيئا
حتى يأتيني رزقي فأخذ
يسبح فأقام في سفح
جبل سبعًا لم يأت به شيء
حتى كاد أن يتلف فقال
يا رب إن أحببتني فأنني
برزقي الذي قسمت لي
وإلا فاقضني إليك
فألمسه الله تعالى في
قلبه وعزتي وجلالي
لأن رزقي حتى تدخل
الأمصار وتقيم بين
الناس فدخل المدينة
وأقام بين ظهرائي
الناس فجاء هذا
بطعام وهذا بشراب
فأكل وشرب فأوجس
في نفسه من ذلك

فصل بلى عن النبوة كما عدل بأن بكر عن الحقة فشارك أبو بكر علياً رضي الله عنهما في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الحقة وأهليته لها لو كان للشركة في الحقة مجال فانه نيه عليه بقوله لا اتخذت أبا بكر خليلاً وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليفه وقد روى أنه صمد النبي يوماً مستبشراً فرحاً فقال «إن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى» (١) فاذن ليس قبل المرفة رابطة ولا بعد الحقة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصلوة والأخوة ويدخل فيهما ماوراءهما من المحبة والحقة وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة حتى يمتد أعضاها إلى أن يوجب الاشارة بالنفس والمال كما أثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما أثره طلحة بيده إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم ونحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك أعني ملك المؤمنين فان ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح .

﴿ حقوق المسلم ﴾

(١) هي أن تسلم عليه إذا لقيت وتحيه إذا دعاك وتشمته إذا عطس وتموده إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات) وتبرقسه إذا أغمى عليك وتصنع له إذا استنصحك وتخفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك وتحبه له ما يحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك (٢) ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تأثيهم » (٣) وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى - رحما بينهم - قال يدعو صالحهم لطالهم وطالهم لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فإيا قسمت له من الخير وبنته عليه وانفعا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته . ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر أعضائه بالحق والسر » (٤) وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (٥) ومنها أن لا يؤذى أحداً من المسلمين بفعل ولا قول قال رسول الله ﷺ « السلم من سلم للمسلمين من لسانه ويده » (٦)

(١) حديث إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله فأنا حبيب الله وأنا خليل الله .

(الأخبار الواردة في حقوق المسلم على المسلم)

(٢) هو أن يسلم عليه إذا لقيت فذكر عشر خصال الشيطان من حديث أبي هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعبادة الرضى وإتباع الجناز وإجابة الدعوة وتشميت العطاس وفي رواية سلم حق المسلم على المسلم ست إذا لقيت تسلم عليه وزاد وإذا استنصحك فأتصحه وللمتدنى وابن ماجه من حديث علي السلم على المسلم ست فذكر منها ما يجب عليه نفسه وقال وينصحه له إذا غاب أو شهد أو أُلحِد من حديث معاذ وأن يحب للناس ما يحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفي الصحيحين من حديث البراء أمرونا رسول الله ﷺ بسبع فذكر منها وإبرار القسم ونصر الظالم (٣) حديث أنس أربع من حقوق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تأثيهم ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له إسناداً (٤) حديث النعمان بن بشير مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الحديث متفق عليه (٥) حديث أبي موسى المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً متفق عليه (٦) حديث السلم من سلم للمسلمين من لسانه ويده متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو .

فسمع هاتفا أردت أن
تبطل حكمته زهدك
في الدنيا أما علمت أن
يرزق العباد بأیدی
العباد أحب إليه من
أن يرزقهم بأیدی
القدرة فالواقف مع
الفتوح استوى عنده
أیدی الآدميين وأیدی
اللائكة واستوى
عنده القدرة والحكمة
وطلب القفار والتوصل
إلى قطع الأسباب من
الارتهاق وبؤية
الأسباب وإذا صح
التوحيد ثلاثت
الأسباب في عين
الانسان . أخبرنا
شيخنا قال أنا أبو حفص
عمر قال أنا أحمد
ابن خلف قال أنا
أبو عبد الرحمن قال
أنا محمد بن أحمد بن
حمدان العكبري قال
سمعت أحمد بن محمد
ابن اليسرى يقول
سمعت محمداً الإفكاف
يقول سمعت يحيى بن
معاذ الرازي يقول من
استفتح باب العاش

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل «فإن لم تقدر فدع الناس من الشر ففاتها صدقة تصدقت بها على نفسك» (١) وقال أيضا «أفضل المسلمين من سلم السلمون من لسانه ويده» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «أتدرون من السلم قالوا الله ورسوله أعلم قال السلم من سلم السلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من آمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه» (٣) وقال رجل يارسل الله ما الإسلام قال «أن يسلم قلبك لله ويسلم السلمون من لسانك ويدك» وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحد منهم جلده فينادى بأفان هل يؤدبك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذى المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين» (٤) وقال أبو هريرة رضي الله عنه «يارسل الله علفي شيئا أتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من زحرج عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة» (٦) وقال يلق «لا يعمل المسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه» وقال «لا يعمل المسلم أن يروع مسلما» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يكره أذى المؤمنين» (٨) وقال الربيع بن خثيم الناس رجال من مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله . ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل مختال فخور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعا حتى لا يفخر أحد على أحد» (٩) ثم إن تفاخر عليه غيره فاحمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - وعن ابن أبي أوفى «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته» (١٠)

(١) حديث فإن لم تقدر فدع الناس من الشر ففاتها صدقة تصدقت بها على نفسك متفق عليه من حديث أبي ذر (٢) حديث أفضل المسلمين من سلم السلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أتدرون من السلم قالوا الله ورسوله أعلم قال السلم من سلم السلمون من لسانه ويده الطبراني والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد الأخرم بالؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والسلم من سلم السلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب رواه ابن ماجه مقتصر على المؤمن والمهاجر وللحاكم من حديث أنس وقال على شرط مسلم والمهاجر من هجر السوء ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمر بن عيسى قال رجل يارسل الله ما الإسلام قال أن تسلم قلبك لله ويسلم السلمون من لسانك ويدك (٤) حديث لقد رأيت رجلا في الجنة يتقلب في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة يارسل الله علفي شيئا أتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة قال قلت يا نبي الله فذكره (٦) حديث من زحرج عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب الله بها حسنة أوجب له بها الجنة أحمد بن محمد بن أبي الدرداء بإسناد ضعيف (٧) حديث لا يعمل المسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسل بإسناد ضعيف وفي البر الوصلة له من زيادات الحسين المروزي حمزة بن عبد الله بن أبي سمى وهو الصواب (٨) حديث إن الله تعالى يكره أذى المؤمنين ابن المبارك في الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسل بإسناد جيد (٩) حديث إن الله أوحى إلى أن تواضعا حتى لا يفخر أحد على أحد أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حماد ورجاله رجال الصحيح (١٠) حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته النسائي بإسناد صحيح والحاكم وقال على شرط الشيخين .

بغير مفاتيح الأقدار
وكل إلى الخلوقين .
قال بعض النقطيين
كنت ذا صنعة جليلة
فأريد مني تركها خفاك
في صدرى من أين
الغاش فتهف في
هاتف لا أراه تنقطع
إلى وتبني في رزك
على أن أخدمك وليا
من أوليائي أو أسخر
لك منافع من أعدائي
فما صبح حال الصوفي
واقطعت أطعاف
وسكنت عن كل تشوف
وقطعت خدمته الدنيا
وصلحت له الدنيا خادمة
وما رضيتا مخدومة
فصاحب الفتوح يرى
حركة النفس بالتشوف
جانية وذنباً . روى
أن أحمد بن حنبل
خرج ذات يوم إلى
شارع باب الشام
فاشترى دقيقاً ولم يكن
في ذلك الوضع من
يعمله نوافي أبواب
الحال فعمله ودفع إليه
أحمد أجره فلدخل
الدار بعد إذ نه انفق

ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قات » (١) وقال الحليل بن أحمد من ثم لك نعم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك . ومنها أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه . قال أبو أيوب الأنصاري قال صلى الله عليه وسلم « لا يعل مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » (٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أقال مسلماً عشرته أقاله الله يوم القيامة » (٣) قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن إخوتك رفعت ذكرك في الدارين . قالت عائشة رضى الله عنها « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله » (٤) وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما عفا رجل عن مظلة إلا زاده الله بها عزاً . وقال صلى الله عليه وسلم « ما قص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بقفو إلا عزا وما من أحد تواضع لله إلا رفاه الله » (٥) ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل ؛ روى علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فان أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله » (٦) وعنه بإسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر » (٧) قال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحد يده فيزعه يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرف عنه حتى يفرغ من كلامه » (٨) ومنها أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثاً فان لم يؤذن له انصرف . قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون » (٩) ومنها أن يخالف الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقتهم فانه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمي بالفقه والعلي بالبيان أدى وتأذى . ومنها أن

(١) حديث لا يدخل الجنة قات متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث أنى أي أيوب لا يعل مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الحديث متفق عليه (٣) حديث من أقال مسلماً عشرته أقاله الله يوم القيامة أبو داود والحاكم وقد تقدم (٤) حديث عائشة ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله متفق عليه بافظ إلا أن تنتهك (٥) حديث ما قص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بقفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفاه الله مسلم من حديث أنى هريرة (٦) حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده اصنع المعروف إلى أهله فان لم تصب أهله فأنت أهله ذكره الدارقطني في اللعل وهو ضعيف ورواه القضاة في مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلاً بسند ضعيف (٧) حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر الطبراني في الأوسط والحطابي في تاريخ الطالبيين وعنه أبو نعيم في الحلية دون قوله واصطناع إلى آخره وقال الطبراني التجب . (٨) حديث أنى هريرة كان لا يأخذ أحد يده فيزعه يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها الحديث الطبراني في الأوسط بإسناد حسن ولأن داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف (٩) حديث أنى هريرة الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون الدارقطني في الأفراد بسند ضعيف وفي الصحيحين من حديث أنى موسى الاستئذان ثلاث فان أذن لك وإلا فارجع .

أن أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرأه أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحد لابنه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما قال أحمد ضهما ثم صبر قليلاً ثم قال خذها فألقه بها فلحقها فأخذها فرجع صالح متعباً فقال له أحمد عجبت من رده وأخذته قال نعم قال هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرفت نفسه إليه فلما أعطته مع الاستشراف رده ثم أيس فردناه إليه بعد الإياس قبله . هذا حال أرباب الصدق إن سألوها سألوا يعلم وإن أسكوا عن السؤال أسكوا بحال وإن قبلوا قبلوا يعلم فن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم فأما السائل

يوقر الشايخ ويرحم الصبيان . قال جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » (١) قال عليه السلام « من إجلال الله إكرام ذى الشبهة للسلم » (٢) ومن عام توقير الشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن ، وقال جابر « قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فأذن الكبير » (٣) وفي الخبر « ما وقر شاب شيئا إلا أقيض الله في سنه من يوقره » (٤) وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلا يوقر لتوقير الشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر ، وقال عليه السلام « لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا وللمطر قيطا وتفيض الآثام فيفيض الكرام غيضا ويجترى الصغير على الكبير والشيخ على الكرم » (٥) « والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله عليه السلام » (٦) . « كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيلتقاء الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفضون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم » (٧) فرعا تفاخر الصبيان بذلك يقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك أنت وراءه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم « وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة وليسميه فيأخذه فيضه في حجره فرعا بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول : لاتزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهل فيه للابروا أنه تأذى بوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بده » (٨) ومنها أن يكون

مستكرا فوق الحاجة لاقى وقت الضرورة فليس من الصوفية شيء . سمع عمر رضى الله عنه سالا يسأل فقال لمن عنده ألم أقل لك عشي السائل قال قد عشتبه فظن عمر فاذا تحت إبطه علة مملوءة خبزا قال عمر ألك عيال قال لا قال عمر لست بسائل ولكنك تاجر ثم ترحلته بين يدي أهل الصدقة وضربه بالردة وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال إن الله تعالى في خلقه ميثوبات وقر وعقوبات قرر فن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويسعى ربه ويكثر الشكاية ويشخط لقضاء فعال الصوفية حسن الأدب

(١) حديث جابر ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا الطبراني في الأوسط بسند ضعيف وهو عند أبي داود والبخاري في الأدب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن (٢) حديث من إجلال الله إكرام ذى الشبهة للسلم أبو داود من حديث أنى موسى الأشعرى بإسناد حسن (٣) حديث جابر قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فأذن الكبير الحاكم وصححه (٤) حديث ما وقر شاب شيئا لسنه إلا أقيض الله في سنه من يوقره الترمذى من حديث أنس بلفظ ما أكرم ومن يكرمه وقال حديث غريب وفي بعض النسخ حسن وفيه أبا الرجال وهو ضعيف (٥) حديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والطريقا الحديث الخرافى في مكالم الأخلاق من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود وإسنادهما ضعيف (٦) حديث التلطف بالصبيان البزار من حديث أنس كان من أنفك الناس مع صبي وقد تقدم في التكاح وفي الصحيحين يا أبا عمير ما فضل الصغير وغير ذلك (٧) حديث كان يقدم من السفر فيلتقاء الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفضون إليه الحديث مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان إذا قدم من سفر تلقى بنا قال فيأتني وبالحسن وقال فعمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه وفي رواية تلقى بصبان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبقني إليه فحملني بين يديه ثم جىء بأحدائى فاطمة فأراده خلفه وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير أنه ذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس قال نعم فعملنا وتركك لفظ مسلم وقال البخاري إن ابن الزبير قال لابن جعفر فاقه أعلم (٨) حديث كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة ويسميه فيأخذه ويضمه في حجره فرعا بال الصبي فيصيح به بعض من رآه الحديث مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيرك عليهم ويحسبهم فأتى صبي فقال عليه فدعا بأمه فأتته بوله ولم ينسله وأصله مثق عليه وفي رواية لأحمد فيدعولهم وفيه صبرا عليه الماء صبا ولقد ارتضى بال ابن الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه أخذا عني الحديث وفيه الحاج بن أرمطة ضعيف ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا إذ بال قامت لتأخذه وتضربه قال دعاه اتنوني بكوز

مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفقا . قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال على الذين ألحقوا السبل القريب ^(١) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب السبل الطلق الوجه ^(٢) » وقال بعضهم : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال « إن من موجبات الغفرة بذل السلام وحسن الكلام ^(٣) » وقال عبد الله بن عمر إن البري مني وجهه طلق وكلامه لين وقال ^(٤) « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكرة طيبة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة نرقا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها : قال أعرابي لمن هي يا رسول الله ؟ قال « ولئن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ^(٦) » وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخض الجناح ^(٧) » وقال أنس رضي الله عنه « عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت : لي ملك حاجة وكان معه ناس من أصحابه فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت اجلسي إليك فضلت فجلس إلي الباجني فقتل حاجتها ^(٨) » وقال وهب بن منبه إن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام فقال الله تعالى أنه يريه كيف ينوي الشيطان الناس فلما طالع عليه ذلك ولم يجب قال لو اطعتم على خطيئتي وذنبتي بيني وبين ربك لكان خيرا لي من هذا الأمر الذي طلبته فأرسل الله إليه ملكا فقال له إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فظفر فاذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذباب فقال أرى رب من ينجو من هذا قال الورع اللين . ومنها أن لا يمد مسلما بوعدا وبقي به قال ^(٩) « المدة عطية ^(١٠) » وقال « ثلاث في النفاق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتهم خان ^(١١) » وقال « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى ^(١٢) » وذكر ذلك

في ماء الحديث وإسناده صحيح ^(١) حديث أتدرون على من حرمت النار قالوا أنورسوله أعلم قال الحسين ابن السبل القريب الترمذي من حديث ابن مسعود ويطبق الحديث وذكرها الحرائطي من رواية محمد بن أبي ميثيب عن أبيه قال الترمذي حسن غريب ^(٢) حديث أبي هريرة إن الله يحب السبل الطلق البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية موري العجلي مرصلا ^(٣) حديث إن من موجبات الغفرة بذل السلام وحسن الكلام ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والحرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث هاني بن يزيد بإسناد جيد ^(٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقدم في الزكاة ^(٥) حديث إن في الجنة نرقا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها الحديث الترمذي من حديث علي وقال حديث غريب . قلت وهو ضعيف ^(٦) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث الحرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية ولم يقل البيهقي وخض الجناح وإسناده ضعيف ^(٧) حديث أنس عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي ملك حاجة فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت اجلسي إليك الحديث رواه مسلم ^(٨) حديث المدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قيات بن أشيم بسند ضعيف ^(٩) حديث المدة دين الطبراني في معجمه الأوسط والأصغر من حديث علي وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في الراشدين ^(١٠) حديث ثلاث في النفاق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتهم خان متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه ^(١١) حديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى البخاري من حديث أبي هريرة

في السؤال والفتوح والصدق مع الله على كل حال كيف خلب [السباب الحادي والعشرون في شرح حال التجرد والتأهل من الصوفا وصحة مقادير] الصوفي يتزوج ثم كما يتجرد ثم فلتجرده مقصد وأوان ولتأهله مقصد وأوان والصادق يسلم أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجوانح للصوفي ملهم بلجام العلم مهما يصلح له التجرد لا يستعمله الطبع إلى التزوج ولا يقدم على التزوج إلا إذا انصلحت النفس واستحقت إدخال الرفق عليها وذلك إذا صارت متقادة مطوعة بحجة إلى ما يراود منها بتأية الطفل الذي يتعاهد بما يروقه له ويمنع عما يضره فإذا صارت النفس محكومة مطوعة قد جاءت إلى أمر الله وتصلت عن مشاحة

ومنها أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال صلى الله عليه وسلم
 « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه
 وبذل السلام ^(١) » وقال عليه السلام « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته
 وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه ^(٢) » وقال
 صلى الله عليه وسلم « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك
 تكن مسلما ^(٣) » قال الحسن : أوحى الله تعالى إلى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال وقال فهن :
 جماع الأمر لك ولولئك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق
 فأما التي لي فتمدني ولا تشرك بي شيئا وأما التي لك فمهلك أجزيك بما أقصر ما تكون إليه وأما التي
 بيني وبينك فمهلك الدعاء وعلى الإجابة وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك
 به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال أي رب أي عبادك أعبد قال من أنصف من نفسه .
 ومنها أن يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فيزل الناس منازلهم روى أن عائشة
 رضى الله عنها كانت في سفر فزلت منزلا فوضت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة تناولوا هذا المسكين
 قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه إلى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين هذا الذي
 فقالت إن الله تعالى أنزل الناس منازل لا بد لنا من أن نزلهم تلك المنازل هذا المسكين رضى بقرص
 وقبض بنا أن نعطي هذا الذي على هذه الهيئة قرصا وروى أنه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوت
 فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقدم على
 الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فأقاه إليه وقال له اجلس على هذا فأخذ جرير ووضعه
 على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لقه ورمى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لأجلس على
 ثوبك أكرمك الله كما أكرمتني فظفر النبي صلى الله عليه وسلم بينا وشمالا ثم قال « إذا أتاكم كريم
 قوم فأكرموه ^(٤) » وكذلك كل من له عليه حق فديم فليكرمه ، روى « أن ظئرا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أتى أرضه فجاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأبي ثم أجلسها على الرداء
 ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطى فقالت قومي فقال لها حق وحق بي هاشم فهو لك فقام الناس من كل
 ناحية وقالوا وحققنا يا رسول الله ثم وصلها بعد وأخدمها وهب لها سهما نه بخين ^(٥) » فيبع ذلك
 من عثمان بن عفان رضى الله عنه بمائة ألف درهم « ولربما أتاه من يأتيه وهو على وسادة
 وأصله متفق عليه ولفظ مسلم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وهذا ليس في البخاري ^(١) حديث
 لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه
 وبذل السلام الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقفه البخاري عليه
^(٢) حديث من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا
 رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
 نحوه والخرائط في مكارم الأخلاق يلفظه ^(٣) حديث يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن
 مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف
 والمعروف أنه قاله لأبي هريرة وقد تقدم ^(٤) حديث إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وفي أوله قصة
 في قدوم جرير بن عبد الله الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وتقدم في الزكاة مختصرا
^(٥) حديث إن ظئرا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أرضه فجاءت إليه فبسط لها رداءه الحديث
 أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي الطيفيل مختصرا في بسط رداءه لها دون ما بعده .

القلب فيصلح بينهما
 بالعدل وينظر في أمرهما
 بالقسط ومن صبر من
 الصوفية على العزوبة
 هذا الصبر إلى حين
 بلوغ الكتاب أجله
 ينتخب له الزوجة اختيارا
 وبهوى الله له أعوانا
 وأسبابا ويتم برقيق
 يدخل عليه ورزق
 يساق إليه ومضى استعجل
 للرشد واستغفره الطبع
 وخامره الجبل يوران
 دخان الشهوة اللطيفة
 لشعاع العلم وأخط من
 أوج المزعمة الذي هو
 فضيلة حاله وموجب
 إرادته وشريطة صدق
 طلبه إلى حضيض
 الرخصة التي هي رحمة
 من الله تعالى لعامة خلقه
 يحكم عليه بالانصاف
 ويشهد له بالخير
 ومثل هذا الاستعجال
 هو حضيض الرجال
 قال سهل بن عبد الله
 التستري إذا كان للديد
 مال يتوقع به زيادة
 فدخل عليه الابتلاء
 فرجوعه في الابتلاء

جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فيزعيها ويضعها تحت الذي يجلس إليه فان أذى عزم عليه حتى شمل^(١)». ومنها أن يصاح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين^(٣) » وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضي الله عنه قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه بإرسول الله بأى أنت وأمى ما الذى أضحكك قال رد جان من أمى جنباً بين يدي رب العزة فقال أحدها يارب خذنى مظلم من هذا قال الله تعالى رد على أخيك مظلمته فقال يارب لم يبق لى من حسناتى شىء فقال الله تعالى للطالب كيف تمنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شىء فقال يارب فليحمل عنى من أوزارى ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال إن ذلك يوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يعمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تعالى أى للمتظلم أرفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصور من ذهب مكللة بالؤلؤ لأى نبى هذا أولأى صديق أولأى شهيد قال الله تعالى هذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة^(٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا^(٥) » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسهل الواجب إلا بواجب أكد منه قال صلى الله عليه وسلم « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لأمراته لرضيها^(٦) ». ومنها أن تستر عورات المسلمين كلم قال صلى الله عليه وسلم « من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة^(٧) » وقال « لا يستر عبدا إلا ستره الله يوم القيامة^(٨) »

(١) حديث نزع صلى الله عليه وسلم وسادته ووضعها تحت الذي يجلس إليه أحمد من حديث ابن عمر أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فألقى إليه وسادة من آدم حشوها ليف الحديث وإسناده صحيح للطبراني من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فألقاه إلى الحديث وسنده ضعيف قال صاحب اللباز هذا خبر ساقط (٢) حديث ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين الحالقة أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي البرداء (٣) حديث أفضل الصدقة إصلاح ذات البين الطبراني في الكبير والخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الأترقي ضعه الجمهور (٤) حديث أنس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر بإرسول الله بأى وأمى ما الذى أضحكك قال رد جان من أمى جنباً بين يدي رب جل وقال أحدهما يارب خذنى مظلم من هذا الحديث الخرائطى في مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الاستاد وكذا أبو يعلى الوصلى خرج بطول وضعه البخارى وابن حبان (٥) حديث ليس بكذاب من أصلح بين اثنين قال خيرا أو نعى خيرا منق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (٦) حديث كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب الحديث الخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث النواس ابن سمعان وفيه إقطاع وضمف ولم نخوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة (٧) حديث من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة مسلم من حديث أبي هريرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة (٨) حديث لا يستر عبدا إلا ستره الله يوم القيامة مسلم من حديث أبي هريرة أيضا

إلى حال دون ذلك نقصان وحدث وصحت بعض الفقهاء وقد قيل لهم لا تزوج فقال المرأة لا تصلح إلا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال فكيف أزوج فالصادقون لهم أو أن بلوغه عنده يتزوجون وقد تعارضت الأخبار وتماثلت الآثار في فضيلة التجريد والتزويج وتنوع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فتوسع الأحوال ففهم من فضيلته في التجريد ومنهم من فضيلته في التأهل وكل هذا التعارض في حق من نازت وقته رد وسلام لكل تقواه وقهره وهواه وإلا ففى غير هذا الرجل الذى يخاف عليه الفتنة يجب النكاح في حال التوقان للفرط ويكون الخلاف بين الأئمة في غير الناقص فالصوفي إذا صار متأهلاً يتعين على الإخوان معاوثة

وقال أبو سعيد الحدرى رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة» (١) وقال عليه السلام لما عزله أخوه «لو سترته بثوبك كان خيرا لك» (٢) فإذن على السلم أن يستر عورة نفسه حتى يسلمه واجب عليه كحق إسلام غيره قال أبو بكر رضى الله عنه لو وجدت شارباً لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقاً لأحببت أن يستره الله وروى ابن عمر رضى الله عنه كان يسى بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال لناس أرايتم لو أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا إنما أنت إمام فقال صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك إذا قام عليك الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ثم تركهم ماشاء الله أن يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقاتلهم الأولي قال صلى الله عليه وسلم مثل مقاتله الأولي وهذا يشير إلى أن عمر رضى الله عنه كان متردداً في أن الولي هل له أن يغضى بلمه في حدود الله فذلك راجعهم في معرض التقدير لافى معرض الإخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفاً بإخباره ومال رأى أى إلى أنه ليس له ذلك وهذا من أعظم الأدلة على طلب السرعة لستر التواشش فإن أخذها الزنا وقد نيط بأربعة من الدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالرود وللحكمة وهذا فقط لا يتفق وإن علمه القاضي تحقيقاً لم يكن له أن يكشف عنه فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرحم الذي هو أعظم العقوبات ثم انظر إلى كيفية ستره كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فترجو أن لا تحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر في الحديث «إن الله إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى» (٣) وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال خرجت مع عمر رضى الله عنه ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دوننا منه إذا باب مطلق على قوم لهم أصوات ولفظ فأخذ عمر يردى وقال أتدري بيت من هذا؟ قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف يوم الآن شرب فلما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتبنا ما هنا الله عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فرجع عمر رضى الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب الصبر وترك التبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية «إنك إن تبعت عورات الناس أفسدتهم وأوكدت تضددم» (٤) وقول صلى الله عليه وسلم «يا مفسر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تقنابوا السليين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته» (٥) وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لو رأيت أحداً على حد من حدود الله تعالى

بالإيثار ومساعدته في الاستكثار إذا روى ضيف الحال قاصراً عن رتبة الرجال كما وصفنا من صبر من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله. أخبرنا أبو زرعة عن والده أبي الفضل القدسي الحافظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أنا أبو الحسين محمد بن عبيد الله ابن أخى يسى قال أنا أبو القاسم عبيد الله ابن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد ابن هرون قال أنا أبو الفيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنا عبد الرحمن ابن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه في نفسه في يومه فأعطى المتأهل حظين والمزب حظاً واحداً فذهينا وكنت أدعى قيل عمار بن ياسر

(١) حديث أبى سعيد الحدرى لارى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة الطبراني في الأوسط والضعيف والحرثي في تكريم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف (٢) حديث لو سترته بثوبك كان خيراً لك أبو داود والنسائي من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الاسناد ونعيم مختلف في صيته (٣) حديث إن الله إذا ستر على عبده عورة في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة الحديث الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث على بن أذنب ذنباً في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فآله أكرم من أن يرجع في شيء قد عفا عنه ومن أذنب ذنباً في الدنيا فغوب عليه فآله أعدل من أن يثنى العقوبة على عبده لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ومسلم من حديث أبى هريرة لآستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة (٤) حديث إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم وأوكدت تضددم قاله لمعاوية أبو داود بإسناد صحيح من حديث معاوية (٥) حديث يامفسر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تقنابوا السليين ولا تتبعوا عوراتهم الحديث أبو داود من حديث أبى برزة بإسناد جيد والترمذى نحوه من حديث ابن عمرو وحسنه.

ما أخذته ولا دعوت له أسدا حتى يكون معي غيرى وقال بضمهم كنت قاعدا مع عبدالله بن مسعود رضاه الله عنه إذ جاءه رجل بأخر فقال هذا نضوان فقال عبدالله بن مسعود استكبهوا فاستكبهوا فوجدته نضوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط ففكس ثم قال للجلاد اجلدوا وارض بك وأعط كل عضو حقه فجلده وعليه قياد أومرط فلما فرغ قال لذى جاء به ما أنت منه قال هم قال عبدالله ما أدبت فأحسنت الأدب ولا سترت الحمة إنه يبنى للامام إذا انتهى إليه حد أن يقبضه وإن الله عفو عاب الصنوف ثمراً - وليفوا وليصفوا - ثم قال (١) إلى لأذ كر أول رجل قطعته النبي ﷺ أتى سارق قطعته فكأنما أسف وجهه فقالوا يارسول الله كأنك كرهت قطعه فقال وما يمنعني لانسكونا عونا للشياطين على أخيك فقالوا الأفعوت عنه قال إنه يبنى للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقبضه وإن الله عفو عاب الصنوف وقرأ - وليفوا وليصفوا إلا أخبر أن يفر الله لك والله غفور رحيم - (٢) وفي رواية فكأنما سقى في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لثمة تبره وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسي بالبدنية من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتخى فصور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال يا بعد الله أظننت أن الله يسرك وأنت على مصبته قال وأنت يا أمير المؤمنين فلا تسجل فإن كنت قد عصيت الله واحدة قد عصيت الله في ثلاثا قال الله تعالى - ولا تجسوا - وقد تجسست وقال الله تعالى - وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها - وقد تسورت على وقد قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الآية وقد دخلت بيتي خير إذن لا سلام قال عمر رضي الله عنه هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين لن عفوت عنى لأعود إلى مثلها أبدا فضافته وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن كيف صحت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة قال صحت يقول (٣) إن الله ليدنى منه المؤمن يضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أعترف ذنب كذا أعترف ذنب كذا فيقول نعم يا رب حتى إذا قرره بذنوبه فرأى في نفسه أنه قد هلك قاله يا عبدى إنى لم أسترها عليك في الدنيا إلا لأرأتى أربداً أنظر هالك اليوم يقطع كتاب حسنة وأما الكافرون ولانفاقون فيقول الأضهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم إلا لعنة الله على الظالمين (٤) وقد قال صلى الله عليه وسلم (٥) كل أمى معافى إلا المهاجرين (٦) وإن من المهاجرة أن يعمل الرجل السوء سرا ثم يخبره وقال صلى الله عليه وسلم (٧) من استمع خبر قوم وهم كارهون صبب في أذنه الآلئك يوم القيامة (٨) ومنها أن يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولأستتمت عن النية فاتهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكاً قال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - وقال صلى الله عليه وسلم (٩) كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ؟ قال نعم يسب أبوى غيره فيسبون أبويه (١٠) وقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(١) حديث ابن مسعود إلى لأذ كر أول رجل قطعته النبي صلى الله عليه وسلم أتى سارق قطعته فكأنما أسف وجهه رسول الله ﷺ الحديث رواه الحاكم كوقال صحيح الإسناد وللخراطى في مكالم الأخلاق فكأنما سقى في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد الحديث (٢) حديث ابن عمر إن الله عز وجل ليدنى المؤمن يضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أعترف ذنب كذا الحديث متفق عليه (٣) حديث كل أمى معافى إلا المهاجرين الحديث متفق عليه من حديث أنى هريرة (٤) حديث من استمع من قوم وهم كارهون صبب في أذنيه الآلئك يوم القيامة البخارى من حديث ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً عليه وعلى أنى هريرة أيضاً (٥) حديث كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ؟ قال نعم يسب أبوى غيره فيسبون أبويه (٦) حديث عبد الله بن عمر نحوه .

فأعطاني حظين وأعطاه
حظاً واحداً فسخط
حق عرف ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فروجه ومن حضره
بقيت معه سلسلة من
ذهب فقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
رضياً بطرف عاه
وسقط وهو يقول
كيف أنتم يوم يكثر
لكم من هذا فإني أجه
أحد قتال حمار وودنا
يأرسول الله لو قد
أُكترنا من هذا
فالتجرد عن الأزواج
والأولاد أعون على
الوقت لفقير وأجمع
لهمه وأنت لبنيته
ويصلح لفقير في ابتداء
أمره قطع الملاق
وعو المواق والتفذل
في الأمفار وركوب
الأخطار والتجرد عن
الأسباب الخرج عن
كل ما يكون حجاباً
والتزوج إعطائاً من
الزعمة إلى الرخص
ورجوع من الروح
إلى النفس وتبدي

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فاني لم أكن أظن فيك فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ^(١) » وزاد في رواية « إلى خشيته أن يقذف في قلوبكم شيئا وكانا رجلين فقال على رسلكما إنها صفية ^(٢) » الحديث وكانت قدزارت في العمر الأواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من أقام نفسه مقام النبي فلا يلومن من أساء به الظن ومر رجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرّة فقال يا أمير المؤمنين : إنها امرأتى فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس ؟ . ومنها أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسمى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم « إن أوتي وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضى الله على يدي نبيه ما أحب ^(٣) » وقال معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشفعوا إلى تؤجروا إن أريد الأمر وأؤخره كي تشفعوا إلى فتؤجروا ^(٤) » وقالم صلى الله عليه وسلم « مامن صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك ؟ قال الشفاعة يحقن بها الدم ويخرجها النفقة إلى آخر ويدفع بها للكروه عن آخر ^(٥) » وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآنى أنظر إليه خلفها وهو يبكي ومدموعه تسيل على لحيته فقال صلى الله عليه وسلم للمعبس ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضا له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوراجعته فإنه أبولذلك قتالت يا رسول الله أتأمرنى فأقول فقال لا إنما أنا شافع ^(٦) » ومنها أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا يحميه حتى يبدأ بالسلام ^(٧) » وقال بعضهم « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع قتل السلام عليكم وادخل ^(٨) » وروى جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان إذا سلم أحكم لم يدخل بيته ^(٩) » وقال أنس رضي الله عنه « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمان حجج فقال لي يا أنس أسبغ الوضوء بزد في عمرك وسلم على

بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والمادة . قال أبو سليمان الهاراني ثلاث من طلبن قد ركنن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج ثبت على مرتبته . أخبرنا الشيخ طاهر قال أنا والذي أبو الفضل قال أنا محمد بن اسمعيل القرري قال أنا أحمد بن الحسن قال أنا حاجب الطوسي قال حدثنا عبد الرحيم قال حدثنا القزازي عن سليمان التيمي عن أبي عثمان الهدي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تركت بدي فتنة أضر على

- (١) حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يا فلان هذه زوجتي صفية وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم (٢) حديث إلى خشيته أن يقذف في قلوبكم شيئا وكانا رجلين فقال على رسلكما إنها صفية (٣) حديث إلى أوتي وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا الحديث متفق عليه من حديث أن موسى نحوه (٤) حديث ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث حمزة بن جندب بسند ضعيف (٥) حديث عكرمة عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآنى أنظر إليه خلفها يبكي الحديث رواه البخاري . (٦) حديث من بدأ بالكلام قبل السلام فلا يحميه الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيلن (٧) حديث دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن قال صلى الله عليه وسلم ارجع قتل السلام عليكم أ أدخل أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كدنة بن الحنبل وهو صاحب القصة (٨) حديث جابر إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان إذا سلم أحكم لم يدخل بيته الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه ضعف .

[١] هذا الحديث ساقط عند العراقي وهو من رواية أبي داود والنسائي وابن عساکر من طريق هام بن منبه عن معاوية كافي الشارح اهـ .

من لقيته من أمي تكتر حسنانك وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك (١) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقى المؤمنان فتصالحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسهما بشرا » وقال تعالى - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - وقال عليه السلام « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله ؟ قال أفشوا السلام بينكم (٢) » وقال أيضا « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه (٤) » وقال عليه السلام « يسلم الزاكب على المائى وإذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم (٥) » وقال قتادة كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام بذي تحية أهل الجنة وكان أبو سلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما معنى إلا أتى أخشى أن لا يرذوا فتلهم الملائكة والمصافحة أيضا سنة مع السلام » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم قال عليه السلام عشرة عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام عليكم قال عليه السلام عشرة عشر حسنات فجاء ثلثون (٦) » وكانت أنس رضى الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نفل ذلك . وروى عبد الحميد بن بهرام « أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالسلام وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية (٨) » فقال عليه السلام « لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه (٩) » وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى حجج فقال لي يا أنس أبلغ الوضوء زد في عمرك وسلم على من لقيته من أمي تكتر حسنانك وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك الخراطى في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وإسناده ضيف والترمذى ومجحه إذا دخلت على أهلك فسلم بكون بركة عليك وعلى أهل بيتك (٢) حديث أنس بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسندوه له في السند (٤) حديث الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه لم أقف له على أصل (٥) حديث يسلم الزاكب على المائى وإذا سلم من القوم أحد أجزأ عنهم ومالك في الوطأ عن زيد بن أسلم مرسل ولأن داود من حديث على يجرى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يسلم الزاكب على المائى الحديث وسيأتي في ثبة الباب (٦) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليك قال صلى الله عليه وسلم عشرة عشر حسنات الحديث أبو داود والترمذى من حديث عمران بن حصين قال الترمذى حسن غريب وقال البيهقي في الشعب إسناده حسن (٧) حديث أنس كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ورفعته متفق عليه (٨) حديث عبد الحميد بن بهرام أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالسلام وأشار عبد الحميد بيده الترمذى من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت زيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبي حسين عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به (٩) حديث لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

الرجال من النساء » وروى رجا بن حيوة عن معاذ بن جبل قال « ابتلينا بالضراء نصبرنا وابتلينا بالبراء فلم نصبر وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسوون بالذهب ولبن ريط الشام وعصب البن وأتعبن الفتي وكفنن الفقير مالا يجد » وقال بعض الحكماء معاملة الزوجة خير من معاملة النساء . وسئل سهل بن عبد الله عن النساء فقال انصبرن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار . وقيل في تفسير قوله تعالى - خلق الانسان ضعيفا - لأنه لا يصبر عن النساء وقيل في قوله تعالى - ربنا ولا تجعلنا مالا لقلوبنا - العلة فان قدر الفقيه على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر بحسن المعاملة في معالجة

« لاسأخو أهل الذمة ولا تبذروهم بالسلم فاذا تيسموم في الطريق فاضطررهم إلى أميق الطرق »
 قالت عائشة رضي الله عنها « إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك
 عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم قالت عائشة رضي الله عنها قتلت بل عليكم السام واللعنة
 فقال عليه السلام يا عائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة ألم تسمع ما قالوا قال فقد قلت
 عليكم ^(١) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على السائى والمائى على القاعد والقليل على الكثير
 والصغير على الكبير ^(٢) » وقال عليه السلام « لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاشارة
 بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالأكف ^(٣) » قال أبو عيسى إسناده ضعيف وقال عليه السلام
 « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى
 بأحق من الأخيرة ^(٤) » وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « إذا التقي المؤمنان
 فقصاها قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسبهما يبرا ^(٥) » وقال عمر رضي الله عنه
 سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا التقي المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا
 نزلت بينهما مائة رحمة لبادي تسعون وللمصافح عشرة ^(٦) » وقال الحسن الصائفة يزيد في الود
 وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام حياتكم بينكم
 الصائفة ^(٧) » وقال عليه السلام « قبله السلم أخاه الصائفة ^(٨) » ولا بأس بقبلة يد العظمى الدين
 تبركا به وتوقيرا له وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم ^(٩)
 وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده ^(١٠) وروى أن
 أعرايا قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك قال فأذن له فعقل ^(١١) ولقي أبو حنيفة

النفس وصبر عنهن
 فقد حاز الفضل
 واستعمل العقل
 واهتدى إلى الأمر
 السهل قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « خيركم بعد المائتين
 رجل خفيف الحاذيل
 يا رسول الله وما خفيف
 الحاذي؟ قال الذي لا أهل
 له ولا ولد » وقال بعض
 الفقهاء لما قيل له تزوج
 أنا إلى أن أطلق نفسي
 أحوج مني إلى الزوج
 وقيل لبشر بن الحرث

إن الناس يتكلمون
 فيك فقال مائة ولون
 قيل يقولون إنه تارك
 للسنة يعني التكاليف فقال
 قولوا لهم أنا مشغول
 بالقرض عن السنة .
 وكان يقول لو كنت
 أعول دجاجة خفت
 أن أكون جلادا على
 الجسر والصوفى مبتلى
 بالنفس ومطالبها وهو
 في شغل شاغل عن
 نفسه فاذا انضاف إلى
 مطالبات نفسه
 مطالبات زوجته

- (١) حديث عائشة إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك الحديث متفق عليه
- (٢) حديث يسلم الراكب على السائى والمائى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم والصغير على الكبير
- (٣) حديث لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالأكف الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف (٤) حديث إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبي هريرة (٥) حديث أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « إذا التقي المؤمنان فقصاها قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسبهما يبرا (٦) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا التقي المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة لبادي تسعون وللمصافح عشرة (٧) حديث أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام حياتكم بينكم الصائفة (٨) حديث عليه السلام « قبله السلم أخاه الصائفة (٩) حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم (١٠) حديث كعب بن مالك قال لما نزلت توبى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده (١١) حديث أن أعرايا قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك فأذن له فعقل الحديث صحيح الإسناد.

عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فصاحه وقبل يده وتنجيا يكيان وعن البراء بن عازب رضى الله عنه «أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده إليه فضاحه فقال يارسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للتسليين إذا اتقيا فصاحا تحات ذنوبهما (١) » وعن النبي ﷺ قال « إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملاء خير منهم وأطيب ، أو قال وأفضل (٢) » والاختفاء عند السلام منهى عنه قال أنس رضى الله عنه « قلنا يارسول الله أئبى بعضنا لبعض ؟ قال لا قال فيصافح بعضنا بعضا ؟ قال لا قال فيصافح بعضنا بعضا ؟ قال نعم (٣) » والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر (٤) وقال أبو ذر رضى الله عنه ما قبلته صلى الله عليه وسلم إلا صاغى وطلبنى يوما فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سريره فالتزمت فكانت أجود وأجود (٥) والأخذ بالركاب في توقير الملاء ورد به الأثر فضل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت (٦) وأخذ عمر بن عمر زيدا حتى رفعه وقال هكذا فاضلوا زيد وأصحاب زيد . والقيام مكروه على سبيل الأعظام لا على سبيل الأكرام قال أنس ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يملون من كراهيته لذلك (٧) وروى أنه عليه السلام قال مرة « إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تفتح الأعاجم (٨) » وقال عليه السلام « من سره أن يثقل له الرجل قياما فليتبوأ مقعده من النار (٩) » وقال عليه السلام « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتصبحوا (١٠) » وكانوا يجتريزون عن ذلك لهذا التبري وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فإما هي كرامة أكرمه بها أخوه

(١) حديث البراء بن عازب أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد يده إليه فضاحه الحديث رواه الحارثي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصرا مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لها قبل أن يتمرقا قال الترمذي حسن غريب . حديث أبي اسحاق عن البراء (٢) حديث إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملاء خير منهم وأطيب الحارثي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعا وضعف البيهقي الرفع ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٣) حديث أنس قلنا يارسول الله أئبى بعضنا لبعض قال لا الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي (٤) حديث الالتزام والتقبيل عند القدوم من السفر الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتقه وقبله وقال حسن غريب (٥) حديث أبي ذر ما قبلته صلى الله عليه وسلم إلا صاغى الحديث أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وسمه البيهقي في الشعب عبد الله (٦) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت تقدم في العلم (٧) حديث أنس ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يملون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح (٨) حديث إذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال كما يقوم الأعاجم وفيه أبو العديس مجهول (٩) حديث من سره أن يثقل له الرجل قياما فليتبوأ مقعده من النار أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن (١٠) حديث لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتصبحوا متفق عليه من حديث ابن عمر .

يضغف طلبه وتسل
إرادته وتفر عزيمته
والنفس إذا أطعمت
طعمت وإذا أقنعت
نعت فيستعين الشاب
الطالب على حسم مواد
خاطر التسكح بإدامة
الصوم فإن للصوم أثرا
ظاهرا في قمع النفس
وفهرا وقد ورد أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر بجاعة
من الشبان وهم يرفضون
الحجارة فقال « يا معشر
التياب من استطاع
منكم البائة فليزوج
ومن لم يستطع فليصم
فإن الصوم له وجاء »
أصل الوجاء رضى
الحصيتين كانت العرب
تجأ الفحل من التهم
لتذهب بقولته
ويسمن ومنه الحديث
ضحى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بكبشين
أملحين موجودين وقد
قيل هي النفس إن لم
تشفها شفتك فاذا
أدام الشاب الريد
العمل وأذاب نفسه في

فان لم يوسع له فليُنظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه ^(١) وروى أنه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب ^(٢) فيكرهه السلام على من يقضى حاجته ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام فانه قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام «إن عليك السلام تحية اللقي قالها ثلاثاً» ثم قال : إذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ^(٣) ويستحب للدخول إذا سلم ولم يجد مجلساً أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الثاني فاستجيا فاستجيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه ^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «مامن مسلمين بثلثين فيتصالحان إلا غفر لهما قيل أن يتفرقا ^(٥) . وصلت أم هانيء على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قبيل له أم هانيء قال عليه السلام مرحباً بأم هانيء ^(٦) . ومنها أن يصون عرض أخيه السلم ونفسه وماله عن ظم غيرهم مهما قدر وبرد عنه ويتأصل دونه وينصره فان ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الاسلام . روى أبو الدرداء «أن رجلاً نال من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم «مامن امرئ مسلم رد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ^(٨) » وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «من ذكر عند أخوة السلم وهو يستطيع نصرهم فلم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عند أخوة السلم فصره نصره لله تعالى في الدنيا والآخرة ^(٩) »

(١) حديث إذا أخذ القوم مجالسهم قال دعا رجل أخاه فأوسع يعني له فليجلس فانه كرامة من الله عز وجل الحديث البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن شعبة ورجاله ثقات وابن شعبة هذا ذكره أبو موسى اللديني في ذيله في الصحابة وقد رواه الطبراني في الكبير من رواية مصعب بن شيبة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أخصر منه وشيبة بن جبير والد منصور ليست له محبة ^(٢) حديث أن رجلاً سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب مسلم من حديث ابن عمر يلفظ فلم يردعه ^(٣) حديث قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال إن عليك السلام تحية آليت الحديث أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جري المجيمى وهو صاحب القصة قال الترمذي حسن صحيح ^(٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها الحديث متفق عليه من حديث أبي واقد الليثي ^(٥) حديث مامن مسلمين بثلثين فيتصالحان إلا غفر لهما قيل أن يتفرقا أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث البراء بن عازب ^(٦) حديث سلت أم هانيء عليه فقال مرحباً بأم هانيء مسلم من حديث أم هانيء ^(٧) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار الترمذي وحسنه ^(٨) حديث مامن امرئ مسلم رد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والحرائطي في مكالم الأخلاق وهو عند الطبراني بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيها شهر بن حوشب ^(٩) حديث أنس من ذكر عند أخوة السلم وهو يستطيع نصرهم فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة الحديث ابن أبي الدنيا .

العبادة تحلل عليه خواطر النفس وأيضاً شغله بالعبادة يسهل له حلاوة المعاملة ومحبة الاكثار منه ويفتح عليه باب السهولة والميسر في العمل فيفتار على حاله ووقته أن يتكدر بهم الزوجة . ومن حسن أدب المرید في عزوبته أن لا يمكن خواطر النساء من باطنه وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يغير إلى الله تعالى بحسن الانتابة فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة المزمعة ويؤيده بمراغمة النفس بل ينمكس على نفسه نور قلبه ثواباً الحسن إنابته فتسكن النفس عن المطالبة ثم يرضى على نفسه ما يدخل عليه بالسكاح من الدخول في المداخل للتمومة للسؤدية إلى الله والموان وأخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع

وقال عليه السلام « من حمى عن عرض أخيه المسلم في الدنيا بث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار »^(١) وقال جابر وأبو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن امرئ مسلم بنصر مسلما في موضع ينتك فيه عرضه ويستحل حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتك فيه حرمة إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته »^(٢) . ومنها تشميت العاطس قال عليه الصلاة والسلام في العاطس يقول « الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمك الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم »^(٣) . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلنا يقول « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فإذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم »^(٤) . وشميت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشميت آخر فضأله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنتسكت »^(٥) وقال عليه السلام « يشميت العاطس للمسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام »^(٦) . وروى أنه شمت عاطسا ثلاثا فطس أخرى فقال إنك مزكوم »^(٧) وقال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس غص صوته واستتر بثوبه أوبده »^(٨) . وروى جمر وجهه وقال أبو موسى الأشعري « كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمك الله فكان يقول : يهديكم الله »^(٩) . وروى عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه « أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا ويد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال أنا يا رسول الله ما أردت بهن إلا خيرا فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم يبتدونها أيهم يكتبها »^(١٠)

في الصمت متصرا على ما ذكر منه وإسناده ضعيف (١) حديث من حمى عرض أخيه المسلم في الدنيا بث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف (٢) حديث جابر وأبي طلحة مامن امرئ ينصر مسلما في موضع ينتك فيه من عرضه ويستحل حرمة الحديث أبو داود مع تقديم وتأخير واختلف في إسناده (٣) حديث يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم البخاري وأبو داود من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري على كل حال (٤) حديث ابن مسعود إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين الحديث النسائي في اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذي من حديث سالم بن عبدالله واختلف في إسناده (٥) حديث شمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشميت آخر فضأله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنتسكت متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث شمتوا المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام أبو داود من حديث أبي هريرة شمت أخاك ثلاثا الحديث وإسناده جيد (٧) حديث أنه شمت عاطسا فطس أخرى فقال إنك مزكوم مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (٨) حديث أبي هريرة كان إذا عطس غص صوته وستر بثوبه أوبده أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية لأن نعيم في اليوم والليلة خمر وجهه وفاه (٩) حديث أبي موسى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمك الله فكان يقول يهديكم الله أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح (١٠) حديث عبدالله بن عامر بن ربيعة أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث أبو داود من حديث عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وإسناده جيد

بسبب التفات الحاطر إلى ضبط المرأة وحراستها والكف التي لا تحصر . وقد سئل عبد الله بن عمر عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال ، وقد قيل كثرة العيال أحد التقيرين وقلة العيال أحد اليسارين . وكان إبراهيم بن آدم يقول : من تعود أفضأ النساء لا يفلح ولا شك أن المرأة تدعو إلى الرفاهية والدة وتنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر وجة الادخار وكل هذا بعيد عن التجرد وقد ورد « إذا كان بعد الماتين أيجت العزوبة لأمتي » فإن تواتر على التقير خواطر النكاح وزاحمت باطنه سما في الصلاة والأذكار والتلاوة فليستعن بالله أولا ثم

وقال صلى الله عليه وسلم « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشكك خاصرته ^(١) » وقال عليه السلام « العطاس من الله والتأوب من الشيطان فإذا تأبأ أحدكم فليضع يده على فاه إذا قالها فان الشيطان يضحك من جوفه ^(٢) » وقال إبراهيم النخعي إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس. بأن يذكر الله وقال الحسن بن محمد الله في نفسه ، وقال كعب قال موسى عليه السلام يارب أقرب أنت فأنا جيك أم بعيد فأنا ديك فقال أنا جليس من ذكرني فقال فأناسكون على حال نملك أن نذكرك عليها كالجنابة والعاقل فقال اذكرني على كل حال . ومنها أنه إذا لم يبدى شر فينبغي أن يتحمله ويتقيه قال بعضهم خالص للمؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر. وقال أبو الدرداء إن النبتش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلثمهم وهذا معنى للدائرة وهي مع من يخاف شره قال الله تعالى - ادفع باقى هي أحسن السيرة - قال ابن عباس في معنى قوله - ويدرون بالحسنة السيئة - أى الفصح والأذى بالسلام والدائرة وقال في قوله تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض - قال بالرغبة والرهبة والحياء والدائرة وقالت عائشة رضى الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فيئس رجل العشرة هو فلما دخل ألأنله القول حتى ظننت أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذى قلت ثم ألت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فضته ^(٣) » وفي الخبر « ماوى الرجل به عرضه فهو له صدقة ^(٤) » وفي الأثر : خالطوا الناس بأعمالكم وزابلوهم بالقول . وقال محمد بن الحنفية رضى الله عنه : ليس يحكم من لم يماثر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . ومنها أن يجتنب مخالطة الأغنياء ومختلط بالمساكين ويحسن إلى الأيتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم أحبنى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين ^(٥) » وقال كعب الأحبار كان سليمان عليه السلام في ملكه إذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس إليه وقال مسكين جالس مسكينا . وقيل ما كان من كلمة فقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يا مسكين وقال كعب الأحبار ما في القرآن من يا أيها الذين آمنوا فهو في التوراة يا أيها المساكين وقال عبادة ابن الصامت إن النار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل بلغني أن نبيا من الأنبياء قال : يارب كيف لي أن أعلم رضاك عنى فقال انظر كيف رضا للمسكين عنك ، وقال عليه الصلاة والسلام « إياكم ومجالسة اللوى ، قيل ومن اللوى يا رسول الله ؟ قال الأغنياء ^(٦) » وقال موسى إلهي أين أبنيك قال عند المنكسرة قلوبهم ، وقال صلى الله عليه وسلم

بالمشايع والإخوان
ويشرح الحال لهم
ويسألهم مسألة الله له
في حسن الاختيار
ويطوف على الأحياء
والأموات وللساجد
والشاهد ويستعظم
الأمر ولا يدخل فيه
بقلة الاكثريات فانه
باب فتنة كبيرة وخطر
عظيم وقد قال الله تعالى
- إن من أزواجكم
وأولادكم عدوا لكم
فاحذروهم - ويكثر
الضرعة إلى الله تعالى
ويكثر البكاء بين يديه
في الحلوات ويكرر
الاستخارة وإن رزق
القوة والصبر حتى
يستبين له من فضل الله
الحسنة في ذلك فهو
الكامل والتمام قد
يكشف الله تعالى
للمصدق ذلك مما أو
إطلاقا في منامه أو
يقظته أو على لسان
من ينطق إلى دينه وحاله
أنه إذا أشار لا يشير
إلا على بصيرة وإذا حكم
لا يحكم إلا بعقل فند

(١) حديث من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشكك خاصرته الطبراني في الأوسط وفي الدعاء من حديث علي بن سند ضعيف (٢) حديث العطاس من الله والتأوب من الشيطان الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله العطاس من الله فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وقال البخاري إن الله يحب العطاس ويكره التأوب الحديث (٣) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فيئس رجل العشرة الحديث متفق عليه (٤) حديث ماوى الرجل به عرضه فهو له صدقة أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وضعفه (٥) حديث اللهم أحبنى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد الترمذي من حديث عائشة وقال غريب (٦) حديث إياكم ومجالسة اللوى قيل وما اللوى قال الأغنياء الترمذي وضعفه والحاكم وصححه إسناده من حديث عائشة إياكم ومجالسة الأغنياء .

«لا تلبطن فاجرا. نعمة فانك لاتدرى إلى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا^(١) وأما النبي فقال صلى الله عليه وسلم «من ضم يثما من أبوين مسلمين حتى يستنق قد وجبت له الجنة أئبنة^(٢)» وقال عليه السلام «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهو يشير بأصبعه^(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «من وضع يده على رأس يثيم ترهما كانت له بكل شجرة تمر عليها يده حسنة^(٤)» وقال عليه السلام «خير بيت من المسلمين بيت فيه يثيم يحسن إليه وشريعت من المسلمين بيت فيه يثيم يساء إليه^(٥)» . ومنها النصيحة لكل مسلم والمجاهد في إدخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم «الؤمن يحب للؤمن كما يحب لنفسه^(٦)» وقال عليه السلام «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه^(٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئا فليحطه عنه^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم «من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره^(٩)» وقال صلى الله عليه وسلم «من أقر عين مؤمن أقر الله عنه يوم القيامة^(١٠)» وقال صلى الله عليه وسلم «من مثنى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين^(١١)» وقال عليه السلام «من فرج عن مؤمن مضموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة^(١٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قبل كيف ينصره ظالما قال ينعمه من الظلم^(١٣)» وقال عليه السلام

(١) حديث لا تلبطن فاجرا نعمة الحديث البخارى في التاريخ والطبرانى في الأوسط والبيهقى في الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث من ضم يثما من أبوين مسلمين حتى يستنق قد وجبت له الجنة أئبنة أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمر وفيه على بن زيد بن جعدان متكلم فيه (٣) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبى هريرة (٤) حديث من وضع يده على رأس يثيم ترهما كانت له بكل شجرة تمر عليها يده حسنة أحمد والطبرانى بإسناد ضعيف من حديث أبى أمامة دون قوله ترهما ولا ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن أبى أوفى من مسح يده على رأس يثيم رحمه له الحديث (٥) حديث خير بيت من المسلمين بيت فيه يثيم يحسن إليه وشريعت من المسلمين بيت فيه يثيم يساء إليه ابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه ضعف (٦) حديث المؤمن يحب للؤمن ما يحب لنفسه تقدم بلفظ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولم أره بهذا اللفظ (٧) حديث إن أحدكم مرآة أخيه الحديث رواه أبو داود والترمذى وقد تقدم (٨) حديث من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره البخارى في التاريخ والطبرانى والحراطى كلاهما في مكاتم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسل (٩) حديث من مثنى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين الحاكم وصححه من حديث ابن عباس لأن يثنى أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته وأشار بأصبعه أفضل من أن يتكف في مسجدى هذا شهرين والطبرانى في الأوسط من مثنى في حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين وكلاهما ضعيف (١٠) حديث من فرج عن مضموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة الحراطى في مكاتم الأخلاق وابن حبان في الضعفاء وابن عدى من حديث أنس بلفظ من أثاث مملوفا (١١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

حديث من أقر عين مؤمن لم يجد له نحر يجا في نسختنا ووجدنا الشارح خلع عن العراق أنه رواه ابن المبارك في الزهد والرفائق بإسناد ضعيف مرسل .

ذلك يكون تزوجه مدبرامعافيه . وسمنا أن الشيخ عبد القادر الجليل قال له بعض الصالحين لم تزوجت ؟ فقال ما تزوجت حتى قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج فقال له ذلك الرجل الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر بالرخى وطريق القوم التزم بالزينة فلا أعلم ما قال الشيخ في جوابه ولكن أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر بالرخة وأمره على لسان الشرع فأما من التجأ إلى الله تعالى واقتدر إليه واستخاره فيكافه الله بتبنيه إياه في منامه وأمره هذا لا يكون أمر رخصة بل هو أمر يثبته أرباب الزينة لأنه من علم الحال لا من علم الحكم وبدل على صحة ما وقع لى ما نقل عنه أنه قال كنت أريد

«إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يبرج عنه غما أو يقضى عنه ديناً أو يطعمه من جوع» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من حذى مؤمناً من منافق يسته بئس الله إليه ملكاً يوم القيامة يحسب له من نار جهنم [١]» وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضرر لبيد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والتفكير لبيد الله» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم» (٣) وقال معروف السرخسي من قال كل يوم: اللهم ارحم أمة محمد كتبته الله من الأبدال وفي رواية أخرى اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبته الله من الأبدال. وبكى على بن الفضل يوماً قتيلاً له مايكيد؟ قال أبكى على من ظلمني إذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تمكن له حجة. ومنها أن يعود مرضاهم فالمعرفة بالاسلام كافيان في إثبات هذا الحق ونيل فضله وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند الاستئذان لا يقابل الباب ويدق برقي ولا يقول أنا إذا قيل له من؟ ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم «تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهة أو على يده ويسأله كيف هو وتنام تحتكم للصالح» وقال عليه السلام «من عاد مريضاً فقد في مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل» (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قد عنده قرئت فيه» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا عاد المسلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلاً في الجنة» (٦) وقال عليه السلام «إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعوده فان هو إذا جاءه محمد الله وأنتى عليه رضا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على إن توفيتني أن أدخلك الجنة وإن أنا شئت أن أبدل له لما خيرا من محمود ما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته» (٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدرجة مدة من الزمان ولا تجزى على التزوج خوفاً من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله لي أربع زوجات ما فيهن إلا من تنفق على إرادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجليل الكامل فإذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والمخرج - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء والإكثار من الضراعة والدعاء وورد عليه واردمن الله تعالى بإذن فيه فهو الغاية والنهاية وإن عجز عن الصبر إلى ورود الأذن واستغند جهده في الدعاء والضراعة قد يكون ذلك حظاً من الله تعالى ويسان عليه لحسن نيته وصدق مقصده وحسن رجائه واعتاده على ربه وقد

(١) حديث إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٢) حديث خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضرر لبيد الله الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يسند له ولمه في مسنده (٣) حديث من لم يهتم للمسلمين فليس منهم الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف (٤) حديث من عاد مريضاً فقد في مخارف الجنة الحديث أصحاب السنن والحاكم من حديث على بن أبي أخاه السلم عائداً متى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غفرته الرحمة فان كان غداة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن كان مساء الحديث لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذي والمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة (٥) حديث إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قد عنده قرئت فيه الحاكم والبيهقي من حديث جابر قال قال لنفسه في قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك في الموطأ بلا غلط في قوله ورواه الواقدي بلفظ استقر فيها للطبراني في الصغير من حديث أنس فإذا قد عنده غفرته الرحمة وله في الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمر بن حزم استنقح فيها (٦) حديث إذا عاد السلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلاً في الجنة الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة إلا أنه قال ناداه مناد قال الترمذي غريب قلت فيه عيسى بن سنان القسطلي ضعفه الجمهور (٧) حديث إذا مرض العبد بعث الله تعالى

[١] حديث من حذى مؤمناً قال الشارح لم يذكره العراقي ورواه ابن المبارك وأحمد وأبو داود وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والطبراني عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه .

قل عن عبد الله بن عباس أنه قال لا يتم نكح الشاب حتى يتزوج وقل عن شيخ من مشايخ خراسان أنه كان يكثر الزواج حتى لم يكن يخلو عن زوجتين أو ثلاث فوثب في ذلك قال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف وقفة في معاملته فغلط على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يصينا ذلك فقال لو ربيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد ما تزوجت قط ولكني ما خطر على قلبي خاطر شهوة قط شغلني عن حالي إلا فقتته لأستريح منه وأرجع إلى شغلي ثم قال منذ أربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر مصيبة فالصادقون ما دخلوا في النكاح إلا على بصيرة وقصدوا حسم مواد النفس وقد يكون للأقوياء والعلماء

عليه وسلم « من رد الله به خيرا يصب منه » (١) وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فزادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بسم الله الرحمن الرحيم أعينك الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما عبد قالحا مرارا » (٢) ودخل عليه بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له « قل اللهم إني أسألك تسبيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فانك سمعتي إحداهن » (٣) ويستحب للليل أيضا أن يقول أعوذ بركة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر . وقال بن أبي طالب رضي الله عنه إذا شك أحدكم بطنه فليسال امرأته حيثما مضى صداها ويشتري به عسلا وشربه بماء السماء فيجمع له الهنيء والبرى والشفاء والبارك . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب العالمين والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا إن كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إني أنت أمرتني لتقبض روحي في مرضي هذا فأجعل روحي في أرواح من سبقك لهم منك الحسن وباعدي من النار كما باعدت أوليائك الذين سبقك لهم منك الحسن » (٤) وروى أنه قال عليه السلام « عيادة المريض بعد ثلاث فواقة » (٥) وقال طاووس أفضل العيادة أخفاها وقال ابن عباس رضي الله عنهما عيادة المريض مرة سنة لما ازدادت فنافقه ، وقال بعضهم عيادة للمريض بعد ثلاث ، وقال عليه السلام « أغبوا في العيادة وأربوا فيها » (٦) وجملة أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفرق إلى الدواء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء . ومنها أن يشيع جنازهم قال صلى الله عليه وسلم « من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان » (٧) وفي الخبر « القبر اطمثل أحد » (٨) ولما روى أبو هريرة هذا الحديث وصحبه ابن عمر ملسكين فقال انظرا ما يؤوله نواهد الحديث مالك في الوطأ مرسلان حديث عطاء بن يسار ورواه ابن عبد البر في التقييد من روايته عن أبي سعيد الخدري وفيه عبادين كثير التقييد الحديث واليهيقي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى إذا ابتليت عبد المؤمن فلم يشك إلى عواده أطلتته من إسارني ثم أبدله لما خيرا من لحمه وما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل وإسناده جيد (١) حديث من رد الله به خيرا يصب منه البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث عثمان مرضت فزادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أعينك الله الأحد الصمد الحديث ابن السني في اليوم والليلة والطبراني والبيهقي في الأدعية من حديث عثمان بن عفان بإسناد حسن . (٣) حديث دخل على علي وهو مريض فقال قل اللهم إني أسألك تسبيل عافيتك الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو يشتكي ولم يسم عليا وروى البيهقي في الدعوات من حديث عائشة أن جبريل علمها للنبي صلى الله عليه وسلم وقال إن الله بأمرك أن تدعو هؤلاء الكلمات (٤) حديث أبي هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء وفي المرض والكمفارات (٥) حديث عيادة المريض فواقة ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة (٦) حديث أغبوا في العيادة وأربوا ابن أبي الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد إلا أن يكون مغلوبا وإسناده ضعيف (٧) حديث من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان الشيخان من حديث أبي هريرة (٨) حديث القبر اطمثل جبل أحد مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه .

قال لقد فرطنا إلى الآن في قرارات كثيرة والقصد من التشيع قضاء حق السليين والاعتبار وكان مكحول الله مشفى إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنار اخون موعظة بلغة وغفلة سرية ذهب الأول والآخرا لعقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو سكي ويقول واقلنا ترى عيني حتى أعلم إلى ما صرت ولا والله لأعلم ما صرت حيا . وقال الأصمعي كأنه الجنازة فلاندرى لمن نعزي لحزن القوم كلهم ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال لو ترحمون أنفسكم لكان أولي إنه نجا من أهوال ثلاث وجه ملك اللوت قدر رأى وممارة اللوت قد ذاق وخوف الحامة قد آمن ، وقال صلى الله عليه وسلم « يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنتان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله ^(١) » ومنها أن يزور قبورهم والقصد من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال ^(٢) « ما رأيت منظرا إلا والقبور أظفَع منه ^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتي للقبور فجلس إلى قبر وكنت أدن القوم منه فسكى وبكى فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكاءك قال هذا قراءة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي واستأذنته أن أستغفر لها فاني على فأدركني ما يدرك الولد من الرقة ^(٤) » وكان عمر رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحية ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن القبور أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه لما بعده أسير وإن لم ينج منه فما بعده أشد ^(٥) » وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم فخرته تقول أنا بيت السود بيت الوجدت بيت القربة وبيت الظلمة فهذا ما أعددت لك لما أعددت لي ؟ وقال أبو جند الأخرم يوم قري يوم أؤم في قري ، وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فيقول له في ذلك قال اجلس إلى قوم يذكرونني معادي وان قتت عنهم في يتأبون وقال حاتم الأصم من مر بالقبور فلم يتفكر لنفسه ولم يبع لم قد خان غشه وخائنه وقال صلى الله عليه وسلم « مامن ليلة إلا وينادي ناديا أهل القبور من تقبضون قالوا تقبض أهل الساجد لأنهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره ^(٦) » وقال السفين من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه وسكت ساعة ثم قال - رب ارجعوني لعلني أعمل صالحا فبما تركت - ثم يقول يارب قد رجعت فاعمل الآن قبل أن لاترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائي بنى أمة كأنهم لم يشاركو أهل الدنيا في قياتهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم اللات وأصاب الهوام من أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم من صار إلى هذه القبور وقد أمن عذاب الله . وآداب المزي خفض الجناح وإظهار الحزن وقلة الحديث وترك التمس . وآداب تشييع الجنازة لزوم الحشوع وترك الحديث وملاحظة البيت والتفكير في اللوت والاستعداد له

الراخين في السلم
أحوال في دخولهم في
السكاح تختص بهم
وذلك أنهم بعد طول
المجاهدات والراقيات
والرياضات تطمئن
نفسهم وتقبل قلوبهم
وللقلوب إقبال وإدبار
يقول بعضهم : إن
للقلوب إقبالا وإقبالا
فاذا أدبرت روح
بالرافاق وإذا أقبلت
ردت إلى الشياق فتبقى
قلوبهم دأمة الإقبال
إلا اليسير ولا يوم
إقبالها إلا لطمانية
الفوس وكفها عن
للتازعوت ترك التثبت
في القلوب فاذا اطمأنت
الفوس واستقرت
عن طينتها وتغورها
وشراسها توفرت عليها
حقوقها وربما يسير
من حقوقها حظوظها
لأن في أداء الحق
إفناغا وفي أخذ الحظ
اتساعا وهذا من دقيق
علم الصوفية فأنهم
يشمون بالسكاح
للإحصال إلى النفس
حظوظها لأنها مازالت

(١) حديث يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنتان ويبقى واحد مسلم من حديث أنس (٢) حديث ما رأيت منظرا إلا والقبور أظفَع منه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الإسناد رتال الترمذى حسن غريب (٣) حديث عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتي للقبور فجلس إلى قبر الحديث في زيارته قبر أمه مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة وفيه قيام عمر ففداه بالأب والأُم يقول يا رسول الله مالك الحديث (٤) حديث عثمان بن عفان إن القبور أول منازل الآخرة الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم صحيح إسناد (٥) حديث مامن ليلة إلا وينادي ناديا أهل القبور من تقبضون فيقولون تقبض أهل الساجد الحديث لم أجده أصلا .

وأن يعنى أمام الجنازة بقرها والاسراع بالجنازة سنة (١) فهذه جملة آداب تنبه على آداب العاشرة مع عموم الخلق ، والجملة الجامعة فيه أن لا تستعصر منهم أحدا حيا كان أو ميتا قبلك لأنك لا تدرى له خير منك فانه وإن كان فاسقا فله عتقك لك بمناله وعتقك له بالصالح ولا تنتظر إليهم بين التعظيم لهم في حال دنياهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا يبدل لهم دينك لتتال من دنياهم فتصرف في أعينهم ثم تحرم دنياهم فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير ولا تعادى بحيث تظهر العداوة يطول الأمر عليك في العادة ويذهب دينك ودينك قيم ويذهب دينهم فيك إلا إذا رأيت منكرا في الدين فتعاضد أفعالهم القبيحة وتنتظر إليهم بين الرحمة لهم لتعرضهم لمت الله وعقوبته بصيانتهم فحبهم جهنم يصلونها فمالك تحمد عليهم ولا تسكن إليهم في مودتهم لك وثناهم عليك في وجبك وحسن بشرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحدا وربما أتبعه ولا تشك إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم ولا تطمع أن يكونوا لك في القرب والسركا في الملاينة فذلك طمع كاذب وأتى تظهر به ولا تطمع فيما في أيديهم فتستعمل الدل ولا تاتى الغرض ولا تامل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء وإذا سألت أخوا منهم حاجة فقصها فهو أخ مستفاد وإن لم يقض فلا تعابه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه غايل القبول فلا يسمع منك ويصاديك ولكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تعيين على الشخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك واستند بالله أن يكلك إليهم وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرا أو أصابك منهم مايصووك فكل أمرهم إلى الله واستند بالله من شرهم ولا تشتغل نفسك بالكفارة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعى ، واعتقد أنك لو استعجبت ذلك لجلل الله لك موضعا في قلوبهم والله المحب والبالغش إلى القلوب وكن فيهم ميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بعقهم صموتا عن باطلهم واحذر حجة أكثر الناس فاتهم لا يقولون عثرة ولا ينفرون زلة ولا يسترعون عورة ويحاسبون على الغير والقطمير ومحمدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون بفرور الاخوان على الاخوان بالثيمة والبهتان فصحة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان إن رضوا فظاهرهم اللق وإن سخطوا فباطنهم الحق لا يؤمنون في حننهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالقنون ويتعاضدون وراءك بالعرون ويتربصون بصديقهم من الحسد رب للنون يحسون عليك العثرات في صمتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تامل على مودة من لم تحبه حق الحيرة بأن تصبه مدة في دار أو موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وقره أو تسافر معه أو تعامله في الدينار والدرهم أو تقع في شدة فتحتاج إليه فإن رضيت في هذه الأحوال فأنعمه بأهلك إن كان كبيرا أو ابنا لك إن كان صغيرا أو أخاك إن كان مثلك ، فهذه جملة آداب العاشرة مع أصناف الخلق .

(حقوق الجوار)

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ما يقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق » فالجار الذى له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم

(١) حديث الاسراع بالجنازة متفق عليه من حديث أنى هرة أسرعوا بالجنازة الحديث .

تخالفه وإهاحق صار
داؤها وداؤها وصارت
الشهوات البسابة
واللذات المشروعة
لا تضرها ولا تفرعلها
عزائمها بل كأوصات
النفوس الزكية إلى
حظوظها ازداد القلب
انشراسا وانفساحا
وبصر بين القلب
والنفس موافقة بطف
أحدهما على الآخر
يزداد كل واحد منهما
بما يدخل على الآخر
من الحظ كلما أخذ
القلب حظه من الله
خلع على النفس خلع
الطمأنينة فيكون
مزيد السكينة للقلب
مزيد الطمأنينة للنفس
وينشد :
إن الباء إذا اكتست
كست الثرى
حلا يدبها النعام
الرام
وكلا أخنت النفس
حظها روح القلب
تروح الجار للشفق
براحة الجار . صعبت
بعض الفقهاء بقوله :
النفس تقول للقلب كن

وأما الذي له حقان فالجوار السلم له حق الجوار وحق الاسلام ، وأما الذي له حق واحد فالجوار للشرك (١) فانظر كيف أثبت للشرك حقاً بجرد الجوار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً » (٢) وقال النبي ﷺ « مازال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « أول خصمين يوم القيامة جاران » (٥) وقال عليه الصلاة والسلام « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيت » (٦) وروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق عليّ قد لا أذهب فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه ، وقيل لرسول الله ﷺ « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار » (٧) . وجاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فيعمل الناس بمحرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال فاصبروا يقولون لعنه الله فجاهد جاره فقال لبرد متاعك فوافقه لا أعود » (٨) وروى الزهري « أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ألا إن أربعين داراً جار » (٩) قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأوماً إلى أربع جهات وقال عليه السلام « الجن والشؤم في المرأة والسكن والفرس فيمن للمرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها وعين السكن ستمه وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله وعين الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه وسوء خلقه » (١٠) .

معى في الطعام أكن معك في الصلاة وهذا من الأحوال الفريضة لاتصلح إلا لعالم رباني وكم من مدح يهلك بشؤمه هذا في نفسه ومثل هذا العبد يزداد بالسكاح ولا يقص والعبد إذا كل عليه يأخذ من الأشياء ولا تأخذ الأشياء منه وقد كان الجند يقول : أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام وسمع بعض العلماء بعض الناس يظن في الصوفية فقال يا هذا ما الذي ينقصهم عندك فقال يا كليون كثيراً فقال وأنت أيضاً لو جئت كما يجوعون أكلت كما يأكلون ثم قال : ويتزوجون كثيراً قال وأنت أيضاً لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال وأى شيء أيضاً قال يسمعون القول قال وأنت أيضاً لو نظرت كما ينظرون سمعت كما

- (١) حديث الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق الحديث الحسن بن سفيان والبخاري في مسندهما وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو يعنى في الحلية من حديث جابر وابن عدى من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف (٢) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً تقدم (٣) حديث مازال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديث أبي شريح (٥) حديث لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه البخاري من حديث أبي شريح أيضاً (٦) حديث أول خصمين يوم القيامة جاران أحمد والطبراني من حديث عتبة بن عاصر بسند ضعيف (٧) حديث إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيت لم أجده أصلاً (٨) حديث إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار ، أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاستاذ (٩) حديث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك على الطريق الحديث أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (١٠) حديث الزهري « أن أربعين داراً جار أبو داود في الترابيل ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعنى من حديث أبي هريرة وقال أربعون ذراعا وكلاهما ضعيف (١١) حديث الجن والشؤم في المرأة والسكن والفرس فيمن للمرأة خفة مهرها الحديث مسلم من حديث ابن عمر الشؤم في الدار والمرأة والفرس وفي رواية له إن بلك من الشؤم شيء حقاً وله من حديث سهل بن سعد إن كان في الفرس والمرأة والسكن والفرس من حديث حكيم ابن معاوية للشؤم وقد يكون الجن في الدار والمرأة والفرس ورواه ابن ماجة تمامه محمد بن معاوية والطبراني من حديث أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ماسوء الدار قال ضيق ساحتها وخبث جيرانها .

واعلم أنه ليس حق الجوار كحق الأذى فقط بل احتمال الأذى فإن الجار أيضاً قد كذب أو فليس في ذلك قضاء حتى ولا يكفي احتمال الأذى بل لابد من الرفق وإسداء الخير والرفق إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره الذي يوم القيامة يقول يا رب سل هذا لمعنى معروفه وسد باب دونه وبلغ ابن المقفع أن جارا له بيع داره في دين ربه وكان يجلس في ظل داره فقال ما كنت إذا بحرمه ظل داره إن باعها معدا دفع إليه من الدار وقال لا تبعها ، وشكا بعضهم كثرة الفأر في داره فقتله لولاقتنيت هرا فقال أخشى أن يسع الفأر صوت الحفر فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسى ، وجملة حق الجار أن يبداه بالسلام ولا يظلم منه السلام ولا يكثر عن حله السؤال ويعوده في الرض ويغزبه في الصية ويقوم منه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور ومعه ويصنع عن زلاته ولا ينطلع من السطح إلى عوراته ولا يضايقه في وضع الجنع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فناءه ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ويستمر ما يكشف له من عوراته وينعشه من صرخته إذا نابه نابه ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمة ولا يديم النظر إلى خادته ويتلطف بولده في كلمته ويرشده إلى ما يحمله من أمر دينه ودنياه ، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعمامة المسلمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أعتنه وإن استصرك نصرته وإن استغرضك أقرضته وإن افتقر عدت عليه وإن مرض عده وإن مات تبع جنازته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابه مصيبة نصيته عزته ولا تستمل عليه البناء فتجب عنه الرجح إلى بابه ولا تؤذنه وإذا اشتريت فأكله فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولله ولا تؤذنه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والى تسمى يده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله (١) » هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر وعلاهم يسلم شاة فقال بإعلام إذ اسلمت فأبدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه (٢) » وقال هشام : كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحتك ، وقال أبو ذر رضى الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال « إذا طبخت قدرا فأكثر ماها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها (٣) » وقالت عائشة رضى الله عنه قلت يا رسول الله إن لي جارين أحدهما مقبل على يابه والآخر ناه قيل فما سوء البداية ؟ قال منها ظهرها وسوء خلقها ، قيل فما سوء الرأفة ؟ قال عقم رحمها وسوء خلقها وكلاهما ضعيف ورويناه في كتاب الحيل للديلميطي من رواية سالم بن عبد الله مرسلًا إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجها قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤمة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الأذان والاقامة فهي مشؤمة وإسناده ضعيف ووصله صاحب مستند الفردوس بذكر ابن عمر فيه (١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أعتنه وإن استغرضك أقرضته الحديث الخرائطي في مكادرم الأخلاق وابن عدى في الكامل وهو ضعيف (٢) حديث مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وعلاهم يسلم شاة فقال بإعلام إذ اسلمت فأبدأ بجارنا اليهودي الحديث أبوداود والترمذي وقال حسن غريب (٣) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم إذا طبخت فأكثر الرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها رواه مسلم .

يسمعون. وكان سفان ابن عيينة يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضى الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سربة وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول خير هذه الأمة أكثرها نساء وقد ذكر في أخبار الأنبياء أن عبد الله بن العباس حتى فاق أهل زمانه فذكر لني ذلك الزمان قال نعم الرجل لولا أنه تارك لى من السنة فمضى ذلك إلى العابد فأهمه فقال ما تنفعني عبادتى وأنا تارك السنة فجاء إلى النبي عليه السلام فسأله فقال نعم إنك تارك التزوج فقال ما تنفعني لأنى أحرمة وما مننى منه إلا أنى فقير لاشى لى وأنا عيال على الناس يطعمنى هذا مرة فأكره أن تزوج

يابه عنى وربما كان الذى عندى لا يسمعهما فأعظم حفا فقال للقبيل عليك يابه ^(١) ورأى الصديق ولهم عبد الرحمن وهو ينامى جارا له فقال لاتص جارك فان هذا بينى والناس ينهبون ، وقال الحسن بن عيسى النيسابورى : سألت عبد الله بن المبارك قتل الرجل الجوار بأمنى فيسكو غلامى أنه أتى إليه أمرا والصلام يشكره فأكره أن أضربه ولهم برى وأكره أن أدعه فيجد على جارى فكيف أصنع ؟ قال إن غلامك لله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه فإذا عساه جارك فأدبه على ذلك الحدث فتكون قد أدرضيت جارك وأدبته على ذلك الحدث وهذا تلتطف في الجلبع بين الحقين . وقالت عائشة رضى الله عنها خلال للكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أليه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أحب : صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل ولكافأة بالصانع وصلاح الرحم وحفظ الأمانة والتدبير الجار والتدبير للصاحب وقرى الضيف ورأسن الحياء . وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معشر المسلمين لا تخفون جارة لجارتها ولو فرسن شاة ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن من سعادة الله السلم للسكن الواسع والجار الصالح والركب الهنيء ^(٣) » وقال عبد الله قال الرجل يا رسول الله « كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت وإذا سمعته يقولون قد أسأت قد أسأت ^(٤) » وقال جابر رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كان له جار في حائط أو شريك فلا يمه حتى يرضه عليه ^(٥) » وقال أبو هريرة رضى الله عنه « قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى ^(٦) » وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يمتن أحدكم جاره أن يضع خشفه في جداره » وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ما لي أراكم غبا بهرضين والله لأرسيها بين أكتافكم وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا سله قيل وما سله قال يجبه إلى جيرانه ^(٧) » .

(١) حدث عائشة قتلت يا رسول الله إن لي جارين الحديث رواه البخارى (٢) حديث أبي هريرة يأنسا المسلمين لا تخفون جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه البخارى (٣) حديث ابن من سعادة الله السلم للسكن الواسع والجار الصالح والركب الهنيء أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أبي وقاص وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد (٤) حديث عبد الله قال الرجل يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت أخذوا الطبراني وعبد الله هو ابن مسعود وإسناده جيد (٥) حديث جابر من كان له جار في حائط أو شريك فلا يمه حتى يرضه عليه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار وقال صحيح الإسناد وهو عند الخرائطى في مكارم الأخلاق بلفظ الصنف ولا بن ماجه من حديث ابن عباس من كانت له أرض فأراد يمه فليعرضها على جاره ورجاله رجال الصحيح (٦) حديث أبي هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى الخرائطى في مكارم الأخلاق هكذا وهو متفق عليه بلفظ لا يمتن أحدكم جاره أن يفرز خشفه في حائطه رواه ابن ماجه بإسناد ضيف واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة (٧) حديث من أراد الله به خيرا سله أحمد من حديث أبي عتبة الخولاني ورواه الخرائطى في مكارم الأخلاق والبيهقي في الزهد من حديث عمرو بن الحقيق زاد الخرائطى قيل وما سله قال يجبه إلى جيرانه وقال البيهقي بفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرض عنه من حوله وإسناده جيد .

بأمرنا أعضلها أو أهرقها
جهدا قال له النبي
عليه الصلاة والسلام
وما يملك إلا هذا قال
نم قال أنا أزوجك
ابنى فزوجه النبي
عليه السلام ابنته وكان
عبد الله بن مسعود
يقول لو لم يبق من
عمرى إلا عشرة أيام
أحببت أن أتزوج
ولا أتى الله عززا
وما ذكر الله تعالى في
القرآن من الأنبياء
إلا التاهلين . وقيل إن
يحيى بن زكريا عليها
السلام تزوج لأجل
السنة ولم يكن يرضها
وقيل إن عيسى عليه
السلام سينكح إذا
نزل إلى الأرض ويولد
له . وقيل إن ركة
من متأهل خير من
سبعين ركة من عزب
أخبرنا الشيخ طاهر بن
أبي الفضل قال أنا
أبو منصور محمد بن
الحسين بن أحمد بن
الحيثم القومى القزوينى
قال أنا أبو طلحة القاسم

(حقوق الأقارب والرحم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شققن لها اسمي من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع عليه في رزقه فيصل رحمه » (٢) وفي رواية أخرى « من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليثق الله وليصل رحمه » وقيل رسول الله ﷺ أي الناس أفضل « قال أنفاهم أو أوصلمهم لرحمه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر » (٣) وقال أبوذر رضي الله عنه « أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرأ » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن بصلة الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي » ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها » (٥) وقال عليه السلام « إن أعجل الطاعة نوابا صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون جبارا تنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم » (٦) وقال زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليك بئني مدبج قال عليه السلام « إن الله قد منن من بئني مدبج بصلتهم الرحم » (٧) وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قدمت على أمي فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت على وهي مشركة أفأصلها ؟ قال نعم » (٨) وفي رواية أفأصلها قال نعم صلها وقال عليه السلام « الصدقة على للسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان » (٩) ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بمائة كان له يسجبه عملا بقوله تعالى - لن تتأوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - (١٠) قال يا رسول الله هو في سبيل الله للفقراء والسكين قال عليه السلام « وجب أجرك على الله فافسحه في أقاربك » وقال عليه السلام « أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح » (١١)

ابن أبي البدر الخطيب قال أما أبو الحسن على ابن إبراهيم بن سلمة القطان قال أما أبو عبد الله بن محمد يزيد بن ماجه قال أما أحمد بن الأزهر قال حدثنا آدم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التكاح سقن لمن يعمل بسقن فليس مني فزوجوا فاني مكابر بكم الأم ومن كان ذا طول فليتكح ومن لم يجد فليصام فان الصوم له وجاء » وما ينبغي للتأهل أن يحذر من الافراط في المخالطة والمعاشره مع الزوجة إلى حد ينقطع عن أوراده وسياسته أوقاته فان الافراط في ذلك يقوى النفس وجنودها ويفتر ناهض الهمة . وللتأهل بسبب الزوجة ثنتان فتنة لمصوم حاله وقتة

(١) حديث يقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع عليه في رزقه فليثق الله وليصل رحمه الحديث متفق عليه من حديث أنس دون قوله فليثق الله وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث علي بإسناد جيد (٣) حديث أي الناس أفضل فقال أنفاهم أو أوصلمهم لرحمه أحمد والطبراني من حديث درة بنت أبي لهب بإسناد حسن (٤) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرأ ، أحمد وابن حبان وصححه (٥) حديث إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة (٦) حديث أعجل الطاعات نوابا صلة الرحم الحديث ابن حبان من حديث أبي بكره والخراطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بإسناد ضيف (٧) حديث زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليك بئني مدبج قال إن الله منن من بئني مدبج بصلتهم الرحم الخراطي في مكارم الأخلاق وزاد وعظمهم في لباب الإبل وهو مرسل صحيح الإسناد (٨) حديث أسماء بنت أبي بكر قدمت على أمي فقلت يا رسول الله قد قدمت على أمي وهي مشركة أفأصلها قال نعم صلها متفق عليه (٩) حديث الصدقة على للسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضي (١٠) حديث لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بمائة كان له يسجبه عملا بقوله تعالى - لن تتأوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - الحديث أخرجه البخاري وقد تقدم (١١) حديث أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح أحمد والطبراني من حديث أبي أيوب وفيه الهجاء

لشخص حاله الافراطى
محموم حاله الافراطى
الاعتام بأسباب
العيشة . كان الحسن
يقول : وانما أصبح
اليوم رجل يطيع
امرأته فما نهوى إلا
أكبه الله على وجهه في
النار . وفي الخبر وبأن
على الناس زمان يكون
هالك الرجل على يد
زوجته وأبويه وولده
يسرونه بالتفكر وكفونه
ما لا يطيق فدخل في
لداخل التي يذهب فيها
دينه بذلك . وروى
أن قوما دخلوا على
يوس عليه السلام
فأضاهم وكان يدخل
ويخرج إلى منزله
فتؤذيه امرأته
وتستطيل عليه وهو
ساک فتضجون من
ذلك فها هو أن يسأله
قال لتجوبن من هذا
فأني سألت الله قتلت
يارب ما كنت مدقي
بشيء إلا أخرجه لي
الدينا قال إن عوف بك
بنت فلان تزوجها

لا يخفى أن إذا تأكد حق القرباء والرحم فأضحى الأرحام وأمسها الولادة فيضاعف تأكد كالحق فيها
وقد قال صلى الله عليه وسلم « لن يجزى ولد والله حق يجد عموك فينتزبه فيعتقه »^(٣٧) وقد قال
صلى الله عليه وسلم « ربّ الدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل
الله »^(٣٨) وقد قال عليه السلام « من أصبح مرغبا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى
مقتلا ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلا وإن ظلا وإن ظلا ومن أصبح مسخطا لأبويه
أصبح له بابان مفتوحان إلى النار وإن أمسى مثل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلا وإن
ظلا وإن ظلا »^(٣٩) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجنة يوجد رحمها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد
رحمها عاق ولا قاطع رحم »^(٤٠) وقال عليه السلام « ربّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك »^(٤١)
وعن والديه كتبته عاقا ، وقيل ما دخل يعقوب بن يوسف عليها السلام لمزمع له فأوحى إليه إلهه أن تأطام
أن تقوم لأبيك وعزى وجلاي لا أخرجت من سبلك نيا وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحد إذا أراد
أن يتصدق بصدقة أن يجلسه لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرهما ويكون له مثل أجرهما من
غير أن ينقص من أجرهما شيء »^(٤٢) وقال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذ

إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من يرأى شيأ أبرها به بعد وفاتها ؟ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإفاد عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا تصل إلا بهما (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهله و آية بعد أن يولى الأب (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدة على الولد مضغان (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الوالدة أسرع إجابة لقليل يارسول الله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدين من أحبهم من الأب ودعوة الرحم لا تنقطع (٤) » . وسأله رجل فقال : يارسول الله من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لو والديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله والدا أمان ولده على بره (٦) » أم لم يحمله على القوق بسوء عمله . وقال صلى الله عليه وسلم « ساوا بين أولادك في العطية » وقد قيل ولدك رعايتك تشمها سيما وخادمك سيما ثم هو عدوك أو شريكك . وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « الغلام يبق عنه يوم السابع ويسمى ويمطأ عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجته أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنبئتك أعوذ بأقمن فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حق الوالد على الولد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه (٨) » وقال عليه الصلاة والسلام « كل غلام رهين أو رهينة ببقيته تدبج عنه يوم السابع ويحلق رأسه (٩) » وقال قتادة إذا ذبحت البقرة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها وأدججها ثم وضع على يافوخ الصبي حتى يسيل عنه مثل الحيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت

(١) حديث مالك بن ربيعة يتناخن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال هل بقي على من يرأى شيأ أبرها به بعد وفاتها ؟ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإفاد عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا تصل إلا بها (٢) حديث ابن من أبر البر أن يصل الرجل أهله و آية بعد أن يولى الأب (٣) حديث ابن من أحبهم من الأب ودعوة الرحم لا تنقطع (٤) حديث ابن من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لو والديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق (٥) حديث ابن من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لو والديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق (٦) حديث ابن من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لو والديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق (٧) حديث ابن من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لو والديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق (٨) حديث ابن من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لو والديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق (٩) حديث ابن من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لو والديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق

أُسنده ويستحب الرفق بالولد . وأرى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول ولله
الحسن فقال إنني عسرتم من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه الصلاة والسلام « إن من لا رحم
لا رحم » (١) وقالت عائشة رضي الله عنها « قال لي رسول الله ﷺ يوما اضلني وجه أمامة جللت
أنفله وأنا أنفة فغضب يدي ثم أخذ فسل وجهه ثم قبله ثم قال : قد أحسن بنا إذ لم يكن جلابة » (٢)
وتشر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فقرأ خطبه وقرأ قوله تعالى - إنا مالكوكم والكوا لا دم
تنة - (٣) وقال عبد الله بن شداد « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاءه الحسين
فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد
أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال : إن ابني قد أرحلني فكرهت أن أبصحه
حتى يقضى حاجته » (٤) وفي ذلك فوائد إحداها القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله
تعالى إذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمة . وقال ﷺ « ربع الواسع ربع الجنة » (٥)
وقال يزيد بن معاوية أرسلني إلى الأحنف بن قيس فطاوعل إليه قال : يا أبا بحر ما تقول في الولد ؟
قال يا أمير المؤمنين يحار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لم أرض ذليلة ومهاد ظلية وبهم نصول على
كل جليلة فإن طربوا فأعظمهم وإن غضبوا فأرضهم ينحروك ودمهم وبجوك جهدهم ولا تكن عليهم
تقلا قتيلا فيلوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال لمعاوية له أنت يا أحنف لقد دخلت
على وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبث إليه بئاني
أثف درهم وماتني ثوب فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب تقاسمه إياها على الشرط
فنهضه الأخبار الدالة على تأكده على الولد والدين وكيفية القيام بخمسها تعرف بما ذكرناه من حق الأخوة
فإن هذه الرابطة أكرم من الأخوة بل يزيد هنا أمران : أحدهما أن أكثر العلماء على أن طاعة
الأبوين واجبة في الشبهات وإن لم يجب في الحرام المصح حتى إذا كانتا يتضخان بأهراءك عنهما بالطعام
فذلك أن تأكل معهما لأن ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك أن تسافر
في مباح أو ناقة إلا بأذنهما والبادرة إلى الحج الذي هو فرض الاسلام قبل لأنه في التأخير والحرج
لطلب العلم قبل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك
وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فليته الهجرة ولا يتقيد عني

عند المأهالة عيان
 بلطنان ينظر بها إلى
 مولاموعيان ظاهران
 يستعملهما في طريق
 هواء، وقد قلت رابعة
 في معنى هذا نظما :
 إني جلستك في القواد
 محدثي
 وأبحت جسي من
 أرواد جلوسى
 فاجلس من الجلوس
 مؤانس
 وحبيب قلبي في القواد
 أنسى .

والطف من هذا فنة
أخرى غشاها التأهل
وهو أن يصير للروح
استرواح إلى لطف
الجمال ويكون ذلك
الاسترواح موقوفا
على الروح ويصير

ذلك وليجة في حب
الروح المخصوص
بالمعلق بالحضرة الالهية
فتبكي الروح وينسند
باب الزيد من التفتح
وهذه البلادة في الروح
يزال الشعور بها لتتحد
ومن هذا القيل
دخلت الفتة على طائفة

(١) حديث رأى الأعمش بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إنني عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال من لا يرم لآرم البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه أمانة فغسلته وأما أمة فغسلت يدي ثم أخذته فغسل وجهه ثم غلبه ثم قال قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية لم أجده هكذا ولأحد من حديث عائشة أن أمانة عثر بئنة الباب فهدى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسحه ويقول لو كان أمانة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أتتها وإسناده صحيح (٣) حديث عثر الحسن وهو على منبره عليه السلام فزل غلظه وقرأ قوله تعالى : إنا أموالكم وأولادكم فتنة - أصحاب السنن من حديث ربيعة في الحسن والحسين معا عشيان ويصبران قال الترمذي حسن غريب (٤) حديث عبد الله بن شداد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاء الحسن فركب عنقه النسائي من رواية عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين هل الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث ربع الولد من ربع الجنة الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه منديل بن علي ضعيف .

الوالدين قال أبو سعيد الخدري «هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام هل باليمن أبوك قال نعم قال هل أذنالك ؟ قال لا فقال عليه السلام فارجع إلى أبوك فاستأذنها فان فلا يجاهد إلا فبرها ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد^(١)». وجاء آخر إليه صلى الله عليه وسلم ليستشير في الزو فقال ألك والدة قال نعم قال فامر بها فان الجنة عند جلبها^(٢). وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال ماجئت حتى أبكيت والدي فقال راجع إليها فأضحكها كما أبكتها^(٣) وقال عليه السلام «حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده^(٤)». وقال عليه السلام «إذا استصعب على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه^(٥)» (حقوق المملوك)

اعلم أن ملك النكاح قدسبت حقوقه في آداب النكاح فأما ملك اليمن فهو أيضا يقتضى حقوقا في العاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما وصى به رسول الله عليه السلام أن قال «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطمعوهما بما تأكلون واكسوهما ما تلبسون ولا تكلفوهما من العمل ما لا يطيقون فما أحببتهم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم بإيامه ولو شاء لملكهم بإيامكم^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق^(٧)» وقال عليه السلام «لا يدخل الجنة خب ولا متكبرا ولا خائنا ولا سيء الملكة^(٨)» وقال

(١) حديث أبي سعيد الخدري هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم باليمن أبوك ؟ قال نعم الحديث أحمد وابن حبان دون قوله ما استطعت الخ (٢) حديث جاء آخر إلى النبي عليه السلام يستشير في الزو فقال ألك والدة فقال نعم قال فامر بها فان الجنة عند جلبها نعمت قدما للنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جاهنم قال جاءه أني النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح الإسناد (٣) حديث جاء آخر فقال ماجئت حتى أبكيت والدي فقال راجع إليها فأضحكها كما أبكتها أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عبدالله بن عمرو وقال صحيح الإسناد (٤) حديث حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود في الراسيل من رواية سعيد بن عمرو بن العاص مرسلًا ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد ابن العاص وإسناده ضعيف (٥) حديث إذا استصعب على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب بسند ضعيف نحوه (٦) حديث كان من آخر ما وصى به رسول الله عليه السلام أن قال اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطمعوهما بما تأكلون الحديث الخ وهو مفرق في عدة أحاديث فروى أبو داود من حديث علي كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وفي الصحيحين من حديث أنس كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ولهما من حديث أبي ذر أطمعوهما بما تأكلون وألبسوهما مما تلبسون ولا تكلفوهما ما يظلمهم فان كلفتموهما فاعتنوهم لفظ رواية مسلم وفي رواية لأبي داود من لا يمكن مملوككم فأطمعوهما بما تأكلون واكسوهما ما تلبسون ومن لا يلبسهم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى وإسناده صحيح (٧) حديث للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق مسلم من حديث أبي هريرة (٨) حديث لا يدخل الجنة خب ولا متكبرا ولا خائنا ولا سيء الملكة أحمد مجموعا والترمذي مفردا وابن ماجه مقتصرًا على سيء الملكة من حديث أبي بكر وليس

قالوا بالمشاهدة وإذا كان في باب الحلال ولبيعة في الحب يتولد منها ببلادة الروح في القيام بوظايف حب الحضرة الإلهية فما ظنك فيمن يدعي ذلك في باب غير مشروع فبقره مكنون النفس فيظن أنه لو كان من قبيل الهوى ما سكنت النفس

والنفس لا تسكن في ذلك تأمل ما تلبس من الروح ذلك الوصف وتأخذ إليها على أني استبحشت عما يبئني به للفتونون بالمشاهدة فوجدت الهوى من ذلك من صورة الفسق عنده رغبة شراب الشهوة إذ لو ذهب علة الشراب ما بقيت الرغبة فليحذر ذلك جسدا ولا يسمع ممن يدعي فيه حالا وصحة فانه ككذاب مدع ولهذا المعنى قال الأطباء الجماع يسكن هيجان العشق وإن كان من غير

عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفق
عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه في كل يوم سبعين مرة ^(١) »
وكان عمر رضى الله عنه يذهب إلى العوالي في كل يوم سبت فإذا وجد عبدا في عمل لا يطقه وضع
عنه منه . وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلامه يسمى خلفه
قال له يا عبد الله أحمله خلفك فأما هو أخوك روحه مثل روحك فعلمه ثم قال لا يزال البعد يزدد
من الله بعدا ما مضى خلفه . وقالت جارية لأبي الدرداء إني ممتك منذ سنة لما عمل بك شيئا فقال
لم فصمت ذلك قالت أردت الراحة منك قال انهي عني فأنت حر فوجه الله وقال الزهري متى قلت للملوك
أخزأك الله فهو حر . وقيل للأخنف بن قيس ممن تملكت الحلم ؟ قال من قيس بن عاصم . قيل فابخل من
حلمه ؟ قال بئنا هو جالس في داره إذ أتته خادمة بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابنه
فصره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العلق قال لها أنت حره لا بأس
عليك وكان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال ما تشبهك بمولك مولك يسمى مولاه وأنت تسمى
مولاك فأغضبه يوما فقال إنما تريد أن أضربك انذهب فأنت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف
فانتحبل على جاريته بالمشاء فجمعت بسرعة ومعا قصة مخلوعة ففترت وأراقها على رأس سيدها ميمون
قال بإجارية أحرقتني قالت يا معلم الحير ومؤدب الناس ارجع إلى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى
قالت قال - والكاذبين التبط - قال قد كظمت غيظي قالت سو الفانين عن الناس - قال قد عفوت عنك
قالت زد فان الله تعالى يقول - والله يحب المحسنين - قال أنت حر فوجه الله تعالى . وقال ابن السكندر
« إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل البعد يقول أسألك بالله
أسألك بوجه الله فلم يشفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح البعد فانطلق إليه فلما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه الله فلم يشفه فلما رأى
يدك قال فانه حر فوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل لاسفوت وجهك النار ^(٢) » وقال ^(٣) « البعد
إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين ^(٤) » ولما عتق أبو رافع بنى وقال كان لي أجران
فذهب أحدهما وقال صلى الله عليه وسلم « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار
فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف
ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة لا يبطى حق الله وقبر فخور ^(٥) » وعن أبي

للمثوق فليعلم أن
مستند الشهوة
ويكذب من يدعى
فيه حالا وهذه فتى
للتأهل وقتة العزب
مرور النساء بخاطره
وتصورهن في متخيله
ومن أعطى الطهارة
في باطنه لا يدنس باطنه
بخواطر الشهوة وإذا
سنت الخواطر يحويه
بحسن الانابة واليباد
بالحر يومئذ سائر
السكر كنف الخاطر
وخرج من القلب إلى
الصدر . وعند ذلك
يخدر حساس الضو
بالخاطر فيصير ذلك
عملا خفيا وما أتبع
مثل هذا بالصادق
للتطلع إلى الحضور
واليقظة فيكون ذلك
فاحة الحال وقد قيل
مرور الفاحشة بقلب
الصارفين كفصل
الفاعلين لها واقفا علم .
[الباب الثاني
والعشرون في القول
في السباع قولوا لشارا]
قال الله تعالى - فبشر

عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذي البيهقي والنان وهو ضيف وحسن الترمذي أحد طريقه
(١) حديث ابن عمر جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم تنفعون الخادم
فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب
(٢) حديث ابن السكندر أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل البعد
يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح البعد الحديث ابن
البارك في الزهد مراسلا في رواية لمسلم في حديث أني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أعوذ بالله قال
فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له قلت هو حر فوجه الله فقال أما إنك لو لم
تفعل لفمحتك النار أو لمسكت النار (٣) حديث إذا نصح البعد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره
مرتين متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول
ثلاثة يدخلون النار فأول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده

مسعود الأنصاري قال « بينا أنا أضرب علاماً لي إذ سمعت صوتاً من خلفي أعلم بأن اسمي مودرتين فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقيمت السوط من يدي فقال : والله قد أتدبر عليك منك على هذا ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يعطيه الحلو فإنه أطيب لنفسه ^(٢) » رواه معاذ . وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليتناوله لقمة ^(٣) » وفي رواية « إذا كنت أحدكم يملوك صنعة طعامه فكلها حرة وموئته وقربه إليه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليتناوله أو ليأخذ أكلة فليروغها وأشار بيده وليضعها في يده وليقل كل هذه . » ودخل على سلمان رجل وهو يبعث فقال يا أبا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجتمع عليه فعملين وقال صلى الله عليه وسلم « من كانت عنده جارية فصاتها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران ^(٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته ^(٥) » فجعلته حق المملوك أن يشركه في طعامه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر إليه بين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهوته أو يجنبه في معاصيه وجنابته على حق الله تعالى وتقصيره في طاعته مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة ورجل عصي إمامه فأت عاصياً فلا يسأل عنها وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فبرجت بعده فلا يسأل عنها وثلاثة لا يسأل عنهم رجل ينازع الله رداؤه ورداؤه الكبرياء وإزاره العز ورجل في شك من الله وقنوط من رحمة الله ^(٦) » ثم كتاب آداب الصبغة والمباشرة مع أصناف الخلق .

(كتاب آداب العزلة)

(وهو الكتاب السادس من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه وصوته بأن صرف همهم إلى مؤانسته وأجزل حظه من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح أسرارهم بمناجاته وملاطفته وحق في قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وهرتها حتى اغتبط بعزلة كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستأنس بمطالعة سبجات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته

الحديث الترمذي وقال حسن وابن حبان من حديث أبي هريرة .

(١) حديث أبي مسعود الأنصاري بينا أنا أضرب علاماً لي سمعت صوتاً من خلفي أعلم بأن اسمي مودرتين الحديث رواه مسلم (٢) حديث معاذ إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يعطيه الحلو فإنه أطيب لنفسه الطبراني في الأوسط والخراطي في معارج الأهل بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة وليأكل معك معك فإن أتى فليتناوله وفي رواية إذا كنت أحدكم يملوك صنعة طعامه الحديث متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو في معارج الأهل للخرراطي للفظين اللذين ذكرهما المصنف غير أنه لم يذكر علاجاً وهذه اللفظة عند البخاري (٤) حديث من كانت عنده جارية فصاتها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم (٦) حديث فضالة بن عبيد ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً الحديث الطبراني والحاكم وصححه .

(كتاب العزلة)

(الباب الأول في ثقل اللذاهب والحجج فيها)

عباد الله يستمعون

القول فيتمون أحسنه

أولئك الذين هدام الله

وأولئك هم أولو الألباب -

قيل أحسنه أي أهده

وأرشده وقال عز

وجل - وإذا سمعوا

ما أنزل إلى الرسول ترى

أنهم يفتخرون فمنهم من

يعرفون الحق -

هذا البيع هو البيع

الحق الذي لا يختلف

فيه اثنان من أهل

الإيمان محكوم لصاحبه

بالمداية واللب وهذا

مما تدرج رراته على

برد اليقين فتبين

العين بالسمع لأنه تارة

يشير حرناً والخرن حار

وتارة يشير شوقاً

والشوق حار وتارة

يشير بدماء والندم حر

فإذا آثار البيع هذه

الصفات من صاحب

قلب ملو يرد اليقين

أبكي وأدع لأن

الحرارة والبرودة إذا

اصطدما عصر اماماً فإذا

ألم البيع بالقلب تارة

غف - إلهامه فيظهر

والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحابه سادة الحق وأئمة .

[أما بعد] فإن للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل إحداها على الأخرى مع أن كل واحدة منهما لا تتفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها وميل أكثر البعاد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصعبة من فضيلة المخالطة وللزواجة والثالثة بكاد يناقض ما مال إليه الأكثرون من اختيار الاستباحة والمخالطة فكشف القطاء عن الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم بابين . الباب الأول : في قل للذاهب والحجج فيها . الباب الثاني : في كشف القطاء عن الحق بحصر القوائد والقوائل .

(الباب الأول في قل للذاهب والأقويل وذكر حجج القريبين في ذلك)

أما للذاهب قد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وداود الطائي وفضل بن عياض وسليمان الحواس ويوسف بن أسباط وحذيفة للرعي وبشر الحافي وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستئانة بهم في الدين تماوتا على البر والتقوى ومال إلى هذا سعيد بن المسيب والشعي وإبن أبي ليلى وهشام بن عروة وإبن شبرمة وشرح وشريك إبن عبد الله وإبن عينة وإبن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة ، والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين وإلى كلمات مقرونة بماتشير إلى علة الليل فانقل الآن مطلقات تلك الكلمات لتبين للذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نوره عند التمرض للقوائل والقوائد فقول قد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال إبن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله عجا وبالقرآن مؤنسا وبالوقت واعظا وقيل اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً . وقال أبو الريح الزاهد داود الطائي عظمي قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد وقال الحسن رحمه الله كلمات أحفظهن من التوراة قنع إبن آدم فاستغنى اعتزل الناس فلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتشمت طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا أن الحسكة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما ضربك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا غاب أصبر على أكثر من هذا كنت أجالس الناس ولأأكلهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شعب من العاقبة فسكت معنا سبعا لانسبح له كلاما فقتلناه يا هذا قد جئنا الله وإياك منذسبح ولا تراك تخالطنا ولا تسلكنا فأنتأ يقول :

قليل المم لاوله يموت ولا أمر يحاذره يموت
قضى وطر الصبا وأفاد علما قضائه التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل وكذا قال الريح بن خثيم وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويصود الرضى ويعطى الإخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لابن أبي لهزم أن يجربك عذره وقيل لعمر بن عبد العزيز لو نزعرت لنا فقال ذهاب القراع فلا فراغ إلا عند الله تعالى وقال الفضيل إني لأجد للرجل عندي بدا إذا لقيني أن لا يسلم علي وإذا مررت أن لا يودقني وقال أبو سليمان الداراني بينا الريح بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه جبرص فكبته فشجه فيصع السم ويقول قد وعظمت ياربع فقام ودخل داره فأجلس بهد ذلك على باب داره حتى أخرجته جنازته . وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لهما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتیان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن أسباط سمعت سفيان الثوري يقول : والله الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة

أثره في الجسد ويشعر منه الجلد قال الله تعالى - تشعر منه جلود الذين يخشون ربهم - وتارة يعظم وقسه ويتصوب أثره إلى فوق نحو السماع كالخبر للعقل يعظم وقع للتجدد الحادث فتندفق منه العين والسمع وتارة يتصوب أثره إلى الروح فتصوج منه الروح موجا يكاد تضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصليح والاضطراب وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب الجهال . روى أن عمر رضي الله عنه كان ربما مرباية في ورده فتخفه البرية ويستقط ويغرم البيت اليوم واليومين حتى يباد ويحسب مرضا فالسباع يستجلب الرحمة من الله الكريم . روى زيد بن أسلم قال

وقال بشر بن عبد الله أول من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيامة فان تكن ضحية
كان من يهلك قليلا ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له ألك حاجة ؟ قال نعم قال وما هي ؟
قال أن لا تراني ولا أراك ولا تعرفني وقال رجل لسهل أريد أن أصحبك فقال إذا مات أحدنا فمن يصحب
الآخر قال الله قال نليصحه الآن وقيل للفضيل إن عابا ابنك يقول لوددت أني في مكان أرى
الناس ولا يرونني فيكي الفضيل وقال يابوعلى أفلا أعياها فقال لأبراهيم ولا يرونني وقال الفضيل أيضا
من سجافة عقل الرجل كثرة معرفة وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل المجالس مجلس في قمر
يتنكز لآثرى ولا ترى فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة .

(ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها)

احتج هؤلاء بقوله تعالى - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا - الآية ويقولون تعالى - فألف بين
قلوبهم - أمكن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضيف لأن الراد به تفرق الآراء واختلف المذاهب
في معاني كتاب الله وأصول الشريعة والراد بالألفة نزاع القوائل من الصدور وهي الأسباب الكثيرة
لما تنقن الحركة للضومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ألف مألوف
والآخر فيمن لا يألف ولا يؤلف » وهذا أيضا ضيف لأنه إشارة إلى منمة سوء الخلق التي تمتنع
بسيه للزوجة ولا يدخل تحتها الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وألف ولكنه ترك المخالطة اشتغلا
بنفسه وطلبا لسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة شرا فخلع رقة
الاسلام من عنقه » وقال « من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية »^(١) وبقوله صلى الله عليه وسلم
« من شق عصا المسلمين والسلون في اسلام دامج فقد خلع رقة الاسلام من عنقه »^(٢) وهذا
ضيف لأن الراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة فالخروج عليهم ينفي وذلك مخالفة
بالرأى وخروج عليهم وذلك محذور لا اضطرار الخلق إلى إمام منقطع بجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة
من الأكثر فالمخالفة فيها تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة . واحتجوا بنبيه صلى الله
عليه وسلم عن المهاجر فوق ثلاث إذ قال « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار »^(٣)
وقال عليه السلام « لا يحمل لاسرى » مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة^(٤)
وقال « من هجر أخاه سنة فهو كسافك دم »^(٥) قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضيف لأن الراد
به الغضب على الناس والججاج فيه يقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة
أصلا من غير غضب مع أن المهاجرفوق ثلاث جائز في موضعين : أحدهما أن يرى فيه إصلاحا للمجهور في
الزيادة . والثاني أن يرى لنفسه سلامة فيه والتي وإن كان عاما فهو محمول على ما وراءه الوضامين
المختصين بدليل ما روى عن عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم هجرها هذا المحبة

(١) حديث للزمن القس مألوف الحديث تقدم في الباب الأول من آداب الصحبة (٢) حديث من ترك الجماعة
فمات فميتته جاهلية مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام
(٣) حديث من شق عصا المسلمين والسلون في اسلام دامج فقد خلع رقة الاسلام الطبراني والخطابي
في الزمعة من حديث ابن عباس بسند جيد (٤) حديث من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار أبو داود
من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح (٥) حديث لا يحمل لاسرى أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق
بالصلح يدخل الجنة متفق عليه من حديث أنس دون قوله والسابق بالصلح زاد فيه الطبراني والبيهقي
يبدأ بالصلح يسبق إلى الجنة (٦) حديث من هجر أخاه سنة فهو كسافك دم أبو داود من حديث
أبي خراش السلي واسمه حذرد بن أبي حذرد وإسناده صحيح .

فرا إلى بن كعب عند
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففرقوا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« اغتصموا الدعاء عند
الركة فلها رحمة من
الله تعالى » وروى أم
كثوم قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« إذا اقتصر وجه العبد
من خشية الله تحانت
عنه القنوب كما تحانت
عن الشجرة اليابسة
ورقمها » وورد أيضا « إذا
اقتصر الجهد من خشية
الله حرمه الله تعالى
على النار » وهذه جملة
لا تنكر ولا اختلاف
فيها إنما الاختلاف في
استماع الأشعار بالألحان
وقد كثرت الأقوال في
ذلك وتباينت الأحوال
فمن منكم ببلقه
بالسوق ومن مولع به
يشهد بأنه واسع الحق
ويشجاذان في طرفي
الافراط والتقصير .
نيل لأبي الحسن بن سالم
كيف تنكر البيع
وقد كان الجنيدي سري

والهجرم وبعض صفر^(١)» وروى عن عمر «أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآل من شهره وصعد إلى غرفة له وهي خزائنه فلبث تسعا وعشرين يوما فلما نزل قيل له إنك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين^(٢)» وروى عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا يجل لسلطان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا يؤمن بوائقه^(٣)» فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال : هجران الأخفى قرابة إلى الله فإن ذلك يدوم إلى الموت إذ الحفاقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم : سعد بن أبي وقاص كان مهاجرا للهارب بن ياسر حتى مات وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طامس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا وكل ذلك يجعل على رؤسهم سلامتهم في الهجرة . واحتجوا بما روى « أن رجلا أتى الجبل ليتبذ فيه لحى » إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تغفل أنت ولا أحد منكم لمبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما^(٤)» والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الإسلام بدليل ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقررنا بشعب فيه عينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولني أفضل ذلك حتى أذكره رسول الله ﷺ فقال صلى الله عليه وسلم : لا تغفل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في أهله ستين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله فإنه من قاتل في سبيل الله فوق ناقة أدخله الله الجنة^(٥)» واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه ﷺ قال «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة وإياكم والشعاب عليكم بالعاملة والجماعة والمساجد^(٦)» وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتي بيان ذلك وأن ذلك ينهى عنه إلا لفروضة .

(ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة)

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام - واعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربى - الآية ثم قال تعالى - فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا - إشارة إلى أن ذلك بركة العزلة وهذا صنف لأن مخالطة الكفار لافائدة فيها لإدعوتهم إلى الدين وغند اليأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم وإنما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم هجر عائشة ذا الحجة والهجرم وبعض صفر . قلت : إنما هجر زينب هذه اللمة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح (٢) حديث عمر أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآل من شهره الحديث متفق عليه (٣) حديث عائشة لا يجل لسلطان أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لا يؤمن بوائقه ابن عدى وقال غريب اللقن والاسناد وحديث عائشة عند أبي داود دون الاستثناء بإسناد صحيح (٤) حديث أن رجلا أتى الجبل ليتبذ فيه لحى » إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تغفل الحديث البيهقي من حديث عسعين بن سلامة قال ابن عبد البر يقولون إن حديث مرسل وكذا ذكره ابن جبان في ثقات التابعين (٥) حديث أبي هريرة غزونا مع عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقررنا شعب فيه عينة طيبة الماء غزرة فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب الحديث الترمذى وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم إلا أن الترمذى قال سبعين عاما (٦) حديث معاذ بن جبل الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية أحمد والطبراني ورجاله ثقات إلا أنه انقطاعا .

السقطى وذو النون يسمعون فقال كيف أنكر السماع وقد أجازوه وصحه من هو خير مني فقد كان جعفر الطيار يسمع وإنما التنكير المهور واللب في السماع وهذا قول صحيح . أخبرنا الشيخ طاهر بن أبي الفضل عن أبيه الحافظ للقدس قال أنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن الحسن الحوافي قال أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف قال ثنا أبو بكر بن ثواب وقال ثنا عمرو بن الحرث قال ثنا الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها « أن أبا بكر دخل عليها عندها جليشان قتيبان وقضبان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مبعج بثوبه فأنشدها أبو بكر فكشفت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد »

لما روى أنه قيل « يا رسول الله الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه الطاهر التي يتطهر منها الناس فقال لمن هذه الطاهر انما لبركة أبدي السلمين ^(١) » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها فإذا الجر المنقع في حياض الأدم وقد مئته الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويثربون فاستسقى منه وقال اسقوني فقال الباس إن هذا النبيذ شراب قد مئت وخيض بالأيدي أهلا آتيك شراب أنظف من هذا من جر غمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس أنظف بركة أبدي السلمين فشرب منه ^(٢) » فإذا كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال السلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام - وإن لم تؤمنوا لي فاعزّلون - وأنه فرغ إلى العزلة عند البأس منهم وقال تعالى في أصحاب الكهف - وإذا اعتزّل قوم وما يبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشركم ربكم من رحمة - أمرهم بالعزلة « وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريبا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والمهجرة إلى أرض الحبشة ^(٣) » ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أطل الله كلمته وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد البأس منهم فإنه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل للسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بضواوم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار وإنما النظر في العزلة من السلمين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لبيد الله بن عامر الجهني لما قال « يا رسول الله ما النجاة ؟ قال ليسمك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك ^(٤) » وروى أنه قيل له صلى الله عليه وسلم « أي الناس أفضل ؟ قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى قيل ثم من ؟ قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يبد ربه ويدع الناس من شره ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد التقي الذي الخفي ^(٦) » وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فاما قوله لبيد الله بن عامر

(١) حديث قيل له صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه الطاهر التي يتطهر منها الناس فقال لمن هذه الطاهر الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٢) حديث لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرب منها فإذا الجر المنقع في حياض الأدم قد مئته الناس بأيديهم الحديث وفيه فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس رواه الأزرقي في تاريخ مكن من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاوس مرسل نحوه (٣) حديث اعتزاله صلى الله عليه وسلم قريبا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والمهجرة إلى الحبشة الحديث رواه موسى بن عقبة في الغزالي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب مرسل ورواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن شهاب بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مرسل أيضا ووصله من رواية أبي سلمة الحضرمي عن ابن عباس إلا أن ابن سعد ذكر أن للشريكين حصروا بنى هاشم في الشعب وذكر موسى بن عقبة أن أبا طالب جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مشبه ومغازى موسى بن عقبة أصح للغزالي وذكر موسى بن عقبة أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة ولأبي داود من حديث أبي موسى أنه أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يفر من أرض الحبشة قال البيهقي وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود بن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التجاشي وروى ابن اسحق بإسناده صحيح ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث أبي سلمة إن أرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاد الحديث (٤) حديث سأله عقبة بن عامر يا رسول الله ما النجاة ؟ فقال ليسمك بيتك الحديث الترمذي من حديث عقبة وقال حسن (٥) حديث أي الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري (٦) حديث إن الله يحب العبد التقي الذي الخفي مسلم

وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت رسولا صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة ليعيون في السجد حتى أكون أنا أسألم » قد ذكر الشيخ أبو طالب للسك رحمة الله ما يدل على تجويزه ونقل عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم وقول الشيخ أبي طالب للسك يستبر لوفور علمه وكمال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتجربته الأصواب والأولى وقال في السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهو يفتو حرام ومن سمعه بمقلوه على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيعوم من سمعه بقلب يشاهد معاني تدله على اللبيل ويشده طرقات اللبيل فهو مباح وهذا

فلا يمكن تنزيهه إلا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة فإنه يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الذي يخالط الناس ويصير على أدام خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصير على أدام» (١) وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام «رجل معزل بعيد ربه ويدع الناس من شره» فهذا إشارة إلى شرّ من يطعمه تأذى الناس بمخالطته وقوله «إن الله يحب التقي الخفي» إشارة إلى إشار الحول وتوقى الشهرة، وذلك لا يتعلق بالعزلة فك من راهب معزل تعرفه كافة الناس وكمن مخالط لامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة، واحتجوا بما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «ألا أنبئكم غير الناس قالوا بلى يا رسول الله فأشار يده نحو القرب وقال رجل أخذ بستان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم غير الناس بعده وأشار يده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس» (٢) فإذا ظهر أن هذه الأدلة لا تغنيها فهم الجانين فلا بد من كشف النطا بالتصريح بفوائد العزلة وغوائها ومقاساة بعضها باليمن لبيتين الحق فيها.

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائها وكشف الحق في فضائلها)

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة، وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ما مضاه من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر أولاً فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دنيوية ودنيوية والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى تخلف من ارتكاب الناهي التي يترتب على الإنسان لها بالمخالطة كالرياء والفتية والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء. وأما الدنيوية فنقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكين المحترف في خلوته إلى ما يغفل من محذورات تعرض لها بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطعمه في الناس وطعم الناس فيه وانكشاف ستر مروه بالمخالطة والتأذى بسوء خلق الجليس في مرأته أو سوء ظنه أو نعيمته أو محاسناته والتأذى بقله وتشويه خلقته وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد :

(الفائدة الأولى)

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بجماعة الله تعالى عن مناجاة الحق والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوته السموات والأرض فإن ذلك يستدعي فراغ لا فإراغ مع المخالطة فالعزلة وسادة إليه، ولهذا قال بعض الحكماء لا يمكن أهدن من الخلوة إلا بالنكاح يكتب الله

من حديث سعد بن أبي وقاص (١) حديث الذي يخالط الناس ولا يصير على أدام الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد (٢) حديث ألا أنبئكم غير الناس قالوا بلى قال فأشار يده نحو القرب وقال رجل أخذ بستان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه الحديث الطبراني من حديث أبشهر إلا أنه قال نحو للشرق بدل القرب وفيه ابن اسحق رواه بالنعنة وللترمذي والنسائي نحوه مختصراً من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن.

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائها)

قول الشيخ أبي طالب السكي وهو الصحيح فإذن لا يطلق القول بعنسه ونحرجه والانكار على من يسمع كتمل القراءة للزهدين الباقين في الانكار ولا يسمع فيه على الإطلاق كتمل بعض المشتهرين به المهملين شروط وآداب القيمين على الإصرار وتفصل الأمر فيه تفصيلاً ونوضح الماهية فيه تحريماً وتعليلاً فأما الدنف والشبابه وإن كان فيها في مذهب الشافعي فسحة فالأولى تركها والأخذ بالأحوط والمروج من الخلاف وأما غير ذلك فإن كان من القصاص في ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصفهم الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الحيرات فلا سبيل إلى الانكار ومن ذلك القبول قاصد العزاة

تعالى وللمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله القادر أن يكرم الله بآله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولفوا الله بذكر الله ، ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالزلة أولى بهم ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يتنزل في جبل حراء وينزل إليه حتى قوى في نور النبوة (١) فكان الخلق لا يجيبونه عن الله فكان يدينه مع الخلق وقبله متبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليفه ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن استغراقهم بالله فقال ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله (٢) ولئن بسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والاقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يتفكر ضعيف بنمسه فيقطع في ذلك ولا يمد أن تنتهي درجة بعض الأولياء إليه ، فقد نقل عن الجليل أنه قال أنا أكلهم أكلهم منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلهم وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبق لغيره فيه متسع وذلك غير منكر في المشتهرين بحب الخلق من مخالطة الناس يدينه وهو لا يدري ما يقول ولا يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهام لم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه فقد يستغرق الهم بحيث يخاطب الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلا يستجلب ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستمانة بالزلة ، ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي أرادوا بالحلوة واختيار الزلة فقال يستعدون بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة وينذفوا خلاوة للفرقة وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا وحدي أنا جلوس الله تعالى إذا شئت أن يتاجبي قرأت كتابه وإذا شئت أن أتاجبه سليت وقيل لبعض الحكماء إلى أي شيء أفضى بك الزهد والحلوة فقال إلى الأنس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم ابن آدم رحمه الله في بلاد الشام فقلت له يا إبراهيم تركت خراسان فقال ما نهأت بالعيش إلا هنا أفر يدني من شاطئ إلى شاطئ فمن برأى يقول موسوس أوحل أو ملاح وقيل لفزوان الراقي هبك لاتفضح فما يملك من محلة إخوانك قال إني أصيب راحة قلبي في جمالة من عنده حاجتي وقيل للحسن أبا سعيدهما رجل لم تره قط جالسا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني به فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرنا بك وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال له يا عبد الله أراك قد حبيت إليك العزلة فما يملك من جمالة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال فما يملك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه فقال أمر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذاك الشغل رحمك الله فقال إني أصبح وأمسى بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فأقر ما أنت عليه وقيل بينا أوبس القرني جالسا إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أوبس ما جاء بك قال جئت لأنني بك قال أوبس ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل إذا رأيت الليل مقبلا فرح به وقلت أخلو ربّي وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قيل له وكيف ذلك قال يتاجى الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال ذوالنون المصري سرور المؤمن ولذته في الحلوة بتناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل من محادثة المخلوقين

(١) حدث كان صلى الله عليه وسلم في أول أمره يتنزل في جبل حراء وينزل إليه متفق عليه من حديث عائشة نحوه فكان يخلو بغار حراء يتحنن فيه الحديث (٢) حدث لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

والحجاب في وصف القزو والحج بما يثير كائن الزمزم القزى وساكن الشوق من الحاج وأما ما كان من ذكر القدود والحدود ووصف النساء فلا يليق بأهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك وأما ما كان من ذكر الهجر والوصل والتطعية والصد مما يقرب حمله على أمور الحق سبحانه وتعالى من تلون نحوال الريدين ودخول الآفات على الطالبين فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات أو تجدد عنده عزم لما هو آت فكيف يكون جماعه وقد قيل إن بعض الواجدین يقتات بالباع ويتقوى به على الطمى والواصل ويثير عنده من الشوق ما يذهب عنه لخب الجوع فإذا استمع العبد إلى بيت من الشعر وقلبه حاضره كان يسمع الحادى

فقد دل علمه وعمى قلبه وضيع عمره . وقال ابن البارك ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى وروى عن بعض الصالحين أنه قال بينا أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا ببادخارج من بعض تلك الجبال فلما نظرت إلى تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل على النظر إليك فقال باهذا إلى أفت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبى بالصبر عن الدنيا وأهلها فقال في ذلك تمى وبنى فيه عمري فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظى من أيامى في مجاهدة قلبى فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة والافتراد فلما نظرت إليك خفت أن أفزع في الأمر الأول فإليك عنى فإني أعوذ من شرك رب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح وانحما من طول للسكت في الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم نفض يديه وقال إليك عنى يا دنيا لغيرى فزنى وأهلك فزرى ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما لم يلقى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان وجمعهم في ذكره فلاشئ الله عندهم من مناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس فإذا في الخلوة أنس يذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي ذلك مثل قيل :

وإني لأستشئ وماى غشوة لعل خيالا منك بلقى خياليا
وأخرج من بين الجيوس لللى أحدث عنك النفس بالسر خياليا

ولذلك قال بعض الحكماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لحلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ لثاقلة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالسكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على العسكرية ويستخرج العلم والحكمة . وقد قيل الاستنشاس بالناس من علامات الافلاس فإذا هذه فائدة جزية ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالنجد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فإن غاية العبادات ونجرة المعاملات أن يموت الإنسان بمحبة الله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفرغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة .

(الفائدة الثانية)

التخلص بالزلة عن المعاصي التي يتعرض لها غالباً بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة القية والنجية والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا . أما القية فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربيع الهللكات وجوها عرفت أنها تنحصر غنيا مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون فإن عادة الناس كافة التضمض بأعراض الناس والتفكه بها والتنقل بمحادثتها وهي مطمئن ولذتهم وإليها يستروحون ومن حشمتهم في الخلوة فإن خالطهم وواقفهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وإن سكت كنت شريكاً ولستم أحد القانتين وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك للفتاب واختابوك فازدادوا غيبة إلى غيبة وربما زادوا على الغيبة واتموا إلى الاستخفاف والشم . وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتى بيانه في آخر هذا الرابع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عنى الله به وإن أنكرت تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يجره طلب الخلاص منها إلى معاصى أكبر مما نهى عنه ابتداء وفي الزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق . وقد قام أبو بكر رضى الله عنه خطيباً وقال يا أيها الناس إنكم تفرعون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم - وإنكم تضعونها في غير موضعها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه .

أتوب إليك يا رحمن أن
أسأت وقد تضاعفت
الذنوب

فأما من هو لى لى وحى
زيارتها دنى لا أتوب
فطاب قلبه لما يجده
من قوة عزمه على
الثبات في أمر الحق
إلى الممات يكون في
معاذه هذا ذا كراهه
تعالى . قال بعض
أصحابنا هكذا تعرف
مواجيد أصحابنا في
ثلاثة أشياء عند
المسائل وعند الضرب
وعند السجاء . وقال
النجيد تنزل الرحمة
على هذه الطائفة في
ثلاثة مواضع عند
الأكل لأنهم يأكلون
عن ذمة عند لذة كره
لأنهم يتجاوزون في
مقامات الصديقين
وأحوال النبيين وعند
البيع لأنهم يسمعون
بوجد ويشهدون حقا
ومثل روي عن وجد
الصوفية عند البيع
فقال يتبنون له ما في
التي تعزب عن غيرهم

أوشك أن يعمهم الله بقباب (١) « وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليسأل العبد حتى يقول له مامنك إذا رأيت النكر في الدنيا أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجة قال يارب رجوتك وخفت الناس (٢) » وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ومعرفة حدودك ومشكلة وفيه خطر وفي العزلة حلاس وفي الأمر بالمعروف والنهي عن النكر إثارة للخصومات وتحريك لقوائل الصدور كأقيل :
وكم صفت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البضنة للتمتع

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالباً فإنه يجدار مائل يريد الإنسان أن يقيم فيوشك أن يسقط عليه فإذا سقط عليه يقول بالتي تركتها ما لاني لم وجد أعواناً أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لا استقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وأنج نفسك . وأما الرياء فهو الداء الضال الذي يصسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراً ومن دارهم راءاً ومن راءهم واقعاً وقوا فيه وهلك كما هلكوا أو أقل ما يلزم فيه اتفاقاً فكأن خالطت متعددين ولم تلق كل واحد منهم بوجه وواجه صرت بيضا إليهم جميعاً وإن جاملتها كنت من شرار الناس . وقال عليه السلام « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (٣) » وقال عليه السلام « إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (٤) » وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب إما في الأصل وإما في الزيادة وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت وكيف أمهلك وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه وهذا اتفاق محض قال سرى لودخل على ألعلى فسوت لطبق يدي لدخوله فغشيت أن أكتب في جريدة الناقدين وكان الفضيل جالساً وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخيه فقال له ما جاء بك قال الوائسة يا أبا علي فقال هي والله بالموأشة أشبه هل تريد إلا أن تترنن لي وأنترن لك وتكذب لي أو أكذب لك إنما أن تقوم عني أو أقوم عنك . وقال بعض العلماء ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يشمر به ودخل طائوس على الخليفة هشام فقال كيف أنت يا هشام فغضب عليه وقال لم تخاطبني بأمر المؤمنين فقال لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فغشيت أن أكون كاذباً فمن أمكنه أن يجترز هذا الاحتراز فليخاطب الناس وإلا فليرض بآثبات اسمه في جريدة الناقدين قصد كان السلف يتلاون ويحترزون في قولهم كيف أصبحت وكيف أصبحت وكيف أصبحت وكيف أصبحت وكيف أصبحت فكأن مؤالمين من أحوال الدين لأن أحوال الدنيا قال حاتم الأصم لحامد القلاف كيف أنت في هسك قال سالم معاني فكره حاتم جوابه وقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان إذا قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت قال أصبحت لا أمالك تقديم ما أرجو ولا استطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتباً بعمل والخير كله في يد غيري ولا فقير أقر منى وكان الريس بن خثيم إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت من ضغامة مذنبين نستوفي أرزاقنا ونتنظر آجالنا وكان أبو الدرداء إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت بخير إن نجوت من النار وكان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأثم ذا إلى ذا وأفر من ذا إلى ذا وقيل لأبي بكر بن أبي

(١) حديث أبي بكر إنكم ترمون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنكم لتضعونها في غير موضعها الحديث أمهات السنن قال الترمذي حسن صحيح (٢) حديث إن الله يسأل العبد حتى يقول مامنك إذا رأيت النكر في الدنيا أن تنكره الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد (٣) حديث تجدون من شرار الناس ذا الوجهين متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إن من شر الناس ذا الوجهين من حديث أبي هريرة وهو الذي قبله .

فيشير إليهم إلى إلى
فيتعمون بذلك من
الفرح ويقع الحجاب
لوقت يعود ذلك
الفرح بكاء فمنهم من
يعزق ثيابه ومنهم من
يبيكي ومنهم من يصيح .
أخبرنا أبو زرعة بإجازة
عن ابن خلف بإجازة
عن السلمي قال سمعت
أبا سهل محمد بن سلمان
يقول للسمع بين
استثاروا وجل فالاستثار
يورث التلب والتجلى
يورث الريد فالاستثار
يتولد منه حركات
الريدين وهو محل
الضغف والعجز والتجلى
يتولد منه السكوت
للواصلين وهو محل
الاستقامة والتكبين
وكذلك محل الحضرة
ليس فيه إلا الدبول
تحت موارد الهيبة قال
الشيخ أبو بوعيد الرحمن
السلمي سمعت جدي
يقول للسمع ينبغي
أن يستمع بقلب ونفس
ميتة ومن كان قلبه
ميتاً ونفسه حية لا يجل

أصبحت قال كيف يصبح رجل إذا أمسى لا يدرى أنه يصبح وإذا أصبح لا يدرى أنه يمسي . وقيل لما لك ابن دينار كيف أصبحت قال أصبحت في عمر يقص وذنوب تزيد . وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت قال أصبحت لأرضي حياتي لما في ولا ترضي لربى . وقيل لحكيم كيف أصبحت قال أصبحت آكل رزق ربى وأطيع عدوه إبليس . وقيل لعمد بن واسع كيف أصبحت قال ما ظنك برجل يرعك كل يوم إلى الأخرة مرحلة . وقيل لحامد اللغاف كيف أصبحت قال أصبحت أمتسى عاقبة يوم إلى الليل قيل له ألت في عاقبة في كل الأيام قال العاقبة يوم لا أعصى الله تعالى فيه . وقيل لرجل وهو موجود بنصفه ماحالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد وبدخل قبرا موحشا بلامؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة . وقيل لحسان بن أبى سنان ماحالك قال ماحال من يموت ثم يميت ثم يحاسب . وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خبائة درهم ديناره وميعل فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفعها إليه وقال خبائة اقض بها دينك وخبائة عدا بها على نفسك وعيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا أسأل أحدا عن حاله أبدا وإنما فعل ذلك لأنه خشى أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مرأيا متناقضا قد كان سؤاله عن أمور الدين وأحوال القلب في معاملة الله وإن سألوها عن أمور الدنيا فمن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم إنى لأعرف أقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يمكنه لم يمتنع وأرى الآن أقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط أحدهم لحبة من مال صاحبه لم يمتنع فهل هذا إلا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت ويقول الآخر كيف أنت فإلسائل لا ينتظر الجواب والسؤال يشتغل بالسؤال ولا يحجب وذلك لمرهمق بأن ذلك عن رياء وتكسب ولعل القلوب لا تخلو عن صفات وأخفاة والأسئلة تنطق بالسؤال . قال الحسن إنما كانوا يقولون السلام عليكم إذا سلست والله القلوب وأما الآن فكيف أصبحت عافاك الله كيف أنت أصلحك الله فإن أخذنا قلوبهم كانت بدعة لا كرامة فإن شاءوا غضبوا علينا وإن شاءوا لا وإنما قال ذلك لأن البداية بقوله كيف أصبحت بدعة وقال رجل لأبي بكر بن عياش كيف أصبحت لما أجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال إنما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون حمواس بالشام من الموت الفريع كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف أصبحت والقصود أن الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي الزلة الخلاص من ذلك فإن من لقي الحق ولم يخالفهم بأخلاقهم مقتوه واستغفروه واغتابوه وتشعروا لإبدائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودينه في الاتقام منهم . وأما مسارقة الطبع بما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء ذئب قفا يتبته له الغلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الإنسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما نفرة في النفرة عن الفساد واستغفاله إذ يصير الفساد بكثرة الشاهدة هينا على الطبع فيسقط وقبه واستعظامه له وإنما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فإذا صار مستغفرا بطول الشاهدة أوشك أن تتحل القوة الوازع فودع الطبع لليل إليه أو لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكباش من غيره استعقر الصغار من نفسه ولذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم في أن يستصغروا عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما أتبع له من النعم وكذلك النظر إلى الطيبين والعصاة هذا تأثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين في العبادة والتزعم عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار وإلى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه

له الجمع وقيل في قوله تعالى - زدني الخلق ما يشاء الصوت الحسن وقال عليه السلام « قد أشدأنا بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قينته » نقل عن الجليل قال : رأيت إبليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا جنى أو تنال منهم شيئا فقال إنه يسر على شأنهم ويظم على أن أصيب منهم شيئا إلا في وقتين قلت أى وقت قال وقت السماع وعند النظر فاني أسترق منهم فيه وأدخل عليهم به قال فحكيت رؤياي لبعض المشايخ فقال لو رأيته قلت له يا أحمق من مع منه إذا مع ونظر إليه إذا نظر أترغب أنت عليه شيئا أو تظفر جنى منه قلت صدقت . وروى عائشة رضى الله عنها قالت « كانت عندي

مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر إلى الأحوال الدالية على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتياهم العاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكنى في تغيير الطبع مجرد سماع الخبر والشرافا عن مشاهدته وبهذه الدقة يفسر قوله عليه السلام «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة (١)» وإنما الرحمة دخول الجنة وقاد الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستكفاف عما هو ملائمه من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والقهوم من فحوى هذا الكلام عند القطن كالقهوم من عكسه وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر العاصي واللعة هي البعد ومبدأ البعد من الله هو العاصي والإعراض عن الله بالإقبال على المخطوط العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه للشروع ومبدأ العاصي سقوط قلبها ونحاشها عن القلب ومبدأ سقوط القلب وقوع الأنس بها بكثره الساج وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال «مثل الجليس السوء كمثل الكبر إن لم يحرقك بجره علق بك من ربحه (٢)» فكما أن الربح يعلق باليوب ولا يشعر به فكذلك يسول الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب السلك إن لم يهب لك منه تجد ربحه ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايها لثنين : إحداهما أنها غيبة والثانية وهي أعظمهما أن حكايها تهون على المستمعين أمر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتبوين تلك اللعنة فانهما وقع فيها فاستكثر ذلك دفع الاستكثار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الإقدام فكيف من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتها على حب الرياسة وتزينها ويهون على نفسه حبها ويزعم أن الصباية رضى الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال على ومعاوية ويحمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولو ازمها من العاصي والطبع اللثيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتزليل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهو من دقائق مكاييد الشيطان ولذلك وصف الله الراجمين للشيطان فيها بقوله - الذين يستمعون القول فيقولون آحسنه - وضرب عليه السلام لذلك مثلا وقال «مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا جرم ما يستمع كمثل رجل أتى راعيا فقال له إراعى اجرى لى شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم (٣)» وكل من ينقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضا وما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أنظر في نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضى إلى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون

(١) حديث عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ليس له أصل في الحديث المرفوع وإنما هو قول صفوان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزى في مقدمة صفوة الصفوة (٢) حديث مثل الجليس السوء كمثل الكبر الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يعمل منها إلا شر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال إراعى اجرى لى شاة من غنمك الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

جارية تسمعني فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالها ثم دخل عمر فحزرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله ؟ فحدثه حديث الجارية فقال لا أبرح حتى أسمع سامع رسول الله فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسته وذكر الشيخ أبو طالب السكي قال كان لعطاء جاريته تلحان وكان إخوانه يحتمون إليهما وقال أدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمن التاجين أعدهن للصوفة وهذا القول نقلته من قول الشيخ أبي طالب وقال وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهو لا يسلم إلا بشرط طهارة القلب وغنى البصر والوقاف بشرط قوله تعالى :

من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يفتن بها أكثر من ألف صلاة. والرفقة عند قوم وحز الرفقة عند قوم وتزل صوم رمضان كله لا يتفضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها بما يكثر فيسقط وقها بالمشاهدة عن القلب ولذلك لو لبس القبيح ثوبا من حرير أو خافيا من ذهب أو شرب من إناء فضة استبدته النفس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اختياب للناس ولا يستبد منه ذلك والنية أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير ولكن كثرة جماع النية ومشاهدة الثغرين أسقط وقها عن القلوب وهون على النفس أمرها فظن لهنه التفاتن وفر من الناس فرار من الأمد لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك للصية ويضعف رغبتك في الطاعة فإن وجدت جليسا يذكر الله رؤيته وسيرته فأقرمه ولا تخاره واغتنمه ولا تستحقه فانها غنية العاقل وضالة المؤمن وتحقق أن الجلبس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجلبس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولا حظت بطبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالمرأة أو التفرب إليه بالخاطلة وإياك أن تحكم مطلقا على المرأة أو على الخاطلة بأن إحداها أولى إذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا أو ثم خلف من القول عرض ولا حق في التفصيل إلا التفصيل .

(الفائدة الثالثة)

(الخلاص من الفتن والحصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها)
وقلا تغلوا البلاد عن تصبات وفتن وخسومات فالتمزل عنهم في سلامة منها قال عبد الله بن عمرو ابن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قلت فأتأمرني فقال الزم بيتك وملكك عليك لسانك وخذ ما تصرف ودع ما تنكر عليك وأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة »^(١) وروى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاق إلى شاق »^(٢) وروى عبد الله بن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق ومن جحر إلى جحر كاشطب الذي يروغ قبله ومق ذلك يارسل الله قال إذا تاملت المعيشة إلا بما يصحى الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت الزنوة قالوا وكيف ذلك يارسل الله وقد أمرتنا بالزواج قال إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل أي يد أبويه فإن لم يكن له أبوان ضل يدي زوجته وولده فإن لم يكن ضل يدي قرائته قالوا وكيف ذلك يارسل الله قال يروغ بضيق اليد فيشكف ما لا يطبق حتى يورده ذلك موارد الهلكة »^(٣) وهذا الحديث وإن كان في الزنوة فالمرأة مفهومة منه إذ لا يستغنى التأهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة إلا بمصيبة الله تعالى ولست

(١) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم الحديث
أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن (٢) حديث أبي سعيد الخدري يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن رواه البخاري .
(٣) حديث ابن مسعود سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق تقدم في النكاح .

يطلع غانية الأعين وما تخفى الصدور وما هذا القول من الشيخ أبي طالب للسكى إلا مستغرب عجيب والتزهد عن مثل ذلك هو الصحيح . وفي الحديث في مدح داود عليه السلام أنه كان حسن الصوت بالنيابة على نفسه وبتلوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجله آلاف من الجنائز . وقال عليه السلام في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى مزمرا من مزمار آل داود » . وروى عنه عليه السلام أنه قال « إن من الشر الحسكة »^(١) وودخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرءون القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال يارسل الله قرآن وشعر قال من

قول هذا أو أن ذلك الزمن فقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ولأجله قال صفيان والله لقد حلت الزلزلة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك وبك وادخل دارك قال قلت يارسول الله أرأيت إن دخل على دارى قال فادخل بيتك قلت فإن دخل على بيتى قال فادخل مسجدك واضع هكذا وقبض على السكوع وقل ربى الله حتى توت (١) » وقال سعد لما دعى إلى الخروج أيام معاوية لا إلا أن تعطوني سيفاً له عينا بصيرتان ولسان ينطق بالكافر غائله وبالمؤمن فأكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على حجة يشاء فيبناهم كذلك يسبيرون إذ هاجت ربح بحجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات النمين فأخذوا فيها فأتوها وصلوا . وقال بعضهم ذات النبال فأخذوا فيها فأتوها وصلوا وأتباع آخرون وتوقفوا حتى ذهب الريح وتبينت الطريق فصاروا فاعتزل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخاطبوا إلا بمدوال الفتن . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه لما بلغه أن الحسين رضى الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له أين تريد فقال العراق فإذا معه طوامير وكعب فقال هذه كتبهم ويعتصم فقال لانتظر إلى كتبهم ولأنهم فأبى فقال إني أحدثك حديثاً إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بغيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يلبث أحد منكم أبداً وماصرفها عنكم إلا للذى هو خير لكم فأبى أن يرجع فاعتقه ابن عمر وبكى وقال أتودعك الله من قبل وأسير (٢) وكان في الصحابة عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلاً وجلس طاوس في بيته فقبله في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الأئمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له لزمنا القصر وتركنا مسجد رسول الله ﷺ فقال رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاهية والناشئة في غفاجكم عالية وفيها نكاحاً أتم فيه غاية فإذن الحذر من الخصومات ومشاراة الفتن إحدى فوائد العزلة .

(القائدة الرابعة الخلاص من شر الناس)

فانهم يؤذونك مرة بالنية ومرة بسوء الظن والتمعة ومرة بالافتراحت والأطاع الكاذبة التي يصر الوفاء بها وتارة بالهجة أو الكذب فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتحذرون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فإذا اعتزلتهم استغيت من التحفظ عن جميع ذلك ، ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم قال هما قال : اخفض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالهزار قبل القائل ليس للقول رجمة حين يبدو بقبسح يكون أو بحمال ولا شك أن من اخطأ بالناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدو يسوء الظن به ويتوهم أنه يستعمل أعدائه ونصب المكيدة عليه وتتمسك غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر يحسبون كل

(١) حديث ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه الحديث أبو داود مختصراً والخطابي في العزلة بتمامه وفي إسناده عند الخطابي انقطاع واصله أبو داود زيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته (٢) حديث ابن عمر أنه لما بلغه أن الحسين توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة الطبراني مقتصرًا على الرفوع رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه البزار بنحوه وإسناده حسن .

صيحة عليهم هم العدو واخذروهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها قال النبي :
إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يتبادر من توه
وعادى عبيده بقول عسدياته فأصبح في ليل من الشك مظلم
وقد قيل معايشة الأشرار تورث سوء الظن بالبرار وأنواع الشر التي يلقاها الانسان من معارفه وعن
يختلط به كثيرة ولنا نطول بتفصيلها فقيا ذكرناه إشارة إلى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها
وإلى هذا أشار الأكثر من اختار العزلة فقال أبو الدرداء اخبر تلميذه بروت مرفوعا وقال الشاعر :

من حمد الناس ولم يعلم ثم بلاءهم ذم من يحمده
وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرن السوء . وقيل لبد الله بن الزبير ألا تأتي للدينة قتال
ما بقي فيها إلا حاسد نعمة أو فرح بنقمة . وقال ابن السالك كتب صاحب لنا أما بعد فإن الناس كانوا دواء
يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فراراك من الأسد وكان بعض الأعراب يلزم شجرا ويقول
هو نديم فيه ثلاث خصال إن مع مني لم يتم علي وإن غلبت في وجهه احتمل مني وإن عربت عليه
لم يفضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في النعماء ، وكان بعضهم قد رآه للفقير قيل له في ذلك
فقال لم أر أسلم من وحدة ولا أو عظم من قبر ولا جليسا أمتع من دفتر . وقال الحسن رضي الله عنه أردت
الحلج فسمع ثابت البناني بذلك وكان أيضا من أولياء الله قال يئني أنك تريد الحلج فأجبت أن أصحبك
فقال له الحسن ويحك دعنا نتماشى بستر الله علينا إني أخاف أن نطع بغيري بضنا من بعض ما تاتت
عليه وهذه إشارة إلى قاعدة أخرى في العزلة وهو بقاء السطر على الدين والروعة والأخلاق والفقرو سائر
العورات وقد مدح الله سبحانه للتسعين فقال - بحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف - وقال الشاعر :

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عارا أن يزول التجمل

ولا يخلو الانسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى في الدين والدنيا سترها ولا يتيق
السلامة مع انكشافها . وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لاشوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه
وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الأول فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر . وقال
سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته أقلل من معرفة الناس
فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا عن عرفت . وقال بعضهم جئت إلى مالك
ابن دينار وهو قاعد وحده وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال دعه يا هذا هذا
لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء . وقيل لبعضهم ما سملك على أن تغزل الناس قال خشيت أن
أسأب ديني ولا أشعر وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرن السوء . وقال أبو الدرداء اتقوا
الله واخذروا الناس فانهم ماركوا بظهور بغير إلا أدبروه ولا ظهر جواد إلا عقروه وأقلب مؤمن إلا اخبروه
وقال بعضهم أقلل المعارف فانه أسلم لدينك وقبلك وأخف لسموط الحقوق عنك لأنه كلما كثرت
المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . وقال بعضهم أنكر من تعرف ولا تعرف إلى من لا تعرف .

(القاعدة الخامسة)

أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طعمك عن الناس فأما اقتطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد
فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور
الجنائز وعبادة الرضى وحضور الولائم والأملاكات وفيها تضيق الأوقات وتعرض لآفات ثم قد
تعود عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المآذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون له فمت بحق .

العباس الحضر قال
قلت له ما تقول في
الجماع الذي يختلف فيه
أصحابنا فقال هو الصفا
الزلال لا يثبت عليه
إلا أقدم الماء . وقل
عن محمد المينوري
قال رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
ثمام قلت يا رسول
الله هل تنسك من
هذا الباع شيئا ؟
فقال ما أنكره ولكن
قل لهم يفتحون
قبه براءة القرآن
وغثمون بسده

القرآن قلت يا رسول
الله إنهم يؤذون
وينسبون فقال
احتملهم يا أبا علي ثم
أصحابك فكان محمد
يفتخر ويقول كنان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وأما وجه
الانكار فيه فهو أن
يرى جماعة من الردين
دخلوا في مبادئ الإرادة
وتغوسهم ما غرنت على
صدق المجاهدة حتى
يحدث عندهم علم بظهور

فلان وقصرت في حقنا وبصر ذلك سبب عداوة قد قيل من لم يعد مريضاً في وقت العبادة اشتبه
موته خيفة من تخجيله إذا صبح على قصره ومن عم الناس كلمه بالحرمان رضوا عنه كهلوم ولو شخص
استوحشوا وتميمهم بجميع الحقوق لا يقدّر عليه التجرد له طول الليل والهار فكيف من له مهم
يشغله في دين أو دنيا . قل عمرو بن العاص كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعي رحمه الله أصل كل عداوة اصطناع المروء إلى اللثام وأما انقطاع طمعك عنهم فهو
أيضا فائدة جزيلة فان من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبت بقوة الحرص طعمه
ولا يرى إلا الحية في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يشته
ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى . ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم . وقال صلى الله
عليه وسلم « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة
الله عليكم » (١) وقال عون بن عبد الله كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما كنت أرى
ثوبا أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحمت . وحكي أن الزنى رحمه الله
خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكة فبهر ما رأى من حسن حاله وحسن
هيئته فتلا قوله تعالى . وجعلنا بصرك فتنه أنصرون . ثم قال بلى أصبر وأرضى وكان فقيرا

مقلا فآذى هو في بيته لا يبتلى ببثل هذه الفتن فان من شاهد زينة الدنيا فإمان يقوى دينه ويقينه
يصبر فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر أو تنبت رغبته فيحتاج في طلب
الدنيا فلهك هلاكاً موبداً أما في الدنيا فيالطمع الذي غيب في أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا
تيسر له وأما في الآخرة فيلناره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه ولذلك قال ابن الأعرابي :
إذا كان باب الدل من جانب الفنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر
أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلاً .

(الفائدة السادسة)

الخلاص من مشاهدة الفلاء والحق ومقاساة حقهم وأخلاقهم فان رؤية التقليل هي العمى الأصغر قيل
للأعمش ثم عمشت عينك قال من النظر إلى الفلاء . ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال في الخبر « إن
من سلب الله كرتيه عوضه الله عنهما ما هو خير منهما » (٢) فما الذي عوضك فقال في معرض الماطية
عوض الله عنهما أنه كفاني رؤية الفلاء وأنت منهم . وقال ابن سيرين سمعت رجلاً يقول نظرت إلى رجل
مرة فعنى علي وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى الفلاء . وقال الشافعي رحمه الله
ما جالست قبلاً إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أنقل على من الجانب الآخر . وهذه القوائد
ماسوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضاً تتعلق بالدين فان الإنسان مهما تأذى
برؤية تقليل لم يأت أن يتأبهوا أن يستنكروا ما وضع الله فإذا تأذى من غيره بنية أو سوء ظن أو عاصدة
أو نية أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته وكل ذلك يجر إلى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليتهم .

(١) حدث انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا
نعمة الله عليكم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث من سلب الله كرتيه عوضه عنهما ما هو
خير منهما الطبراني بإسناد ضعيف من حديث جرير من حديث كرتيه عوضته عنهما الجنة ولعلوا أحد
نحوه من حديث أبي أمامة بسند حسن وللبخاري من حديث أنس يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت
عبدى بحبيته ثم صبر عوضته منها الجنة يريد عينيه .

صفات النفس وأحوال
القلب حتى تضبط
حركتهم بقانون
العلم ويعلمون ما لهم
وعلمهم مشتغلين به
حتى أن ذا النون لما
دخل بغداد دخل عليه
جماعة ومعهم قوال
فاستأذنه أن يقول
شيئاً فأذن له فأنتد
القول :

صغير هواك عذبي
فكيف به إذا احتسكا
وأنت جئت من قلبي
هوى قد كان مشتركا
ما ترى لمكتتب
إذا ضحك الخلق بكى
فطاب قلبه وقام ونهجا
وسقط على جبهته والدم
يقطر من جبهته ولا يقع
على الأرض ثم قام
واحد منهم فظفر إليه
ذو النون فقال اتق
الذي يراك حين تقوم
فجلس الرجل وكان
جالسه لموضع صدقه
وعله أنه غير كامل
الحال غير صالح للقيام
متواجدا فيقوم أحدهم
من غير تدبر وعلم في

(آفات العزلة)

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة ينوت بالعزلة وفوائده من آفات العزلة فانظر إلى فوائد المخالطة والدوامى إليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأديب والاستئناس والائناس ونيل الثواب وإنالته في القيام بالحقوق واعتقاد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها فلفصل ذلك فانها من فوائد المخالطة وهي سبع :

(الفائدة الأولى : التعليم والتعلم)

وقد ذكرنا فضلها في كتاب العلم وها أعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضرورى في الدنيا فالتحاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عامس بالعزلة وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الحوض في العلوم ورأى الاعتقال بالعبادة فليعتبر وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعمل فالعزلة في حقه قبل التعليم غاية الحسرة ولهذا قال النخعي وغيره فتحة ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته نوم أو فكر في هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ولا ينفك في أعماله باليدن والقلب عن أنواع من القروور غيب سعيه ويبطل عمله بحيث لا يدري ولا ينفك اعتقاده في الله وصفاته عن أهوام يتوهمها وبأسى بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو ثمل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال أعنى من لا يحسن العبادات في الخلو ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فثقال النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه فالمرضى الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم تضاعف لاحتالة مرضه فلا تليق العزلة إلا للعالم وأما التعليم فبه ثواب عظيم مهما سمحت نية العلم والتعلم ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستئسار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان أن يعتزل إن أراد سلافة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لاطالب إلى الكلام مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ أو الجدل معقد يتوصل به إلى إلحاف الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل في معرض النافسة واللباهة أو أقرب علم مرغوب فيه الذهب ولا يطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولى الولايات واجتلاب الأموال فهو لا يعلمهم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم فإن صوف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكبر السكابر الاعتزال عنه وكتبان العلم منه وهذا لا يصادف في بلدة كبيرة أ أكثر من واحد أو اثنين إن صوف ولا ينبغي أن يعتزل الإنسان بقول سفيان ثملته العلم لغير الله ففي العلم أن يكون إلا الله فان الفقهاء يعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله وانظر إلى أواخر أعمارهم أ أكثر من منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكت على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخير كالماتية . واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابه فان فيها التحذير والتعذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فان لم يؤثر في الحال أثر في المال ، وأما الكلام والفقہ الجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات الذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله بل لا يزال متباديا في حرصه إلى آخر عمره ولعل ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلمه للتعليم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرضخ فيه إذ يرجى أن ينزجر به في آخر عمره فانه مشغوع بالخوف بالله والتواريب في الآخرة والتجذر من الدنيا وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي أن نحاذر الإنسان نفسه فان القصر العالم

قيامه وذلك إذا سمع
إيقاعا موزونا يسمع
يؤدى مامسه إلى طبع
موزون فيتحرك بالطبع
لوزون الصوت
لوزون والإيقاع
لوزون وينسبل
حجاب نفسه للنسب
بابساط الطبع على
وجه القلب ويستغزه
النشاط التبعث من
الطبع فيقوم برقص
موزونا معزجا يصنع
وهو محرم عند أهل
الحق ويعسب ذلك
طية للقلب وما رأى
وجه القلب وطيبته فـ
تصالى ولمعري هو
طية القلب ولكن
قلب ملون بلون النفس
ميد إلى الهوى موافق
للدوى لا يهتدى إلى
حسن النية في الحركات
ولا يعرف شروط صحة
الارادات ولكل هذا
الرائص قبل الرقص
نقص لأنه رقص
مصدره الطبع غير
مقترن بنية صالحة
لأسباب إذا اضماف

إلى ذلك شوب حركاته
بصرح التفاف بالتودد
والقرب إلى بعض
الحاضرين من غير
نية بل بدلالة نشاط
النفس من العاطفة
وتقبل اليد والقدم
وغير ذلك من الحركات
التي لا يمتد بها من
التصوفة إلا من ليس
له من التصوف إلا
مجرد زى وصورة أو
يكون القوال أمرد
تجذب النفوس إلى
النظر إليه وتستلذ ذلك
وتضمر خواطر السوء
أو يكون للنساء إشراف
على الجمع وتراسل
اليواطن للملوءة من
الهوى بسفارة الحركات
والرقص وإظهار
التواجد فيكون ذلك
عين الفسق المجمع على
تحريره فأهل اللواخير
حينئذ أرحى حلاهم
يكون هذا ضيمه
وحركاته لأنهم يرون
نفسهم وهذا لا يراه
ويرب عبادته فن لا يعلم
ذلك أقرى أحدا من

تقصيره أسعد حالا من الجاهل للفرور أو المناهل للبرون وكل عالم اشتد حرصه على التعلم يوشك
أن يكون غرضه القبول والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الأدلال على الجهال والتكبر عليهم
وآفة العلم الخيلاء^(١) كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولذلك حكى عن بشر أنه دفن سبعة عشر قطرا من
كتب الأحاديث التي سمعها وكان لا يحدت ويقول إني أنشئ أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتيت
أن لا أحدث لحديث ولذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فأما يقول
أوسعوا لي . وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري ، نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيماذا
رغبت ؟ قالت : في الحديث ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر
قدركن إلى الدنيا فهذه آفات قد نهينا عليها في كتاب العلم والحزم والاحتراز بالعملة وترك الاستكثار
من الأصحاب ما أمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له إن كان عاقلا في مثل هذا
الزمان أن يتركه فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال مع الراغبين في صحبتك والتعلم منك
فليس لك منهم مال ولا جمال إخوان العلانية أعداء السر إذا قولك تعلقوك وإذا غبت عنهم سلقوك من
أناك منهم كان عليك رقبيا وإذا خرج كان عليك خطيبا أهل ثقاف ونجعة وغل وخديعة فلا تنتر
باجتماعهم عليك فأغرضهم العلم بل إلهاء والمال وأن يتخذوك سلا إلى أوطارهم وأغراضهم وحماري
حاجاتهم إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يمدون ترددهم إليك دالة عليك
وبرونه حقا واجبا لديك وبغرضون عليك أن تبذل عرضك وجهك ودينك لهم فتعادي عدوهم
وتتصر قريهم وخداهم وولهم وتنهتس لهم سفيا وقد كنت فيها وتكون لهم تابعا خبيسا ببدان
كنت متبوعا فريسا ولذلك قيل إعزال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه وهو
حق وصدق فانك ترى المدرسين في فرق دائم وتحت حق لازم ومنة تقيلة عن يتردد إليهم فكأنه يهدي
تحفه إليهم ويرى حقه واجبا عليهم وربما لا يخلط إليهم ما يتركهم يترق له على الإدارار ثم إن المدرس
السكرين قد يسبح عن القيام بذلك من ماله فلا يزال مترددا إلى أبواب السلاطين ويقاسي الدل والشدائد
مقاساة الدليل للهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه
ويستخرمه ويمتنه ويستله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأنة من عنده عليه ثم يبقى في
مقاساة القسمة على أصحابه إن سوى بينهم مقته الميزون ونسبوه إلى الحق وقوة التميز والقصور
عن درك مصارفات الفضل والقيام بمقادير الحقوق بالعدل وإن قاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة
حداد وثاروا عليه ثوران الأسود والأحاديث فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالعة ما أخذوه وبقرة
عليهم في القبي والعجب انه مع هذا البلاء كله يبقى نفسه بالأباطيل ويدلها بجبل القصور ويقول لها
لا تقترى عن صنيك فأما أنت بما فعلته مريدة وجه الله تعالى ومذبة شرع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وناترة علم دين الله وقائمة بكتابة طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لا مال لها
وهي مرسة للمصالح وأي مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم فهم يظهرون الدين ويتقوى أهله ولولم
يكن ضحكة للشيطان لعل بأدنى تأمل أن فساد الزمان لا سببه إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين
يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فتلحقهم أعين الجاهل ويستجرون على المعاصي
باستجرائهم اقتداء بهم وانتهاء لآثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية إلا بفساد اللوك وما فسدت اللوك
إلا بفساد العلماء فتعود بالله من القصور والعلمى فانه الداء الذي ليس له دواء .

(١) حديث آفة العلم الخيلاء المعروف مارواه مطين في مسنده من حديث علي بن أبي طالب بسند
ضعيف آفة العلم النسيان وآفة الجاهل الخيلاء .

(الفائدة الثانية التفيع والاتضاع)

أما الاتضاع بالناس فالكسب والعاملة وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب فإن كان معه مال لولا كسبه به قائما لأفعله فالعزلة أفضل إذا انسدت طرق المكاسب في الأكثر إلا من العاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالخدمة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقيق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولأمن الأقبال بكه الحمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله أعنى من حصل له أنس بتجاعة الله عن كشف وبصيرة لأعين أوهام وخيالات فاسدة . وأما التفيع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو ببنيته فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسنة في النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام بعبود الشرع فهي أفضل من العزلة إن كان لا يشتغل في عزله إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية وإن كان ممن افتتح له طريق العمل بالذنب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة .

(الفائدة الثالثة التأديب والتأدب)

ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذىهم كسر النفس وقهر الشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تهذب أخلاقه وبتعذر لحدود الشرع شهواته ولهذا اتدب خدام الصوفية في الرابطة فيخالطون الناس بمختمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسر لرغوة النفس واستعدادا من بركة دعاء الصوفية المتصرفين بهمهم إلى الله سبحانه وكان هذا هو البدء في الأغصان الحالية والآن قد خالطته الأبراش الفاسدة ومال ذلك عن القانون كمالا سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكبر بالاستعجال والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الأتباع فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولولوى القبر وإن كانت البقرة رياضة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة وذلك بما يحتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل للراد منها أن تتخذ مركبا يقع به الراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمعت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة بالرياضة ولم يركبها فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورعها وهي لعمرى فائدة مقصودة ولكن مثاها حاصل من البهمة الميتة وإنما تراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من ألم الشهوات في الحال يحصل باليوم واللوت ولا ينبغي أن يقتصر به كالراهب الذي قبله ياراهب فقال ما أماراهب وإنما أنا كلب عقوق حسنت نفسى حتى لا أغفر للناس وهذا حسن بالإضافة إلى من يعقر الناس ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه فان من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس بل ينبغي أن يشتغل إلى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة لأفضل لئلا هذا الشخص المخالطة أولا والعزلة أخرا . وأما التأديب فاعنى به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم وحاله حال العلم وحكمه حكمه ويتطرق إليه من دقائق الآفات والزياد ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن محال طلب الدنيا من المريدن الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبه العلم ولذلك يرى فهم قلة وفي طلبه العلم كثرة فينبغي أن يقبس ما تيسر له من الخولة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وإقبال أحدها بالآخر دأثر الأفضل وذلك بدرك بدوق

أهل الديانات يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا الوجه توجه للسكر الانسكار وكان حقيقا بالاعتذار فكمن من حركات موجبة للمقت وكم من نهضات تذهب رونق الوقت فيكون إنكار السكر على المرید الطالب بتمتع عن مثل هذه الحركات ويخدره من مثل هذه الملمس وهذا إنكار صحيح وقيد بقرص بعض الصادقين بإضاع وورن من غير إظهار وجد وحال وجه نيته في ذلك أنه ربما يوافق بعض الفقهاء في الحركة فيتحرك بحركته موزونة غير مدع بها حالا ووجدا يجعل حركته في طرف الباطل لأنها وإن لم تكن محرمة في حكم الشرع ولكنها غير محلبة بحكم الحال لما فيها من اللغو فتصير حركاته ورفسه من قبيل المباحث التي تجري عليه من الضحك

الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنى ولا إيجاب .

(الفائدة الرابعة : الاستئناس والإناس)

وهو غرض من محضر الولايم والدعوات ومواضع العاشرة والأنس وهذا يرجع إلى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام مؤانسة من لا يجوز مؤانسته أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك الأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالشيخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعاقب بمحط النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتيسير دعوى النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عمت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس بروح القلب فهي أولى إذ الرقيق في العبادة من حزم العبادة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يعمل حتى تملاوا (١) » وهذا أمر لا يستنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام مالم تروح وفي تكليفها اللازمة داعية للفترة وهذا على قوله عليه السلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » والإقبال فيه برفق دأب للتبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة « دخلت بلادا لا أنيس بها وهل يفسد الناس إلا الناس فلا يستنى للمعزل إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثة في اليوم والليلة ساعة فليجهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعته فقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال (٢) » وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء إلى الرشيد ففي ذلك متنفس ومترويح للنفس وفي مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة والراعى عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فلينقد أحوال القلب وأحوال الجانيس أولا ثم ليجالس .

(الفائدة الخامسة : في نيل الثواب وإنائه)

أما النيل فيحضور الجنائز وعبادة الرضى وحضور العيدين ، وأما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجمعة في سائر الصلوات أيضا لا رخصة في تركه إلا لحوف ضرر ظاهر يقام ما يفوت من فضيلة الجمعة وزيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم . وأما إنائه فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزوه في النصاب أو يهنوه على التمتع بأنهم يتألون بذلك ثوابا وكذلك إذا كان من العلماء وأذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبى أن يزن ثواب هذه المداخلات بأفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجع العزلة وقد ترجع المخالطة . فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعبادة الرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل .

(الفائدة السادسة)

من المخالطة التواضع فانه من أفضل القامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روى في الاسرائيليات أن حكيا من الحكماء صنف ثلثمائة مصحفا في الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة فأوحى الله إلى نبيه قل فلان إنك قد ملأت الأرض ثقافا وإنى لا أقبل من ثقافتك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الأرض وقال الآن قد بلغت رضا ربى

(١) حديث إن الله لا يعمل حتى تملاوا تقدم (٢) حديث المرء على دين خليله تقدم في آداب الصلحة .

فأوحى الله إلى نبيه قل له إنك لن تبلغ رضى حتى تخالط الناس وتصبر على أذاهم فخرج فدخل الأسواق وخالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومضى في الأسواق معهم فأوحى الله تعالى إلى نبيه الآن قد بلغ رضى فكم من معزّل في بيته وباغته الكبر وامانه عن المحافل أث لا يوقر أولاً يقدم أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لهمه وأبقى لطاوة ذكره بين الناس وقد يعزّل خيفة من أن تظهر مقابحه لوخالط فلا يستغديه الزهد والاشتغال بالمعبادة فيتخذ البيت سراً على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبه من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر وعلامته هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يفيض إليه المخالطة وزيارة الناس لفيض إليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئني إلا لأتزين لك وتزين لي . وعن حاتم الأصم أنه قال لأمر الذي زاره حاجي أن لا يأرك ولا ترائي فري ليس مشغولاً مع نفسه بذكر الله فأعزّاه عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس . لأن قلبه متجرد للالتمات إلى نظرم إليه بين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه : أحدها أن التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو متكبر بسلطه أودينه إذ كان على رضى الله عنه يحمل النحر واللعق في ثوبه وبه ويقول : لا ينقص الكامل من كاله . ماجر من تقع على عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبي وابن مسعود رضى الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم . وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول وهو إلى المدينة والحطب على رأسه طرقاتاً لأمرهم « وكان سيد الرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحبه الشيء أحق بحمله ^(١) » وكان الحسن بن علي رضى الله عنهما يمر بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون : هلم إلى القداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول - إن الله لا يحب المستكبرين - الوجه الثاني أن الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يفتنون عنه من الله شيئاً وأن ضرره ونفعه بيد الله ولا نافع ولا ضار سواه وأن من طلب رضا الناس وبغيتهم بسخط الله وسخط الله عليه وأسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تتلذذها إلا رضا الله أولى بالطالب ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى والله ما أقول لك إلا نصيحة إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله ولذلك قيل :

من راقب الناس مات غماً وفاز بالبدنة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : اعمل كذا وكذا شيء أمره به قال يا أستاذ لا أقدر عليه لأهل الناس فالتفت إلى أصحابه وقال لا يزال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين : عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا خالفه وإن أحداً لا يقدر على أن يضروه ولا ينفعه وبعد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي بأى حال يرويه . وقال الشافعي رحمه الله ليس من أحد إلا لو أحب وبغض فإذا كان هكذا فكأن مع أهل طاعة الله . وقيل للحسن بن علي : سميت إن قوماً يحضرون مجالسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعتبها بالسؤال فيسبهم وقال للقاتل هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطعمت ومحدثت نفسي بالسلامة من الناس لأنني قد

(١) حديث كان يشتري الشيء ويحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أسطى أحمله فيقول صاحبه التنازع أحق بحمله أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حمله السراويل الذي اشتراه .

الشرع لأن حدّ الباح ما استوى ظرفاه واعتدل جانباه ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت في بعض كلام سهل بن عبد الله يقول في وصفه للصادق الصادق يكون وجهه مزيداً لجله وباطله مزيداً لجله ودينه مزيداً لآخرته ولهذا المعنى جب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ليصكون ذلك يحظ نفسه الشريفة للوهوب لها حظوظها للوفر عليها حقوقها لموضع طهارتها وقديسها فيكون ماهو نصيب الباطل الصرف في حق الصبر من اللباحت المقبولة برخصة الشرع الرودة بعزيمة الحال في حقه صلى الله عليه وسلم متباً بسمه العبادات وقد ورد في فضيلة التسكع ما يدل على أنه عبادت من ذلك

علت أن حالتهم ورازقهم ومحيرهم ويميزهم لم يسلم منهم . وقال موسى صلى الله عليه سلم : يارب احبس عني ألسنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم أصطفه لنفسى فكيف أقصه بك وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزير إن لم تطب نفسا بأنى أجملك علكا في أنواء اللاتفتيح لم أكتبك عددا من المواضع فاذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا - ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون - فاذن لا تستحب العزلة إلا لاستغرق الأوقات بربه ذكرها وفكرها وعبادة وعلا بحيث لو خاطبه الناس لفاعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوش عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تتق فانها مهلكات في صور منجيات .

(القاعدة السابعة التجارب)

فانما استفاد من المخاطلة للخلق ومجارى أحوالهم والعقل التريزى ليس كافيا في فهم مصالح الدين والدنيا وإنما تفيدها التجربة وللممارسة ولا خير في عزلة من لم تحسكه للتجارب فالصبي إذا اعتزل بقى غمرا جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكتبه ذلك ويحصل بقية التجارب بسباع الأحوال ولا يحتاج إلى المخاطلة ومن أم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفاته وطاقته وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلوة يبرئ وكل غشوب أو حقد أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في أنفسها يجب إسلطها وقهرها ولا يكتفى بتسكينها بالتباعد عما يجر كها لثال القلب للشحون بهذه الحباثت مثال دمل يمتلئ بالصديد واللثة وقد لا يحس صاحبه بألم يتحرك أو يحس فيه فأن لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يجره كرها ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد بقده ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لأحمرته الصديد وفار فوران الشيء المنتفخ إذا حبس عن الاتصال فكذلك القلب للشحون بالحدود والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق القديمة إنما تتغير منه خباياها إذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتركية القلوب يجربون أنفسهم فن كان يستشعر في نفسه كبرا صمى في إقامته حتى كان يهضم يحمل قرية ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق ليحرب نفسه بذلك فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ، وذلك حكى عن بعضهم أنه قال أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنى كنت أصلها في الصف الأول ولكن تخلفت يوما بصدرا فوجدت موضع في الصف الأول فوقعت في الصف الثاني فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس إلى وقد سقيت إلى الصف الأول فقلت أن جميع صلواتى التى كنت أصلها كانت مشوبة بالرياء معزوجة بلثة نظر الناس إلى ورؤيتهم إياى في زمرة السابقين إلى الخير فالتخاطلة لها فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الحباثت وإظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الأخلاق فانه نوع من المخاطلة الدائمة وستألف غوائل هذه أمانى ودقائقها في ربيع الملهكات فان بالجلب لها يحيط العمل الكثير وبالعمل بها يركو العمل القليل ولولا ذلك ماضى العلم على العمل إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد إلا الصلاة أفضل من الصلاة فانا علم أن ما يراد لغيره فان ذلك الغير أشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العلم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم « فضل العلم على العابد كفضل لى أدنى رجل من أصحابى » (١) فمن تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه : أحدها ما ذكرناه والثانى عموم النفع لشمس فائدته والعمل لاتمدى فائدته والثالث أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله فذلك أفضل من كل عمل بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتبنيته

(١) حديث فضل العلم على العابد كفضل لى أدنى رجل من أصحابى تقدم في العلم .

من طريق القياس
استنبأه على الصالح
الدينية والدينية على
ما أطب في شرحه
الفقهاء في مسألة
التخل لتوافل العبادات
فاذا يخرج هذا
الرائض بهذه النية
المتبرية من دعوى
الحال في ذلك من
إنكار التكرير يكون
رضه لاهليه ولاله
وربما كان بحسن
النية في الترويح بصير
عبادة سبأ إن أضمر
في نفسه فرحا بربه
ونظر إلى شمول رحمة
وعطفه ولكن لا يلبق
الرقص بالشيخوخ
ومن يقتدى به لما فيه
من مشابة الله
واللهو لا يلبق بمنصمهم
وبين حال التمكن
مثل ذلك وأما وجه
منع الإنكار في السباع
فهو أن الشكر للسباع
على الاطلاق من غير
تفصيل لا يغلو من
أحد أمور ثلاثة إما

بعد الانصراف إليه لمعرفة وجهته والعمل وعلم العمل مراد أن لهذا العلم وهذا العلم غاية المريد
والعمل كالشرط له وإليه الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - فالكلم
الطيب هو هذا العلم والعمل كالحال الرفع له إلى مقصده فيكون الرفع أفضل من الراجع وهذا
كلام معترض لا يليق بهذا الكلام . فلترجع إلى المقصود فنقول : إذا عرفت فوائد العزلة وغاياتها
تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل غيا وإثباتا خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى
الخطي وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى القائمت بسبب مخالطته من هذه الفوائد للذكورة وقص
القائمت بالحاصل فهد ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطأ
إذ قال أبو يونس الانتباه عن الناس مكسبة للعداوة والانسياط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكأن بين
القبض والتبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالأحوال وبملاحظة الفوائد
والآفات يتبين الأفضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار كل
واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم
والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله فلا يجزم يختلف أجوبته
في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك
لما لا يختلف فيه فإن الحق واحد أبدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفي عن
الفرق ما من واحد إلا أوجب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله وليس بحق
في نفسه إذ الحق لا يكون إلا واحدا ولذلك قال أبو عبد الله الجلاء . وقد سئل عن الفرق فقال اضرب
بكبريك الحائط وقل رب الله فهو الفرق . وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسأل أحدا ولا يعارض وإن
عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو أن لا يكون لك فان
كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال إبراهيم الخواص هو ترك الشكوى وإظهار أثر
البوى والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة فدا يتفق منها اثنان وذلك كله
حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت أحدهما
لصاحبه قدما في التصوف أو ينفي عليه بل كل واحد منهم يدعى أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه
لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقبولهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى
غيرهم ونور العالم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثل النظر هؤلاء ما رأيت
من نظري قوم في أدلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قديم . وحكي عن آخر أنه
نصف قدم وآخر رد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام . وحكي عن آخر أنه خمسة أقدام وآخر رد
عليه فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذي رآه يلد
نفسه فصدق في قوله وأخطأ في تحفظه صاحبه إذ ظن أن العالم كله بلده أو هو مثل بلده كما أن الصوفي
لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه
بالإدراك فيجوز بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يليق ظن وفي بعضها يطول وفي بعضها
يقصر فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة . فان قلت فمن أثر العزلة ورأها أفضل له
وأسلم فما آدابها في العزلة فنقول إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصلوة
وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للأعزلة أن ينوي عزلة نفسه عن الناس أولا ثم طلب
السلامة من شر الأشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالث ثم التحرر
بكله المهمة لخدمة الله ربه . فهذه آداب ينبغي أن يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والتفكير

جاهل بالسنن والآثار
وإما معترضا أتيج
له من أعمال الأخيار
وإما جامد الطبع
لا ذوق له فيصير على
الإنكار وكل واحد
من هؤلاء الثلاثة
يقابل بما سوف يقبل ،
أما الجاهل بالسنن
والآثار فيعرف بما
أسلفناه من حديث
عائشة رضي الله عنها
وبالأخبار والآثار
الواردة في ذلك وفي
حركة بعض المتحررين
تعرف رخصة رسول
الله صلى الله عليه وسلم
للحبشة في الرقص
ونظر عائشة رضي الله
عنها إليهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
هذا إذا سلت الحركة
من السكران التي
ذكرناها وقد روى
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعلى
رضي الله عنه وأنت
منى وأنا منك فحصل
وقال لجعفر أشبهت

ليجنى ثمرة العزلة ولتبع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته وليكيف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك يفرس في القلب حتى يثبت في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب فوقع الأخبار في السمع كوقوع البذر في الأرض فلا بد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض وأحد مهمات للمعزل قطع الوسواس الصارفة عن ذكر الله والأخبار ينابيع الوسواس وأصولها ولتقع باليسير من المشقة وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطهم ولكن صورا على ما يقابل من أذى الجيران وليسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة فإن كل ذلك يؤثر في القلب ولومدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لابد أن يكون واقفا عن سيرة إلى طريق الآخرة فان السير إما بالمواطبة على ورد وذكر مع حضور قلب وإما بالسكر في جلال الله وصفاته وأفعاله وملسكوت موانه وأرضه وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومفاسد القلوب وطلب طرق التحسين منها وكل ذلك يستدعى الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر ولكن له أهل صالحة أو جليس صالح لتسترج نفسه إليه في اليوم ساعة من كد المواطبة فيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهم من يكون فيه ولا يقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على أنه لا يبقى وبمضى على أنه لا يصبح فيسبل عليه صبر يوم ولا يسبل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخى الأجل ولكن كثير الفكر للموت ووحدة القبر مهما شاق قلبه من الوحدة ولينحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفة ما بأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وأن من أنس بذكر الله ومعرفة فلا يزال للموت أنسه إذ لا يهدم للموت محل الأنس وللعرصة بن يقي حيا بمعرفة وأنسه فرحا بفضل الله عليه ورحمته كما قال الله تعالى في الشهداء - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله - وكل من تجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت مقبلا غير مدبر « فالجهاد من جاهد نفسه وهواه ^(١) » كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضى الله عنهم رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ينضون جهاد النفس .

ثم كتاب العزلة ويتلو كتاب آداب السفر والمدة وحده .

﴿ كتاب آداب السفر ﴾

وهو الكتاب السابع من ربيع العادات من كتب إحياء العلوم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المدة الذي فتح بصر أوليائه بالحكم والصبر واستخلص مهمهم لمشاهدة هجاب صنعه في الحضر والسفر فأصبحوا راسخين بجاري القدر مزهين قلوبهم عن التفت إلى متزهات الصراخ لا سبيل الاعتبار بما يسع في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر . والصلاة على محمد خير البشر وعلى آله وصحبه التفتين لأتاره في الأخلاق والسير وسلم كثيرا .

(١) حديث المجاهد من جاهد نفسه وهواه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصحبه دون قوله وهواه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحة .

(كتاب آداب السفر)

خلق وخلق فجعل وقال
لزيد أنت أخونا ومولانا
فجعل « وكان جعل
جعفر في قصة ابنه حمزة
لما اختتم فيها على
وجعفر وزيد . وأما
النكر القصور بما
أتبع له من أعمال
الأخبار فيقال قترك
إلى الله بالبادية لشغل
جوارحك بها ولو لانية
قلبك ما كان لعمل
جوارحك قدر فاتها
الأعمال باليات ولكل
امرئ ما نوى والنية
لتنظر لك إلى ربك خوفا
أو رجاء فالسامع من
الشعر بيتا يأخذ منه
معنى يذكره ربه إما
فرحا أو حزنا أو إنكارا
أو افتقارا كيف يقرب
قلبه في أنواع ذلك
ذاكرا لربه ولو لمع
صوت طائر طالب له ذلك
الصوت وتفكر في قدرة
الله تعالى وتوحيته
شجرة الطائر وتوجيه
حلقة ومنشأ الصوت
وتأديته إلى الأسماع

[أما بعد] فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهبوب عنه والوصول إلى مطلوب ومرعوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن السفر والوطن إلى الصحارى والغوات وسفر بسير القلب عن أسفل السالطين إلى ملكوت السموات وأشرف السفيرين السفر الباطن فإن الواقع على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجاهل على ما تافته بالتقليد من الآباء والأجداد لا مדרج في القصور وقائع عبرية القصص ومستبدل بتجسس قضاء - جنة عرضها السموات والأرض - ظلمة السجن وضيق الحبس ولقد صدق القائل :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كقصص القادرين على التحام

إلا أن هذا السفر لما كان ممتنحه في خطب حطير لم يستغن فيه عن دليل وخير فاقضى غموض السبيل وقد الحفر والدليل وقناة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندرس مسالكه فاطمعت فيه الرفاق وخلا عن الطائفتين متزهات الشمس والملسكات والآفاق وإليه دعا الله سبحانه بقوله - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وبقوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وعلى التعمود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى - وإنكم لترون عليهم مصبين وبالبيل أفلا تعقلون - وبقوله سبحانه - وكأن من آية في السموات والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون - فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيرة متزهة في جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا ضيق فيه للناهل وللوارد ولا يضير فيه التزامم والتوارد بل يزيد بكرة السافر في غناؤه وتضاعف ثمراته وفوائده فضاءه دأفة غير مبنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يفسروه وما بأنفسهم وإذا زاغوا أزواغ أفلح قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا البدان والتطواف في متزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مفتتاً بها تجارة للدنيا أو ذخيرة للأخرة فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكى سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب إن أحملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وإن اطلب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين إن شاء الله تعالى . الباب الأول :

في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائده وفيه فصلان . الباب الثاني :

في ألباد للسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلية والأوقات .

(الباب الأول في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائده وفيه فصلان :

النصل الأول في فوائد السفر وفضله ونيته)

اعلم أن السفر نوع حركة ومحلة وفيه فوائد وله آفات كاذكراه في كتاب الصحة والعزلة والقوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب فإن المسافر إما أن يكون له مرجع عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد ومطلب والهروب عنه إما أمر له نكابة في الأمور الدنيوية كالطاعون والوباء إذا ظهر يكد أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء صرع وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأذية في بلدة فيهرب منها وإما أمر له نكابة في الدين كمن ابتلى في بلدة بجاء ومال واتساع أسباب تصدع عن التجرد فله فيؤثر القرية والجمل وبجنب السعة والجاه أو كمن يدعى إلى بدعة قهراً أو إلى ولاية عمل لأهل مبادرته فيطلب الفرار منه وأما المطلوب فهو إما دنيوي كاللجاه أو ديني والدينى إما علم وإما عمل والعلم إما علم من العلوم الدينية وإما علم بإخلاق

كان في جميع ذلك
الفكر مسجماً مقدماً
فإذا سمع صوت آدمي
وحضره مثل ذلك
الفكر واستلأ باطنه
ذكراً وفكراً كيف
يسكر ذلك . حكى
بعض الصالحين قال
كنت معتكفاً في جامع
جدة على البحر فرأيت
يوماً طائفة يقولون في
جانب منه شيئاً
فأنكرت ذلك فبقي
وقلت في بيت من بيوت
الله تعالى يقولون
الشعر فرأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في المنام تلك الليلة وهو
جالس في تلك الناحية
وإلى جنبه أبو بكر
وإذا أبو بكر يقول
شيئاً من القول والنبي
صلى الله عليه وسلم
يسمع إليه ويضع يده
على صدره كالواجب
بذلك فقلت في نفسي
ما كان ينبغي لي أن
أنكر على أولئك
الذين كانوا يسمعون
وهذا رسول الله

(الباب الأول في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع)

نفسه وصفاته على سبيل التجربة وإعالم بآيات الأرض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الأرض والعمل إما عبادة وإما زيارة والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد قصد بها مكان ككة وللدنية وبيت المقدس والثغور فإن الرباط بها قرينة وقد قصد بها الأولياء والمعلماء وهم إما موقف قزار يقومون وإما أعيان فيترك بعشادتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فيذهب هي أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام . القسم الأول : السفر في طلب العلم وهو إما واجب وإما تقيي وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا وذلك العلم إما علم بأمور دينية أو بآخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع »^(١) وفي خبر آخر « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة »^(٢) وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد . وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كفة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فصاروا شهرا في حديث بانهم عن عبد الله بن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جمعوهم^(٣) وكل مذكور في العلم حصل له من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا منهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتجسس الخلق وتبصيره ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخواص صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الحب في السموات والأرض وإنما سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضى الله عنه الذي زكى عنده بعض اليهود هل يحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم أخلاقه فقال لا فقال ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول يا معشر القراء سيجوا تظيوا فإن الماء إذا ساح طاب وإذا طال مقامه في موضع تغير . وبالجملة فإن النفس في الوطن مع مواناة الأسباب لا تظهر خبايا أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعتها من المألوفات للمردود فإذا حملت وثناء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتنعت شتات القرية انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب الدزلة فوائد الخاطلة والسفر مخاطلة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق . وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للتبصير فيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسيح له لسان ذلي لا يدرك إلا ما ألقى السمع وهو شهيد وأما المجاهدون والعافلون والمفترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون . يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . وما أريد بالسمع السمع الظاهر فإن الدين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك الإنسان فيه

(١) حديث من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٢) حديث من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث رواه مسلم وتقديم في العلم (٣) حديث رجل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مسيرة شهر في حديث بلغه عن عبد الله ابن أنيس الخطيب في كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابي وقال البخاري في صحيحه رجل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد ورواه أحمد إلا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن ولأحمد أن أبا أيوب ركب إلى عقبة بن عامر إلى مصر في حديث وله أن عقبة بن عامر

صلى الله عليه وسلم
يسمع وأبو بكر إلى
جنبه يقول فالتفت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يقول هذا
حق بحق أو حق من
حق بلى إذا كان
ذلك الصوت من أمره
يغنى بالنظر إليه
الفتنة أو من امرأة غير
محرم وإن وجد من
الأذكار والأفكار
ما ذكرنا محرم معاه
لخوف الفتنة لا لجرد
الصوت ولكن يجعل
صواع الصوت حريم
الفتنة ولكل حرام
حريم ينسحب عليه
حكم للنسج لوجه الصلحة
كاقبلة لثاب الصائم
حيث جلست حريم
حرام الواقع كالخولة
بالأجنبية وغير ذلك
فصل هذا قد تفتنى
للصلحة للنسج من الصلح
إذا علم حال السامع
وما يؤديه إليه معاه
فيجعل للنسج حريم
الحرام هكذا وقد
ينسج الصلح جامد

سائر الحيوانات فأما السمح الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراه نطق اللقال يشبه قول القائل حكاية للسلام الوند والحاظ قال الجدار للوند لم تشقني فقال هل من بدقي ولم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى ومامن فذة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله تعالى بالوحانية هي توحيدها وأنواع شهادات لسانها بالقدس هي تسيبها - ولكن لا يفقهون تسيبها - لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركبا لسان اللقال إلى فضاة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سلبان عليه السلام مختصا بهم منطلق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بجمع كلام الله تعالى الذي يجب تدهيبه عن مشابهة الحروف والأصوات ومن يسافر ليستقرى هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجادات لم يطل سفره بالدين بل يستقر في موضع ويغري قلبه لتفتح بجمع ثقات التسيحات من آحاد القدرات فانه ولقد تردد في الغلوات وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات وهي إلى أصار ذوي البصائر مسافرات في الشبر والسنة مررت به في دابة في الحركة على توالي الأوقات فمن الغراب أن يدأب في الطواف بأحد المساجد من أمرت السكينة أن تطوف به ومن الغراب أن يطوف في أكثاف الأرض من تطوف به أنظار السماء ثم مادام للسافر مقترا إلى أن يصير طام للملك والشهادة بالبر للظاهر فهو بعد في التزل الأول من منازل السائرين إلى الله والسافرون إلى حضرة وكأنه متكف على باب الوطن لم يرض به السير إلى متسع القضاء ولا حسب لطول اللقاع في هذا التزل إلا الجبن والقصور ولذلك قال بعض أرباب القلوب إن الناس يقولون اقتضوا أعينكم حتى تبصروا وأنا أقول اغمضوا أعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق إلا أن الأول خير من التزل الأول القريب من الوطن والثاني خير مما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطأها إلا خاطر بنفسه والمجازر إلى باربعها يتبه قهاسين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل والمالكون في آتبه هم الأكترون من ركاب هذه الطريق ولكن السامعون بنور التوفيق فازوا بالنصير والملك القيم وهم الذين مقتطع من الله الحسنى واعتبر هذا الملك الملك الدنيا فاته بقل بالامانة إلى كثرة الخلق ملاه ومهما عظم الخلق بقل للسامع الذي يملك أكثر من الذي يملك ولا يصدق لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول الصب:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

وما أودع الله العز والملك في الدين والدنيا إلا في حيز الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحرم والحذر كما قيل :

ترى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع التميم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله في الأرض . فلترجع إلى الفرض الذي كنا قصده ولنبين القسم الثاني : وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج ويدخل في جملة زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يترك عبادته في حياته يترك زيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الفرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى (١) » لأن ذلك في المساجد قائما متناهية بعد هذه المساجد وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء

أن سلة بن هند وهو أمير مصر في حديث آخر ولاهما منقطع (١) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث تقدم في الحج .

الطبع عديم الذوق
يقال له : العيين لا يعلم
لذة الواقع والمكتوف
ليس له بالجمال البارع
استمتاع وغير للصاب
لا يتسكع بالاسترجاع
فإذا ينكره من محب
تربي باطنه بالشوق
والهبة ويرى انجاس
روحه الطيارة في
مضيق قصص النفس
الأمارة بحر بروحه
نسيم أنس الأوطان
وتلوح له طالع جنود
العرفان وهو بوجود
النفس في دار العربة
يتجرع كأس الهجران
يقن تحت أعباء المجاهدة
ولا تحمل عنه سواغ
المشاهدة وكما قطع
منازل النفس بكثرة
الأعمال لا يقرب من
حكمة الوصول
ولا يكشف له للسبل
من الحجاب فيتروح
بنفس الصمداء ويرتاح
باللائح من شد البرحاء
ويقول محاطا للنفس
والشيطان وهما اللذان
أناجبنى نمان باقه خليا

بأصل الفضل وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله . وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات والمفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إليهم فإن النظر إلى وجوه المدا والصلحاء عبادة وفيه أيضا حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من القوائد العلمية الاستفادة من أنفاسهم وأفعالهم كيف ومجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحة وفي التوراة : سر أربعة أميال زر أخا في الله . وأما البقاع فلان معنى زيارتها سوى الساجد الثلاثة وسوى الثنور للرباط بها فالحديث ظاهر في أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى الساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج ، وبيت المقدس أيضا له فضل كبير خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من التمد إلى المدينة وقد حال مليون عليه السلام ربه عز وجل أن من قصد هذا المسجد لأينيه إلا الصلاة فيه أن لا تصرف نظرك عنه مادام متقيافه حتى يخرج منه أن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك . القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك أيضا حسن فالفرار عما يبطأ من سنن الأنبياء والمرسلين . وما يجب الهرب منه الولاية والجهل وكثرة العلائق والأسباب فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب والدين لأنهم لا يلب فارع عن غير الله فإن لم يتم فراغه فقد فرغ تصور أن يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والمحاجات الضرورية ولكن تصور تخفيفها وتقليلها وقد نجا الخفون وهلك الثقلون والحمد لله الذي لم يسلع النجاة بالفراغ بل باليقين عن جميع الأوزار والأعياء بل قبل الخف بفضله وشمله بسمة رحمة والخف هو الذي ليست الدنيا أكبره وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاحه وكثرت علاقته فلا يتم مقصوده إلا بالهجرة والحول وقطع العلائق التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة ممددة ثم يرجع إلى الله بموته فيتم عيما يقوى به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر ويقارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعندها فلا يصده شيء منها عما هو بصده من ذكر الله وذلك علمي وجوده جدا بل الطالب على القلوب الضعف والتصور عن الاتساع للخلق والحالح وإعما بسعد هذه القوة الأنبياء والأولياء والوصول إلى الباب الكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوة الظاهرة في الأعضاء فرب رجل قوى ذي مرة نوى شديد الأعصاب يحكم البنية يستقل بعمل ما وزنه ألف رطل مثلا فلو أراد الضعيف المريض أن يناله رتبته عمارسة الحن والتدرج فيه قليلا قليلا لم يقدّر عليه ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زائدا وما وإن كان ذلك لا يلبه درجته فلا ينبغي أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف رضى الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن وقال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحامل فكيف على الشترين هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف في موضع تحول إلى غيره وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته يده ووضع جرابه على ظهره قتل إلى أين يا أبا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها رخص أريد أن أقم بها قتلته وتفضل هذا قال نعم إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها فإنه أسلم لديك وأقل لهلك وهذا هرب من غلاء السعر وكان سري السعطي يقول للصوفية إذا خرج الشتاء قد خرج أذار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الحواس لا يقيم يلد أكثر من أربعين يوما وكان من التوكلين ويرى الإقامة اعتقادا على الأسباب قادحا في التوكل وسيأتي أسرار الاعتقاد على الأسباب في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى . القسم الرابع : السفر هربا عما يهدح في البدن كالطاعون أو في المال كغلاء السعر

نسم الصبا غلخس إلى

نسيمها

فان الصبا ربح إذا

ما تنسست

على قلب عززون تجلث

همومها

أجد بردها أوتشتف

من حرارة

على كبد لم يبق إلا

صميمها

ألا إن أدوائى بليل

قديمة

وأقل داء الماشقين

قديما

وليل التكر يقول هل

الحبة إلا امتثال الأمر

وهل يعرف غير هذا

وهل هناك إلا الخوف

من الله ويشكر الحبة

الخاصة التي تختص

بالطعام الراسخين

والأبدال للقرين ولما

تقرر في فهمه القاصر

أن الحبة تستدعي

مثالا وخيالا وأجناسا

وأشكالا أنكر حبة

القوم ولمس أن القوم

يلجوا في رتب الإيمان

إلى آثم من المحسوس

وجادوا من فرط

أو ما جرى مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب القرار في بعض الواضع وربما يستحب في ضمن محجب وجوب ما يترتب عليه من القوائد واستجابة ولكن يقتضي منه الطاعون فلا ينبغي أن يغتر منه لورود النهي فيه قال أسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الوبع أو السهم جزعذب به بعض الأمم قبلكم » ثم بقي بعد في الأرض فيذهب الوباء ويأتى الأخرى فمن سمع به في أرض فلا يمد من عليه ومن وقع بأرض هو بها فلا يخرجها القارئة (١) وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « إن فناء أمي بالطعن والطاعون قتل هذا الطعن قد عرفناه فإ الطاعون قال غدة كغدة البعير نأخذهم في مراقبهم للسلم لئلا يمتدح منه شهيد والقيم عليه المحتجب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف (٢) » وعن مكحول عن أم أيمن قالت « أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت أو حرقت وأطع والدك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه ولا تترك الصلاة عمدا فإن من ترك الصلاة عمدا قد حرم الله منه وإياك والمحرمات مفتاح كل شروائك وللصبياتها تسخط الله ولزحفهم من الزحف وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فابتن فيهم ألق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم (٣) » فهذا الأحاديث تدل على أن القرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم عليه وسياق شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه أقسام الأسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى ممدوم وإلى محمود وإلى مباح والدموم ينقسم إلى حرام كابق البعد وسفر العاق وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم إلى واجب كالخروج وطلب العلم الذي هو فرضة على كل مسلم وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهد ومن هذه الأسباب تنبيه النية في السفر فإن معنى النية الانبعاث لطلب الباعث والالتهاض لإجابة الداعية ولكن نية الآخرة في جميع أسفاره وذلك ظاهر في الواجب وللدوب ومحال في المكروه والمختار . وأما الباعث فمرجه إلى النية فهما كان قصده بطلب للمصلحة التصف عن السؤال ورعاية ستر الرواة على الأهل واليالي والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا الباعث بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج إلى الحج وبعثه الرياء والسعة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات (٤) » لقوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات عام في الواجبات والمندوبات والباحات دون المخطورات فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن صحتها من المخطورات وقد قال بعض السلف : إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نيته فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها وقص من آخرته أضاعه وفرق عليه همه وكثر بالحرس والرغبة شغله ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصرة والحكمة والعفة وقص له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له لللائكة واستغفرت له . وأما النظر في أن السفر هو الأفضل أو الإقامة فذلك يضاهي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو الخلطة وقد ذكرنا منهاجها في كتاب العزلة فليدبرهم هذا منه فإن السفر نوع مختلط مع زيادة تعب ومشقة تفرق القلب وتمشقت القلب في حق الأكثرين والأفضل في هذا ما هو الأعون على الدين ونهاية عمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى

(١) حديث أسامة بن زيد إن هذا الوبع أو السهم جزعذب به بعض الأمم قبلكم الحديث متفق عليه واللفظ لسلم (٢) حديث عائشة إن فناء أمي بالطعن والطاعون الحديث رواه أحمد وابن عبد البر في التمهيد بإسناد جيد (٣) حديث أم أيمن أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهله لا تشرك بالله شيئا وإن حرقت بالنار البيهقي وقال فيه إرسال (٤) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم .

المكتشف والبيان بالأرواح والنفوس . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل يقال لأمه من خلق السماء قالت الله قال من خلق الأرض قالت الله قال من خلق الجبال قالت الله قال من خلق النعم قالت الله فقال إنني أعلمه شأنا ورمى نفسه من الجبل فتقطع » فالجمال الأزلي الإلهي مكتشف للأرواح غير مكيف للعقل ولا منسب لأفهام لأن العقل موكل بحالم الشهادة لا يهتدى من الله سبحانه إلا إلى مجرد الوجود ولا يتطرق إلى حريم الشهود التجلي في طي الغيب المكتشف للأرواح بلا ريب وهذه رتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة وأعم منها من رتب المحبة المحصلة

وتحصيل الأنس يذكر الله تعالى والأنس يحصل بدوام الذكر والعرفة يحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المكين على التعلّم في الابتداء والاقامة هي العينة على العمل بالعلم في الانتهاء وأما السباحة في الأرض على الهواء فمن اللشوشات للقلب إلا في حق الأنواء فان السافر وماله لعل قلقه لإلماوقه فلا يزال السافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الله وعادته في إقامته وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يغلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق فتارة يصف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع ثم الشغل بالخطوات والترحال ومشوش لجميع الأحوال ، فلا ينبغي أن يسافر الريد إلا في طاب علم أو مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته وتستفاد الرقة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر واقتضه له طريق الفكر أو العمل فالكون أولى به لأن أكثر متصوفة هذه الأعصار لماخلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطلين غير محترفين ولا مشغولين قد أفلتوا البطالة واستقلوا الصل واستوعروا طريق الكسب واستلنا جانب السؤال والسكدة واستطابوا الرابطات البنية لهم في البلاد واستسخرخوا الحدم للتصيين للقيام بخدمة القوم واستخفا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال تعلا بكثرة الأتباع فلم يكن لهم في الحافقات حكم نافذ ولأناديب للريدين نافع ولا حرج عليهم قاهر فلبسوا الرصا وتخذوا في الحافقات منزهاة وربما تلقوا ألقاظا مزخرفة من أهل الطامات فيظنرون إلى أنفسهم وقد تشبوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لهظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا وبحسبون أنهم يحسنون صنعا ويمتدنون أن كل سوداء ترمة ويتوهمون أن الشاركة في الظاهر توجب للسامحة في الخفايا وهيات فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشمع والورم فهو لاء بضاه الله تعالى يدهش الشاب الفارغ ولم يحماهم على السياحة إلا للشباب والفراغ إلا من سافر لحج أو عمره في غير رياء ولا معة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في عمله وسيرته وقد دخلت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت وضفت إلا التصوف فانه قد اتفق بالكية وبطل لأن العلوم لم تدرس بعد والعالم وإن كان عالم سوء قائما فساده في سيرته لا في عمله فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ماسوى الله وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فأت الأسل وفي أسفار هؤلاء نظر الفقهاء من حيث إنه إيجاب للفتن بلا فائدة وقد يقال إن ذلك مجموع ولكن السواب عندنا أن نحكم بالإباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وإن كانت خسية فنفوس التحريك لهذه الحظوظ أيضا خسية ولأبأس باتباع حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه فهو التأتى والتلذذ والفتوى تقتضي تشتيت العوام في الباحات التي لا تقع فيها ولا ضرر فالسائحون في غير هم في الدين والدنيا بل همض التفرج في البلاد كالبهايم المترددة في الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وإنما عصيانهم في التلبس والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية لأن الصوفى عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات آخر وراء الصلاح ومن أقل مميزات أحوال هؤلاء أكلهم أموال المسلمين وأكل الحرام من الكسائر فلا يبق معه العدالة والصلاح ولتصور صوفى فائق لتصور صوفى كافر وفقه يهودى وكان أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفى عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على التقدير الذى يحصل به العدالة ، وكذلك من نظر إلى طواهرهم ولم يعرف بواطنهم .

دون العامة مطالعة
جمال السكال من
الكبرياء والجلال
والاستقلال بالنفع
والتوال والصفات
للنقمة إلى ماظهر
منها في الآباد ولازم
الذات في الآزال فللسكال
جمال لا يدرك بالحواس
ولا يستنبط بالقياس
وفي مطالعة ذلك الجمال
أخذطائفة من المحيين
خسوا بتجلى الصفات
ولهم بحسب ذلك ذوق
وشوق ووجد وسماع
والأولون منحواقسا
من تجلى الذات فكان
وجدهم على قدر الوجود
وهماعهم على حيد
الشهود . وحكى بعض
للسائح قادرأنا جماعة
عن يمشى على الماء
والهواء يسمعون
السماع ويمجدون به
ويتوهمون عنده .
وقال بعضهم كنا على
الساحل فسمع بعض
إخواننا لجبل يتقلب
على الماء يمر ويحيى
حتى رجع إلى مكانه .

وأعطهم من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتا وأغنى به إذا كان للمطلى بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم فأخذ المال بظاهر التصوف من غير انصاف بمقتضاه كأخذه بظاهر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ، ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لحبه أهل البيت ولوعلم أنه كاذب لم يعطه شيئا فأخذه على ذلك حرام وكذلك الصوفى ولهذا احترز المتألمون عن الأكل بالدين فإن البالغ فى الاحتياط لدينه لا ينفك فى بطنه عن عورات لو انكشف للراغب فى مواساته لتقرت رغبته عن الواساة فلا جرم كانوا لا يشترطون شيئا بأنفسهم مخافة أن يساعوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين وكانوا يولكون من يشتري لهم ويشترون على الوكيل أن لا يظن أنه لمن يشتري ثم إنما جعل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم للمطلى من بطنه ما يعمله الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا فى رأيه فيه والعاقلة النصف يعلم من نفسه أن ذلك محتج أو عزيز للفرور الجاهل بنفسه أخرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه فإن أقرب الأشياء إلى قلبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف يتكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لهالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه العاتلة أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات بطنه لم يمتنع ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له وليقل إنك إن كنت تعطى لما تنتهده فى من الدين فلتست مستحقا لذلك ولو كشف الله تعالى سترى لم ترنى بين التوقيف بل اعتقدت أنى شر الخلق أو من شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فانه ربما رضى منه هذه الحصة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة وعجاجة فليفتطن لها وهو أنه قد يقول ذلك مظهرًا أنه متعبد بالصالحين فى ذمهم فوسمهم واحتقارهم لها ونظرهم إليها بين التفت والازدراء فتكون صورة الكلام صورة القبح والازدراء وبطنه وروحه هو عين اللع والاطراء ، فكمن من ذام نفسه وهو لها مالح بين ذمه فقم النفس فى الخلوقة مع النفس هو الحمد وأما اللع فى اللع فهو عين الرياء إلا إذا أوردته إرادا يحصل للسمع يقينا بأنه متعترف للذنوب ومعترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبسه بقرائن الأحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن عبادته لله عز وجل أو عبادته لنفسه حال فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول فى أقسام السفر ونية السافر وفضليته .

(الفصل الثانى فى آداب السافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا)

الأول أن يبدأ بترتيب المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ويرد الواضع إن كانت عنده ولا يأخذ لأحد إلا بالحلال والطيب ولا يأخذ قذرا يوسع به على رفاقته . قال ابن عمر رضى الله عنهما من كرم الرجل طبيب زاده فى سفره ولا يدق السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق فى السفر فانه يخرج خبايا الباطن ومن صالح لصحة السفر صلح لصحة الحاجر وقد يصلح فى الحضر من لا يصلح فى السفر ولذلك قيل إذا أتى على الرجل معالوه فى الحضر ورفقاؤه فى السفر فلا تشكوا فى صلاحه والسفر من أسباب الضجر ومن أحسن خلقه فى الضجر فهو الحسن الخلق ولا أفند مساعدة الأور على وفق الغرض فلما يظهر سوء الخلق . وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر : السائم والمرضى والمسافر . وتعام حسن خالق المسافر الإحسان إلى المسكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالاعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله وتعام ذلك مع الرفقاء بمزاج ومطابقة فى بعض الأوقات من غير غش ولا مصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه . الثانى : أن يختار رفيقا .

وقد أن بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها . ونقل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمعة فجعلها فى عينه قال الناقل قربت من عينه أنظر فرأيت نارا أو نورا يخرج من عينه يردنار الشمعة . وحكى عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض فى الهواء أذرا عمو مجى . فيه . وقال الشيخ أبو طالب للكي رحمه الله فى كتابه إن أنكرنا السماع مجلا مطلقا غير مقيد مفصل يكون إنكارا على سبعين صديقا وإن كنا نعلم أن الانكار أقرب إلى قلوب القراء والتبصيرين إلا أننا لا نقول ذلك لأننا نعلم ما لا يعلمون وميمنا عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن

ولا يخرج وحده ، روي ثم الطريق ولكن رفيقه عن بيته على يد أبيه إدا نسي وعينه
وساعده ، ذكر ابن جرير بن خنبل ولا يعرف الرجل إلا برفقه وقد نسي صلى الله عليه وسلم عن
أن يسافر والرحل وحده (١) وقال الثلاثة نفر (٢) « وقال أيضا إذا كنتم ثلاثة في السفر فأمرُوا أحكمكم (٣)
وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا أميرنا مه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ولؤمروا أحسنهم أخلاقا
وأزكاهم بالأحباب وأسرعهم إلى الأثر وطلب الموافقة وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في
تعيين النازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا في الكثرة وإنما تنظم أمر العالم
لأن مدبر الكل واحد لو كان فيها آلهة إلا الله لقدساتهما كان للربوا حادا انظمت أمر التديب وإذا
كثر المدبرون فسدت الأمور في الحضرة والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلدان وأمير
خاص كرب الدار وأما السفر فلا يتحن له أمير إلا بالتأخير فلهاذا وجب التأخير ليجتمع شتات الآراء على
الأمير أن لا ينظر إلا مصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم كما فعل عن عبد الله الروزي أنه صبه أبو علي
إلى باطن قتال على أن تكون أنت الأمير أو أنا قتال بل أنت فبرز لي يحمل الزاد لنفسه ولأبي على ظهره
فأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله على الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه الطرف فكما قال
له عبد الله لا تضلل يقول إن الخيل إن الامارة مسللة لي فلا تحركني ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو علي
وددت أني مت ولم أقل له أنت الأمير ، فهكذا ينبغي أن يكون الأمير وقد قال صلى الله عليه وسلم : خير
الأحباب أربعة (٥) » ونخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لابد أن يكون لفائدة والذي ينقدح
فيه أن السافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان
التردد في الحاجة واحدا فتترد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق
ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرجل واحدا فلا يخلو بأضغان الخطر وعن ضيق الصدر فاذن
مادون الأربعة لا يفي بالقصد وما فوق الأربعة يزيد فلا يجتمعهم رابطة واحدة فلا ينشد بينهم الترافق
لأن الحاسن زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تصرف الهمة إليه فلا تمن المرافقة معه نم في كثرة
الرقاء فائنة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرافقة الخاصة بالرافقة العامة وكمن رفيقي
الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستئناء عنه . الثالث : أن بدوع رقاء
الحضر والأهل والأسداء وليد عن الدواع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم يحببت
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حسبا الله فلما أردت أن أفارقة شيعتي وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئا حافظه وإنى استودع
الله دينك وأمانتك وخواتم عملك (٦) » وروي زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النهي عن أن يسافر الرجل وحده أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند
إسحاق بن عمار لم يلق الناس مافي الوحدة مما سأراكب بديل وحده (٢) حديث الثلاثة نفر روىناه
من حديث علي بن وصيته المشهورة وهو حديث موضوع والمعروف الثلاثة ركب رواه أبو داود
وترجمدى وحسنه النسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٣) حديث إذا كنتم ثلاثة
فأمرُوا أحكمكم الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٤) حديث كانوا يفعلون ذلك ويقولون
هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم البراز والمحاكمة عن عمر بن الخطاب إذا كنتم ثلاثة في سفر
فأمرُوا أحكمكم أحكمكم دا أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحاكم بصحيح على شرط الشيخين
(٥) حدث حميد الأسجاس أربعة أبو داود والترمذى و الحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذى
حسن غريب وقال الحاكم بصحيح على شرط الشيخين (٦) حديث بن عمر قال لعمان إن الله إذا

علمه الوافر بالسنان
والآثار مع اجتهاده
وتحريه الصواب
ولكن نبسط لأهل
الإنكار لسان الاعتذار
ونوضح لهم الفرق بين
معام يؤثر وبين معام
ينكرو ومع الشبلى قائلا
يقول :

أسائل عن سلسی فهل
من مخبر
یکون له علم بها این
نزل

فرقع الشبي وقال لا
 وأتصافى الدارين عنه
 خبر . وقيل الوجد
 سر صفات الباطن
 كما أن الطاعة سر
 صفات الظاهر وصفات
 الظاهر الحركة
 والاسكون وصفات
 الباطن الأحوال
 والأخلاق . وقال
 أبو نصر السراج أهل
 السماع على ثلاث طبقات
 يقوم رجوع في معامهم
 إلى غمطيات الحق
 فما فيها يسعون وقوم
 رجوع فما يسعون
 إلى غمطيات أحوالهم
 ومقامهم وأولاهم فهم

أنه قال « إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى يجعل له في دعائهم البركة (١) » وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ودع رجلا قال « زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت (٢) » فهذا دعاء النبي للودع وقال موسى بن وردان أنبأنا هريرة رضى الله عنه أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمنا ابن أخى شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع قلت بلى قال قل « أستودعك الله الذى لا تضيع ودائمه (٣) » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني أريد سفرا فأوصني فقال له في حفظ الله وفي كنفه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت (٤) » شك فيه الراوى . ويبنى إذا استودع الله تعالى ما يخلفه أن يستودع الجميع ولا يخص فقد روى أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطائهم إذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر : ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال له الرجل أهدئك عنه يا أمير المؤمنين بأمره إني أردت أن أخرج إلى سفروا معه حامل به فالتفت فخرج وتدعى على هذه الحالة قتلت أستودع الله ما في بطئك غرمت ثم قسمت فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار على قبرها قلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليلة قتلت والله إنها كانت لصوامدة قوامة فأخذت المولى حتى أتينا إلى القبر فخرنا فإذا سراج وإذا هذا البلام يدب قيللى إن هذه وديتك ولو كنت استودعت أمه لو جدتها فقال عمر رضى الله عنه : لهو أشبه بك من الغراب بالغراب . الرابع : أن يصلى قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلى لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني ندرت سفرا وقد كتبت وصيقي فالى أى الثلاثة أذهب إلى ابنى أم أختى أم أبى فقال النبي ﷺ ما استخلف عبيد في أهلهم من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين في بيته إذا شغل عليه ثياب سفره قرأ فمن فاختة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أشرب بهن إليك فأخلفني بهن في أهلى ومالى فهى خليفتي في أهله وماله وحرز حولى داره حتى يرجع إلى أهله (٥) » الخامس : إذا حصل على باب الدار فليقل باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله عز وجل أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجاى فأكفنى ما أحمى وما لا أهتم به وما أنت أعلم بهمى عز جارك وجل تناؤك ولا إله غيرك اللهم زدنى التقوى واغفر لى ذنوبى وجوبى للخير أينما توجهت ، وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فإذا ركب الدابة فليقل باسم الله وبالله

استودع شيئا حفظه وأنى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عمالك النساءى في اليوم واليلة ورواه أبو داود مختصرا وإسناده جيد (١) حديث زيد بن أرقم إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله يجعل له في دعائهم البركة الخراطينى في مكارم الأخلاق بسند ضيف (٢) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كان إذا ودع رجلا قال زدك الله التقوى الخراطينى في مكارم الأخلاق والحاملى في الدعاء وفيه ابن لهية (٣) حديث أبي هريرة أستودعك الله الذى لا تضيع ودائمه ابن ماجه والنسائى في اليوم واليلة بإسناد حسن (٤) حديث أنس في حفظ الله وفي كنفه زدك الله التقوى الحديث تقدم في الملح في الباب الثانى (٥) حديث أنس أن رجلا قال إني ندرت سفرا وقد كتبت وصيقي فالى أى الثلاثة أذهبها إلى أبى أم أختى أم امرأتى فقال ما استخلف عبيد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات الحديث الخراطينى في مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف .

مرتبون بالمسلم ومطابرون بالصديق فيما يشيرون الله من ذلك وتقوم هم الفقراء المبردون الذين قطعوا الملائق ولم تساوئ قلوبهم بحبة الدنيا والمج والنعنهم يسمعون لطيف قلوبهم ويليق بهم السباع فهم أقرب الناس إلى السلامة وأسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحب الدنيا فباعه سماع طبع وتكلف وسئل بعضهم عن التكلف في السماع فقال هو على ضربين : تكلف في اللتتمع لطلب جاه أو منفعة دنيوية وذلك تلبس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكي للتدوب إليه وتقول القائل إن هذه الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له إنما البدعة المحذورة المتنوع منها

والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه
الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة تحته فليقل - الحمد لله
الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله - اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت السمان على
الأمور . السادس : أن رحل عن التزل بكرة . روى جابر « أن النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم
الحجيس وهو يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتي في بكورها »^(١) ويستحب أن يبتدىء بالخروج
يوم الحجيس ، فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال فلما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الحجيس^(٢) . وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي
في بكورها يوم السبت » وكان ﷺ إذا بحث سرية بشها أول النهار^(٣) . وروى أبو هريرة رضى الله
عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميس^(٤) » وقال عبد الله بن عباس :
إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها منه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول « اللهم بارك لأمتي في بكورها »^(٥) . ولا ينبغي أن يسافر بمطلوع القمر من يوم
الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشجيع للوداع
مستحب وهو سنة قال صلى الله عليه وسلم « لأن أضيع مجاهدا في سبيل الله فأكتفه على رحله خذوة
أروحة أحب إلى من الدنيا وما فيها »^(٦) . السابع : أن لا يزل حتى يحصى التبار فهي السنة ويكون
أكثر سيره بالليل قال ﷺ « عليكم بالدجلة فان الأرض تطوى بالليل لا تطوى بالنهار »^(٧) . ومهما
أشرف على التزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب
التيابطين وما أظللن ورب البرق وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا التزل وخير أهله
وأعوذ بك من شر هذا التزل وشر ما فيه أصرف عن شرارهم فإذا نزل التزل فليقل فيه ركعتين
ثم يقلل اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه
الليل فليقل يأرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك وشر ما دبك عليك أعوذ بالله
من شر كل أمد وأسود حية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله مسكن في الليل والنهار
وهو المسيح المليم ومهما علا شرفا من الأرض في وقت السير فينبى أن يقول : اللهم لك الشرف على
كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبيح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحانه للكل
القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعرزة والجبروت . الثامن : أن يحاط بالتبار فلا يمشى

(١) حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم رحل يوم الحجيس يريد تبوك وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها
رواه الخرائطي ، وفي السنن الأربعة من حديث صخر العامري اللهم بارك لأمتي في بكورها قال
الترمذي حديث حسن (٢) حديث كعب بن مالك فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج
إلى سفر إلا يوم الحجيس والسبت الزبار مقتصر على يوم خميس والخرائطي مقتصر على يوم السبت
وكلاهما ضعيف (٣) حديث كان إذا بحث سرية بشها أول النهار الأربعة من حديث صخر العامري
وحسنه الترمذي (٤) حديث أبي هريرة اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميس ابن ماجه والخرائطي
في مكالم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه يوم الحجيس وكلا الإسنادين ضعيف (٥) حديث ابن عباس
إذا كانت لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهارا الحديث الزبار والطبراني في الكبير والخرائطي في
مكالم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف (٦) حديث لأن أضيع مجاهدا في سبيل الله فأكتفه
على رحله خذوة أروحة أحب إلى من الدنيا وما فيها ابن ماجه يستضعف من حديث معاذ بن أنس
(٧) حديث عليكم بالدجلة الحديث تهم في الباب الثاني من الحج .

بدعة تزام سنة
مأمور بها وما لم يكن
هكذا فلا بأس به وهذا
كالقيام للداخل لم يكن
فكان في عادة العرب
ترك ذلك حتى قل أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يدخل
ولا يقام له وفي البلاد
التي فيها هذا القيام لهم
عادة إذا اعتمد ذلك
لتطيب القلوب
والنداء فلا بأس به لأن
تركه يوحش القلوب
ويوغر الصدور فيكون
ذلك من قبيل الشره
وحسن الصحبة
ويكون بدعة لا بأس
بها لأنها لم تزام سنة
مأثورة .

[الباب الثالث
والشرون في القول
في الساعردا وإنكارا]
قد ذكرنا وجه صحة
السبع وما يليق منه
بأهل الصدق وحيث
كثرت الفتنة بطريقه
وزالت الصحة فيه
وتصدى للحرص عليه
أقوام قلت أعمالهم

منفردا خارج القافلة لأنه ربما يتأذى أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه في كفته^(١) والعرض من ذلك أن لا يستقل في النوم قططع الشمس وهوانيم لا يدري فيكون ما يغوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره ، والمستحب بالليل أن يتقارب الرقءاء في الحراسة فإذا نام واحد حرص آخر^(٢) فهذه السنة ومهما قصد عدو أو سمع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وسورة الإخلاص وللعوذتين وليلق باسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتي بالحيرات إلا الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى مع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولادون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم واستعنت بالله القيوم الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكفنا بركتك الذي لا يرام اللهم احرسنا بقدرتك علينا فلا تهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإيمانك بأقرب رحمة إنك أملت أرحم الراحمين . التاسع : أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها ملا تطبيق ولا يضربها في وجهها فإنه منتهى عنه ولا ينالم عليها فإنه يشغل بالنوم وتأذي به الدابة كان أهل الورع لا ينالمون على الدواب إلا غفوة ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي^(٣) » ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية بروحها بذلك^(٤) فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكره بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لافي ميزان حسنات السكاري ومن أدى بهيمة بضرب أو حمل مالا تطيق طوبى به يوم القيامة إذ في كل كبد حراء أجر . قال أبو البرداء رضي الله عنه ليعبر له عند اللوات : أيها البعير لا تخاصمني إلى ريك فاني لمأك أحملك فوق طاقتك وفي التزول ساعة صدقتان : إحداها ترويع الدابة والثانية إدخال السرور على قلب السكاري وفيه فائدة أخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب وينبغي أن يقرر مع السكاري ما يجعله عليها شيئا من وجعته عليه ويستأجر الدابة بقدر صحيح لثلاثين يوما بينهما نزاع يؤذي القلب ويجعل على الزيادة في الكلام فإي لفظ العبد من قول إلا ليديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام والعجاج مع السكاري فلا ينبغي أن يحمل فوق الشروط شيئا وإن خف هان التليل بحر السكاري ومن حالم حول الحى يوشك أن يقع فيه . قال رجل لابن المبارك وهو على دابة أحمل لي هذه الرقعة إلى فلان فقال حتى استأذن السكاري فاني لم أشرطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا ما يتسامح فيه ولكن سلك طريق الورع . العاشر : ينبغي أن يستحب ستة أشياء قالت عائشة رضي الله عنها إن كان رسول الله ﷺ إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرأة والسككة والقراض والسواك والمشط وفي رواية أخرى عنها ستة أشياء : المرأة والقارورة والقراض والسواك والسككة والمشط وقالت أم سعد الأنصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارق في السفر المرأة والسككة^(٥) وقال صوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفسدت أحوالهم وأصغرتوا الاجتماع للسياح ولربما يتخذ للاجتماع طعاما فطلب النفوس الاجتماع لذلك لا رغبة للقلوب في السياح كما كان من سير الصادقين فيسير السياح معمولا تركن إليه النفوس طلبا للشهوات واستحلاء لمواطن الله والوفات وتطلب ذلك على المرید ويضعف طلب المزيد ويكون بطريقه تضييع الأوقات وقلة الحظ من العبادات وتكون الرغبة في الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واسترواحا لأولى الطرب والله والوهو العثرة ولا ينبغي أن هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق . وكان يقال لا يصح السياح إلا لعارف مكين ولا يباح لمريد مبتدئ .

وقال الحنيد رحمه الله تعالى إذا رأيت المرید يطلب السياح فاعلم أن

- (١) حديث كان إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه الحديث تقدم في الحج (٢) حديث الرقءاء في الحراسة تقدم في الحج في الباب الثاني (٣) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي تقدم في الباب الثالث من الحج (٤) حديث التزول عن الدابة غدوة وعشية تقدم فيه (٥) حديث عائشة كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرأة والسككة والقراض والسواك والمشط وفي رواية أخرى عنها ستة أشياء : المرأة والقارورة والقراض والسواك والسككة والمشط وقالت أم سعد الأنصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارق في السفر المرأة والسككة

«عليكم بالأخذ عند مضجِعكم فانه مما يزيد في البصر ويزيد الشعر» (١) وروى أنه كان يكحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية أنه اكحل للبعي ثلاثا وللبرسي ننتين (٢) وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وإغماره. هذا لما رآوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب بالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب للتسول ولزعم الماء من الآبار وكان الأولون يكفون بالتييم وينشون أنفسهم عن قتل الماء ولا يألون بالوضوء من الثدران ومن المياه كلها ما لم يتقنوا نجاستها حتى توضع على الأرض فيجوز أن يمشوا عليها فبذلك بدعة حسنة يكفون بالأرض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب للمسولة عليها فبذلك بدعة حسنة وإنما البدعة للتمومة ما تضاد السنن الثابتة وأما ما يعين على الاحتياط في الدين فيستحسن وقد ذكرنا أحكام الباطنة في الطهارة في كتاب الطهارة وأن التجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة بل يحاط في الطهارة ما لم يمتنع ذلك من عمل أفضل منه . وقيل كان الخواص من التاركين وكان لا يخافه أربعة أشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والقرص وكان يقول هذه ليست من الدنيا . الحادي عشر : في آداب الرجوع من السفر «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قتل من غزو أوحش أو حمرة أو غيره يكره على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آتون ثابتون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» (٣) وإذا أشرف على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا بهاراً واروراً حسناً ثم ليصل إلى أهله من يشتره بقدمه كيلا يقدم عليهم بفتة فيرى ما يكرهه ولا ينبغي له أن يطرهم لئلا (٤) فقد ورد النبي عنه ، وكان يترك إذا قدم دخل المسجد أولاً وصلى ركعتين ثم دخل البيت (٥) وإذا دخل قال «توباً توباً لربنا أوباً لا يغادر علينا حوباً» (٦) وينبغي أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من معطوم أو غيره على قدر مكانته فيوسنة فقد روي أنه إن لم يجد شيئاً فليضع في غلته جبيراً (٧) وكان هذا مبالغة في الاستحباب على هذه المسكرة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به فتباً كد الاستعجاب في تأكيد فرحه وإظهار التفات القاب في السفر إلى ذكرهم بما يستحب في الطريق لهم فبذلك جملة من الآداب الظاهرة . وأما الآداب الباطنة ففي الفصل الأول بيان جملة منها وجملة أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيراً إلى نقصان فليقف وليصرف ولا ينبغي أن يجاوز مهزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة أن يرى شوخها ويحمد أن يستفيد من كل واحد منهم أدباً أو كلمة لينفع بها للاحكي ذلك وينظر أنه لقي المشايخ ولا يقيم ليلة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يخالس في مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين وإن كان قصد زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حد الضيافة

(١) حديث صحيح عليكم بالأخذ عند مضجِعكم فانه مما يزيد في البصر ويزيد الشعر وبنيت الشعر الحراطى في مكارم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذى وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطاى صحيح الاسناد (٢) حديث كان يكحل للبعي ثلاثا وللبرسي ننتين الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بسند لين (٣) حديث كان إذا قتل من حج أو غزو أو غيره يكبر الحديث تقدم في الحج (٤) حديث النبي عن طريق الأهل ليلا تقدم (٥) حديث كان إذا قدم من سفر دخل المسجد أولاً وصلى ركعتين تقدم (٦) حديث كان إذا دخل قال توباً توباً لربنا أوباً لا يغادر علينا حوباً (٧) ابن السني في اليوم والليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث اطراق أهله عند القدوم ولو بجر الدار نطقى من حديث طائفة باسناد ضعيف .

فيه بقية البطالة .
وقيل إن الجيد ترك
السباع قليل له كنت
تستمتع فقال مع من
قبل له تسمع لنفسك
فقال بمن لأهم كانوا
لا يسمعون إلا من
أهل مع أهل فلا قد
الاخوان ترك لها
اختاروا السباع حيث
اختاروه إلا جروط
وقيود وآداب يذكرون
به الآخرة ويرغبون
في الجنة ويحذرون
من النار ويزداد
به طلبهم وتحسن به
أحوالهم ويشفق لهم
ذلك اخفا في بعض
الأحايين لأن يعملوه
دأباً وودينا حتى
يتروا لأجله الأوراد.
وقد نقل عن الشافعي
رضي الله عنه أنه قال
في كتاب القضاء القضاء
لهو مكروه يشبه
الباطل وقال من
استكثر منه فهو
سفيه زود شهادته .
وافق أصحاب الشافعي
أن الرأه غير المحرم

إلا إذا قى على أخيه مفارقه وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقم عنده أكثر من يوم وليلة ولا يشغل نفسه بالعمرة فإن ذلك يقطع بركة سفره وكما دخل بلدا لا يشغل بشئ سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فإن كان في بيته فلا يدق عليه باب ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلم عليه ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فإن سألته أجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة مالم يستأذن أولا وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسماؤها ولا ذكر أمهاته فيها ولا يذكر مشايخها وقراءها ولا يسهل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقهها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها وبلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره وإذا كلف إنسان فليترك الذكر وليجبه مادام يعدته ثم ليرجع إلى ما كان عليه فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالأقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له أن يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في قسوان عما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذا لو كان لحق لظهر أمره . قال رجل لأبي عثمان اللرخي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للؤمن أن يذل نفسه وأشار به إلى أن من ليس له في السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فعز الدين لينال بالإذلة الغربة فليكن سفر المرء من وطن هواء ومراده وطبعه حتى يمز في هذه الغربة ولا يذل فإن من اتبع هواه في سفره ذل لاهالة إما عاجلا وإما آجلا .

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تملنه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات)

اعلم أن المسافر يحتاج إلى أن يتزود للدين وآخرته أما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قري متصلة وإن ركب البادية وحده أومع قوم لأطعام معهم ولا شراب فإن كان بمن يصر على الجوع أسبوعا أو عسرا مثلا أو يقدر على أن يكتفي بالخشيش فله ذلك وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالخشيش فخرجه من غير زاد ممعية فإنه أتى نفسه يده إلى التهلكة ولهذا سرياني في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالسكينة ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر ولوجب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا آخر حتى يصب الماء في فيه فإن كان حفظ الدلو والحبل لا يتقدح في التوكل وهو آلة الوصول إلى الشر وبغفل عين للطعوم والشراب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يتقدح فيه وستأتي حقيقة التوكل في موضعها فإنه يتلبس إلا على المحققين من علماء الدين وأما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصومه وصلاته وعبادته فلا بد وأن يتزود منه إذا سفر تارة يخفف عنه أمورا فيحتاج إلى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه أمورا كان مستثيا عنها في الحضر كالمسلم بالقبلة وأوقات الصلوات فإنه في البلد يكتفي بغيره من محارب للساجد وأذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج إلى أن يعرف بنفسه فإذا ما يغتفر إلى تملنه ينقسم إلى قسمين :

(القسم الأول العلم برخص السفر)

والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخفين والتيمم وفي صلاة الفرض رخصتين التصرع والجمع وفي النقل رخصتين أداؤه على الرحلة وأداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع

لا يجوز الاستماع إليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب . وتقل عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يسكره الطقطة بالفضيب ويقول وضه الزنادقة ليضلوا به عن القرآن وقال لأبأس بالقرأة بالأحان وتحسين الصوت بها بأي وجه كان . وعند مالك رضي الله عنه إذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يردها بهذا العيب وهو مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وسباع القناء من الذنوب وما أباحه إلا شرا قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم ير إعسلاته في الساجد والبقاع الشريفة . وقيل في تخيير قوله تعالى - ومن الناس

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تملنه)

رخص . الرخصة الأولى : للسح على الحفين قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نتزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن ^(١) فكل من لبس الحف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا أو يوما وليلة إن كان مقبلا ولكن بحسب شرط : الأول أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل الجنى وأدخلها في الحف ثم غسل اليسرى فأدخلها في الحف لم يجر له السح عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع الجنى ويغسل يمينه . الثاني : أن يكون الحف قويا يمكن للشئ فيه ويجوز للسح على الحف وإن لم يكن ممثلا إذ العادة جارية بالتردد فيه في النازل لأن فيه قوة على الجلبة بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز للسح عليه وكذا الجرموقي الضعيف . الثالث : أن لا يكون في موضع فرض الفصل خرق فإن خرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز السح عليه وللشافعي قول قد يرد أنه يجوز مادام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك رضي الله عنه ولا بأس به لمسح الحاجة إليه وتقدر الحرز في السفر على كل وقت وللداس للنسوج يجوز للسح عليهما كان ساترا لا تبدو جرة القدم من خلاله وكذا الشقوق الذي يرد على محل الشق جرح لأن الحاجة تمس إلى جميع ذلك فلا يستبرأ لأن يكون ساترا إلى ما فوق السكين كيما كان فأما إذا ستر بعض طهر القدم وستر الباقي بالعاقة لم يجز السح عليه . الرابع : أن لا يتزع الحف بعد السح عليه فإن زرع فالأولى له استئناث الوضوء فإن اقتصر على غسل القدمين جاز . الخامس : أن يمسح على الوضوء المهادي لمحل فرض الفصل لاطى الساق وأقله ما يسمى مسح على ظهر القدم من الحف وإذا مسح بثلاث أصابع أجزاءه والأولى أن يخرج من شبه الخلاف وأكله أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار ^(٢) كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفه أن يبل اليدين ويضع رءوس أصابع اليمن من يده على رءوس أصابع اليمن من رجله ويمسح بأن يجر أصابعه إلى جهة نفسه ويضع رءوس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الحف ويبرها إلى رأس القدم . ومهما مسح مقبلا ثم سافر أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد السح على الحف فلو لبس الحف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصلي إلا بعد غسل الرجلين في غسل رجله ويغسل الحف وبراى وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث ولو أحدث بعد لبس الحف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة التيميم ويستحب لكل من يريد لبس الحف في حضر أو سفرا أن يكس الحف وينفض ما فيه حذرا من حية أو عقرب أو شوك فقد روى عن أبي أمامة أنه قال دعا رسول الله ﷺ خفيه فلبس أحدهما غراب فاحتمل الآخر ثم رى به فرجت منه حية فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما ^(٣) .

(١) حديث صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نتزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن الترمذي وصححه وابن ماجه والسنائي في الكبرى وابن خزيمة وابن حبان (٢) حديث مسحه صلى الله عليه وسلم على الحف وأسفله أبو داود والترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث القبرية وهكذا ضعفه البخاري وأبو زرعة (٣) حديث أبي أمامة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما رواه الطبراني وفيه من لا يعرف .

من يشتري لهو الحديث - قال عبادة ابن مسعود رضي الله عنه هو اللئيم والاسماع إليه . وقيل في قوله تعالى - وأنتم سامدون - أى مقنون رواه عكرمة عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وهو القضاء بلغة حمير يقول أهل اليمن مسد فلان إذا غنى وقوله تعالى - واستغفر من استغفرت منهم بصوتك - قال مجاهد القضاء والزامير . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان ليلتين أول من نأح وأول من تقى » وروى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنما نبيت عن صوتين فاجرين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة » وقد روى عن عثمان رضي الله عنه أنه

الرخصة الثانية : التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر وإنما يتعذر الماء بأن يكون بعيدا عن التزل بعدا لومضى إليه لم يلحقه غوث القافة إن صاح أو استغاث وهو البعد الذي لا يعتاد أهل التزل في تردادهم قضاء الحاجة التردد إليه وكذا إن نزل على الماء عدو أوسع فيجوز التيمم وإن كان للماء قريبا وكذا إن احتاج إليه لمطش في يومه أو بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم وكذا إن احتاج إليه لمطش أحد رفاقه فلا يجوز الوضوء ويلزمه بذله إما بشئ أو بغير شئ ولو كان محتاج إليه لطبخ مرققة أو لحم أو لبن فثبت يجمعه به لم يجز له التيمم بل عليه أن يجتري بالفتيت اليابس ويترك تناول الرقعة ومهما وهب له الماء وجب قبوله وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من النة وإن يبع بثمن الثلث لزمه الشراء وإن يبع بثمن لم يلزمه فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جاوز الوصول إليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى التزل وتفتيش الرجل وطلب البقايا من الأواني والطاهر فإن نسي الماء في رحله أوصى بشرا بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره في الطلب وإن علم أنه سيجد الماء في آخر الوقت فالأولى أن يصلي بالتيمم في أول الوقت فإن المر لا يوقع به وأول الوقت رضوان الله . تيمم ابن عمر رضى عنهما قتل له أتيمم وجدران المدينة تنظر إليك ؟ قال أو أبقى إلى أن أدخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم يتطل صلاته ولم يلزمه الوضوء وإذا وجده قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء . ومهما طلب فم يجد فليقصد صيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعها ضربة فيسح بها وجهه ويضرب ضربة أخرى بعد نزاع الحاتم ويفرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرقبيه فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى وكيفية التلطيف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيد ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يقتل ماشاء بذلك التيمم وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يسجد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلي فريضتين إلا بتيممين ولا ينبغي أن يتيمم صلاة قبل دخول وقتها فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليقيم بعده تيمما تاما . الرخصة الثالثة في الصلاة المفروضة القصير وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والمشاء على ركعتين ولكن بشرط ثلاثة : الأول : أن يؤدبها في أوقاتها فلوصارت قضاء فالأظهر لزوم الإتمام . الثاني : أن ينوي القصر فلينوي الإتمام لزمه الإتمام ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام . الثالث : أن لا يقتدى بقم ولا بمسافر ممن كان فعل لزمه الإتمام بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام وإن يقن بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر لا تخفى فليكن متعقبا عند التوبة وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن النبات لا يطلع عليها وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه أشكال فلابد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة ويسكنها التي يخرج أهل البلدة إليها للتنزه وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحطة ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شئ نسيه لم يترخص أن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه . وأما نهاية السفر في أحد أمور ثلاثة : الأول : الوصول إلى العمران من البلد الذي عزم على الإقامة به . الثاني : العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا إما في بلد أو في صحراء . الثالث : صورة الإقامة وإن

قال ما غنيت ولا نيت ولا مست ذكرى
يعنى منى بابت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وروى عن عبد الله
ابن مسعود رضى الله
عنه أنه قال القضاء
ينبت النفاق في القلب
وروى أن ابن عمر
رضى الله عنه مر
عليه قوم وهم محرمون
وفهم رجل يتنقى فقال
ألا لا سمع الله لكم ألا
لا سمع الله لكم
وروى أن إنسانا سأل
القاسم بن محمد عن
القضاء فقال أتأكل عنه
وأكرهه لك قال
أحرام هو ! قال انظر
يا ابن أخي إذا ميز الله
الحق والباطل في أيهما
يجعل القضاء . وقال
الفضيل بن عياض
الفتاوية الزنا وعن
الضحك القضاء مفسدة
للقلب مسخرة للرب
وقال بعضهم : إياكم
والنساء فإنه يزيد
الشهوة ويهزم اللزوة
وإنه لينوب عن الحجر

لمعزم كما إذا أقم على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازاه ولكنه يتوقع عليه ويتأخر فله أن يترخص وإن طالت اللدة على أقيس القولين لأنه منزعج قبله ومسافر عن الوطن بصورته ولا بمبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع ازعاج القلب ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ولا بين أن تطول اللدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلل بقاءه ثلاثة أيام أو لغيره إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم قصره في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد (١) وظاهر الأمر أنه لو تعادى القتال لتعاضد ترخصه إذ لا معنى للتقدير ثمانية عشر يوما والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر ، وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام ومعنى البليح أن لا يكون عاقا لو ألبه هاربا منها ولا هاربا من المالك ولا تكون للمرأة هاربة من زوجها ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم أو سعى بالفساد بين المسلمين . وبالجملة فلا يسافر الإنسان إلا لغرض والغرض هو المحرك فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولو لا ذلك الغرض لكان لا يثبت لسفره فسفره مصيبة ولا يجوز فيه الترخص وأما الفسق في السفر شرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يمين عليه بالرخصة ولو كان له باعثن أحدهما مباح والآخر محظور وكان بحيث لولم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستتلا بتحريره ولكن لا محالة يسافر لأجله فله الترخص والتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف المختار أن لهم الترخص . الرخصة الرابعة : الجمع بين الظهر والعصر في وقتها وبين المغرب والعشاء في وقتها : فذلك أيضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوارزه في السفر القصير قولان ، ثم إن قدم العصر إلى الظهر فليكن الجمع بين الظهر والعصر في وقتها قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليتم وعند الفراغ يقيم للصلاة ويعدد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة فإن قدم العصر لم يجز وإن نوى الجمع عند التحرم صلاة العصر جاز عند الزنى وله وجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم النية بل الشرع جواز الجمع وهذا جمع وإنما الرخصة في العصر فتكفي النية فيها وأما الظهر فجواز على القانون ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلاتين أما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي جدد الظهر يصلحها بعد الفراغ من العصر إما راكبا أو مقبلا لأنه لو صلى رابطة الظهر قبل العصر لا تقطعت الوالدة وهي واجبة على وجه ولو أراد أن يقيم الأربع للسنة قبل الظهر والأربع للسنة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الراكبتان اللتان هما بعد الغرض ولا ينبغي أن يحمل التوافل في السفر فما يغوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح لاسيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحة كي لا يتعوق عن الرقعة بسببها وإن تأخر الظهر إلى العصر فيجوز على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع رابطة الظهر

(١) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد أبو داود من حديث عمران بن حصين في قصة الفتح فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لا يصلح إلا ركنتين وللبخاري من حديث ابن عباس أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ولأبي داود سبعة عشر بتقديم السنين وفي رواية له خمسة عشر .

ويغسل ما يغسل السكر وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع اللوزون يفيق بالنقاء والأوزان ويستحسن صاحب الطبع عند الباع مالم يكن يستحسن القرعة بالأصابع والتصفيق والرخص وتصدر منه أفعال تدل على سخافة العقل . وروى عن الحسن أنه قال : ليس الغد من سنة المسلمين . والذي نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع الشمر لا يدل على إباحة النساء فإن الشعر كلام منظوم وغيره كلام مشور فعنه حسن وقيحه قبيح وإنما يصير غناء بالالحان وإن أنصف المنصف وتشكر في اجتناع أهل الزمان وقعود المعنى بدله والمشيب بشبابه وتصور في نفسه هل وقع مثل

بعد العصر في الوقت المكروه لأن ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والمساء والوتر وإذا قدم أو أخر بعد الفراغ من الفرض يشغل بجميع الرواتب ويحتمل الجميع بالوتر وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليزمن على أدائه مع العصر جمعا فهو نية الجميع لأنه إنما خلوعن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وإن لم يترك الظهر حتى خرج وقته إما لنوم أو لشغل فإنه لا يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاميا لأن السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذعاز على فعلها قبل خروج وقتها ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب وقلنا لا يشترط للوالة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر أما إذا قدم العصر على الظهر لم يحز لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للعصر إذ يمدان يشغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره وعذر للطرح يجوز ما جمعت كذا السفر وترك الجمعة إضمان برخص السفر وهي متعلقة أيضا بفرائض الصلوات ولو نوى الإقامة ببدان على السفر فأدرك وقت العصر في الحضر فله أداء العصر وما مضى إما كان مجزئا بشرط أن يبقى الصدر إلى خروج وقت العصر . الرخصة الخامسة : التسفل إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحته أو أتى بها توجت به دابة (١) . وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على التسفل الركوع والسجود إلا بالإقامة ويتنهي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء إلى حد يتعرض له لحظر بسبب الدابة فإن كان في مرقد فليت الركوع والسجود فإنه قادر عليه . وأما استقبال القبلة فلا يجب لاق ابتداء الصلاة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها في صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته إلا إذا حرفها إلى القبلة ولو حرفها ثانيا وقصر الزمان لم تبطل صلاته . وإن طال فبها خالف وإن جمعت به الدابة فاحترق لم تبطل صلاته لأن ذلك مما يكره وقوعه وليس عليه سجود سبو إذا لم يجمع غير منسوب إليه بخلاف ما لو حرف ثانيا فإنه يسجد للسبو بالإجماع . الرخصة السادسة : التسفل للماشى جازن في السفر ويوميء بالركوع والسجود ولا يعمد للشهد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الركاء لكن ينبغي أن يحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لأن الانحراف في لحظة لا عسر عليه فيه بخلاف الركاء فإن في تحريف الدابة وإن كان النمان يده نوع عسر وربما كثرت الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي أن يمشي في نجاسة رطبة عمدا فإن فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو طئت دابة الركاء نجاسة وليس عليه أن يشوش الشيء على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالبا وكل هارب من عدو أو سيل أو سبع فإنه يصلي الفريضة ركائبا أو شيئا كذا ركنا في التسفل . الرخصة السابعة : الفطر وهو في الصوم فلم يمسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقبلا ثم سافر فبها إتمام ذلك اليوم وإن أصبح مسافرا صائما . ثم أقام فبها إتمام . فإن أقام مفطرا فليس عليه الإمساك بقية النهار وإن أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بله أن يفطر إذا أراد الصوم أفضل من الفطر والقصر أفضل من الإتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف المفطر فإنه في عهدة القضاء وربما يتعذر عليه ذلك بما سبق فيقضي في ذمته إلا إذا كان الصوم يضرب به فالأفطار أفضل . فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والسبح ثلاثة أيام تتعلق اثنتان منها بالسفر طويلا وكان أو قصيرا

هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل استحضر أو لا وقعدوا مجتمعين لاستماعه لثلاث بأنه ينكر ذلك من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولو كان في ذلك فضيلة تطالبوا أهلها فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجتمع لها لم يحفظ بدوق معرفة أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين واستروح إلى استئذان بعض للتأخيرين ذلك وكثيرا ما يسلط الناس في هذا وكلما احتج عليهم بالسلف الماضين عتجون بالتأخيرين وكان السلف أقرب إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدبهم أشبه بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من الفقهاء يتسمنح عند قراء القرآن

(١) حديث كان يصلي على راحته أو أتى بها توجت به دابته وأوتر على الراحلة متفق عليه من حديث ابن عمر .

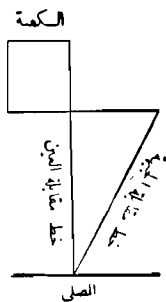
وهما مقطوع الجملة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتييم وأما صلاة النافلة ما فيها رابكا فيه خلاف والأصح جوازها في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والأظهر اختصاصه بالطويل وأما صلاة الفرض رابكا وما فيها للخوف فلا تتحقق بالسفر وكذا أكل اللينة وكذا أداء الصلاة في الحال بالتييم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها . فان قلت فالعلم بهذه الرخصة هل يجب على المسافر قبله قبل السفر أم يستحب له ذلك . فاعلم أنه إن كان عازما على ترك اللح والقصير والجمع والقطر وترك التنفل رابكا وما فيها لم يلزمه علم شروط الترخيص في ذلك لأن الترخيص ليس بواجب عليه ، وأما علم رخصة التيم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على خاطئ . نهر يوفق يقاء مائه أو يكون معه في الطريق عالم يقدر على استغاثته عند الحاجة فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه ما فيلزمه التمسك بالحالة . فان قلت : التيم يحتاج إلى صلاة لم يدخل وبدونها فكيف يجب على الطهارة لصلاة بعد لم يجب ورجع إلى الخب . فأقول : من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع إلا في سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم التماسك للحالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لأن الأصل الحياة واستمرارها ولا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقفا ظاهرا فالبا على الظن وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقدم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط للحالة كعلم التماسك قبل وقت الحج وقبل مباشرة فله لإجلاؤهم إن قدر الله في سفره ما يتعلم من هذا القدر من علم التيم وإن كان عازما على سائر الرخص فله أن يتعلم ذلك الشرط للنفاء إن شئ . السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيم وإن كان عازما على سائر الرخص فله أن يتعلم ذلك الشرط للنفاء إن شئ . ذكرناه من علم التيم وسائر الرخص فانه إذا لم يعلم القدر الجائر لخصه السفر لم يكنه الاقتصار عليه . فان قلت إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل رابكا وما فيها ماذا يفرضه وغايته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون عليها واجبا . فأقول من الواجب أن لا يصل التنفل على نص الفساد فالتفريط بالحدث والتنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام فله أن يتعلم ما يعترضه عن النافذة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المخطوئ فلهذا بيان علم ما تخفف عن المسافر في سفره .

(القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر)

وهو علم القبلة والأوقات وذلك أيضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من عراب منفق عليه فينبه عن طلب القبلة ومؤذن يراعى الوقت فينبه عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بأدلة القبلة والنوافيت أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام : أرضية كالاستدلال بالجيال والقرى والأنهار وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وسبها ودبورها ومحاوية وهي النجوم فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على بين السنين أو شماله أو ورائه أو قدامه فليعلم ذلك ولينبهه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليعلم ذلك ولنا قدر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر وأما السبوية فادلتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية أما النهارية فالشمس فلا بد أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أي بين الحاجبين أو على العين اليمنى أو اليسرى أو قبل إلى الجنبين ميلا أكثر من ذلك فإن الشمس لا تدنو في البلاد الشمالية هذه للتوقع فإذا حفظ ذلك فهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه وأما القبلة وقت الغروب فانها تدرك بموضع الغروب وذلك بأن يحفظ أن الشمس تقرب عن بين السنين أو هي مائلة إلى وجهه أو قدامه وبالتفريق أيضا تعرف القبلة للمساء الأخيرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة .

بأشياء من غير غلبة
قال عبد الله بن عروة
ابن الزبير قلت لحدث
أحمد بن ثوبان أبي بكر
الصديق رضي الله عنهما
كيف كان أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعلون إذا
قرئ عليهم القرآن
قلت كانوا كما وصفهم
الله تعالى تسمع عنهم
وتعشر جلودهم قال
قلت إن ناسا اليوم إذا
قرئ عليهم القرآن خروا
أحدهم منشا عليه
قلت أعود بالله من
الشیطان الرجيم .
وروي أن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما
مر رجل من أهل
العراق يتساقط قال
لهذا ؟ قالوا إنه إذا
قرئ عليه القرآن
وسمى ذكر الله تعالى
سقط فقال ابن عمر
رضي الله عنهما إنما
لنحش الله وما نستط
إن الشيطان يدخل
في جوف أحدهم
ما هكذا كان يصنع

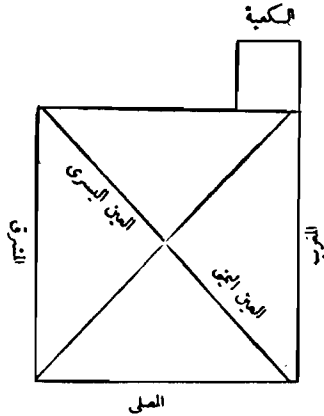
لصلاة الصبح وكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات الحسنى ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصف
فان للشارق والغارب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك أيضا ولكن قد يصل
لغرب والعشاء بعد غيوبة الشفق فلا يمكن أن يستدل على القبلة به فلهذا أن يراعى موضع القطب
وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فانه كوكب كائنات لا تظهر حركته عن موضعه وذلك إما أن
يكون على قنا المستقبل أو على منكبه الأيمن من ظهره أو منكبه الأيسر في البلاد الشمالية من مكة
وفي البلاد الجنوبية كالعين وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فيتعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعمل
عليه في الطريق كله إلا إذا طال السفر فإن السافة إذا بدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب
وموقع الشارق والغارب إلا أن يتسنى في أثناء سفره إلى بلاد فينبى أن يسأل أهل البصرة
أوراق هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فهما تعلم هذه الأدلة
فلهذا أن يعمل عليها فإن بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبى
أن يقضى وإن انحرف عن حقيقة محاذة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد أورد
الغمام خلافا في أن المطلوب جهة الكعبة أو عينها وأشكال معنى ذلك على قوم إذ قالوا إن قلنا إن
المطلوب العين فحق يتصور هذا مع بعد الديار وإن قلنا إن المطلوب الجهة فالواقف في المسجد إن
استقبل جهة الكعبة وهو خارج يدينه عن موازاة الكعبة لا خلاف في أنه لا تصح صلاته وقد
طولوا في تأويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد أولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة
فمعنى مقابلة العين أن يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينه إلى جدار الكعبة لالتصل
به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف للصلى
يقدر أنه خارج من بين عينه فهذه صورة مقابلة العين :



وأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارج من بين العينين إلى الكعبة من غير أن
يتساوى الزاويتان عن جهتي الخط بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي
واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من بينها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين
أضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كما لخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة
فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا عينها وحد تلك الجهة
ما يقع بين خطين زوهمهما الواقف مستقبلا لجهة خارجين من العينين فليتنى طرقاها في داخل الرأس

أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم .
وذكر عند ابن سيرين
الدين بصرعون إذا
قري القصران فقال
بيننا وبينهم أن يقعد
واحد منهم على ظهر
بيت باسطا رجله ثم
يقرأ عليه القرآن من
أوله إلى آخره فإن ربي
بنفسه فهو صادق وليس
هذا القول منهم
إنكارا على الإطلاق
إذ يتفق ذلك لبعض
الصادقين ولكن
للتصنع التوهم في حق
الأكثرين فقد يكون
ذلك من البعض تصنعا
ورياء ويكون من
البعض لقصور علم
وعاجزة جهل مزوج
بهوى لم بأحدم يسير
من الوجد فيبهم
يزادات بجهل أن ذلك
يضر بدينه وقد
لا يجهل أن ذلك
من النفس ولكن
النفس تسترق السمع
استراقا خفيا تخرج
الوجد عن الحد الذي

بين العينين حتى زاوية قائمة لما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين تزايد بطول الخطين وبالبعد عن السكبة وهذه صورته :



ينبغي أن يقف عليه
وهذا يبين الصدق .
قل أن موسى عليه
السلام وعظ قومه
فشق رجل منهم قميصه
فقبل لموسى عليه
السلام قل لصاحب
القميص لا يشق قميصه
ويشرح قلبه . وأما
إذا انضاف إلى السباع
أن يسمع من أمره
فقد توجهت الفتنة
وتعين على أهل الديانات

فإذا فهم معنى العين والجهة فأقول الذي يصح عندنا في الفتوى أن المطلوب العين إن كانت السكبة بما يمكن رؤيتها وإن كان محتاج إلى الاستدلال عليها لتصذر رؤيتها فيسكن استقبال الجهة . فأما طلب العين عند المشاهدة فجميع عليه وأما الاكتفاء بالجهة عند تذمر العائنة فيدل عليه الكتاب والسنة وفضل الصحابة رضي الله عنهم والقياس . أما الكتاب فقوله تعالى - وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره - أي نحوهم ومن قابل جهة السكبة يقال قد ولي وجهه شطرها . وأما السنة لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل المدينة « ما بين للغرب والشرق قبلة ^(١) » والغرب يقع على عين أهل المدينة وللشرق على يسارهم فجعل رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة السكبة لاثني بما بين الشرق والغرب وإعماغي بذلك جهتها ، وروى هذا اللفظ أيضا عن عمر وابنه رضي الله عنهما . وأما فضل الصحابة رضي الله عنهم لما روي : أن أهل مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبیت القدس مستديرين السكبة لأن المدينة بينهما ، فقل لهم الآن قد حوت القبلة إلى السكبة فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة ^(٢) ولم ينكر عليهم وصلى مسجدهم ذا القبليتين ومقالة الدين من المدينة إلى مكة لا تعرف إلا بأدلة هندسية بطول النظر فيها فكيف أدركوا ذلك على البديهة في أثناء الصلاة وفي ظلمة الليل ، ويدل أيضا من فعلهم أنهم بنوا للمساجد حوالى مكة وفي سائر بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المآرب ، ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر الهندسى . وأما القياس فهو أن الحاجة تنسحب إلى الاستقبال وبناء المساجد في جميع أقطار الأرض ولا يمكن مقابلة العين إلا بالعلم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يرجع عن التعمق في علمها

(١) حديث ما بين للشرق والغرب قبلة البرمذى وصححه والنسائي وقال منكر وابن ماجه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن أهل قبا كانوا في صلاة الصبح مستقبلين لبیت القدس فقبل لهم ألا إن القبلة قد حوت إلى السكبة فاستداروا الحديث مسلم من حديث أنس وافترقا عليه من حديث ابن عمر مع اختلاف .

يعملون ذلك العمل

فكيف يبنى أمر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة . وأما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في أربع جهات قوله عليه السلام في آداب قضاء الحاجة « لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا » (١) وقال هذا بالدينة والشرق على يسار السجدة بها والمغرب على يمينه فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك أربع جهات ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض في ست أو سبع أو عشر وكيف كان فلما حكم الباقي بل الجهات ثبت في الاعتقادات بناء على خلقته الإنسان وليس له إلا أربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالإضافة إلى الإنسان في ظاهر النظر أربعة والشرع لا يبيح إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة وذلك يسمل أمر الاجتهاد فيها وتعلم بأدلة القبلية فأما مقابلة العين فاتها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن أول عمارة في الشرق ثم يعرف ذلك أيضا في موقف الصلوة ثم يقابل أحدها بالآخر ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذن القدر الذي لا بد من تعلمه من أدلة القبلية موقع الشرق والغرب في الزوال وموقع الشمس وقت المصروف هذا ينسقط الوجوب . فان قلت فلو خرج للسافر من غير تعلم ذلك هل يصح . فأقول إن كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب أو كان معه في الطريق بصير بأدلة القبلية موقوف بعد التتبع وبصيرته وبقدرة على تقليده فلا يصح وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى لأنه سيترتب لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل عليه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الأدلة واستقيم عليه الأمر بنعم مظلوم أو ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقبله فله أن يصل في الوقت على حسب حاله ثم عليه التضاء سواء أصاب أم أخطأ والأعمى ليس له إلا التقليد فيقلد من يوثق بدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدا في القبلة وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتداد قول كل عدل بخبره بذلك في حضر أو سفرو وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة حيث يحتاج إلى الاستدلال كالمسافر الذي لا يعلم بلدته ليس فاقه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه المجرة إلى حيث يجد من يعلم دينه وكذا إن لم يكن في البلد إلا قتيبة فاسق فله الهجرة أيضا إذ لا يجوز له اعتداد قنوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول القنوى كما في الرواية وإن كان معروفا بالفتنة مستور الحال في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن السافر في البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة القنوين فان رآه لا يسأله للحزب أو ما يغيب عليه الأبرص أو راكبيا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إدرارا أو صلة من غير أن يعلم أن الذي يأخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق قدح في العدالة يمنع من قبول القنوى والرواية والشهادة . وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلا بد منها . فوقت الظهر يدخل الزوال فان كل شخص لا بد أن يقيم له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال ثم يأخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب فليقيم للسافر في موضع أو لينصب عودا مستقيما وليعلم على رأس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر . وطريقه في معرفة ذلك أثبت بنظر في البلدوت أذان المؤذن المتعدد ظل قائمه فان كان مثلا ثلاثة أقدام بقدمه فمهما صار كذلك في السفر وأخذ في الزيادة حتى فان زاد على ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف وإن كان أول الشتاء فينقص كل يوم وأحسن ما يعرف به ظل الزوال والبرهان فليستصعبه السافر وليتم اختلاف

(١) حديث لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا متفق عليه حديث أبي بوب.

قد تبيين على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتقاء مواضع التهم فان التصوف صدق كله وجدكته يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخاطبوه بشيء من الهزل فهذه الآثار دلت على احتساب السماع وأخذ الحذر منه والباب الأول بما فيه دل على جواز بشرطه وتزنيه عن السكره التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقا بين القصاص والفناء وغير ذلك . وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا ينكرون على من يسمع بنية حسنة ويراعى الأدب فيه .

[الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترها واستعناء]

اعلم أن الوجد يشعر بسابقة فدفن لم يفقد لم يجد وإعما كان الفقد لزاحة وجود السيد بوجود صفاته وبقيامه فهو محض عبدا

الظل به في كل وقت وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن يصير بين عينه مثلا إن كانت كذلك في البلد . وأما وقت الغروب فيدخل بالغروب ولكن قد تحجب الجبال الغروب عنه فينبغي أن ينظر إلى جانب الشرق لهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قدر ربح قد يدخل وقت الغروب . وأما المشاء فيعرف بضيوبة الشفق وهو الحمرة فإن كانت محبوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرها فإن ذلك يكون بعد غيوبة الحمرة . وأما الصبح فينبغي الأول مستظلا كذب السحابة فلا يحكم به إلى أن يقضي زمان ثم يظهر رياض معترض لا يصر إدراكه بالعين لظهوره فهذا أول الوقت قال **عليه السلام** « ليس الصبح هكذا ووضوح إحدى سبائتي على الأخرى وفتحهما (١) » وأشار به إلى أنه معترض وقد يستدل عليه بالتنازل وذلك تقرب لا تخفى فيه بل الاعتقاد على مشاهدة انتشار البياض عرضا لأن قوما ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل وهذا خطأ لأن ذلك هو الفجر الكاذب والذي ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمثلين وهذا تقرب ولكن لا اعتقاد عليه فإن بعض التنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبعضها متصبة فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافا بطول ذكره ثم تصلح المنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبمده فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمثلين أصلا وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتبين أنه الصبح الكاذب وإذا بقي قرب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر تلقي منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب وهو مبدا ظهور البياض وانتشاره قبل الساعة عرضه فمن وقت الشك ينبغي أن يترك الصائم السجود ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى تنتفي مدة الشك فإذا تحقق صلى ولو أراد مزيد أن يقدر على التحقيق وقاما معينا يشرب فيه مفسحرا ويقوم عليه ويصلي الصبح متصلا به لم يقدر على ذلك فليس معرفة ذلك في قوة البشر أصلا بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتقاد إلا على العيان ولا اعتقاد في العيان إلا على أن يصر الضوء منتشرا في الأرض حتى تبدو مبادئ الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت وبدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه بإسناده عن طلق بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع الصعد وكلوا واشربوا حتى يطرئ لكم الأحمر (٢) » وهذا صريح في رعاية الحمرة قال أبو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذرّة ومرة بن جندب وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب التريين أي مستظلا فإذا لا ينبغي أن يول إلا على ظهور الصفرة وكأنها منادى الحمرة وإنما يحتاج السافر إلى معرفة الأوقات لأنه قديما يدور بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه الزول أو قبل النوم حتى يسترع فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يقين فتنسج نفسه بفوات

(١) حديث ليس الصبح هكذا وجمع كفه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبائتي على الأخرى وفتحهما وأشار به إلى أنه معترض ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالسكف والسبائتين ولأحمد من حديث طلق بن علي : ليس الفجر المستظيل في الأفق لكنه يطرئ الأحمر وإسناده حسن (٢) حديث طلق بن علي كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع الصعد وكلوا واشربوا حتى يطرئ لكم الأحمر قال الصف رواء أبو عيسى الترمذي في جامعه وقال حسن غريب وهو كذا كر ورواه أبو داود أيضا .

لتحضر حرا ومن
تحضر حرا أفلت من
شرك الوجد فشرك
الوجد حساد البقايا
وجود البقايا لتخلف
شيء من المطايا . قال
الحصري رحمه الله
مأدود حال من يحتاج
إلى مزج يزعبه
قالو جدد الباع في حق
الحق كالوجد . بالباع
في حق البطل من حيث
النظر إلى انزعاجه
وآثاره الباطنة وظهور
آثاره على الظاهر وتغييره
للبدن من حال إلى
حال وإنما يختلف الحال
بين الحق والبطل أن
البطل يجد لوجود
هوى النفس والحق
يجد لوجود إرادة
القلب ولما قيل
الباع لا يحدث في
القلب شيئا وإنما
يحرك ما في القلب فمن
متعلق بباطنه بخير الله
يحركه الباع فيجد
بالهوى ومن متعلق
بباطنه بمحبة الله يجد
بالإرادة القلب

فضيلة أول الوقت ويتجسم كلفة النزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الأوقات فان الشكل أوائل الأوقات لا أوساطها .

(كتاب آداب السماع والوجد)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبته . واسترقى قلوبهم وأرواحهم بالشوق إلى لقائه ومشاهدته . ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته . حتى أصبحوا من نسيم روح الوصال سكرى . وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والله تعجربى . فلهروا في الكونين شيئا سواه . ولله كروا في الدارين إلا إياه . إن حننت لأبصارهم صورة عبرت إلى الصور بصائرهم . وإن قرعت أسمعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم . وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو حزن أو مبهج أو مشوق أو مبهيج لم يكن ارتعاجهم إلا إليه . ولا طربهم إلا به ولا قلقهم إلا عليه . ولا حزنهم إلا فيه ولا خوفهم إلا إلى ماله به . ولا انزعاجهم إلا له ولا تردد لهم إلا حوالبه . فنهضهم عن وإليه استأعهم . قد أقفل عن غيره أبصارهم وأسمعهم . أولئك الذين اصطفاهم الله لولائه . واستخلصهم من بين أصفياه وخاصته . والصلاة على محمد المبعوث برسالة وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته . وسلم كثيرا .

[أما بعد] فان القلوب والسرائر . خزائن الأسرار ومعادن الجواهر . وقد طويت فيها جواهرها كطورت النار في الحديد والحجر . وأخفيت كما خفي لئلا تحت التراب والدر . ولا سبيل إلى استنارة خباياها إلا بقواعد السماع . ولا منفذ إلى القلوب إلا من حليز الأسماع . فالتنمات للوزونة للثلاثة تخرج مافيا . وتظهر محاسنها أو مساوئها . فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه . كما لا يبرح الإناء إلا بما فيه . فالسماع للقلب حك صادق . ومياري ناطق . فلا يصل نفس السماع إليه . إلا وقد تحرك في ماساهو القالب عليه . وإذا كانت القلوب بالطباع مطبوعة للأسماع حتى أبدت بواردها مكانها . وكشفت بها عن مساوئها وأظهرت محاسنها . وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان مافيهما من الفوائد والآفات . وما يستحب فيهما من الآداب والمهيات . وما يتطرق إليهما من خلاف الملاء في أئهما من المخطورات أو الباحات . ونحن نوضح ذلك في بابين . الباب الأول : في إباحة السماع . الباب الثاني : في آداب السماع وأثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزرق وعزق الشباب .

(الباب الأول في ذكر اختلاف الملاء في إباحة السماع وكشف الحق فيه)

(بيان أقاويل الملاء والتصوفة في تحليله وعمره)

اعلم أن السماع هو أول الأمر ويشير السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويشير الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة يسمى الاضطراب وإما موزونة تسمى التصديق والرقص فلهذا يحكم السماع وهو الأول ونقل فيه الأقاويل العربية عن المذهب فيه ثم ذكر الدليل على إباحته ثم ردها بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه ، فأما هذا المذهب فقد حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من الملاء ألقاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله

(كتاب السماع والوجد)

(الباب الأول في ذكر اختلاف الملاء في إباحته)

فالمطلح محبوب

محباب النفس والمحب

محبوب محباب القلب

ومحباب النفس محبوب

أرضي ظماني ومحباب

القلب محبوب محامى

نوراني ومن لم يفقد

بدولم التحق بالشهود

ولا يشترأ ذبال الوجود

فلا يسع ولا يجد

ومن هذه الطائفة قال

بضمهم الوجد نادم

كلى لا يفقد في قول

ومرشد الدنيورى

رحمه الله يقوم فيهم

قوله فلا رآه

أسكروا قال أرجوا

إلى ما كنت فيه فوالله

لوجعت ملاهى الدنيا

في أدنى ما شغلنى ولا

شغى بعض ما بالوجد

صرائح الروح البتلى

بأنفس تارة في حق

البطل وبالقلب تارة

في حق الحق فتارة

الوجد الروح الروحانى

في حق الحق والمبطل

ويكون الوجد تارة

من فهم الماعى يظهر

وعارة من مجرد التغات

في كتاب آداب القضاء إن الفناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي أبو الطيب استأعنه من للرأى التي ليست بحرم له لا يجوز عند أصحاب النافى رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافى رضى الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكى عن الشافى أنه كان يكره القطعة بالقبض ويقول وضعت الزنادقة ليشتلوا به عن القرآن وقال الشافى رحمه الله ويكره من جهة الخبر الملب بالرد أكثر مما يكره الملب بغيره من اللامع ولا أحب الملب بالشرطين وأكره كل ما يلب به الناس لأن الملب ليس من صنعة أهل الدين ولا الروعة . وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الفناء وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة لإبراهيم ابن سعد وحده . وأما أبو حنيفة رضى الله عنه فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الفناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة : سفيان الثوري وحماد وإبراهيم والشعي وغيرهم . فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري وهل أبو طالب الكنى إباحة السماع عن جماعة فقال مع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي وإحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المددوات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا امرئ القاضى وله جوار يسمعون الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جارياتين بلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الحنيد وسرى السقطي وذو النون يستمعون قال وكيف أنكرك السماع وقد أجازوه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكرك اللهو واللب في السماع وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال قد نأى ثلاثة أشياء فسا تراها ولأراها تزداد إلا الله حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا حكما يبينه عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتضاونه وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يحب دعوة إلا أن يكون فيه سماع وحكى غيره واحد أنه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد فنظرهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع ما جدى أحمد ابن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الحارث قال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أريك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شيء تقول بأبأ بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فان أنشد وطوله وقصره الممدود ومد منه القصور أجمرم عليه قال أنا لم أقول ليطان واحد فكيف أقوى ليطانين قال وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع وصف فيه كتابا ورد فيه على منكره وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكره . وحكى عن «بعض الشيوخ» أنه قال رأيت أبا العباس الحضر عليه السلام قفلة ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصغو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء . وحكى عن حماد بن عيسى أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم قفلة ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فكيف الله ولكن قل لهم يستحقون قبله بالقرآن ويعتمدون بعده بالقرآن . وحكى عن طاهر بن بلال

والألحان فما كان من
قبيل الثماني تشارك
النفس الروح في السماع
في حق البطل ويشارك
القلب في حق الحق وما
كان من قبيل مجرد
النفات تجرد الروح
للسماع ولكن في حق
البطل تسترق النفس
السبع وفي حق الحق
يسترق القلب السبع
ووجه استقراء الروح
النفات أن العالم
الروحاني يجمع الحسن
والجمال ووجود
التناسب في الأكواف
مستحسن قولاً وفلاً
وجود التناسب في
الهياكل والصور
ميراث الروحانية فتي
مع الروح الضمت
الليذبة والألحان
التناسية تأثره لوجود
الجنسية ثم يتقيد ذلك
بالترع بمصالح عالم
الحكمه قور عايله الحدود
للعبيد عين الصلحة
عاجلاً وأجلاً . ووجه
آخر إنما يستلذ الروح
النفات لأن النفات بها

المعداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أوفى الحق من حق أنا أشك فيه وقال الجليلي نزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن قاعة وعند الذكر لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين وعند البيع لأنهم يسمعون بوجود ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان رخص في البيع قبل له أن يؤتى يوم القيامة في جملة خسانتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبهه بالقول وقال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - هذا ما قل من الأولين ومن طلب الحق في التقليد فهما استقمي تمارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متغيرا أو أمثالا إلى بعض الأقاويل بالنتهي وكل ذلك تصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الخطر والإباحة كالمسند ذكره.

(بيان الدليل على إباحة البيع)

اعلم أن قول القائل البيع حرام معناه أن الله تعالى عاقب عليه وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بالسمع ومعرفة الشريعات محصورة في النسخ أو القياس على النصوص وأعي بالنسخ ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أوفى له والقياس على المفهوم من ألفاظه وأفعاله فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كإثبات المباحات ولا يدل على تحريم البيع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم ومهماتهم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلما كافيا في إثبات هذا الغرض لكن لستفتح ويقول قد دل النص والقياس جميعا على إباحته. أما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معاني ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه مماع صوت طيب موزون مفهوم لثني محرك للقلب فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره والموزون ينقسم إلى القهوم كالأشعار وإلى غير القهوم كأصوات المجدات وسائر الحيوانات أما مماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى ثلاثة حاسة السمع بآدراك ماهو مخصوص به وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فذلك النظر في البصائر الجليلة كالخضرة واللباء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجليلة وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة ولشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأتبان المستكرهة وللذوق الطووم اللذيذة كالسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة السبئية وليس لذة العين والنومة واللاذعة وهي في مقابلة الخشونة والضراصة ولا يقل لذة العلم والبرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الأصوات للدركة بالسمع تنقسم إلى مسئلة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الخمر وغيرها فأظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها. وأما النص فيدل على إباحة مماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به إذ قال - يزيد في الخلق ما يشاء - فبيل هو الصوت الحسن وفي الحديث « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أذنا لرجل

نطق النفس مع الروح بالإيمان الحق إشارة ورمزا بين للتعاشقين وبين النفوس والأرواح تماثل أصلى بزع ذلك إلى أنوثة النفس وذكرورة الروح ولليل والتعاشق بين الذكر والأنثى بالطبيعة واقع قال الله تعالى - وجعل منها زوجها ليكنس إليها - وفي قوله سبحانه منها إشعار بتلازم وتلاصق موجب للاتلاف والتعاشق ويستلذها الروح لأنها مناعة بين للتعاشقين وكما أن في عالم الحكمة كونت حواء من آدم في عالم القدرة كونت النفس من الروح الروحاني فلهذا التألف من هذا الأسئل وذلك أن النفس روح حيواني تخشع بالقرب من الروح الروحاني وتجنسها بأن امتازت من أرواح جنس الحيوان جبرف

(١) حديث ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت الترمذي في الشرائع عن قتادة وزاد قوله وكان نبيا

الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لفينته ^(١) « وفي الحديث في معرض اللوح لداود عليه السلام » أنه كان حسن الصوت في النباح على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الناس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يعمل في مجلسه أربعاً عشرة جنازة وما يقرب منها في الأوقات ^(٢) « وقال الله صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري » لقد أعطى زمماراً من مزامير آل داود ^(٣) « وقوله الله تعالى - إن أنكر الأصوات لصوت الحجر - يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولوجاز أن يقال إنما أبيض ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزعم أن يحرم سماع صوت التندليب لأنه ليس من القرآن وإذا جاز سماع صوت غفل لأمضى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والعاني الصحيحة وإن من الشعر لحكمة فهذا نظراً في الصوت من حيث إنه طيب حسن : الفرجة الثانية النظر في الصوت الطيب للوزن فاق الوزن وراء الحسن فكمن صوت حسن خارج عن الوزن وكمن صوت موزون غير مستطاب والأصوات للوزنة باعتبار مخارجها ثلاثة فإما أن تخرج من حنجرة حيوان وذلك كصوت الزمير والأوتار وضرب القضيب والطنبل وغيره وإما أن تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت النادل والقاري وذات السبع من الطيور فهم مع بعضها موزونة متناسبة للطالع والقاطع فذلك يستدل به سماعها والأصل في الأصوات لخناجر الحيوانات وإما وضعت الزمير على أصوات الخناجر وهو تشبيه للصنعة بالحلقة وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الحلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها فنه تعلم الصناعات وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك بطول فباعت هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذهاب إلى تحريم صوت التندليب وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جاد وحيوان فينبغي أن يقاس على صوت التندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطنبل والدف وغيره ولا يستثنى من هذه إلا للاله والأوتار والزمير التي ورد الشرع بالتحريم منها ^(٤) لا لأنها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلزم به الإنسان ولكن حرمت المحور وانقضت ضراوة الناس بها بالبالغة في القطام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان حرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والزمير فقط وكان تحريمها من

حسن الوجه حسن الصوت ورويناه متصلاً في التيلانيات من رواية قتادة عن أنس والصواب الأول قاله الدارقطني ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطريقه كلها ضعيفة (١) حديثه أشد أذى للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته تقدم في كتاب تلاوة القرآن (٢) حديث كان داود حسن الصوت في النباح على نفسه وفي تلاوة الزبور الحديث لم أجده أصلاً (٣) حديث لقد أوتي زمماراً من مزامير آل داود قاله في مدح أبي موسى تقسم في تلاوة القرآن (٤) حديث للنع من اللاهي والأوتار والزمير البخاري من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ليسكون في أمي أقوام يستعملون الحز والحرير والمغازب صورته عند البخاري صورة التمليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والاسماعيلي . والمغازب اللاهي قاله الجوهري ولأحمد من حديث أبي أمامة إن الله أمرني أن أحقق للزمير والكباريات يعني البرابط والمغازب وله من حديث قيس بن سعد بن عباد إن ربي حرم على الحجر والكسوة والقفن وله في حديث لأبي أمامة باستعمالهم المحور وضربهم بالدفوف وكلها ضعيفة ولأبي الشيخ من حديث مكحول مرسل الاستماع إلى اللاهي معصية الحديث ولأبي داود من حديث ابن عمر مع زمماراً فوضع أصبعه على أذنيه قال أبو داود وهو منكبر .

القرب من الروح
الروحاني فصار تها
فأذا تكوّن النفس من
الروح الروحاني في عالم
الصدره كنسكون
حواه من آدم في عالم
الحكمة فهذا التألف
والتماثل ونسبة
الأنونة والذكورة من
ههنا ظهر وبهذا
الطريق استطاعت
الروح النفاث لأنها
مراسلات بين
للتماثلين ومكاملة
بينهما وقد قال القائل :
تكم لنا في الوجود
عيوننا
فنحن سكوت والمهوى
يشكم
فذا استلقت الروح النعمة
وجدت النفس الملوقة
بالمهوى وتحركت بما
فيها لحديث العارض
ووجد القلب للقول
بالإرادة وتحرك بما فيه
لوجود العارض في
الروح :
شربنا وأهرقنا على
الأرض جرة
وللأرض من كأس
الكرام نصيب

قبل الاتباع كاحرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع وحرّم النظر إلى المتخذ لاتصاله بالسواطين وحرّم قليل الحجر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر وامن حرام إلا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حرمي للحرام ووقاية له وحظا ما نفا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لكل ملك حرمي وإن حرمي الله محارمه ^(١) » فهي محرمة تبعا لتحريم الحجر ثلاث علل : إحداهما أنها تدعو إلى شرب الحجر فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالحجر ولثل هذه العلة حرم قليل الحجر . الثانية أنها في حق قريب العهد بشرب الحجر تذكر مجالس الأنس بالشرب فهي سبب الذكر والله كرم سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام وهذه العلة « نهى عن الابتذال في الزفت والختم والتغير ^(٢) » وهي الأواني التي كانت مخصصة بها فمضى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة في الفكر إذ لا لذة في رؤية التينة وأواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فإن كان السباع يذكر الشرب تذكرها يشوق إلى الحجر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السباع لحصول هذه العلة فيه . الثالثة الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل القسق فيمنع من التشبه بهم لأن من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة يقول بترك السنة مهما صارت شامرا لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المختئين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحبيج والغزو وبهذه العلة يقول لواجتمع جماعة وزينوا وجلسوا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكجيين وضربوا ساقيها يدور عليهم ويستقيم فيأخذون من الساق ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم للثناء بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان للشرب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا نهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر طي الرأس قزعا في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك قبا وراء التبر لاعتقاد أهل الصلاح ذلك فهم فبهذه العلة حرم الزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحبيج وشاهين الطباخين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يتعده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالحجر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها بقي على أصل الاباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها بل أقول صماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستطاب حرام أيضا وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطبية بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعارض آخر كما سيأتي في العوارض المحرمة . الدرجة الثالثة : الوزون والقهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج إلا من حجرة الإنسان فيقطع يباحة ذلك لأنه مازاد إلا لكونه مفهوما والسلام اللهم غير حرام والصوت الطيب للوزون غير حرام فإذا لم يحرم الأحاد فمن أين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فإن كان فيه أمر محظور حرم شره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بألحان أو لم يكن والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله إذ قال الشعر كلام لحسنه حسن وتبيحه قبيح ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز إنشاده مع الألحان فإن أفراد اللباحات إذا احتدمت كان ذلك المجموع مباحا

ففسد للبطل أرض لساء قلبه وقلب الحق أرض لساء روحه فالبالغ مبلغ الرجال والتجوهر للتجرد من أعراض الأحوال خلغ نعلن النفس والقلب بالوادي القدس وفي مقعد صدق عند ملك مقتدر استقر وعرس وأحرق بنور العيان أجرام الألحان ولم تصغ روحه إلى منافاة عاشقه لشغفه بطلانة آثار محبوه فالهائم المشتاق لا يسمعه كشف ظلامه المشتاق ومن هذا حاله لا يهركه السباع رأسا وإذا كانت الألحان لا تلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها وخفي لطف مناجاتها كيف يباحه السباع بطريق مهم للعاني وهو أكف ومن يصف عن حمل لطيف الاشارات كيف يتحد قلل أعباء البارات وأقرب من هذا عبارة تقرب إلى

(١) حديث إن لكل ملك حرمي وإن حرمي الله محارمه تقدم في كتاب الحلال والحرام .

(٢) حديث الترمذي عن الابتذال في الختم والنفير متفق عليه من حديث ابن عباس .

ومهما انضم مبلغ لم يحرم إلا إذا تضمن المبدوع محظورا لا تضمنه الآحاد ولا محظور ههنا وكيف
يشكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال عليه السلام « إن
من الشعر لحكمة » (٢) وأنشدت عائشة رضي الله عنها :

ذهب الدين يماشى في أكافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

وروى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما وكان بها وباء قتل يا أبت كيف تجدك وببال كيف
تجدك ؟ فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله واللوت أدنى من شرك نله

وكان بلال إذا أقلت عنه الحمى يرفع فقيره ويقول :

ألا ليت شعري هل آتين ليلة بواد وحول إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم جيب إلينا
المدينة كجبانمة أو أنشد » (٣) وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد
وهو يقول : هذا الحمال لاحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر
وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لا هم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة (٤)

(١) حديث إنشاد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة
أن عمر بن الخطاب وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك
الحديث ، وسلم من حديث عائشة إنشاد حسان :

هجوت عمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء القصيدة

وإنشاد حسان أيضا :

وإن سنام المجد من آل هاتم بنو بنت عزموم ووالدك العبد

وللبخاري إنشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يسلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع الأبيات

(٢) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب وتقدم في العلم

(٣) حديث عائشة في الصحيحين لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال

الحديث وفيه إنشاد أبي بكر :

كل امرئ مصبح في أهله واللوت أدنى من شرك نله

وإنشاد بلال : ألا ليت شعري هل آتين ليلة بواد وحول إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قلت : هو في الصحيحين كاذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخاري فقط ليس عند

مسلم (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول :

هذا الحمال لاحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

الأفهام : الوجد ولورد

يرد من الحق سبحانه

وتعالى ومن يريد الله

لا يتقنع بما عند الله

ومن صار في محل القرب

متحققا به لا يلجيه ولا

يحركه ما ورد من عند

الله فالوارد من عند

الله مشعر يمد

والقريب واجد فنا

يصنع بالوارد والوجد

نار والقلب للواجد

ربه نور والنور أطف

من النار والكيف

غير مسيطر على

اللطيف فأدام الرجل

البالغ مستمرا على

جادة استقامته غير

منحرف عن وجه

معهوده بنوازع

وجوده لا يدركه الوجد

بالسباع فإن دخل عليه

فتور أوعاقه قصور

بدحول الابتلاء عليه

من إلى الحسن يتألف

الحسن من تنازق صور

الابتلاء أي يدخل

عليه وجود يدركه

الواجد لعود العبد

عند الابتلاء إلى حجاب

وهذه في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم « يضع لسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافع أو فاجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) ولما أنشده النابتة شعره قاله صلى الله عليه وسلم « لا يفضن الله فاك » (٢) وقالت عائشة رضي الله عنها « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الأشعار وهو يتسمم » (٣) وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال « أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال إن كاد في شعره ليسلم » (٤) وعن أنس رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدي له في السفر وإن أنجشة كان يحجو بالنساء والبراء بن مالك كان يحجو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير » (٥) ولم يزل الحداة وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يلتسمون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يجرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ ومؤدى قال الصنف والبيتان في الصحيحين . قلت البيت الأول انفرد به البخاري في قصة الهجرة من رواية عروة مرسلاً وفي البيت الثاني أيضاً إلا أنه قال الأجر بدل العيش تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم له قال ابن شهاب ولم يلقنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت والبيت الثاني في الصحيحين من حديث أنس يرمزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون :

الهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار وللهاجرة

وليس البيت الثاني موزوناً وفي الصحيحين أيضاً أنه قال في حفر الخندق بلفظ : فبارك في الأنصار والهاجرة . وفي رواية فاغفر وفي رواية لمسلم فأكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للهاجرين والأنصار (١) حديث كان يضع لسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح الحديث البخاري تعليقاً وأبو داود والترمذي والحاكم متصلان من حديث عائشة قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد وفي الصحيحين أنها قالت إنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أنه قال للنابتة لما أنشده شعراً لا يفضن الله فاك الغوى في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب بإسناد ضعيف من حديث النابتة واسمها قيس بن عبد الله قال أنشدت النبي ﷺ : بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإننا لرجو فوق ذلك مظفراً الأبيات ورواه الزبارة بلفظ : علونا العباد عفة وتكرماً . الأبيات وفيه فقال أحسنت يا أبا ليلى لا يفضن الله فاك وللحاكم من حديث خزيم بن أوس سمعت العباس يقول يا رسول الله إنني أريد أن أمتدحك فقال قل لا يفضن الله فاك فقال العباس :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخضف الورق الأبيات

(٣) حديث عائشة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتسمم الترمذي من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة (٤) حديث الشريد أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه الحديث رواه مسلم (٥) حديث أنس كان يحدي له في السفر وإن أنجشة كان يحجو بالنساء وكان البراء بن مالك يحجو بالرجال الحديث أبو داود الطيالسي وأتفق الشيخان منه في قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك

القلب فمن هوم الحق إذا زل وقع على القلب ومن هوم القلب إذا زل وقع على النفس سمعت بعض مشايخنا يحكي عن بعضهم أنه وجد من البيع قليل له ابن حالك من هذا فقال دخل على داخل أوردني هذا للورد .

قال بعض أصحاب سهل صعبت سهلاً سنين ما رأيت تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلا

كان في آخر عمره قريحاً عنده فاليوم لا يؤخذ منك فدية - فارتعد وكاد يسقط فنتأله عن ذلك قال نعم لحقني ضعف وسمع مرتل ذلك

يومئذ الحق للرحمن - فاضطرب فسأله ابن سالم

وكان صاحبه قال قد

ضفت قبيل له إن

كان هذا من الضعف

في القوة قال القوة

أن الكامل لا يرد

عليه وارد إلا

أصوات طيبة وألحان موزونة . الدرجة الرابعة : النظر فيه من حيث إنه يحرك القلب ويهيج لما هو الغالب عليه فأقول قد تعالى سر في مناسبة اللغات للوزونة للأرواح حتى إنها تؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما يهين ومنها ما يضحك ويغرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لهم معاني التشريع لهذا جار في الأوتار حتى قيل من لم يحركه الريح وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد الزواج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لهم للمنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهبه فانه يسكنه الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يكره إلى الأصناف إليه والجل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستتصر قوه نشاطه في جماعه للسافات الطويلة وينبت فيه من النشاط ما يسكره ويولمه قراها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت الحامل والأحمال إذا سمعت منادى الحداء تمد أعناقها وتضئ إلى الحادئ ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحملها وربما تلفت نفسها من شدة السير وتقل الجمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقى رضى الله عنه قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضاني رجل منهم وأدخلني خبائه فرأيت في الحباء عبدا أسود مقيدا ببيد ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو نازل ذابل كأنه يزعزع روحه فقال لي اللام أنت ضيف ولك حق فتشفع في إلى مولاي فانه بكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر فساء محل القيد عنى قال فلما أحسروا الطعام امتنت وقلت لا أكل ما لم أشفع في هذا العبد قال إن هذا العبد قد أقرض وأهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال إن له سوتا طيا وإنى كنت أبيع من ظهور هذه الجبال غنمها أحمالا تنالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نعمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد . ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فأجبت أن أسمع صوته فلما أسمعنا أمره أن يحدو على جبل يستقي الماء من بئر هناك فصار من صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقف أنا على وجهي لما أظن أني سمعت قط سوتا أطيبت منه فاذن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجبال والطيور بل على جميع البهائم فان جميعها تتأثر باللغات للوزونة ولذلك كانت الطيور تغف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق اللغات فحكمه ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات للسجدة للوزونة متناقض مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع . الأول : غناء الحبيب فانهم أولا يدورون في البلاد بالطلل والشاهين والقضاء وذلك مباح لأنها أشعار نظمتم في وصف السكينة والقيام والحطيم وزمزم وسائر للشاعر ووصف البادية وغيرها وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتغال بزائره إن كان ثم شوق حاصل أو استتارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلًا وإذا كان الحسج قربة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع وبشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب فاذا أضيف إليه صوت طيب وتقامت موزونة زاد وقته فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز ما لم

يبتلع بقوة حاله فلا يفسده الوارد . ومن هذا القبيل قول أبي بكر رضى الله عنه هكذا كما حتى قست القلوب لما رأى الباكي يسكى عند قراءة القرآن وقوله قست أي تصلبت وأدمنت صماع القرآن وألفت أنواره فلما استترته حتى تفسر والواجد كالمتغرب ولهذا قال بعضهم حالي قبل الصلاة كحالي في الصلاة إشارة منه إلى استمرار حال الشهود فكذا في السماع كقبيل السماع . وقد قال الجنيذ لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أهم من فضل الوجد . ولما نزلنا عن الشيخ حماد رحمه الله أنه كان يقول البكاء من بقية الوجود وكل هذا يقرب البعض من البعض في اللحن لمن عرف الإشارة فيه وفهم وهو عزيز القهم عزيز الوجود . واعلم أن

يدخل فيه الزامير والأوتار التي هي من شمار الأشرار ، نعم إن قصده تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أمة الغرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فحرم تشويقه إلى الحج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فان التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالباً لم يجز تحريك القلوب ومما جلبنا بالتشويق . الثاني : ما يتبادر الفزاة لتحريض الناس على الفزو وذلك أيضاً مباح كما للحاج ولكن ينبغي أن تخالف أعمارهم وطرق الحائهم أعمار الحاج وطرق الحائهم لأن استثارة داعية الفزو بالتشجيع وتحريك النطق والغضب فيه على السكفار ومحيين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالاضافة إلى بالأشعار للشجعة مثل قول للتنبئ :

فان لا تحت تحت السيوف مكرما
تحت وغاس القل غير مكرم

وقوله أيضاً :

يرى الجبناء أن الجبين حزم وتلك خديعة الطبع اللثيم

وأمثال ذلك وطرق الأوزان للشجعة تخالف الطرق الشوق وهذا أيضاً مباح في وقت يباح فيه الفزو ومنذوب إليه في وقت يستحب فيه الفزو ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى الفزو . الثالث : الجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والغرض منها التشجيع للنفس وللانصار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والجددة وذلك إذا كان بلفظ زيشيق وصوت طيب كان أو تمع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومنذوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين وأهل الألفة وكل قتال محظور لأن تحريك الدواعي إلى المحظور محظور وذلك منقول عن شجاعة الصحابة رضي الله عنهم كملى وخالد رضي الله عنهما وغيرها ولذلك قول ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهدين في معسكر الفزاة فان صوته مرقق يحزن محل عقد الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الأصوات والألحان للرقعة القلب فالألحان للرقعة الحزينة تبين الألحان الحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتغيير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو ذلك مطيع . الرابع : أصوات النياحة وتقلباتها وتأثيرها في تهيج الحزن والبكاء وملازمة الكابة والحزن قسبان : محمود ومنموم فأما للمنموم فكالحزن على ما فاتت قال الله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم - والحزن على الأموات من هذا القبيل فانه تسخط قضاء الله تعالى وتأسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان منموماً تحريكه بالنياحة مذموماً فلذلك ورد النهي الصريح عن النياحة (١) وأما الحزن المممود فهو حزن الإنسان على قصيره في أمر دينه ، وبكاؤه على خطايا والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وقوته محمود لأنه يثبت على التتمير للنداركة ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محموداً إذ كان ذلك مع فؤام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي ويحزن حتى كانت الجنائر ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه وألحانه وذلك محمود لأن للنفس إلى المممود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على النثر بألحانه الأشعار الحزينة للرقعة القلب ولا أن يبكي ويبكي ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه . الخامس : السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتهيجاً له وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحاً كالغناء في أيام العيد

ليباكين عند السماع
مواجيد مختلفة فمنهم
من يبكي خوفاً ومنهم
من يبكي شوقاً ومنهم
من يبكي فرحاً كما قال
القائل :

طمع السرور على حق إنني
من عظيم ما قد سرني أبكائي
قال الشيخ أبو بكر
الكنائي رحمه الله
سماع العوام على
متابعة الطمع وسماع
الريدين رغبة وروية
وسماع الأولياء رؤية
الآلاء والنعما وسماع
العارفين على المشاهدة
وسماع أهل الحقيقة على
العكس . والبيان
ولكل واحد من
هؤلاء مصدر ومقام .
وقال أيضاً للوارد ترد
قصادف شكلاً أو
مواقفاً يوارد صاف
شكلاً مازجه ونأي
وارد صاف موقفاً
ساكنه وهذه كلها
مواجيد أهل السماع
وما ذكرناه حال من

(١) حديث النبي عن النياحة متفق عليه من حديث أم عطية أخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة أن لا تنوح .

وفي العرس وفي وقت قدوم القاتب وفي وقت الويلمة والعتيقة وعند ولادة الولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزى وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فنكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فهذا إظهار السرور قدومه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود فإظهاره بالشعر والتهنات والرقص والحركات أيضا محمود فقد قل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا في سرور أصابهم (٢) كما سيأتى في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من أسباب السرور ويدل على هذه ما روى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن برداه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد حتى أكون أنا الذي أسأله (٣) » فأدروا هذه الجارية الحديثة السن الحريصة على الإبهو إشارة إلى طول مدة وقوفها. وروى البخاري ومسلم أيضا في صحيحهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها « أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جارتان في أيام من تدفان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متنفي ثوبه فاتهما أبو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فاتها أيام عيد » وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن برداه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في السجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسأله يا بني أن أرفده (٤) » يعني من الأمن ومن حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه تقيان وتضربان (٥) وفي حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرى والحبشة يلعبون بجراهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترن ثوبه أو برداه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجل حقاً . كونه أنا الذي أنصرف (٦) »

(١) حديث إنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

البقي في دلائل النبوة من حديث عائشة معضلاً وليس فيه ذكر للدف والألحان (٢) حديث جيل جماعة من الصحابة في سرور أصابهم أبو داود من حديث علي وسيأتي في الباب الثاني (٣) حديث عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترن برداه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد الحديث هو كما ذكره للصف أيضا في الصحيحين لكن قوله إنه فيما من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكريل هو عند البخاري كما ذكر وعنده مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه (٤) حديث عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن ثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في السجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسأله يا بني أن أرفده تقدم قبله حديث دون زجر عمر لم إلى آخره فرواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أسأله يا بني أن أرفده بل قال دعهم زاد النسائي فأما م بنو أرفدة ولما من حديث عائشة دونكم يا بني أرفدة وقد ذكره للصف بعد هذا (٥) حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه بفتيان ويضربان فرواه مسلم وهو عند البخاري من رواية الأوزاعي عن ابن شهاب (٦) حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرى والحبشة يلعبون بجراهم الحديث رواه مسلم أيضا .

ارتفع عن السباع وهذا

الاختلاف منزل على

اختلاف أقسام البكاء

التي ذكرناها من

الحوف والشوق

والفرح وأعلاها

بكاء الفرح بمثابة

قادم يقدم على أهله

بعد طول غيبته

ففسد رؤية الأهل

يكن من قوة الفرح

وكثرته وفي البكاء

رتبة أخرى أعز من

هذه يمز ذكرها

ويكثر شرها لقصور

الافهام عن إدراكها

فربما يقابل ذكرها

بالاستكثار وغنى

بالاستكبار ولكن

يرفها من وجدها

قدما ووصولا أو فهمها

نظرا كثيرا ومثولا

وهو بكاء الوجدان

غير بكاء الفرح

وحدوث ذلك في

بعض مواطن حق

اليقين ومن حق

اليقين في الدنيا إلامات

سيرة فيوجد البكاء

في بعض مواطنه

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان يأتيني صواحب لي فكنن يتقمن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر للجيشين إلى قلمين معي (١) وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما هذا الذي أتى قال فما هذا الذي أرى في وسطهم قالت فرس قال ما هذا الذي أعليه قالت جناح قال فرس له جناح قالت أوما سمعت أنه كان لسلطان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصور من الحزف والرقاع من غير تشكيل صورته بدليل ما روى في بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رفاع وقالت عائشة رضي الله عنها « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بضياء بيات فاضطجع على الفراش وخول وجهه فدخل أبو بكر رضي الله عنه فأتته فالتفتي وقال مزار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : دهما فلما غفل غزتهما فغرتا » وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال تشبهين تنظرين قلت نعم فأقاني وراءه وخذني على خدته ويقول دونكم يا بني أرفقة حتى إذا مللت قال حبسك قلت نعم قال فاذهي . وفي صحيح مسلم فوضت رأسي على منكبيه فجعلت أنظر إلى لحيه حتى كنت أنا التي أنصرفت فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في أن النساء واللعب ليس حرام وفيها دلالة على أنواع الرخص . الأول : اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب . والثاني فعل ذلك في المسجد . والثالث قوله صلى الله عليه وسلم « دونكم يا بني أرفقة » وهذا أمر باللعب والتمسك به فكيف يقدر كونه حراما . والرابع منه أني بكره وعمر رضي الله عنهما عن الانكار والتخير وتعليقه بأنه يوم عداى هو وقت سرور وهذا من أسباب السرور . والخامس : وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لمواقعة عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطيب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتشغف بالامتناع والتعصم . والسادس : قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لمائدة « أنتم تظن أن تنظري » ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة فإن الالتصاف إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه . والسابع : الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه يهتف بهن بزمارة الشيطان وفيه بيان أن الزمار الحرام غير ذلك . والثامن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع صوته الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالأوتار في موضع ما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الأوتار صوته فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت للزمار بل إنما يحرم عند خوف الفتنة فهذه القاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزوج في أوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والمقبة والختان ويوم القدوم من السفر

(١) حديث عائشة كنت ألب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وهو في الصحيحين كما ذكره للصف لكن مختصرا إلى قولها قلمين معي . وأما الرواية الطويلة التي ذكرها الصف بقوله وفي رواية فليست من الصحيحين إنما رواها أبو داود بإسناد صحيح (٢) حديث عائشة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بضياء بيات الحديث هو في الصحيحين كما ذكره الصف والرواية التي عزاها لمسلم انفراد بها مسلم كما ذكر .

لوجود تقاير وتباين بين المحدث والقديم فيكون البكاء رجحا هو من وصف الجذنان لو هج خطوة عظمة الرحمن ويقرب من ذلك مثلا في الشاهد قطر التمام يتلاقى تحتل الأجرام وهذا وإن عز شعر يتيقة تفرح في صرف الغناء ، ثم قد يتحقق البعد في الغناء متجردا عن الآثار متغصا في الأنوار ثم يرتقي منه إلى مقام البكاء ويرد إليه الوجود مطهرا تعود إليه أقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا ووجدانا بمشكلة صورها ومباينة صفاتها بفرق لطيف يدركه أربابه وعند ذلك يعود عليه من البكاح أيضا قسم وذلك القسم مقدوره مقهور معه يأخذه إذا أراد ورده إذا أراد ويصكون هذا البكاح من

وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضا مظنة السماع . السادس : سماع المشاق تحريكاً للشوق وتيسيراً للشوق وتسلية للنفس فإن كان في مشاهدة المشوق فالعرض تأ كيد اللذة وإن كان مع الفارقة فالعرض تيسير الشوق والشوق وإن كان أما فيه نوع لذة إذا اضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحلب للنفس للرجو ففي هذا السماع تيسير المشوق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء القدر في الوصال مع الاطباب في وصف حسن الميوس وهذا حلل إن كان للشائق إليه من يباح وصالة كمن يشقى زوجته أو سيرته فيصن إلى غنايتها لتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسمع بالأذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فترادف أسباب اللذة فهذه أنواع تمنع من جملتها حبات الدنيا وما معها وما الحياة إلا للهو ولعب وهذا ممنوع كذلك إن غضبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع شوقه وأن يستريح به لذة رجاء الوصال فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء وأما من يشتمل في نفسه مورد صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما يتأمل في نفسه فهذا حرام لأنه يحرك الفكر في الأمثال المخطورة ومهيئ للذات إلى ما لا يباح الوصول إليه وأكثر المشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شيء من ذلك وذلك بمنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين للأمر يرجع إلى نفس السماع ولذلك مثل حكيم عن المشوق فقال دخان يصد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيج السماع . السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا لآرام فيه سبحانه ولا يفرغ صمعه قارع إلا لسمعه منه أوفيه فالسماع في حقه يسير لشوقه ومؤكده لشوقه وجه ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالاً من الكشافات واللاطفات لا يحيط الوصف بها يرقها من ذاتها وينكرها من كل حصة من ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداً ما أخذ من الوجود والصادقة أي صادف من نفسه أحوالاً يمكن صادفها قبل السماع ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتوابع لها تحرق القلب بغير أنها وتقيم من الكدورات كاتني النار الجواهر المروضة عليها من الحب ثم يتبع الصفاء والحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية بمطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفصلي إليها من جملة الكربات لا من جملة المعامى واللباحات وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النعمات للوزنة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثيرها بها شوقاً وفرحاً وحزناً وانبطاطاً وإقباضاً ومعرفة السبب في تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم الكشافات والبلد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يستجيب من التذاذب الستمع ووجده واضطراب حاله وتغيرونه تعجب البهيمة من لذة اللوزنج وتعجب الخيل من لذة الباشرة وتعجب الصي من لذة الرابسة واتساع أسباب الجلاء وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صمعه ولسكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والادراك يستدعي مدركاً ويستدعي قوة مدركه فمن لم تنكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعم من قد الدوق وكيف يدرك لذة الألمان من قد السمع ولذة العقولات من قد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فمن قددها عدم لعمالة لذته ولملك يقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محرراً له . فاعلم أن من عرف الله أحب لأعماله ومن تأكد معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته والمجبة إذا تأكدت سميت عشقاً فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب إن محمداً قد عشق ربه لما راوه يتخلى

لتمكن بنفس الطمأنات واستارت وبانت طينتها واستكسبت طمأنينتها وأكبتها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تمنع للنفس كتمتها بمباحات اللذات والشهوات لأن يأخذ السماع منه أو يزيد به أو يظهر عليه منه أثر فتكون النفس في ذلك بمثابة الطفل في حجر الوالد يفرحه في بعض الأوقات ببعض مأربه ومن هذا القليل ما قل أن أبا محمد الرازي كان يشغل أصحابه بالسماع وينزل عنهم ناحية صلى قد تطرق هذه التفصت مثل هذا المصلى قتلى إليها النفس متمتعة بذلك فتراد مورد الروح من الأنس صفاء عند ذلك لبعث النفس عن الروح في تمتعها قاتها مع طمأنينتها بومف من الأجنبية بومفها وجلبتها وقبدها نوفر

للإبادة في جبل حراء . واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال إن كان يتناسب الحلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر وإن كان الجمال بالجلال والعلية وعلا رتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ولغظ الجمال قد يستأثر بأضالها فيقال إن فلانا حسن وجميل ولا تراد صورته وإنما يسميه أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل هذه الصفات الباطنة استحسانا لها كاتعب الصورة الظاهرة وقد تأتت كد هذه المحبة قد تسمى عشقا وكم من الغلاة في حب أرباب المذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم حتى يذلوا أموالهم وأرواحهم في نصرتهم ومواليتهم ويريدوا على كل عاشق في القلوب والبالغة ومن المعبود أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته للرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الحاصل ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه بل على التحقيق من لاخير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسنه وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالقول والأبصار والأصماغ وسائر الحواس من مبتدأ العالم إلى منقرضه ومن ذروة التراب إلى منتهى الترى فهو ذرة من خزان قدرته ولحمة من أنوار حضرة فليت شمرى كيف لا يحل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأ كد عند العارفين بأوصافه حب حتى يجاوز حدا يكون إطلاق اسم الشق عليه ظلما في حقه قصوره عن الأنباء عن فرط محبة فبجان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بأشراق نوره ولولا احتجابه بسمين حجابا من نوره لأحرقت سباح وجهه بأبصار اللاحظين لجمال حضرة ولولا أن ظهوره سبب خفائه لتهت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتافرت الأعضاء ولوركت القلوب من المجاورة والحديد لأصبحت تحت مبادئ أنوار تجليه دكا دكا فأتى تطبيق كنه نور الشمس بأبصار الحائشين وسيأتى تحقيق هذه الإشارة في كتاب المحبة ويتضح أن محبة غير الله تعالى تصور وجهه بل للتحقق بالبرقة لا بحرف غير الله تعالى إذ ليس في الوجود تحقيقا إلا الله وأفعاله ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره فمن عرف الشافعي مثلاً رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه لامن حيث إنه يابض وجلد وجبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره ولا جاوزت محبة إلى غيره فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وقوله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كبرى من حسن التصنيف فضل الصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبة مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواه ومن حد هذا العشق أنه لا يقبل الشرك وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة إذ كل محبوب سواء بتصوره لتظير إمامي الوجود أو بما في الامكان فأما هذا الجمال فلا يتصور لثان لافي الامكان ولا في الوجود فكان اسم العشق على حب غيره مجازا محضا لاحقيقة ، نعم الناقص القريب في نقصانه من البهية قد لا يدرك من لحظة العشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الواقع فثل هذا الحمار يبنى أن لا يستعمل معه لحظة العشق والشوق والوصال والأنس بل يحب هذه الألفاظ والماني كاتعب البهية الرجس والريحان وتخصص بالقت والحشيش وأوراق القضاة فان الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقدس الله تعالى عنه والأوهام تختلف باختلاف الأنفهام فليتب لهذه الدقيقة في أمثال هذه الألفاظ بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد البيع لصفات الله تعالى وجد غالب يتقطع بسببه نياط القلب قد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أقسام الروح من الفئوح ويكون طروق الألفان صمه في الصلاة غير محيل بينه وبين حقيقة النجاة وفيهم تنزيل السمكات وتصل الأقسام إلى محالها غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسمه شرح الصدر بالإيمان والله الحسن الثان ولهذا قبل البيع قوم كالذواء ولقوم كالذفاء ولقوم كالزورقة ومن عود أقسام البكاء مروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي « اقرأ قال أقرأ عليك وعليك أنزل فقال أحب أن أسمعه من غيري فافتتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى - فكيف إذا جثا من كل أمة يجيد وجثا بك على هؤلاء شيئا - فاذا عيناه تهللن » . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الجعبر واستلمه ثم وضع

« أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله عز وجل قال من خلق الأرض قالت الله عز وجل قال من خلق الجبال قالت الله عز وجل قال من خلق النعم قالت الله عز وجل قال من لا سمع قد شأنا ثم رعى نفسه من الجبل فتقطع » وهكذا كأنه سمع مادله على جلال الله تعالى وتعالى قدرته فطرب لذلك ووجد فرعى نفسه من الوجد وما أزلت الكتب إلا ليظهر بها ذكر الله تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا في الإنجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمنا لكم فلم ترقصوا أي شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاتوا فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام الباع وبواطن ومقتضياته وقد ظهر على القطع إباحته في بعض الواضع والتدب إليه في بعض الواضع . فان قلت فهل له حالة يحرّم فيها . فأقول إنه يحرّم بخمسة عوارض عارض في السمع وعارض في آلة الإسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس السمع أو في مواظبته وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان الباع هي السمع والسمع والسمع وآلة الإسماع العارض الأول أن يكون السمع أصرا لا يحل النظر إليها وتخفى الفتنة من سماعها وفي معناها الصبي الأمرد الذي تخفى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الفناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتها في المحاور من غير الحان فلا يجوز محاورتها ومحادتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته . فان قلت فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسا للباب أو لا يحرّم إلى حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة . فأقول هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلا أحدها أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة قضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور . والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الجسم بل يتبع فيه الحال ووصوت المرأة دأرا بين هذين الأصلين فان فساه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيئتها ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة إلى الماسة كتحرّك الباع بل هو أشد وصوت المرأة في غير الفناء ليس بمورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضى الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والشاورة وغير ذلك ولكن لفناء مزيد أثر في تحريك الشهوة قياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات فينبغي أن يتبع مثار الفتنة ويقصر التحريم عليه هذا هو الأقيس عندى ويأيد بحديث الجاريتين اللتين في بيت عائشة رضى الله عنها إذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحترق منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترق فاذن يخلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال فانا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك لأن القبله تدعو إلى الوقاع في الصوم وهو محظور والباع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص . العارض الثاني في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرب أو الخبثين وهي الزامير والأوتار وطبل السكوبة فهذه ثلاثة أنواع متنوعة وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف وإن كان فيه الجلال والكالطبل والشاهين والضرب بالفضيب وسائر الآلات . العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه غش من الحنا والتحنن والمجوى أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أو على الصحابة رضى الله عنهم كما ربه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسباع ذلك حرام بألحان

(١) حديث أنى هريرة إن غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله الحديث وفيه ثم رعى نفسه من الجبل فتقطع رواه ابن حبان .

شفتيه عليه طويلا
يكن وقال يا عمرها
تصكب العبرات
وللتكنن تمود إليه
أقسام البكاء وفي ذلك
فضيلة سألها النبي صلى
الله عليه وسلم فقال
« اللهم ارزقني عيني
هطائين » ويكون
البكاء في الله فيكون لله
ويكون بالله هو الأتم
لعوده إليه بوجود
مستأنف موهوب له
من الكريم اللان في
مقام البقاء .
[الباب الخامس
والعشرون في القول في
الباع تأديا واعتناء]
وينضم هذا الباب
آداب الباع وحكم
التخريق وإشارات
الشايع في ذلك وما في
ذلك من الشائور
والمحدور . مبني
التصوف على الصدق
في سائر الأحوال وهو
جد كله لا يبنى
لصادق أن يتمدد
الحضور في مجمع يكون
فيه سماع إلا بدأن

وغير ألحان وللمسمع شريك لقائل وكذلك مافيه وصف امرأة بينا فانه لا يجوز وصف المرأة بين
بنى الرجال ، وأما ههنا الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، قد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه
ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجى الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك (١) فأما السيب
وهو التشبيه بوصف الحدود والأسدنا وحسن العهد والقائمة وسألي أوصاف النساء فهذا فيه نظر ،
والصحيح أنه لا يهرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن وعلى التسامح أن لا يتره على امرأة معينة فإن
تره فليتره على من يحل له من زوجته وجاريته فإن تره على أجنبية فهو العاصي بالتزويل وإجالة
التكره فيه ومن هذا وصفه فينبغى أن يحتجب السباع رأسا فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمه
عليه سواء كان اللفظ مناسباً له أو لم يكن إلا ما من لفظ إلا ويمكن تره على ممان بطريق الاستعارة
فألقى غلب على قلبه سبحانه تعالى يذكر بسواد الصلغ مثلا ظلة السكر وبضارة الحد نور الإيعان
وبذكر الوصال لقاء الله تعالى وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى في زمرة للرودين وبذكر الرقيب
للشوش لروح الوصال عوائق الدنيا وآلاتها للشوكة لعلوم الأنس بالله تعالى ولا يحتاج في تره ذلك
عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق للثاني التالية على القلب إلى فهمه مع اللفظ كما روى عن
بعض الشيخوخ أنه مر في السوق فسمع واحدا يقول الحيار عشرة بحبة قلبه الوجد فقتل عن ذلك
قال إذا كان الحيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار واجتاز بهم في السوق فسمع قائلا يقول يا سترى
قلبه الوجد فقتل له على ماذا كان وجدك فقال صمته كأنه يقول اسع ترى حتى إن الجميع قد غلب
عليه الوجد على الآيات للنظومة بلغة العرب فإن بعض حروفها يوازن الحروف السجعية فيفهم منها
مما أخر أشد بعضهم : • وما زارني في الليل إلا خياله • فتواجد عليه رجل أجيبى فقتل عن سبب
وجده فقال إنه يقول ما زارني وهو كما يقول فإن لفظ زار يدل في السجعية على الشرف على الملاك
فهوم أنه يقول كلنا مشرفون على الملاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة والمرتقى في حب
الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولتته
فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدد بأن يشوش عليه عقله وتضطرب عليه
أعضاؤه فإنه ليس في تفسير أعيان الألفاظ كبير فائدة بل الذي غلب عليه عشق خلقه فينبغى أن يحترز
من السباع بأى لفظ كان والذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تقصر الألفاظ ولتأمنه عن فهم الثاني
للطيفة للتلفعة بمجاري همة الشرعة . المارض الرابع : للسمع : وهو أن تكون الشهوة غالبية
عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها فالسباع حرام عليه سواء غلب
على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب فانه كيفما كان فلا يسمع وصف الصلغ والحد والفراق والوصال
إلا ويحرك ذلك شهوته ويتره على صورة معينة ينفع الشيطان بها في قلبه فقتل في دار الشهوة
وتحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذييل للقتل للناع منه الذي هو حزب الله
تعالى والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل
إلا في قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكيفية وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان
وغالب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها فكيف يجوز تكثير أسلحتها
وتشديد سيوفها وأسلحتها والسباع مشحذ لأسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج
مثل هذا عن مجمع السباع فانه يستغربه . المارض الخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم

(١) حديث أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء للشركيين متفق عليه من حديث البراء
أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجههم أوهاجههم وجبريل ملك .

يخلص النية له تعالى
ويتوقع به مزيدا في
إرادته وطلبه ويخلص
من ميل النفس لشيء
من هواها ثم يقدم
الاستخارة للجنود
وسأل الله تعالى إذا
عزم البركة فيه وإذا
حضر يلزم الصدق
والوقار بسكون
الأطراف قال أبو بكر
الكتاني رحمه الله
للمسمع يجب أن يكون
في صاعه غير مستروح
إليه يهيج منه السباع
وجدا أو شوة أو غلبة
أو واردات والوارد عليه
يغني عن كل حركة
وسكون ويتيق الصادق
استدعاء الوجد
ويحجب الحركة فيه
مما أمكن سباحضة
الشيخوخ . حكى أن
شابا كان صاحب الجند
رحمه الله وكلا مع
شيثا زقى وتغير فقال له
يوما إن ظهر منك شيء
بعد هذا فلا تصحبني
فكان بعد ذلك يصبط
نفسه وربما كان من

ينبذ عليه حب الله تعالى فيكون السباع له محبوباً ولا غلبت عليه شهوة فيكون في حقه محظوراً ولكنه أصبح في حقه كسائر أنواع المقات للباحة إلا أنه إذا اتخذ ديدنه وهجيراه وصبر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السلف الذي ترد شهادته فإن الواظبة على اللهو جناية وكان الصغيرة بالاسرار والدائمة تصير كبيرة فكذلك بعض الباحات بالمداومة يصير صغيرة وهو كالواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر إلى لبهم على الدوام فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعاً إذ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا التليل القلب بالشرطج فإنه مباح ولكن الواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ومهما كان النرض القلب والتلذذ باللهو فذلك إغمايح لما فيه من تزويج القلب إلى راحة القلب معالجته في بعض الأوقات لتنبث دواعيه فتشتغل في سائر الأوقات بالجلد في الدنيا كالكسب والتجارة أو في الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضايف الجدد كاستحسان الحال على الحد ولو استوعبت الحيلان الوجه لشوته في أقبح ذلك فيعود الحسن قبيحاً بسبب الكثرة لما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الخبز مباح والاستنكار منه حرام فهذا للباح كسائر الباحات . فان قلت قد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض فلم أطلعت القول أولاً بالإباحة إذ إطلاق القول في الفصل بلا أو يتم خلف وخطأ . فاعلم أن هذا عطل لأن الإطلاق إجماعاً تفصيل بنشأ من عين ما فيه النظر فأما ما ينشأ من الأحوال المعارضة للتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق ألا ترى أن إذا سئلنا عن العمل أمو حلال أم لا قلنا إنه حلال على الإطلاق مع أنه حرام على المهرور الذي يستغنى به وإذا سئلنا عن الحرقلنا إنه حرام مع أنها تلحق من غص بلتمعان يشربهما لم يجد غيرها ولكن هي من حيث إنها حرام وإجماعاً أبيت لعارض الحاجة والعمل من حيث إنه عمل حلال وإجماعاً حرم لعارض الضرر وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه فإن البيع حلال ومحرّم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض والسباع من جملة الباحات من حيث إنه مباح صوت طيب موزون مفهوم وإجماعاً تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته فإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا ينال بمن يخالف بسد ظهور الدليل وأما الشافعي رضي الله عنه فليس يحرم الغنائم، مذهبه أصلاً وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذ مصنعة لا يجوز شهادته وذلك لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن اتخذ صنعة كان منسوباً إلى السفاهة وسقوط الروعة وإن لم يكن محرماً بين التحريم فإن كان لا ينسب نفسه إلى التناء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي لأجله وإجماعاً يعرف بأنه قد يطرب في الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروءته ولم يطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تفتيان في بيت عائشة رضي الله عنها وقال يونس ابن عبد الأعلى سألت الشافعي رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للسباع فقال الشافعي لأعلم أحد من علماء الحجاز كره السباع إلا ما كان منه في لأوصاف فأما الحداء وذكر الأطلال والرابع وعحين الصوت بالغان الأضمار فيباح . حيث قال إنه لم يكرهه يشبه الباطل بقوله لم يكرهه بل اللهو من حيث إنه لم يكرهه ليس بحرام فلب الحبشة ورفضهم لم يكرهه وقد كان يكرهه . ينظر إليه ولا يكرهه بل اللهو واللهو لا يؤخذ الله تعالى به إن عني به أنه فعل ما لا فائدة فيه فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه في اليوم ما فائدة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم قال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصمم والخالفه فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤخذ به فكيف يؤخذ بالشعر والرقص . وأما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لو قال هو باطل صريحاً ما دل على التحريم وإجماعاً يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه يقول الرجل لأمراته مثلاً بت نسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان قصد اللعب واللطاية وليس

كل شجرة منه خطر قطرة عرق فما كان يوماً من الأيام زرع زعقة فخرج روحه فليس من الصدق إظهار الوجد من غير وجد نازل أو ادعاء الحال من غير حال حاصل وذلك عين النفاق . قيل كان النصراني رحمه الله كثير الولع بالسباع فموت في ذلك قال نعم هو خير من أن تصد وتتأب فقال له أبو عمرو ابن مجيد وغيره من إخوانه هيات يا أبا القاسم زلة في السباع شر من كذا كذا سنة فتأب الناس وذلك أن زلة السباع إشارة إلى الله تعالى وتزويج الحال بصريح الحال وفي ذلك ذنوب متعددة منها أنه يكذب على الله تعالى أنه وهب شيئاً وما وهب له والكذب على الله من أقبح الزلات . ومنها أن يرغب بعض الحاضرين فيحسن به الظن

بحرام إلا إذا قصد به التحليك المفق الذي منع الشرع منه . وأما قوله مكروه فيزل على بعض المواضع التي ذكرتها لك أو يزل على التنزيه فانه نص على إباحة لب الشرطج وذكر أني أكره كل لب وتعليه يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين وللروءة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا بل قد ردت الشهادة بالأكل في السوق وما يحرم للروءة بل الحيا كما مباحة وليست من صنائع ذوى الروءة وقد ردت شهادة المحترف بالحرفة الحسية فتعليه يدل على أنه أراد بالكره التنزيه وهذا هو الظن أيضا فيمن كبار الأئمة وإن أرادوا التحريم فإذ كرهناه حجة عليهم .

(بيان حجج القائلين بتحريم الباع والجواب عنها)

احتجوا بقوله تعالى - ومن الناس من يشتري لهو الحديث - قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي رضى الله عنهم إن لهو الحديث هو الماء . وروى عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن الله تعالى حرم القينة ويعيها ونهيا وتليها »^(١) فتقول أما القينة فالراد بها الجارية التي تنزل الرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفسق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام وهم لا يصدون بالفتنة إلا ما هو محظور فأما غناء الجارية للمكها فلا يفيهم تحريمه من هذا الحديث بل للبر مال مكها معاها عند عدم الفتنة بدليل ما روى في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضى الله عنها وأما شراء لهو الحديث بالدين استبداله بل يضل به عن سبيل الله تعالى وهو للراد في الآية ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان مشتري به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو للراد في الآية ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما . حكى عن بعض الناقضين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله ورأى فله حراما لما فيه من الاضلال فالاضلال بالشر والتناء أولى بالتحريم . واحتجوا بقوله تعالى - أفئن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تكونون وأنتم سادون - قال ابن عباس رضى الله عنهما هو التناء بلغة حمير يعني السمد فتقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه فان قيل إن ذلك مخصوص بالضحك على السليدين لسلامتهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالسليدين كما قال تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون - وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه . واحتجوا بما روى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تقى »^(٢) فقد جمع بين النياحة والتناء . قلنا لا جرم كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ونياحة للذين على خطاياهم فكذلك يستثنى التناء الذي يراد به تحريك السرور والخرن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيتر رسول الله صلى الله عليه وسلم وغاؤهن عند قدومه عليه السلام بقوله : طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « مارفع أحد صوته بثناء إلا بث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما حتى صدره حتى يسك »^(٣) قلنا هو منزل على بعض أنواع التناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القاب ما هو مراد الشيطان من التوبة وعشق

(١) حديث عائشة إن الله حرم القينة ويعيها ونهيا وتليها الطبراني في الأوسط باسناد ضعيف قال البيهقي ليس بحفوظ (٢) حديث جابر كان إبليس أول من ناح وأول من تقى لم أجده أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرجوه ولده في مسنده (٣) حديث أبي أمامة مارفع أحد عقيرته بثناء إلا بث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما حتى صدره حتى يسك ابن أبي الدنيا في دم اللامع والطرا في الكبير وهو ضعيف .

والاغرار خيانة قال عليه السلام « من غشنا فليس منا » ومنها أنه إذا كان مبطلا ويرى بين الصلاح فسوف يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدته في نفسه فيفسد عقيدته في غيره ممن نظن به الخير من أمثاله فيكون سببا إلى فساد العقيدة في أهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فيقطع عنه مدد الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة يضر عليها من يبحث عنها ومن أنه يحوج الحاضرين إلى مواقفته في قيامه وقصوده فيكون متكلفا مكثفا للناس ياطله ويكون في الجمع من يرى بنور الفراسة أنه مبطل ويهمل على نفسه الواظقة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليترك الله ربه ولا يتحرك إلا إذا

صارت حركته حرك
الرامش الذي لا يجد
سيلا إلى الأسماك
وكالعاطس الذي لا يقدر
أن يرد العطسة وتكون
حركته بمثابة النفس
التي يدعوه إليه
داعية الطبع قهرا. قال
السري: شرط الواحد
في زغفته أن يبلغ
إلى حد لو ضرب
وجهه بالسيف لاشترى
فيه بوج وقد
يقع هذا لبعض
الواجدين نادرا وقد
لا يبلغ الواحد هذه
الرتبة من النية
ولكن زغفته تخرج
كالتنفس بنوع إرادة
ممزوجة بالاضطرار
فيذا الضبط من رعاية
الحركات ودرجات عفات
وهو في تمزيق الثياب
آكد فأن ذلك يكون
إلحاق السال وإلحاق
المحال وهكذا رمى
الحرقه إلى الحادي
لا يئين أن يفعل إلا إذا
حضرته نية يجنب فيها
التكسف وللرأفة

حيث إنه غناه بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من مخالطهم أن معاصهم لم يكن لوجود وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لجرد اللهو فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام وحكايات الأحوال تسكر فيها وجوه الاحتمال وأما وضه أمسيه في أدنيه فيما رضه أنه لم يأمر ناهيا بذلك ولا أنكر عليه صاعه وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن يزهه صمعه في الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يمنع ابن عمر لا يدل أيضا على التحريم بل يدل على أن الأولى تركه ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحوال بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب فقد خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كانت عليه أعلام شملت قلبه (١) أقرى أن ذلك يدل على تحريم الأعصام على الثوب فلمه صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الراس يشغله عن تلك الحالة كما كشفه العلم عن الصلاة بل الحاجة إلى استكارة الأحوال الثمينة من القلب بحيلة السباع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق وإن كان كالا بالإضافة إلى غيره ولذلك قال الحصري ماذا أحمل سباع ينقطع إذامات من يسمع منه إشارة إلى أن السباع من الله تعالى هو الدائم فالأنبياء عليهم السلام على الدوام في لغة السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة . وأما قول الفضيل هوربة الزنا وكذلك ماعده من الأثواب القريبة منه فهو منزل على سماع القساق والفتن من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما القياس فتأية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار وقد سبق الفرق أوقال هو لم هو لب وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لم هو لب . قال عمر رضى الله عنه تزوجه إنما أنت لعبة في زاوية البيت وجميع للابغة مع النساء لم هو إلا الحرمة التي سبب وجود الولد وكذلك الزح الذي لأفضش فيه حلال قل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سأتى تفصيله في كتاب آفات اللسان إن شاء الله (٢) وأى لم هو يزيد على لمو الحبشة والزنج في لبهم وقد ثبت بالنص إباحته على أن أقول اللهو مروح لقلب وعنف عنه أعبله التكر والقلوب إذا أكرهت عجت وتروخها إبانة لها على الجدة فالموالط على التفتة مثلاني أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تمت على النشاط في سائر الأيام والموالط على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات فاعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجدة ولا يصير على الجدة المحض والحق للز لا تقوس الأنبياء عليهم السلام فاللهو دواء القلب من داء الإعياء واللذات فينبى أن يكون مباحا ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فإذا اللهو على هذه النية يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السباع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة فينبى أن يستحب ذلك ليتوصل به إلى القصد الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة السكالك فإن الكامل هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بشير الحق ولكن حسنات الأبرار سيئات الذين ومن أحاط بعلوم علاج القلوب ووجوه اللطيف بها لياقتها إلى الحق علم قطعا أن تروخها بأثم له هذه الأمور دواء نافع لاغنى عنه .

(الباب الثاني في آثار ألباع وآدابها)

(١) حديث خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كان عليه أعلام شملت قلبه تقدم في الصلاة (٢) حديث مزاحه صلى الله عليه وسلم بأن آفات اللسان كما قاله للصف.

(الباب الثاني في آداب السباع وآثاره)

وإذا حسنت النية فلا بأس بالقاء الحرقه إلى الحادى قد روى عن كعب بن زهير أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم للسجد وأنشده أياتا التي أولها :

بانت سعاد قلبي اليوم
متبول
حق انتهى إلى قوله
فيها :
إن الرسول لسيف
يستضاء به
مهد من سيوف الله
مسول

قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنت قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه بردة كانت عليه فلما كان زمن معاوية بث إلى كعب بن زهير بنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرة آلاف فوجه إليه

اعلم أن أول درجة السماع فهم السمع وتزيله على معنى يقع للسمع ثم يفهم الواحد ويشعر بالوجد
الحركة بالجوارح فليست في هذه القامات الثلاثة . القام الأول : في الفهم وهو يختلف باختلاف
أحوال السمع ، والسمع أربعة أحوال : إحداهما أن يكون سماع مجرد الطبع أى لا حظ له في السماع
إلا استلاذ الألحان والنغاث وهذا مباح وهو أحسن رتب السماع إذ الإيل شريكه له فيه وكذا
سائر البهائم بل لا يستدعى هذا الدوق إلا الحياة فلكل حيوان نوع تلهذ بالأصوات الطيبة . الحالة
الثانية أن يسمع بهم ولكن يزل على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين وهو سماع الشباب
وأرباب الشهوات ويكون تزليلهم للسمع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم وهذه الحالة أحسن
من أن تتكلم فيها إلا بيان خستها واللهى عنها . الحالة الثالثة أن ينزل ما يسمه على أحوال نفسه
في معاملته لله تعالى وتقلب أحواله في التمكن مرة والتمنر أخرى وهذا سماع الريدن لاسبيا
البتدين فان للريدل حالة مراداه هو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه ولقاءه والوصول إليه
بطريق المشاهدة بالسر وكشف القطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مشاير عليها
وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب
أو بعد أو تلف على فاشت أو تطفى إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو بأس أو حنة أو استئناس
أو وفاء أو وعد أو حقن للهد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب ومداقة الرقيب
أو همول البيرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يمتثل على وصفه
الأشعار فلا بد أن يوافق بعضها حال الريد في طلبه فيجرى ذلك مجرى القدر الذى يورى زائد قلبه
فتشتغل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسية أحوال مخالفة لمادته ويكرن
له مجال رحب في تزليل الألفاظ على أحواله وليس للسمع مراعاة نراد الشاعر من كلامه بل
لكل كلام وجوه ولكل ذى فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ ولضرب لهذه التزليلات والقهوم
أمثلة كي لا يظن الجاهل أن السمع لأيات فيها ذكر القم والحد والصدغ إنما يفهم منها ظواهرها
ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعاني من الآيات ففي حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك
قد حكى أن بعضهم سمع قائلا يقول :

قال الرسول غدا تزور قلعت تعقل ما تقول

فاستفزه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا فيقول : قال الرسول غدا
تزرور . حتى غشى عليه من شدة القرح واللذة والسرور فلما أفاق سئل عن وجده م كان ؟ فقال
ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة (١) » .
وحكى الرقى عن ابن الدراج أنه قل : كنت أنا وابن القوطى مارين على دجلة بين البصرة والأبلة
فاذا بقصر حسن له منظره وعليه رجل بين يديه جارية تقي وتقول :

كل يوم تسفلون غير هذا بك أحدن

فاذا شاب حسن تحت النظرة ويده ركوة وعليه مرمة يستمع فقال بأجارية بالله وبجاء مولاه
إلا أعدت على هذا البيت فأعدت فسكأت الشاب يقول هذا والله تلوتني مع الحق في حال شفق
شبهة ومات . قال : قلنا قد استغلنا فرض فوفنا فقال صاحب القصر للجارية أنت حررة لوجه الله تعالى
(١) حديث إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل جمعة الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة
وفيه عبد الحميد بن حبيب ن أبي العشرين مختلف فيه وقال الترمذى لا نعرفه إلا من هذا الوجه
قال وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئا من هذا .

ما كنت لأؤثر شوب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحدا فلما
مات كعب بث معاوية
إلى أولاده بشرين
ألفا وأخذ البردة وهي
البردة الباقية عند
الامام الناصر لدين الله
اليوم عادت بركتها على
أيامه الزاهرة . وللتصوفة
آداب ينماهونها
ورعايتها حسن الأدب
في الصلوة والمعاينة
وكثير من السلف لم
يكونوا يمتدنون ذلك
ولكن كل شيء
استحسنوه وتواطشوا
عليه ولا ينكره الشرع
لاوجه للانكار فيه
فمن ذلك أن أحدم إذا
تحرك في السماع
فوقعت منه خرقه
أو نازله وجد ورمى
عمامته إلى الحادى
فالمستحسن عدم
مواقة الحاضرين له
في كشف الرأس إذا
كان ذلك من متقدم
وشيوخ وإن كان ذلك
من الشبان في حضرة

قال ثم إن أهل البصرة خرجوا فاصلا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر أشبهكم أن كل شيء لي في سبيل الله وكل جوارى أحرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رمى بياحه واتزر يلزار وارتمى بأخر وصر على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يسكون فلم يسمع له بعد خبر والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بماله مع الله تعالى ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الأدب في المألة وتأسفه على تلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع صممه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له :

كل يوم تسألون غير هذا بك أحسن

ومن كان جماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وإلا خطر له من السباع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به ففي صمغ اللريد للبندى خطر إلا إذا لم ينزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى . ومثال الخطأ فيه هذا البيت بينه فلو سمعه في صممه وهو يخاطب به رب عز وجل فيضيف التلون إلى الله تعالى فيكفر وهذا قد يقع عن جهل بعض مطلق غير ممنوع بتحقيق وقد يكون عن جهل سائر إليه نوع من التحقيق وهو أن يرى تلب أحوال قلبه بل تلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق فانه تارة يسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يقبضه وتارة يلينه وتارة يشته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه أحوال مختلفة في أوقات متقاربة قد يقال له في المادة إنه ذو بداوان وإنه متلون ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوه إلى التلون في قبوه وردده وتحميه وإبعاده وهذا هو المعنى فتابع هذا كذلك في حق الله تعالى كمن يحسن بل يبنى أن يعلم أنسبجانه وتعالى يلون ولا يتلون ويضرب ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للريد باعتقاد تخليدي إيماني ويحصل للمعارف البصير يقين كسفي حقيق وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو للتغير من غير تغيير ولا يتصور ذلك إلا في حق الله تعالى بل كل مغير سواء فلا يغيره مالم يتغير ومن أرباب الوجد من يلب عليه حال مثل السكر للدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر إتهامه للقلوب وقسمته للأحوال الترفعة على تفاوت فانه المستصفي لقلوب الصديقين وللمبدع لقلوب المجاهدين وللرورين فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما تمنع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية مقدميهم ولا ممد الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة ساقطة ولكنه قال - ولقد سبقت كتننا لمبادنا للرسلين - وقال عز وجل - ولكن حتى القول متى لأملأن جهنم من الجنة والناس أنجميع - وقال تعالى - إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون - فان خطر يبالك أنملم اختلفت السابقة توهي ربة العبودية مشتركون نوديت من سرادات الجلال لا بما وجد الأدب - فانه لا يسل عما يفعل وهم يسألون - ولعمري تأدب اللسان والظاهر مما يندرج عليه الأكرتون فأما تأدب السر عن إخمار الاستبداد بهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا الملاءم الراسخون في العلم ولهذا قال الحضر عليه السلام لما سئل عن السباع في المنام إنه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء لأنه محرك لأسرار القلوب ومكناها ومشوش لها تشوش السكر للدهش الذي يكاد يجعل غفدة الأدب عن السر لا يمن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجوئنا من هذا السباع رأسا برأس في هذا القرن من السباع خطر يزيد على خطر السباع المحرك للشهوة فان غاب بذلك معصية وغاية الخطأ بها كثر .

الشيوع فليس على

الشيوع موافقة

الشبان في ذلك

وينسحب حكم الشيوع

على بقية الحاضرين في

ترك للواقعة للشبان

فاذا مكثوا عن السباع

يرد الراجد إلى خرقة

وبواقته الحاضرون

يرفع العالم مردها على

الردوس في الحال

للمواقفة والخرقة إذا

رعبت إلى الحادي هي

للحادي إذا قصد

إعطائه إياها وإن لم

يصد إياها لها الحادي

تقبله للحادي لأن

الحركة هومنة صدر

للو جباري الحركة .

وقال بعضهم هي للجميع

والحادي واحد منهم

لأن الحركة قول

الحادي مع حركة الجلع

في إحداث الوجد

وإحداث الوجد

لا يتقاصر عن قول

القائد فيكون الحادي

واحدًا منهما في ذلك .

روى أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال

واعلم أن القهم قد يختلف بأحوال المستمع فينقلب الوجد على مستمعين ليبت واحد وأحدهما مصيب في القهم والآخر عطفى. وأكلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض كما حكى عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول :

سبحان جبار الباء إن الحبب لفي هنا

فقال مبدقت وصحه رجل آخر فقال كذبت فقال بعض ذوى البصائر أصابا جميعا وهو الحق والتصديق كلام محبة غير ممكن من المراد بل مصدوم متعب بالصد والهجر ، والكذب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسمه بسبب فرط حبه غير متأثر به أو كلام محبة غير مصدوم عن مراده في الحال ولا مستشعر بخاطر الصد في السك ذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه باختلاف هذه الأحوال يختلف القهم . وحكى عن أبي القاسم بن مروان ، وكان قد صحب أبا سعيد الخراساني رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة فضرر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف في اللاء عطشا ن ولكن ليس يقي

قام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرامين منها مع حضور أسبابها فلم يقنعهم ذلك فقالوا له فلماذا عندك فيه فقال أن يكون في وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذه إشارة إلى إيجاب حقيقة وراء الأحوال والكرامات والأحوال سوابقها والكرامات تسبق في مبادئها والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكره إلا في تفاوت رتبة التعطش إليه فان المحروم عن الأحوال الشريفة أولا تعطش إليها فان ممكن منها تعطش إلى ما وراءها فليس بين العنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين . وكان الشبلي رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا البيت :
ودادكم هجرس وجبكم قل ووصلكم صرم وصلكم حرب
وهذا البيت يمكن معناه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل وأظهرها أن يفهم هذا في الحلق بل في الدنيا بأسرها بل في كل ما سوى الله تعالى فان الدنيا مكاراة خداعة قتالة لأربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الكرم « لما امتلأت منها دار حيرة إلا امتلأت عبرة » (١) « كأورد في الخبر وكما قال الشبلي في وصف الدنيا :

تنح عن الدنيا فلا تغضبها ولا تخطنن قتالة من تتأكح
فليس يقي مرجسوها بخوفها ومكرورها إما تأملت راجع
لقد قال فيها الواسفون فأكثروا وعدى لها وصف لعمري صالح
سلاف قصارها زعاف ومركب شه إذا استدلته فهو جامع
وخض جيل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبايح

والمنى الثاني : أن يتزله على نفسه في حق الله تعالى فانه إذا نفكر فمرفته جهل إذا قدره الله حق قدره وطاعته رياء إذا لاقى الله حق قناته وجه معلول إذ لا يع شهوة من شهواته في حبه ومن أراد الله به خيرا بصره بيبور نفسه فيرى مصداق هذا البيت في نفسه وإن كان على المرتبة بالإضافة إلى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢) وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة » (٣) وإيما كان استغفاره عن أحوال

(١) حديث ما امتلأت دار منها حيرة إلا امتلأت عبرة ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أي كثير مرسل (٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه مسلم وقد تقدم (٣) حديث إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة تقدم في الباب الثاني من الأذكار .

يوم بدر « من وصف
يمكن كذا كذا
ومن قلله كذا ومن
أسرفه كذا « فصار
الشبان وأقام الشيوخ
والوجوه عند الرايات
فطافح الله على المسلمين
طلب الشبان أن يحمل
ذلك لهم فقال الشيوخ
كنا نظرا لكم وردنا
فلا تذهبوا بالناسم
دوننا فأنزل الله تعالى
- يستولونك عن
الأفان قل الأفان لله
والرسول - قسم
النبي صلى الله عليه وسلم
ينهم بالسوية . وقيل
إذا كان القول من
القوم يحمل كواحد
منهم وإذا لم يكن من
القوم فما كان له قيمة
يؤثر به وما كان من
خرق الفقراء يقسم
بينهم . وقيل إذا كان
القول أجيرا فليس له
منها شيء . وإن كان
متبرعا يؤثر بذلك وكل
هذا إذا لم يكن هناك
شيخ يحكم فأما إذا
كان هناك شيخ يهاب

ويمثل أمره فالشيخ يحكم في ذلك بما يرى قد تختلف الأحوال في ذلك وللشيخ اجتهاد فيفعل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه وإن فداها بسبب المحبين أو بعض الحاضرين فرضي الحقول والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم إلى خرقته فلا بأس بذلك وإذا أصر واحد على الإتيان بما خرج منه لئلا له في ذلك يؤثر بخرقته الحادى أما مخزق الحرقه المبروكة التي ميزها واجد صادق عن عبلة سلبت اختياره كغلبة النفس فمن يتعمد إمساكه فتيهم في تفرقتها وتجزئتها التبرك بالحرقه لأن الوجد أثر من آثار فضل الحق وتزريق الحرقه أثر من آثار الوجد فصارت الحرقه متأثرة بأثر رباني من منها أن تسمى بالنفوس

هي درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها وإن كانت قربا بالإضافة إلى ما قبلها فلا قرب إلا ويبقى وراءه قرب لانهائية إنسبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه والوصول إلى أقصى درجات القرب بحال وللعلى الثالث أن ينظر في مبادئ أحواله ويرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدرئها بالاطلاعه على خفايا القرور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيستمتع البيت في حق الله تعالى شكية من النقاء والقدرة وهذا أكثر كما سبق يانه وما من بيت إلا ويمكن تنزيهه على معان وذلك بقدر غزارة علم السمع وصفاء قلبه . الحالة الرابعة : سماع من جاوز الأحوال وال مقامات فزب عن فهم ماسوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالدهوش الناقص في بحر عين الشهود الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفى فكأنه فنى عن كل شئ . إلا عن الواحد للشهود وفنى أيضا عن الشهود فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد قد غفل عن الشهود فالمستمر بالمرئ لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى غيره التي يمارؤيته ولا إلى قلبه الذى به لذته فالسكران لا خبر له من سكره وللتلذذ لا خبر له من التلذذ وإنما خبره من التلذذ به قطع ومثاله العلم بالشيء فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهماور عليه العلم بالعلم بالشيء كان معروضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق الخلق وتطرا أيضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الحافظ الذى لا يثبت ولا يدوم وإن دام لم تقطعه القوة البشرية فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهاك به نفسه كما روى عن أبي الحسن التورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مازلت أنزل من ودللك منزلا تجبر الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوق في أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف فصار يمدونها ويصير البيت إلى القدادة والدم يخرج من رجله حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد فهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات السكاك وهي منزجة بصفات البشرية وهو نوع تصور وإنما السكاك أن ينفى السكاكية عن نفسه وأحواله أعنى أنه ينشأها فلا يبقى له التفات إليها كالم يكن للنسوة التفات إلى الأبدى والسكاكين فيسمع لله وبالله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واغمد بصفاة التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص فلم يبق فيه منه شئ أصلا بل خدت بالسكاكية بشرته وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ولست أعنى بصفاته فناء جسده بل فناء قلبه ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيفه إلى القلب الظاهر نسبة خفية ورادها سر الروح الذى هو من أمر الله عز وجل عرفها من عرفها وجهها من جهلها ولذلك السر وجوده وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر ومثاله المرأة المجلوبة إذ ليس لها نور في نفسها بل ولونها لون الحاضرين وكذلك الزجاجة فاتها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضرين وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان ويعرب عن هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر :

رق الزجاج ودرقت الحجر فقتشها فقتش كل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح فكأنما قدح ولا خمر

وهذا مقام من مقامات علوم السكاكية منه نشأ خيال من ادعى الحلول والأنعاد ، وقال أنا الحق

وحوله يدندن كلام التصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلف فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرأة بصورة المرأة إذ ظهر فيها لون المرأة من مقابلها وإذا كان هذا غير لائق بعلم العلامة فلنرجع إلى النرض قد ذكرنا خاوت الدرجات في فهم للسوعات . القام الثاني : بعد الفهم والتزيل الوجد . ولئنا كلام طويل في حقيقة الوجد اعنى الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السباع للأرواح فلنتل من أو ألهم ألفاظا ثم لكشف عن الحقيقة فيه أما الصوفية فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السباع إنه وارد حق جاء زرع القلوب إلى الحق فمن آمنى إليه بحق تحقق ومن آمنى إليه بنفس تزندق فكانه غير عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق وهو الذي جمعه عند ورود وارد السباع إذعى السباع وارد حق . وقال أبو الحسين الدراج خبرا عما وجدته في السباع الوجد عبارة عما يوجد عند السباع وقال جلال في السباع في ميادين البهاء فأوجدني وجود الحق عند المعطاء فسقاني بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجني إلى رياض التزهد والقضاء . وقال الثبيل رحمه الله : السباع ظاهرة فتنة وباطنة عبرة فمن عرف الإشارة حل له استماع المبرة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السباع غذاء الأرواح لأهل اللرفة لأنه وصف يدي عن سائر الأعمال وبدرق رقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله وقال عمرو بن عثمان السكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنه سراهه عند عباده للؤمنين المؤمنين الوقين وقال بعضهم الوجد مكشفات من الحق وقال أبو سعيد بن الأعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة القلب ومحادثة السر وإيناس للفقود وهو فتاؤك من حيث أمث وقال أيضا الوجد أول درجات الحصول وهو ميراث التصديق بالقلب قلما ذاقوه وسقط في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك ورب وقال أيضا الذي يجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعالمين والأسباب لأن النفس معجوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص الفكر وصحا القلب ورق وصفا ونجت للوعظة فيه وحل من التناجات في محل قرب وخوطب وسمع الخطاب بأذن وإعانة وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدوما عنده وقال أيضا الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق أو توبخ في ذلة أو محادثة بلطفية أو إشارة إلى فائدة أو خوف إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والظن بالظن والتب بالقلب والسر بالسر واستخراج ملك بما عليك مما سبق للسمى فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر إذا كان هو للبندى بالنم والتولى وإليه يرجع الأمر كله فهذا ظاهر علم الوجد أو ألهم الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة . وأما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان فلما ظهرت سررت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الطواهو وقال بعضهم نتائج السباع استباض الحاجز من الرأي واستجلاب المازب من الأفكار وحدة الكمال من الأفهام والآراء حتى ثوب ما عذب ونهض ما سحر وبسفر ما كدر وجرح كل رأى ونية فيصيب ولا يخطئ . ويأتى ولا يخطئ . وقال آخر كما أن الفكر بطرق العلم إلى العلوم فالسباع يترك القلب إلى العالم الروحاني . وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والابتاعات فقال ذلك عشق عقله والعائق العقل لاحتياج إلى أن يناهى معشوقه بالنطق الجري بل يناهيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة للحاجب والجفن والإشارة وهذه نواطات أجمع لإظهار روحانية وأما العاشق الهيمى فانه يستعمل النطق الجري ليعبر به

وترك على الروس
إسكراما واعزازا :
تضوع أرواح نجد
من ثيابهم
يوم القدوم قارب
العهد بالدار
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستقبل
النبي وتبشرك به
ويقول حديث عهد
بربه فافترقة للفرقة
حديثه الصديق
المجروحة أن خرق على
الحاضرين وحكم
ما يتبعها من الحرق
الصالح أن يحكم فيها
الشيخ إن خصص
بشيء منها بعض الفقهاء
فله ذلك وإن خرقها
خرقا فله ذلك ولا يخال
هذا فخرط وسرف
فان الحرق الصغيرة
ينفع بها في موضعها
عند الحاجات
الكبيرة . وروى
عن أمير المؤمنين على
ابن أبي طالب رضي الله
عنه أنه قال « أهدى
لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حلة حرير

عن حمزة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف . وقال آخر من حزن فليسمع الألمان فان النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفاته وقائه من الضيق والدنس . والآقاويل للقررة في الباع والوجد كثيرة ولا معنى للاستنكار من إيرادها فلنشغل بتفهم للعنى الذى الوجد عبارة عنه فنقول إنه عبارة عن حالة يشمرها الباع وهو وارد حق جديد عقيب الباع يجده للسمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسيتين فاتها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتبنيات وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض وهذه الأحوال يهيجها الباع ويقومها فان ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو توكينه أو تثير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والناطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وإن ظهر على الظاهر مسمى وجدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتغيره بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التثير بحسب قوة الوجد وقدرته على ضبط جوارحه قد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوجد وتصوره عن التحريك وحل عقد التماسك وإلى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد إنه مشاهدة الرقيب وحضور القهم وملاحظة الغيب ولا يبعد أن يكون الباع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله فإن الكشف يحصل بأسباب منها التنبية والسماع منه ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وادراكها فان إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورد ومنها صفاء القلب والباع يؤثر في تصفية القلب والصفاء يسبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة الباع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار اللسوك كما أن عمل البعير حمل الأثقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت المانف إذا كان في اليقظة والرؤيا إذا كان في المنام وذلك جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم للعامة وذلك كما روى عن محمد ابن مسروق البغدادي أنه قال خرجت ليلة في أيام جهائي وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم مامرت به إلا لتجبت بمن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفي جهنم ماء ما تجرعه خلق فأبقى له في الجوف أمعاء

قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة ، فانظر كيف أثر الغناء في تصفية قلبه حتى يمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر . وروى عن مسلم البباداني أنه قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسوارى فزفوا على الساحل قال فهيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاءوا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافعا صوته هذا البيت :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولثة نفس غيها غير نافع

قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر منشا عليه وبقي القوم فرضت الطعام وماذاقوا وأثمنه لثمة ، وكما يسمع صوت المانف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبرص مرة الحضرة عليه السلام فانه يشتمل لأرباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها

فأرسل بها إلى غرقت

فيها فقال لي ما كنت

لأكره لنفسي شيئا

أرضاء لك فشقتها بين

النساء خمرها وفي رواية

أثبتت قلت ما أصنع

بها ألبسها قال ولكن

اجعلها خرا بين القوامم

أراد فاطمة بنت أسد

وفاطمة بنت رسول

الله صلى الله عليه وسلم

وفاطمة بنت حمزة وفي

هذه الرواية أن الهدية

كانت حلة مكشوفة

بمحرر وهذا وجه في

السنة لتزيق الثوب

وجعله خرقا . حكى أن

القهواء والصوفية

ينسابور اجتمعوا في

دعوة فوكت الحرقه

وكان شيخ الفقهاء

الشيخ أبو محمد الجويني

وشيوخ الصوفية

الشيخ أبو القاسم

القشيري قسمت

الحرقه على عاداتهم

فالتفت الشيخ أبو محمد

إلى بعض الفقهاء وقال

سرا هذا صرف وإساءة

للال نسمع أبو القاسم

ولما طي مثال بحاكمي صورتها بعض الهاكة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفق ^(١) وهو المراد بقوله تعالى - عله شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى - إلى آخر هذه الآيات وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يجمع الاطلاع على ضمائر القلوب وقد يسرع في ذلك الاطلاع بالتمرس ولذلك قال ^(٢) « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ^(٣) وقد حكى أن رجلاً من الجوس كان يدور على السليين ويقول مامنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن » فكان يذكره تفسيره فلا يفتنه ذلك حتى انتهى إلى بعض الشايخ من الصوفية فقال له معناه أن تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه وأسلم وقال الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق . وكحكى عن إبراهيم الخواص قال كنت ينفد في جماعة من القراء في الجامع فأقول شاب طيب الرائحة حسن الوجه قتل لأصحابي يقع أنه يهودى نسكهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال أي شيء قال الشيخ في فاحتشموه فألم عليهم فقالوا له قال إنك يهودى قال لجأنى وأكب على يدي وقبل رأسى وأسلم وقال نجدي كتبنا أن الصديق لا تخفى فراسته قتل أمتهن السليين فأملتهم قتل إن كان فهم صديق فني هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس في علمت أنه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية وإلى مثل هذا الكشف الإغارة بقوله عليه السلام « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » ^(٤) وإتباعهم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات الذمومة فاتهامهم على الشيطان وجنده ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه وإليه الإشارة بقوله تعالى - لإعياذكم منهم المخلصين - وبقوله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - والباع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روى أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه أن يقول لهم شيئاً فأذن لهم في ذلك فأشأ يقول :

صغير هواك عذبي فكيف به إذا احتسك وأنت جمعت في قلبي
هوى قد كان مشتركاً أما ترى لمكتئب إذا ضحك الخلى بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم جلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلعا من ذى النون على قلبه أنه متكلف متواجد فعرفه أن الذي يراه حين يقوم هو الحصص في قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقاً لجلس ، فإذا رجع حاصل الوجداني لكشفت وإلى حالات . واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقته وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلاً ولعلك تتبجح حاله أو علما لاتعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقته فلا تستبد بذلك فانك تجحد في أحوالك القريبة لذلك شواهد . أما العلم فكيف من قلبه تعرض عليه مسئلتان متشابهتان في الصورة وبذلك الفقيه بذوقه أن بينهما فرقا في الحكم وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أفصح الناس فيذكر بذوق الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وإدراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالدق ولا يشك في أن لوفوعه في قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه بالتصور في لسانه بل بالدقة المعنى في نفسه عن أن تناله العبارة وهذا مما قد تفتن له

- (١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته فأخبر أنه سد الأفق متفق عليه من حديث عائشة
- (٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى الترمذى من حديث أن سبيد وقال حديث غريب
- (٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم .

القشيري ولم يقل شيئاً
حق فرغت القصة ثم
استدعى الحادم وقال
انظر في الجمع من معه
سجادة خرق اتقى بها
لجأه بسجادة ثم
أحضر رجلاً من أهل
الحبرة فقال هذه
السجادة بك تشتري
في الزاد؟ قال بدينار قال
ولو كانت قطعة واحدة
كم تساوى قال نصف
دينار ثم التفت إلى
الشيخ أبي محمد وقال
هذا لا يسمى أضاعة
للال والحرقه للمزقة
تقسم على جميع
الحاضرين من كان
من الجنس أو من غير
الجنس إذا كان حسن
الظن بالقوم معتقداً
للتبرك بالحرقه .
روى طارقي بن
شهاب أن أهل البصرة
غزوا نهاوند وأمدم
أهل الكوفة وعلى
أهل الكوفة عمار بن
ياسر فظهروا وأراد
أهل البصرة أن
لا يسموا لأهل

الواظبون على النظر في المشكلات . وأما الحال فكأن من إنسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح فيه قبيحا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر إنسان في شيء فيؤثر في نفسه أثره فينبغي ذلك السبب ويقتل الأثر في نفسه وهو محس به وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثابت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور أو حزنا فينبغي التفكر فيه ويحس بالأثر عقيب وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة لمقصودها عن التصود بل ذوق الشعر للوزن والفرق بينه وبين غير الوزن يختص ببعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها أعني الفرق بين الوزن والتزحف فلا يمكن التعبير عنها بما يتضح مقصوده به لمن لا ذوق له وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشورة من الحوف والحزن والسرور إنما تحصل في السباع عن غنا مفهوم ، وأما الأوتار وسائر الصفات التي ليست مفهومة فأنها تؤثر في النفس تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن هجاب تلك الآثار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوقه لا يعرف صاحبه للشتاق إليه فهو عجيب والذي اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو المشاهدة وما أشبهه ليس يدري إلى ماذا يشاق ويحج في شبهة حاله كأنها تقاضى أمرا ليس يدري ماهو حتى يقع ذلك العوام ومن لا يلبس على قلبه لأحب آدمي ولا حب الله تعالى وهذا ليس هو أن كل شوق فله ركنان : أحدهما صفة للشتاق وهو نوع مناسبة مع الشقاق إليه . والثاني معرفة للشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه فان وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة الشقاق إليه كان الأمر ظاهرا وإن لم يوجد العلم بالمشاق ووجدت الصفة للشوق وحرك قلبك الصفة واشتعلت نارها أوردت ذلك دهشة وحيرة لا عاقلولو نشأ آدمي وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الواقع ثم راقق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بذات الشهوة ولكن لا يدري أنه يشاق إلى الواقع لأنه ليس يدري صورة الواقع ولا يعرف صورة النساء فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الأعلى والذلات التي وعد بها في سدة التنهي والفراديس الملا إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالتي سمع لفظ الواقع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرآة ليعرف بالمقايسة فالسباع يحرك منه الشوق والجهل للفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حنينه واشتياقه بالطبع فيقتاضاه قلبه أمرا ليس يدري ماهو فيدهش ويتحير ويضطرب ويحس كأنه لا يعرف طريق الخلاص فهذا وأمثاله من الأحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن التصف بها أن يمر عنها فقد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد المتكلف منه مذموم وهو الذي يقصد به الرأيا وإظهار الأحوال الشريفة واجتلابها الافلاس منها ومنه ماهو محمود وهو التوصل إلى استمداء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للسكس مدخلا في جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البسكة في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحزن ^(١) فان ههنا الأحوال قد تكلف مباديها ثم تتحقق أو آخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في أن يفسر للتكلف في الآخرة طبعاً وكل من يتعلم القرآن أو لا يحفظه تكلفا وبقرؤه تكلفا مع تمام التأمل وإحساس الدفن ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتوابع نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفائه وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بمجهد شديد

الكوفة من الغنية شيئا فقال رجل من بني تميم لعمار أبيها الأجدع تريد أن تشاركنا في غنائنا فكتب إلى عمر بذلك فكتب عمر رضى الله عنه أن الغنية لمن شهد الوصف وتوذهب بعضهم إلى أن المجرور من الحرق يضم على الجع وما كان من ذلك صحيحا يعطى للقول . واستدل بما روى عن أبي قتادة قال لما وضعت الحرب أوزارها يوم حنين وفرغنا من أقموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل قتيلا فله سلبه » وهذا له وجه في الحرقه الصحيحة فاما المجرورة فكيفها اسهام الحاضر والقسم لهم ولو دخل على الجمع وقت القسم من لم يكن حاضرا قسم له . روى أبو موسى الأشعري رضى الله

تتمر على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعاً فيكتب أوراقاً كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر فجميع ما تحتله النفس والجوارح من الصفات لاسبيل إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولاً ثم يصير بالعادة طبعاً وهو الراد يقول بعضهم : العادة طبعة خامسة : فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند قدحها بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها بالسباع وغيره فلقد شوهد في العادات من اشبه أن يشقى شخصاً ولم يكن يشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه وبديم النظر إليه وبقرع على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه حتى غشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخاً خرج عن حد اختياره فاشتبه بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا قدحها الإنسان فينبغي أن يتكلف اجتلابها بمجالة اللوصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وتعمين صفاتهم في النفس والجوارح معهم في السماع والدعاء والتضرع إلى الله تعالى أن يرققه تلك الحالة بأن ييسر له أسبأها . ومن أسبأها السماع ومجالة الصالحين والخائفين والمحسنين والمشتاقين والحاشمين فمن جالس شخصاً سرت إليه صفاته من حيث لا يدري وبدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبك ، حب من أحبك وحب من يقربني إلى حبك » (١) قد فزع عليه السلام إلى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكشفات وإلى أحوال وانقسامه إلى ما يمكن الافصاح عنه وإلى ما لا يمكن وانقسامه إلى للتكلف وإلى الطوبوع . فان قلت : فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقاً من لطف الله تعالى ولم يكن باطلاً من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء فتقول : الوجد الحق هو ما ينبثق من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن أيضاً وإنما الذي لا يهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق الخلق وبدل على ذلك قوله تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - وقوله تعالى - مثاني نقشتم منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمأنينة والافتشاعر والحشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى - وإنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - وقال تعالى - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خائفاً متصدعاً من خشية الله - فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكشفات ولكن قد يصير سبباً للمكشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم » (٢) . وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيره قوله صلى الله عليه وسلم « شيبني هود وأخواتها » (٣) « خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد . وروى أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تعالى - فكيف إذا جثا من كل أمة بشهيد

(١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم تقدم في تلاوة القرآن (٣) حديث لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود قوله لأن موسى تقدم فيه (٤) حديث شيبني هود وأخواتها الترمذي من حديث أبي حنيفة وله ولحقاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري

تعالى عنه قل لنا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خير ثلاث فأنهم لنا ولم يسهم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره للقوم حضور غير الجنس عديم في السماع كثره لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر أوصاحب دنيا يخرج إلى السدادة والتكلف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده أخبرنا أبو زرعة طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ القدسي قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الله البغوي بسرخس قال أخبرنا أبو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدي السمرقندي بإجازة لحدثنا المهيم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عماد بن اسحق قال ثامر بن عامر عن شعبة عن

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حبيب وكانت عيناه تدرقان بالسود (١) وفي رواية أنه عليه السلام قرأ هذه الآية أوترى عنده - إن لدينا أنسكلا وجعيا وطعما ذا غصة وعذابا أليما - فصق (٢) وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قرأ - إن تعذبهم فإنهم عبادك - فبكى (٣) وكان عليه السلام إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر (٤) والاستبشار وجد وقد أنشأ الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق - وروى أن رسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز للرمل (٥) وأما ما نهل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فمكثر : فهم من صق ومنهم من بكى ومنهم من غشى عليه ومنهم من مات في غشيته وروى أن زبارة بن أوفى وكان من التابعين كان يؤم الناس بالرفة قرأ - فإذا قرأ في التاقور - فصق ومات في حراجه رحمه الله وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ - إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع - فصاح صيحة وخر مفتشيا عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح للرمل فشبى ومات وسمع الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - فغشى عليه وسمع على ابن الفضل قارئا يقرأ - يوم يقوم الناس لرب العالمين - فغشى مفتشيا عليه فقال الفضل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك قل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية قد كان الشبل في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمامه قرأ الإمام - ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك - فزق الشبل زقعة ظن الناس أنه قد طارت روحه واهجر وجهه وارتعدت فرائصه وكان يقوم بمثل هذا يخاطب الأحباب يردد ذلك مرارا . وقال الجنيدي دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه فقال لي هذا رجل قد صعب آية من القرآن فغشى عليه فقلت أفرءوا عليه تلك الآية بعينها فقرأت فأذق فقال من أين قلت هذا فقلت رأيت يقول عليه السلام كان غماه من أجل مخلوق فمخلوق أبصر ولو كان غماه من أجل الحق ما أبصر فاستحسن ذلك ويشير إلى ما قاله الجنيدي قول الشاعر :
وكأن شربت على لذة وأخرى تداوت منها بها

وقال بعض الصوفية كنت أقرأ ليلة هذه الآية - كل نفس ذائقة الموت - فجعلت أرددها فإذا هانفت ينتف في كم تردد هذه الآية فقد قلت أربعة من الجن ما رفعوا رءوسهم إلى السماء منذ خلقوا . وقال أبو علي النابلسي للشبل : ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتجذبني إلى الإعراض عن الدنيا ثم أرحع إلى أحوالي وإلى الناس فلا أبقى على ذلك فقال ما طرقت سمعك من القرآن فاجتذبك به إليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فإنه لا يصلح لك إلا التبري من الحول والقوة في التوجه إليه . وسمع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ - يا أيها النفس

(١) حديث إن ابن مسعود قرأ عليه فذا انتهى إلى قوله - فكيف إذا جئنا من كل أمسة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حبيب الحديث متفق عليه من حديثه (٢) حديث أنه قرأ - إن لدينا أنسكلا وجعيا وطعما ذا غصة وعذابا أليما - فصق ، ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلا (٣) حديث أنه قرأ - إن تعذبهم فإنهم عبادك - فبكى ، مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر تقدم في تلاوة القرآن دون قوله واستبشر (٥) حديث أنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز للرمل أبو داود والنسائي والترمذي في الجائل من حديث عبد الله ابن الشخير وقد تقدم .

عبد العزيز بن مهيب عن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله إن قراء أمثك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خميسة عام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل فيكم من يشتدنا قال بدوي ثم رسول الله قال هات فأنشأ الأعرابي :

قد لست حية الهوى
بكدي

فلا طيب لها ولا راق
إلا الحبيب الذي
خفت به

فمنه فق وزياتي
تواجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وتواجد الأصحاب معه

حتى سقط رداؤه عن
منكبته فلما فرغوا أوى
كل واحد منهم إلى
مكانه قال معاوية بن
أبي سفيان ما أحسن

المشقة ارجعي إلى ربك راضية مرضية - فاستأذنها من الغاري - وول كم أقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد وزعزعة غرجت روحه وسمع بكربن معاذ قارئا يقرأ - وأنذرهم يوم الآفة - الآية واضطرب ثم صاح ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشى عليه وكان إبراهيم ابن آدم رحمه الله إذا سمع أهدأ يقرأ - إذا الباء انشقت - اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل ينقل في القرات فر - به رجل على الشاطئ - يقرأ - وامتازوا اليوم أيها الجرمون - فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات . وذكر أن سلمان الفارسي أصبر شابا يقرأ فاتى على آية فاتشمر - جلده فأجبه سلمان وقفده فسأل عنه فقيل له إنه مريض فأتاه بموده فإذا هو في اللوت فقال يا عبد الله : رأيت تلك القشعرية التي كانت في فاني أمتي في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب . وبالحيلة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا - مثله قتل الذي يتفق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بهم عمى فهم لا يسمعون - بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة بسميها قال جعفر الحلي دخل رجل من أهل خراسان على الجنيب وعنده جماعة فقال للجنيب متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ إذا دخل البارستان وقيد بعيدن فقال الجنيب ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل وقد إذا تحقق أنه مخلوق فشيئ الرجل شقة ومات . فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا لوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القاريين فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لالحق للثنين وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قاري لا قوال فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لاهلته . فاعلم أن الغناء أشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه . الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لاتناسب حال المستمع ولا تصلح لهمه وتزيده على ما هو ملائمه له فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم - فكل مثل حظ الأشبين - وقوله تعالى - والذين يؤمنون المصنات - وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام للبراث والطلاق والحدود وغيرها وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه والآيات إنما يضعها الشعراء إغرابا بها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف ثم من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسع لتغيرها ومعه يقط وذكاء ثابت يقطن به للمعاني البعيدة من الألفاظ قد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم - حالة اللوت الموحج إلى الوصية وأن كل إنسان لابد أن يخاف ماله وولده وما محبوبه من الدنيا فيترك أحد المبوبين للثاني ويهجرها جميعا فينقلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر الله في قوله - يوصيكم الله في أولادكم - فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده أو يخطر له رحمة الله على عباده وشقيقته بأن تولى قسم موارثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول إذا نظر لأولادنا بدمعوتنا فلان شك بأنه ينظر لنا فيسبح منه حال الرجا وبورته ذلك استبشارا وسرورا أو يخطر له من قوله تعالى - للذكر مثل حظ الأنثيين - فضيل الذي كركونه رجلا على الأنثى وأن الفضل في الآخرة لرجال لانهم تجارة ولا يبيع عن ذكر الله ، وأن من ألهاء غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإنان لا من الرجال تحقيقا فيخشى أن يحب أو يؤخر في نعيم الآخرة كما أخرت الأنثى أموال الدنيا فأما هذا الذي يحرك الوجد لكون لمن فيه وصفان : أحدهما حالة غالبة مستمرة قاهرة والآخر نطفة يبيع ويقطن بالتحكم كالتثنية بالأمور القريبة على المعاني البعيدة وذلك بما يفر فلاجل ذلك يفرغ إلى الغناء الذي هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها . وروى أن أبا الحسين النوري كان مع جماعة

لبيكم يا رسول الله فقال
مه يا معاوية ليس بكريم
من لم يهتز عند سماع
ذكر الجنيب ثم قسم
رداه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على من
حاضرهم بأربعة نطفة
فهذا الحديث أوردناه
مستندا كما سمعناه
ووجدناه وقد تكلم
في محته أصحاب الحديث
وما وجدنا شيئا نقل
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشاكل
وجد أهل الزمان
وسماعهم واجتماعهم
وهيئتهم إلا هذا وما
أحسنه من حجة
للمصوفة وأهل الزمان
في سماعهم وتزنيهم
الحرق وقسمتها أن
لوصح والله أعلم وبالحال
سرى أنه غير صحيح
ولم أجده فيه ذوق
اجتماع النبي صلى الله
عليه وسلم مع أصحابه
وما كانوا يسمعون
على ما بلغنا في هذا
الحديث وبأبي القلب
بقوله والله أعلم
بذلك .

في دعوى جرى بينهم مسألة في العلم والحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشد:

رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في قفن
ذكرت لقا ودعرا حالها وبكت حزنا فهاجت حزني
فيكأني ربما أرقها وبكها ربما أرقني
ولقد أشكو لها أفهما ولقد تشكو لنا ضمني
غير أني بالجو أعرفها وهي أيضا بالجو تعرفني

قال لما بقي أحد من القوم لإقام وتواجد لم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وإن كان العلم جدوا حقا . الوجه الثاني : أن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب وكما سمع أولنا عظم أثره في القلوب وفي السكرة الثانية ينصف أثره وفي الثالثة يكاد يشطأ أثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ولو أبدل بيت آخر لتحده له أثر في قلبه وإن كان مرعبا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالاضافة إلى الأول يحرك النفس وإن كان المعنى واحدا وليس بقدر القاري . على أن يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لا يمكن التزادة عليه وكله محفوظ متكرر وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويكونون قال كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا ولا تظن أن قلب الصديق رضي الله عنه كان أقوى من قلوب الأجلاف من العرب وأنه كان أخل عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرار على قلبه اقتضى للرون عليه وقلة التأثر به لما حصل له من الأثر بكثرة استماعه إذ حال في العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيكفي ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ثم يرددها ويكفي ولا يفارق الأول الآخر إلا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لغة ولكل طارئ صدمة ومع كل مأثور أنس يناقض الصدمة ولذا هم عمر رضي الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أي بأنسوا به ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا بكى وزعق وربما غشى عليه إذ وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه بأثر فاذا للمعنى قدر على الآيات القرآنية في كل وقت ولا يتدر في كل وقت على آية غريبة . الوجه الثالث : أن لوزن الكلام يذوق الشعر تأثيرا في النفس فليس الصوت لوزن الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولوزحف المعنى البيت الذي يشده أو يغنى فيه أو مال على حديثك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده ومعاها ونظر طبعه لعدم المناسبة وإذا نثر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن إذن مؤثر فلذلك طاب الشعر . الوجه الرابع : أن الشعر للوزن يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والمستناتات وإنما اختلاف تلك الطرق بقدر القصور وقصر المدود والوقف في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا الصنف جاز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أزيل قصصه ومدد والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تنضيه التلاوة حرام أو مكروه وإذا رتل القرآن كما أزيل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوما كما في الأوتار والزمارة والشاهين وسائر الأصوات التي لانهم . الوجه الخامس : أن الألحان للوزونة تعضد وتؤكد بابتاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقتيب والدف وغيره لأن الوجد الضعيف لا يستأثر إلا بسبب قوى وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير وواجب أن يسان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق

[الباب السادس]

والعشرون في خاصة

الأربينية التي

يتأهدها الصوفية [

ليس مطلوب القوم

من الأربين شيئا

محصورا لا يطلبونه في

غيرها ولكن لما

طرقهم مخالقات حكم

الأوقات أحوا تخيد

الوقت بالأربين

رجاء أن ينسحب حكم

الأربين على جميع

زمانهم فيكونوا في

جميع أوقاتهم كهمهم

في الأربين على أن

الأربين خصت بالذكر

في قول رسول الله صلى

الله عليه وسلم « من

أخلص لله أربعين

صباحا ظهرت بتابع

الحكمة من قلبه على

لسانه » وقد خص الله

تعالى الأربين بالذكر

في قصة موسى عليه

السلام وأمره بتخصيص

الأربين بمزيد مبتل

قال الله تعالى وواعدنا

موسى ثلاثين ليلة

وأعماها بشر قم

صورة اللهو والعب والقرآن جد كل عند كافة الخلق فلا يجوز أن يخرج بالحق المحض ما هو لموعند العامة وصورة صورة اللهو عند الخاصين كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها لهم بل يفتن أن يقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في جال الجانية ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال إلا الراقيون لأحوالهم فيعدل إلى القضاء الذي لا يستحق هذه الرقابة والرعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلق العرس وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس فقال «أظهروا النكاح ولو بضرب الغراب» (١) أو يلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشرح دون القرآن ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنتميم وعندها جوار يفتن فسمع إحداهن تقول وفينا نهر سلم ما في غد على وجه القضاء قال صلى الله عليه وسلم «دعي هذا وقولي ما كنت تقولين» (٢) وهذه شهادة النبوة فجزعها عنها وردها إلى التناء الذي هو لمولود لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فإذا يندثر بسببه تقوية الأسباب التي بها يصير السامع محرراً للقلب فواجب في الاحترام الدنول إلى التناء عن القرآن كأوجب على تلك الجارية الدنول عن شهادة النبوة إلى التناء . الوجه السادس : أن الفتى قد يفتن بيت لا يوافق حال السامع فيكرهه ويهناه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافق لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حاله إذ القرآن خفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال ، فآيات الرحمة شفاء الحائف وآيات العذاب شفاء للفرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فإذا لا يؤمن أن لا يوافق القروء الحلال وتكرهه النفس فيعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا إلى دفعه فلا احترام على خطر ذلك حرم بالغ وحتم واجب إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى . وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده فيه خطر الكراهة أو خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيائه عن ذلك ، وهذا ما يتفقد لى في علل انصراف الشيوخ إلى سماع التناء عن سماع القرآن . وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال : القرآن كلام الله وصفته من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الخطوط لأنسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الخطوط فإذا علقت الألحان والأصوات بما في الآيات من الاشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا كان أقرب إلى الخطوط وأخف على القلوب بلشا كلها لخلق الخلق فمادامت البشرية أفتقون بصفتنا وحظوظنا تنتم بالفتات الشجية والأصوات الطيبة فانسابنا لمشاهدة بقاء هذا الخطوط إلى القصاد أولى من انسابنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ وإليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره . وقد حكى عن أبي الحسن الدراج أنه قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه فمما دخلت الرى كنت أسأل عنه فسل من سأله عنه قال أيش تعمل بذلك الزنديق فضيقا صدرى حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جيت بهذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في الجراب وبين يديه رجل ويده مصحف وهو يقرأ فإذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلت عليه فأقبل على وقال

(١) حديث الأمر بضرب الدف في العرس تقدم في النكاح (٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يفتن الحديث البخارى من حديثها وقد تقدم في النكاح .

مفات ربه أربعين ليلة - وذلك لأن موسى عليه السلام وعد بنى إسرائيل وهم بمصر أن الله تعالى إذا أهلك عدوهم واستغفروا من أيديهم بأنهم بكتاب من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والأحكام فمما فعل الله ذلك وأهلك فرعون ، سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوما وهو ذو القعدة فمما تحت الثلاثون ليلة أنكر خوفه فقتلوا ليعود خرنوب قتالت له لللائكة كناتهم من فيك رائحة للسك ونفسته بالسوء فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة وقال له أما علمت أن خوف فم الصائم أطيب عندى من ريح السك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام

من أين أقبلت قلت من بغداد فقال وما الذي جاء بك قلت قصدتك للسلام عليك فقال لو أن في
بعض هذه البلدان قال لك إنسان أتم عندنا حتى نشترى لك داراً أو جارية أكان يصدقك ذلك عن
الجبى قلت ما امتحنني الله بشئ من ذلك ولو امتحنني ما كنت أدرى كيف أكون ثم قال لي أحسن
أن تقول عينا قلت نعم فقال هات فأنشأت أقول :

رأيتك تبني دائماً في قطيعي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما بيني
كأن بك واليت أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ اليت لا ينشئ

قال فأطبق الصحف ولم يزل يكي حتى ابتلت لحية وابتل ثوبه حتى رحمت من كثرة بكائه ثم قال يا بني
تقوم أهل الري يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الفداة أقرأ في الصحف لم تقطر من عيني
قطرة وقد قامت القيامة على هذه بين البيتين فإذا القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت
الغريب يهيج منها مالا يهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشروم ما كنهه للطيح ولكنونه مشاكلا
للطيح اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه وهو
لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لمدام ما كنهه لطيحه . وروى أن إسرائيل أسأذ في التون للصري
دخل عليه رجل فرأه وهو ينكت في الأرض بأبعيه ويترنم بيت فقال هل تحسن أن ترنم بشئ
فقال لا قال فأنت بلا قلب إشارة إلى أن من له قلب وعرف طبايعه علم أنه تحركه الأبيات والنشجات
تحريكاً لإصاف في غيرها فيشكل طريق التحريك إما بصوت شبه أو بغيره وقد ذكرنا حكم القام
الأول في فهم المسموع وتنزيه وحكم القام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب ، فلذلك الآن أثر
الوجد أعنى ما يترشح منه إلى الظاهر من صفة وبكاء وحركة وتخريق ثوب وغيره فتقول :

(القام الثالث من الباع)

نذكر فيه آداب الباع ظاهراً وباطناً وما يعمد من آثار الوجد وما يمد ، فأما الآداب فهي خمس جعل
الأول : مراعاة الزمان والمكان والآخران . قال الجنيدي : الباع يحتاج إلى ثلاثة أشياء . وإلا فلا تسمع
الزمان والمكان والآخران ومعناه أن الاشتغال في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف
من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعي حالة فراغ القلب له .
وأما للمكان فقد يكون شارعاً مطروفاً أو موضعاً كرهه الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب
ذلك . وأما الآخران فسيببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر الباع مترده الظاهر مفلس من
لطائف القلوب كان مستغفلاً في المجلس واشتغل القلب به وكذلك إذا حضر متكر من أهل الدنيا
يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرأى بالوجد والرقص وتخريق
التياب فكل ذلك مشوشات فترك الباع عند هذه الشروط أولى ففي هذه الشروط نظر المستمع .
الأدب الثاني : هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مریدون يهضم الباع فلا ينبغي أن يسمع
في حضورهم فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر والريد الذي يستضر بالباع أمد ثلاثة أعينهم درجة هو
الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق الباع فاشتغاله بالباع اشتغال بما
لا يسيه فانه ليس من أهل اللهو فليهو ولا من أهل الذوق فيتم ذوق الباع ، فليشتغل بذكر
أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه . الثاني : هو الذي له ذوق الباع ولكن فيه يقمن الحفظ
والانكشاف إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينسكس بعد انكساراً تؤمن غواثه فربما يهيج
الباع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصدّه عن الاستكمال . الثالث : أن يكون
قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته واشتدحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكن لم يحكم

بالله وأكله بالليل
بل طوى الأربعين
من غير أكل فدل على
أن خلوا للعدة من
الطعام أصل كبير في
الباب حتى احتاج موسى
إلى ذلك مستمداً لمكالة
الله تعالى والمعلوم
الدينية في قلوب
المتقنين إلى الله تعالى
ضرب من المكالة
ومن اقتطع إلى الله
أربعين يوماً غلصاً
متاهناً شبه غصة
للعدة ففتح الله عليه
العلوم الدينية كما أخبر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك غير
أن تعيين الأربعين
من للعدة قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وفي أمر الله تعالى موسى
عليه السلام بذلك
والتحديد والتقييد
بالأربعين لحكمة فيه
ولا يطلع أحد على حقيقة
ذلك إلا الأنبياء إذا
عرفهم الحق ذلك أو من
خصه الله تعالى
بتعريف ذلك من غير

ظاهر الم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فإذا فتح له باب السباع نزل السموم في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الحواطر التي هي كفر أعظم من نفع السباع . قال سهل رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السباع لئلا هذا ولأن قلبه بسلامت وجه الدنيا وجب الحمدة والتناء ولأنه يسمع لأجل اللذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسباع مزلّة قدم يجب حفظ الصفاء عنه قال الجنيد : رأيت إبليس في النوم قلت له هل تنظر من أصحابنا شيء قال نعم في وقتين وقت السباع ووقت النظر فإني إذا نظرت كيف تنظر به قال بعض الشيوخ لو رأيته أنا قلت له ما أحقك من مع منة إذ اسمع ونظر إليه إذا نظرت كيف تنظر به قال الجنيد صدقت . الأدب الثالث : أن يكون مصغيا إلى ما يقول القائل حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزا عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبته ما يفتح الله تعالى له من رحمة في سره متحفظا عن حركة تشوش على أصحابه فلوهم بل يكون ساكن للظاهر هادئ للأطراف متحفظا عن التنجس والتثاؤب ويجلس مطرقا رأسه كجلوسه في فكر مستغرق قلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والراءاة ساكنا عن الطفق في أثناء القول بكل ما عنده يد فان غلبه الوجد وحركه ينير اختيار فهو فيه ممدور غير معلوم ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه ولا ينبغي أن يستدعي حياء من أن يقال أقطع وجهه على القرب ولأنه يتواجد خفا من أن يقال هو قاسي القلب عديم الصفاء والرفقة . حكى أن شابا كان يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعم فقال له الجنيد يوما إن قلت ذلك مرة أخرى لم تصحني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعم فحكى أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشق شققة فاشتق قلبه وتلفت نفسه . وروى أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل ففرق واحد منهم توبه أوقيه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له مزل قلبك ولا تنزع ثوبك قال أبو القاسم النضر الباذي لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قول يقول خيرا لهم من أن يتناجوا فقال أبو عمرو الرياء في السباع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تقتاب ثلاثين سنة وأتوحو ذلك . فان قلت الأفضل هو الذي لا يحركه السباع ولا يؤثر في ظاهره وألذي يظهر عليه ، فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لشغف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر الكمال القوة على ضبط الجوارح فهو اكالات وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتبين للسباع مزيد تأثير وهو غاية السكأن فان صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجهه فمن هو في وجد دائم فهو الارتباط للحق وللإلزام لعين الشهود فهذا لانتيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصار تطبيق ملازمة الوجد في كل الأحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به فإذا قوة الوجد تحرك قوة العقل والتماثل فتنشط الظاهر وقد ينقلب أحدهما الآخر إما لشدة قوته وإلما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم رجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن أتم رجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السباع في بدايته ثم صار لا يتحرك قتيل له في ذلك فقال - وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء - إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملكوت

الأشياء ويوحى في سر ذلك معنى والله أعلم وذلك أن الله تعالى لما أراد أن يكون آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كأورد خرطونة آدم يده أربعين صباحا فكان آدم لما كان مستصلا لعمارة القارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه القار الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تأتي منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية مفلية بحسب قانون الحكمة في التراب كونه وأربعين صباحا خر طيبته ليعبد بالتخمير أربعين صباحا بأربعين حجابا من الحضرة الإلهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتوق به عن الحضرة الإلهية

والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة . وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة : صحبت سهل
ابن عبد الله ستين سنة فأرايته تغير عنده . كان يسمه من الذكر أو القرآن فلما كان في آخر عمره قرأ
رجل بين يديه - فاليوم لا يؤخّننكم فدية - الآية فرأيته تدارعده وكاد يسقط فعاذ إلى حاله سأله
عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضننا وكذلك مع مرة قوله تعالى - للكم يومئذ خلق الرحمن - فاضطرب
فسأله ابن سالم وكان من أصحابه قال قد ضنفت قليله فأن كان هذان الضف فافقوا الحال قال أن
لا يرد عليه وارد إلا وهو يلقيه بقوة حاله فلا تفره الواردات وإن كانت قوية وسبب القدرة على ضبط
الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بلازمة الشهود كما حكى عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال
حاشي قبل الصلاة وبدها واحدة لأنه كان مراعيًا للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال فكذلك
يكون قبل السجدة وبدها واحدًا دائمًا وعطشه متصلًا وشربه مستمرًا بحيث لا يؤثر السبع
في زيادته كما روي أن عمشاد الدينوري أشرف على جماعة فيهم قالوا فسكنوا قال أرسوا إلى ما كنتم فيه
فلو جئت ملاهي الدنيا في أذني ما شغلني ولا شيء بضم ما . وقال الجليل رحمه الله تعالى لا يضر نقصان
الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أنم من فضل الوجد فإن قلت هذا لم يحضر السبع فاعلم أن من
هؤلاء من ترك السبع في كبره وكان لا يحضر إلا نادرا لمساعدة أخ من الإخوان وإدخلا للسرور على
قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيطمون أنه ليس السكالك بالوجد الظاهر فيطمون منه ضبط
الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به في سرورته بعالمهم وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء
جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون مع غيرهم مع غير جنسهم
بأسباب عارضة تقتضي الجلوس معهم وبضهم نقل عنه ترك السبع ويظن أنه كان سبب تركه استثناءه
عن السبع بما ذكرناه . وبضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السبع ولا كان من أهل اللهو
فتركه لتلا يكون مشغولا بما لا ينيه وبضهم تركه لفقد الإخوان . قيل لبضهم لم اتسع قال نعم
ومع من . الأدب الرابع : أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن
رقص أو تاباكي فهو مباح إذا لم يقصد به للرأفة لأن التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في
تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة
رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرقون^(١) هذا لفظ عائشة رضي الله
عنها في بعض الروايات وقد روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا لما ورد عليهم سرور
أوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة
رضي الله عنهم فقتلوا حتى ترضيت قال صلى الله عليه وسلم لعلي « أنت مني وأنا منك فاجعل علي وقال
لجعفر أشبهت خلقي وخلق فاجعل وراعي علي » وقال زيد أنت أخونا ومولانا فاجعل زيد وراعي علي
جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لأن خالتها اخته والحالة بالهـ^(٢) وفي رواية أنه قال لعائشة رضي
الله عنها « أعجبين أن تنظري إلى زفن الحبشة » والزفن والحبل هو الرقص وذلك يكون لفرح أو
شوق فحكمه حكم مهيجه إن كان فرحه محمودا والرقص يزيد ويؤكده فهو محمود وإن كان مباحا
فهو مباح وإن كان مذموما فهو مذموم نعم لا يلحق اعتياد ذلك بمناسب الأكار وأهل القدوة لأنه

وموطن القرب إذ لولم
يتحقق بهذا الحجاب
ما حمرت الدنيا فاضل
الوجد عن مقام القرب
فيه لمارة عالم الحكمة
وخلافة الله تعالى في
الأرض فالتبتل لطاعة
الله تعالى والاقبال
عليه والانتزاع عن
التوجه إلى أمر الماشي
بكل يوم يخرج عن
حجاب هو معنى فيه
مودع وعلى قدر زوال
كل حجاب يتجذب
ويتخذ منزلا في
القرب من الحضرة
الإلهية التي هي مجمع
العلوم ومصدرها فإذا
تمت الأربون زالت
الحجب وانصبت إليه
العلوم والمعارف انصبأ
ثم العلوم والمعارف هي
أعيان اقلبت أنوارا
بانصال اكسير نور
الظلمة الإلهية بها
فاقلبت أعيان حديث
النفس علوما إلهامية
وتصدت أجرام حديث
النفس لقبول أنوار
الظلمة فلولوا وجود

(١) حديث نظرت عائشة إلى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرقون تقدم في
الباب قبله (٢) حديث اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي أنت مني وأنا
منك فاجعل علي وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فاجعل الحديث
أبو داود من حديث علي بن إسناد حسن وهو عند البخاري دون فاجعل .

في الآ كثر يكون عن لمو ولعب وماله صورة اللب والهب في عين الناس فينبغي أن يجنبه القندي به
 ثلاثين في عين الناس فيترك الانتداء به . وأما عزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن
 الاختيار ولا يمد أن يلب الوجد بحيث يزق ثوبه وهو لا يدري لقلبة سكر الوجد عليه أو يدري
 ولكن يكون كالمنظر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة للكفر إذ يكون له
 في الحركة أو التزريق متنفس فيضطر إليه اضطرار المريض إلى الأئين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه
 مع أنه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالإرادة
 ولو كلف الإنسان أن يسلك النفس ساعة لا يضطر من بطنه إلى أن يختار التنفس فكذلك الزعة
 وعزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم قد ذكر عند السرى حديث الوجد الحاد
 الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد أن ينتهي إلى هذا الحد فأصر
 عليه ولم يرجع ومعناه أنه في بعض الأحوال قد ينتهي إلى هذا الحد في بعض الأشخاص . فان قلت فلتقول
 في عزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفرار من السباع فانه يزقونها قطعا صفرا
 ويغرقونها على القوم ويسمونها الحرقه . فاعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعا مربة تصلح لترقيق الثياب
 والسجادات فان السكرباس عزق حتى يحاط منه القميص ولا يكون ذلك قضيا لأنه تمزق لفرس
 وكذلك ترقيق الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصغار وذلك مقصود والفرقة على الجميع ليم ذلك الخير
 مقصود مباح ولكل مالك أن يقطع كراسه مائة قطعة ويطبخها مائة مسكين ولكن ينبغي أن تكون
 القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها في الرقاق وإنما منعا في السباع التزيق للفسد للثوب الذي يهلك بضمه
 بحيث لا يبق متغافه فهو تنصيص محض لا يجوز بالاختيار . الأدب الخامس : موافقة القوم في القيام
 إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له
 الجماعة فلا بد من للواقفة فذلك من آداب الصعبة وكذلك إن جرت عادة طائفة بتعبية العامة على
 موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالواقفة في هذه
 الأمور من حسن الصعبة والعشرة إذا لمخالفة موحشا ولكل قوم رسم ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم (١)
 كأورد في الخبر لاسيا إذا كانت أخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطبيب القلب بالمساعدة وقول
 القائل إن ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة رضي الله عنهم
 وإنما المنذور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل النبي عن شيء من هذا والقيام عند الدخول
 للدخول لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض
 الأحوال (٢) كأورد أنس رضي الله عنه ولكن إذا لم يثبت فيه شيء عام فلا يري به بأس في البلاد التي جرت
 العادة فيها بأكرام الداخل بالقيام فإن القصد منه الاحترام والاكرام وتطبيب القلب به وكذلك سائر
 أنواع المساعدات إذا قصد بها تطبيب القلب واصطلاح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن
 المساعدة لإفناء ورد فيه شيء لا يقبل التأويل ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستقل
 رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم إذا الرقص من غير إظهار التواجد مباح والتواجد هو الذي يبلو للجمع
 منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لانتساقه الطباع قلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب
 حرك للصدق والتكلف . مثل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال سمعت قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا

(١) حديث مخالفة الناس بأخلاقهم الحاكم من حديث أبي ذر خاتوا الناس بأخلاقهم الحديث قال
 صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث كانوا لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
 الأحوال كأرواه أنس تقدم في آداب الصعبة .

النفس وحديثها
 ما ظهرت العلوم الإلهية
 لأن حديث النفس
 وعاء وجودي قبول
 الأنوار وما للقلب في
 ذاته لقبول العلم شيء
 وقول رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وظهرت
 بتأسيح الحكمة من
 قلبه على لسانه وأشار
 إلى القلب باعتبار أن
 القلب وجهه إلى النفس
 باعتبار توجهه إلى عالم
 الشهادة وله وجه إلى
 الروح باعتبار توجهه
 إلى عالم الغيب فيستمد
 القلب العلوم للكونة
 في النفس وغرجهما
 إلى اللسان الذي هو
 ترجمانه فظهر العلوم
 من القلب لأنها متأصلة
 فيه فقل للقلب والروح
 مراتب من قرب اللهم
 سبحانه وتعالى فوق
 رب العالمين فالبند
 باق طاعة إلى الله تعالى
 واعتزال الناس يقطع
 مسافات وجوده
 ويستنبط من معدن
 نفسه جواهر العلوم

أشكلا غير أضداد . فإن قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل وهو
 ومخالف للدين فلا يراه ذوحد في الدين إلا ويسكره . فاعلم أن الجدل لا يزيد على جد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقد رأى الحبشة يرقون في المسجد وما أنكره لما كان في وقت لائق به وهو العيد ومن
 شخص لائق به وهم الحبشة نعم فرة الطباع عنه لأنه يرى غالباً مقرونا باللهو واللب واللهو واللب مباح
 ولكن للعوام من الزوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه الدوى المناسب لأنه لا يليق بهم وما كره
 لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم فمن سأل فقيراً شيئاً فأعطاه رغبنا
 كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكاً فأعطاه رغبنا أو رغبين لكان ذلك منكراً عند الناس
 كافة ومكروباً في تواريخ الأخبار من جملة مساويه وبغيره أعقاباً وأشياء مع هذا فلا يجوز أن يقال
 ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى خبزاً للفقير حسن ومن حيث إنه بالإضافة إلى منصبه كالنعم بالإضافة
 إلى الفقير مستحب فكذلك الرقص وما يجري مجراه من اللباعات ومباحات العوام سيئات الأبرار
 وحسنات الأبرار سيئات القرين ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناسب وأما إذا نظر إليه في نفسه
 وجب الحكم بأنه هو في نفسه لا يحرم فيه والله أعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن ألباح قد
 يكون حراماً محضاً وقد يكون مباحاً وقد يكون مكروهاً وقد يكون مستحباً أما الحرام فهو لا أكثر الناس من
 الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السباع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات
 للذمومة وأما المكروه فهو لمن ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذ عادة له في أكثر الأوقات على
 سبيل اللهو وأما الباح فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما المستحب فهو لمن غاب عليه
 حب الله تعالى ولم يحرك السباع منه إلا الصفات المحمودة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تفتح الكتب إلا بحمده . ولا تستمتع النعم إلا ببواسطة كرمه ورفده . والصلاة
 على سيد الأنبياء محمد رسول الله وعبد . وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده .
 [أما بعد] فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين . وهو اللهم الذي يمتثل له
 النبيين أجمعين . ولو طوى بساطه وأهمل عمله وعمله تمتطت النبوة والتمجحت العبادة وعمت الفترة
 وقست الضلالة وشاعت الجهالة واستفترى الفساد واتسع الحرق وخربت البلاد . وهلك العباد . ولم يشعروا
 بالهلاك إلا يوم الناد . وقد كان الذي خفنا أن يكون . فإن الله وإن أليماً راجعاً . إذ قد اندرس من هذا
 القطب عمله وعلمه . وانحرق بالكلية حقيقته ورحمه . فاستولت على القلوب مدهانة الخلق وانجحت
 عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم . وعز على بساط الأرض
 مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم . فمن سمى في تافه هذه الفترة وسد هذه التلة بما متكفلاً
 بعملاً أو متقلداً لتفنيدها مجدداً لهذه السنة الدائرة هاضماً بأعبائها ومتشعراً في إحيائها كان مستأثراً
 من بين الخلق بأحياء سنة أفضى الزمان إلى إيمانها . ومستبداً بقربة تضائل درجات القرب دون
 ذروتها . وهأنحن نشرح علمه في أربعة أبواب . الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي
 عن المنكر وقضيته . الباب الثاني : في أركانه وشروطه . الباب الثالث : في مجاريه وبيان

وقد ورد في الحديث
 « الناس معادن كمدن
 الذهب والنفضة خيارهم
 في الجاهلية خيارهم في
 الإسلام إذا فقهوا »
 ففي كل يوم بإخلاصه
 في العمل لله يكشف
 طبقة من الطباق
 الترابية الجبلية للعبدة
 عن الله تعالى إلى أن
 يكشف باستكمال
 الأربعين أربعين طبقة
 في كل يوم طبقة من
 أطباق حجابيه وآية
 صحة هذا البيدوعلامه
 تأثره بالأربعين ووفاته
 بشروط الاخلاص أن
 يزهد بعد الأربعين في
 الدنيا ويتجافى عن
 دار القربور وينيب إلى
 دار الخلود لأن الزهد
 في الدنيا من ضرورة
 ظهور الحكمة ومن
 لم يزهد في الدنيا
 ما نظر بالحكمة ومن
 لم ينظر بالحكمة بعد
 الأربعين تبين أنه قد
 أخل بالشروط ولم
 يخلص لله تعالى ومن
 لم يخلص لله ما عبد

(كتاب الأمر بالمعروف)

الشكرات للوفيق العادات . الباب الرابع : في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .
(الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)
وفضيلته واللمعة في إجماله وإيضاحه)

ويدل على ذلك إجماع الأمة على إشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار . أما الآيات :
قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم
الفلحون - ففي الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى ولتكن أمر وظاهر الأمر الإيجاب وفيها بيان أن
الفلاح منوط به إذ حصر وقال وأولئك هم الفلحون وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا
قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم أمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم
أمة فإذا محما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالتابعين به للبشرين
وإن تشاهد عنه الخلق أجمعون هم المخرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى - ليسوا سواء من أهل
الكتاب أمة فآمة تنزلت آيات الله أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين - فلم يهملهم الصلاح بمجرد
الآيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى - وللمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة - فقد نفت
للمؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالدلي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
خارج عن هؤلاء المؤمنين للمؤمنين في هذه الآية ، وقال تعالى - لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
لبئس ما كانوا يفعلون - وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم لعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال عز
وجل - كنت خيرا مما أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى - فلما نسوا
ما ذكروا به آجبنا الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بذيبيس بما كانوا يفسقون - فبين
أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن سوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا . وقال تعالى - الذين إن مكناهم
في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - قهرن ذلك بالصلاة
والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
والعدوان وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب
الامكان وقال تعالى - لولا ينهم الرابنيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السبت لبئس ما كانوا
يصنعون - فبين أنهم أئموا بترك النهي وقال تعالى - فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون
عن الفساد في الأرض - الآية فيبين أنه أهلك جميعهم لإقتيلهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى
- يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين باسقط عهداء لله ولعلى أنفسكم أو الودين والأقربين - وذلك هو
الأمر بالمعروف للو الدين والأقربين وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلامن أمر صدقة أو معروف
أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما - وقال تعالى
- وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما - الآية والإصلاح نهى عن البغي وإعادة إلى الطاعة
فان لم يفعل قد أمر الله تعالى بمثاله قتال - فقاتلوا التي تبغى حتى تنفي* إلى أمر الله وذلك هو النهي عن
المنكر . وأما الأخبار : فيها ما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها :

(الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف)

الله لأن الله تعالى
أمرنا بالإخلاص كما
أمرنا بالعدل فقال
تعالى - وأما إجماع
ليبدوا الله عخصين به
الدين - أخبرنا الشيخ
طاهر بن أبي الفضل
إجازة قال أنا أبو بكر
أحمد بن خلف إجازة
قال أنا أبو عبد الرحمن
السلي قال أنا
أبو منصور الضبي قال
ثنا محمد بن أنس
قال ثنا حفص بن
عبد الله قال ثنا إبراهيم
ابن طهمان عن عاصم
ابن زر عن صفوان
ابن عسال رضي الله
عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إذا
كان يوم القيامة يجيء
الإخلاص والشرك
يجتوان بين يدي الرب
عز وجل ، فيقول
الرب للإخلاص انطلق
أنت وأهلك إلى الجنة
ويقول للشرك انطلق
أنت وأهلك إلى النار
وبهذا الاستناد قال
السلي صحت على بن

سعيد وسألته عن
 الاخلاص ماهو قال
 سمعت ابراهيم الشفيق
 وسألته عن الاخلاص
 ماهو قال سمعت محمد
 ابن جعفر الحفاف
 وحالته عن الاخلاص
 ماهو قال سألت أحمد
 ابن بشار عن الاخلاص
 ماهو قال سألت أبا
 يعقوب التروطى عن
 الاخلاص ماهو قال
 سألت أحمد بن غسان
 عن الاخلاص ماهو
 قال سألت أحمد بن
 على المجيبى عن
 الاخلاص ماهو قال
 سألت عبد الواحد بن
 زيد عن الاخلاص
 ماهو قال سألت الحسن
 عن الاخلاص ماهو
 قال سألت حذيفة عن
 الاخلاص ماهو قال
 سألت النبي صلى الله
 عليه وسلم عن
 الاخلاص ماهو قال
 سألت جبريل عليه
 السلام عن الاخلاص
 ماهو قال سألت رب
 العزة عن الاخلاص

أبها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم (١)
 لا يضركم من ضل إذا هتدتم - وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من قوم عملوا
 بالمعاصي وفهم من قدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يتمهم الله بعذاب من عنده » وروى عن
 أبي ثعلبة الحنفي « أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا هتدتم (٢) - فقال
 يا أيها ثعلبة مر بالمعروف وانهن عن المنكر فإذا رأيت شعرا معاظنا هو ميثابا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل
 ذي رأى برأيه فليكن بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم فتنا كقطع الليل الظلم للتمسك فها
 بمنزل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم قول بل منهم يارسول الله قال لا يضركم لأنكم تجدون على الخير
 أعوانا ولا تجدون عليه أعوانا » وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس
 زمانها إنما اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرن بالمعروف بضعن بكم كذا وكذا
 وتقولون فلا يقبل منكم حينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا هتدتم - وقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم « تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو بخيركم فلا يستجاب
 لهم (٣) » معناه تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس
 إن الله يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم (٤) » وقال صلى الله
 عليه وسلم « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى - وما جميع أعمال البر والجهاد
 في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجى (٥) » وقال عليه أفضل
 الصلاة والسلام « إن الله تعالى ليسأل العبد مامنهك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد
 حجه قال رب وقتت بك وقرت من الناس (٦) » وقال ﷺ « إياكم والجلوس على الطرقات قالوا
 ما لنا يا إماما في مجالسنا تحدث فيها قال فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق
 قال غرض البصر وكف الأذى ورد السلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧) » وقال صلى الله
 عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أودكر الله تعالى (٨) »

(١) حديث أبي بكر أبها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا
 عليكم أنفسكم - الحديث أصحاب السنن وتقدم في الدلالة (٢) حديث أبي ثعلبة أنه سأل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا هتدتم - الحديث أبو داود والترمذى وحسنه
 وابن ماجه (٣) حديث لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو
 بخيركم فلا يستجاب لهم البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة
 وكلاهما ضعيف والترمذى من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال أو يوشك أن يتم الله عليكم عقابا منه
 ثم تدعوه فلا يستجيب لكم قال هذا حديث حسن (٤) حديث يا أيها الناس إن الله سبحانه يقول
 لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم أحمد والبيهقي من حديث
 عائشة بنلفظ مروا وأما هو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي إسناده لين (٥) حديث
 ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى - ورواه أبو منصور الديلمي في مسند
 الفردوس مقتصرا على الشطر الأول من حديث جابر بسند ضعيف وأما الشطر الأخير فرواه على
 ابن معبد في كتاب الطاعة والعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسل أو معضل ولا أدري من يحيى
 ابن عطاء (٦) حديث إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره الحديث
 ابن ماجه وقد تقدم (٧) حديث إياكم والجلوس على الطرقات الحديث متفق عليه من حديث أبي
 سعيد (٨) حديث كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن المنكر الحديث تقدم في العلم .

ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها^(١) » ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه فأما المحصور فقد امتنع بدليل الحديث الأول . وقال ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى فيمكث التي بين أظهرهم ماشاء الله تعالى يسئل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيه فإذا اقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس الناس يقولون ما يسمعون ويسمعون ما يسمعون فإذا رأيتهم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم يده فإن لم يستطع فليسلنه فإن لم يستطع فليقلبه وليس وراء ذلك إسلام^(٢) » وقال ابن مسعود رضى الله عنه كان أهل قرية يعملون بالماشى وكان فيهم أربعة يهرسكرون ما يعملون فقام أحدهم فقال إنكم تعملون كذا وكذا فيجعل فيهم وبغيرهم فيسبهم ما يسمعون فجلسوا ردون عليه ولا يعرفون عن أعمالهم فسيبهم فسبوه وقتلهم فقتلوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وشيبتهم فسبوني وقتلتهم فقتلوني ثم ذهب ثم قام الآخر قتلهم فلم يطيعوه فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وشيبتهم فسبوني وقتلتهم فقتلوني ثم ذهب ثم قام الثالث قتلهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لقتلوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم إني لو نهيتهم لصوبوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لقتلوني ثم ذهب قال ابن مسعود رضى الله عنه كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما « قيل يا رسول الله أهلك القرية فوفيا الصالحون ؟ قال : نعم قيل يا رسول الله قال بهاوتهم وسكوتهم على معاصي الله تعالى ؟ » وقال جابر ابن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا إن حصك طرفة عين قال اقلبا عليه وعليهم فان وجهه لم يتغير ساعة قط^(٣) » وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا معلم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يعضون فقه ولا يأمررون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر^(٤) » وعن عروة عن أبيه قال : قال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب أى عبادك أحب إليك قال الذى يتسرع إلى هواى كما يتسرع النسر إلى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبي بالذى والذى يضرب إذا أتيت محارمى كما يضرب النمل لنفسه فان النمل إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسية مع شدة الخوف وقال أبو ذر الغفارى

(١) حديث أبي هريرة من حضر معصية فكرها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها رواه ابن عدى وفيه يحيى بن أبي سليمان قال البخارى منكر الحديث (٢) حديث ابن عباس مسعود ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى الحديث روى مسلم نحوه (٣) حديث ابن عباس قيل يا رسول الله أهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل لم يارضون الله قال بهاوتهم وسكوتهم عن معاصي الله البزار والطبرانى بسند ضعيف (٤) حديث جابر أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا الحديث الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار (٥) حديث عائشة عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا معلم عمل الأنبياء لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعاني أوحى الله إلى يوشع بن نون إن مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يعضوا لعضي فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم

وتنجذب النفس إلى ذلك وهذا أم وأكل وأدلى على كمال الاستعداد . وقد روى من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب الملا قال أخبرنا الحافظ أبو القاسم اسمعيل ابن أحمد القرى قال أنا جعفر بن الحسكاه للكنى قال أنا أبو عبد الله الصنعاني قال أنا أبو عبد الله البغوى قال أنا اسمعيل الديرى قال أنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت « أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب إليه الحلاء فكان

وبيناهم وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إن هلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم ينجسوا لضيوع أكلهم وشاربهم وقال بلال بن سعد : إن النسيئة إذا أخفيت لم تقصر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أضررت بالعامه ، وقال كعب الأجيال لأبي مسلم الحولاني كيف منزلتك من قومك ؟ قال حسنة . ذك كعب إن التوراة لتقول غير ذلك . قال وما تقول ؟ قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ، وكان عبداً بن عمر رضى الله عنهما يأتي العمال ثم قعد عنهم فقبل له لو أنيتهم فلعلهم يجحدون في أنفسهم فقال أرحب إن تكلمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي وإن سكنت رهبت أن آثم وهذا يدل على أن من يحجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك للوضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشاهدته ، وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ما قبلون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بالأسلحة ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب للمعروف ولم يشكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوش الزمان فهو بمن قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، معناه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأتكر أحوال الغير بقلبه قد جأ به ما هو الغاية في حقه ، وقيل للفضيل الأناصري ونهى ؟ قال إنوما أمروا ونهوا ففكروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصيبوا ، وقيل للثوري الأناصري بالمعروف ونهى عن المنكر فقال إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكرك قد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وأن فرضه لا ينقطع مع القدرة لا القيام قائمه به فلذلك الآن شروطه وشروط وجوبه .

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط .

(الركن الأول المحتسب)

وله شروط هو أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والمأجور ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الفاسق والريق والمرأة ، فلذلك كرجوه اشتراط ما اشتراطه ووجه اطراح ما اطرحناه . أما الشرط الأول : وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب فإمكان الفعل وجواز . فلا يستدعي إلا العقل حتى إن الصبي المراهق للبلوغ للمعز وإن لم يكن مكلفاً فله إنكار المنكر وله أن يريق الحجر ويكسر اللهاية وإذا فعل ذلك نال به ثواباً ولم يكن لأحد منه من حيث إنه ليس بمكلف فان هذه قرينة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفضل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكلها يستفاد بمجرد الإيمان كقتل الشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته فان للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستغربه فالنعم من الفسق كالمنع من السكر . وأما الشرط الثاني : وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوه له . وأما الشرط الثالث : وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب ، وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى - أأمرهم الناس بالبر وهمون أنفسهم -

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

قد خشيت على عقلي
فقلت كلا أغير فوالله
ما يغريك الله أبداً
إنك لتسلسل الرحم
وتصدق الحديث
وتعمل الكفر وتكسب
للدوم وتقرى الضيف
وتعين على نواب الحق
ثم انطلقت به خديجة
رضي الله عنها حتى أتت
به ورقة بن نوفل
وكان امرأاً تنصر في
الجاهلية وكان يكتب
الكتاب العبراني
فيكتب من الإنجيل
بالعبرانية ما شاء الله أن
يكتب وكان شيخاً
كثيراً قد غمى فقالت
له خديجة يا عم اصنع
من ابن أخيك فقال
ورقة يا ابن أخي ماذا
ترى فأخبره الخبر
رشول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
هذا هو الناموس
الذي أزل على موسى
يا ليتني فيها جذعاً ليتني
أكون جباراً يخرجك
قومك فقال رسول الله

وقوله تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون - وبما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «مرت ليلة أسرى في قوم تفرض شفاههم بمقاريض من نار قللت من أتم فقالوا كئنا نمر بالخير ولا تأتاه ونهي عن الشر» وأتاه (١) «وبما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم عظم نفسك فإن اتفقت ففظ الناس وإلا فاستحي مني» وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاعتداء وكذلك تقوم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس صالح في نفسه فكيف يصلح غيره ومضى يستقيم الظل والعود أعوج وكل ما ذكره خيالات وإنما الحق أن لفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن قول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فإن شرط ذلك فهو خرق للأجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ عصمة للصحة فضلا عن ذنوبهم والأنبيا عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى العصية وكذا جماعة من الأنبياء ، ولهذا قال سعيد بن جبير : إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا ما لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فأعجب ما لك ذلك من سعيد ابن جبير وإن زعموا أن ذلك لا يشترط على الصغار حتى يجوز للأبليس الحرير أن يمنع من أن لا تشرب الخمر فنقول : وهل لشارب الخمر أن ينز والكفار ويحتسب عليهم بالمتع من الكفر فإن قالوا لا ، خرقوا الأجماع إذ جنود المسلمين لا ينزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وطالم الأيمان ولمنعوا من النزول لاق عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فإن قالوا نعم فنقول : شارب الخمر هل له الثلج من القتل أم لا فإن قالوا لا قلنا الفرق بينه وبين لا يشرب الخمر إذ جازله للنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشر كالتشرب بالنسبة إلى لبس الحرير فلا فرق ، وإن قالوا نعم فصاروا الأمريه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحك فانه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزاني من الشراب بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلامه وخدمه من الشراب ويقول يجب في الانتهاء والهي فمن أين يلزم من المصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثاني وإذا كان النهي واجبا على من أين يسقط وجوبه بالبداهة إذ يستحيل أن يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فإذا شرب سقط عنه النهي . فان قيل فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأنما أتوضأ وإن لم أصل وأنسحر وإن لم أصم لأن للتعجب على السحور والصوم جميعا ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر فكذلك تقوم الغير مرتب على تفرعه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يقول . والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ولا إصلاح النفس لإصلاح الغير فالقول بترتيب أحدهما على الآخر تحك ، وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤذيا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الصلاة والوضوء جميعا فليكن من ترك النهي والانشاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينه كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة . وأما المحبة فليست شرطا في الانتهاء والانتهاز فلا مشابهة بينهما . فان قيل فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب في أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة في الزنا وغتارة في كشف الوجه لغير محرم وهذا غير محرم لك فاسترى وجهك فهذا احتساب شنيع يستكره قلب كل عاقل ويستنهمه كل طبع سليم . فالجواب أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والتبع

(١) حديث مرت ليلة أسرى في قوم تفرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث تقدم في العلم .

صلى الله عليه وسلم
أخرجني ثم قال ورقة
نم إنه لم يأت أحد قط
بما جئت به إلا عودي
وأودي وإن بدركني
يومك أنصرك نصرا
مؤزرا وحدث جابر
ابن عبد الله رضي الله
عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وهو يحدث عن قرة
الوحي فقال في حديثه
« فيئنا أنا أنسي سمعت
صوتا من السماء فرصت
رأسي فإذا الملك الذي
جاءني بحراء جالس
على كرسي بين السماء
والأرض فجئت منه
ربعا فرجعت قللت
زملوني زملوني
فدثروني فأنزل الله
تعالى - يا أيها المدثر
فأنذر - إلى والجز
فاهجر - وقد قل أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذهب مرارا
كي يردى نفسه من
شواقي الجبال فكيف
وفي ذروة جبل لكي
يلقي نفسه منه تبدي له

الدليل دون خرة الأوهام والخيالات فأتاحول قوله لها في تلك الحالة لا تنكشف وجهك واجب أو مباح أو حرام فإن علم إنعواجب فهو الفرض لأن الكشف مصيبة والنهي عن العصبية حق وإن قلتم إنه مباح فإذن له أن يقول ما هو مباح فامتنع قولكم ليس ففاسق الحسبة وإن قلتم إنه حرام فنقول كان هذا واجبا فمن أين حرم بالقدم على الزنا ومن التريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر وأما خرة الطباع عنه واستنكارها له فهو ليسين : أحدها أنه ترك الأهم واعتقل بما هو مهم وكما أن الطباع تنفر عن ترك الله إلى ما لا يعني فتفر عن ترك الأهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عن من يتحرج عن تناول طعام منصوب وهو مواظب على الريا وكما تنفر عن من يتعاون عن التوبة ويهد بالزور لأن الشهادة بالزور أغشى وأشد من التوبة التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه الخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على أن ترك التوبة ليس بواجب وأنه لو اغتاب أو أكل لعمتنع حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الآخرة من مصيبته أكثر من ضرره من مصيبة غيره فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر في الطبع من حيث إنه ترك الأكثر لامن حيث إنما بالأقل فمن غضب فرسه ولبام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك القرس حرث عنه الطباع ويرى مسيئا إذا قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكرك ولكن للشكر تركه لطلب القرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه وترك الأهم بما دونه فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث إنها حسبة مستنكرة . الثاني أن الحسبة تارة تكون بالتهى بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا ينطق أولا ونحن نقول من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعم الناس يفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ إذ لا فائدة في وعظه فالتسقي يؤثر في إسقاط فائدة كلامه ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فأما إذا كانت الحسبة بالمعصية فالمراد منه القهر وتوهم القهر أن يكون بالقهر والجمعة جميعا وإذا كان فاسقا فإن قهره بالقهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له فأنت لم تقدم عليه فتفر الطباع عن قهره بالقهر مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج القهر عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن السلم عن كونه حقا فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا ينطق وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفتنى إلى تطويل اللسان في عزمه بالانكار فنقول ليس له ذلك أيضا فخرج الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظ بطل بالحق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها إذا قدر وهذا غاية الانصاف والكشف في السئلة وأما الآيات التي استدلو بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لامن حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم أهمل لأنه لا عدل له مع قوة علمه وقوله تعالى - لم تقولون مالا تفعلون - الرد به الوعد الكاذب وقوله من وجل - وتؤمنون أضحك - إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لامن حيث إنهم أمروا وغيرهم ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيذا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عطف نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجديوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي من لا يدل على تحريم وعظ النصير بل مضاء استحي من فلا ترك الأهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحي . فان قيل فليجز لك الفاعل أن يحسب على السلم إذا رآه يزنى لأن قوله لا من حق في نفسه فمحال أن يكون حراما عليه بل ينبغي أن يكون مباحا

جبرائيل عليه السلام
 فقال يا محمد إنك
 لرسول الله حفافيسكن
 لذلك جاشمو إذا طالت
 عليه قرة الوحي عاد
 لئلا ذلك فينبى له
 جبريل يقول له مثل
 ذلك فهذه الأخبار
 النبتة عن بدء أمر
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هي الأصل
 في إظهار الشايخ الحفوة
 للرديدن والطالبيين
 فاتهم إذا أخلصوا الله
 تعالى في خلواتهم يفتح
 الله عليهم ما يؤنسهم في
 خلوتهم بموضا من الله
 إليهم عما تركوا لأجله
 ثم خلوة القوم مستمرة
 وإنما الأربصون
 واستنكارها له أثر
 ظاهر في ظهور مبادئ
 بشائر الحق سبحانه
 وتعالى وصون مواهبه
 السنية .
 [الباب السابع
 وانحشرون في ذكر
 فتوح الأربينية]
 وقد غلط في طريق
 الحفوة والأربينية

أو واجبا . فلما الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تساطع عليه فيمنع من حيث إنه تساطع وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سيلا . وأما مجرد قوله لاتزن فليس بحرم عليه من حيث إنه نهى عن الزنا ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والفاقد يستحق الإذلال ولكن لامن الكافر الذي هو أولى بالدل منه فهذا وجه منعا إياه من الحسبة وإلا فلما قول إن الكافر يعاقب بسبب قوله لاتزن من حيث إنه نهى بل قول إنه إذا لم يقل لاتزن يعاقب عليه إيرادنا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفينا في الفقيها ولا يبق بضرنا الآن . الشرط الرابع : كونه مأذونا من جهة الإمام والوالى فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا لأحد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فإن الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى إذ يجب عليه أن يراه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لأسأله والسبب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام للصوم وهو الإمام الحق عندهم وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم أن يقال لم إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم في دماهم وأموالهم إن نهرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهى عن النكر وطالبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان التي عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج . فان قيل في الأمر بالمعروف إثبات سلطة ولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على السلم مع كونه حقا فينبغي أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا تفويض من الولي وصاحب الأمر . فتقول أما الكافر فمنع لما فيه من السلطة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على السلم وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطة والاحتكام لا يجوز إلى تفويض كثر التسلط والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على النكر بهجه لا يحتاج إلى إذن الوالى وفيه عز الإرشاد وعلى التعريف ذلك التجبيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك التي . وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كسيأتي أولها التعريف . والثاني الوعظ بالكلام اللطيف . والثالث السب والتنبيه ولست أعني بالسب الفحش بل أن يقول لجاهل بأحق أن يخاف الله ما يجري هذا المجرى . والرابع التبع بالهتف بطريق البشارة ككسر اللهاى وإراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابه واستلاب الثوب المنسوب منه ورده على صاحبه . والخامس التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمنع عما هو عليه كالواظب على التوبة والقذف فإن سلب لسانه غير ممكن ولكن يعمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يجوز إلى استماتة وجمع أعوان من الجانبين ويجز ذلك إلى قتال وسائر الراتب لا يخفى وجه استغنائه عن إذن الإمام إلا للرتبة الخامسة فإن فيها نظرا سيأتي أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام . وأما التجبيل والتعقيب والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر^(١) كما ورد في الحديث فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه وكذلك كسر اللهاى وإراقة الخمر فإنه تعالى ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يقتصر إلى الإمام وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يخرج إلى فتنة عامة فقيه نظر سيأتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاية

(١) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث

أبي سعيد الخدرى .

قوم وحرفوا الكرم
عن مواضع ودخل
عليهم الشيطان
وفتح عليهم بابا
من القنور ودخلوا
الحلوة على غير أصل
مستقيم من تأدية حق
الحلوة بالإخلاص
وصموا أن الشايخ
والصوفية كانت لهم
خلوات وظهرت لهم
واقع وكوشوا بمراتب
وعجائب فدخلوا الحلوة
لطلب ذلك وهذا عين
الاضلال وحسن
الضلال وإنما القوم
اخاروا الحلوة
والوحدة لسلامة الدين
وتفقد أحوال النفس
وإخلاص العمل لله
تعالى . قل عن أبي
عمرو الأنطاطى أنه قال
لن يصوفه عاقل فهم
الأخير إلا بإحكامه
ما يجب عليه من
إصلاح الحال الأول
والوطن التي ينبغي أن
يسرف منها أمراده هو
أم متعص قفله أن
يطلب مواضع الحلوة

لكن لا يارضه شاغل
 فيسند عليه ما يريد .
 أنبأنا طاهر بن أبي
 الفضل إجازة عن أبي
 بكر بن خلف إجازة قال
 أنبأنا أبو عبد الرحمن
 قال سمعت أبا عبد الرحمن
 يقول من اختار الحلو
 على الصعبة فينبغي أن
 يكون خاليا من جميع
 الأفكار لإلا ذكر به
 عز وجل وخاليا من
 جميع الرغبات لإلزام
 ربه وخاليا من مطالبة
 النفس من جميع
 الأسباب فإن لم يكن
 بهذه الصفة فإن خلوته
 توفيه في فتنة أو بلية .
 أخبرنا أبو زرعة إجازة
 قال أنا أبو بكر إجازة
 قال أنا أبو عبد الرحمن
 قال سمعت منصورا
 يقول سمعت محمدا بن
 حاتم يقول جابر رجل
 إلى زيارة أبي بكر
 الوراق وقال له أوصني
 فقال وجدت خير الدنيا
 والآخرة في الخلوة والقلعة
 ووجدت شرها في
 السكرة والاختلاط

قاطع بأجمعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضيا به فذاك وإن كان ساهطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه في الانكار عليه وبطل على ذلك عادة السلف في الانكار على الأئمة كما روى أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل إنما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان اترك ذلك بإفان فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما علي قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فليأمنه فإن لم يستطع فليبلغه وذلك أضيق الإيمان » (١) فلقد كانوا فهموا من هذه المومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنه وروى أن الهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نهى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلبه بردائه ثم هزم وقال له انظر ما صنع من جعل هذا البيت أحق ممن أمته من البدن حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه وقد قال الله تعالى - سواء المالك فيه والباد - من جعل لك هذا فظفر في وجهه وكان يعرفه لأنهم موالهم قال عبد الله بن مرزوق ؟ قال نعم فأخذ فضبه به إلى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في إسطبل الدواب لبسوس اللواب وضما إليه فرسا عضوا سبي الخلق ليقره القوس فلين الله تعالى له الفرس قال ثم صيره إلى بيت وأغلق عليه وأخذ الهدي المفتاح عنده فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأودن به الهدي فقال له من أخرجك قال الذي حبسني فضج الهدي وصاح وقال ما تخاف أن أتلكك فرغ عبد الله إليه رأسه بضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة أمواتنا فما زال محبوسا حتى مات الهدي ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة قال وكان قد جعل على نفسه ندرا إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها . وروى عن حبان بن عبد الله قال تزور هرون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هرون قد كانت لك جارية تنفي تحسن فبشها بها قال فجاءت ففتت فلم يحمده غناها فقال لها ما شأنك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئت بمودها قال فجاء بالمود فوافق شيئا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرغ الشيخ رأسه فرأى المود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع قال احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس يبغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين فقال له اسمع ما أقول لك ثم دخل على هرون فقال إني مرت على شيخ يلقط النوى قتلت له الطريق فرفع رأسه فرأى المود فأخذه فضرب به الأرض فكسره فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الضرب يا أمير المؤمنين ابش إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرم به في الدجلة فقال لا ولكن نبش إليه ونناظره أولا فجاء الرسول فقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فليل هرون قد جاء الشيخ فقال للتدما أي شيء ترون نرفع ما قدما من التكر حتى يدخل هذا الشيخ أو تقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له قوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح فقالوا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفيه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا من تلك وأدخل على أمير المؤمنين فقال من هذا عشاق البلية قال نحن نشيك قال لا حاجة لي في عشائكم قال هرون للخادم أي شيء تريد منه قال في كمه نوى قلت له طرحة وأدخل على أمير المؤمنين (١) حديث إن مروان خطب قبل الصلاة في العيد الحديث وفيه حديث أبي سعيد مرفوعا من رأى منكرا الحديث رواه مسلم .

قال دعه لا يطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال وأنى شئ صنعت وجعل هرون يستحي أن يقول كسرت عودي فلما أكثر عليه قال إني صممت أبدا وأجدادك يقرءون هذه الآية على النبر - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وأنا رأيت منكرا فغيرته فقال فغيره فوالله ما قال إلا هذا فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بدرة وقال اتبع الشيخ فإن رأيته يقول قلت لأمر المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيئا وإن رأيته لا يكلم أحدا فاعطه البدره ، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة فى الأرض فغاضت فجعل يمالجها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدره فقال قل لأمر المؤمنين يرد هاما من حيث أخذها . ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التى يمالج قلعا من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لمن همى فى يديه هموما كلها كثررت لديه
تهين السكركين لها بصر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استنيت عن شئ دفعه وخذ ما أنت محتاج إليه

وعن سفیان الثوري رحمه الله قال حج الهدي سنة ست وستين ومائة فرأيت ربحى جمره العقبة والناس يخطبون بينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا أين عن وائل عن قدامة ابن عبد الله السكلاي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ربحى الجمره يوم النحر على جبل لاضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك (١) وها أنت يخطئ الناس بين يديك بينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفیان الثوري فقال يا سفیان لو كان النصور ما احتملك على هذا فقال لو أخبرك المنصور بما لقي لقصرت عما أنت فيه قال قيل له إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفیان فاخفى . وقد روى عن المأمون أنه بلغه أن رجلا عتسبيا يمشى فى الناس بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له إنه بلغنى أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن تأمرك وكان للمأمون جالسا على كرسى ينظر فى كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه قصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المحتسب ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يفهم المأمون مراده فاقال ماذا تقول حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم فقال إما رفعت أو أذنت لى حتى أرفع فظفر للمأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل ثم نادى وقال لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم - الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقال صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمسك غير أنا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى - وللمؤمنون وللمؤمنات بهضهم أولياء بعض يأمرؤا بالمعروف - الآية ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (٢)» وقد مكنت فى الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان أهدت لها شكرت لمن أعانك لحرمتهما وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما نزلك منهما

(١) حديث قدامة بن عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ربحى الجمره يوم النحر على جبل لاضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك الترمذى وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه وأما قوله فى أوله إن الثوري قال حج الهدي سنة ست وستين فليس بصحيح فان الثوري توفي سنة إحدى وستين (٢) حديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا متفق عليه من حديث ابن موسى وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة .

فمن دخل الخلوه معتلا
فى دخوله دخل عليه
الشيطان وسول له
أنواع الطغيان وامتلأ
من الغرور والحال فظن
أنه على حسن الحال فقد
دخلت الفتنة على قوم
دخلوا الخلوه بغير
شروطها وأقبلوا على
ذكر من الأذكار
واستجسوا نفوسهم
بالعزلة عن الحياه
ومنعوا الشواغل من
الحواس كفضل
الراهبين والبراهمه
والفلاسفة والوحده فى
جمع لهم لها تأثير فى
صفاء الباطن مطلقا
كان من ذلك بحسن
سياسة الشرع وصدق
المتابعة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أنتج
تطور القلب والزهد فى
الدنيا وحلاوة الذكر
والعامله لله بالاخلاص
من الصلاة والتلاوة
وغير ذلك وما كان
من ذلك من غير
سياسة الشرع ومتابعة
رسول الله صلى الله

فإن الذي إليه أمرك ويده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا قتل الآن ما شئت فأعجب المأمون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فأمض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا فاستمر الرجل على ذلك في سياق هذه الحكايات يان الدليل على الاستثناء عن الأذن. فإن قيل أنشئت ولاية الحسبة للولاه على الوالد والمعد على الولد والزوجة على الزوج والأستاذ على التلميذ والريعية على الوالي مطلقا كما ثبت للوالد على الولد والمعد على العبد والزوجة على الزوج والأستاذ على التلميذ والسلطان على الريعية أو بينهما فرق . فاعلم أن الذي نراه أنه ثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قدر تبنا لحسبة خمس مرات وبولاه الحسبة بالترتين الأولين وهما التعريف ثم الوعد والنصح بالطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا مباشرة الضرب وهما الترتين الآخران وهل له الحسبة بالربة الثالثة حيث تؤدي إلى أذى الوالد وسخطه هذا فيه نظرو هو بأن يكسر مثلا عوده ويريق حمرة وجل الحويط عن ثيابه للنسوجة من الحرير وورد إلى للملك ما يجده في بيته من لال الحرام الذي غصبه أوسرته أو أخذه عن إدراج رزق من ضريبة السليين إذا كان صاحبه معينا ويطل الصور للنقوش على حيطانه وللنقوش في خشب بيته ويكسر أو أنى الذهب والفضة فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد حق وسخط الأب منتزعه جبه للباطل وللحرام والأظهر في القياس أنه ثبت للولاه ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يعمد أن ينظر فيه إلى قبس الشكر وإلى مقدار الأذى والسخط فإن كان للسكر فاحشا وسخطا عليه قريبا راقاة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وإن كان للسكر قريبا والسخط شديدا كالأول كان له آتية من يلزمه أو زجاج في صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجرى هذه الحسية بجرى الحجر وغيره فهذا كله مجال النظر . فإن قيل ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق إلى ترك الباطل والأمر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص وأما التي عن التأنيف والابادة فقد ورد وهو خاص فيها لا يتعلق بارتكاب التكرات فنقول قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الامتناء من الموم إذ لا خلاف في أن الجلال ليس له أن يقتل أباه في الزنا حدا ولاه أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه بمقابله . وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع^(١) فإذا لم يجزله إيذاؤه بقوية هي حق على جناية ساقية فليجوز له إيذاؤه بقوية هي منع عن جناية مستقبله متوقفة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغي أن يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبا من الولد في لزوم الحق وإن كان ملكا لمعين أكرم من ملك النكاح ولكن في الحجر أنه ولو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها^(٢) وهذا يدل على تأكيدها خلق أيضا وأما الريعية مع السلطان فالأمر فيها أضعف من الولد فليس لها معه إلا التعريف والنصح فأما الرتبة الثالثة ففيها نظرم من حيث إن الهجوم على أخذ الأموال من خزانته وردها إلى الملك وعلى تحليل الحويط من ثيابه الحرير وكسر آتية الخمر في بيته يكاد يفضي إلى خرق هيئته وإسقاط حشمته وذلك محظور ورد النبي عنه كالورد النبي عن السكوت على المنكر^(٣) فقد تمارض فيه أيضا عند دوران والأمير فيه موكول

عليه وسلم ينتج صفاء في النفس يستأن به على اكتساب علوم الرياضة مما ينشئ به الفلاسفة والديريون خذلهم الله تعالى وكأيا أكثر من ذلك بعد عن الله ولا يزال للقلب على ذلك يستحوه الشيطان بما يكتب من العلوم الرباطية أوعما قد يترادى له من صدق الحاضر وغير ذلك حتى يركن إليه الركون الثام ويظن أنه فاز بالمقصود ولا يعلم أن هذا الفن من القادة غير ممنوع من التصاري والبراهمة وليس هو المقصود من الخلوة بقول بعضهم إن الحق يريد منك الاستقامة وأنت تطلب السكرامه وقد يفتح على الصادقين شيء من خوارق العادات وصدق التراسفة ويثبت ما يحدث في المستقبل وقد لا ينتج عليهم ذلك فلا يقدح

(١) الأخبار الواردة في أن الجلال ليس له أن يجلب أباه في الزنا ولأن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالإجماع . قلت: لم أجده في الإحدث لا يقاد الوالد بالولاه رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عرقا الترمذي فيه اضطراب (٢) حديث لوجاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تقدم في النكاح (٣) حديث النبي عن الانكار

في عالم عدم ذلك
وإنما يفتح في عالم
الأعراف عن حد
الاستقامة فما يفتح
من ذلك على الصادقين
يصير سبيلاً لمزيد إيمانهم
والداعي لهم إلى صدق
المجاهدة والمقامة
والزهد في الدنيا
والتخلق بالأخلاق
الحسنة وما يفتح من
ذلك على من ليس
تحت سياسة الشرع
يصير سبيلاً لمزيد بعده
وغروره وحقائقه
واستطاعته على الناس
وازدرائه بالخلق ولا
يزال به حتى يخلع ردة
الاسلام عن عنقه
وينكر الحدود
والأحكام والحلال
والحرام ويظن أن
للقصود من العبادات
ذكر الله تعالى ويترك
متابعة الرسول صلى الله
عليه وسلم ثم يتدرج
من ذلك إلى تلحد
وتزندق نمودافته من
الفضلال وقد يلوح
لأقوام خيالات

إلى اجتهد منشؤه النظر في تفاحش النكرو ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه وأما التليذ والأستاذ فالأمر فيها بينهما أخف لأن المعتبر هو الأستاذ القليل العلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعله فله أن يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه . وروى أنه سئل الحسن عن الولد كيف يختب على والده فقال يعطه ما يفض ب فان غضب سكت عنه . الشرط الخامس : كونه قادراً ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حسيبة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله بكره معاصيه وينكرها . وقال ابن مسعود رضي الله عنه جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفروا في وجوههم فافعلوا . واعلم أنه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكرهاً يناله فذلك في معنى العجز وكذلك إذا لم يخف مكرهاً ولكن علم أن إنكاره لا ينعف فليفت إلى معنيين : أحدهما عدم إفادة الإنكار امتناعاً والآخر خوف مكره . ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال أحدها أن يجتمع اللين بأن يعلم أنه لا ينعف كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحسيبة بل ربما تحرم في بعض المواضع فله يلزمه أن لا يحضر مواضع النكرو ويتردد في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا الحاجة مهمة أو واجب ولا يلزمه مقارنة تلك البلدة والمجرة إلا إذا كان رهق إلى الفساد أو يعمل على مساعدة السلاطين في الظلم والنكرات فتلزمه الهجرة إن قدر عليها فإن الإكراه لا يكون عذراً في حق من يقدر على الحرب من الأكراه . الحالة الثانية أن يتفق اللينان جميعاً بأن يعلم أن النكرو يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكره فيجب عليه الإنكار وهذه هي القدرة المطلقة . الحالة الثالثة أن يعلم أنه لا ينعف إنكاره لكنه لا يخاف مكرهاً فلا يجب عليه الحسيبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لأظهار شعار الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين . الحالة الرابعة عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكره ولكن يبطل النكرو بفعله كما يقدر على أن يرى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرهما ويريق الحجر أو يضرب العود الذي في يده ضربة تحتطقة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا النكرو ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب وبدل عليه الخبر الذي أوردناه في فضل كلمة حق عند إمام جائر ولا شك في أن ذلك منظمة الحقوق . وبدل عليه أيضاً ما روى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاماً فأردت أن أنكر عليه وعلت أنني أقتل ولم يعني القتل ولكن كان في ملأ من الناس غشيت أن يترنن التزين للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل . فان قيل فامع قوله تعالى - ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - قلنا لا خلاف في أن السلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاثل وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه يخالف موجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك الفتنة في طاعة الله تعالى أي من يفعل ذلك فقد أهلك نفسه . وقال البراء بن عازب التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقوله لا يتاب على ، وقال أبو عبيدة هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيراً حتى يهلك وإذا جاز أن يقاثل الكفار حتى يقتل جاز أيضاً له ذلك في الحسيبة ولكن لو علم أنه لا تكلم لمجوسه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وإنما جاز له الإقبال إذا علم أنه يقاثل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جرائمه واعتقادهم في سائر المسلمين قوة البلاة وحجم الشهادة في سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز على السلطان جهرة بحيث يؤدي إلى خرق هيئته الحاكم في الاستدراك من حديث عياض بن غنم الأشعري من كانت عنده نصيحة لدى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ يده فليخل به فان قبلها قبلها وإلا كان قد أدى إلى الله عليه والذي له قال صحيح الإسناد وللمزمذ وحسنه من حديث أبي بكره من أهان سلطان الله في الأرض أهان الله في الأرض .

للمحتسب بل يستحب له أن يمرض نفسه بالضرب والقتل إذا كان لحسبته تأثير في رفع النكر أو في كسر جاه الفاسق أو في تقوية قلوب أهل الدين وأما إن رأى فاسقا متغلبا وعنده سيف ويده قدح وعلته لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا يرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فان المطلوب أن يؤثر في الدين أثرا ويبدیه بنفسه فأما تبريض النفس للهلاك من غير أثر فواجهه بل ينبغي أن يكون حراما وإنما يستحب له الانكار إذا قدر على إبطال النكر أو ظهر لقطعه فائدة ذلك بشرط أن يقتصر للكره عليه فإن عثر أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقرابه أو رفقائه فلا يجوز له الحسبة بل يحرم لأنه يحجز عن دفع النكر إلا بأن يغضى ذلك إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء. بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك النكر ولكن كان ذلك سببا لغيره آخر بتعاطفه بغير المحتسب عليه فلا يجوز له الانكار على الظاهر لأن التصود عدمنا كبر الشريعة مطلقا لا من زيد أو عمرو وذلك بأن يكون مثلامع الانسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه، وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الحمر أو شرب أولاده الحمر لإعوازم الشراب الحلال فلا معنى لاراقه ذلك ومحمّل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لنكر وأما شرب الحمر فهو اللوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك النكر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس يعيد فان هذه مسائل قضية لا يمكن فيها الحكم إلا بظن ولا يعد أن يفرق بين درجات النكر الغير والنكر الذي تفضى إليه الحسبة والتغيير فانه إذا كان يذبح عشاء لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لدمج إنسانا وأكله فلامعنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه فمنه دقائق وأتمه في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذا الدقائق قول: العاصي ينبغي له أن لا يغتصب إلا في الجليات المعروفة كشراب الحمر والزنا وترك الصلاة فأما ما يعامل كونه معصية بالإضافة إلى ما يطيب به من الأفعال ويغفر فيه إلى الاجتهاد فالعاصي إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد كل ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي إذ ربما يتدب لها من ليس أهلا لها لقصور معرفته أو قصور ديانته فيؤدي ذلك إلى وجوه من الخلل وسياق كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله فان قيل وجبت أطلعت العلم بأن يصيه مكروه أو أنه لا تفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه. قلنا: الظن القالب في هذه الأبواب معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في مواضع أخرى وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا أنه لا يفيد فان كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن محتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في وجوبه والظاهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثني عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد له بل بالمأمور فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فأما إذا لم يكن بأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذي يتوقع إصابته إن لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتمال أن يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا يصيب بمكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه قلنا إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب وإن غلب أنه لا يصاب وجب وعجز التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وإن شك فيه من غير جحان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروه والنكر وهو الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقفا وهذا هو الظاهر ومحتمل أن يقال إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه

يظنونها وقاتع ويشبهونها بوقائع الشايع من غير علم بحقيقة ذلك فمن أراد تحقيق ذلك فليعلم أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقصد في الخلوة أربعين يوما أو أكثر فهم من يباشر بطلنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كما قال قائلهم: رأى قلبى ربى، وقد يصل إلى هذا اللقائم تارة بأجاء الأوقات بالصالحات وكشف الجوارح ووزع الأوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات وتارة يادته الحق لموضع صدقه وقوة استعداده مبادأة من غير عمل وجد منه وتارة يحمد ذلك بملازمة ذكر واحد من الأذكار لأنه لا يزال يردد ذلك الذكر ويقول وتكون عبادته بالصلوات

والأول أصح نظرا إلى قضية الصعوبات الموجبة للأمر بالمعروف فإن قيل فالتوقع المكروه يختلف بالجبن والجراة فاليان الضعيف القلب يرى البعد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه والتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جيل عليه من حسن الأمل حتى إنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه فلي ماذا التحويل . قلنا التحويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والزاج فإن الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة ونضربط والتهور إفراط في القوة وخروج عن الاعتدال بازياة وكلاهما نقصان وإنما السكال في الاعتدال الذي يعر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور صدر نارة عن نقصان العقل ونارة عن خلل في الزاج ينضبط أو إفراط فإن من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراة قد لا يفتطن لمدارك الشر فيكون سبب جراته جهله وقد لا يفتطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون علما بحكم التجربة والممارسة بمدخل الشر ودواخه ولكن يعمل الشر البعيد تحذبه وتحليل قوته في الإقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا تفتات إلى الطرفين وعلى الجبان أن يتشكف إزاء الجبن بإزالة علته وعلته جهله أو ضعف وزوال الجمل التجربة وزوال الضعف بممارسة العمل الخوف منه تسكنا حتى يصير معادا إذ البتدي في المناظرة والوظ مثلاد يجهن عنه طبعه لضعفه فإذا مارس واعتاد فأرقة الضعف فإن صار ذلك ضروريا غرقا بل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر الرضي في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على رأي لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الاسلام من مناب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يظلم خوفه منه فكذلك الأمر في وجوب الحسبة . فإن قيل فالمكروه التوقع ما حده فإن الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المهتسب عليه في حقه بالنية ولمان شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسمى به إلى سلطان أو يتدح فيه في مجلس يضرر بقدره فيه فاحذر المكروه الذي يسقط الوجوب به . قلنا هذا أيضا فيه نظر غاضى وصورته منتشرة وبجاريه كثيرة ولكنها تجتهد في ضم نشره وحصر أسامه فقول المكروه تقيض الطلب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور : أما في النفس فالعلم وأما في البدن فالصحة والسلامة . وأما في المال فالثروة . وأما في قلوب الناس فقيام الجاه ، فإذا الطلب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كأن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض كأن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض وسبب تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه في ريع الهاسكت وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الانسان لنفسه ولأقاربه والمحضين به ويكره في هذه الأربعة أضرار أحدها زوال ما هو حاصل موجوده والآخر امتناع ما هو منتظر مفقود أثنى اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر لإل في قوات حاصل وزواله أو تمويق منتظر فإن النظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وقوات إمكانه كأنه قوات حصوله فرجع للمكروه إلى قسمين أحدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصا في ترك الأمر بالمعروف أصلا . ولنذكر مثاله في الطالب الأربعة . أما العلم فثاله ترك الحسبة على من يخلص بأستاذة خوفا من أن يبقح حاله عنده فيمتنع من تعليمه . وأما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لا يبرح خوفا من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحتة للنتطرة . وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدارته في المستقبل ويترك مواساته . وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يبقح حاله

الحسب يستنها الراتبة
فحسب وسائر أوقاته
مشغولة بالذكر الواحد
لا يتخللها فتور ولا
يوجد منه قصور ولا
يزال يردد ذلك الذكر
ملتزما به حتى في طريق
الوضوء وساعة الأكل
لا يغير عنه . واختار
جماعة من المشايخ من
الذكر كلمة لا إله إلا الله
وهذه الكلمة لها
خاصية في تنوير الباطن
وجمع الهمة إذا دام
عليها صادق مخلص
وهي من مواهب الحق
لهذه الأمة وفيها خاصية
لهذه الأمة فيها حدثنا
شيخنا ضياء الدين
إسلام قال أنا
أبو القاسم الدمشقي
الحافظ قال أنا
عبد الكريم بن
الحسين قال أنا
عبد الوهاب الدمشقي
قال أنا محمد بن خريم
قال ثنا هشام بن
عمار قال ثنا الوليد
ابن مسلم قال أنا
عبد الرحمن بن زيد

عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شيء إلا ما تدعو إليه الحاجة ويكون في فوائده محذور يزيد على محذور السكوت على التكرار إذا كان محتاجا إلى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن في تأخره مشقة الضيق به وطول المرض وقد ينضى إلى الموت وأعيى بالعلم الظن الذي يجوز بثله ترك استعمال الماء والدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يعد أن يرخص في ترك الحسبة وأما في العلم لئلا أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد إلا معصاة واحدا ولا قدرة له على الرحلة إلى غيره وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يند عليه طريق الوصول إليه ليكون العالم معطاه أو مستمعا لقوله ، فإذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على التكرار محذور ولا يعد أن يرجع أحدهما ويختلف ذلك بتفاوت التكرار وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات الدين وأما في المال فكذلك يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوى النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وانقر في تحصيله إلى طلب ائدار حرام أو مات جوعا فهذا أيضا إذا اشتد الأمر فيه لم يعد أن يرخص له في السكوت . وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير ولا يجد مسيلا إلى دفع شره إلا بجاء يكتبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يعد استثنائها ولكن الأمر فيها منوط بجاهد المحتسب حتى يستفيق فيها قلبه ويؤثر أحد المحذرين بالآخر ويرجع بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فإن رجح بموجب الدين متى سكوت مدارة وإن رجح بموجب الهوى متى سكوت مداهنة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على عاقله وصارفه أنه الدين أو الهوى وستجد كل نفس تعاملت من سوء أو خير محضرا عند الله ولو في قلعة خاطر أو قلعة ناظر من غير ظلم وجور لله أن يظلم للعبيد . وأما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة إلا العلم فإن فوائده غير مخوف إلا بتقصيره عنه وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبدا . وأما الصحة والسلامة فتواتهما بالضرب فكل من علم أنه ضرب ضربه بما مؤلما يتأذى به في الحسبة لم تنلزمه الحسبة وإن كان يحتسب له ذلك كما سبق وإذا فهم هذا في الإلزام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر . وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تهيب داره ويهرب بيته وتسلب ثيابه فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستنجاب إلا بأش بأن يهذى دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والتهيب حد في القلة لا يكثر به كالحسبة في المال والطمعة الخفيف ألها في الضرب وحد في السكرة يتعين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين أن يجتهد في ذلك ويرجع جانب الدين ما أمكن . وأما الجاه فقواته بأن يضرب ضربه بغير مؤلم أو يسب على ملائم الناس أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه ويظاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قاطع في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن ينضم إلى ما يجبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص له في السكوت لأن المروءة ما مورع غفطها في الشرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى قوات درجتها قليلة فهذه درجة . الثانية ما يجبر عنه بالجاء المهن وعلو الرتبة فإن الخروج في ثياب فاخرة يحمل وكذلك الركوب المخبول

عن أبيه أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال : رب أنبئني عن هذه الأمة للرحومة قال أمة محمد عليه الصلاة والسلام علماء أخفاء أنبياء حكماء أصفياء رضوان منى بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلكهم الجنة بلا إله إلا الله يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنهم لم تذلل السنن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم تذلل رقاب قوم قط بالسجود كاذلت رقابهم . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال إن هذه الآية مكتوبة في التوراة يا أيها النبي إننا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمؤمنين وكذا لاثنين أنت عيسى ورسولي حيثك التوكل ليس بخط ولا غليظ ولا صاحب في الأسواق

فلو علم أنه لو احتسب لكلف الشيء في السوق في ثياب لا يتأذى هو مثلها أو كلف الشيء رجلاً وعادته الركوب فهذا من جملة الزيادة وليست للمواظبة على حفظها محمودة وحفظها رودة محمود فلا ينبغي أن يتعدى وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إماماً حضرة به التجهيل والتمحيق والنسبة إلى الرياء والبهتان وإما في غيبته بأنواع النية فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه إلى العيب ليس إليها كبر حجة ولو تركت الحسبة بولم لأثم أو اغتياح فاسق أو شتمه وتقصيره أو سقوط اللزعة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلاً إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان للشكر هو النية وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المنابول لكن أضافه إليه وأدخله معه في النية فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة العصية وإن علم أنه يترك تلك النية ويقتصر على غيبته فلا يجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضاً مصيبة في حق المنابول ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار وقد دلت المصنوعات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابل إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها فأما ما زيا الجاه والحشمة ودرجات التجميل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له . وأما امتناعه خوفاً من تأذيه من هذه المنكرات في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوته لأن له أن يسامح في حقوق نفسه وليس له المساحة في حق غيره فإذا ينبغي أن يمتنع فإنه إن كان ما يؤتى من حقوقهم نبوت على طريق المعصية كالضرب والتبليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر غرضي إلى منكر وإن كان نبوت لا بطريق المعصية فهو إيداء للسلم أيضاً وليس له ذلك إلا رضام فإذا كان يؤدي ذلك إلى أدنى قومه فليتركه وذلك كالأمر الذي له أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاماً منه بواسطة فإذا كان يتعدى الأذى من حسبه إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيداء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور ثم إن كان لا ينالهم أدنى مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاقمها ودرجات الكلام المحذور في نكاته في القلب وقدحه في العرض . فإن قيل فليقتصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه إلا بقتال ربما يؤدي إلى قتله فهل يقاتل عليه فإن قتلتم يقاتل فهو محال لأنه اهلاك نفس خوفاً من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف أيضاً . قلنا يمتنع عنه ويقاتله إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل العرض حسم سبيل المنكر والمصيبة وقتله في الحسبة ليس بمصيبة وقطع طرف نفسه مصيبة وذلك كدفع السائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فإنه جائز لا على معنى أنا نقضى درهما من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين مصيبة وقتله في الدفع عن المصيبة ليس بمصيبة وإنما المقصود دفع المصائب . فإن قيل فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن يقتله في الحال حسب باب المصيبة . قلنا ذلك لا يلزم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم مصيبة ولكنها إذا رأينا في حال مباشرة القطع دفناه فإن قلنا قلناه ولم نبال بما يأتي على روحه فإذا المصيبة لها ثلاثة أحوال : إحداها أن تكون متعمدة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير وهو إلى الولاة لا إلى الأحاد . الثانية أن تكون المصيبة راحة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامتساكه العود والخمر فابطال هذه المصيبة واجب بكل ما يمكن مالم تؤدي إلى مصيبة أخفى منها أو مالم يثبت للأحاد الرعية الثالثة أن يكون المنكر متوقفاً كالأذى يستمد بكس المجلس وتزيينه وجمع الزواجر لترب الحجر وبعد لم يحضر الحجر فهذا مشكوك فيه إذ ربما يوق عنه عائق فلا يثبت للأحاد سلطنة على العازم على الشرع

ولا يجزى بالبيئة السيئة
ولكن يصفو وصفه
ولن أقبضه حتى تخام
به الله العوامة بأن
يقولوا لا إله إلا الله
ويستحقوا أعيناً عيا
وأذا صاموا قلوباً غلغلا
فلا يزال البعد في خلوته
يردم هذه التسكعة على
لسانهم مواطأة القلب
حتى تصير الكلمة
متأصلة في القلب
منزلة لحديث النفس
ينوب معاضها في القلب
عن حديث النفس
فإذا استولت الكلمة
وسهل على اللسان
يقترنها القلب فلو
سكت اللسان لم يسكت
القلب ثم تجوهر في
القلب وتجوهرها
يستكن نور اليقين
في القلب حتى إذا ذهب
صورة الكلمة من
اللسان والقلب لا يزال
نورها متجوهر أو يتخذ
التصوّر مع رؤية
عظمة المذكور سبحانه
وتعالى وصير الذكر
حيث ذكر القادرات

إلا بطريق الوعظ والنصح غاماً بالتحنيف والضرب فلا يجوز للأحد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدى إليها ولم يبق لحصول المعصية إلا ما ليس فيه إلا الانتظار وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فاتهم وإن لم يضيّقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بأقاصمهم من الوضع ومنعهم عن الوقوف بالتحنيف والضرب وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية وإن كان مقصد العاصي وراه كما أن الخلوة بالأجنبية في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونفى بالمظنة ما يترسّض الإنسان به لوقوع المعصية غالباً بحيث لا يقدر على الانكشاف عنها فإذا هو على التحقيق حصة على معصية راحلة لاهل معصية منتظرة .

(الركن الثاني للحسبة مافيه الحسبة)

وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للتحسب بغير تجسس معلوم كونه منكراً بغير اجتهد فقهه أربعة شروط فلتبحث عنها . الأول : كونه منكراً ونفى به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلتنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صيأوا مجنوناً شرب الخمر فظن أنه يربى خمره وبغته وكذا إن رأى مجنوناً زنى بمجنونة أو بهيمة فظن أنه يغمه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لصادف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لأعاصي بها محال فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنساء الأجنبية كل ذلك من الصغار ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظرياً في كتاب التوبة . الشرط الثاني : أن يكون موجوداً في الحال وهو احتراز أيضاً عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فأن ذلك ليس إلى الأحاد وقد افترض المنكر واحتراز عما يسجد في ثأني الحال كمن يعلم قرينة حاله أنه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضاً فإن فيه إساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على معازم عليه لعائق ولتبني الدققة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه . الشرط الثالث : أن يكون المنكر ظاهراً للتحسب بغير تجسس : فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابها لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه في حالة مكروهة فأنكر عليه فقال يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه فقال وما هي ؟ فقال قد قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسست . وقال تعالى - وأتوا البيوت من أبوابها - وقد آسرت من السطح . وقال - لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا على أهلها - ومسلمت قدركة عمر وشروط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسأله عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكراً فهل له إقامة الحد فيه ؟ فأشار على رضي الله عنه بأن ذلك منوط ببديلين فلا يكفي فيه واحد وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا يجزئها فإن قلت لما حد الظهور والاستتار . فاعلم أن من أغلق باب داره وستر محيطه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار كصاوت المزمارير والأوتار إذا ارتفع بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذا

وهذا الذكر هو
الشاهدة والمكاشفة
والعائنة أعني ذكر
الذات بتجوهر نور
الذكر وهذا هو
للقصد الأقصى من
الخلوة وقد يحصل
هذان الخلوة لا يذكر
الكلمة بل بتلاوة
القرآن إذا أكثر من
التلاوة واجتهد في
مواظاة القلب مع
الاسان حتى تجرى
التلاوة على اللسان
ويقوم معنى الكلام
مقام حديث النفس
فيدخل على البعد
سهولة في التلاوة
والصلاة ويتنور
الباطن بتلك السهولة
في التلاوة والصلاة
وتجوه نور الكلام
في القلب ويكون منه
أيضاً ذكر الذات
ويعتجم نور الكلام

إذا ارتفعت أصوات الكسارى بالكلمات للألوفه بينهم بحيث يسمها أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة فاذن إنما يدرك مع تغلغل الحيطان صوت أوراثة فاذا فاحت روائح الحرق فان احتمل أن يكون ذلك من الحور المحترمة فلا يجوز تصدها بالإراقة وان علم بقرينة الحال أنها فاحت لتلطيم الشرب فهذا محتمل والنظام جواز الحسبة وقد تستر قارورة الحرق في الكم وتحت الديل وكذلك اللامى فاذا روى فاسق وتحت ذيله شيء لم يجوز أن يكشف عنه مالم يظهر بعلامه خاصة فان فسقها لا يدل على أن الذى معه حرق إذ الفاسق محتاج أيضا إلى الحل وغيره فلا يجوز أن يستدل باخفائه وأنه لو كان حلالا أخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما تنكر وان كانت الرأفة فائمه فيها محل النظر والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامه غيد الظن والظن كالم في أمثال هذه الأمور وكذلك العود وربما يعرف بشكبه إذا كان الثوب السائر لريقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالاته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن نستر ما تراه الله وتنكر على من أبدي لنا صفحته والإبداء له درجات فخاره يبدو لنا بحسبة السمع وتارة بحسبة الشم وتارة بحسبة البصر وتارة بحسبة اللى ولا يمكن أن يخص ذلك بحسبة البصر بل للراد التلم وهذه الحواس أيضا تغيد العلم فاذن إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول أرى لأعلم ما فيه فان هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الأمارات للفرقة فالأماره للفرقة إن حصلت وأورثت للفرقة جاز العمل بمقتضاها فاما طلب الأماره للفرقة فلا رخصة فيه أصلا . الشرط الرابع أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتihad فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبه فيه فليس للحنى أن ينكر على الشافى أكله الضب والضيغ ومتروك التسمية ولا للشافى أن ينكر على الحنفى شربه النبيذ الذى ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الأرحام وجلسه في دار أخذها بشقة الجوار إلى غير ذلك من مجارى الاجتهاد ثم لو رأى الشافى شافيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولى وبطأ زوجته فهذا في محل النظر والأظهر أن له الحسبة والانكار إذ لم ينعأ أحد من المصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتihad غيره ولا أن الذى أدى اجتihadه في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنده بل على كل مقفد اتباع مقفله في كل تفصيل فاذن مخالفته للقلد متفق على كونه منكرا بين المصلين وهو عاص بالخالفه إلا أنه يلزم من هذا أمر أخمس منه وهو أنه يجوز للحنى أن يقترض على الشافى إذا نكح بغير ولى بأن يقول له القفل في نفسه حق ولكن لا في حرك فأنت مبطل بالأقدام عليه مع اعتقادك أن العوالب مذهب الشافى ومخالفة ما هو صواب عندك ممعية في حرك وإن كانت صوابا عند الله وكذلك الشافى محتسب على الحنفى إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له إما أن تعتقد أن الشافى أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أولا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه لأنه على خلاف معتقدك ثم يجزى هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجامع الأصم مثلامرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجته أبوه إياها في صفره ولكنه ليس يدرى وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلتفهو في الأقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبى أن يمنعه عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه محلل في علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلظه وجهه ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلامن مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فاذا رآه جاعلها فضله للنعى اللسان لأن ذلك زنا إلا أن الرأى غير عالم به والمحتسب عالم بأنهما طاعتا منتهى تلاها وكونها غير عاصين لجهلها بما هو جواز الصفة لا يخرج القفل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون

في القلب مع مطالعة
عظمة للتكلم سبحانه
وتعالى ودون هذه
للهيبة ما يفتح على
البعد من العلوم
الالهامية الدينية وإلى
حين بلوغ البعد هذا
البلغ من حقيقة الذكر
والتلاوة إذا صفا باطنه
قد يقبب في الذكر من
كأن أنه وحلاوة
ذكره حتى يلتحق في
غيبته في الذكر بالنام
وقد تتجلى له الحقائق
في لبسة الحياjal أولا
كما تكشف الحقائق
لثلاثين في لبسة الحياjal
كمن رأى في المنام أنه
قتل حبة فيقول له
للمبرقظ بالمدون فظنوه
بالمدون هو كشف
كاشفه الحق تعالى به
وهذا الظفر روح
بمجرد صاغ ملك الرؤيا
له جسدا لهذا الروح

وقد بينا أنه يمنع منه فإذا كان يمنع محاهو منكرو عند أقنوا إن لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص بل منذر
 الجهل فيأمر من عكس هذا أن يقال ما ليس بنكرو عند الله إنما هو منكرو عند الفاعل لجهله لا يمنع منه
 وهذا هو الأنظر والعمد عند الله ، فتحصل من هذا أن الحنفى لا يترضى على الشافعى في النكاح بلاولى وأن
 الشافعى يترضى على الشافعى فيه لكون للترضى عليه منكرا بإتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل
 قريبة بدقة والاحتالات فيها متعارضة وإنما أفتينا فيها بحسب ما ترجع عندنا في الحال ولنا قطع خطأ
 ترجيح الخالف فيها إن رأى أنه لا يجرى الاحتساب إلا في معلوم على القطع وقد ذهب إليه ذهابون وقالوا
 لاحسبة إلا في مثل الحجر والحزير وما يقطع بكونه حرما ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر في حق
 المجهد إذ يعدفاة البد أن يجتهد في القبة ويترى بظهور القبة عنده في جهة بالدالات الظنية ثم
 يستدبرها ولا يمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلدان
 يخار من للذهاب ما أراد غير متد بهولمه لا يصح ذهاب ذهاب إليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت وإن
 ثبت فلا يمتد به . فان قلت إذا كان لا يترضى على الحنفى في النكاح بلاولى لأمرى أنه حق فينبى أن
 لا يترضى على المزملى في قوله إن الله لا يرى وقوله وإن الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق
 ولا على المخلوق في قوله إن الله تعالى جسم وله صورة وإنه مستقر في العرش بل لا ينبى أن يترضى على
 القسنى في قوله الأجساد لا تبت وإما تبت النفوس لأن هؤلاء أيضا أدى اجتهدوا إلى ما قالوه وهم يقولون
 أن ذلك هو الحق . فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح
 أيضا ظاهر وكأنت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمزملى ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر
 النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كسئلته النكاح بلاولى ومسئلة شفعة الجوار ونظارها . فاعلم أن
 المسائل تنقسم إلى ما يمتصو أن يعل فيه كل مجتهد مصيب وهى أحكام الأفعال في الحال والحرمه وذلك
 هو الذى لا يترضى على المجهدين فيه إذ لم يعلم خطؤهم قطعا بل لنا وإلى ما لا يتصور أن يكون الصيب
 فيه إلا واحد كسئلة الرؤية والقدر وقدم السلام ونفى الصورة والجسمه والاستقرار عن الله تعالى
 فهذا مما يعلم خطأ الخطى فيه قطعا ولا يبق لحطه الذى هو جمل بعض وجهه فاذن البع كلها ينبى أن
 تحسم أبوابها وتنسحر على البدعين بدعمهم وإن اعتقدوا أنها الحق كما يرد على اليهود والنصارى
 كحرمهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان
 الاجتهاد . فان قلت فيها اعترضت على القدرى في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدرى أيضا
 في قولك الشر من الله وكذلك في قولك : إن الله يرى وفي سائر المسائل إذ البدع حق عند نفسه والحق
 مبتدع عند البدع وكل يدعى أنه حق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب . فاعلم أن الأجل
 هذا التمارض تحول بنظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة فان كانت البدعة غريبة والناس
 كلهم على السنة فلمهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان وإن اقصم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل
 السنة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للأحاد الحسبة في للذهاب إلا بنصب السلطان
 فإذا رأى السلطان رأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يجرى البدعة عن إظهار البدعة كان له
 ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الأحاد فيتقابل الأمر
 فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدعة أهم من الحسبة في كل النكورات ولكن ينبى أن يراعى فيها هذا
 التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيها ولا ينجبر إلى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا
 في منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق أو أن الله لا يرى أو أنه متفرق على العرش مما له وغير ذلك
 من البدع لتسلط الأحاد على النع منه ولم يتقابل الأمر فيه وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان قط .

من خيال الحسبة فالروح
 الذى هو كشف الظفر
 أخبار الحق ولبسة
 الخيال الذى هو بمثابة
 الجسد مثال انبت
 من نفس الرأى
 في التمام من متصاحب
 القوة الوهمية
 والخيالية من القطة
 فيتألف روح كشف
 الظفر مع جسد مثال
 الحسبة فافترى على التعبير
 إذ لو كشف بالحقيقة
 التى هى روح الظفر
 من غير هذا المثال
 الذى هو بمثابة الجسد
 ما احتاج إلى التعبير
 فكان يرى الظفر
 ويصح الظفر وقد
 يتجرد الخيال
 باستصاحب الخيال
 والروح من القطة في
 التمام من غير حقيقة
 فيكون التمام أمثلاث
 أحلام لا يعرفون ويتجرد

(الركن الثالث : المحتسب عليه)

وشروطه أن يكون بصفة جبر الفعل المنوع منه في حقه منكر أو أقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنسانا. ولا يشترط كونه مكلفا إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإن كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه عيما إذ بينا أن المجنون لو كان زني مجنونا أو يأتى بهيمة لوجب منع منه نعم من الأضلال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره. ولكننا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضا مما يختلف فيه القيم والسافر والريض والصحيح وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها يتبين توجه أصل الإنكار عليه لا ما بها يتبين التفاصيل. فإن قلت فاكفف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه إنسانا فإن البهيمة لو كانت تفسد زرا لئسان لكنها منه كانت المجنون من الزنا وإتيان البهيمة. فاعلم أن تسمية ذلك حسيبة لأوجهها إدخال حسيبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للمنعوع عن مفارقة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والإنسان إذا أثلّف زرع غيره بمنع لحقين : أحدهما حق الله تعالى فإن ضله مصيبة والثاني حق المنكف عليه فهما علتان تنفصل إحداها عن الأخرى فلو قطع طرف غيره باذنه فقد وجدت المصيبة وسقط حق المنكف عليه باذنه فنبت الحسيبة والمنع بإحدى التلئين والبهيمة إذا أثلّفت فقد عدمت المصيبة ولكن ثبت المنع بإحدى التلئين ولكن فيه دققة وهوانا لسنا نقصد إخراج البهيمة منع البهيمة بل نحفظ مال المسلم إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم يجرم منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الحليف والميتات ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقد راعى حفظه بغير تب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقع جرة لئسان من علو ونحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة لمنع الجرة من السقوط فانا لا قصد منع الجرة وحراستها من أن تصبح كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لأصيانة للبهيمة المأثمة أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر ونزها له من حيث إنه إنسان محترم فهذه لطائف دقيقة لا يفتن لها إلا الهلثيون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر إذ قد يتردد في منهما من لبس الحرير وغير ذلك وستعرض لما نشير إليه في الباب الثالث. فإن قلت فشكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مال المسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه. فإن قلت إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخرا لغيره طول عمره وإن قلم لأجب فلم يجب الاحتساب على من نصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير. فنقول : هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام فإن الأدنى في هذا أكثر من الأدنى في ترك رد السلام بل لا خلاف في أن مال الإنسان إذا كان ضائع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لتكليمها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتيان الشهادة في معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لأضرار على الدامع فيه فأما إن كان عليه تب أو ضرر في مال أو جوار لم يلزمه ذلك لأن حقه مرعى في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يهدى غيره بنفسه نعم الإتيان مستحب ونجسم المصاعب لأجل المسلمين قربة فأما إيجابها فلا فاذن إن كان يتبع بإخراج البهائم عن الزرع يلزمه السعي في ذلك ولكن إذا كان لا يتب بقتنيه صاحب الزرع من نومه أو بأعلامه يلزمه ذلك فاهلأ تعريفه وتنبيهه كاهلأ تعريف القاضي بالشهادة وذلك لارخصة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال

لصاحب الحلوة الحبال
النبعث من ذاته من
غير أن يكون وعاء
لحقيقة فلا يبنى على
ذلك ولا يلتفت إليه
فليس ذلك واقعة وإنما
هو خيال فأما إذا غاب
الصادق فيه ذكر الله
تعالى حتى يضب عن
المحسوس بحيث لو
دخل عليه داخل من
الناس لا يلزم به لبيته
في الذكر فتند ذلك قد
ينبت في الابتداء من
نفسه مثال وخيال
ينفع فيه روح
الكشف فإذا عاين
غيبته فلما يأتيه تحسيره
من باطنه موهبة من
الله تعالى وإما يسره
له شيخة كما يسر للبر
النائم ويكون ذلك
واقعة لأنه كشف
حقيقة في لبيته مثال
وشروط صحة الواقعة

إن كان لا يصح من منعمته في مدة اشتغاله بإحراج البهائم إلا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع ينفقه مال كثير فيترجع جانبه لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف ولا سبيل للمصير إلى ذلك فأما إذا كان قوات المال بطريق هو مصيبة كان صعب أو قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب التمسك به وإن كان فيه تب ما لأن المقصود حق الشرع والمرض دفع المصيبة وعلى الإنسان أن يتب نفسه في دفع المصيبة كما عليه أن يتب نفسه في ترك المصائب والمعاصي كلها في تركها تب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غلبة التب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المندورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مثلثين قربان من غرضنا : إحداهما أن الانقطاع هل هو واجب والقطعة ضائعة والمقتطع مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال إن كانت القطعة في مواضع أو تركها فيه لم تضع بل ينتقطعا من يعرفها أو تركها كالوكان في مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكأهم أمانه فلا يلزمه الانقطاع وإن كانت في مضيقه نظر فإن كان عليه تب في حفظها كما لو كانت بهيمة ونحتاج إلى علف وإسطبل فلا يلزمه ذلك لأنه إنما يجب الانقطاع لحق المالك وحقه بسبب كونه إنسانا محترما والمقتطع أيضا إنسان وله حق في أن لا يتب لأجل غيره كما لا يتب غيره لأجله فإن كانت ذهبا أو ثوبا أو شيئا لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تب التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجوهين فقال يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تب فلا سبيل إلى إزالته ذلك إلا أن يتبرع فيلزم طلبا للثواب وقال يقول : إن هذا القدر من التب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين فيلزم هذا منزلة تب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به فإذا كان مجلس القاضى في جواره لزمه الحضور وكان التب بهذه الخطوات لا يعد تبعا في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأجرح إلى الحضور في المحاربة وشدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فإن الضرر الذي يبال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبال به وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزمه احتمال وسط يتجاهد الطرفون ويكون أمدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات الزمنة التي ليس في مقدور البشر إزالتها إذ لا علة تفرق بين أجزائها للتقارب ولكن التي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريه إلى ما لا يريه ، وهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل .

(الركن الرابع : نفس الاحتساب)

وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعريف ثم التعريف ثم التوب والعتو والصح ثم السب والتعنيف ثم التغير باليد ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ثم نشر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود . أما الدرجة الأولى وهي التعرف ونحوه بطلب العرفة بجريان السكر وذلك منبه عنه وهو التمسك الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يترق السمع على دار غيره لسمع صوت الأوتار ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الحمر ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل الزمار ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه عما يجري في داره نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلان يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمر أعدة للشرب فله إذ ذلك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع السكر كسكر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته لاشهادته في جواز الهجوم على داره بولهم فيه نظر واحتمال الأولى أن يمنع لأن له حقا في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ولا يسقط حق السلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مردا فيه . وقد قيل إنه كان نفس حاتم لقمان الستر لما عابت أحسن من إذاعة ما ظننت .

الإخلاص في الذكر أولا

ثم الاستغراق في الفكر

ثانيا وعلازمة ذلك

الزهدي الدنيا ولازمنة

التقوى لأن الله جملة

بما يكشف به في واقعة

مورد الحكم والحقمة

تحكم بالزهد والتقوى

وقد يتجرد للذاكر

الحقائق من غير غلبة

المثال فيكون ذلك

كشفا وإخبارا من الله

تعالى إياه ويكون ذلك

تارة بالرؤية وتارة

بالسمع وديسمع من

باطنه وقد يطرئ ذلك

من الهواء لا من بطنه

كالهوائف يعلم بذلك

أمرا يريد الله إحداثه

له أو لغيره فيكون

إخبار الله إياه بذلك

مزيدا ليقينه أو يرى

في المنام حقيقة الشيء .

نقل عن بعضهم أنه

أتى بشراب في قدح

الدرجة الثانية : التعريف فان الشكر قد يقدم عليه التقدم بجهله وإذ اعرف أنه متمركز كالسودى يصل ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولورضى بأن لا يكون مصليا لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه بالاطلف من غير عنف وذلك لأن ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحق والتجهيل إيداء وقلمنا يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمر لاسميا بالترفع ولذلك ترى الذى يظلم عليه الغضب كيف يغضب إذا نهى على الخطأ والجهل وكيف يجتهد فى جماعدة الحق بعد معرفته خيفة من أن يتكشف عورة جهله والاطباع أحرم على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية ، لأن الجهل قبح فى صورة النفس وسواد فى وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوءاتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلق لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا فى اختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم فذلك يعلم تألم الإنسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه فى نفسه بملء ثم لفته عند ظهور جمال علمه لغيره ، وإذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلا بد وأن يبالغ فى أداءه بلطف الرفق فنقول له إن الإنسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمر الصلاة فسلمنا العلماء ولعل قلوبنا خالية عن أهل العلم أوعالمنا مقصر فى شرح الصلاة وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة فى الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيداء فان إيداء السلم حرام محذور كما أن تقريره على الشكر محذور وليس من العقلاء من يشل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور السمكوت على الشكر واستبدل عنه محذور إيداء السلم من الاستثناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق ، وأما إذا وقت على خطأ فى غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فانه يستفيد ، نك علما وصبرك عدوا إلا إذا علمت أنه يختم العلم وذلك عزيز جدا . الدرجة الثالثة : التى لو عطلوا النصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا كالذى يواطى على الشرب أو على الظلم أو على اغتيا ب السليمين أو ما يجرى مجراه فينبى أن يعطو ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد فى ذلك وتحكى له سيرة السلف وعبادة التيقن وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر الترحم عليه ويرى إقدامه على النصية معنية على نفسه إذ السليمون كنفس واحدة ، وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوفاها فانها مهلكة ، وهى أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذله غيره بالجهل فرمما يقصد بالترىف الإذلال وإظهار التميز بشرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا الشكر أقبح فى نفسه من الشكر الذى يفترض عليه ، ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية الجهل ، وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور لاشيطان يتدلى بجهله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان فى الاحتكام على الغير لثة للنفس عظيمة من وجهين : أحدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشكر والحقى وله حكم وميعار ينبغي أن تتجنب المحتسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن الشكر نفسه أو باحتجاب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحيرة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو رذائل يكتفى بغيره فلا يجنب فان باعته هو الدين وإن كان اماط ذلك العاصى وعظه واتزجاره بزجره أحب إليه من اماطه بوعظ غيره فاهو إلا متبع هوى نفسه ومتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبه فليثق الله تعالى وليحتسب أولا على نفسه وعند هذا يقال ما قيل لعيسى عليه السلام

فوضعه من يده وقال
قد حدث فى العالم
حدث ولا أشرب هذا
دون أن أعلم ماهو
فانكشف له أن قوما
دخلوا مكة ولوا فيها .
وحكى عن أبى سلمان
الحواص قال كنت
راكبا حمارا لى يوما
وكان يؤذيه الداب
فيطأ على رأسه فكنت
أضرب رأسه بخشبة
كانت فى يدي فرفع
الحمار رأسه إلى وقال
أضرب فانك على
رأسك تضرب قيل له
ياأبا سلمان وقع لك
ذلك أو سمعته فقال
سمعته يقول كما سمعته .
وحكى عن أحمد بن
عطاء الروذبارى قال
كان لى مذهب فى أمر
الطهارة فكنت لبة
من البالي أستجى
إلى أن مضى ثلث الليل

يا ابن مريم عظم نفسك فان امتظت فمظ الناس وإلا فاستحي مني ، وقيل لداود الطائي رحمه الله : أريدت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهأهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قل إن يوقى عليه قال أخاف عليه السيف قال إنه يوقى عليه قال أخاف عليه السهم قال إنه يوقى عليه قال أخاف عليه السهم قال إنه يوقى عليه قال أخاف عليه السهم قال إنه يوقى عليه .
 الدرجة الرابعة : السب والتنيف بالقول القاطع الحشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن التبع باللفظ وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام - أفلكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون - ولنا نفي بالسب الفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة المعصية كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل بالأخاف الله وكقوله يا سوادى يا غيى وما يجرى هذا المجرى فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولو لا حمقه لما عصي الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (١) وهذه الرتبة أدبان : أحدها أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثانى أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست ترجره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقاق له والازدراء بمحله لأجل معصيته وإن علم أنه لو تكلمكم ضربوا لكفروا وأظهروا الكراهة بوجهه لم يضرب بزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يعطيه وجهه ويظهر الإنكار له . الدرجة الخامسة : التغيير باليد وذلك ككسر اللامى وإراقة الحجر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه وضعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار للصوبة بالجرح وخرجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يجرى مجراه وتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض ، فأما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة ، وفي هذه الدرجة أدبان : أحدهما أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحسب عليه ذلك فاذا أمكنه أن يكلفه الشيء في الخروج عن الأرض المعصية والسجد فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره وإذا قدر عن أن يكلفه إراقة الحجر وكسر اللامى وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط نفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله . الثانى أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بعينته في الإخراج ولا يرجه إذا قدر على جره بيده فان زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن لا يعزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق اللامى والصليب الذى أظهره النصارى بل يبطل صلاحها للفساد بالكسر وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استئصال إصلاحه إلى تبس يساوى تبس الاستئصال من الحشيش ابتداء وفي إراقة المحور يتوق كسر الأوانى إن وجد إليه سبيلا فان لم يقدر عليها إلا بأن يرمى ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الحجر إذ صار حائلا بينه وبين الوصول إلى إراقة المحر ولو ستر الحجر بيده لكانت قصد بدنه بالحجر والضرب لتوصل إلى إراقة المحر فاذا لا تريد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان المحر في قوارير مضيق الرءوس ولو اشتغل بارتها طال الزمان وأدركه الساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنهم من كان يضييع في زمانه وتمتع عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضييع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس .

ولم يطبق قلبي تضجرت
 فبكيت وقتي يارب
 العفو فسمعت صوتا ولم
 أر أحسدا يقول
 يا أبا عبد الله العفو في
 العلم وقد يكشف الله
 تعالى عيبه بآيات
 وكرامات تربية للعبد
 وتقوية ليقينه وإيمانه
 قيل كان عند جعفر
 الخلدى رحمه الله نص
 له قيمة وكان يوما من
 الأيام راكبا في السارية
 في دجلة فهم أن يعطى
 السلاح قطعة وحل
 الخرقه فوق العصى في
 الدجلة وكان عده
 دعاء للضالة محراب وكان
 يدعوه فوجد الصبي
 في وسط أوراق كان
 يتصفحها والدعاء هو
 أن يقول يا جامع الناس
 ليوم لا ريب فيه اجمع
 على خاتمي . وصمت
 شيخنا بهمذان حكاه

لأجل ظروف المحروحيث كانت الازاقة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان . فان قلت فهلا جاز الكسر لأجل الزجر وهلا جاز الجرب بالرجل في الأخراج عن الأرض التصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر . فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل والعقوبة تتكون على الماضي والدفع على الحاضر الرأى وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام النكر فإزاد على قدر الإعدام فهو إعاقة على جريمة سابقة أو زجر عن لاحق وذلك إلى الولاة لا إلى الرعية . ثم الوالى له أن يفعل ذلك إذا رأى الصلحة فيه . وأقول له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها المحور زجرا وقذف ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكيذا للزجر^(١) ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والعظام شديدة فاذا رأى الوالى باجتهاد مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك وإذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لأحاد الرعية . فان قلت : فليجزر للسلطان زجر الناس عن المعاصي بتألف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها يسربون ويصون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصي . فاعلم أن ذلك لو ورد الصريح به لم يكن خارجا عن سنن الصالح ولكن لا ينتفع الصالح بل يتبع قبا وكسر ظروف المحر قد ثبت عند عدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم عدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العقوبة ويصوم بدورها وإنما جاز ذلك للامام بحكم الاتباع ومنها آحاد الرعية منه لبقاء وجه الاجتهاد فيه بل يتولد لأربقت المحور أولا فلا يجوز كسر الأواني بعدها وإنما جاز كسرها تبا للخطر فاذا خلت عنها فهو تألف مال إلا أن تكون ضاربة بالخطر لتصلح إلا فإلها فكان الفعل للقول عن الصرا الأول كان مقرونا بعينين : أحدهما عدة الحاجة إلى الزجر والآخر تسمية الظروف للخطر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لاسبيل إلى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر لعله بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضا مؤثرا لاسبيل إلى إلغائه فهذه تصرفات دقيقة فحسب يحتاج المحتسب لعمالة إلى معرفتها . الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا أو لا كسرن رأسك أو لأضربن رقبك أو لأمرن بك وما أشبه وهذا ينبغي أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تهديبه والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأنهن دارك أو لأضربن ولدك أو لأضربن زوجتك وما يجري مجراه بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام وإن قاله من غير عزم فهو كذب ثم إذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن إذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المهدور بل البالغة في مثل ذلك معناه وهو معنى بالغة الرجل في إصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضربين وذلك مما قد رخص فيه للحاجه وهذا في معناه فان قصد به إصلاح ذلك الشخص وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقيح من الله أن يتوعد بما لا يفعل لأن الخلف في الوعيد كرم وإنما يقيح أن يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضى عندنا فان الكلام القديم لا ينطبق إلى الخلف وعدا كان أو وعيدا وإنما تصوّر هذا في حق المباد وهو كذلك إذ الخلف في الوعيد ليس بحرام . الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شبر سلاح وذلك جائز للاسناد بشرط الضرورة والاعتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع النكر فينبغي أن يكف والقاضي قد يرقى من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحبس فان أصرّ المحبوس وعلم القاضي قدرته

(١) حديث تكسير الظروف التي فيها المحور في زمنه صلى الله عليه وسلم الترمذى من حديث أبي طلحة أنه قال : يا نبي الله إني اشتريت خرا لأيتام في حجرى قال اهرق المحر واكسر الدنان وفيه يث بن أبي سليم والأصح رواية السدى عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عنسدى قاله الترمذى .

شخص أنه كوشف في
بعض خلواته بوله له
في جحون كاد يسقط
في الماء من السفينة قال
فزجرته فلم يسقط
وكان هذا الشخص
بنواحي همدان وولمه
بجحون فلقاهم الولد
أخبر أنه كاد يسقط في
الماء فسمع صوت والده
فلم يسقط . وقال عمر
رضي الله عنه بإسارية
الجل على اللبر بالمدينة
وسارية بها وند فأخذ
سارية نحو الجبل وظفر
بالعدو قتيلا لسارية
كيف علت ذلك فقال
صمت صوت عمر وهو
يقول بإسارية الجبل .
سئل ابن سالم وكان قد
قال للإيمان أربعة
أركان ركن منه
الإيمان بالقدره وركن
منه الإيمان بالحكمة
وركن منه التبرى من

على أداء الحق وكونه معاندا لله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدرج كاجتناب إليه وكذلك المحتسب يرى التدرج فان احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدّر على دفع النكر بشهر السلاح والجرح لله أن يتعاطى ذلك ما لم تشر فتنة كالوقص فاسق مثلا على امرأة أو كان يضرب بزمزم معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له خلّ عنها أولأرميتك فان لم تخلّ عنها لله أن يرمى وينبئ أن لا يقصد القتل بل الساق والفتنوذما أشبه وبراعى فيه التدرج وكذلك يسلّ سيفه ويقول أترك هذا النكر أولأضربك فكل ذلك دفع للنكر ودفعه واجب بكل يمكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالأميين. وقالت المرأة لا يتعلق بالأميين فلا حبة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للامام لا لأحد. الدرجة الثالثة: أن لا يتعدى عليه نفسه واحتجاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح وربما يستمدّ القاسق أيضا بأعوانه ويؤذى ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى إذن الامام فقال قائلون لا يستقلّ أحاد الرعية بذلك لأنه يؤدى إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد. وقال آخرون لا يحتاج إلى الإذن وهو الأقوى لأنه إذا جاز للأحاد الأمر بالمعروف وأوّل درجاته تجر إلى توان والثواني إلى ثوالت وقد ينتهى لاحالة إلى التضارب والتضارب يدعو إلى التماثل فلا ينبغي أن يبالى بلوازم الأمر بالمعروف ومتناهى تجنيد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه ونحن نجاوز للأحاد من التزلة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار فما لأهل الكفر فكذلك قم أهل الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والاسلم إن قتل فهو شهيد فكذلك القاسق التامل عن فسقه لا بأس بقتله والمحتسب الحق إن قتل مظلوما فهو شهيد. وعلى الجملة فانها الأمر إلى هذان التوارد في الحجة فلا يغيره قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر لله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبفسه وبأعوانه فالمسئلة إذن محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحجة فلنذكر آدابها والله اللوفق .

(اب آداب المحتسب)

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب: العلم والورع وحسن الخلق . أما العلم فليعلم مواقع الحجة وحدودها ومحاربا وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه . والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بفسه بل ربما يعلم أنه مسرف في الحجة وزانته إلى الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه عرض من الأغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان القاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جرأة عليه . وأما حسن الخلق فليتمكن من من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأساسه والعلم والورع لا يكفيان فيه فان الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قومه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بتم أو ضرب نسي الحجة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاث بها قصير الحجة من القربات وبها تندفع التنكرات وإن فقدت لم يندفع التنكر بل ربما كانت الحجة أيضا منكرا لمجاورة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن النكر إلا روق فبما يأمر به رفيق فبما ينهى عنه حليم فبما يأمر به حليم فبما ينهى عنه قهيه فبما يأمر به قهيه فبما ينهى عنه (١) وهذا يدل على أنه لا يشترط

الحول والقوة وركن منه الاسماعة بالله عز وجل في جميع الأعياء قيل له ما منى قولك الايمان بالقدرة فقال هو أن تؤمن ولا تنكر أن يكون لله عبيد بالشرق قائما على بيته ويكون من كرامة الله له أن يعطيه من القوة ما ينقلب من بيته على يساره فيكون بالمغرب تؤمن بمجاوز ذلك وكونه وحكى على قبر أنه كان بمكة وأرجف على شخص يقداد أنه قد مات فكشفت الله بالرجل وهو راكب يمشى في سوق بغداد فأخبر إخوانه أن الشخص لم يموت وكان كذلك حتى ذكر لي هذا الشخص أنه في تلك الحالة التي كوشف بالشخص راكبا قال

(١) حديث لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن النكر إلا روق فبما يأمر به رفيق فبما ينهى عنه الحديث

أن يكون قهراً مطلقاً بل فيما يأمر به وينهى عنه وكذا الحلم . ول الحسن البصري رحمه الله تعالى :
إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فسكن من أخذ الناس به وإلا هلك . وقد قيل :

لا تلم للرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله
من ذم شيئا وآتى مثله فأنما يرمى على عهده

ولسنا ننفي بهذا أن الأمر بالمعروف يصير مجموعاً بالحق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور نفسه
للناس . قد روى عن أنس رضي الله عنه قال « قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نصلي به كله
ولانتهى عن النكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله
وانهوا عن النكر وإن لم تجتنبهوا كله (١) » وأوصى بعض السلف بيه فقال إن أراد أحدكم أن
يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس
الأذى ، فاذن من آداب الحسنة توطئ النفس على الصبر ولذلك قال الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف
فقال حاكياً عن لقمان - يابني أتم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن النكر واصبر به ما أمراك . -
ومن الآداب تحليل الملاقى حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلاق حتى تزول عنه الداهية .

قد روى عن بعض الساج أن كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئاً من
التند لسنوره فقرأ على القصاب منكراً فدخل الدار أولاً وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على
القصاب فقال له القصاب لا أعينك بعد هذا شيئاً لسنورك فقال ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج
السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسنة ومن طمع
في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة والستهم بالثناء عليه مطلقاً لم تيسر له الحسنة . قال كعب
الأجبار لأبي مسلم الخولاني : كيف منزلتك بين قومك ؟ قال حسنة قال إن التوراة تقول : إن الرجل
إذا أمر بالمعروف ونهى عن النكر ساءت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب
أبو مسلم . ويدل على وجوب الرفق ما استدل به للأئمة إذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال
يارجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق قال تعالى - فولا
لهقولا لينا له لا يذكر أومعنى - فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأئمة صلوات الله عليهم . قد
روى أبو أمامة « أن غلاماً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يابني الله أنأذن لي في الزنا فصاح
الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربوه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي عليه الصلاة
والسلام أحبه لأملك ؟ قال لا ، اجعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأمرهم أحبه لأملك ؟ قال لا ،
اجعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناهم أحبه لأملك (٢) » وزاد ابن عوف حتى ذكر
العمو الخال وهو يقول في كل واحد ، لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس
لا يحبونه ولا جميعاً في حديثهما أعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على صدره وقال « اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه » فلم يكن شيء أبغض إليه من يعنى
من الزنا وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله : إن سفاح بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل

لم أجده هكذا ولبيق في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر معروف فليكن
أمره معروف (١) حديث أنس قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى تعمل به كله ولانتهى عن النكر
حتى تجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن النكر وإن لم
تجتنبهوا كله الطبراني في المعجم الصغير والأوسط ونبه عبد القدوس بن حبيب أمجوا على تركه .

(٢) حديث أبي أمامة أن شاباً قال يا رسول الله أذن لي في الزنا فصاح الناس به الحديث رواه أحمد بإسناد جيد

ما أخذهم إلا دون حق ثم خلا به وعذله ووجه فقال سفيان بأنا على إن لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين . وقال حماد بن سلمة : إن صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال دعوني أنا ! فكفكم فقال بإذن أخى إن إليك حاجة قال وما حاجتك يا عم ؟ قال أحب أن ترفع من إزارك فقال نعم وكرامة فرفع إزاره فقال لأصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشمتم . وقال محمد بن زكريا الغلابي : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فحبسها فاستأثمت فاجتمع الناس يضربونه فظفر إليه ابن عائشة فصره فقال للناس تحوا عن ابن أخى ثم قال لي يا ابن أخى فاستحي التلام فبجاء إليه فضمه إلى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمائه بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيه به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف فقال التلام قد أمر أن تأتيه فأدخله عليه فقال له أما استحييت لنفسك أما استحييت لغيرك أما ترى من ولدك ؟ فأتاه الله وأتبعه مما أنت فيه فبكى التلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عبدا يسألي عنه يوم القيامة أتى لأعود لمحب التبيذ والخصم . مما كنت فيمونا أنا تاب فقال ادن مني قبل رأسه وقال أحسنت يا بني فكان التلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك يركه رقه ثم قال : إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروهم منكرا فليكن بالرفق في جميع أموركم تتألون به ما يطلبون . وعن الفتح بن شخرف قال : تعلق رجل بامرأة وقهر من لها ويده مكين لا يدنو منه أحد إلا عقره وكان الرجل شديد الدين فبينما الناس كذلك وللرأة تصيح في يده إذا مر بشر من الحرث فذنا منه وحك كنفه بكف الرجل فوق الرجل على الأرض ومشي بسر فدنا من الرجل وهو يترشح عرفا كثيرا ومضت للمرأة لحالها فسأله ما حالك ؟ قال ما أدري ولكن حاكني شيخ وقال لي إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل فضعفت لقوله قدامى وهتبه هبة شديدة ولا أدري من ذلك الرجل ؟ فقالوا له هو بشر بن الحرث فقال واسوأناه كيف ينظر إلى بعد اليوم وحسن الرجل من يومه ومات يوم السابع ، فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد قلنا فيها آثارا وأخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصلوة فلا نطول بالأعادة فهذا تمام النظر في درجات الحسبة وآدابها والله الوفي بكرمه والحمد لله على جميع نعمه .

(الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات)

فنشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثلها إذ لا مطمع في حصرها واستقصائها . فمن ذلك :

(منكرات الساجد)

اعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة فإذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بجرام إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه وإذا قلنا منكر محظور أوقفه منكر مطلقا ففرد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا . فمما يشاهد كثيرا في الساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب التنبه عنه لا يعد الحق الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة إلا لا يمنع التنبه لله ومن رأى شيئا في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الآثار وفي الخبر ما يدل عليه إذ ورد في البيهقي أن السمع شريك القائل (١)

رجاله رجال الصالحين .

(الباب الثالث في المنكرات المألوفة)

(١) حديث الغتاب والسمع شريكان في الإثم تقدم في الصوم .

لصالحهم الأوقات

بالقرباء فيروحوون

بذلك ويروقون لطريقة

من كوشف بصرف

اليقين من ذلك المكان

أن نفسه أسرع إجابة

وأسهل اشتياذا وأتم

استعدادا والأولون

استلئين بذلك منهم

ما استوعروا واستكشف

منهم ما استروا وقد لا يمنع

صور ذلك الرهايين

والبراهمة ممن هو غير

منتج سبل الهدى

وراكب طريق الردى

ليكون ذلك في حقهم

مكرا واستدراجا

ليستحسنوا حالهم

يستقروا في مقام

الطرد والبعيد إبقاء لهم

فما أراد الله منهم من

الصمى والضلال والردى

والويلاد حتى لا يشر

الساكن يسير شيء

يفتح له ويصل أنه

وكذلك كل ما قدح في صحة الصلاة من نجاسة على توبه لا رهاها أو انحرف عن القبلة بسبب ظلام أو غمى فكل ذلك نجاسة حسية فيه . ومنها قراءة القرآن بالحن يجب التهيء به ويجب تلقين الصحيح فان كان التكسيف للسجد يضيع أكثر أوقاته في أمثال ذلك ويستغل به عن التطوع والذكر فليستغل به فان هذا أفضل له من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض وهي قرينة تمدى فاندتها فهي أفضل من نافلة تنقص عليه فاندتها وإن كان ذلك عنمه عن الورقة مثلا أو عن الكسب الذي هو طمته فان كان معه مقدار كفايته ثمه الاعتغال بذلك ولم يجرله ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الواجب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادرا على التلم فليمتنع من القراءة قبل التلم فانه عاص به وإن كان لا يطاوعه اللسان فان كان أكثر ما يقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وإن كان الأكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخضع بالصوت حتى لا يسمع غيره ولئنه سرا منه أيضا وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فليست أرى به بأسا والله أعلم . ومنها ترأس المؤمنين في الأذان وتطويلهم بعد كلاته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيلتين أو لفرد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها فان صدرت عن معرفة فيستحب النع منها والحسبة فيها وكذلك إذا كان للسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن يمنع من الأذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يول على أذانه في صلاة وترك سجود أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح . ومن المكروهات أيضا تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متفاربة إما من واحد أو جماعة فانه لا فائدة فيه إذ لم يبق في السجد ثم ولم يكن الصوت مما يخرج عن السجد حتى يتهيء غيره فكل ذلك من المكروهات الخالفة لسنة الصحابة والسلف . ومنها أن يكون الخطيب لباسا ثوبا أسود يغلب عليه الإبريسم أو ممسكا سيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب وأما مجرد السواد فليس بمكروه لكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ومن قال إنه مكروه وبدعه أراد به أنه لم يكن معمودا في العصر الأول لكن إذا لم يرد فيه نهى فلا يبنى أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للأحب . ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ للمتنع يجب بمنه ولا يجوز حضور مجلسه لإعطي قصد إظهار الرد عليه إملا لكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواله فان لم يقدر فلا يجوز صماع البدعة قال الله تعالى لنبيه - فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره . ومهما كان كلامه مائلا إلى الإرجاء وتجربة الناس على المعاصي ، وكان الناس يزادون بكلامه جرأة وبغفوا الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجائهم على خوفهم فهو منكر ويجب منه عنه لأن قتاد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فانهم إلى الخوف أجوع وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضى الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لحقت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شامزا لفساد في نياحه وهيبته كثير الأشعار والأشعار والحركات وقد حضرت مجلسه النساء فهذا منكر يجب النع منه فان القاصد فيه أكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه برأى أحواله

لو منى على الماء
والهواء لا ينفع ذلك
حتى يؤدى حق التقوى
والزهد فأما من يعوق
بغيا لوقع بمحال ولم
يحكم أساس خلوته
بالاخلاص يدخل
الحلوة بالزور ويدخل
بالرور فيرفض
العبادات ويستقرها
ويبله الله تعالى
لذة للعامة وتذهب
عن قلبه هبة
الشريعة ويفتضح في
الدنيا والآخرة فليعلم
الصادق أن القعود
من الحلوة التقرب إلى
الله تعالى بسيرة
الأوقات وكف الجوانح
عن المكروهات
فيصلح قوم من
أرباب الحلوة إدامة
الأوراد وتوهمها على
الأوقات ويصلح قوم
ملازمة ذكر واحد

بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وحيثه السكينة والوقار وزيه زى الصالحين وإلا فلا
يزداد الناس به إلا تماديا في الضلال ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن
ذلك أيضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور السجدة للصلوات
وجالس الله ذكر إذا خيفت الفتنة بين قد منتهن عائشة رضي الله عنها قيل لها : إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مامتين من الجماعات فقلت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثني بسد لمعنه (١)
وأما اجتياز المرأة في المسجد مستمرة فلا تمنعته إلا أن الأولى أن لا تتخذ السجدة مجازا أصلا لقراءة القرآن
بين يدي الوعظ مع التمدد والألحان على وجه يضرب نظم القرآن ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه
شديد السكره أنكره جماعة من السلف . ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة
والتبويضات وكتياف السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأعمار وما يجري مجراه فهذه الأشياء منها
ما هو محرم لكونه تلبسا وكذا كالسكاكين من طريقة الأطباء وأكله الشبقة والتلبسات وكذا
أرباب التبويضات في الأغلب يتوصلون إلى بيعها بتلبسات على الصبيان والسوايدة فهذا حرام في المسجد
وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبس وإخفاء عيب على المشتري فهو حرام .
ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة فهذا في المسجد أيضا لا يحرم
إلا بمرض وهو أن يضيق المصل على الصلوات ويشوش عليهم صلاتهم فإن لم يكن شيء من ذلك فليس
بحرام والأولى تركه ولكن شرط إباحتها أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة فإن اتخذ المسجد
دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فن الباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثرت صار صغيرة كما أن من
الدينوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا الوضع بابه لحيف منه أن ينجر
إلى الكبر فليمنع منه ولكن هذا التبع إلى الوالي أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي لأنه
لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للأحد للتعلم ما هو مباح في نفسه خوفاً أن ذلك يكثر . ومنها دخول
المجانين والصبيان والسكران في المسجد ولا بأس بدخول الصبي للمسجد إذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب
في المسجد ولا السكوت على ليه إلا إذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل
قلبه دون كثيره ، ودليل حل قلبيه ما روي في الصحيحين «أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله
عنها حتى نظرت إلى الحبيشة يزفون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد » ولعلنا في أن
الحبيشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم يرد ذلك على الندرة والقلة منكرنا حتى نلحق إليه بل أمرهم به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيرهم عائشة تطييبا لقلها إذ قال « دونكم يا بني أرفة » كما قلناه
في كتاب السباع . وأما المجانين فلا بأس بدخولهم للمسجد إلا أن يخشى تلويثهم له أو شتمهم أو نطقهم بما هو
خفى أو تملطهم لما هو منكرف في صورته ككشف العورة وغيره . وأما المجنون الهادي الساكن الذي قد
علم بالمادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد والسكران في معنى المجنون فإن خيف منه
التدفع أعني القى أو الأذى باللسان وجب إخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه
وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تنفوح فهو منكرف مكروه شديد السكره وكيف لا ، ومن
أكل التوم والبصل (٢) فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور الساجد ولكن جعل ذلك
على السكره والأمر في الحرأشد . فإن قال قائل ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا .
قلنا لا ، بل ينبغي أن يلزم القعود في المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال غافلا

ويصلح قوم دوا
للراقة ويصلح قوم
الانتقال من الذكر
إلى الأورد وقوم
الانتقال من الأورد
إلى الذكر ومعركة
متأدبر ذلك يصلح
للصحب للشيخ للطاع
على اختلاف الأوضاع
وتتوفا مع نصحه
لازمة وشفتقه على
السكافة يريد للردفه
لأنفسه غير مبتل
بهوى نفسه عبا
للاستيعاب ومن كان
عبا للاستيعاب فبا
يسد مثل هذا أكثر
عما يصلحه .

الباب الثامن

والشعرون في كيفية
الدخول في الأربنية
روى أن داود عليه
السلام لما اجتلى بالخطبة
خرقه ساجدا أربعين
يوما ووليه حتى أتاه

(١) حديث عائشة لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثني أى النساء من بعده لمعنه للساجد
منتقى عليه (٢) هذا الحديث لم يخرج عنه العراقي وقد خرجه الشارح عن البخارى ومسلم وغيرهما .

فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الأحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادته شاهدين فأما لمجرد الراحة فلا ، نعم إذا كان يمشي بين الناس متايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعه عن إظهار أثر السكر فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركه وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستترا مخفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه والراحة قد تنفوس من غير شرب الجلولس في موضع الحرم وبوصوله إلى النعم دون الابتلاع فلا ينبغي أن يولد عليه .

(منكرات الأسواق)

من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في الراحة وإخفاء الميب فمن قال اشترت هذه السلعة مثلا بيشرة وأربع فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك أن غير المشتري بكذبه فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شركا له في الحيانة وعصى بسكوته وكذا إذا علم به عيا فيلزمه أن ينيه للشرى عليه وإلا كان راضيا بضياع مال أخيه للسم وهو حرام وكذا التفاوت في الدراج والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفضه إلى الوالي حتى يغيره . ومنها ترك الإيجاب والتقول والاكتفاء بالمطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للمقود وكذا في الربويات كلها وهي غالية وكذا سائر التصرفات الفاسدة . ومنها بيع الملاهى وبيع أشكال الحيوانات الصورة في أيام العيد لأجل الصبيان فذلك يجب كسرها والنهي من بيعها كالملاهى وكذلك بيع الأواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلاس الذهب والحرير أعنى التي لاتصلح إلا للرجال أو يعلّم بعادة الدلد أو لعل يلمسه إلا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يتنادى ببيع الثياب المتلفة المتصورة التي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها وبزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والنهي عنه واجب وكذلك تلبس أغراق الثياب بالرفو وما يؤدي إلى الالتباس وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبس وذلك بطول إحصاءه . فليفس بما ذكرناه ما لم نذكره .

(منكرات الشوارع)

من المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكاك التصلة بالأنية الملوكة وغرس الأشجار وإخراج الرواشن والأضجة ووضع الحطب وأحمال الجبوب والأطعمة على الطرق فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضيق الطرق واستضرار للارة وإن لم يؤدي إلى ضرر أصلا لسهة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه السكافة ولا يمكن للنعم منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق ويتجسس المجتازين منكر يجب المنع منه إلا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التي تراد الشوارع لأجلها في العادة النفعه وليس لأحد أن يخص بها إلا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التي تراد الشوارع لأجلها في العادة دون سائر الحاجات . ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يعرق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدها وضمها بحيث لا تمنع أو أمكن المدول بها إلى موضع واسع وإلا فلا منع إذ حاجة أهل البلد تنس إلى ذلك نعم لا تترك ملغاة على الشوارع إلا بقدر مرمدة النقل ، وكذلك تحميل الدواب من الأحمال لا تطيقه منكر يجب منع المالك منه . وكذلك ذبح القصاب إذا كان يدبح في الطريق حذاء باب الحانوت وبلوث الطريق بالنعم فانه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ في دكانه مذبحا فإن في ذلك تضيقا بالطريق وإضرارا بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استقدار الطبايع للغاذورات وكذلك طرح القمامة

الغفران من ربه وقد
تقرر أن الوحدة
والعزلة سلاك الأمر
ومتتمك أبواب
الصدق فمن استمرت
أوقاته على ذلك فجميع
عمره خلوة وهو الأمل
لديه فان لم يتيسره
ذلك وكان مبتلى
بنفسه أولا ثم بالأهل
والأولاد ثانيا فليجمل
نفسه من ذلك نصيا .
قل عن سفیان
الثوري فيأروى أحمد
ابن حرب عن خالد بن
زيد عنه أنه قال كان
يقال ما أخلص عبده
أربعين صباحا إلا أنبت
الله سبحانه الحكمة
في قلبه وزهده الله
في الدنيا وورعه
في الآخرة وبصره داء
الدنيا ودواها فانتصاهد
العبد نفسه في كل سنة

على جواد الطرق وتبدد شعور البطريرك ورش الماء بحيث يغطي منه التراقي والتمتر كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من اليازب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب أو يضيّق الطريق فلا يمنع منه في الطرق الواسعة إذا المدول عنه يمكن فأما ترك مياه المطر والأحوال والتلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين إلا التلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فليصل صاحبه على الخصوص كسح الطريق وإن كان من المطر فذلك حسيبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للأحاديث إلا الالوعظ فقط وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه وإن كان لا يؤذى إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وإن كان يضيّق الطريق ببسط ذراعيه لم يمنع منه بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد فودا يضيّق الطريق فكلبه أولى بالنبح .

(منكرات الحمامات)

منها الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر فان كان الموضع مرتفعاً لا تصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لفرضه ليلعد إلى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان . ومنها كشف العورات والنظر إليها ومن جعلها كشف الدلاك عن القعد وما تحت السرة لتنجية الوسخ بل من جعلها ادخال اليد تحت الإزار فان مس عورة الغير حرام كالنظر إليها . ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتتميز الأضغاد والأعجاز فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لا يكون محظوراً إذ لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للنجاس الدني من القواحيش فان المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنّها للزمية في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال . ومنها غمس اليد والأواني النجسة في المياه القليلة وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء إلا على مذهب مالك فلا يجوز الانكسار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتباس واللفظ وهو أن يذول له إن احتاج أن تسدل أولاته تمسها في الماء وأما أنت فمستثنى عن هذا وإنما تغتوي الطهارة على وما يجري مجرى هذا فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر . ومنها أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء مزقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وإزالته وينكر على الحمامي إهماله فانه يفضي إلى السقطة وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو اخلاءه وكذلك ترك الصدر والصابون الزلق على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضامن متردد بين الذي تركه وبين الحمامي إذ حقه تنظيف الحمام والوجه إيجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذ إعادة تنظيف الحمام كل يوم متعاده والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها وفي الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فالتنظر هناك .

(منكرات الضيافة)

فمنها قرض الخمر للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في محجرة ضفة أو دهب أو الشراب أو استعمال ماء الورد في أواني الفضة أو ما رؤوسها من فضة . ومنها إسدال الستور وعليها الصور . ومنها سماع الأوتار أو سماع القيّنات . ومنها اجتناع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال

مرة وأما للربيد الطالب إذا أراد أن يدخل الخلوة فأكل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما علكه ويتسل غسلاً كاملاً بعد الاحتياط للتوب وللصلى بالنظافة والطهارة ويصل الركعتين ويتوب إلى الله تعالى من ذنوبه يكاء وتضرع واستسكاناً وتغنى ويسوي بين السرية العلانية ولا ينطوي على غل وغش وحسد وخيانة ثم يقدم في موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجمعة فترك المحافظة على صلاة الجمعة غلط وخطأ فان وجد تفرقة في خروجه يكون له شخص يصل معه جماعة

شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن يحجز عن تغييره ثمة الخروج ومن لم يحجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات وأما الصور التي على التاروق والزوايا الفروقة فليس منكرًا وكذلك على الألباق والقصاع لا الأواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤوس بعض الجاهل على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حرامًا أو كان الوضع منصوبًا أو كانت الشايان الفروقة حرامًا فهو من أشد المنكرات فإن كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إذ لا يحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب بضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك إن كان فيهم من ليس بالخمر أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فإن كان القوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزع عنه إن كان عجزًا لعموم قوله عليه السلام «هذان حرام على ذكور أمتي»^(١) وكان يجب منع الصبي من شرب الخمر لئلا يكون مكلفًا ولكن لأنه يأنس به فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شيوة التزني بالخمر تلعب عليه إذا اعتاده فيكون ذلك بفساد يثير في صدره فتبت منه شجرة من الشهوة راسخة يسر قلبها بعد البلوغ أما الصبي الذي لا يجب قبضه بمعنى التحريم في حقه ولا يخو عن احتال والعلم عند الله فيه والمنهون في معنى الصبي الذي لا يجب نعم على التزني بالذهب والخمر لفساد من غير إسراف ولا يرى رخصة في تثقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب لقصاص فلا يجوز إلا الحاجة مهمة كالنقد والحجامة والحجائن والتزني بالخلق غيرهم بل في التفریط بتعليقه على الأذن وفي الخائف والأسورة كفاية عنه فهذا وإن كان معتادًا فهو حرام والتنع منه واجب الاستئجار عليه غير صحيح والأجرة للأخوة عليه حرام إلا أن يثبت من جهة القتل فيه رخصة ولم يلقنا إلى الآن فيه رخصة . ومنها أن يكون في الضيافة مبتدع يشكم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فإن كان لا يقدر عليه لم يحجز فإن كان البتبع لا ينكم يدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والإعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النوادر فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يحجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه وإن كان ذلك مزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أغنى ما قيل منه فأما اتخاذ منعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جهة المنكرات كقول الانسان مثلا طليتك اليوم مائة مرة وأعدت عليك الكلام ألف مرة وما يجري مجراه مما يعلم أنه ليس بقصد به التحقيق فذلك لا يندرج في المدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتي حد المزاح البليغ والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربيع الملهكات . ومنها الاسراف في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران : أحدهما الامتاعة والآخر الاسراف فالامتاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كإحراق القوب وتزنيقه وهم البناء من غير غرض وإلقاء المال في البحر وفي مناه صرف المال إلى الناعمة والطرب وفي أنواع القصاد لأنها فوائد محرمة شرعًا فصار كالمعدومة وأما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال إلى الناعمة والطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف إلى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة إلى الأحوال فنقول لمن لم يملك إلا مائة دينار مثلاً يجمعه عياله وأولاده

(١) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الأكل .

في خلوة ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفردًا ألبتة فترك الجماعة يخفى عليه آلات وقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك بشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه ينبغي أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذكرا لا يفتر عن الذكر ولا يترك إرسال الطرف إلى ما يرى ولا يضي إلى ما يسمع لأن القسوة الحافظة والتخيلة كلوح ينتش بكل مرئ ومسموع فيكثر بذلك الوسواس وحديث النفس والحال ويجهت أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الإمام تكبيره الاحرام فافاسم الامام وانصرف ينصرف إلى خلوته متى في خروجه

ولا عيشة لهم سواء فأنفق الجميع في ولية فهو مسرف يجب منه منهة ذل تعالى - ولا ينسبها كل البسط فتعتمد ملوما محسورا - زل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لوالده فطلب بالشفقة فلم يقدر على شيء. وقال تعالى - ولا تبذر تبذرا إن للبذرين كما وإخوان الشياطين - وكذلك دل عز وجل - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا - فمن يسرف هذا الاسراف ينسكرك عليه ويجب على القاضى أن يعجز عليه إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك في أبواب البر ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وزين بنيانه فهو أيضا إسراف محرم وفصل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة ولم يزل المساجد زين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة فكذلك الدور وكذلك القول في التجمل بالثياب والأطعمة فذلك مباح في نفسه ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وأمثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها قس بهذه المنكرات الجماع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محذور . واستقصاء جميع المنكرات يستدعى استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلتنقصير على هذا القدر منها.

(المنكرات العامة)

اعلم أن كل قاعد في بيته أننا كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التفاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة وللبلاد فكيف في القرى والبادى ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أمتانف الحلق وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد قبة يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل قبة فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرهم فاصوب فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلا مع الحرج السكاة أجمعين أما العالم فلتقصيره في الخروج وأما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم وكل عاى عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك في الآثم ومعلوم أن الانسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها ولعمري الآثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم في أظهر وهو صناعتهم البقية ، لأن المحترفين لو تركوا حرفة لم يلبثت العايش فيهم قد تقلدوا أمرا لا بد منه في صلاح الحلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ماله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن العلماء هم ورثة الأنبياء وليس للانسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج لتعليم والهدى وكذا بكل من يتبين أن في السوق منسكرا يجرى على الدوام أوفى وقت بعينه وهو قادر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر نفسه بالعود إلى البيت بل يلزمه الخروج فإن كان لا يقدر على تغيير مائة قدر عليه فلا يضرم مشاهدة ما لا يقدر عليه وإنما ينبغ الحضور لمشاهدة المنكر من غير عرض صحيح خلق على كل مسلم أن يبذل نفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى أهل محله ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السواد المستنكف بلده ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم وهكذا إلى أقصى العالم فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد والإحرج به على كل قادر عليه قريبا

استجلاء نظر الحلق إليه وعلمهم بمجوسه في خلوته قصد قيل لا تطلع في اللزلة عند الله وأنت تريد للزلة عند الناس وهذا أصل يتهدد به كثير من الأعمال إذا أهمل وينصلح به كثير من الأحوال إذا اعتبر ويكون في خلوته جاءلا وقته شيئا واحدا موهوبا فله بادامة عمل الرضا مائة واذكرنا أو صلاة أو مراقبة وأى وقت فتر عن هذه الأنعام بنام فإن أراد تعيين أعداد من الركعات ومن التلاوة والدكر في ذلك شيئا فشيئا وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يستمد أخب ما على قلبه من هذه الأنعام فإذا قرع عن ذلك بنام وإن

كان أو بعيدا ولا يستطع الخروج مادام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو يشيره فليحبه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يسهه أمر دينه يتخلف عن تجربة الأوقات في التفريجات النادرة والتسقي في دقائق الصلوات التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه .

(الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف ونهي عن المنكر في أوامره التمهيدية الوعظية في القول ولما به للتحق بالحق على الحق بالمعروف والنهي عن المنكر من جملة ذلك مع السلاطين والنبات الأوربان وما التمرير والوعظ وأما التحق بالحق فليس ذلك لأحد الرعية مع السلطان لأن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون مايتوله منه من المفسد أكثر وأما التمهيد في القول كقولنا : يا ظالمين لا تخاف الله وما يجري مجرى ذلك إن كان مجرى فتنة يتصدى شرها إلى غيره لم يجز وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فقد كان من عادته السلف التبرؤ من الأخطار والتصرع بالانكسار من غير مبالاة بهلاك الهبة والتعرض لأنواع العذاب لهم بأن ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه فأتاه فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وقال عليه السلام : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (١) ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال « وقرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم » وترك قوله الحق ماله من صديق (٢) « ولما علم الصحليون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد مجاورته بالأخبار قسموا على ذلك معروطين أنفسهم على الهلاك وعملين أنواع العذاب وصابرين على ذلك الله تعالى ومعتبين لما يذلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما قبل علماء السلف . وقد أوردنا جملة ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام وتقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم . فلما ماروى من إنكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أن يقر بقرض حين صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ماروى عن عروة رضي الله عنه قال « قلت لبيد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأ كانت تظهر من عدائهم فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفة أحمالنا وشم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب أئمتنا وقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فينبأهم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول

(الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

(١) حديث خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى رجل فأمره ونهاه فأتاه فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وقال عليه السلام : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر تقدم (٣) حديث وصفه صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بأنه قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم تركه الحق ماله من صديق الترمذي بسند ضعيف مقتصر على آخر الحديث من حديث على رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق ماله من صديق وأما أول الحديث فرواه الطبراني إن عمر قال لكعب الأحبار كيف تعبد نبي ، قال أجد نعتك قرنا من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم .

قال فرقت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بثلاثها
فرقت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بثلاثها حتى وقف ثم قال أسمعوني
يا معشر قريش : أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالدين قال فاطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كان
على رأسه طائر واقف حتى إن أحدكم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول
انصرف يا أبا القاسم راهدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من
الند اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم ليس ذكرتم ما يبلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا
بدأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه
وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا أنت الذي تقول كذا لما كان قد بلغهم
من عيب آلهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد
رأيت رجلا منهم أخذ بجماع رداءه قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه ودونه يقول وهو يركب
ويلكم أفتنون رجلا أن يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت
منه (١) وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال « ينار رسول الله صلى الله عليه
وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلفق ثوبه في عنقه فغلقه
خفا فهدبا لجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أفتنون رجلا أن
يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم (٢) » وروى أن معاوية رضي الله عنه حبس المعطاء فقام إليه
أبو مسلم الحولاني فقال له يا معاوية إنه ليس من كذا ولا من كذا أياك ولا من كذا قال فغضب
معاوية ونزل عن النبر وقال لهم مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقدا غسل فقال إن
أبا مسلم كفى بكلام أغضبني ذإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الغضب من الشيطان والشيطان
خلق من النار وإنما تطغأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل (٣) » وإني دخلت فاعتسلت وصدق
أبو مسلم أنه ليس من كذا ولا من كذا أي فلهوا إلى عطائكم . وروى عن ضبة بن عحصن الغزني قال
كان عليا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمر رضي الله عنه قال فضاظني ذلك منه فقممت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه فضله
عليه فضع ذلك جمعا ثم كتب إلى عمر يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه بأبي وهو يقول أنت
فكتب إليه عمر أن أحضه إلى قال فأخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إلى فقال
من أنت فقلت أنا ضبة فقال لا لاسرجا ولا أهلا قلت أما للرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهلي ولا
مال فإذا استحللت يا معشر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أذنبته فقال ما الذي شجر
بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك به إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فضاظني ذلك منه فقممت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه فضله
عليه فضع ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه بأبي وهو يقول أنت
والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر في ذني يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال

والخولة فالأولى أن
يتنحى بالحزب واللع
ويتناول كل ليظطرلا
واحدا بالبدادي
يتأوله بسند المشاء
الآخرة وإن قسمه
نصفين يأكل أول
الليل نصف رطل وآخر
الليل نصف رطل فيكون
ذلك أخف للمعدة
وأعون على قيام الليل
وإحيائه بالحصك
والصلاة وإن أراد
تأخير فطوره إلى
البحر فليصل وإن
لم يصبر على ترك الآدام
يتناول الآدام وإن
كان الإدام شيئا يقوم
مقام الحزب ينقص من
الحزب بقدر ذلك وإن
أراد التخلل من هذا
القدر أيضا ينقص كل
ليلة دون التمة بحيث
يتسنى هله في العشر
الأخير من الأربعين

(١) حديث عروة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما كانت تظهر من عداوته الحديث بطوله البخاري مختصرا وابن جابر بآمه (٢) حديث
عبد الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ
بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه البخاري (٣) حديث معاوية الغضب من
الشيطان الحديث وفي أوله قصة أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه .

ثم اندفع باكياً وهو يقول والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليته ويومه قلت نعم قال أما ليلة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتمه أبو بكر فجلس يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أمهاتك قال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على أطراف أصابعه حتى خفيت فما رأى أبو بكر أنها قد خفيت حمل على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم النار فأزله ، ثم قال والذي بك الحق لا تدخله حتى أدخله فان كان فيه شيء نزلني قبلك قال فدخل فلم يرفه شيئا فعمله فأدخله وكان في النار خرق فيه حيلت وأفاع فألقه أبو بكر فقدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعل يضرب أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا فأزل الله مكينته عليه والخلافة لأبي بكر فهذه ليلته ، وأما يومه فقد اتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصل ولا نركب فأنشئ لا آلوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجياب في الجاهلية خوار في الإسلام فإذا أتاهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوجع فواته لوموني عقلا كانوا يبطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقائهم عليه قال فأتانا عليه فكان والله رشيد الأمر فهذا يومه ثم كتب لي أبي موسى بيومه (١) . وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فصاهمه بالمسألة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فأتك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في أهل الثور فأتهم حسن المسلمين ونفذ أمور المسلمين فانك وحده السؤل عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له أجب أهل من هم وقام قبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إن غاسأتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك : هذا أريك الشرف . وقد روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله على ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة ثم ربه عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه قال له يا شيخ أدخلني إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فنادا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فقبض الوليد على حاجبه وقال له ويلك أمرتك أن تدخلني إلى رجل يحدثني ويسامرن فأدخلني إلى رجلا لم أره أن يسبحي بالاسم الذي اختاره لي الله فقال له حاجبه ما مر بي

(١) حديث ضبة بن محسن كان عليا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة وفيه عن عمر أنه قال والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيومته وليته فذكر ليلة الهجرة ويوم الرد بطلوه رواه البيهقي في دلائل النبوة بإسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها البخاري من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبي بكر بلفظ آخر ولها من حديثه قال قلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه قال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأما قتاله لأهل الردة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبا بكر وكثر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تغتال الناس الحديث.

إلى نصف رطل وإن قوي قسح النفس نصف رطل من أول الأربسين وقص يسرا كل ليلة بالدرج حتى يمود فطوره إلى ربع رطل في العشر الأخير . وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للروح وثمان : أحدها آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يجعلها بعد المشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس اثنين وسبعين ساعة فيكون الطي

أحد غيره ثم قال لطاء اجلس لم أقبل عليه بعدته فكان قبا حدثه به عطاء أن قال له بلغنا أن في جهم
وإذا يقال له هيب أعداده لكل إمام جائر في حكمة ضمق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة
باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوفه المجلس منشا عليه فقال عمر لطاء قتل أمير المؤمنين قبض
عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فصد به عزمة شديدة وقاله بأمر إن الأمر جد بعد ثم قام عطاء
واصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن قال مكثت سنة أجد لم أعجزه في ذراعي . وكان
ابن أبي حميلة يوصف بالعلل والأدب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تسلم قال ب
أنكم وقد علمت أن كل كلام تسلم به التسلم عليه . إلا ما كان قد فسك عبد الملك ثم قال يرحم
الله لم يزل الناس يتواغظون ويتواصون قال الرجل يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا يجيئون
من شخص مرادتها ومعاينة الردي فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فسبك بذلك ثم قال لاجرم
لأجل هذه الكلمات مثالا نصيبي عاشت ، وروى عن ابن عثمة أن الحجاج دعا فقها بالبصرة
وقتها الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل قال الحجاج مرحبا بيا
سيدنا إلى أين ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فجلس عليه فبذل الحجاج بذاكرنا وبنا أن ذكر
على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال منه وثنا منه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت
عاض على إبهامه فقال يا أبا سعيد مالي أراك ساكنا قال ما عسيت أن أقول قال أخبرني بأرك في أبي تراب
قال سمعت الله جل ذكره يقول - وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يشيع الرسول ممن ينقلب
على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الدين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف
رحيم - فلى عن هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم النبي عليه السلام وختنه على ابنته وأحب
الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبق له من الله أن تستطيع أنت ولأحد من الناس أن يحطرها
عليه ولا يحول بينه وبينها وأقول إن كانت لعل هاته فاه حسبه والله ما أجد فيه تولا أعبد من
هذه القبر وجه الحجاج وغيرهم عن السير بن مضيا فدخل بيتا خلفه وخربنا . قال عمر الشبي فأخذت
يبدأ الحسن قتل يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال إليك عني يا عامر يقول الناس عامر
الشمي عالم أهل الكوفة أتيت شيطانا من شياطين الإنس تسلمهم بهواه وتقاربه في رأي وبك يا عامر
هلا اتقيت إن شئت فصدعت أو سكنت فسلمت قال عامر يا أبا سعيد قد قتلها وأنا أعلم ما فيها قال الحسن
فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة قال وبش الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت
الذي تقول قاتلهم الله قاتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما أخذ الله
على العلماء من الوثائق - ليبينه للناس ولا يكتونه - قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن
يلقى عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك . وحكى أن حطيطا الزيات جى به إلى الحجاج
فلما دخل عليه قال أنت حطيط قال نعم قال سل عما بدا لك قالني عاهدت الله عند اللقاع في ثلاث خصال إن
سئلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوفيت لأشكرن قال فأقول في قال أقول إنك من أعداء
الله في الأرض تنتهك الهارم وتقتل المظنة قال فأتقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال أقول إنه
أعظم جرما منك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم قال فقال الحجاج ضموا عليه العذاب قال فأتته به
المذاب إلى أن شقق له القصب ثم حلو على لحمه وشده بالحبال ثم جعلوا بمدون قصة قصة حتى استحووا
لحمه فاصمعه يقول شيئا قال فقيل للحجاج إنه في آخر مرق قال أخرجه فارسوا به في السوق قال جعفر
فأنته أنا وصاحب له فقلنا له حطيط ألك حاجة قال شرية ماء فأثوه بشرية ثم مات وكان ابن ثمان
عشرة سنة رحمه الله عليه . وروى أن عمر بن هبيرة دعا فقها أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل

لبتين والانتظار في
الليلة الثالثة ويكون
لكل يوم ليلة ثلث
رطل وبين هذين
الوقتين وقت وهوان
يفطر من كل لبتين
ليلة ويكون لكل يوم
وليلة نصف رطل
وهذا ينبغي أن يفهم إذا
لم ينتج ذلك عليه سآة
وضمرا وفيه اشراح
في الذكر والساعة فاذا
وجد شيئا منه ذلك
فليبطر كل ليلة
وبأكل الرطل في
الوقتين أو الوقت
الواحد فالتقى إذا
أخذت بالانتظار من
كل لبتين ليلة ثم ردت
إلى الانتظار كل ليلة
تفنع وإن سوتت
بالانتظار كل ليلة لا تفنع
بالرطل وتطلب الآدم
والشعوات وقس على
هذا فهي إن أظمت

للمدينة وأهل الشام وقرأها لجليل أسلم وجميل يكلم أمير الشعي يقول لا يسأله عن شيء إلا وجد عند
منه علماً ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال ما هذا من أهل الكوفة يعني الشعي وهذا
رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعي والحسن فأقبل على الشعي
فقال يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة إنليت الرعية
وإني حقهم فأنأجب حفظهم وتهدد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد ينفق عن الصلابة من أهل الديار
الأمراء جد عليهم فيه فأقبض طائفة من عظامهم فأضربه في بيت للمال ومن نيق أن أمره عليهم فيبلغ أمير
المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أنفاد كتابه
وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة فقل على في هذا تبعه وفي أشبهه من الأمور والنية فيها ما ذكرت
قال الشعي : قلت لأصلح الله الأمير إنما السلطان والدي خطي ويصيب قال فسر بقولي وأجبهه ورأيت
البشر في وجهه وقال حفظه الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير
يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة إنليت الرعية وترى
حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تعوهم بالنصيحة
وإني سمعت عبد الرحمن بن حمزة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من استرعى رعية فلم يعطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة (١) ويقول إن ربما
قبضت من عظامهم إرادة صلاحهم واستخلاصهم وأن رجوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أن قبضتها
على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أنفاد كتابه وحق لله أن يؤم من حق
أمير المؤمنين وأنه أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فأعرض كتاب أمير المؤمنين على
كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فابنه يا ابن
هيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة
أمرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودينك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتتمز على عملك يا ابن
هيرة إن الله ليمتلك من يزيد لا يمتلك من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لإطاعة في
معصية الله وإني أحذرك بأسماء الذي لا يرد عن القوم الجرمين ، قال ابن هيرة أربيع على ظلمك أيها
الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل
وإنما والله اتعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعله به وما يعله من فضله وتبينه قال الحسن يا ابن
هيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هيرة إنك أن تلقى من
ينصح لك في دينك ويعملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يفرك ويعينك فقام ابن هيرة
وقد بصر وجهه وتغير لونه وقال الشعي قلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه
وصلته فقال إليك غنى يا عمر قال فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له للزلة واستخف بنا
وجفتنا فكان أهلا لما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت
من العلماء إلا مثل القرس العربي بين القاروف ومشاهدنا مشهدا إلا يرز علينا وقال لله عز وجل وقتنا
مقابلة لهم قال عامر الشعي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأعياه . ودخل محمد
ابن واسع على بلال بن أبي بردة فقال له ما تقول في القدر ؟ فقال جيرانك أهل القبور تفكر فيهم

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن حمزة من استرعى رعية فلم يعطها بالنصيحة حرم الله عليه
الجنة رواه البهوي في معجم الصحابة بإسناد لين وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن
عن معقل بن بسار .

علمت وإن أئمت
قت. وقد كان يضم
ينص كل لية حتى ورد
النفس إلى أهل قوتها
ومن الصالحين من
كان ببر القوت بنوي
الشر وينص كل لية
نواة ومنهم من كان
يسير بسود رطب
وينص كل لية بقدر
نشاف المود . ومنهم
من كان ينص كل
لية ربيع سبع الرغيف
حتى يغني الرغيف في
شهر ومنهم من كان
يؤخر الأكل ولا يميل
في تحليل القوت ولكن
يعمل في تأخيرها
بالتدريج حتى تندرج
لية في لية وقد فعل
ذلك طائفة حتى انتهى
طعم إلى سبعة أيام
وعشرة أيام وخمسة
عشر يوما إلى الأربعين
وقد قيل لسهل بن

فان فيهم شغلا عن القدر . وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني حمى محمد بن علي قال إني لحاضر
 مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر للنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال
 فأتى الضاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن بن أمير المؤمنين
 سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد أنهم أهل تحطم
 في أعراض الناس كثير والأذى لهم ، فقال أبو جعفر : قد صمت فقال الضاريون يا أمير المؤمنين سل عن
 الحسن بن زيد فقال يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد فقال أشهد عليه أنه يحكم بغير
 الحق ويبيع هواه فقال قد صمت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح ، فقال يا أمير
 المؤمنين أسأله عن نفسك قال ماقول في قال تغيب يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني ذل
 تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله تخبرني قال أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حق
 فجعلته في غير أهله وأشهد أن الظلم يياك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا
 ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له أما والله لو لآتي جالسي ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك
 بهذا المكان منك قال قال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذ الحق وقبها
 بالسوية وأخذنا بأفناء فارس والروم وأضرنا آثافهم قال غلب أبو جعفر قفاه وخلي صلبه وقال والله لولا
 أني أعلم أنك صادق لقتلتك ، فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين إني لأصعب لك من ابنك الهدي
 قال فليتنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس النصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث
 قد سدرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك الهدي قال بغير الله لك يا أبا عبد الله
 كنا مهديا كنا كنانا في للهد . وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث إلى أبو جعفر المنصور
 أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتنيته فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال
 لي ما الذي أبغاك عنا يا أوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الأخذ عكم
 والانتباة منكم قال قلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا يجهل شيئا مما أقول لك قال وكيف أجهله وأنا
 أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقصدت لك له قال قلت أخاف أن تسعته ثم لاتعمل به قال فصاح بي
 الربيع وأهوى يده إلى السيف فأنزله المنصور وقال هذا مجلس مشوبة لا مجلس عقوبة (١) فطابت
 نفسي وانبتسلت في الكلام ، فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم « إنما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فاتها نعمة من الله سيقت إليه فان
 قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إنما وزداد الله بها سخطا عليه » (٢) يا أمير
 المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ « إنما وال مات غاشا لريعيته
 حرم الله عليه الجنة » (٣) يا أمير المؤمنين من كره الحق قد كرهه الله إن الله هو الحق المبين إن الذي لين
 قلوب أمستكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم

عبد الله هذا الذي
 يأكل في كل أربعين
 وأكثر نكسة ابن
 يذهب الجوع عنه
 قال بطمعة النور . وقد
 سألت بعض الصالحين
 عن ذلك فذكر لي
 كلاما بعبارة دلت على
 أنه يجد فرحاً به ينطفئ
 معه لهب الجوع وهذا
 في الحق واقع أن
 الشخص ينطفئ فرح
 وقد كان جائعا فيذهب
 عنه الجوع وهكذا في
 طرق الخوف يقع ذلك
 ومن فعل ذلك ودرج
 نفسه في شيء من هذه
 الأقدام التي ذكرناها
 لا يؤثر ذلك في نقصان
 عقله واضطراب جسمه
 إذا كان في حماية
 الصدق والاخلاص
 وإيمانا بخفي في ذلك
 وفي دوام الله كرم على
 من لا يخلفه تعالى .

(١) حديث الأوزاعي مع المنصور وموعظته له وذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة والقصة بعلمها رواها
 ابن أبي الدنيا في كتاب مواعظ الخلفاء ورويناها في مشيئة يوسف بن كامل الحنفاء ومشيئة ابن
 طبرزد وفي إسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدي يحدث بمن أكبر وهو عندي من أهل الصدق
 وقد رأيت سرد الأحاديث المذكورة في الموعظة لذكر هل لبعضها طريق غير هذا الطريق وليعرف
 صحابي كل حديث أو كونه مرسلًا فاولها (٢) حديث عطية بن بشر إنما عبد جاءته موعظة من الله
 في دينه فاتها نعمة من الله الحديث ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء (٣) حديث عطية بن ياسر إنما وال
 بات غاشا لريعيته حرم الله عليه الجنة ابن أبي الدنيا وفيه وابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد

روفا رحبا مواهب لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس لحقيق بك أن تقوم فلهم بالحق وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم سارا لاتعلق عليك ذنوبهم الأبواب ولا تقيم ذنوبهم الحجاب بتبرج بالعمعة عندهم وتبتس بما أصابهم من سوء يأمر المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم مسدهم وكافهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا أنبت منهم قام وراء قام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلها عليه أو ظلامة سنها إليه يأمر المؤمنين حدثي مكحول عن عروة بن روم قال «كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأناه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا» فكيف بمن شقق أشتارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلامهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأناه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم ييمنك جبارا ولا متكبيرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي فقال اقتص مني فقال الأعرابي قد أحلتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أنيت على نفسي فدعاه لغيره»^(١) يأمر المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما قبلها»^(٢) يأمر المؤمنين إن الملك لو قيل قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبيح لك كالم يبيح لغيرك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - ما لهذا الكتاب لا يغير صغير ولا كبير إلا أحصاه - قال الصغيرة التسميم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن يأمر المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لومات سحلة على شاطئ القرات ضربة لحشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - يادادو إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - قال الله تعالى في الزبور : يادادو إذا فد الخصان بين يديك فكان لك في أحدها هوى فلا تمتن في نفسك أن يكون الحق له فيفزع على صاحبه فأعوك عن نيتي ثم لا تكون خليفة ولا كرامة يادادو إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كراعاء الأبل لهمم بالرياسة والسياسة ليجروا الكسير ويدلوا الهزبل على الكلام والله . يأمر المؤمنين إنك قد بليت بأمر لوعرض على السموات

(١) حديث عروة بن روم كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين الحديث ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث حبيب بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده الحديث ابن أبي الدنيا فيه ، وروى أبو داود والذمائي من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتص من نفسه وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرة أسيد بن حضير ، فقال أوجض قال اقتص الحديث قال صحيح الاسناد (٣) حديث لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ابن أبي الدنيا من رواية الأوزاعي معضلا مذكر استاده ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ لاقاب .

وقد قيل حد الجوع أن لا يميز بين الحبز وغيره مما يؤكل ومضى عيت النفس الحبز فليس بجائع وهذا المعنى قد يوجد في آخر الحديث بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب الغذاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرائض العبودية ويكون هذا حد الضرورة لمن لا يتجهد في التقليل بالتدريج فأمن من درج نفسه في ذلك قد يصبر على أكثر من ذلك إلى الأربعين كاذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع أن يترك غذا لم يقع الدباب على رزاقه يدل الدباب خلق للعدة من الدسوس وموصفاه الزقاق كالماء الذي لا يقصده الدباب . روى أن سفيان

والأرض والجبال لأبي أن يحمله وأعفت من أمير المؤمنين حتى يزيد جابر عن عبد الرحمن بن حمزة الأنصاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فقرأ بعد أيام مقبا قال : ما منك من الخروج إلى محلك ؟ أنا علمت أن قتلت مثل أجرا لمجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك ؟ قال إنه يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه لا يشكها إلا عنه فوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يناد فيجيب فإن كان حسنا بما أحسانه وإن كان سيئا تخفى به ذلك الجسر فيجوى به إلى النار سبعين خروفا » (١) وقال له عمر رضي الله عنه من سمع هذا ؟ قال من أبي فذو سلمان فأرسل إليهما عمر فقرأ لهما ما قال ثم سمناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وأخبرنا من يتولاها بما فيها قال أبو ذر رضي الله عنه من سلمت الله أخاه والحق خذ بالأرض ، قال فأخذ للتدليل فوضه على وجهه ثم بكى واتحب حتى أبكى ثم قلت يا أمير المؤمنين قد سأل جلد البساس التي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن قال له التي عليه السلام ، يا عباس يا عمر التي ترضى تنجيا خير من إمارة لأخصبا (٢) نصيحة من له وعفة عليه وأخبره أنه لا يخفى عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه وأندر غيرك الأقربين - قال « يا عباس وياصفية عني التي وياطفة بنت محمد إنى لست أغنى عنكم من الله شيئا إنى على عملى ولكم محكم (٣) » وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس إلا خفيف العقل أربب العقل لا يطلع منه على مودة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم . وقال الأمراء أربعة : فأمر قوي ظلف نفسه وماله فذلك للمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة ، وأمر فيه منصف ظلف نفسه وأربع عماله لنفسه فهو على شفاعلك إلا أن يرحمه الله ، وأمر ظلف عماله وأربع نفسه فذلك الحطمة الذي قاله في رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الحطمة فهو المالك وحده (٤) » وأمر أربع نفسه وماله فليكنوا جميعا وقد يعني يا أمير المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام آتى النبي صلى الله عليه وسلم قال « أتيتك حين أمر الله بمتافع النار فوضت على النار تسر ليوم القيامة قال له يا جبريل صف لي النار قال إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احترت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا ينشئ جمرها ولا يطفأ لها والله يتركها لخلق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ذنوباً من شرابها صب في مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه (١)

(١) حديث عبد الرحمن بن عمر أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة الحديث وفيه مرفوعا ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى الله يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه الحديث ابن أبي الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبراني من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبي الحكم عن أبي وائل أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخضر منه وأن بشرا معه من التي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه سلمان (٢) حديث يا عباس يا عمر التي ترضى تنجيا خير من إمارة لا تخصها ابن أبي الدنيا هكذا مضطربا غير إسناد ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن السكندر مرسلًا وقال هذا هو المخطوط مرسلًا (٣) حديث يا عباس وياصفية وياطفة لا أغنى عنكم من الله شيئا على عملى ولكم محكم ابن أبي الدنيا هكذا مضطربا دون إسناد ورواه البخاري من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله لي عملى ولكم محكم (٤) حديث شر الرعاة الحطمة رواه مسلم من حديث عائذ ابن عمر الزنى متصلا وهو عند ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي مضطربا ذكره الصنف.

التوري لم إبراهيم بن آدم رضي الله عنهما كانا بطوياً ثلاثاً ثلاثاً . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطوى حنا . وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بطوى سبعة أيام . واشتهر حال جندنا محمد ابن عبد الله المعروف بسوءه رحمه الله وكان صاحب أحمد الأسود الدينبوري أنه كان بطوى أربعين يوما وأقصى ما بلغ في هذا المني من الطي رجل أدركنا زمانا نماريته كان في أهر يقال له الزاهد خليفة كان يأكل في كل شهر لوزة . ولم نسمع أنه يبلغ في هذه الأمة أحد بالطي والتدريج إلى هذا الحد وكان في أول أمره على ما حكى بنقص القوت

ولو أن ذرعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لقات وما استقلت ولو أن رجلا
أدخل النار ثم أخرج منها مات أهل الأرض من فتن ريعه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله
عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام ليكائه فقال أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم يكب يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وجهه ؟ قال أخاف
أن أتبلى بما أتبى به هاروت وهاروت فهو الذي منى من اتكالى على منزلي عند ربى فأكون قد
أمنت مكره فلم يزالا يكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد آمنتكما أن تصياه
فيعذبكما وفضل محمد على سائر الأنبياء . كفضل جبريل على سائر الملائكة (١) « وقد بلغني يا أمير المؤمنين
أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اللهم إن كنت تعلم أنى أبألى إذا قصد الحصان بين يدي على
من مال الحق من قرب أو بعيد فلا تمنى طرفه عين يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن
أكرم الكرم عند الله التقوى وإنه من طلب العز بطاعة الله رفاه الله وأعزه ومن طلبه بمصيبة الله
أذلله الله ووضعه ، فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك . ثم نهضت فقال إلى أين ؟ قلت إلى الولد والوطن
بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله قال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلها والله للوفى للغير والمبين
عليه وبه أمتين وعليه أتوكل وهو حسي ونعم الوكيل فلا تخفى من مطالعتك إياي بمثل هذا فانك
للقبول القول غير التهم في النصيحة . قلت أفضل إن شاء الله . قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال
يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بمرض موت الدنيا
وعرفنا النور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك . وعن ابن المهاجر قال قدم أمير المؤمنين النصور مكة
شرفها الله حاجا فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلى ولا يلمه فاذا
طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء للؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فصلى بالناس فخرج
ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف إذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول : اللهم إني أشكركم
ظهور البنى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع للنصور في مشيه
حتى ملا مسامه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأقامه الرسول وقال له
أجب أمير المؤمنين فجلسي الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له النصور ما هذا
الذي سمعت قوله من ظهور البنى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع
فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلني ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن أمتني على نقيب أنبأك بالأمور
من أسوئها وإلا اقتصر على نقيبها لى شغل شاغل فقال له أنت آمن على نفسك فقال الذى
دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البنى والفساد في الأرض أنت فقال
وعحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبضاء في بدى والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل
أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استعراكك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت
أمورهم واهتمت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجبس والأجر وأبوابا من الحديد
وحجبة معهم السلاح ثم سجدت نفسك فيها منهم وبثت عمالك في جمع الأموال وجبايتها وأخذت
وزراء وأعوانا طلبة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يعينوك وقوتهم على ظلم الناس بالأموال
والسكرام والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان فمر محبتهم ولم تأمر بإصلاح
الظلم ولا للهور ولا الجامع ولا العارى ولا الضيف ولا القبر ولا أحد إلا قوله في هذا المال حق

(١) حديث بلغني أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتيتك حين أمر الله بتأخير النار
وضعت على النار تسع ليوم القيامة الحديث بطوله ابن أبي الدنيا فيه هكذا معضلا بغير إسناد .

بنشأ العود ثم طوى
حتى انتهى إلى الورقة في
الأربعين ثم إنه قد
يسلك هذا الطريق
جمع من الصادقين وقد
يسلك غير الصادق هذا
لوجودهوى مستكن
في باطنه يهون عليه
ترك الأكل إذا كان
له استعلاء لنظر الحاق
وهذا عين النفاق نموذج
بالله من ذلك والصادق
ربما يقدر على الطي
إذا لم يعلم بحاله أحد
وربما تضعف عزيمته
في ذلك إذا علم بأنه
يطوى فإن صدقه في
الطي ونظره إلى من
يطوى لأجله يهون
عليه الطي فاذا علم به
أحد تضعف عزيمته في
ذلك وهذا علامة
الصادق لهما أحسن
في نفسه أنه يجب أن
يرى بعين العقل

فما أراك هؤلاء النفر الذين استخلصهم لنفسك وآمنهم على رعيته وأمرت أن لا يحببوا عنك
 نجي الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله في لنا لا نخونه وقد سخر لنا فاقتمروا حتى لا يصل
 إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه
 حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابهم وكان أول
 من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوا بهم على ظلم رعيته ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة
 من رعيته لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتثلت بلاد الله الطمع بنيا وفسادا وصار هؤلاء
 القوم شركاء في سلطانك وأنت غافل فان جاء منتظم حبل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد
 رفع صوته أوصته إليك عند ظهورك وجسدك قد نهيت عن ذلك ووقفت الناس رجلا ينظر في
 مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فلغ بطانتك سألو صاحب الظالم أن لا يرفع مظلمته وإن كانت المنتظم
 به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يخلف إليه ويلوذ به ويشكو
 ويستيت وهو يدفعه ويمتل عليه فإذا جهدوا خرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا
 مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير في بقاء الاسلام وأهل على هذا ولقد
 كانت بنو أمية وكانت العرب لا يتقى إليهم المظلوم إلا رقت ظلامته إليهم فينصف ولقد كان الرجل
 يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الإسلام فيبتدونه مالك مالك فيرفضون
 مظلمته إلى سلطانهم فينصف ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك قدتمها
 مرة وقد ذهب معي ملكهم فيجبل يمي فقال له وزرائه مالك تبكي لا بكت عيناك فقال أما إني
 لست أبكي على الصية التي نزلتني ولكن أبكي لظلم يصرخ بالباب فلا يسمع صوته ثم قال أما إن
 كان قد ذهب صمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم مكان
 يركب القيل ويظوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك باقه قد غلبت
 رأته بالمشركين ورفقه على شئ نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وإن عم نبي الله لا تنقلب رأفتك
 بالمسلمين ورفقت على شئ نفسك فانك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة إن قلت أجمعها لولدي
 فقد أراك الله عبدا في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال وامان مال إلا ودونه
 يد شحيرة تحويه فيزال الله تعالى يطف بذك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تغطي
 بل الله يسطي من يشاء وإن قلت أجمع المال لأخيد سلطاني فقد أراك الله عبدا فيمن كان قبلك ما غنى عنهم
 ما جمعه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والصلاح والكرام وما ضرز ولدا أميك ما كنتم
 فيه من قلة الجادة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية
 التي أنت فيها فوالله ما فوقها أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من
 عصاك من رعيته بأحد من القتل قالا لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه
 من ملك الدنيا وهو تعالى لا يباقي من عصاه بالقتل ولكن ساقب من عصاه بالخلد في العذاب الأليم وهو
 الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضرمت جوارحك فإذا تقول إذا انتزع لللك الحق المبين ملك الدنيا
 من يدك ودعاك إلى الحساب هل ينفي عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شجعت عليه من ملك الدنيا
 فيكفي المنصور بركاء شديدا حتى يحب وارفع صوته ثم قال يا بني لم أخاف ولم أرك شيئا ثم قال كيف احتياي
 فيها حول فيه ولم أر من الناس إلا خائفا قال يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين قال ومن هم ؟
 قال العلماء قال ودهروا في قال هر بوانك مخافة أن تحملهم على مظهر من طريقتك من قبل عمالك
 ولكن انزع الأبواب وسهل الحجاب وانصهر لظلم من الظالم وامنع المظالم وخذ الذي مما حل وطاب

طينهم شبه فان فيه
 شائبة النفاق ومن
 بطوى لله يومه الله
 تعالى فرحا في باطنه
 بنسبه الطعام وقد
 لا ينسى الطعام ولكن
 امتلاء قلبه بالأنوار
 يحوى جاذب الروح
 الروحاني فيجذبه إلى
 مركزه ومستقره من
 العالم الروحاني ويؤخر
 بذلك عن أرض
 الشهوة الفسائية وأما
 أثر جاذب الروح إذا
 تخلف عنه جاذب
 النفس عند كمال
 طمأنينتها وانعكاس
 أنوار الروح عليها
 بواسطة القلب للستير
 فأجل من جذب
 الفناطيس الحديد إذ
 الفناطيس يجذب
 الحديد لروح في الحديد
 مشاكل للفناطيس
 فيجذبه بنسبة الجنسية

واقسمه بالحق والعدل وأناضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورميتك
 فقال النصور : اللهم وقلني أن أعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج
 ضليهم ثم قال لأحرس عليك بالرجل إن لم تأتني به لأضرب عنقك واعتاظ عليه غيظا شديدا فخرج
 الحرس يطلب الرجل فيناب هو يطوف فإذا هو بالرجل يصل في بعض الشباب فقصه حتى صلى ثم قال إذا
 الرجل أمتنى الله قاله بل قال لأمره قال بل قال فانطلق معي إلى الأمير قد آلى أن يقتل إن لم آتته
 بك قال ليس لي إلى ذلك من سبيل قال يقتل قال لا قال كيف قال تحسن تبرا قال لا فأخرج من
 مزود كان معه رقا مكتوب فيه شيء قال خذ فاجعله في جيبك فإن فيه دعاء الفرج قال ومادهاء الفرج
 قال لا يزره إلا الشهاداء قتل رحلكم الله قد أحسنت إلى فإن رأيت أن تخبرني ماهذا الدعاء وماضيه قال من
 دعاه مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره وبحت خطاياء واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه
 وأعطى أمه وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت إلا شهيدا تقول اللهم كما لطفت في عظمك
 دون اللطفاء وعلوت بمظلتك على العطفاء وعلت ماتحت أرسك كملكك بما فوق عرشك وكانت
 وسواس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك واتخاذ كل شيء لمظنتك وخضع
 كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله يدك اجعل لي من كل هم أمسيته فيه فرجا
 وغزبا اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك
 ما لا أستجبه مما قصرت فيه أدعوك أناسأ وأسألك مستأنسا وإنك الحسن إلى وأنا ألسني إلى نفسي
 فبأبني وبينك تتوحد إلى ينمكت وأبنيض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك
 فقد بفضلك وإحسانك لي إنك أنت التواب الرحيم قال فأخذته فصرته في جيبه ثم لم يكن لي ثم غير
 أمير المؤمنين قد دخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلى وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السر قللت لا والله
 يا أمير المؤمنين ثم قصت عليه أمري مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال قد
 نجوت وأمر بنسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أمره قلت لا قال ذلك الحضر عليه السلام .
 وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة
 ففتح بيوت الأموال وأقبل بحيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظفر
 النسك والتقص وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن النضر الثوري قدما فحججه سفيان ولم يزره فاشتاق
 هرون إلى زيارته ليخوبه ويحدثه فلم يزره ولم يبعأ بموضعه ولا بمأساره إليه فاشتد ذلك على هرون
 فكتب إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى
 أخيه سفيان بن سعيد بن النضر أما بعد يا أخى قد علمت أن الله تبارك وتعالى وإخيه بين المؤمنين وبصل
 ذلك فيه وله واعلم أن قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وإني منطو لك على
 أفضل المحبة والإرادة ولولا هذه الصلاة التي قد نبها الله لأنتيك ولوجوا لما أجذلك في قلبي من المحبة
 واعلم يا أباعد الله أنما بقي من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهنأت بما صرت إليه وقد فحت
 بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وإني استبطأتك فلم
 تأتني وقد كتبت إليك كتابا شوقا مني إليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن
 وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالعمل العمل ، فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا
 كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشوته فقال لي رجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له
 عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلها فسل عن قبيلة بني
 ثور ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته قال لي كتابي هذا إليه وع بسمعك وقبلك جميع ما يقول

الحاجة فإذا تحضت
 النفس بكس نور
 الروح الواصل إليها
 بواسطة القلب بصير
 في النفس روح
 استمدتها القلب من
 الروح وأدعاه إلى
 النفس فتجذب الروح
 النفس بمجنية الروح
 الحادثة فيها فيزدرى
 الأطمعة الدنيوية
 والشهوات الحيوانية
 ويتحقق عنده قول
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « آيئت
 عند رب يطمعني
 ويستقي » ولا يقدر
 على ما وصفناه إلا بعد
 تصير أعماله وأقواله
 وسائر أحواله ضرورة
 يقتاد من الطعام
 أيضا ضرورة ولو
 تكلم مثلا بكلمة
 من غير ضرورة
 التهب فيه نار الجوع

فأحص عليه دق أمره وجليله لتخبرني به فأخذ عبد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسال عن القبية فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد فأقبلت إلى المسجد فلما رأيته قام قائماً وقال أهو ذاك الله السبع الدليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا غير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأيته قلت يا رب المسجد فلام يسل ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فإذا جلساًؤه قوم قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم الصاغان فهم ضاهون من عفوته فسلمت لما رفع أحد إلى رأسه وردوا السلام على ربوس الأصابع فبقيت وأنا لما منهم أحد يمرض على الجالوس وقد علاني من هيبته الرعدة ونددت عني إليهم فقلت إن للصلى هوسيان فرميت بالكتاب إليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في عماره فركم وسجد ووسل وأدخل يده في كفه ولها بابه وأخذ قلبه يدهم ثم رماه إلى من كان خلفه وقال بأخذه بضمك يترؤه فاني أستغفر الله أن أسي شيا من ظلامي قد عباد فأخذه بعضهم فله كأنه خائف من دم حية ثم شه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتسم بسم للتعب فلما فرغ من قراءته قال اتقبلوه واكتبوا إلى الظالم إلى الظاهر في ظهر كتابه قيل له يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبه من حلال فسوف يجرى به وإن كان اكتبه من حرام فسوف يسل به ولا يثق شيء منه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما كتب فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم من البعد الذنب سفيان بن سعيد بن النضر الثوري إلى البعد للثور بالآمال هرون الرشيد الذي سب حلاوة الإيمان . أما بعد فاني قد كتبت إليك أعرفك أني قد صرمت جلك وتطعت بذك وتليت موضعك فانك قد جلتني شاهدا عليك بأفارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنتفتحه في غير حق وأنتهت في غير حكم ثم برض عافلت وأنت ناعني حتى كتبت إلى تصدني على نفسك أما إني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤد الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضام هل رضيت بفعلك المؤلفة قلوبهم والعالمون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام أم هل رضى بذلك خلق من رعبتك فسد ياهرون مثورك وأعد للسئلة جوابا وللبلاء جلبا واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل قد رزمت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيق القرآن وبجالة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين إماما ياهرون قدت على السرير ولبست الحرير وأبليت سترادون بابك وتشتت بالحجة رب العالمين ثم أقصدت أجنالك الظلمة دون بابك وسترك بظلمون الناس ولا ينصفون يشرعون المحذور ويضربون من يشرها ويؤنون ويعدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قيل أن تحكم بها على الناس فكيف بك ياهرون غدا إذا نادى للتادي من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة قدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كأنك بك ياهرون وقد أخذت بضييق الحق ووردت للساق وأنت ترى حسناك في ميزان غيرك وسيئاتك غيرك في ميزانك زيادة عن سيئاتك بلاه في بلاه وظلمة فوق ظلمة فأحتفظ بوصيق واتمظ بموعظتي التي وعظتك بها . واعلم أني قد نصحتك وما أجيبت لك في الصح فإني فائق الله ياهرون في رعبتك واحفظ عهدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل

التهاب الحلقاء بالنار
لأن النفس الراقدة
تستيقظ بكل ما يوقظها
وإذا استيقظت
نزعته إلى هواها فالبعد
للراد بهذا إذا فطن
لسياسة النفس وورق
العلم سهل عليه
الطبي وتذكر كنهه
للجنة من الله تعالى
لا سيما إن كشف
شيء من اللع الالهية .
وقد حكى في قبر أنه
اشتد به الجوع وكان
لا يطالب ولا يتسبب
قال فلما انتهى جوعه
إلى الغاية بعد أيام
فتح الله على بفاحة
قال فتناولت التفاحة
وقصدت أكلها فلما
كسرتها كسرتها
محورا نظرت إليها
عقيب كسرها فحدث
عندي من الفرح
بذلك ما استغنى

بأهلها واحدا بيد واحد فمنهم من تزود زادا فقه ومنهم من خسردنياه وآخرته وإنى أحبك يا هرون
 ممن خبر دنياه وآخرته فأياك إياك أن تكتب لي كتابا بيد هذا فلا أحبك عنه والسلام . قال عباد
 فألقي إلى الكتاب منشورا غير مطوى ولا عتوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقفت للوعظة
 من قلبي فناديت بأهل الكوفة فأجابوني بقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله إلى الله أقبلوا
 إلى بالدنانير والدرهم قتلنا حاجة لي في السال ولكن جبة صوف خشنه وعاءة تطاينة قال فأتيت
 بذلك ونزعت ما كان على من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه
 السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا فزأني من كان على باب الخليفة
 ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقدمتم قمعا وجلس بطمر رأسه ووجهه
 وبدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب للرسل مالى وللدنيا مالى وللكل يزول على سريره
 ثم ألقى الكتاب إليه منشورا كما دفع إلي فأقبل هرون يقرؤه ودموعه تتحد من عينيه ويقرأ
 ويشقى فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأتلتك بالحديد
 وضربت عليه السجنة كنت نجمة عبرة لغيره فقال هرون : أتركوا يا عبيد الدنيا الترو من غرتموه
 والتمني من أهلكنموه وإن سفيان أمة وحده فأتروا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى
 جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظرا لنفسه واتقى الله فباي قدم
 عليه غدا من عمله فانه عليه بحسب وبه يجازى . والله ولي التوفيق . وعن عبد الله بن مهران قال
 حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول الجنون فيمن
 خرج بالكسامة والصبيان يؤذونه ويولون به إذ أقبلت هوداج هرون فيكف الصبيان عن الولوع
 به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف يده عن وجهه فقال
 ليك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين : حدثنا ابن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي
 صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقه له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا إليك^(١) وتم احضرك
 في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك قال فيكي هرون حتى سقطت دموعه على
 الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله المالا والجاه فأتفق من ماله
 وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة . قال
 اردد الجائزة إلى من أخذتها مني فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيتاه قال يا أمير المؤمنين
 هؤلاء أهل القم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالله بن لا يجوز قال يا بهلول فنجري
 عليك ما يقوتك أو يبيحك قال فرغ بهلول رأسه إلى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا مؤتمت من عيال الله
 فحال أن يذكرني ويشتاني قال فأقبل هرون السجاف ومضى . وعن أبي اللباس الهامسي عن صالح
 ابن اللأمون قال دخلت على الحرث الهامسي رحمه الله فقلت له : يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك ؟ فقال كان
 هذا مرة قلت له يا قوم قال أكتم حالي إلى لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن به أن تسمعها نفسى
 ولولا أن يظنني فيها فرح ما أعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فإذا أنا بنفى حسن الوجه يطلب
 الراحة فلم لي ثم قد بين يدي قلت له من أنت قال أنا واحد من السياحين أقصد التسبيح في
 محاربيهم ولا أرى لك اجتادا فأنى سى عملك قال قلت له كنان الصائب واستجاب الفوائد قال

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقه
 له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه دون قوله منصرفا
 من عرفة وإنما قالوا يرى الجرة وهو الصواب وقد تقيهم في الباب الثاني .

عن الطعام أياما
 وذكر لي أن الحوراء
 خرجت من وسط
 التفاح والايان
 بالقدرة ركن من
 أركان الايمان فلم
 ولا تسكر . وقال
 سهل بن عبد الله
 رحمه الله من طوى
 أربعين يوما ظهرت له
 القدرة من اللسكوت
 وكان قال : لا يزهد
 البعد حقيقة الزهد
 الذي لامشوبة فيه
 إلا بمشاهدة قدرة
 من اللسكوت . وقال
 الشيخ أبو طالب
 للسكوت رحمه الله :
 عرفنا من طوى
 أربعين يوما برياضة
 النفس في تأخير
 القوت وكان يؤخر
 فطره كل ليلة إلى
 نصف سبع الليل
 حتى يطوى ليلة

فصاح وقال ما علمت أن أحدا بين جنبي الشرق والغرب هذه صفته قال الحرث فأردت أن أزيد عليه قتلته أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتُمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم قال فصاح صبيحة غشي عليه منها فسكت عندي يومين لا يقول ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه فسلت إزالته فخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفى قد آتيتك به فاعتزل وأعد صلاتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له أين تريد فقال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على للأموء فلم عليه وقال يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم أن تستغفر الله من تقصيري فيك أما تتيقن الله تعالى فيا قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه اللامون وقال من أنت قال أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجدهم في حفظ فطلعت بموعظتك لعل ألقهم قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فلما أخذته قال الحرث فاختبأت عنه فاخذه أقوام غريباء فدفعوه وكنت معهم لا أعلمهم بماله فأقيت في مسجد بالمقابر عززنا على الفقه فطلعتني عينا فإذا هو بين وصائف لم أر أحسن ممنه وهو يقول يا حرث أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ويطعمون زبهم قلت وما فعلوا قال المصاعبة بلقونك فظنرت إلى جماعة تركان فقلت من أنت قال الكاتمون أحوالهم حرك هذا الفقه كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفته شيء فخرج للأمر والهي وأمن الله تعالى أنزله معنا وغضب لبعده . وعن أحمد بن إبراهيم المقرئ قال كان أبو الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يزال عما لا ينيه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه ثلثه فزله ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يطهر للصلاة إذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنانير كتب عليها بالقرآن لطف قراء وانسكبه لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك امض في شغلك فما سمع النوري من للملاح هذا القول ازدادته تطشا إلى معرفته فقال أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك أنت والله صوفي فضولي هذا آخر لاعتصم يريد أن يتم به مجلسه فقال النوري وهذا آخر قال نعم فقال أحب أن تعطيني ذلك الدرر فاعتناظ للملاح عليه وقال لتلامه أعطه حتى أنظر ما ينعني فلما صارت الدرر في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرهما دنا حتى أتى على آخرها لإلادنا واحدا والملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو بوه شد ابن بشر أفلح قبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيفته قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود يقبله فلما رآني قال من أنت قلت عتسب قال ومن ولاك الحسية قلت الذي ولاك الامامة لا في الحسية بآمر المؤمنين قال فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال ما الذي حملك على ما صنعت ؟ فقلت شفقة مني عليك إذ بسطت يدي إلى صررف مكروه عتقتك عنه قال فأطرق . ففكر في كلامي ثم رفع رأسه إلى وقال كيف تخالص هذا الدين الواحد من جملة الدنانير فقلت في تخلفه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن فقال هات خبرني فقلت يا أمير المؤمنين إنني أقبلت على الدنانير مطالبة الحق سبحانه في بذلك وغير قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فثبت هبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صررت إلى هذا الدين فاستشعرت نفسي كبرا على أني أقدمت على منكك فذهمت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر . قال أبو الحسين فقلت يا أمير المؤمنين بض إلى التنبير لأنني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي فقال المعتضد ما حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تأمر بإخراجه سالما

في نصف شهر
في سنة وأربعة
أشهر فتتدرج الأيام
والليالي حتى يكون
الأربعين بمكة يوم
واحد . وذكري أن
الذي فعل ذلك ظهرت
له آيات من للكهوت
وكوشف بمعاني قدرة
من الجبروت بحسب الله
بماله كيف شاء . واعلم
أن هذا المعنى من الطي
والثقل لو أنه عين
الفضيلة ما فات أحدا
من الأنبياء ولكان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبلغ من ذلك إلى
أنقى غايته ولا شك
أن لذلك فضيلة لا تسكر
ولكن لا تنحصر
مواعيد الحق تعالى في
ذلك فقد يكون من
ياكل كل يوم أفضل
من يطوي أربعين

فأمرله بذلك وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفاً من أن يسأله أحد حاجة يسألها التضد فأقام بالبصرة إلى أن توفي التضد ثم رجع إلى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر المعروف والهي عن النسكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم انكسروا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يبرزهم الشهادة فلما أخلصوا لله التبة أتركلامهم في القلوب القاسية فليها وأزال قساوتها وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجدوا ولو صدقوا وتصدوا حق العلم لأفلحوا فساد الرعايا فساد للوكة وفساد للوكة فساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على اللوكة والأكابر والله المستعان على كل حال .

(كتاب آداب الميشة وأخلاق النبوة)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه، وأدب نبيه محمداً ﷺ فأحسن تأديبه ، وذكر أوصافه وأخلاقه ثم أخذ منه وسببه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ؟ وحرّم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه . وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا . أما بعد : فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشع للعارفين وسرائر القلوب هي مغارس الأفعال ومنابها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينا وتجليها وتبدل المظاهر مكارها ومسارها ومن لم يفتح قلبه لم تفتح جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفتح على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت أن أختم ربيع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب الميشة لئلا يشق على طالبا استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربيع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستقلت تكررها وإعادتها فإن طلب الإعادة ثقل والنفس مجبولة على معاداة العادات فرأيت أن أقصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الماثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فضلا فضلا محدودة الأسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيد بمشاهدة أخلاقه السكرية التي شهد أحوالها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلام رتبة وأجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الأخلاق والشيم ومنزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فانه دليل المتحيرين وعجب دعوة المضطربين ولذكرفيه أولايان تأدب الله تعالى إياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ثم بيان كلامه وضحه ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان غنوه مع القدرة ثم بيان إفغاضه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم .

(كتاب آداب الميشة وأخلاق النبوة)

يوما وقد يكون من لا يكلف شيء من معاني القدرة أفضل من يكلف بها إذا كاشفه الله بصرف للرفة فالقدرة أثر من القادر ومن أهل قرب القادر لا يستغرب ولا يستنكر شيئا من القدرة ويرى القدرة تتجلى له من سبغ أجزاء علم الحكمة فإذا أخلص العبد لله تعالى أربعين يوما واجتهد في ضبط أحواله بغير من الأنواع التي ذكرنا من العمل والذكر والقوت وغير ذلك تعود بركة تلك الأربعين على جميع أوقاته وساعاته وهو طريق حسن اعتمده طائفة من الصالحين وكان جماعة من الصالحين يخارون

(بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والانبها ل دائم السؤال عن الله تعالى أن يزيه بمجلس الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه « اللهم حسن خلقى وخلقى »^(١) ويقول « اللهم جنبني منكرات الأخلاق »^(٢) فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل - ادعوني استجب لكم - فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن . قال سعد بن هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت أما خبراً القرآن قلت بلى قالت كان خلق خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن^(٣) وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقوله - واسبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور - وقوله - ولن يبرو غفر إن ذلك لمن عزم الأمور - وقوله - فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين - وقوله - وليعزوا وليصغوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم - وقوله - ادفع بالحق هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - وقوله - والسكاطين الفيتى والمافين عن الناس والله يحب المحسنين - وقوله - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا يحسبوا ولا يفتب بضكم بضا - ولما كسرت رابعته وشج يوم أحد فجل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف بلغ قوم خضبوا وجهي بدمهم وهو يدعوهم إلى ربهم^(٤) فأنزل الله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - تأديبا له على ذلك وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتهديب ثمته بشرق النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بشت لأنهم مكارم الأخلاق »^(٥) ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهديب الأخلاق فلانبيده ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أمئى عليه فقال تعالى - وإنك لمن خلق عظيم - فسبحان ما أعظم شأنه وأتم امتنانه ثم انظر إلى عظيم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم أمئى فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال - وإنك لمن خلق عظيم - ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق ويغض سفافها^(٦) قال صلى الله عليه رضى الله عنه يا عابجا لرجل مسلم يحبه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينفى له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل أصمته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما أتى بسبايا ملي^(٧) وقتت جارية في السبي فقالت يا محمد

للأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وهى أربعون موسى عليه السلام . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن الجوهري إجازة قال أنا أبو عمر محمد بن البباس قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن سعد قال ثنا الحسن بن الحسن للروزي قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا أبو معاوية الضريق قال ثنا الجراح عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوما ظهرت بتابع الحكمة من قلبه على لسانه »

- (١) حديث كان يقول في دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولهذهما اللهم أحسنت خلقى فأحسن خلقى وإسناده جيد وحديث ابن مسعود رواه حب
- (٢) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق ت وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة ابن مالك وقال ت اللهم إني أعوذ بك (٣) حديث سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن رواه مسلم وروى الحاكم في قوله إنها لم يخرجها (٤) حديث كسرت رابعته صلى الله عليه وسلم يوم أحد الحديث في نزوله ليس لك من الأمر شيء من حديث أنس وذكره خ تليفا (٥) حديث بشت لأنهم مكارم الأخلاق أحمد وك هق من حديث أبي هريرة قال الحاكم صحيح على شرطه وقد تقدم في آداب الصحبة (٦) حديث إن الله يحب معالي الأخلاق ويغض سفافها هق من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواه تطلعة ابن عبيد الله بن كركيز مرسلًا ورجلها هق .

إن رأيت أن تغل عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فأتى بنت سيد قومى وإن أبى كان يحمى الدمار ويكف الناس وينسج الجائع ويعطى الطعام وينشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنه حاتم الطائي قال صلى الله عليه وسلم بإجارية هذه صفة المؤمن حق لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق قام أبو بردة بن نيار قال يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق فقال والذي نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق (١) وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال «إن الله حَفَّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال» (٢) ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الضيفة ولين الجانب وبذل اللزوف وإطعام الطعام وإنشاء السلام وعيادة المريض المسلم برآ كان أوفاجراً وتشجيع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلماً كان أو كافراً وتوقير ذي الشبهة للسلم وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح بين الناس والجلود والسكرم والسباحة والإبتداء بالسلم وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه الإسلام من اللغو والباطل والقناء والمغازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والنية والكذب والبخل والشع والجفاء والمكر والحديمة والنجية وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والتفحش والتفخفخ والحقم والحسد والطيرة والبغى والدوان والظلم . قال أنس رضى الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشاً أو قال دعياً أو قال شيئاً إلا حذرناه ونهانا عنه (٣) يركبى من ذلك كله هذه الآية - إن الله يأمر بالعدل والإحسان - وقال معاذ أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا معاذ أوصيك ببقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالمهد وأداء الأمانة وترك الحيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين السلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحسب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكماً أو تكذب صادقاً أو تطيع أئماً أو تسمى إماماً عادلاً أو تفسد أرضاً أو أوصيك ببقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة الربا ليرى والعناية بالملانة (٤) فهكذا آدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .

(بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والنقطتها من الأخبار)

فقال كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٥)

(١) حديث على قوله وبجبار رجل مسلم يحبته أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للتغير أهلاً الحديث وفيه مرفوعاً لما أتى بسبايا طي « وقفت جارية فى السى فقالت يا محمد إن رأيت أن تغل عنى الحديث ث المحكم فى نوادر الأصول باسناد فيه ضعف (٢) حديث معاذ حَفَّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال الحديث بطوله لم أقف له على أصل ويبنى عنه حديث معاذ الآتى بعده بحديث (٣) حديث أنس لم يدع صلى الله عليه وسلم نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها لم أقف له على إسناد وهو صحيح من حيث الواقع (٤) حديث يا معاذ أوصيك ببقاء الله وصدق الحديث بونعيم فى الحلية وهى فى الزهد وقد تقدم فى آداب الصلوة (٥) حديث كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن أبى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس الحديث وهو مرسل . وروى أبو حاتم بن جابر من حديث عبد الله بن سلام فى قصة إسلام زيد بن شقعة من أخبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب يا محمد كل علامات النبوة قد عرفت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما به يسبق حلمه جهله ولا تزيد شدة الجهول عليه إلا حلماً قد اخترتهما الحديث .

[الباب التاسع

والعشرون فى أخلاق

الصوفية وشرح الخلق]

الصوفية أو فى الناس

حظا فى الاقتداء

برسول الله صلى الله

عليه وسلم وأخبرهم

بإحياء سنته والتخلق

بأخلاق رسول الله

صلى الله عليه وسلم من

حسن الاقتداء وإحياء

سنته على ما أخبرنا

الشيخ العالم ضياء

الدين شيخ الإسلام

أبو أحمد عبد الوهاب

ابن على قال أنا أبو القاسم

عبد الملك بن أبى

القاسم المروى قال

أنا أبو نصر عبد العزيز

ابن حمد القرياقى قال

أنا أبو محمد عبد الجبار

ابن محمد الجرامى قال

أنا أبو العباس محمد بن

أحمد المحبوى قال أنا

أبو عيسى محمد بن

وأشجع الناس ^(١) وأعدل الناس ^(٢) وأعطف الناس لم تمس يده قط يدمارة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه ^(٣) وكان أسخى الناس ^(٤) لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء لم يجد من يبطيه وفجاء الليل لم يأو إلى منزله حتى يترأ منه إلى من يحتاج إليه ^(٥) لا يأخذ مما آتاه الله إلى قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله ^(٦) لا يسل شيئا إلا أعطاه ^(٧) ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأت شيء ^(٨) وكان يخفف الثمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ^(٩)

(١) حديث أنه كان أشجع الناس متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث كان أعدل الناس ت في الشئ من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه ضارلهم بأوصاروا عنده في الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم (٣) حديث كان أعف الناس لم تمس يده قط يدمارة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له الشيطان من حديث عائشة مامت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدمارة إلا امرأة يملكها (٤) حديث كان يملك أسخى الناس الطبراني في الأوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع بالسقاء والشجاعة الحديث ورجاله ثقات وقال صاحب الزبان إنه منكر وفي الصحيحين من حديثه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس واتفا عليه من حديث ابن عباس وتقدم في الزكاة (٥) حديث كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط وإن فضل ولم يجد من يبطيه وفجاء الليل لم يأو إلى منزله حتى يترأ منه إلى من يحتاج إليه د من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فداك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام وسبع بلال لذلك ووفاء بونه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد وحده وفيه قال فضل شيء قلت نعم دينار قال انظر أن ترجي منهما فلست بداخل على أحد من أهلي حتى ترجي منهما فلم يأت أحد فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء ركبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلى الجمعة دعاني فقال ما فعل الذي قبلك قلت قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقا من أن يدرك الموت وعنده ذلك ثم اتبته حتى جاء أزواجه الحديث والبخاري من حديث عقبة ابن الحارث ذكرت وأنا في الصلاة فكرهت أن يسمي ويبيت عندي فأمرت بقسمته ولأبي عبيد في غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلان لا يقبل مالا عنده ولا يبيت (٦) حديث كان لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم في الزكاة (٧) حديث كان لا يسل شيئا إلا أعطاه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد والبخاري من حديثه في الرجل أدى سألته الشملة قليل له سألته إياها وقد علمت أنه لا يردها إلا الحديث ولما سلم من حديث أنس ما سلم في الإسلام شيئا إلا أعطاه وفي الصحيحين من حديث جابر ما سلم شيئا قط فقال لا (٨) حديث أنه كان يؤثر مما ادخر لعاليه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام هذا معلوم ويدل عليه ما رواه ت ن ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة بغيرين صاعا من طعام أخذته لأهله وقال ه ثلاثين صاعا من شعير وإسناده جيد وخ من حديث عائشة توفي ودرعه مرهونة عند يهودي ثلاثين وفي رواية هق ثلاثين صاعا من شعير (٩) حديث وكان صلى الله عليه وسلم يخفف الثمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله أحمد من حديث عائشة كان يخفف ثملته ويحيط ثوبه ويسمل في بيته كما يسمل أحدكم في بيته ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ لفظ ويرقع الثوب والبخاري من حديث عائشة كان

عيسى بن سورة

الترمذي قال ثنا مسلم
ابن حاتم الأنصاري
البصري قال ثنا محمد
ابن عبد الله الأنصاري
عن أبيه عن علي
ابن زيد عن سعيد بن
الليث قال قال أنس
ابن مالك رضي الله
عنه قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« يا بني إن قدرت أن
تصيح وتسمي وليس
في قلبك غش لأحد
فاصل . ثم قال : يا بني
وذلك من سقى ومن
أحيا سقى قد أحياني
ومن أحياني كان معي
في الجنة » فالصوفية
أحيوا سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لأنهم وقفوا في بدايتهم
لرعاية أنوفه وفي وسط
حالمه اقتدوا بأعماله
فأتمروهم ذلك أن عتقوا

ويقطع اللحم معهم^(١) وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد^(٢) ويجب دعوة العبد والحر^(٣) ويقبل الهدية ولو أنها جرة لبن أو غنذ أرنب ويكافئ عليها^(٤) وبأكمله ولو لا ياكل الصدقة^(٥) ولا يستكبر عن إجابة الأمة والسكين^(٦) يغضب لربه ولا يغضب لنفسه^(٧) وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال : أنا لا أنصر بمشرك^(٨) ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد في مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه حاجة إلى بعير واحد يتقوون به^(٩) وكان يصب الحبر على يظنه

يكون في مهمة أهله (١) حديث أنه كان يقطع اللحم أحمد من حديث عائشة أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلا فاشتكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقات فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث وأبى الله ما من الثلاثين ومائة إلا حمله رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد يظنها (٢) حديث كان من أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها (٣) حديث كان يحجب دعوة العبد والحر هلك من حديث أنس كان يحجب دعوة للمعوك قال كصحح الاستاد . قلت بل ضعيف وللدركطني في غرائب مالك وضعفه والخطيب في أسماء من روى عن مالك من حديث أبي هريرة كان يحجب دعوة العبد إلى أي طعام دعى ويقول لدعيت إلى كراع لأجبت وهذا بعمومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عند من حديث أبي هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لا يدعوه آخر ولا أسود من الناس إلا أجابه الحديث وهو مرسل (٤) حديث كان يقبل الهدية ولو أنها جرة لبن أو غنذ أرنب ويكافئ عليها من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويشتب عليها ، وأما ذكر جرة اللبن ونفذ الأرنب في الصحيحين من حديث أم الفضل أنها أرسلت بقدر لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف به رقة فشر به ولأحمد من حديث عائشة أهدت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لنا الحديث وفي الصحيحين من حديث أنس أن أباطلحة بعث بورك أرنب أو غنذه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله (٥) حديث كان يأكل الهدية ولو لا ياكل الصدقة متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٦) حديث كان لا يستكبر أن يمسي مع السكين ذلك من حديث عبد الله بن أبي أوفى . سند صحيح وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث كان يغضب لربه أيضا من حديث أبي سعيد الخدري وقال صحيح على شرط الشيخين (٨) حديث كان يأكل الهدية ولو لا ياكل الصدقة (٩) حديث عائشة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بحجرة الوبرة اذكره رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة فصرح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راوه فلما اذكره قال جئت لأتبعك واصيب معك فقال له اتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك الحديث (١٠) حديث وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن أبي حنيفة ورافع بن خديج والرجل الذي وجد مقتولا هو عبد الله بن سهل الأنصاري .

في نهاياتهم بأخلاقه وتحسين الأخلاق لا يأتي إلا بعد تركه النفس وطريق التزكية بالإذعان لسياسة الشرع وقد قال الله تعالى لبيه محمد صلى الله عليه وسلم - وإنك لعل خلق عظيم - لما كان أشرف الناس وأكرمهم نفسا كان أحسنهم خلقا قال مجاهد على خلق عظيم أي على دين عظيم والدين مجموع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة . سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن قال قتادة هو ما كان بأمره من أمر الله تعالى وينتهي عما نهى الله عنه وفي قول عائشة كان خلقه القرآن سر

مرة من الجوع (١) ومضى يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد ثيراً دون خبز أكلة (٢) وإن وجد شواء أكلة وإن وجد خبزاً أو شعيراً أكلة وإن وجد حلواً أو عسلاً أكلة وإن وجد لبنادون خبزاً كفتى به وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكلة ، لا يأكل متسكناً (٣) ولا طيخاً (٤) مندبيله باطن قدميه (٥) لم يشبع من خبز برّ ثلاثة أيام متوالية (٦) حتى لقي الله تعالى إيثاراً على نفسه لا تقرا ولا تجلّا (٧) يجيب الولية ويمود الرضى (٨) ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس (٩)

(١) حديث كان يصعب الحجر على بطنه من الجوع متفق عليه من حديث جابر في قصة حفر الخندق وفيه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شدّ على بطنه حجراً وأغرب حب فقال في صحبته إنما هو الحيز بضم الحاء وآخره زاي جمع حجرة وليس يتابع على ذلك ورد على ذلك ما رواه ت من حديث أبي طلحة شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفنا عن بطوننا عن حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين ورجاله كلهم ثبات (٢) حديث كان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد ثيراً دون خبز أكلة وإن وجد شعيراً أو شعيراً أكلة وإن وجد حلواً أو عسلاً أكلة وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكلة انتهى . هذا كله معروف من أخلاقه ففي ت من حديث أم هانئ دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شيء ؟ قلت لا إلا خبز يابس وخبث فقال هات الحديث ، وقال حسن غريب وفي كتاب الثمالي لأبي الحسن بن الضحاك بن القري من رواية الأوزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بأبالي ما رددت به الجوع وهذا مضطرب ولمسلم من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا ما عندنا ؟ إلا خبث فدعا به الحديث وله من حديث أنس رأته مقبياً يأكل ثمرات وت وصحبه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنباً مشوياً فأكل منه الحديث وللشيخين من حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً خبز بر حتى مضى لسبيله لفظه وفي رواية له ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين وت وصحبه وه من حديث ابن عباس أن أكثر خبرهم الشعير وللشيخين من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل ولهما من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب لبناً فدعا بماء فضعض ون من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ وإسناده صحيح (٣) حديث أنه كان لا يأكل متسكناً تقدم في آداب الأكل في الباب الأول (٤) حديث أنه كان لا يأكل على خوان تقدم في الباب المذكور (٥) حديث كان مندبيله باطن قدمه لا يعرفه من فله وإنما المعروف فيه ما رواه ه من حديث جابر كان زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلاً ما يجد الطعام فإذا وجدته لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم في الطهارة (٦) حديث لم يشبع من خبز برّ ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تقدم في جملة الأحاديث التي قبله بثلاثة أحاديث (٧) حديث كان يجيب الولية هذا معروف وتقدم قوله لودعيت إلى كراخ لأجبت وفي الأسط للطراني من حديث ابن عباس أنه كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف الليل على خبز الشعير فيجيب وإسناده ضعيف (٨) حديث كان يمود الرضى ويشهد الجنائز وت وضعفه وه وصحبه من حديث أنس ورواه ك من حديث سهل بن حنيف ، وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشموه للجنائز (٩) حديث كان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس تلك من حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرس حتى نزلت هذه الآية - والله يصمك من الداس - فأخرج رأسه من القبة فقال انصرفوا فقد عصمت الله قال ت غريب وقال ك صحيح الإسناد .

كبير وعلم غامض مانطقت بذلك إلا بما خصها الله تعالى به من ركة الوحي السامى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصه بها بكلمة خذوا شطر دينكم من هذه الحبراء وذلك أن النفوس مجبولة على غرائز وطباع هي من لوازمها وضرورتها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت من ماء ولها بحسب ذلك طبع وهكذا هم حمائمون ومن لصلال كالغفار وبحسب تلك الأصول التي هي مبادئ تكونها استفاضت صفات من البهيمة والسبعة والشيطانية وإلى صفه الشيطنة في الانسان إشادة بقوله تعالى - من

أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر (١) وأبلغهم في غير تطويل (٢) وأحسنهم بشرا (٣) لا يولد شيء من أمور الدنيا (٤) ويلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة بردجرة بمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس (٥) وخافه فضة (٦) يلبسه في خنصره الأيمن (٧) والأيسر (٨) يردف خلفه عبده أو غيره (٩) يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بصيرا ومرة بفيلة شهاب ومرة حمارا ومرة بمشى

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر أبو الحسن بن الضحاك في التماثل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه وسلم حين للؤنة لبن الحلق كريمة الطبيعة جميل الماشية طليق الوجه إلى أن قال متواضع في غير ذلة وفيه دائب الاطراق وإسناده ضعيف وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند ن من حديث ابن أبي أوفى كان لا يألف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمساكين الحديث وقد تقدم وعند أبي داود من حديث البراءة فيجلس وجلسنا كان على رءوسنا الطير الحديث ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك أن أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رءوسهم الطير (٢) حديث كان أبلغ الناس من غير تطويل خ م من حديث عائشة كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحياه ولحما من حديثنا لم يكن يسرد الحديث كسردكم علقه ووصله م زادت ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه وله في التماثل من حديث ابن أبي هالة يتكلم بمجامع الكلام فصل لا تضول ولا تنقص (٣) حديث كان أحسنهم بشرا ت في التماثل من حديث علي بن أبي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق الحديث وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت وفيه ابن لمية (٤) حديث كان لا يولد شيء من أمور الدنيا أحمد من حديث عائشة ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا وما أعجبه أحد قط إلا ذوقني وفي لفظ له ما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذوقني وفيه ابن لمية (٥) حديث كان يلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس خ م من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة يردة . قال سهل هل تدرون ما البردة هي الشملة منسوج في حاشيتها وفيه فخرج إلينا وأنها لإزاره الحديث ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في شملة قد عقد عليها فيه الأوصاف بن حكيم يختلف فيه ولشيوخين من حديث أنس كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة ولهما من حديث الثوري بن شعبة وعليه جبة من صوف (٦) حديث خاتمة فضة متفق عليه من حديث أنس أخذ خاتما من فضة (٧) حديث لبسه الخاتم في خنصره الأيمن م من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه ولبخاري من حديثه فأنى لأرى يرفقه في خنصره (٨) حديث تحتمه في الأيسر م من حديث أنس كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى (٩) حديث إردافه خلفه عبده أو غيره أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاة وابن مولاة وأردف الفضل بن عباس من الزدلفة وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة .

صلصال كالنخار
للدخول النار في الفخار
وقد قال الله تعالى -
وخلق الجنان من مارج
من نار والله تعالى بخفي
لطفه وعظيم عنايته
نزع نصيب الشيطان
من رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ماورد
في حديث حلبة ابنة
الحريث أنها قالت
في حديث طويل فيينا
نحن خائف يوتنا
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم مع أنخ له
من الرضاة في بهم
لنا جاءنا أخوه يشتد
فقال ذلك أخى القرشي
قد جاءه رجلا ن عليهما
ثياب يابض فأضجعا
فشقا بطنه فخرجت
أنا وأبوه فشتد نخوه
فتجدد فأمامتنا لونه
فاعتنته أبوه ، وقال
أبي بن ماشأ نك ؟ قال

راجلا حافيا بلرداء ولا عمامة ولا قلنسوة يهود الرضى في أقصى المدينة^(١) يحب الطيب ويكره الرائحة الردية^(٢) ويجالس الفقراء^(٣) ويؤاكل المساكين^(٤) ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم^(٥) يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرم على من هو أفضل منهم^(٦) لا يجوع على أحد^(٧)

(١) حديث كان يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بقلنسواء ومرة حمارا ومرة برجلان ومرة حافيا بلرداء ولا عمامة ولا قلنسوة يهود الرضى في أقصى المدينة في الصحيحين من حديث أنس ركو به صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة ولمسلم من حديث جابر بن مرة ركو به القرس عراحين انصرف من جنازة ابن الدحداح ولمسلم من حديث سهل بن سعد كان لثي^{عليه السلام} فرس له : الحنيف ولهما من حديث ابن عباس طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير ولهما من حديث البراء أريت النبي صلى الله عليه وسلم على بقلته البيضاء يوم حنين ولهما من حديث أسامة أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على إكاف الحديث ولها من حديث ابن عمر كان يأتي قبا راكبا وماشيا ولمسلم من حديث في عيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عباد فقام وقتنا معه ونحن بضعة عشر ماعليا نامل ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نغنى في السباغ الحديث (٢) حديث كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الردية من حديث أنس حبيب إلى النساء والطيب وذلك من حديث عائشة أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان يسجبه الريح الطيبة لفظه وقال صحيح على شرط الشيخين ولابن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجده من الإبريس طيبة (٣) حديث كان يجالس الفقراء من حديث أبي سعيد جالس في عصابة من ضغاف المهاجرين وإن بعضهم ليستر بصا من العرى الحديث وفيه فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعمل بنفسه فينا الحديث وهو من حديث خباب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا الحديث في زوال قوله تعالى ولا تطردوا الذين بدعون ربهم - إسنادهما حسن (٤) حديث مؤاكلته للمساكين خ من حديث أبي هريرة قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بث بها إليهم ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها (٥) حديث كان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ت في التباثل من حديث على الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم وكان من سيرته إظهار أهل الفضل بأذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين وفيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويؤلفه عليهم الحديث وللطبراني من حديث جرير في قصة إسلامه فألقى إلى كسائه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كريم قوم فآكروموه وإسناده جيد ورواه ك من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه نحوه وقال صحيح الإسناد (٦) حديث كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرم على من هو أفضل منهم ك من حديث ابن عباس كان يحل لباس إجلال الوالد والوالدة وله من حديث سعد بن أبي وقاص أنه أخرج محم العباس وغيره من المسجد فقال له لباس نخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن علينا فقال ماأنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه قال في الأول صحيح الإسناد وسكت عن الثاني وفيه مسلم اللاتي ضيف فآثر عليا لفضله بتقديم إسلامه وشهوده بدارا والله أعلم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد لا ييقن في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر (٧) حديث كان لا يجوع على أحد دت في التباثل و ن في اليوم والليلة من حديث أنس كان قما يواجه رجلا يسمى بكرهه وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبي هريرة أن رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فقال بش أخو العشرة فلما دخل ألان له القول الحديث .

جاءني رجلان عليهما ثياب يابض فأشجاني فشما بطي ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجنا به معنا فقال أبوه بالحيلة لقد خشيت أن يكون ابن هذا قد أصيب انطلق بنا فلزده إلى أهله قيل أن يظهر به ما نخوف قالت فاحتملناه فلم تزع أمه إلا وقد قدمنا به عليها قالت ما ردك قد كتبنا عليه حريصين قلنا لا والله لا نضير إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذي كان علينا وقلنا نغنى الألفاف والأحداث نرده إلى أهله فقالت ماذاك بك فاصدقني شأنا فلم تدعنا حتى أخبرنا ما خبره فقالت خشيتا عليه الشيطان

يقبل معدرة العنبر إليه ^(١) يمزح ولا يقول إلا حقا ^(٢) يضحك من غير قهقهة ^(٣) يرى اللعب للباح فلا ينكره ^(٤) يسابق أهله ^(٥) وترفع الأصوات عليه فبصر ^(٦) وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها ^(٧) وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ^(٨) ولا يعضى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فلما لا بد منه من صلاح نفسه ^(٩) يخرج إلى بساتين أحماه ^(١٠)

(١) حديث يقبل معدرة العنبر إليه متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه طفق المحققون يتحدرون إليه قبل منهم علانيتهم الحديث (٢) حديث يمزح ولا يقول إلا حقا أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند تليظ قالوا إنك تداعينا قال إني ولا أقول إلا حقا وقال حسن (٣) حديث ضحكه من غير قهقهة الشيخان من حديث عائشة مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى لهواته إنما كان يتبسّم وت من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسما قال صحيح غريب وفيه في الثبائل في حديث هند بن أبي هالة جل ضحكه التبسم (٤) حديث يرى اللعب للباح ولا يكرهه الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبشة بين يديه في المسجد وقال لهم دونكم يا بني أرعدت وقد تقدم في كتاب البيع (٥) حديث مسابته صلى الله عليه وسلم أهله في الكبرى وه من حديث عائشة في مسابته لها وتقدم في الباب الثالث من النكاح (٦) حديث ترفع الأصوات عنده فيصبر من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القنقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأفرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافا حتى أرغمت أصواتها فقلت يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله - (٧) حديث وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها محمد بن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللين أوقات أكثر عيشنا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح بالغابة الحديث وفي رواية له كانت لنا أغز سبيح فكان الراعي يبلغ بين مرة الحمى ومرة أحدا وبروح بين علينا وكانت لقاح بندي الحبل فيؤب إلينا ألبانها بالليل الحديث وفي إسناد محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع كانت لقاح رسول الله ﷺ ترمي بندي قرد الحديث ولأبي داود من حديث لقيط بن صبرة لنا غنم مائة لا تريد أن تزيد فذاذنا وله الراعي بهمة ذبحنا مكنا شاة الحديث (٨) حديث كان له عبيد وإماء فلا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضره ورضوى وميمونة بنت سعد اعتهن كلهن وإسناده ضعيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأمنة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسار وأبارافع وأمامية ورافعا اعظمهم كلهم وفضالة ومدحما وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك في الثبائل من حديث أبي سعيد الحدرى بإسناد ضعيف كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه وم من حديث أبي اليسر اعظمهم مما تأكلون والبسوم مما تلبسون الحديث (٩) حديث لا يعضى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فلما لا بد منه من صلاح نفسه في الثبائل من حديث علي بن أبي طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاتمة على العامة الحديث (١٠) حديث يخرج إلى بساتين أحماه تقدم في الباب الثالث من آداب الأسكل خر وجهه صلى الله عليه وسلم إلى بساتين أبي الهيثم بن التبان وأبي أيوب الأنصاري وغيرهما.

كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لكائن لابن هذا شأن ألا أخبركنا بحجره قلنا بل قالت حلت به لما حلت حملها أخف منه قالت فرأيت في النوم حين حلت به كأنه خرج مني نور قد أضاءت بقصور الشام ثم وقع حين ولدته وقفا لم يقه الولود معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء فدعا عنكنا فبعد أن طهر الله رسوله من نصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات وأخلاق بمقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات في نفوس الأمة بمزيد من الظلمة

لا يحضر مسكيناً فقيراً وزماتته ولا يهاب ملكاً للملك يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستوي (١) قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة الثابتة وهو أي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجبل والصحارى في قعر وفي رعاية القنم يتنابأ له ولا أم فضله الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والنور في الآخرة والقبطة والمخلص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول (٢) . وقتنا الله لطاعته في أمره والناس به في فقه أمين يارب العالمين .

(يان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه)

كما رواه أبو البختري قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من المؤمنين بشيعة إلا جعلها كفارة ورحمة (٣) وما لمن امرأة قط ولا خادماً بلية (٤) وقيل له وهو في القتال لوليتهم يارسول الله

(١) حديث لا يحضر مسكيناً فقيراً وزماتته ولا يهاب ملكاً للملك يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحداً من حديث سهل بن سعد مرّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن ينكمح الحديث وفيه لمرّ رجل من قراء المسلمين قال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن لا ينكمح الحديث وفيه هذا خير من ملء الأرض مثل هذا وم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والتجاني وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل (٢) حديث قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة الثابتة وهو أي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجبل والصحارى وفي رعاية القنم يتنابأ له ولا أم فضله الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والنور في الآخرة والقبطة والمخلص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول هذا كله معروف معلوم قروي ت في الشرائع من حديث علي بن أبي طالب في حديثه الطويل في صفته وكان من سيرته في جزء الأمة إيشار أهل الفضل بأذنه وقسمه الحديث وفيه فضائله عن سيرته في جلساته قال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب الحديث وفيه كان يحزن لسانه إلا فياً يمينه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من اللراء والإكثار وما لا يمينه الحديث وقد تقدم بضمه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس في قوله - وما كنت تلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك - قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم في العلم والبخاري من حديث ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فأقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام - قد خسر الذين قتلوا أولادهم منها بغير علم - وحسب من حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة أن جعفر قال للتجاني أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة الحديث ولأحمد من حديث أبي بن كعب إني لفي صحراء ابن عشرين وأشهر فإذا كلام فوق رأسي الحديث وخ من حديث أبي هريرة كنت أراها أي القنم على قراريط لأهل مكة ولأبي علي وحسب من حديث حليمة إنما تزجوا كرامة الرضاغة من والد للولود وكان بها الحديث وتقدم حديث بشت بمكارم الأخلاق (٣) حديث ما شتم أحداً من المؤمنين إلا جعلها كفارة كدارة ورحمة متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فأى المؤمنين لنته شتمته جلدة فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة . وفي رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفي رواية فاجعلها له كفارة وقربة وفي رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة (٤) حديث ما لمن امرأة ولا خادماً قط للعروف ما ضرب مكان لمن كاهو متفق عليه من حديث عائشة ولبخاري من حديث أنس لم يكن خادماً ولا لعلماً وسيأتي الحديث الذي بعده فيه هذا المعنى .

خاوت حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الأمة فاستمدت تلك الصفات للبقاء يظهرها في رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزيل الآيات المحكمات بإزائها لقمعها تأدياً من الله لنبيه رحمة خاصة له وعامة للأمة موزعة بنزول الآيات على الآماء والأوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى - وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً - وتثبيت الفؤاد بعد اضطرابه بحركة النفس بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة لخلق صالح متى إما

قال هـ إنما بشت رحمة ولم أبت لعائنا^(١) وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافراً عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له^(٢) وما ضرب يده أحدا قط إلا لأن يضرب به في سبيل الله تعالى وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله وما خبرين أمرين قط إلا إخباراً أبسرها إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك^(٣) وما كان يأتيه أحد حر أو عبداً أو أملاً إلا لامعه في حاجته^(٤) وقال أنس رضي الله عنه والذي بشت بالحق ما قال في شيء قط كرهه لم فضله ولا ملامتي نساؤه إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتابه وقد ر^(٥) قالوا وما عاب رسول الله ﷺ مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض^(٦) وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يشته في السطر الأول فقال محمد رسول الله عدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا مصاب في الأسواق ولا يجزي بالبيضة السيئ ولو كان يغمو ويصنع، مؤثمه بكتابه وهجرت بطابة وملسك بالشام يأتز على وسطه هو ومن معه مداه للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه وكذلك نعت في الإنجيل وكان خلقه أن يبدأ من قلبه السلام^(٧) ومن قومه حاجة صابره حتى يكون هو للنصرف^(٨) وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر^(٩)

(١) حديث إنما بشت رحمة ولم أبت لعائنا م من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافراً عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له الشيخان من حديث أبي هريرة قالوا يا رسول الله إن دوساً قد كفرت وأبت فادع عليهم قليل هلكت دوس قال اللهم اهد دوساً وائتمهم (٣) حديث ما ضرب يده أحدا قط إلا لأن يضرب في سبيل الله وما انتقم في شيء صنع إليه إلا أن تنتهك حرمة الله الحديث متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصعبة (٤) حديث ما كان يأتيه أحد حر أو عبداً أو أملاً إلا قام معه في حاجته مع تليقاً من حديث أنس إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ يد رسول الله ﷺ فتنتطق به حيث شئت وتوصله وقال فما ينبز به من يدها حتى تذهب به حيث شئت من المدينة في حاجتها وقد تقدم وتقدم أيضاً من حديث ابن أبي أوفى ولا تأف ولا يستكبر أن يمسي مع الأرملة والسكين حتى يقضى لهما حاجتهما (٥) حديث أنس والذي بشت بالحق ما قال في شيء قط كرهه لم فضله ولا ملامتي أحد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتابه وقد ر الشيخان من حديث أنس ما قال لشيء صنعته لم صنعت ولا شيء تركته لم تركه وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له فيه ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فأتيتني عليه قال عاتبي أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شيء كان وفي رواية له كذا قضى (٦) حديث ما عاب مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرشوا له اضطجع على الأرض، لم أجده بهذا اللفظ والعرف ما عاب طعاماً ويؤخذ من محوم حديث علي بن أبي طالب ليس يفض إلى أن قال ولا عاب رواه في التماثل والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنن من حديث أنس ما عابه عاب شيئاً قط وفي الصحيحين من حديث حمير اضطجعا على حصير وت وصح من حديث ابن مسعود نام على حصير قمام وقد أثر في جنبه الحديث (٧) حديث كان من خلقه أن يبدأ من قلبه السلام في التماثل من حديث هند بن أبي هالة (٨) حديث ومن قومه حاجة صابره حتى يكون هو للنصرف الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي بن أبي طالب وهو من حديث أنس كان إذا لقي الرجل بكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو للنصرف ورواه نحوه وقال غريب (٩) حديث وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر هـ من حديث أنس الذي قبله كان إذا استقبل الرجل فصاله لا ينبز يده من يده حتى يكون الرجل ينبز لفظه وقال غريب .

نصرها أو تمريضاً كما
تحركت النفس الشريفة
إلى النبوة لما كسرت
رباعيته وصار القم
يسيل على الوجوه
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بمسحه
ويقول: كيف خلق قوم
خضبوا وجه نبيهم وهو
يدعومهم إلى ربهم فأزل
الله تعالى - ليس لك
من الأمر شيء -
فاكتفى القلب النبوي
لباس الاضطراب وفاء
بعد الاضطراب إلى
القرار فما توزعت
الآيات على ظهور
الصفات في مختلف
الأوقات صفت الأخلاق
النبوية بأقصر
ليكون خلقه القرآن
ويكون في إحياء تلك
الصفات في نفس رسول
الله صلى الله عليه وسلم

وكان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشا به ثم شد قبضته عليه^(١) وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله^(٢) وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته^(٣) وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوكة^(٤) ولم يكن يرف جملته من مجلس أصحابه^(٥) لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس^(٦) وما روى قط ما إذا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون للسان واسما لا يضيق فيه وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة^(٧) وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه^(٨) وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل^(٩) وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه^(١٠) حتى يطى كل من جلس إليه نصيه من وجهه حتى كان جلوسه وسمعه وحديثه لطيف محاسنه وتوجه للجالس إليه وجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة.

معنى قوله عليه السلام
«إِنَّمَا أَنْسَى لَأَنسَ»
فظهر صفات نفسه
الشفقة وقت استئصال
الآيات لتأديب نفوس
الأمّة وتهذيبها رحمة
في حقهم حتى تزكى
قوسهم وتشرق
أخلاقهم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
«الأخلاق حمزة»
عند الله تعالى فإذا أراد
الله تعالى بيد خيرا
منه منها خلقا وقال
صلى الله عليه وسلم
«إِنَّمَا بَشَتْ لَأَنسَمِ
مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ» .
وروى عنه صلى الله
عليه وسلم «إِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى مَائِقُضَةٌ عَشْرَ

(١) حديث كان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشا به ثم شد قبضته من حديث أبي ذر وسأله رجل من غزوة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصاحمكم إذا قُتِمَوه قال ما ليته قط إلا صاغى الحديث ، وفيه الرجل الذي من غزوة ولم يسم وسماه البيهقي في الأدب عبد الله وروينا في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة قال شبك يدي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عندهم بلفظ أخذ رسول الله ﷺ يدي (٢) حديث كان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل ت في الثمائل من حديث طي في حديث الطويل في صفته وقال طي ذكر بالتونين (٣) حديث كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته لم أجده أصلا (٤) حديث كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوكة ت في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتج يديه وإسناده ضعيف والبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة محتجيا يديه (٥) حديث إنه لم يكن يرف جملته من مجالس أصحابه من حديث أبي هريرة وأبي ذر فلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه فيجئ والفرج فلا يدري أيهم هو حتى يسأل الحديث (٦) حديث إنه حيثما انتهى به المجلس جلس ت في الثمائل في حديث علي الطويل (٧) حديث ما روى قط ما إذا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد إلا أن يكون للسان واسما لا يضيق فيه الدار قطي في غراب مالك من حديث أنس وقال باطل وثقه لم يقدم ركبته بين يدي جلس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف (٨) حديث كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه ك وصح إسناده من حديث أنس . دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فأخذ برده فأتاهما عليه فقال اجلس عليهما يا جرير الحديث وفيه فإذا أتاكم كرم قوم فأكرموا . وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة والطبراني في الكبير من حديث جرير فأتني إلى كساء ولأني نعيم في الحاية فسط إلى رداءه (٩) حديث كان يؤثر الداخل بالوسادة التي تكون تحته الحديث تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة (١٠) حديث ما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يطى كل من جلس إليه نصيه من وجهه حتى كان جلوسه وسمعه وحديثه وتوجه للجالس إليه وجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة ت في الثمائل من حديث طي الطويل وفيه يطى كل جلساته نصيه لا يحسب جلوسه أن أحدا أكرم عليه منه وفيه مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة.

دل الله تعالى - فيها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لاقتضوا من حولك - ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراما لهم واسئلة لقلوبهم (١) ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به (٢) ويكنى أيضا النساء اللاتي هن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدىءنهن الكنى (٣) ويكنى الصبيان فيستأين به (٤) لقوبهم وكان أبعد الناس غضبا وأسرهم رضا (٥) وكان أرفأ الناس بالناس وخير الناس للناس وأضع الناس للناس (٦) ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات (٧) وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم ومحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ثم يقول لعنني جبريل عليه السلام (٨) .

(بيان كلامه وضحه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما ويقول (٩) :

خلقنا من آتاه واحدا
منها دخل الجنة
تقدريها وتعديها
لا يكون إلا بوحى
سأوى لمرسل ونبي
والله تعالى أبرز إلى
الحق اسماء منبئة
عن صفاته سبحانه
وتعالى وما أظهرها
لهم إلا يدعوهم إليها
ولولأن الله تعالى أودع
في القوس البشرية
التخلق بهذه الأخلاق
ما أبرزها لهم دعوة
لهم إليها يختص رحمة
من يشاء ولا يمد
والله أعلم أن قول
عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن فيه
رمز فاض ولعامة

(١) حديث كان يدعو أصحابه بكناهم إكراما لهم واسئلة لقلوبهم في الصحيحين في قصة الغار من حديث أبي بكر يابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وللحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لمرأ يابا حفص أبصرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر إنه لأول يوم كنان فيه بأبي حفص وقال صحيح على شرط من وفي الصحيحين أنه قال لعلى قم يابا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك أن أبا حسن وجد مضى في بطنه تخلف عليه يريد عليا ولأبي يعلى اللؤلؤ من حديث سعد ابن أبي وقاص فقال من هذا أبو إسحاق فقلت نعم وللحاكم من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له (٢) حديث كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به من حديث أنس قال كنان النبي صلى الله عليه وسلم يثقة كنت أختلها بيني أبا حمزة قال حديث غريب وه أن عمر قال لصيب بن مالك تسكني وليس لك ولد قال كنان رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي يحيى والطبراني من حديث أبي بكر تديت بكرة من الطائف فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم فأنت أبو بكر (٣) حديث كان يكنى النساء اللاتي هن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدىءنهن الكنى من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأم أيمن فوي إلى تلك الفخارة الحديث وه من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ كل أزواجك كنيته غيري قال فأنت أم عبد الله وخ من حديث أم خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يأم خالد هذا سنه وكانت صغيرة وفيه مولى للزير لم يسم ولأبي داود بإسناد صحيح أنها قالت يا رسول الله كل صواحي لمن كنى قال فاكنتي بابيك عبد الله بن الزبير (٤) حديث كان يكنى الصبيان في الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير يابا عمير ما فعل الصغير (٥) حديث كان أبعد الناس غضبا وأسرهم رضا هذا من المعلوم ويدل عليه إخباره صلى الله عليه وسلم أن بني آدم خيرهم بطى القضب سريع النوى - رواه ت من حديث أبي سعيد الخدري وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه وسلم خير بني آدم وسيدهم وكان ﷺ لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها رواه ت في التهايل من حديث هندن أبي هالة (٦) حديث كان أرفأ الناس بالناس وخير الناس للناس وأضع الناس للناس هذا من المعلوم وروينا في الجزء الأول من فوائد أبي الدحداح من حديث علي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس بالناس الحديث بطوله (٧) حديث لم تكن ترفع في مجلسه الأصوات في التهايل من حديث علي الطويل (٨) حديث كان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم ومحمدك الحديث أخرجه النسائي في اليوم واليلة ولك في الاستدراك من حديث رافع بن خديج وتقدم في الأذكار والدعوات (٩) حديث كان أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما أبو الحسن بن الضحاك في كتاب التهايل وابن الجوزي

أنا أفصح العرب ^(١) وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ^(٢) وكان نزر الكلام مع المقالة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه كخرزات نظم ^(٣) قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام كسردهم هذا كان كلامه نزا وأتم تنثرون الكلام ترا ^(٤) قالوا وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاء جبريل وسكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد ^(٥) وكان يتكلم بمجموع الكلام لافضول ولا تقصير كأنه يتبع بضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه وبه ^(٦) وكان جهير الصوت أحسن الناس نعمة ^(٧) وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ^(٨)

في الوفاء باسناد ضعيف من حديث بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ما هو حتى يجرم ^(١) حديث أنا أفصح العرب الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الحدرى أنا أعرب العرب وإسناده ضعيف و ك من حديث عمر قال قالت يار رسول الله ما لك أن أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا الحديث . وفي كتاب الرد والطر لابن أبي الدنيا حديث مرسل أن أعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ما رأيت أفصح منك ^(٢) حديث إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ك من حديث ابن عباس وصححه كلام أهل الجنة عربى ^(٣) حديث كان نزر الكلام مع المقالة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه خرزات النظم الطبراني من حديث أم معبد وكان منطق خرزات نظم يتحدرون حلو للنطق لا نزر ولا هنذر وقد تقدم وسبق من حديث عائشة بسنده كان إذا تكلم تكلم نزا وفي الصحيحين من حديث عائشة كان يحدثنا حديثا لوعده العاد لأحصاء ^(٤) حديث عائشة قالت لا يسرد كسردهم هذا كان كلامه نزا وأتم تنثرون ترا اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجملتان الأخيرتان فرواه الخلفى في فوائده باسناد منقطع ^(٥) حديث كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاء جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطنى من حديث ابن عباس باسناد جيد أعطيت جوامع الكلم واختصر لى الحديث اختصارا وشطره الأول متفق عليه كـ بـ يـ أنى قال خ بلقى في جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأميرين ونحو ذلك ولها كمن حديث عمر المتقدم كانت لغة إسماعيل قد درست لجاء بها جبريل لحفظتها ^(٦) حديث كان يتكلم بمجموع الكلام لافضول ولا تقصير كلام يتبع بضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه وبه ^(٧) في الثبائل من حديث هند بن أبى هالة وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة بثبت مجموع الكلم ولأبى داود من حديث جابر كان في كلام النبى صلى الله عليه وسلم تريل أو تريل وفيه شيء لم يسم وله ولترمذى من حديث عائشة كان كلام النبى صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه وقالت يحفظه من جلس إليه وقالت في اليوم والليلة يحفظه من سمعه وإسناده حسن ^(٨) حديث كان جهير الصوت أحسن الناس نعمة ت ن في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم في سفر بيننا نحن عنده إذ ناداه أعرابى بصوته جهورى يا محمد فأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو من صوته هاؤم الحديث . وقال أحمد في مسنده وأجابه نحو ما تكلم به الحديث وقد يؤخذ من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان جهورى الصوت ولم يكن رفه دائما وقد يقال لم يكن جهورى الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالأعرابى حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر والشيخين من حديث البراء ما سمعت أحدا أحسن صوتا منه ^(٩) حديث كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ت في الثبائل من حديث هند بن أبى هالة .

خفى إلى الأخلاق
الربانية فاحتشمت
من الحضرة الإلهية
أن تقول متخلقا
بأخلاق الله تعالى
فصبرت عن اللغى بقولها
كان خلقه القرآن
استحياء من سبحات
الجلال وسترا للحال
بلفظ اللقال وهذا
من وفور عليها وكال
أدبها وبين قوله تعالى
- ولقد آتيناك سبعا
من القرآن والقرآن
العظيم - وبين قوله
- وإنك لعلى خالق عظيم -
مناسبة مشعرة بقول
عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن .
قال الجليل رحمه الله

ولا يقول للسكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق (١) ويعرض عن تكلم بغير جيل (٢) ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره (٣) وكان إذا سكنت تكلم جالساؤه ولا يتنازع عنده (٤) في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة (٥) ويقول لا تضربوا القرآن بفضه يعض فانه أنزل على وجوه (٦) وكان أكثر الناس تبسا وضحاكى وجوه أصحابه وتعبجا مما تحدثوا به وغلطا لنفسه بهم (٧) ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه (٨) وكان ضحك أصحابه عنده التيسم اقتداء به وتوقيرا له (٩) قالوا ولقد جاءه أعرابي يوما وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لأدعه حتى يتيسم فقال يا رسول الله بلغنا أن المسيح يسمى الدجال يأتي الناس بالتريد وقد هلكوا جوعا أفترى لي بأبي أنت وأمي أن أكف عن تریده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب في تریده حتى إذا تضلعت شيئا أمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يفتيك الله بما ينفي به اللؤمين (١٠) قالوا وكان

(١) حديث لا يقول للسكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق د من حديث عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فتيق قريش وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يشكم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال اكتب فوالذي نفس يده ما يخرج منه إلا حق رواه ك وصححه (٢) حديث يعرض عن تكلم بغير جيل ت في الثمائل من حديث علي الطويل يغافل عما لا يشئ الحديث (٣) حديث يكنى عما اضطره الكلام مما يكره في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رافعة حتى تدوق عسلته ويدوق عسلتك رواه خ من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سألت عن الاغتسال من الحيض خذى فرصة ممسكة فتطيرى بها الحديث (٤) حديث كان إذا سكنت تكلم جالساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ت في الثمائل في حديث علي الطويل (٥) حديث يعظ بالجد والنصيحة م من حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وتلاصوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم الحديث (٦) حديث لا تضربوا القرآن بفضه يعض وأنه أنزل على وجوه الطيراني من حديث عبد الله بن عمرو باستاد حسن إن القرآن يصدق بفضه بعضا فلا تكذبوا بفضه يعض وفي رواية للهروري في ذم الكلام إن القرآن لم ينزل لتضربوا بفضه يعض وفي رواية له بهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بفضه يعض وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (٧) حديث كان أكثر الناس تبسا وضحاكى في وجوه أصحابه وتعبجا مما تحدثوا به وغلطا لنفسه بهم ت من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رأيي إلا بتيسم وت في الثمائل من حديث علي يضحك مما تضحكون منه ويتعجب مما تعجبون منه و م من حديث جابر بن سمرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتيسم (٨) حديث ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار وفي قصة الخير الذي قال إن الله يضع السموات على أصبع ومن حديث أبي هريرة في قصة الجامع في رمضان وغير ذلك (٩) حديث كان ضحك أصحابه عنده التيسم اقتداء به وتوقيرا له ت في الثمائل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل جل ضحكك التيسم (١٠) حديث جاءه أعرابي يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني والذي بعثه بالحق نبيا لأدعه حتى يتيسم فقال

كان خلقه عظيم لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطي رحمه الله لأنه جاد بالكرين عروضا عن الحق وقيل لأنه عليه السلام غامر الخلق بحقه وباينهم بقلبه وهذا ما قاله بعضهم في معنى التصوف: التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الأكوان في عينه بمشاهدة مكنونها وقيل سمى خلقه عظما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه . وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته إلى

من أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما لم يزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحطبة عظة (١) وكان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا فان وعظ وعظ مجد وإن غضب وليس يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها (٢) وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرا من الحلول والقوة واستنزل الهدى فيقول : اللهم أرني الحق حقاً فأبته وأرني للسكر منكراً وارتزقني اجتنابه وأعذني من أن يشته على فأبته هوأى بغير هدى منك واجعل هوأى تبعاً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (٣).

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد (٤) وكان أحب الطعام إليه ما كان على صنف (٥) والصف

ياسر رسول الله بلغنا أن السبع الدجال يأتي الناس بالتريد وقد هلكوا جوعاً الحديث وهو حديث منكراً لم أقبله على أصل ويرده قوله صلى الله عليه وسلم في حديث للتبريد بن شعبة التفتي عليه حين سأله أنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك وفي رواية سلم أنهم يقولون إن معه جبلاً من خبز ولحم الحديث نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود التفتي عليهما إن معه ماء ونارا الحديث (١) حديث كان من أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما لم يزل عليه القرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحطبة عظة تقدم حديث عبد الله بن الحارث ما رأيت أحداً أكثر تبساً منه ولطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر كان إذا نزل عليه الوحي قلت نذر قوم فإذا سري عنه فأكثر الناس ضحكاً الحديث ولأحمد من حديث علي أوزير كان يحط بذكر أيام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذر قوم يصيحبهم الأمر غدوة وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبس ضاحكاً حتى يرتفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحاكم من حديث جابر كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وهو عند مسلم باقظ كان إذا خطب (٢) حديث كان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا وإن وعظ وعظ مجد وإن غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها أبو الشيخ بن حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما تلاحك الجدر وجهه وإسناده ضعيف والراد به المرأة توضع في الشمس فيرى ضوءها على الجدار وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال وهو يريق وجهه من السرور وفيه وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه الحديث وم كان إذا خطب احمرت عيناه وعلامته واشتد غضبه الحديث وقد تقدم وت في الشرائع في حديث هذنب أني هالة لا تغضب الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينصرفه ولا يتغلب لفه ولا ينصرفها وقد تقدم (٣) حديث كان يقول اللهم أرني الحق حقاً فأبته وأرني للسكر منكراً وارتزقني اجتنابه وأعذني من أن يشته على فأبته هوأى بغير هدى منك واجعل هوأى تبعاً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم لم أقبله على أصل ، وروى السنن في الدعوات من حديث أبي هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطانا منها ما يرضيك عنا وم من حديث عائشة فيما كان يفتح به صلاته من الليل اهدني لما اختلف فيه إلى آخر الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

(٤) حديث كان يأكل ما وجد تقدم (٥) حديث كان أحب الطعام إليه ما كان على صنف

حسن الخلق في حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراسي قال أنا أبو العباس الهروي قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذي قال حدثنا أحمد بن الحسين ابن خراش قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثني عبد الله ابن سعيد عن محمد بن النكدر عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن

ما كثرت عليه الأبدى ، وكان إذا وضعت السائلة قال : باسم الله اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة (١) وكان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس الصلي إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (٢) وكان لا يأكل الحار ويقول : إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا ناراً فاردوه (٣) وكان يأكل مما يليه (٤) ويأكل بأصابعه الثلاث (٥) وربما استعان بالراية (٦) ولم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان (٧) وجاءه عثمان بن عفان رضى الله عنه بفالوج فآكل منه وقال ما هذا يا أبا عبد الله قال بأى أنت وأمى نجعل السمن والصل في البرمة ونضعها على النار ثم نعليه ثم

أى كثرت عليه الأبدى أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عدى في الكامل من حديث جابر بسند حسن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأبدى ولأبى يعلى من حديث أنس لم يجمع له غداً ومو شاء خبز ولم يلا على صنف وإسناده ضعيف (١) حديث كان إذا وضعت السائلة قال باسم الله اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة . أما التسمية فرواهان من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاماً يقول باسم الله الحديث وإسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده (٢) حديث كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وقدميه كما يفعل الصلي إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد . عبد الرزاق في الصنف من رواية أيوب مضطرب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل احتضر وقال آكل كما يأكل العبد الحديث وروى ابن الضحاك في التباين من حديث أنس بسند ضعيف كان إذا قعد على الطعام استوفى على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفضل كما يفعل العبد وروى أبو الشيخ في الأخلاق التي صلى الله عليه وسلم بسند حسن من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجثو على ركبتيه وكان لا يتكلم . أوردته في صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وللإزار من حديث ابن عمر إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ولأبى يعلى من حديث عائشة آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وسندها ضعيف (٣) حديث كان لا يأكل الحار ويقول إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا ناراً البيهقي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بطعام سخن فقال ما دخل بطبي طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولأحمد بإسناد جيد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث حولة بنت قيس وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها لفظ الطبراني والبيهقي وقال أحمد فأعرفت أصابعه فقال حسن والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذي بركة وله فيه وفي الصغير من حديث أبي بصرة ثور فرغ يده منها وقال إن الله لم يطعمنا ناراً وكلاماً ضعيف (٤) حديث كان يأكل مما يليه أبو الشيخ بن حبان من حديث عائشة وفي إسناده رجل لم يسم وصحاه في رواية له وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عيدين القاسم نسب سفيان الثوري وقال البيهقي فخره به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولأبى الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه (٥) حديث أكلة بأصابعه الثلاث م من حديث كعب بن مالك (٦) حديث استأتمته بالراية رويته في الفيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله المعمرى هالك وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بالحس (٧) حديث لم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان الدار قطنى في الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف لا تأكل بأصبع فانه أكل اللؤلؤ ولا تأكل بأصبعين فانه أكل الشياطين الحديث .

من أحبك إلى وأقربكم
من مجلس يوم القيامة
أحسن أخلاقاً وإن
أبغضكم إلى وأبغضكم
من مجلس يوم القيامة
الثرثرون للتشدقون
للتفيقون قالوا يا رسول
الله علنا الثرثارون
وللتشدقون فما
التفيقون ؟ قال
التكبرون والثرثار هو
للكفار من الحديث
والقشدق للتناول
على الناس في الكلام
قال الواسطي رحمه الله
الحلق العظيم أن
لا يخصم ولا يخصم
وقال أيضاً إنك لمل
خلق عظيم لو جدناك
حلاوة للطالمة على

ناخذ مع الحنطة إذا طحنت فتقليه على السمن والصل في البرمة ثم نسوطه حتى ينتج فيأتي كاتري
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا الطعام طيب ^(١) وكان يأكل خبز الشعير غير منخول ^(٢)
 وكان يأكل القثاء بالربط ^(٣) وبالملح ^(٤) وكان أحب القواكه الرطبة إليه البطيخ والنب ^(٥)
 وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر ^(٦) وربما أكله بالربط ^(٧) ويستعين باليدن جيما وأكل
 يوما الربط في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فررت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تاكل
 من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة ^(٨) وكان ربما أكل الصب

(١) حديث جاءه عثمان بن عفان بالغالوج الحديث قلت المعروف أن الذي صنعه عثمان الخبيص روله
 البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال إن أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان قدمت
 عليه غير تحمل النقي والصل، الحديث. وقال هذا منقطع وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث
 عبد الله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان وفيه فاذا دقيق ومن وعسل وفيه ثم قال
 لأصحابه كلوا هذا الذي تسميه فارس الخبيص وأما خير الغالوج فرواه إسناد ضعيف من حديث
 ابن عباس قال أول ما سمعنا بالغالوج أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أمتك تفتخ
 عليهم الأرض ويغاض عليهم من الدنيا حتى إنهم ليأكلون الغالوج قال النبي صلى الله عليه وسلم وما
 الغالوج قال يغلطون السمن والصل جميعا قال ابن الجوزي في الموضوعات هذا حديث باطل لأصله
 (٢) حديث كان يأكل خبز الشعير غير منخول البخاري من حديث سهل بن سعد (٣) حديث كان
 يأكل القثاء بالربط متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر (٤) حديث كان يأكل القثاء بالملح
 أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدى وفيه عباد
 ابن كثير متروك (٥) حديث كان أحب القواكه الرطبة إليه البطيخ والنب أبو نعيم في الطب النبوي
 من رواية أمية بن زيد العبسي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب من القواكه الصب والبطيخ
 وروى أبو الشيخ وابن عدى في الكامل والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس
 كان يأخذ الربط يمينه والبطيخ يساره وأكل الربط بالبطيخ وكان أحب القواكه إليه وفيه يوسف
 ابن عطية الصغار يجمع على ضعفه وروى ابن عدى من حديث عائشة كان أحب القواكه لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم الربط والبطيخ وله من حديث آخر لها فان خير القواكه الصب ولاهما ضعف
 (٦) حديث كان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر أما أكل البطيخ بالخبز فلم أره وإنما وجدت أكل
 الصب بالخبز فيما رواه ابن عدى من حديث عائشة مرفوعا عليكم بالمرامة قيل يا رسول الله وما المرامة
 قال أكل الخبز مع الصب فان خير القواكه الصب وخير الطعام الخبز وإسناده ضعيف وأما أكل البطيخ
 بالسكر فان أريد بالسكر نوع من التمر والربط مشهور فهو الحديث الآتي بصحة وإن أريد بالسكر
 الذي هو الطبرزد فلم أره أصلا إلا في حديث منكر معضل رواه أبو عمر التوفاني في كتاب البطيخ من
 رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل بطيخا بسكر وفيه موسى بن إبراهيم
 للروزي كذبه يحيى بن معين (٧) حديث أكل البطيخ بالربط ثن من حديث عائشة وحسنه وه
 من حديث سهل بن سعد كان يأكل الربط بالبطيخ وهو عند الهادري بلفظ البطيخ بالربط (٨) حديث
 استماتته باليدن جيما فأكل يوما الربط في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فررت شاة فأشار إليها
 بالنوى فجعلت تاكل من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة أما استماتته يديه
 جميعا فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال آخر ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى يديه
 رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه وبعض من هذه وتقدم حديث أنس في أكله يديه قبل

سرك وقال أيضا أنك
 قبلت فزون ما سديب
 إليك من نعمي أحسن
 مما قبله غيرك من
 الأنبياء والرسل. وقال
 الحسين لأنه لم يؤثر
 فيك جفاء الخلق مع
 مطالعة الحق وقيل
 الخلق العظيم لباس
 التقوى والتخلق
 بأخلاق الله تعالى إذ لم
 يبق للأعواض عنده
 خطر. وقال بعضهم
 قوله تعالى ولو تقول
 علينا بعض الأقاويل
 لأخذنا منه باليمين -
 آثم لأنه حيث قال أنك
 أحضره وإذا أحضره
 أغفله وجبه وقوله
 لأخذنا آثم لأن فيه
 فناء في قول هذا القائل

خرطاً يرى رؤاه على لحته تتركز الأولو (١) وكان أكثر طعامه الماء والتمر (٢) وكان يجمع اللبن بالتمر ويسمها الأطين (٣) وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمح وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم قمل (٤) وكان يأكل التريد باللحم والقرع (٥) وكان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس عليه السلام (٦) قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول «يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثروا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين» (٧) وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد (٨) وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاده ويقول في يأكله (٩) وكان إذا أكل اللحم لم يطأطأ رأسه إليه ورفضه إلى فيه رفضاً ثم ينتشه انتشاه (١٠) وكان يأكل الحبز والسمن (١١)

نظر فها قال إن كان

في ذلك فناء فني قوه

وإنك بقاء وهو بقاء

بعد فناء والبقاء أتم

من الفناء وهذا أليق

بمنصب الرسالة لأن

الفناء إنما عز لمزاحة

وجوده منوم فاذا نزع

الممنوم من الوجود

وتبدلت النعوت فأى

عزة تبقى في الفناء

فيكون حضوره بالله

لا ينقصه فأى حجة

تبقى هناك . وقيل

من أوى الخلق النظم

قد أوى أعظم المقامات

لأن المقامات ارتباطا

عاما والخلق ارتباطا

بالتعوت والصفات .

وقال الجنيدي اجتمع

هذا بثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة فرويها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس بإسناد ضعيف (١) حديث ربما أكل العنب خرطاً الحديث ابن عدي في الكامل من حديث العباس والفضيل في الصفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصراً وكلاهما ضعيف (٢) حديث كان أكثر طعامه الماء والتمر مخ من حديث عائشة توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء (٣) حديث كان يجمع اللبن بالتمر ويسمها الأطين أحمد بن حنبل من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يجمع لبن التمر وقال ادن فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم معها الأطين ورجاله تهاق ولها به لاضر (٤) حديث كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمح وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم قمل أبو الشيخ من رواية ابن سمان قال سمعت من علاننا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم الحديث وت في الشامل من حديث جابر أن أبا النبي صلى الله عليه وسلم في منزله قد ذبحنا له شاة فقال كأنهم علموا أنا نحب اللحم وإسناده صحيح و ه من حديث أبي الرداءة بإسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم (٥) حديث كان يأكل التريد باللحم والقرع م من حديث أنس (٦) حديث كان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس ن ه من حديث أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع وقال ن الدباء وهو عند م بلفظ تصبج وروي ابن مردويه في تصغيره من حديث أبي هريرة في قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء (٧) حديث يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثروا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين ورواه في فوائد أبي بكر الشافعي (٨) حديث كان يأكل لحم الطير الذي يصاد ت من حديث أنس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال اللهم اتقني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير فجاء على فأكل معه قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة ، وروى د واستغربه من حديث سفيانة قال أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم جباري (٩) حديث كان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتى به فيأكله قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه د ن من حديث ابن عباس وقال حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني قد كانت قبلي لله رسل كلهم يصطاد ويطلب الصيد فهو ضعيف جدا (١٠) حديث كان إذا أكل اللحم لم يطأطأ رأسه إليه ورفضه إلى فيه رفضاً ثم ينتشه د من حديث صفوان بن أمية قال كنت أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ اللحم من العظم فقال أدن اللحم من فيك فإنه أهني وأمرأ وت من حديث أبي شبيب اللحم نهشاً فإنه أهني وأمرأ وهو منقطع والذي قبله منقطع أيضاً وللشيخين من حديث أبي هريرة فتناول الدراع فنهش منها نهشة الحديث (١١) حديث كان يأكل الحبز والسمن متفق عيه من حديث أنس في قصة طويلة فيها فأتى بذلك الحبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقت وعصرت أم سلمة عكة فأدتمت الحديث وفيه ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ه فصنت فيها شيئاً من سمن ولا يصح و د ه من

وكان يحب من انشاء الدراع والكشف ، ومن القدر الدباء ومن الصياغ الخل ومن التمر المجوة (١) ودعا في المجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والبهر (٢) وكان يحب من يقول الهندباء والباذرودج والبقلة الحفاء التي يقال لها الرحلة (٣) وكان يكره الكليتين لمكانتهما من البول (٤) وكان لا يأكل من الشاة سبعا : الذكر والأثنين والثلاثة والاراة والقعد والحيا والهم ، ويكره ذلك (٥) وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات (٦) وماذم طعاما قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره (٧) وكان يماض الضب والطحال ولا يحرمهما (٨)

حديث ابن عمر وددت أن عندى خبزة يضاء من برّ حمراء مليقة بدمن الحديث قال دمنسك .
(١) حديث كان يحب من الشاة الدراع والكشف ومن القدر الدباء ومن الصياغ الخل ومن التمر المجوة وروى الشيخان من حديث أبي هريرة قال وضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قصعة من تريدولم فتناول الدراع وكانت أحب الشاة إليه الحديث . وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنف وتقدم حديث أنس كان يحب الدباء قبل هذا بستة أحاديث ولأبي الشيخ من حديث أنس كان أحب الطعام إليه الدباء وله من حديث ابن عباس باسناد ضعيف كان أحب الصياغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخل وله باسناد للذكر كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المجوة (٢) حديث دعا في المجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر البزار والطيبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد سدوس فأهدتنا له تمرا وفيه حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الحديث قال بركة الله في الجذامي وفي حقيقة خرج هذا منها الحديث قال أبو موسى للدينار فيل هو تمر أحمر وثبت من حديث أبي هريرة المجوة من الجنة وهي شفاء من السم وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من أصبح سبع تمرات من مجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر (٣) حديث كان يحب من يقول الهندباء والباذرودج والبقلة الحفاء التي يقال لها الرحلة أبو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فانه ما يوم إلا ويقطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة وأما الباذرودج فلم أجد فيه حديثا وأما الرحلة فروى أبو نعيم من رواية ثور قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالرجلة وفي رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله ﷺ بركة الله فيك أنبت حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناه الصداع وهذا مرسل ضعيف (٤) حديث كان يكره الكليتين لمكانتهما من البول ورواه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشيخ من حديث ابن عباس باسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي المدوني أحد الكذابين (٥) حديث كان لا يأكل من الشاة : الذكر والأثنين والثلاثة والاراة والقعد والحيا والهم ، ابن عدي ومن طريقه البيهقي من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ورواه البيهقي من رواية مجاهد مرسل (٦) حديث كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات مالك في اللوطا عن الزهري عن سلمان بن يسار مرسل ووصله الدارقطني في غرائب مالك عن الزهري عن أنس وفي الصحيحين من حديث جابر أتى بقدر فيه خضرات من بول فوجد لها ريحا الحديث وفيه قال فأتى أناسي من لاناخي ومسلم من حديث أبي أيوب في قصة بثينة إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال إنني أكرهه من أجل ريحه (٧) حديث مدم طعاما قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره تقدم أول الحديث وفي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقال كلوا فانه ليس يحرم ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قوي (٨) حديث كان يماض الضب والطحال ولا يحرمهما

فيه أربعة أعشاب :
السحاء والألفة
والصبغة والشفقة .
وقال ابن عطاء : الخلق
الطيبون أن لا يكون له
اختيار ويكون تحت
الحكم مع فناء النفس
وفناء للألوفات . وقال
أبو سعيد القرشي :
الطيب هو الله ومن
أخلاقه الجود والكرم
والصفح والشفو
والإحسان لا ترى إلى
قوله عليه السلام « إن
الله مائة وضعة عشر
خلقنا من آتى بواحد
منها دخل الجنة » فلا
تخلق بأخلاق الله
تعالى وجد الشاة عليه
يقوله - وإنك لم

وكان يلقى بأصابه الصحة ويقول آخر الطعام أكثر بركة ^(١) وكان يلقى بأصابه من الطعام حتى تحمر ^(٢) وكان لا يجمع يده بالتدليل حتى يلقى بأصابه واحدة ويقول إنه لا يدري في أي الطعام البركة ^(٣) وإذا فرغ قال الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت وأسقيت فأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه ^(٤) وكان إذا أكل الحبز واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه ^(٥) وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات ^(٦) وكان يمسح الماء مصا ولا يصب عبا ^(٧) وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه ^(٨) كان كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه السنة أن تعطى فإن أجبت آثرتهم ^(٩) وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ ^(١٠) وكان لا يتنفس في الإناء بل ينحرف عنه ^(١١) وآتى بإناء فيه

أما الضب في الصحيحين عن ابن عباس لم يكن بأرض قومي فأجذني أعافه ولهما من حديث ابن عمر أحلت لنا ميتتان ودمان وفيه أما العمدان فالكبد والطحال واليسقي موقوف على زيد بن ثابت إنى لا كل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلى أنه لا بأس به ^(١) حديث كان يلقى بالصحة ويقول آخر الطعام أكثر بركة البيهقي في شعب الإيمان من حديث جاري حديث قال فيه ولا ترفع الصحة ويقول تلمعها أو تلمعها فإن آخر الطعام فيه البركة وم من حديث أنس أمرنا أن نسلت الصحة وقال إن أحدكم لا يدري أى طعامه يبارك له فيه ^(٢) حديث كان يلقى بأصابه من الطعام حتى تحمر م من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى تحمر فلم أتقف له على أصل ^(٣) حديث كان لا يجمع يده بالتدليل حتى يلقى بأصابه واحدة ويقول إنه لا يدري في أى بأصابه البركة م من حديث كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يجمع يده حتى يلمعها وله من حديث جابر إذا فرغ يلقى بأصابه فانه لا يدري في أى طعامه تكون البركة والبيهقي في الشعب من حديثه لا يجمع أحدكم يده بالتدليل حتى يلقى يده فإن الرجل لا يدري في أى طعامه يبارك له فيه ^(٤) حديث وإذا فرغ قال اللهم لك الحمد أطعمت وأسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه الطبراني من حديث الحرث بن الحارث بسند ضعيف والبخاري من حديث أنى أمانة كان إذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذى كفانا وآوانا غير مكفى ولا مكفور وقال مرة الحمد لله ربنا غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا ^(٥) حديث كان إذا أكل الحبز واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه أبو يعلى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيئًا لم يغسل يده من ريح وضرة لا يؤذى من حذاه ^(٦) حديث كان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات الطبراني في الأوسط من حديث أنى هريرة ورجاله قاتوا وم من حديث أنس كان إذا شرب تنفس ثلاثا ^(٧) حديث كان يمسح الماء مصا ولا يصبه عبا البغوي والطبراني وابن عدى وابن قانع وابن مندو وأبو نعيم في الصحابة من حديث يهزكان يستاك عرضا وشرب مصا وللطبراني من حديث أم سلمة كان لا ييب ولأن الشيخ من حديث مجونة لا ييب ولا يلبث وكلها ضمنية ^(٨) حديث كان يدفع فضل سؤره إلى من عن يمينه متفق عليه من حديث أنس ^(٩) حديث استئذنه من على يمينه إذا كان على يساره أجل رتبة متفق عليه من حديث سهل بن مسدد ^(١٠) حديث شربه بنفس واحد أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف وللحاكم من حديث أنى قناعة وصحة إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تأويل هذين الحديثين على ترك التنفس في الإناء والله أعلم ^(١١) حديث كان لا يتنفس في الإناء حتى ينحرف عنه ك من حديث أنى هريرة ولا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم ليتنفس

خلق عظيم - وقيل عظم خلقك لأنك لم ترض بالأخلاق وسرت ولم تسكن إلى التعمت حتى وصلت إلى اللذات . وقيل لما ثبت محمد عليه الصلاة والسلام إلى الحجاز حجرة بها عن اللذات والشهوات وآتاه في الصبر والجفوة ففاضنا بذلك عن دنس الأخلاق قال له - وإنك للى خلق عظيم . - وأخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة ابن الحافظ أن الفضل محمد بن طاهر القدسي عن أبيه قال أنا أبو عمر الليثي قال أنا أبو محمد

عسل ولبن فأني أن يشربه وقال شريتان في شربة وإدامان في إناء واحد (١) ثم قال صلى الله عليه وسلم « لا أحرمه ولكني أكره الفخر والحساب بفضل الدنيا غدا وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفاه الله » وكان في بيته أهد حياء من العائق لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموه أكل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب (٢) وكان ربما قام فأخذ مايا كل بنفسه أو يشرب (٣) .

(بيان آدابه وأخلاقه في اللباس)

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك (٤) وكان يعبه الثياب الخضر (٥) وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحباكم وكفوتوا فيها موتاكم

وقال حديث صحيح الاسناد (١) حديث أني إنياء فيه عسل وماء فأني أن يشربه وقال شريتان في شربة وإدامان في إناء واحد الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شريتان في شربة إلى آخره وسنده ضعيف (٢) حديث كان في بيته أهد حياء من العائق لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب الشيخان من حديث أبي سعيد كان أخذ حياء من العذراء في خدرها الحديث وقد خدم وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فإنه أراد أي طعام يمينه من حديث عائشة أنه قال ذات يوم يا عائشة هل عندكم شيء ؟ قالت قلت ما عندنا شيء الحديث وفيه فلما رجع قلت أهديت لنا هدية قال ما هو قلت حبيس قال هاتيه وفي رواية قربه وفي رواية للنسائي أصبح عندكم شيء تطعميني ولأني داود هل عندكم طعام وت أعذك غداء وفي الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأني بخبز وأدم من أدم البيت فقال ألم أرمي على النار فيها لحم الحديث وفي رواية لمسلم لو صنعتنا من هذا اللحم الحديث فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والرضا والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم . وللشيخين من حديث أبي الفضل أنها أرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه ولأني داود من حديث أم هانئ ع جاءت الوليدة إنياء فيه شراب فتناوله فشرب منه وإسناده حسن (٣) حديث وكان ربما قام فأخذ مايا كل أو يشرب بنفسه من حديث أم النضر بنت قيس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ومعه على - وعلى ناقة - ولنا دوال معلقة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها الحديث وإسناده حسن ولترمذي وصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة قائما الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في اللباس)

(٤) حديث كان يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك الشيخان من حديث عائشة أنها أخرجت إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه اللبدة فتالت في هذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية إزارا غليظا ولها من حديث أنس كنت أمتشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجراي غليظ الحاشية الحديث لفظ مسلم وقال بخ رد نجراي وه بسند ضعيف من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصيرا يدين والطول يودن وحسنه ون من حديث أم سلمة كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص ولأني داود من حديث أسماء بنت زيد كانت يد قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ وفيه شبر من حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا الحديث الجبة والشملة والخبرة (٥) حديث كان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحباكم وكفوتوا فيها موتاكم هك من حديث ابن عباس خيرنا بك البياض فألبسوها أحباكم وكفوتوا فيها موتاكم قال ك صحيح الاسناد وله أصحاب السنن من حديث مرة عليكم بهذه الثياب البياض فلبسوها

عبد الله بن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال ثنا جعفر بن الحجاج الرقي قال أنا أيوب بن محمد الوزان قال حدثني الوليد قال حدثني ثابت عن يزيد عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول « مكالم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا يكون في ابنه وتكون في الإبن ولا تكون في أيسه وتكون في البدولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن

وكان يلبس القباء المشو للحرب وغير الحرب ^(١) وكان له قباء سندس قبابسه تحسن خضرته على يياض لونه ^(٢) وكانت ثيابه كلها مشعرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق ^(٣) وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها ^(٤) وكانت له ملحفة مصبوعة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها ^(٥) وربما لبس الكساء وحده ماعليه غيره ^(٦) وكان له كساء ملبد بلباسه ويقول إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد ^(٧)

أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال ت حسن صحيح ^(١) حديث كان يلبس القباء المشو للحرب وغير المشو الشيخان من حديث السور بن مخرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقيّة من دياج مزرر بالذهب الحديث وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقها قال فرج وعليه قباء من دياج مزرر بالذهب الحديث وم من حديث جابر لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوما قباء من دياج أهدى له ثم نزع الحديث ^(٢) حديث كان له قباء سندس فيلبسه الحديث أحمد من حديث أنس أن أ كيدر دومة أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس أو دياج قبل أن ينهي عن الحرير فيلبسها والحديث في الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقاله في وكان ينهي عن الحرير وعند ت وصححه ن أنه لبسها ولكنه قال بجبة دياج منسوجة فيها الذهب ^(٣) حديث كان ثيابه كلها مشعرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبدالله بن بسر كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاره فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف و ك وصححه من حديث ابن عباس كان يلبس قميصا فوق الكعبين الحديث وهو عنده باقظ قميصا قصير اليدين والطول وعندها و في الثماليين من رواية الأشعث قال سمعت عمتي تحدث عن عمها فذكر النبي صلى الله عليه وسلم وفيه قباء إزاره إلى نصف ساقه ورواه ن وصححه في الحديث عبيد بن خالد واسم عمه الأشعث وهم بيت الأسود لا يعرفون ^(٤) حديث كان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها و في الثماليين من رواية معاوية بن قرة بن ياس عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ في رهط من مزينة وابنه وإن قميصه لمطلق الأزرار وللبقي من رواية زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر يصلي بحلولة أزراره فسأله عن ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل وفي العلل للترمذي أنه سأل عن هذا الحديث فقال أنا أتق هذا الشيخ كان حديثه موضوع يعني زهير بن محمد رواه عن زيد بن أسلم قلت تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة في صحيحه للطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي محتجبا بحلل الأزرار ^(٥) حديث كان له ملحفة مصبوعة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها و ت من حديث قيلة بنت مخرمة قلت رأيت النبي ﷺ وعليه أعمال ملايتين كانتا بزعفران قالت لا نعرفه إلا من عبدالله بن حسان قلت ورواه موقوفون و د من حديث قيس بن سعد فأغفل ثم ناوه أبي سعد ملحفة مصبوعة بزعفران أو ورس فأشتمل بها الحديث ورجاله ثقات ^(٦) حديث ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره و ابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في عبيد الأشهل وعليه كساء متلف به الحديث وفي رواية البزار في كساء ^(٧) حديث كان له كساء ملبد بلباسه ويقول أنا عبد ألبس كما يلبس العبد الشيخان من رواية أبي بردة قال أخرجت إلينا عائشة كساء ملبدًا وإزارا غليظا فقالت في هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبخاري من حديث عمر إنما أنا عبد ولبيد الرزاق في المصنف من رواية أيوب السخيتي مرفوعا معضلا إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلا.

أراد به السعادة : صدق الحديث وصدق اليأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جاعان وإعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتقدم للصاحب وإقراء الضيف ورأسهن الحياء . وشل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال « تقوى الله وحسن الخلق » وشل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال : التّم والفرح يكون هذا التّم غم فوات المخطوط العاجلة لأن ذلك

وكان له ثوبان لجمته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة (١) وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره وبعد طرفه بين كفيه (٢) وربما أمّ به الناس على الجنائز (٣) وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتحما به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ (٤) وكان ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدى بعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك (٥) ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأني أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته مارأيت شيئا قط كان أحسن من يابضك على سواده (٦) وقال أنس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيه (٧) وكان يتختم (٨) وربما خرج في خاتمه الحيط للربوط يتذكر به الشيء (٩)

(١) حديث كان له ثوبان لجمته خاصة الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فاذا انصرف طويها إلى مثله ورد حديث عائشة عند ابن ماجه مارأيته يسب أحدا ولا يطوي له ثوب (٢) حديث ربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره فقد طرفه بين كفيه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله فاذا إزاره وليس عليه غيره ولبخاري من رواية محمد بن النكدر صلى بنا جابر في إزار قد عنده من قبل قطع وثيابه موضوعة على الشجر وفي رواية له وهو يصلي في ثوب ملتصقا به ورداؤه موضوع وفيه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي هكذا (٣) حديث ربما أمّ به الناس على الجنائز لم أقف عليه (٤) حديث ربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد فقلت بأيّ حبيبة أياصلي النبي صلى الله عليه وسلم في الثوب الواحد قالت نعم وهو الذي كان فيه ما كان تعني الجمع ورواه الطبراني في الأوسط (٥) حديث ربما كان يصلي بالليل ويرتدى بعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في ثوب بعضه علىّ ولمسلم كان يصلي من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلىّ مرط بعضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة يصليان في ثوب واحد نصفه على النبي صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة وسنده ضعيف (٦) حديث كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأني أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الحديث لم أقف عليه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل أسود ولأبي داود ونسنت للنبي صلى الله عليه وسلم ردة سوداء من صوف فلبسها الحديث وزاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت يابض النبي صلى الله عليه وسلم وسوداها ورواه ذلك بالنظر جبة وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث أنس ربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها الإزار وأبو يعلى يلفظ صلى ثوب واحد وقد خالف بين طرفيه وللبراز خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا ثوب قطن فضلي بالناس وإسناده صحيح وهو من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها وفي كامل ابن عدي قد عقد عليها هكذا وأشار صفيان إلى قفاه وفي جزء النظر يرفق فمقداه في عنقه ماعليه غيرها وإسناده ضعيف (٨) حديث كان يتختم الشيخان من حديث ابن عمر وأنس (٩) حديث ربما خرج وفي خاتمه حيط مربوط يتذكر به الشيء عد من حديث وثالة بسند ضعيف كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه حيطا وزاد الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليذكر به وسنده ضعيف .

يتضمن التسخط والتضجر وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح للشار إليه الفرح بالحلول العاجلة المنوع منه بقوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - وهو الفرح الذي قال الله تعالى - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين - لما رأى مقامه تنوء بالعصبة أولي القوة فأما الفرح بالانقسام الأخروية فمحمود ينافس فيه قال الله تعالى - قل

وكان يغمم به على الكتب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة ^(١) وكان يلبس القلانس تحت العمام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى إليها ^(٢) وربما لم تكن العمامة فيشد الصابة على رأسه وعلى جبهته ^(٣) وكانت له عمامة تسمى السحاب فوجهها من على فرعا طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على السحاب ^(٤) وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل يمانته ^(٥) ويقول الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأجمل به في الناس ^(٦) وإذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره ^(٧) وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلماً من حمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما أواره حيالاً وميتاً ^(٨)

(١) حديث كان يغمم به على الكتب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة التهمة الشيطان من حديث أنس لما أراد الصلى على الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قالوا إنهم لا يقرءون إلا كتاباً عنتموا فاتخذ خاتماً من فضة الحديث و ن ت في التمام من حديث ابن عمر أخذ خاتماً من فضة كان يغمم به ولا يلبسه وسنده صحيح وأما قوله الحاتم على الكتاب خير من التهمة فلم أقف له على أصل (٢) حديث كان يلبس القلانس تحت العمام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى إليها الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة يضاء ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة قلانس: قلنسوة يضاء مضربة وقلنسوة بردجيرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر فرعا وضعا بين يديه إذا صلى وإسناده ضعيف ولأبي داود و ن ت من حديث ركانة فرق ما بينا وبين للتركين العمام على القلانس قالت ت غريب وليس إسناده بالقائم (٣) حديث ربما لم تكن العمامة فيشد الصابة على رأسه وعلى جبهته من حديث ابن عباس صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم للبر وقد عصب رأسه بصابة وسماء الحديث (٤) حديث كانت له عمامة تسمى السحاب فوجهها من على فرعا طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على السحاب ابن عدى وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جداً ولا ينعم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث (٥) حديث كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل يمانته من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف في رفعه (٦) حديث الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأجمل به في الناس ت وقال غريب و ه ل وصحه من حديث عمر بن الخطاب (٧) حديث كان إذا نزع ثوبه خرج من مياسره أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالأيسر وله من حديث أنس كان إذا ارتدى أوترجل أو اتحلل بدأ يمينه وإذا خلع بدأ يساره وسندها ضعيف وهو في الائتمال في الصحيحين من حديث أبي هريرة من قوله لا من فعله [١] حديث كان له ثوب لجمعة خاصة الحديث تقدم قريبا لفظ توين (٨) حديث كان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلماً الحديث ل في الاستدرك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ثيابه فلبسها فلما بلغ ثراقيه قال الحمد لله الذي كساني ما أجمل به في حياتي وأوارى به عورتي ثم قال ما من مسلم يلبس ثوبا جديدا الحديث دون ذكر تصدقه صلى الله عليه وسلم ثيابه وهو عند ه د و ن ذكر لبس النبي صلى الله عليه وسلم ثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقي وهو غير قوي .

[١] قول العراقي: حديث كان له ثوب الخ ليس هذا الحديث بنسختنا فلهذه نسخة العراقي .

فصل الله وبرحته
فذلك فليفرحوا -
وقر عبد الله بن
للبارك حسن الخلق
فقال هو بسط الوجه
وبذل للعروف وكف
الأذى فالصوفية قراضوا
نفسهم بالكاديات
والجاهدات حتى أجابت
إلى تحسين الأخلاق
وكم من نفس تحجب
إلى الأعمال ولا تحجب
إلى الأخلاق فنفس
العباد أجابت إلى
الأعمال وججت
عن الأخلاق ونفوس
الزهاد أجابت إلى
بعض الأخلاق دون
المن والنفوس
الصوفية أجابت إلى

وكان له فراش من آدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشعر أو نحوه^(١) وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل ثني طاقين تحته^(٢) وكان ينام على الحسبر ليس تحته شيء غيره^(٣) وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذوالفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكانت قبضة سيفه حملاء بالفضة^(٤) وكان يلبس للنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة^(٥) وكان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور^(٦) وكان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها الضياء واسم بقلته الدابل

(١) حديث كان له فراش من آدم حشو ليف الحديث متفق عليه من حديث عائشة مقتصر: على هذا دون ذكر عرضه وطوله ولأبي الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما يوضع الإنسان في قبره وفيه من لم يسم (٢) حديث كانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تفرش طاقين تحته ابن سعد في الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم عباءة مثنى الحديث ولأبي سعيد عنها أنها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة باثني الحديث وكلاهما لا يصح وت في التماثل من حديث خصه وسئل ما كان فراشه قالت مسح ثنيه ثنتين فنام عليه الحديث وهو منقطع (٣) حديث كان ينام على الحسبر ليس تحته شيء غيره متفق عليه من حديث عمر في قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نساءه (٤) حديث كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذوالفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكان قبضة سيفه حملاء بالفضة الطبراني من حديث ابن عباس كان لرسول الله ﷺ سيف فاخذه من فضة وقيته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجملع وكانت له درع موشعة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حرب تسمى النجمة وكانت له مجن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس آدم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بقله شبيهة يقال لها الدابل وكانت له ناقته تسمى القصواء وكان له حمير يسمى يفور وكان له بساط يسمى الكر وكانت له عزة تسمى الغر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى الرآة وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قصب شوخط يسمى للمشوق وفيه على بن غررة الدمشقي نسب إلى وضع الحديث ورواه ابن عدى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلًا وله من حديث على بن أبي طالب كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار ت ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنقل سيفه ذا الفقار يوم بدر و ك من حديث على في أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف ولابن سعد في الطبقات من رواية مروان بن أبي سعيد بن الحلي مرسلًا قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قطي وسيف يمدني بتارا وسيف يدعى الحنف وكان عنده بعد ذلك الخنم ورسوب وأصاهما من القلس وفي عنده الواقدي وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه يقال إنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال أحدهما الضبب شهبه بدرًا ولأبي داود وت وقال حسن ون وقال منكر من حديث أنس كانت قبضة سيفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة (ه) حديث كان يلبس للنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة لم أقف له على أصل ولا ابن سعد في الطبقات وأبي الشيخ من رواية محمد بن على بن الحسين مرسلًا كان في درع النبي صلى الله عليه وسلم حلقتان من فضة (٦) حديث كان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور لم أجده

الأخلاق الكريمة كلها
أخبرنا الشيخ أبو زرعة
إجازة عن أبي بكر
ابن خلف إجازة عن
السلي قال سمعت
حسين بن أحمد بن
جعفر يقول سمعت
أبا بكر الكناني يقول
التصوف خلق لمن
زاد عليك بالخلق زاد
عليك بالتصوف فالعباد
أجابت قوسهم إلى
الأعمال لأنهم يسلكون
بنور الاسلام والزهاد
أجابت قوسهم إلى بعض
الأخلاق لكونهم
سلوكوا بنور الإيمان
والصوفية أهل القرب
سلوكوا بنور الايمان
قلنا ياتر يولمن أهل

وكان اسم حمارة يغفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة (١) وكان له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويشرب منها (٢) فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يذوقون عنه فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويتنقون بذلك البركة .

(بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة)

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٣) وأرغبهم في العفو مع القدرة حتى أتى بقلائد من ذهب وقصة قسمها بين أصحابه قام رجل من أهل البادية قال « يا محمد وإلهي أن تعذلني فأمر الله تعذل قال وعكك فمن يعدل عليك يبدى فلما ولي قال ردوه على ربودا (٤) » روى جابر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال قال له رجل يا رسول الله اعدل قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعكك فمن يعدل إذا لم اعدل قد خبت إذن وخسرت إن كنت لا اعدل قام عمر فقال ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي (٥) » وكان رسول الله ﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجهاد رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يملك مني قال الله قال فسقط السيف من يده فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال من يملك مني قال كن خير أخذ قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قال لا غير أني لأقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك على سيئه فجهاد أصحابه فقال جشك من عند خير الناس (٦) وروى أنس « أن يهودية أمت التي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة لبأ كل منها قبضى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك قالت أردت قتلك فقال

له أصلا وقد تقدم في حديث ابن عباس أنه كانت له قوس تسمى السداو وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قسي : قوس اسمها الروحاء وقوس شوحت تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء من سبع (١) حديث كان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها العضباء واسم بئله الدليل واسم حمارة يغفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة تقدم بضمه من حديث ابن عباس عند الطبراني والبخاري من حديث أنس كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقه يقال لها العضباء ولمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القصواء وك من حديث علي : ناقته القصواء وبئله الدليل وحمارة غفر الحديث وروياته في فوائد ابن الدحداح قال حمارة يغفور وفيه شاته بركة وخ من حديث معاذ كنت ردفت النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له غفر ولان سعد في الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله بن ولده عتيق بن غزوان كانت منافع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سبعة : محجورة وزمزم وسقيا وبركة ورشة واهلال وأطراف وفي سنده الواقدي وله من رواية مكحول مرسلات كانت له شاة تسمى قمر (٢) حديث كانت له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويشرب منها الحديث لم أقف له على أصل .

(بيان عفوه مع القدرة)

(٣) حديث كان أحلم الناس تقدم (٤) حديث أتى بقلائد من ذهب وقصة قسمها بين أصحابه الحديث أبو الشيخ من حديث ابن عمر باسناد جيد (٥) حديث جابر أنه كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال قال له رجل يا نبي الله اعدل الحديث رواه (٦) حديث كان في حرب فرؤى في المسلمين غرة فجهاد رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف الحديث متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو في مسند أحمد أقرب إلى لفظ الصنف وصحى الرجل غورث بن الحارث .

القرب والصوفية نور
التيقن وتأسل في
بواطهم ذلك انصلح
القلب بكل أرجائه
وجوانبه لأن القلب
يبيض بضمه بنور
الاسلام وبضه بنور
الايمن وكله بنور
الاحسان والايقان فاذا
ايض القلب وتور
انكسر نوره على
النفس والقلب وجه
إلى النفس ووجه إلى
الروح والنفس وجه
إلى القلب ووجه إلى
الطبع والفرزة والقلب
إذ لم يبيض كله لم
يتوجه إلى الروح بكلمه
ويكون ذا وجهين
وجه إلى الروح ووجه

ما كان الله ليعطيك على ذلك قالوا أفلا شغلنا فقال لا (١) وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحلّ الصد فوجد ذلك خفة وما ذكرك اليهودى ولا أظهره عليه قط (٢) وقال على رضى الله عنه «بشئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا واليرى وللقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خلع فإن بها طعنة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خلع قلنا أخرجى الكتاب قالت مامى من كتاب قلنا لتخرجين الكتاب أو لتزعنى الثياب فأخرجته من غصاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حطب بن أبي بلعة إلى أناس من الشركين بكه يحرم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تنجل على إلى كنت أمرا ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بكه يحمون أهلهم فأجبت إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن أخذت فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفل ذلك كفر ولا رغبة بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه صدق قال عمر رضى الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم إنه شهيد بدار وما يدريك لعل الله عز وجل قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم (٣) وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة قال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال: «رحم الله أخى موسى قد أودى بأكثر من هذا صدق» (٤) وكان صلى الله عليه وسلم يقول «لا يلىنى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا أعلم الصد» (٥).

(بيان إغشائه صلى الله عليه وسلم عما كان بكره)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يرف في وجهه غضبه ورضاه (٦) وكان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية السكرية (٧) وكان لا يشافه أحدا بما بكرهه دخل عليه رجل وعليه صفة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لوقلتم لهذا أن يدع هذه (٨) يعني الصفرة ، وبال أعرابي في السجد بعرضته فهم به الصعبة فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسومة الحديث رواه وهو عنده من حديث أبي هريرة (٢) حديث زيد بن أرقم وقصة سحره في الصحابين من حديث عائشة بلفظ الحديث ن باسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خلع الحديث متفق عليه (٣) حديث قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث لا يلىنى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا أعلم الصد حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه .

(بيان إغشائه صلى الله عليه وسلم عما بكره)

(٦) حديث كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يرف في وجهه غضبه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرف رضاه وغضبه بوجهه الحديث وقد تقدم .

(٧) حديث كان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية السكرية الحديث وقد تقدم أبو الشيخ من حديث عائشة باسناد حسن (٨) حديث كان لا يشافه أحدا بما بكرهه دخل عليه رجل وعليه صفة فكرهها فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لوقلتم لهذا أن يدع هذه يعني الصفرة د ت في التماثل و ن في اليوم والليلة من حديث أنس وإسناده ضعيف .

إلى النفس فاذا ابيض
كله توجه إلى الروح
بكله فيندارك مدد
الروح وزداد إشراقا
وتوورا وكلما انجد
القلب إلى الروح
انجدت النفس إلى
القلب وكلما انجدت
توجهت إلى القلب
بوجهها الذي يليه
وتوور النفس لتوجهها
إلى القلب بوجهها
الذي يلي القلب وعلامة
توورها طمأنينة قال
الله تعالى - يا أيها

«لا ترموه» أى لا تضطعوا عليه البول ثم قال له «إن هذه للساجد لاتصلح لى» من القدر والبول والحلاء (١) وفى رواية قريبا ولا تنفروا «وجاءه أعرابى يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له «أحسن إليك قال الأعرابى لا ولا أحملت قال فغضب للسؤل وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابى وزاده شيئا ثم قال أحسن إليك قال نعم بخراة الله من أهل وعشيرة خيرا قال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ماقلت وفى نفس أصابى شئ» من ذلك فإن أحببت قل بين أيديهم ماقلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الند أوالمشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابى قال ماقال فزدناه فزعم أنه رضى كذلك فقال الأعرابى نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزدوها إلا فقورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بينى وبين نائقى فأتى أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قدام الأرض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال تقتلتموه دخل النار (٢)

(بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يملك شيئا (٣) وكان على رضى الله عنه إذا وصف الي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بدهية هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله (٤) وما سئل عن شئ قط على الاسلام إلا أعطاه (٥) وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنا سدت ما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ومما مثل شيئا قط فقال لا (٦) وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعهما على حصير ثم قام إليها قسمها لما رد سائلا حتى فرغ منها (٧) وجاءه رجل فسأله

(١) حديث بال أعرابى في السجد يحضرته فقال صلى الله عليه وسلم لا ترموه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث جاء أعرابى يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أحسن إليك فقال الأعرابى لا ولا أحملت الحديث بطوله البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أجود الناس وأسخم في شهر رمضان كالريح المرسلة الشيخان من حديث أنس كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس ولها من حديث ابن عباس كان أجود الناس والخبر وكان أجود ما يكون في شهر رمضان وفيه فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخبر من الريح المرسلة (٤) حديث كان على إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا الحديث رواه ت وقال ليس إسناده متصل (٥) حديث ما سئل شيئا قط على الاسلام إلا أعطاه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث ما سئل شيئا قط فقال لا متفق عليه من حديث جابر (٧) حديث حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعهما على حصير ثم قال إليها قسمها لما رد سائلا حتى فرغ منها أبو الحسن ابن الضحاك في التماثل من حديث الحسن مرسلا أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين فماتوا ألقا لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله يومئذ أحد إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكنا فقال له العباس الحديث وللبخاري تعليقا من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لما كان يرى أحدا إلا أعطاه

النفس للطمعة ارجى
إلى ربك راضية
مرضية وتور وجهها
الذى إلى القلب بتابة
نورانية أحد وجهى
الصدق لا كسباب
التورانية من اللؤلؤ
وبقاء شئ من الظلة
على النفس لنسبة
وجهها الذى إلى
الفرزة والطبع كبقاء
ظاهر الصدق على
ضرب من السكندر
والنقصان غشاها
لورانية باطنه وإذا

فقال ما عندى شيء ولكن اتبع على فاذا جاءنا شيء قضينا قال عمر يا رسول الله ما كفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل أتفق ولا تخش من ذى العرش إقلا فقبس النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه ^(١) ولما قتل من حين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة غطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطوني رداي لو كانى عده هذه الضاء نهما لقسمتها بينكم ثم لا تجدون غيلا ولا كذابا ولا جيانا ^(٢)

(بيان شجاعة صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم ^(٣) قال على رضى الله عنه لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوح بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا ^(٤) وقال أيضا كنا إذا احمر البأس ولقي القوم انحنينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ^(٥) قيل وكان صلى الله عليه وسلم قليل السلام قليل الحديث فاذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشد الناس بأسا ^(٦) وكان الشجاع هو الذى يقرب منه في الحرب لقربه من العدو ^(٧) وقال عمر ابن الخطاب حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كنية إلا كان أول من يضرب ^(٨) وقالوا كان قوى البطش ^(٩) ولما غشي للشركون نزل عن بقلته فيصل يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فما روى يومئذ أحد كان أشد منه ^(١٠)

إذ جاءه البأس الحديث ووصله عمر بن محمد البحرى في صحيحه ^(١) حديث جاءه رجل فسأله فقال ما عندى شيء ولكن اتبع على فاذا جاءنا شيء قضينا قال عمر يا رسول الله ما كفك الله الحديث ت في الشجائل من حديث عمر وفيه موسى بن علقمة القروى لم يروه غير ابنه هرون ^(٢) حديث لما قتل من حين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة غطفت رداءه الحديث خ من حديث جبير بن مطعم .

(بيان شجاعة صلى الله عليه وسلم)

^(٣) حديث كان أنجد الناس وأشجعهم الدارمى من حديث ابن عمر بسند صحيح ما رأيت أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أرمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللشيخين من حديث أنس كان أشجع الناس وأحسن الناس الحديث ^(٤) حديث على لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوح بالنبي صلى الله عليه وسلم الحديث أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بساند جيد ^(٥) حديث على أيضا كنا إذا حمى البأس ولقي القوم انحنينا برسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بساند صحيح وسلم نحوه من حديث البراء ^(٦) حديث كان قليل السلام قليل الحديث فاذا أمر بالقتال تشمر الحديث أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالى مرسل ^(٧) حديث كان الشجاع هو الذى يقرب منه في الحرب الحديث م من حديث البراء والله إذا حمى الوطيس تنق به وإن الشجاع من الذى يحاذى به ^(٨) حديث عمر ابن الخطاب حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كنية إلا كان أول من يضرب أبو الشيخ أيضا وفيه من لم أعرفه ^(٩) حديث كان قوى البطش أبو الشيخ أيضا من رواية أبي جعفر مضعلا ولطبرانى في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع وسنده ضيف ^(١٠) حديث لما غشي للشركون نزل فيصل يقول : أنا النبي لا كذب الحديث متفق عليه من حديث البراء دون قوله لما روى أحد يومئذ أشد منه وهذه الزيادة لأبي الشيخ وله من حديث على في قصة بدر وكان من أشد الناس يومئذ بأسا

تور أحد وجهي
النفس لجأت إلى تحسين
الأخلاق وتبديل
النموت وذلك متى
الأبدال أبدالاً والسر
الأكبر في ذلك أن قلب
الصوف بدوام الإقبال
على الله ودوام التذكر
بالقلب والسان يرتقى
إلى ذكر الذات ويصير
حيث يشاء بجناة العرش
فالعرش قلب الكائنات
في عالم الخلق والحكمة
والقلب عرش في عالم
الأمر والقدرة . قال

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا في علو منصبه (١) قال ابن عامر رأيته يرى الجرة على ناقة شبيهة لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك (٢) وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف (٣) وكان يهود للريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك (٤) ويخفف النمل ويرقع الثوب وكان يصنع في يتيمع أهله في حاجتهم (٥) وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك (٦) وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وأتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيئته فقال له هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (٨) وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي القريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه القريب فنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه (٩) وقالت له عائشة رضي الله عنها كل جعلني الله فداء متسكنا فانه أهون عليك قال فأصنى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهة الأرض ثم قال بل أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (١٠) وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى (١١) وكان لا يدعو أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال ليك (١٢) وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رقابهم وتواضعا لم (١٣) وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا في علو منصبه أبو الحسن بن الضحاك في التباين من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل في صفته قال فيه متواضع في غير مذلة وإسناده ضعيف (٢) حديث قال ابن عامر رأيته يرى الجرة على ناقة شبيهة لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ت ن ه من حديث قدمه ابن عبد الله بن عمار قال ت حسن صحيح وفي كتاب أبي الشيخ قدمه ابن عبد الله بن عامر كذا كره للنصف (٣) حديث كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف متفق عليه من حديث أسامة بن زيد (٤) حديث كان يهود للريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ت وضعه ولا وصح إسناده من حديث أنس وتقدم منقطعا (٥) حديث كان يخفف النمل ويرقع الثوب ويصنع في يته مع أهله في حاجته هو في السند من حديث عائشة وقد تقدم في أوائل آداب العيشة (٦) حديث كان أصحابه لا يقومون له لما يملكون من كراهته لذلك هو عدت من حديث أنس وصححه وتقدم في آداب الصحبة (٧) حديث كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم متفق عليه من حديث أنس وتقدم في آداب الصحبة (٨) حديث أتى برجل فأرعد من هيئته فقال هون الله عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ت من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي القريب فلا يدرى أيهم هو الحديث د ن من حديث أبي هريرة وأبي ذر وقد تقدم (١٠) حديث قالت عائشة كل جعلني الله فداء متسكنا فانه أهون عليك الحديث أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمر عنها بسند ضعيف (١١) حديث كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق الله غ من حديث أنس وتقدم في آداب الأكل (١٢) حديث وكان لا يدعو أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال ليك أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان منهم بالكذب وللطبراني في الكبير بإسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث أن أمة قالت يا رسول الله فقال ليك وسعديك الحديث (١٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى

سئل بن عبد الله
القتري القلب كالعش
والصدر كالكرسي
وقد ورد عن الله تعالى
« لا يسئ أرضي ولا
سمائي ويسئ قلب
عبدي للؤمن » فلما
اكتحل القلب بنور
ذكر القلوب وصار
بحرا مواجا من نبات
القرب جرى في جداول
أخلاق النفس صفاء
النموت والصفات
وتحقق التخلق بأخلاق
الله تعالى . حكى عن

أحيانا وبذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيبسم هو إذا ضحكوا ولا يجرم إلا عن حرام (١) .

(بيان صورته وخلقه صلى الله عليه وسلم)

كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب إلى الربة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن يمشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اكتشفه الرجلان الطويلان فيطولهما فافراقا نسباً إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربة ويقول صلى الله عليه وسلم « جل الخير كله في الربة (٢) » وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان ، ونعت عمه أبو طالب قال :

وأبيض يستقي التمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (٣)

ونعت بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا إنما كان للشرب منه بلحمة مظهر للشمس والريح كالوجه والربة والأزهر الصافي عن الحمرة مانت الثياب منه وكان عرقه يطلع في وجهه كاللؤلؤ أطيب من السكك الأذفر وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنة ليس باليسط ولا الجسد القططوكان إذا مضطه بالشط يأتي كأنه حيك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه وربما جعله غداث أربعة تخرج كل أذن من بين غدريتين وربما جعل شعره على أذنيه قبدو سواه تلالاً وكان شيء في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة مازاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس

أمر الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم الحديث ت في التناهل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب وفيه سليمان بن خازنة تغرد عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن جبان في الثقات (١) حديث كانوا يتشاهدون الشعر بين يديه أحيانا وبذكرون أشياء من أمر الجاهلية الحديث م من حديث جابر بن مرة دون قوله ولا يجرم إلا عن حرام .

(بيان صورته صلى الله عليه وسلم)

(٢) حديث كان من صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد الحديث بطوله أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة زيادة وقصان دون شعر أبي طالب الآتي ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه قبدو سواه تلالاً ودون قوله وربما كان واسع الجبهة إلى قوله وكان سهل الحديث وفيه مسيب بن عبد الله الفراء منكر الحديث قاله الخطيب في الصحيحين من حديث البراء له شعر يبلغ شحمة أذنيه و د ت وحسنه و ه من حديث أم هانئ قم إلى مكذوله أربع غداث وت من حديث علي في صفته صلى الله عليه وسلم أدعيه العين أهدب الأشعار الحديث وقال ليس إسناده متصل وله في التناهل من حديث ابن أبي هالة أزهر اللون واسع الجبين أنزع الحواجب سوايغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب ألقى العينين له نور يعلوه بحبه من لم تأمله أثم كث اللاحية سهل الحديث ضليح القم مفلح الأسنان الحديث (٣) حديث نعت عمه أبو طالب قال :

وأبيض يستقي التمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ذكره ابن إسحاق في السيرة وفي للسند عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر رضي الله عنه قال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه علي بن زيد بن جعدان مختلف فيه وخ تملينا من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستقي فما ينزل حتى يحش كل ميزاب فأنشده وقد وصله بإسناد صحيح

الشيخ أبي علي
القارمزي أنه حكى
عن شيخه أبي القاسم
البركاني أنه قال إن
الأسماء التسمية
والقسمين تصير أوصافاً
للهيئ السالك وهو بعد
في السلوك غير واصل
ويكون الشيخ عن
بهذا أن العبد يأخذ
من كل اسم وصفاً يلائم
ضعف حال البشر
وقصوره مثل أن يأخذ
من اسم الله تعالى
الرحم معنى من الرحمة

وجها وأنورهم لم يصفه واصف إلا شبهه بالقريرة البدر وكان يرى رضاه وغبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفى للخير يدعو كسوء البدر زايه الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة أنزع الحاجبين ما بينهما وكان أبلغ ما بين الحاجبين كأن ما بينهما القضة المخلصة وكانت عيناه بجلالين أدهمهما فكان في عينيه تخرج من حمرة وكان أهدب الأشفار حتى تتكاد تلتبس من كثرتها وكان أنف العرين : أي مستوى الأنف وكان مفلج الأسنان : أي متفرقا وكان إذا اقترب صاحبا أقر عن مثل سنا البرق إذا تلاقا وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم ، وكان سهل الخدين صنيهما ليس بالطويل الوجه ولا للككم كك العمية وكان يفي لحية ويأخذ من شاربها وكان أحسن عباد الله عتقا لا ينسب إلى الطول وإلى الإلتصاف ما ظهر من عتقه الشمس والرياح فكانت إبريق غضة مثرب بها يتلأل في بياض القضة وفي حمرة الذهب ، وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يبدو لحم بين يديه أيضا كالمرآة في استوائها وكانت تمر في يافته جوارحه ما بين لينة وسرته بشر متقاد كالضبيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن تتحرك يفتل الأزار منها واحدة ويظهر اثنتان ، وكان عظم للتكبين أشعرهما ضمخ الكراديس : أي رموس الظلام من التكبين والرققين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كفيه خاتم التوبة وهو مما يلي مشكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من حرف فرس وكان على الصددين والذراعين طول الزند من رجب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه ضبان القضة كفه الأيمن من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسحا بطيب أول يمسها يخاله للصانع فيظل يومه يجد ربحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بربحها على رأسه وكان على مامحت الأزار من الصددين والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان له مناسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن . وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي كأنما يتقلع من صخر ويحدر من صلب يخطو تكفيا ويمشي الموهين بغير تيمتر والموهين يتقارب الخطا وكان عليه الصلاة والسلام يقول « أنا أشبه الناس بآم صلى الله عليه وسلم وكان أبي إبراهيم صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بي خلقا وخلقاً » وكان يقول « إن لي عند ربى عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الناصر الذي يحواله في الكفر وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد وأنا الحاشر عشر الله العباد على قدمي وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول اللامح واللقى قيت الناس جميعا وأنا قم (١) قال أبو البختري : والقسم الكامل الجامع ، والله أعلم .

(١) حديث إن لي عند ربى عشرة أسماء الحديث ابن عدى من حديث على وجار وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف وله ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل لي عند ربى عشرة أسماء قال أبو الطفيل حفظت منها ثمانية فذكرها زيادة ونقص وذكر سيف بن وهب أن أبا جعفر قال إن الأسمين طه ويس وإسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جابر بن مطعم لي أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا الناصر وأنا العاقب ولمسلم من حديث أبي موسى واللقى وبني التوبة وبني الرحمة ولأحمد من حديث حذيفة وبني اللامح وسنده صحيح .

على قدر قصور البشر
وكل إشارات الشايع
في الأسماء والصفات
التي هي أمز علومهم
على هذا الفن والقصير
وكل من توم بذلك عيشا
من المحلول ترنق
والحمد وقد أوصى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم معاذا
بوصية جامعة للحسن
الأخلاقي قتاله وإيمانه
أوصيك بتقوى الله
وصديق الحديث والوفاء
بالعهد وأداء الأمانة

(بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه)

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى صماخ أخباره للشمعة على أخلاقه وأفضاله وأحواله وعادته وسجاياه وسياسة لأصناف الخلق وهديته إلى مضيق الأسلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق وعما حسن طاعته مع ما يحكى من هجالب أجوبته في مضايق الأسلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق وعما حسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذى يميز الفقهاء والفقهاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوى وقوة الهسية وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت محامته وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى إن العربى القمع كان يراه فيقول : والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائه فتكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف عمارن الأخلاق ولتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمى لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب عالم ولم يزل بين أظهر الجبال من الأعراب يتبنا ضعفاً مستضعفاً فمن أين حصل له عمارن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالغ الفقه مثلاً فقط دون غيره من العلوم فضلاً عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن أين قوة البشر الاستقلال بذلك فلم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية وتقدر من آياته ومعجزاته ما لا يترتب فيه محصل ، فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى مجاميعها من غير تطويل عكاشة التفصيل فقد خرق الله العادة لي بدمع مرة ، إذ شق له القمر بمكة لما سأله قريش آية (١) وأطمع النفر الكثير في منزل جابر (٢) وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق (٣) ومرة أطمع ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق (٤) وهو من أولاد المزفر فوق التود ومرة أكثر من ثمانين رجلاً من أقرص شعير حملها أنس في يده (٥) ومرة أهل الجيش من عمر يسير ساقه بنت بشير في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم (٦) ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل المسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤوا من قدح صغير ضاق عن أن ييسط عليه السلام يده فيه (٧)

(بيان معجزاته)

- (١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس (٢) حديث إطعام النفر الكثير في منزل جابر متفق عليه من حديثه (٣) حديث إطعامه النفر الكثير في منزل أبي طلحة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث إطعامه ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق الإسماعيلي في صحيحه ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة وهو عند خ دون ذكر العدد وفي رواية أبي نعيم في دلائل النبوة وهم ألف (٥) حديث إطعامه أكثر من ثمانين رجلاً من أقرص شعير حملها أنس في يده م من حديث أنس وفيه حتى قبل ذلك ثمانين رجلاً ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤراً وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل حتى أكل منه ضبع وثمانون رجلاً وهو متفق عليه بلفظ والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً (٦) حديث إطعامه أهل الجيش من عمر يسير ساقه بنت بشير في يدها الحديث البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق : حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعد وإسناده جيد (٧) حديث نبع الماء من بين أصابعه فشرب أهل المسكر وهم عطاش وتوضؤوا الحديث متفق عليه

وترك الحيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل وزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجرع من الحساب وخفض الجناح وإيالك أن تسب حليماً أو تكذب صادقاً أو تطمع آسماً أو تمسى إماماً عادلاً أو تفسد أرضاً أوصيبك بانقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر

وأهراق عليه السلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ، ومرة أخرى في بئر الحديبية نجاشا بالماء ف ضرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألو ف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسة مائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء ^(١) وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربع مائة راكب من تمر كان في أجناعه كربة البعير وهو موضع يروكه فزودهم كلهم منه وبقى منه فحبسه ^(٢) ورعى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - ^(٣) وأبطل الله تعالى الكهانة بمبعثه ﷺ فصدمت وكانت ظاهرة موجودة ^(٤) وحن الجفجع الذي كان يخطب إليه لما عمل له التبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الابل فضعه إليه فسكن ^(٥) ودعا اليهود إلى نفي اللوث وأخبرهم بأنهم لا يتصورونه فجعل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه ^(٦) وهذا مذکور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الاسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهرا تغلها الآية التي فيها وأخبر عليه السلام باليوب وألذ عثان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة ^(٧) وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية ^(٨) وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمين ^(٩)

من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط ولأني نعم من حديثه خرج إلى قبا فأتى من بعض يومهم بقبح صبر وفيه ثم قال لهم إلى الشرب قال أنس بصري نبيع الماء من بين أصحابه ولم ير الدخ حتى رووا منه وإسناده جيد وللبزار واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس كان في سفر فتكا أصحابه العطش فقال اتوني بماء فأتوه بأناء فيه ماء فوضع يده في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه الحديث ^(١) حديث إهراقه وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر الحديبية نجاشا بالماء الحديث م من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية وفيه فاما دعا ولما بسق فيها فجاشا الحديث وللبخاري من حديث البراء أنه توسأ وصبه فيها وفي الحديثين معا أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند خ من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر ، وقال البيهقي إنه الأصح ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسة مائة وسلم من حديث ابن أبي أوفى ألف وثلثمائة ^(٢) حديث أمر عمر أن يزود أربع مائة راكب من تمر كان كربة البعير الحديث أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد بإسناد بن صحيحين وأصل حديث دكين عند أبي داود مختصرا من غير بيان لعدددهم ^(٣) حديث رميه الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم الحديث م من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس ^(٤) حديث إبطل الكهانة بمبعثه الخرافة من حديث مرداس بن قيس الدوسي قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند محرجه الحديث ولأني نعم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن الدمع فيأقونه على أوليائهم فلما بحث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالجوم وأصله عند خ بغير هذا السياق ^(٥) حديث حنين الجفجع م من حديث جابر وسهل بن سعد ^(٦) حديث دعا اليهود إلى نفي اللوث وأخبرهم بأنهم لا يتصورونه الحديث م من حديث ابن عباس لو أن اليهود تنو اللوث لما اتوا الحديث وللبهقي في الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منك إلا غص ريقه فمست مكانه فأبوا أن يفعلوا الحديث وإسناده ضعيف ^(٧) حديث إخباره بأن عثان تصيبه بلوى بعدها الجنة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري ^(٨) حديث إخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية م من حديث أبي قتادة وأم سلمة وخ من حديث أبي سعيد ^(٩) حديث إخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمين م من حديث أبي بكرة .

وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار^(١) فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء الهية لا تعرف ألبتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بجزر سكن بأعلام الله تعالى له وحيه إليه ، وأتبعه سراق بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وأندره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى^(٢) فكان كذلك وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلته قتلته وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتلته^(٣) وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه^(٤) وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له^(٥) وقال لنذر من أصحابه مجتمعين أحدهم في النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتم منهم واحد قاتل مرتدا^(٦) وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات^(٧) ودعا شجرتين فأنتاه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا وكان عليه السلام نحو الربة فإذا مشى مع الطوال طالم^(٨) ودعا عليه السلام الناصري إلى المباهلة فامتنعوا ففرهم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فملوا صخرة فامتنعوا^(٩) وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب واتفقا على قتله عليه السلام فحبل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلكا عامر بضربة وهلك أربد بضربة أخرى^(١٠) وأخبر عليه السلام

الترمذي رحمه الله قال أنا أبو سكرية قال حدثنا قيس بن الليث عن مطرف عن عطاء عن أم البرداء عن أبي البرداء قال سمعت النبي عليه السلام يقول « ما من شيء يوضع في اللوزان أهل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق يبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة » وقد كان من

(١) حديث إخباره عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد (٢) حديث اتباع سراق بن مالك له في قصة الهجرة فساخت قدما فرسه في الأرض الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق (٣) حديث إخباره بمقتل الأسود العنسي ليلته قتلته وهو بصنعاء اليمن ومن قتلته وهو مذكور في السير والذي قتله فيروز الدليلى وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهني شأنهما فأوحى إلي في المنام أناهنهما فنفضتهما فطارا فتأولتهما كذا بين يخرجان بهدي فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء الحديث (٤) حديث خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن إسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسل (٥) حديث شكا إليه البعير وتذلل له من حديث عبد الله بن جعفر في أثناء حديث وفيه أنه شكا إلى ابنك نجمة وتدببه وأول الحديث عديم دون ذكر قصة البعير (٦) حديث قال لنذر من أصحابه أحدهم ضرسه في النار مثل أحد الحديث ذكره الدارقطني في المؤلفات والخلاف من حديث أبي هريرة بغير إسناد في ترجمة جلال ابن عفره وهو الذي رتبوه وهو ما يروى ذكره عبد الله بن النعمان وسبقه إلى ذلك الواقدي والمدايني والأول صحيح وأكثر كما ذكره الدارقطني وابن ماكولا ورواه الطبراني من حديث رافع بن خديج بلفظ أحد هؤلاء النفر في الزوافة لوقادى عن عبد الله بن نوح مروي (٧) حديث قال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث ابن مخضرة وفي رواية البيهقي أن آخرهم موتا ضرسه بن جندب لم يذكر أنه احترق ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة نحوه . وإسنادهما وقائلا ابن عبد البر إنه منقطع في قدر مخلوعة ماء حاراً فمات وروى ذلك بإسناد متصل إلا أن فيه داود بن المحبر وقد ضعفه الجمهور (٨) حديث دعا شجرتين فأنتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا أحمد بن حنبل من حديث علي بن مرة بسند صحيح (٩) حديث دعا الناصري إلى المباهلة وأخبر إن فعلوا ذلك هلكوا فامتنعوا وخ من حديث ابن عباس في أثناء حديث ولو خرج الدين يباهلون رسول الله ﷺ رجعا لا يجدون مالا ولا أهلا (١٠) حديث أتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب واتفقا على قتله

أنه يقتل أي بن خلف الجحى غدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه ^(١) وأطعم عليه السلام
والسلام السم فبات الذي أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين وكله الذراع
المسوم ^(٢) وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم وجلا رجلا فلم
يتمد واحد منهم ذلك الموضع ^(٣) وأندر عليه السلام بأن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك ^(٤)
وزويت له الأرض فأرى مشارقتها ومغارها وأخبر بأن ملك أمته سيلعل مازوى له منها فكان كذلك
قد بلغ ملكهم من أول للشرق من بلاد الترك إلى آخر للغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر
ولم تسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما أخبر صلى الله عليه وسلم سواء بدواء ^(٥) وأخبر فاطمة ابنته رضى
الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به ^(٦) فكان كذلك وأخبر نساءه بأن أطولهن يدا أسرعن لحاقا به
فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن يدا بالصدقة وأولهن لحوقا به رضى الله عنها ^(٧) ومسح
ضرع شاة لالبن لها فدرت ^(٨) وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه وفعل ذلك
مرة أخرى في خيمة أم عبد الحزاعية وندرت عين بعض أصحابها فستقطت فردها عليه السلام يده
فكانت أصح عينيه وأحسنها ^(٩) وتفل في عين على رضى الله عنه وهو أرمد يوم خير فصح من
وقته وبثته بالراية ^(١٠) وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم ^(١١) وأصابت
رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها يده فبرأت من حينها ^(١٢) وقل زاد جيش كان معه
عليه السلام فمما يجمع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق ماء

لحبل بينهما وبين ذلك الحديث طب في الأوسط والأكبر من حديث ابن عباس بطوله بسندين
(١) حديث إخباره أنه يقتل أي بن خلف الجحى غدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته البهقي
في دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسل (٢) حديث إنه أطعم السم فبات
الذي أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين وكله الذراع المسوم د من حديث جابر في رواية له
رسالة التي مات بسر بن البراء وفي الصحيحين من حديث أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله
عليه وسلم بشاة مسومة فأكل منها الحديث وفيه لما زلت أعرفها في لحوات رسول الله صلى الله عليه
وسلم (٣) حديث إخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع صناديد قريش الحديث م من حديث
عمر بن الخطاب (٤) حديث إخباره بأن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك متفق عليه
من حديث أم حرام (٥) حديث زويت له الأرض مشارقتها ومغارها وأخبر بأن ملك أمته سيلعل
مازوى له منها الحديث م من حديث عائشة وفاطمة أيضا (٦) حديث إخباره فاطمة أنها أول أهله
لحاقا به متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا (٧) حديث أخبر نساءه أن أطولهن يدا أسرعن
لحاقا به فكانت زينب الحديث م من حديث عائشة وفي الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحوقا به
قال ابن الجوزي وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك (٨) حديث مسح ضرع شاة لالبن لها
فدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود أحمد من حديث ابن مسعود بإسناد جيد (٩) حديث ندرت
عين بعض أصحابه فستقطت فردها فكانت أصح عينيه وأحسنها أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة
من حديث قتادة بن النعمان وهو الذي سقطت عينه في رواية للبيهقي أنه كان يدر وفي رواية أبي نعيم
أنه كان أحد وفي إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقي في معجم حديث أبي سعيد الخدري (١٠) حديث
تفل في عين على وهو أرمد يوم خير فصح من وقته وبثته بالراية متفق عليه من حديث على ومن
حديث سهل بن سعد أيضا (١١) حديث كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه م من حديث ابن
مسعود (١٢) حديث أصابت رجل بعض أصحابه فمسحها يده فبرأت من حينها م في قصة قتلى رافع .

أخلاق رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه كان
أسخى الناس لا يبيت
عنده دينار ولا درهم
وإن فضل ولم يجد من
يطعمه ، وآتيه الليل
لا يأوى إلى منزله حتى
يرأ منه ولا ينال من
الدنيا وأكثر قوت
عامه من أيسر ما يجد
من الثمر والشعير ويضع
ماعداء ذلك في سبيل الله
لا يستل شيئا إلا يعطى

في المعسكر إلا ملي من ذلك^(١) وحكى الحكم بن العاص بن وائل [١] مشيته عليه السلام مستبزين بأقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكان فلم يزل يرتضى حتى مات^(٢) وخطب عليه السلام امرأة قتاله أبوها إن بها برسا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلنكن كذلك^(٣) فبرصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وإنما اقتصرنا على التفتيش ومن يسترب في انخراق العادة على يده ويؤمن أن أحاد هذه الواقعة لم تنقل تواريخ التواتر هو القرآن قط كن يسترب في شجاعة على رضى الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ومعلوم أن أحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم لا يتماهى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لى معجزة باقية سواء عليه السلام إذ مهدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لبناء الخلق ونصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ معلومة بألاف منهم والفاضة صنعتهم وبها منافستهم ومباجاتهم وكان ينادى بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله إن شكوا فيه وقال لهم - قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا - وقال ذلك تعجبا لهم فجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذرياتهم لى وما استطاعوا أن يمارضوا ولا أن يقدحوا في جزائهم بحسنه ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد اقترض اليوم قريب من خمسين ألف نسخة فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم بضاوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في إيمان ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع صفته ويتمه يتماهى بعد ذلك في صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقته واتبعه في كل ما ورد وصدر فسنأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال عنه وسعة جوده . ثم كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه ، ويتلوه كتاب شرح معاني القلب من ربيع المملكات إن شاء الله تعالى .

(١) حديث قل زاد جيش كان معه فدعا بما بقي فاجتمع شيء يسير فدعا فيه بالبركة الحديث متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع (٢) حديث حكى الحكم بن العاص مشيته مستبزين به فقال فكذلك كن الحديث البيهقي في الدلائل من حديث هناد بن خديج صحيحه بإسناد جيد وللحاكم في المستدرک من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الإسناد . [٢] حديث يد طلحة لما أزال ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حين مسح يده ن من حديث جابر لما كان يوم أحد وفيه فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس وليس فيه أنه مسحها ولبخاري من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء وفي بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد (٣) حديث خطب امرأة قتال أبوها إن بها برسا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال فلنكن كذلك فبرصت المرأة ذكرها ابن الجوزي في التوقيح ومحامها جرة بنت الحرث ابن عوف اللزني وتبعه على ذلك الدمايطي في جزء له في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح ذلك .

[١] قوله الحكم بن العاص بن وائل هكذا في النسخ وصوابه كما في الشارح الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس [٢] قول العراقي حديث يد طلحة الخ لم يكن بدخنا ولا بنسخة الشارح وأثبتناه تبعاً للأصل فليحظر .

[قدتم جون الله وحسن توفيقه طبع : الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين

وبله : الجزء الثالث إن شاء الله تعالى . وأوله كتاب شرح معاني القلب]

فهرس الجزء الثانى

من كتاب إحياء علوم الدين لطبة الإسلام الإمام الغزالى

صفحة

صفحة

٦٢ ﴿كتاب آداب الكسب والمعيش﴾

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات

٦٣ (الباب الأول فى فضل الكسب والحث عليه)

٦٦ (الباب الثانى فى علم الكسب بطريق البيع الخ

وبيان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات

التي هي مدار الكسب فى الشرع)

(المقدّم الأول البيع)

٧٠ (المقدّم الثانى عقد الربا

٧١ (المقدّم الثالث السلم

٧٢ (المقدّم الرابع الإجارة

٧٣ (المقدّم الخامس القراض

(المقدّم السادس الشراكة

٧٤ (الباب الثالث فى بيان العدل واجتناب الظلم

فى العامة)

القسم الأول فيها يتم ضرره وهو أنواع

٧٦ القسم الثانى ما يخص ضرره للعامل

٨٠ (الباب الرابع فى الإحسان فى العامة)

٨٤ (الباب الخامس فى شفقة التاجر على دينه

فيما يخص وديم آخرته)

٨٩ ﴿كتاب الحلال والحرام﴾

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات

(الباب الأول فى فضيلة الحلال ومذمة

الحرام وبيان أصناف الحلال ودرجاته

وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه)

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

٩٣ أصناف الحلال ومداخله

القسم الأول الحرام لصفة فى عينه الخ

٩٤ القسم الثانى ما يحرم لخلل فى جهات إثبات

اليد عليه

٢ ﴿كتاب آداب الأكل﴾

وهو الأول من ربيع العادات

٣ (الباب الأول فيها لا بد لتفرد منه وهو ثلاثة

أقسام: قسم قبل الأكل، وقسم مع الأكل،

وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول فى آداب الأكل التى تقدم على

الأكل وهي سبعة

٥ القسم الثانى فى آداب حالة الأكل

٦ القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام

٧ (الباب الثانى فيها يزيد بسبب الاجتماع

وللمشاركة فى الأكل وهي سبعة)

٨ (الباب الثالث فى آداب تقديم الطعام إلى

الإخوان الزرين)

١٢ (الباب الرابع فى آداب الضيافة)

١٩ فصل يجمع آداباً ومنها طيبة وشرعية منفردة

٢١ ﴿كتاب آداب النكاح﴾

وهو الكتاب الثانى من ربيع العادات

٢٢ (الباب الأول فى الترغيب فى النكاح

والترغيب عنه)

الترغيب فى النكاح

٢٤ ما جاء فى الترهيب عن النكاح

٢٥ آفات النكاح وفوائده

٣٧ (الباب الثانى فيها راعى حالة المتقدمين أحوال

الرأى وشروط العقد)

٤٣ (الباب الثالث فى آداب للمعاشرة وما يجرى

فى دوام النكاح والنظر فيها على الزوج

وفيا على الزوجة)

٥٨ القسم الثانى من هذا الباب النظر فى

خوق الزوج عليها

صفحة	صفحة
١٥٥ (الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)	٩٥ درجات الحلال والحرام
١٥٩ بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا	٩٦ أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا
١٦٤ بيان البغض في الله	٩٩ (الباب الثانى في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام)
١٦٦ بيان مراتب الذين يغضون في الله وكيفية معاملتهم	١٠٠ للثار الأول الشك في السبب المحال والمهرم
١٦٨ بيان الصفات المشروطة فيمن غنار محبتة	١٠٣ للثار الثانى الشبهة شك منشؤه الاختلاط
١٧٠ (الباب الثانى في حقوق الأخوة والصحبة)	١١٠ للثار الثالث قضية أن يتصل بالسبب المحلل محبة
١٧١ الحق الأول في المال	١١٥ للثار الرابع الاختلاف في الأدلة
١٧٢ الحق الثانى في الاعانة بالنفس الخ	١١٨ (الباب الثالث في البحث والسؤال والمجوم والإجمال ومطائنها)
١٧٤ الحق الثالث في اللسان بالسكوت الخ	الثار الأول أحوال المالك
١٧٨ الحق الرابع طى اللسان بالنطق	١٢١ للثار الثانى ما يستند الشك فيه إلى سبب المال لا في حال المالك
١٨١ الحق الخامس العفو عن الزلات والمفوات	١٢٧ (الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية وفيه نظران)
١٨٣ الحق السادس الدعاء للأخ في حياته الخ	النظر الأول في كيفية التميز والخراج
١٨٤ الحق السابع الوفاء والاخلاص	١٢٩ النظر الثانى في المصرف
١٨٦ الحق الثامن التخفيف وترك التكلف الخ	١٣٣ (الباب الخامس في إدرات السلاطين
١٨٩ (خاتمة) لهذا الباب نذكر فيها جملة الخ	وصلاهم وما يعمل منها وما يحرم وفيه نظران)
١٩٠ (الباب الثالث في حق السلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الأسباب)	١٣٤ النظر الأول في جهات الدخل لاساطان
١٩١ حقوق للسلم	١٣٨ النظر الثانى من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفة الآخذ
٢١١ حقوق الجوار	١٤٠ (الباب السادس فيما يعمل من مخالطة السلاطين الظلة ومحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم)
٢١٥ حقوق الأقارب والرحم	١٥١ (الباب السابع في مسائل متفرقة بكثر ميسر الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى)
٢١٦ حقوق الوالدين والولد	
٢١٩ حقوق المملوك	
٢٢١ (كتاب آداب العزلة)	١٥٤ (كتاب آداب الألفة والأخوة)
وهو الكتاب السادس من ربيع العادات وفيه بابان	والصحبوا المعاشرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثانى وفيه ثلاثة أبواب
٢٢٢ (الباب الأول في نقل للذهب والأقارب وذكر حجج الفريقين في ذلك)	
٢٢٣ ذكر حجج المائتين إلى مخالطة وجهه منمها	
٢٢٤ ذكر حجج المائتين إلى تفضيل العزلة	

صفحة	صفحة
٢٦٦ (كتاب آداب السماع والوجد)	٢٢٦ (الباب الثانى فى فوائد المزملة وغوايتها وكشف الحق فى فضلها)
وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات وفيه بابان : الباب الأول فى ذكر اختلاف العلماء فى إباحة السماع وكشف الحق فيه .	٢٢٨ الفائدة الأولى التفرغ للعبادة والفسكر الخ
بيان أقوال العلماء وللصوفى فى تحليه ونحوه	٢٢٨ الفائدة الثانية التخلص بالمزملة من العاصى الذى يتعرض الإنسان لها الخ
٢٦٨ بيان الدليل على إباحة السماع	٢٣٢ الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن والحسومات وصيانة الدين والنفس الخ
٢٨٢ بيان جميع القائلين بتحريم السماع والجواب عنها	٢٣٣ الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس
٢٨٤ (الباب الثانى فى آثار السماع وآدابه وفيه مقامات ثلاث)	٢٣٤ الفائدة الخامسة أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعه عن الناس
٢٨٥ اللقائم الأول فى القهم	٢٣٥ الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الشغل والهمى ومقاساة حقههم وأخلاقهم الخ
٢٨٩ اللقائم الثانى بعد القهم والتزويل الوجد	٢٣٦ آفات المزملة للبيئة على فوات فوائد المحالطة السبعة الآتية
٢٩٨ لللقائم الثالث من السماع تذكر فيه آداب السماع ظاهره وباطنه الخ	٢٣٨ الفائدة الثانية النفع والاتقاع
٣٠٢ (كتاب الأمر بالمعروف)	٢٣٨ الفائدة الثالثة التأديب والتأدب
والتهى عن النكر وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثانى وفيه أربعة أبواب	٢٣٩ الفائدة الرابعة الاستئناس والإيناس
٣٠٣ (الباب الأول فى وجوب الأمر بالمعروف والتهى عن النكر وفضيلته والتمذة فى إجماله وإيضاعه)	٢٣٩ الفائدة الخامسة فى فضل الثواب وإثباته
٣٠٨ (الباب الثانى فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه ، وأركانه أربعة)	٢٤١ الفائدة السادسة من فوائد المحالطة التواضع
الركن الأول المحتسب	٢٤١ الفائدة السابعة التجارب
٣٢٠ الركن الثانى للحسبة ما فيه الحسبة	٢٤٣ (كتاب آداب السفر)
٣٢٣ الركن الثالث المحتسب عليه	وهو الكتاب السابع من ربيع العادات وفيه بابان
٣٢٤ الركن الرابع نفس الاحتساب (باب آداب المحتسب)	٢٤٤ (الباب الأول فى آداب من أول التوضى إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه فصلان)
٣٣٠ (الباب الثالث فى المنكرات للمألوفة فى العادات)	الفصل الأول فى فوائد السفر وفضله ونيته
منكرات للمساجد	٢٥٠ الفصل الثانى فى آداب المسافرين أولهم وهى إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا
٣٣٣ منكرات الأسواق	٢٥٦ (الباب الثانى فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات الخ)
منكرات الشوارع	القسم الأول العلم برخص السفر
	٢٦١ القسم الثانى ما يتجدد من الوظيفة الخ

